

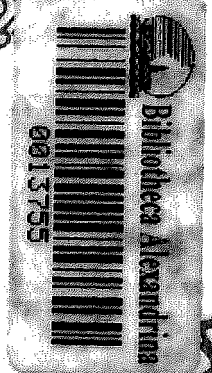
مير يصراف

اعلام  
الاصناف  
الاعراق  
الاحياء

موسسة  
الاعراب  
الاصناف  
الاعراق  
الاحياء  
الاصناف  
الاعراق  
الاحياء

الجزء الأول

دار الحكمة



Bibliotheca Alexandrina  
0015755

**أعلام الأدب  
في العراق الحديث**

جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة. غير مسموح  
بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو تخزينه في أي نظام  
لتخزين المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو بآية  
وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة،  
أو ميكانيكية، أو استنساخاً أو تسجيلاً،  
أو غيرها، إلا بإذن كتابي من صاحب حق النشر.

ISBN 1 - 898 209 - 456

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

**DAR AL-HIKMA**

Publishing and Distribution



88 Chalton Street London NW1 IHJ. Tel: 071 - 3834037 / Fax: 071 - 3830116

ميربصر

# أعلام الأدب في العراق الحديث

الجزء الأول

تقديم  
د. جليل العطيّة

دار الحكمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مير بصري راند «فن التراجم» الأدب العربي الحديث

بقلم: د. جليل العطية

■ ■ ■

نشأ فنا السير والتراجم وترعرعا في أحضان علم التاريخ، وتأثرا بمفهوم الناس عنه على مرّ العصور، فكانا تسجيلاً للأعمال والأحداث .

وعندما تغير مفهوم التاريخ، وأصبحت له فلسفة خاصة، أنكر بعض الباحثين المحدثين أن تكون السيرة أو الترجمة جزءاً من التاريخ، وبين هؤلاء كولنجوود وتوينبي فهما يُجرجان من دائرة التاريخ ما يتصل بالسير الذاتية كاعترافات القديس أوغسطين وروسو أو حياة الملكة فكتوريا لستراتشي .

يقول توينبي : إن هذه الكتب تشتبك بالتاريخ لأنها تدور حول أناس لهم قيمتهم في الحياة الاجتماعية . وبعد أن يبين خصائص بعضهم يقول : إذا علقنا التاريخ بالسيرة وقعنا في الخطأ من حيث الطريقة .

على أننا إذا استبعدنا هذه النظرة الحديثة، وجدنا أن فن التراجم من ناحية عملية هو تاريخ في نشأته وغايته، ويمكن أن نقرر أنه : كلما كانت الترجمة تعرض للفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو متأثرة بها، فإن الترجمة تحقق هدفاً تاريخياً .

وكلما كانت الترجمة تفصل المترجم عن مجتمعه ووطنه، وتجعله الهدف الأسمى وتنظر إلى كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة، فإن صلتها بالتاريخ تكون هشة بل مبتسرة .

ولقد وعى ابن الجوزي - المؤرخ البغدادي الشهير - أن التاريخ عبارة عن مجموعة متنوعة من السير والتراجم عندما قال في مقدمة كتابه (شذور العقود) : إن التواريخ وذكّر السير راحة للقلب وجلاء للهم وتنبيه للعقل فإنه . . إن شَرَحْتُ سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قَصَّصْتُ قصة مفرط خوِّفت من إهمال الحزم .

وفي القرون الماضية ركد فن التراجم وانكفاً، شأن ألوان الفنون والعلوم الأخرى، وفي  
بواكير القرن العشرين سار الكتاب العرب باتجاهات مقاربة لما في الغرب، فتأثروا  
بالدراسات النقدية للنصوص، والنظريات النفسية، وأصبح بعضها أقرب إلى المظهر  
العلمي منه إلى المظهر الأدبي، وقلّت الرغبة في تاريخ الحياة نفسها.

ومن بين المحاولات ذات الطابع الأدبي في السيرة الحديثة يمكن الإشارة إلى (حياة  
الرافعي) للعريان، (وعبقرات العقاد، وجبران) لميخائيل نعيمة. وأزخ زيدان وأحمد  
حسن الزيات والإسكندري وحنّا فاخوري للأدب العربي في عصوره المختلفة، وقدم  
خير الدين الزركلي كتابه «الأعلام» الذي عني فيه بترجمة المئات من أعلام العرب  
والمسلمين والمستعربين، غير أن ترجمته - على دقتها - كانت موجزة، لأنه أراد استيعاب  
أكبر قدر من الشخصيات في كتابه.

وفي العراق عني عدد قليل من الأدباء والمؤرخين بفن التراجم لمع منهم: رفائيل بطي  
(- ١٩٥٦م) وجعفر الخليلي (- ١٩٨٥م) ومير بصري.

والمؤسف أن الجهود المضيئة التي بذلها بطي بقيت محدودة الفائدة، لأن التراجم  
المهمة التي كتبها بقيت مطوية في الصحف والمجلات ولم تجميع في كتب. أما الخليلي  
فإن كتابه (هكذا عرفتهم) بأجزائه الستة المطبوعة، يعدّ مرجعاً لا يستغني عنه كل من  
يرغب رصد الحركة الأدبية والثقافية خلال القرن الماضي، غير أن ما يؤخذ عليه - رحمه  
الله - أنه رسم لوحات انطباعية لمن عرفهم كأنه كتبها من الذاكرة، لأن معظمها تفتقد  
إلى التوثيق والتواريخ وما أشبه.

## ■ ٢ ■

ولد مير شاول بصري في بغداد في التاسع عشر من أيلول ١٩١١ في أسرة عراقية  
عريقة عرفت باسم «عوبديا»، وقد ذكر الرحالة بنيامين أنه التقى عمّ أبيه الذي كان  
يشغل منصب رئيس المحكمة الشرعية في بغداد سنة ١٨٤٨م. درس مير في مدرستي  
التعاون والأليانس، ولازم الأب أنستاس ماري الكرملي والدكتور مصطفى جواد حيث  
أخذ عنهما اللغة العربية، كما درس تاريخ العراق على عباس العزاوي والعروض على  
الشاعر محمود الملاح.

وعمل في الوظائف العامة والخاصة سنوات عديدة (ما بين ٢٨ - ١٩٥٢) أمضى  
شطراً منها في وزارة الخارجية. وقد أهله كفاءته لتمثيل العراق في عدة مؤتمرات عقدت  
في نيويورك وباريس وغيرها. وبعد سنة ١٩٥٣ انصرف إلى الأعمال الحرة.

كان أثره الأدبي الأول شعراً منشوراً بعنوانه الحرية (بغداد ١٩٢٨) على طريقة جبران  
والريحاني، وعمل في أوقات مختلفة محرراً اقتصادياً وباحثاً في الصحف والمؤسسات  
الاقتصادية العراقية.

أما المؤلفات التي أتيح له نشرها حتى الآن فهي :

مباحث في الاقتصاد العراقي (١٩٤٨)، رجال وظلال (١٩٥٥)، رسالة الأديب العربي (١٩٦٩)، أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث (١٩٧١)، أعلام اليهود في العراق الحديث (١٩٨٣)، أعلام السياسة في العراق الحديث (١٩٨٧)، أعلام الكرد (١٩٩١)، أغاني الحب والخلود (١٩٩١) وأنجز مؤلفات أخرى تنتظر النشر.

بقي مير بصري في بغداد يمارس نشاطه الأدبي والاقتصادي والروحي وبعد أن دخل العراق في بحر الانقلابات والاضطرابات، تعرض إلى الاعتقال والأذى (١٩٦٩) فاضطر إلى ترك وطنه (١٩٧٤). حيث استقر في لندن مواصلاً نشاطه الأدبي والاجتماعي بكل همة وتجرد وإخلاص وظل يحمل لوطنه في حنايا ضلوعه وخفقات قلبه، فيما قاله في بغداد :

على الأوطان في جبل وسهل	سلام الله، عطر من سلام
بلادي جبهها مددي وديني	تغلغل في الجوارح والعظام
هي الأم التي خلقت كياني	وجادت بالحشاشة والقوام
وأرهفت المشاعر في حنان	وأوقدت القرية بالضرام
ولقنت المكارم والسجايا	وأرحت بالخواطر والكلام
ونزهت الفؤاد من الدنيايا	ورفعت الضمير عن الملام
رضعت لبانها طفلاً صغيراً	وذقت نعيمها منذ الفطام
عببت من الهواء الطلق صفواً	ومن مماء اللد من المدام
وكحلت العيون بسحر حسن	تلالاً في الضياع وفي الظلام
فيا للحسن من بغداد أصفى	على الوديان وشيأً والاكام
مغانٍ قد صفا فيها شرابي	وراق العيش في عرز المقام

تتوزع اهتمامات مير بصري بين الشعر والقصة والرواية وكتابة التراجم والملاحم والترجمة والبحوث الاقتصادية. وقارئ آثاره التي أتيح لها النشر يقر له بالجودة والمستوى الرفيع في كل الفنون المختلفة التي مارسها باعتراف كبار النقاد.

يعتقد بصري أن الشعر والأدب يجب أن يرميا إلى مثل أعلى وهو التفاهم البشري والتعاون ونشر الأخوة والمحبة والسلام.

■ ■ ■

ويبدو لي أنه وجد أن مؤرخي العراق قد قصّروا في فن التراجم، ولعله لمس من صديقيه الكرمل ومصطفى جواد التشجيع في الانصراف إلى هذا الفن، الذي لا يجرؤ على خوضه إلا من أحاط بعدة علوم وفنون في آن واحداً

فكان أن صرف أكثر من خمسة عقود من عمره وهو يدون ويوثق ويسجل تراجم



الشخصيات التي ساهمت في بناء نهضة العراق الحديث على مختلف مذاهبهم ومشاربهم فكان كتابه الحالي (أعلام الأدب في العراق الحديث) ثمرة مجهود مضمّن .

يشمل الكتاب على تراجم نحو مائتين وخمسين أديباً وشاعراً ممن كان لهم الأثر في بناء كيان العراق الأدبي والثقافي والفكري خلال أكثر من قرن . ويمكن اعتبار الشاعر عبد الغفار الأخرس المتوفى سنة ١٨٧٥م أقدمهم وفاة، وبينهم أدباء وشعراء لا يزالون على قيد الحياة - أمدّ الله في أعمارهم .

قدم بصري لكتابه الضخم الذي شرفني بكتابة هذه المقدمة له ، بتوطئة موجزة تناول فيها الأدب العربي في عصور الانحطاط والنهضة والعهد الانتقالي وختمها بالعبارة الآتية :

أرجو أن تكون الصفحات التالية سجلاً لتعريف الشعراء والأدباء وبيان أثرهم في النهضة الحديثة وذلك قصارى الجهد وغاية القصد والمرام .

ولعمري أنه تواضع جمّ من قبله ، فالعمل الذي نهض به جبار ، لا يقوى على تقديمه بهذا الشكل المتقن ، الموثق فرداً

على أن غيرته على الأدب والأدباء ذلت له الصعوبات التي واجهها في تأليف هذا السفر الفذّ .

ينفرد مير بصري عن كل مؤرخي التراجم بنقاء العبارة ، ورشاقة الأسلوب والبعد عن التعمل والتصنع ، يحيط بتاريخ العراق والعرب إحاطة واسعة ، وقد رزق ذاكرة قوية ، لا ينسى ما يقيّد ولا ما لا يقيّد وغلب عليه التواضع والحياد .

ومما ينفرد به إجادته اللغة الفرنسية وإطلاعه الواسع على الأدب الفرنسي ، وقد أفاد القارئ بمعلومات غزيرة عندما عقد مقارنات واقتبس أشياء لها صلة بالترجم لهم وطائفة من شعراء فرنسة وأدبائها .

ولا أريد هنا أن أكشف كل مزايا هذا الكتاب الموسوعي ، فيكفي أن ألمّح إلى أنه حفظ لنا مختارات شعرية مجهولة لشعراء لم يسعفهم الحظ بنشر نتاجاتهم خلال حياتهم ، كما أن معرفته بعدد منهم مكنته من الاطلاع على آرائهم وأفكارهم ، وإذا كان الكتاب قد اشتمل على تراجم المشهورين المعروفين ، فإن المؤلف قدم لهم نماذج أدبية غير معروفة .

ختاماً أبتهل إلى الباري عزت قدرته أن يمدّ في عمر الأستاذ مير بصري ليوصل إتحاف المكتبة العربية بنتاجاته الأدبية والتاريخية . ولي الثقة بأن (أعلام الأدب في العراق الحديث) سيأخذ مكانته اللائقة في الخزانة العربية كواحد من أهم مراجع دراسة الأدب العربي الحديث .

## المحتويات

٥	..... المقدمة: الدكتور جليل العطية
٢٣	..... المصادر والمظانّ
٢٧	..... توطئة: الأدب العربي في عصر الانحطاط
٣٠	..... عصر النهضة
٣٢	..... القصص الشعري

### عصر الانحطاط الأخير

#### والعهد الانتقالي

٤١	..... عبد الغفار الأخرس
٥١	..... إبراهيم الطباطبائي
٥٣	..... شهاب الدين المليسي
٥٤	..... الشيخ حمادي آل نوح
٥٥	..... محمد سعيد الإسكافي
٥٦	..... محمد حسن كبة
٥٧	..... محمد سعيد الحبوبي
٦٠	..... جواد الشبيبي
٦٥	..... عبد المحسن الكاظمي
٧٤	..... أحمد الفخري
٧٩	..... علي البناء
٨٠	..... عبد القادر العبادي

٨٢	.....	عبد المهدي الحافظ
٨٣	.....	محمد رضا الأصفهاني
٨٤	.....	عبد الحسين الخويزي
٨٥	.....	الملا عثمان الموصلي
٨٨	.....	محمد السماوي
٩١	.....	رضا الهندي
٩٢	.....	عبد الحق الأعظمي

## عصر النهضة

### الشعر

٩٧	.....	جميل صدقي الزهاوي
١٠٤	.....	معروف الرصافي
١٠٧	.....	محمد رضا الشيببي
١١٤	.....	علي الشرقي
١٢٦	.....	عبد الحسين الأزري
١٣٦	.....	محمد حبيب العبيدي
١٣٦	.....	كاظم الدجيلي
١٤٧	.....	محمود الملاح
١٦٦	.....	محمد حسن أبو المحاسن
١٧١	.....	أحمد الصافي النجفي
١٨٠	.....	محمد مهدي الجواهري
١٨٦	.....	ناجي القشطيني
١٨٩	.....	عبد العزيز الجواهري
١٩٣	.....	محمد الهاشمي
٢٠٤	.....	رشيد الهاشمي
٢٠٩	.....	إبراهيم منيب الباجه جي
٢١٤	.....	فاضل الصيدلي

٢٢٥	عبد الحق فاضل
٢٢٥	الدكتور أكرم فاضل
٢٢٧	محمد علي اليعقوبي
٢٣١	إبراهيم أدهم الزهاوي
٢٣٥	عباس الخليلي
٢٣٧	عبد الكريم العلاف
٢٤١	عبد الحسين الحلي
٢٤٢	جعفر نقدي
٢٤٤	قاسم الشعار
٢٤٤	محمد رضا الخطيب
٢٤٦	عبد الوهاب الصافي
٢٤٧	محمد حسن حيدر

### الشعر العامي

٢٥٥	الملا عبود الكرخي
٢٥٦	حسين قسام

### عصر النهضة

#### النثر

٢٦١	محمود شكري الألوسي
٢٦١	علي علاء الدين الألوسي
٢٦٣	عبد المجيد الشاوي
٢٦٦	إغناطيوس أفرام الرحمانى
٢٦٦	أدي شير
٢٦٧	أنستاس ماري الكرملى
٢٦٨	أوغسطين مرمرجي
٢٦٩	يعقوب سرقيس
٢٧٨	رشيد السعدي

٢٧٨	.....	الدكتور سليمان غزالة
٢٨٠	.....	آغا بزرك الطهراني
٢٨١	.....	إسماعيل باشا بابان
٢٨١	.....	يوسف رزق الله غنيمه
٢٨٤	.....	طه الراوي
٢٨٧	.....	منير القاضي
٢٨٧	.....	عباس العزاوي
٢٩٥	.....	مصطفى جواد
٣٠٣	.....	سليمان الصائغ
٣٠٤	.....	شكري الفضلي
٣٠٦	.....	صديق الدمولوجي
٣٠٦	.....	رزوق عيسى
٣٠٧	.....	محمد جواد البلاغي
٣٠٨	.....	محمد صادق الأعرجي
٣٠٩	.....	علي ظريف الأعظمي
٣٠٩	.....	حسين الظريفي
٣١٠	.....	عبد الحميد عبادة

### الجزء الثاني

#### رجال الفقه والدين

٣١٣	.....	حسين الخليلي
٣١٤	.....	محمد حسن المامقاني
٣١٤	.....	محمد طه نجف
٣١٥	.....	رضا الهمداني
٣١٥	.....	محمد الشرياني
٣١٦	.....	حسين النوري
٣١٧	.....	غلام رسول الهندي
٣١٧	.....	بهاء الحق

٣١٨	.....	أسعد الدوري
٣١٩	.....	قاسم البياتي
٣١٩	.....	محمد آل بحر العلوم الطباطبائي
٣٢٠	.....	حسن البراقي
٣٢١	.....	مصطفى نور الدين الواعظ
٣٢٢	.....	علي كاشف الغطاء
٣٢٢	.....	محمد سعيد الزهاوي
٣٢٣	.....	محمد سعيد النقشبندي
٣٢٥	.....	حسن الصدر
٣٢٦	.....	إبراهيم الراوي
٣٢٨	.....	محسن الراوي
٣٢٩	.....	الشيخ شكر أحمد
٣٢٩	.....	عبد الكريم الجزائري
٣٣٠	.....	محمد جواد الجزائري
٣٣١	.....	عبد الحسين شرف الدين
٣٣٢	.....	جواد الجواهري
٣٣٣	.....	عبد الملك الشواف
٣٣٣	.....	أبو الحسن الأصفهاني
٣٣٦	.....	يوسف العطا
٣٣٨	.....	نعمان الأعظمي
٣٣٩	.....	قاسم القيسي
٣٤٠	.....	أحمد الزهاوي
٣٤١	.....	حمدي الأعظمي
٣٤٢	.....	محمد سعيد الراوي
٣٤٢	.....	عبد الكريم الزنجاني
٣٤٣	.....	محمد جعفر الحسيني

٣٤٣	.....	أغناطيوس جبرائيل تبوني
٣٤٤	.....	أغناطيوس أفرام برصوم
٣٤٤	.....	محسن الطباطبائي الحكيم
٣٤٦	.....	نجم الدين الواعظ
٣٤٦	.....	أبو عبد الله الزنجاني
٣٤٧	.....	كمال الدين الطائي
٣٤٧	.....	محمد باقر الصدر

### الصحافة

٣٥١	.....	داود صليوا
٣٥٢	.....	سليمان الدخيل
٣٥٢	.....	محمد كامل الطبقجلي
٣٥٣	.....	داود نيازي
٣٥٣	.....	قاسم جلميران
٣٥٣	.....	فتح الله سرسم
٣٥٤	.....	متى سرسم
٣٥٤	.....	عبد الوهاب الطباطبائي
٣٥٤	.....	عبد المحسن الطباطبائي
٣٥٥	.....	علي الجميل
٣٥٦	.....	رزوق غنام
٣٥٦	.....	إبراهيم حلمي العمر
٣٥٨	.....	قاسم العلوي
٣٥٨	.....	حسن غصيبة
٣٥٩	.....	سليم حسون
٣٦٠	.....	بولينا حسون
٣٦١	.....	رفائيل بطّي
٣٦٧	.....	توفيق السمعاني
٣٦٨	.....	سلمان الشيخ داود

٣٧٠	محمد عبد الحسين
٣٧١	سلمان الصفواني
٣٧٢	نوري ثابت (حزبوز)
٣٧٤	ميخائيل تيسي (كناس الشوارع)
٣٧٦	خلف شوقي الداودي
٣٧٧	مريم نرمة
٣٧٨	يوسف هرمز
٣٧٨	عبد القادر المميز
٣٧٩	يوسف رجب
٣٨٠	محمد طه الفياض
٣٨١	عبد القادر السيّاب
٣٨١	محيي الدين أبو الخطّاب
٣٨٤	إبراهيم الجلبى
٣٨٥	شفيق نوري السعيدى
٣٨٥	محمد علي البلاغى
٣٨٦	نور الدين داود
٣٨٦	أميرة نور الدين داود
٣٨٧	سعد الدين زيادة
٣٨٧	يونس بحري (السائح العراقي)
٣٨٩	عبد الرزاق الناصري
٣٩٠	فاضل قاسم راجي
٣٩٠	خالد الدرّة
٣٩١	لطفى بكر صدقى
٣٩٢	عوني بكر صدقى
٣٩٢	عادل عوني
٣٩٢	عبد المجيد الوندواوى



## الموجة الحديثة

### شعر

٣٩٧	حافظ جميل
٤٠٤	علي الخطيب
٤٢٢	أنور شاؤل
٤٢٢	أكرم أحمد
٤٢٧	نعمان ثابت عبد اللطيف
٤٣٠	نديم الأطرقيجي
٤٣٧	عبد القادر رشيد الناصري
٤٤١	كمال نصرت
٤٤٣	محمود الحبوبي
٤٤٦	نخضر الطائي
٤٥٠	حسين علي الأعظمي
٤٥١	محمد هادي الدفتر
٤٥١	نعمان ماهر الكنعاني
٤٥٣	رباب الكاظمي
٤٥٨	عاتكة وهبي الخزرجي
٤٦٤	كمال عثمان
٤٦٥	فؤاد عباس
٤٦٧	حسين مردان

## الموجة الحديثة

### نثر، تاريخ، قصص

٤٧١	عبد المسيح وزير
٤٧٥	جواد الدجيلي
٤٧٧	عبد الرزاق الحصان

٤٧٨	أحمد عبد الغني الراوي
٤٧٩	إبراهيم الدرربي
٤٧٩	محمد رؤوف الغلامي
٤٨٠	عبد المنعم الغلامي
٤٨١	محمد صالح السهروردي
٤٨١	إبراهيم الواعظ
٤٨٤	محمد سعيد الجليلي
٤٨٤	محمد بهجت الأثري
٤٨٩	أحمد حامد الصراف
٤٩٧	مصطفى علي
٥٠٥	جعفر الخليلي
٥١٤	متى عقراوي
٥١٥	حسين الرحال
٥١٦	عباس فضلي خمّاس
٥١٦	محيي الدين يوسف
٥١٧	مكي الجميل
٥١٨	عبد الرزاق الحسني
٥٢٠	محمد رضا المظفر
٥٢١	جواد علي
٥٢٢	توفيق الفكيكي
٥٢٤	أحمد سوسة
٥٢٥	عبد الرزاق محيي الدين
٥٢٨	عبد الفتاح إبراهيم
٥٢٩	محمود فهمي درويش
٥٣٣	كوركييس عواد
٥٣٤	ميخائيل عواد

٥٣٥	.....	محمد أحمد السيّد
٥٣٨	.....	ذنون أيوب
٥٤٠	.....	يوسف يعقوب مسكوني
٥٤٤	.....	محمد علي كمال الدين
٥٤٤	.....	عبد الجبار الجومرد
٥٤٦	.....	صبيحة الشيخ داود
٥٤٨	.....	أغناطيوس يعقوب الثالث
٥٤٨	.....	جلال الحنفي
٥٥٠	.....	علي الوردي
٥٥٢	.....	ناصر الحاني
٥٥٣	.....	عبد الجليل الطاهر
٥٥٤	.....	عبد العزيز الدوري
٥٥٥	.....	صالح أحمد العلي
٥٥٦	.....	عبد الجبار عبد الله
٥٥٧	.....	طه باقر
٥٥٨	.....	محمد سليم النعمي
٥٥٨	.....	ناجي معروف
٥٥٩	.....	فؤاد جميل

## الشعر الجديد

## الشعر الحرّ

٥٦٣	.....	نازك الملائكة
٥٦٩	.....	بدر شاكر السياب
٥٧٨	.....	عبد الوهاب البيّاتي
٥٧٩	.....	بلند الحيدري
٥٨٧	.....	ملحق الصور

## شعراء وأدباء

سجّلت تراجم الشعراء والأدباء الآتي ذكرهم في كتابي «أعلام الوطنية والقومية العربية» المعدّ للطبع :

- (١) عبد المطلب الحلي
- (٢) خيرى الهنداوي
- (٣) محمد حسين آل كاشف الغطاء
- (٤) محمد باقر الشبيبي
- (٥) محمد مهدي البصير
- (٦) عبد الرحمن البناء
- (٧) محمد باقر الحلي
- (٨) حمد فهمي المدرس
- (٩) هبة الدين الشهرستاني
- (١٠) أحمد عزت الأعظمي
- (١١) ساطع الحصري
- (١٢) محمد كاظم الخراساني
- (١٣) محمد كاظم اليزدي
- (١٤) محمد تقي الشيرازي
- (١٥) فتح الله الأصفهاني
- (١٦) محمد حسين التاييني
- (١٧) مهدي الخالصي

- (١٨) محمد الخالسي  
(١٩) عبد الغفور البدري  
(٢٠) إبراهيم صالح شكر  
(٢١) علي الخطيب  
(٢٢) عيسى عبد القادر  
(٢٣) عبد الرحمن البرّاز.

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها  
وإن صريح الحزم والرأي لا مريء

لساني معقولا وقلبي مقفلا  
إذا بلغت الشمس أن يتحول

أبو تمام

(٨٠٤-٨٤٦م)

كن ابن من شئت واكتسب أدباً  
إن الفتى من يقول: ها أنذا

يغنيك محمدوده عن النسب  
ليس الفتى من يقول: كان أبي

أبو العتاهية

(٧٤٨-٨٢٦م)

إذا ورث الجهة مال أبناءهم غنى

وجاهاً فما أشقى بني الحكماء

محمد حفني ناصف

(١٨٥٧-١٩١٩م)



## المصادر والمظان

هيئت لي معلومات وافية من الشعراء والأدباء الذين عرفتهم ومن أصدقاء الراحلين والمتصلين بهم . ووجدت في الجرائد والمجلات العراقية والعربية خلال نصف قرن أو يزيد أخباراً كثيرة حرة بالتدوين . وفي الكتاب أشعار لم تنشر أو نشرت في الصحف ولم تجمع في ديوان فأثرت إثباتها تحليداً لأصحابها .

وفيا يلي جدول ببعض المراجع والمظان التي قد يرغب المتبع في الرجوع إليها زيادة في الفائدة:

- (١) مير بصري : أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث (بغداد ١٩٧١).
- (٢) إبراهيم الواعظ : الروض الأزهر (١٩٤٨).
- (٣) محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر (بغداد ١٩٤٦).
- (٤) خير الدين الزركلي : الأعلام (الطبعة الثالثة).
- (٥) محمد صالح السهروردي : لبّ الألباب (جزآن ، بغداد ١٩٣٣).
- (٦) عبد الرزاق الحسني : تأريخ الصحافة العراقية (١٩٣٥).
- (٧) عباس العزاوي : تأريخ الأدب العربي في العراق (بغداد ، جزءان ١٩٦١ - ٦٢).
- (٨) السيد حيدر الحسيني الحلبي : العقد المفصل (جزآن).
- (٩) محمد بهجت الأثري : أعلام العراق (١٩٢٧).
- (١٠) رفائيل بطي : الأدب العصري في العراق العربي (جزآن ، القاهرة ١٩٢٣).
- (١١) رفائيل بطي : الصحافة في العراق (١٩٥٥).
- (١٢) مصطفى علي : أدب الرصافي (١٩٤٧).
- (١٣) مصطفى علي : الرصافي (الجزء الأول ١٩٤٨).
- (١٤) مصطفى علي : محاضرات عن معروف الرصافي (١٩٥٤).



- (١٥) جورج جبّوري : الكرملّي الخالد (١٩٤٧).
- (١٦) كوركيس عواد : معجم المؤلفين العراقيين (٣ أجزاء ، بغداد ١٩٦٩).
- (١٧) كوركيس عواد : الأب أنستاس ماري الكرملّي (١٩٦٦).
- (١٨) مصطفى جواد : المباحث اللغوية في العراق (١٩٥٥).
- (١٩) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ .
- (٢٠) دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ .
- (٢١) السيد جعفر الحلي آل كمال الدين : سحر بابل وسجع البلابل (صيدا ١٩١٣).
- (٢٢) عبد الغفار الأخرس : الطراز الأنفسي في شعر الأخرس (الأستانة ١٨٨٧) نشره أحمد عزت الفاروقي .
- (٢٣) عبد الله الجبوري : من شعرائنا المنسيين (بغداد ١٩٦٦).
- (٢٤) محمد الهاشمي : سميراميس بين الحقيقة والأسطورة (بغداد ١٩٥٩).
- (٢٥) محمد مهدي البصير : البركان (بغداد ١٩٥٩).
- (٢٦) أحمد الصافي النجفي : التيار (دمشق ١٩٤٦).
- (٢٧) محمود الحبوبي : شاعر الحياة (النجف ١٩٦٩).
- (٢٨) بدر شاكر السياب : قيثارة الريح (بغداد الطبعة الثانية ١٩٧١).
- (٢٩) محمود العبطة : بدر شاكر السياب والحركة الشعرية الجديدة في العراق (بغداد ١٩٦٥).
- (٣٠) حافظ جميل : اللهب المقتفى (بغداد ١٩٦٦) نبض الوجدان (بغداد ١٩٥٧) أحلام الدوالي (بغداد ١٩٧٢).
- (٣١) غازي عبد الحميد الكنين : شعراء العراق المعاصرون (جزآن ١٩٥٧ - ١٩٥٨).
- (٣٢) محمد رضا الشيبلي : ديوان الشيبلي (القاهرة ١٩٤٠).
- (٣٣) محمد مهدي الجواهري : ديوان الجواهري (عدة طبعات).
- (٣٤) محمد مهدي الجواهري : أيها الأرق (بغداد ١٩٧١).
- (٣٥) محمد مهدي الجواهري : خلجات (بغداد ١٩٧٢).
- (٣٦) نعمان ماهر الكنعاني : المعازف (بغداد ١٩٥٠).
- (٣٧) نعمان ماهر الكنعاني : الشعر في ركاب الحرب (بغداد ١٩٤٨).

- (٣٨) عبد الحسين الأزري : ديوان الحاج عبد الحسين الأزري (بيروت) .
- (٣٩) علي الشرقي : عواطف وعواصف (بغداد ١٩٥٣) .
- (٤٠) علي الشرقي : ديوان علي الشرقي (بغداد ١٩٧٩) .
- (٤١) معروف الرصافي : ديوان الرصافي (القاهرة ١٩٤٩) .
- (٤٢) ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي (بغداد ١٩٨٠) .
- (٤٣) الدكتور محسن غياض : شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي (بغداد ١٩٧٦) .
- (٤٤) الدكتور داود سلوم : تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي (بغداد ١٩٥٩) .
- (٤٥) تذكرة الشعراء لعبد القادر الخطيبي الشهرستاني (نشره الأب أنستاس الكرملي ، بغداد ١٩٣٦) .
- (٤٦) الدكتور يوسف عز الدين : شعراء العراق في القرن العشرين (بغداد ١٩٦٩) .
- (٤٧) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية (٤ أجزاء ، بيروت) .
- (٤٨) الدكتور شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر : في مصر (القاهرة ١٩٥٧) .
- (٤٩) الدكتور جمال الدين الرمادي : من أعلام الأدب المعاصر (القاهرة ١٩٦٠) .
- (٥٠) محمود شكري الألوسي : المسك الأذفر (بغداد ١٩٣٠) .
- (٥١) مجلة كلية الآداب (العدد ١٨ : ١٩٧٤) بغداد ، عدد خاص بأربعينية الدكتور محمد مهدي البصير .



## توطئة

### الأدب العربي في عصر الانحطاط

عرف العصر الذي تلا سقوط الدولة العباسية في العراق سنة ١٢٥٨ م بعصر الانحطاط . فقد خمدت الحركة الأدبية وأصبح الشعر والنثر يتسمان بالتقليد والإسفاف ، وكادت المواضيع تقتصر على المدح والهجاء والرثاء والغزل والمراسلات الإخوانية . كسدت سوق الأدب وزال الإبداع والإشعاع في البلد الذي أنجب الفرزدق وابن المقفع والأصمعي والجاحظ وبيدع الزمان والحريري والفراهيدي وسيبويه وبشار وأبا نواس وأبا العتاهية وأبا تمام وابن الرومي وابن المعتز والمتنبي وابن خلكان وصفي الدين الحلي وأضرابهم من أساطين البلاغة والبيان والقريض .

ونبغ في عهد الانحطاط شعراء فرس وترك كانوا في طليعة أدباء الدولتين الفارسية والتركية ، منهم ، من رجال اللغة الفارسية : سلمان ساوجي ، وخواجه کرمانو وعميد زاکاني وحافظ ، ومن رجال اللغة التركية : فضولي البغدادي المعروف في تركية بـ «رئيس الشعراء» ، وقد توفي سنة ١٥٥٥ م ، وابنه فضلي ، ورضائي وعهدي وشمسي ، وحسيني المتصوف المتوفى سنة ١٥٧٧ ، وروحي المتوفى سنة ١٦٠٥ ، وغيرهم . ولا يزال الأدب التركماني مزدهراً في كركوك وأنحائها ، ومن أعلامه عبد الله صافي المتوفى سنة ١٨٩٨ ، والشيخ رضا الطالباني المتوفى سنة ١٩١٠ . وكان يعدّ أبلغ شعراء الكرد ، لكنه كان ينظم باللغات التركية والفارسية والعربية أيضاً . وقد سافر إلى تركية ، ومضى إلى القاهرة فعهد إليه بتدريس الفارسية لأنجال الخديوي إسماعيل ، على ما قيل .

ولا بدّ من ذكر أحمد هاشم الألويسي البغدادي الأصل (١٨٨٥ - ١٩٣٣) الذي يعدّ من أعظم شعراء تركية في العهد الأخير ، وقد عرف بشعره الرمزي وشعر الطبيعة والجمال . ومن شعراء التركمان في كركوك وأنحائها محمود هجري ددة (١٨٨١ - ١٩٥٢) وخضر لطفلي (١٨٨٠ - ١٩٥٩) والأديب ناجي الهرمزي (١٨٨٧ - ١٩٥٢) ومحمد صادق (١٨٩١ - ١٩٦٧) والقاضي أحمد فائز (١٨٤٢ - ١٩١٨) صاحب المؤلفات باللغات العربية والتركية والكردية والفارسية .

ولعلّ خير أنموذج للأدب التركي في العراق في أوائل القرن التاسع عشر ما سجله كتاب «تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابها في أيام وزارة المرحوم داود باشا والي

بغداد»، وهو من تأليف أو ترجمة عبد القادر الخطيبي الشهراباني. عني بنشره الأب أنستاس ماري الكرملي سنة ١٩٣٦. ذكر هذا الكتاب تراجم مختصرة لنحو خمسين شاعراً وكاتباً عاشوا في عهد الولاية، وجلّهم إن لم نقل كلهم، من النكرات المحسوبين على الأدب ومن موظفي الولاية وكتابتها. ولم يخلفوا أثراً سوى واحد هو رسول حاوي مؤلف «دوحة الوزراء» في تاريخ ولاية بغداد، وقد توفي سنة ١٨٢٦.

أما الأدب الكردي فانتعش في السليمانية وأنحاءها، وكان من أعلامه العالم الأديب رسول مستي الملقب بشيخ الحكماء (١٨٢٣ - ١٩٠٨) والشعراء محمد المحوي (١٨٣٦ - ١٩٠٩) وأمين يُمّني (١٨٤٥ - ١٩٢١) وأحمد الملا قادر (١٨٥٤ - ١٩١٠) وأمين فيضي (توفي ١٩٢٨) وصالح حريق (١٨٦٦ - ١٩٠٩) وحسن البامرفي (١٨٦٧ - ١٩٣٧) وأحمد مختار الجاف (١٨٩٦ - ١٩٣٣) وعبد الله كوران (حليجة ١٩٠٤ - ١٩٦٢) وفائق بيكاس (١٩٠٥ - ١٩٤٨). ولا بدّ من ذكر الكاتب المرمي رفيق حلمي (١٨٩٨ - ١٩٦٠) وحسن فهمي الجاف (١٩٠٥ - ١٩٧٣). وأشهر شعراء الكرد على الإطلاق توفيق بيره مرد (السليمانية ١٨٦٧ - ١٩٥٠). ولا ننسى الوزيرين العالمين المؤرخ محمد أمين زكي (١٨٨٠ - ١٩٤٨) والبحاث المحقق توفيق وهبي (١٨٩١ - ١٩٨٤) مؤلف القاموس الكردي الإنكليزي المطبوع في لندن (بالاشتراك مع الميجر آدموندس).

## الأدب العربي في عصر الانحطاط

كان الأدب العربي في عصر الانحطاط مظهراً من مظاهر التقليد والجمود والجفاف. فشت العجمة في الفكر والبيان، وطغت اللهجة العامية، وغلبت التركية لغة الدواوين والطبقة الحاكمة. على أن النجف بقيت واحة عربية ازدهر فيها الفقه وعلوم الدين واللغة والشعر التقليدي. وكان أبرز ممثلي الأدب العربي في ذلك العهد:

- (١) الشاعر المذّاح الشيخ كاظم الأزري (١٧٣٠ - الكاظمية ١٧٩٦).
- (٢) الشيخ صالح التميمي (١٧٦٢ - ١٨٤٤) ولد في الكاظمية ودرس في النجف ومدح بشعره الولاة والأشراف.
- (٣) المؤرخ عثمان بن سند البصري (١٧٦٦ - ١٨٢٧) مؤلف «مطالع السعود في طبخ أخبار الولي داود».
- (٤) الشاعر المجيد عبد الباقي العمري (١٧٨٩ - ١٨٦١)، موصلية الأصل وكان معاوناً لوالي بغداد.
- (٥) مفتي بغداد عبد الغني جميل (١٧٨٠ - ١٨٦٣) من وجهاء عصره وأغنيائه،

نظم الشعر واشتهر بمطارحاته مع عبد الغفار الأخرس ، وقد نشرها المؤرخ عباس العزاوي .

(٦) الشاعر عمر رمضان الهيتي ، توفي سنة ١٨٣٦ .

(٧) المفتي أبو الثناء محمود شهاب الدين الألوسي . (١٨٠٢ - ١٨٥٤) صاحب الرحلات والمقامات والتفسير المشهور .

(٨) الشاعر النجفي الشيخ محسن الخضري (١٨١٩ - ١٨٨٥) اشتهر بمدائحه للوالي علي رضا باشا .

(٩) العالم الأديب المؤرخ إبراهيم فصيح الحيدري ولد في بغداد (١٨٢٠ - ١٨٨٣) .

(١٠) الشاعر الشيخ حمادي آل نوح الحلبي (نحو ١٨٢٥ - ١٩٠٧) .

(١١) الشاعر أحمد عزت باشا العمري الفاروقي (١٨٢٨ - ١٨٩٢) ولد في الموصل وعاش في بغداد واستانبول وطبع ديوان الأخرس في العاصمة التركية سنة ١٨٨٧ .

(١٢) الشاعر العاشق الشيخ عباس علي النجفي (١٨٢٨ - ١٨٥٨) ، وهو صاحب القصيدة المشهورة :

عديني وامطلي وعدي ، عديني وديني بالصباية فهي ديني

(١٣) الشاعر أحمد بك الشاوي (١٨٢٨ - ١٨٩٩) .

(١٤) الشاعر السيد حيدر بن سليمان الحلبي (١٨٣٠ - ١٨٨٧) مؤلف «العقد المفصل» في مدائح آل كبة . وقد اشتهر بمراثيه الحسينية الشجيرة .

(١٥) نعمان خير الدين الألوسي (١٨٣٦ - ١٨٩٩) وكان عالماً لغوياً أديباً .

(١٦) الشيخ جعفر الشرقي (١٨٤٤ - ١٨٩٢) الشاعر الفقيه ، والد الشاعر الشهير علي الشرقي .

(١٧) السيد جعفر الحلبي من آل كمال الدين (١٨٦١ - ١٨٩٧) نشر ديوان شعره بعنوان «سحر بابل وسجع البلابل» وطبع في صيدا .

وقد غالى الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه «نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر» في تقييم أدب ذلك العهد ، فقال : «إن أدبنا . . . يمثل كل لون من ألوان الأدب العربي القديم وكل فن من فنونه . . . » وقال : إنه يمثل حياتنا الاجتماعية والسياسية والدينية . وبالغ في نعت الشعراء ، فهذا خليفة أبي نواس والآخر خليفة أبي العتاهية وذلك صنو ابن الفارض وقرين أبي تمام ، وهلم جرا .

كان الشعر بضاعة كاسدة لا تكاد تحظى بشيء من التقدير المادي أو الأدبي . والمدبوح والرثاء زاخران بالمبالغات الصارخة ، فكان كل ممدوح نابغة عصره وسيّد مصره ، وكل مرثي فاق الثقلين وغادر الأرض فقراً يباباً :

فالموت نقاد على كفته جواهر يختار منها الجياد!

ونرى السيد جعفر الحلي يرثي القتيل ويهنيء القاتل في نفس واحد، يرثي الشيخ مزعل ويهنيء أخاه خزعل خان الذي اغتاله وحل محله على دست إمارة عربستان . ثم نراه يمدح قاطع الطريق من عشيرة شمر فيصفه بالليث الذي أوكل رزقه ببرائه! .

وخلاصة القول : إن شعر عصر الانحطاط يكاد يخلو من المعاني والأفكار الأصيلة والبقاوق الصوفية واللمعات الذهنية واللمحات الوجدانية . وإذا كان يمتاز بسلامة اللغة والبلاغة في أحيان كثيرة ، فإنه يتسم بالجمود والتقليد والصرامة وضحل الخيال .

وقد ترجمت لشاعرين يمثلان عصر الانحطاط الأخير أحدهما بغداددي (عبد الغفار الأخرس) والآخر نجفي (إبراهيم الطباطبائي) .

### عصر النهضة

أطل فجر النهضة الأدبية في مطلع المائة العشرين ، وكان في الطليعة من رؤاده الشاعران جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي ، ثم تبعهما عند إعلان الدستور التركي محمد رضا الشيبسي وأخوه محمد باقر وعلي الشرقي وخيري الهنداوي وكاظم الدجيلي ومحمود الملاح .

ونبغ من الكتاب والعلماء محمود شكري الألوسي والأب أنستاس ماري الكرملي وفهمي المدرس ومحمد حسين كاشف الغطاء . . . ونشأت الصحافة سنة ١٩٠٨ مع إعلان الحرية ، فبرز فيها عبد اللطيف ثنيان وداود صليوا وإبراهيم صالح شكر وإبراهيم حلمي العمر ، ثم رزوق غنام وعبد الغفور البديري ورفائيل بطي وتوفيق السمعاني وسليم حسون . . .

ويمكن القول : إن الأمة العربية «أمة الشعر» . فقد كان للشعر منذ الجاهلية المقام البارز والأثر البليغ في الحياة الاجتماعية والسياسية والنهضة العلمية والأدبية . وكان الشعر يقوم مقام المقالات الافتتاحية قبل أن توجد الصحافة مع مزية أخرى له هي سهولة الحفظ والنقل والتداول والخلود .

وقد قلت في البحث الذي قدمته بعنوان «دور الأديب العربي في بناء المجتمع العربي العصري» إلى مؤتمر الأدباء العرب السابع المعقود في بغداد في نيسان ١٩٦٩ : «يضطلع الأديب بتبعة جسيمة في بناء مجتمعه والمجتمع العالمي . فالأديب الحق يحمل مشعل التقدم والنهوض لينير السبيل لأبناء أمته ووطنه . ولئن كان ذلك صحيحاً مذكور في الأدب ووجدت رسالة الأديب ، لقد أصبحت هذه الحقيقة أشدّ خطراً وأبلغ أثراً في المجتمع العربي الحديث الذي يمرّ من الجهة الواحدة ، بطور انتقال ، طور امتدّ منذ

حقبة طويلة ولا يزال جارياً بدرجة متفاوتة وتفاعل ملحوظ في مختلف أقطار العروبة لأجل إزالة آثار التخلف واللحاق بموكب الأمم العاملة العاملة، ونحوض، من الجهة الأخرى، معركة ضارية فرضتها عليه قوى الاستعمار والرجعية...» .

وقلت إن الأدب العربي قام في العصور الماضية بدوره في بناء المجتمع وتوطيد أركانه، وكان من أقوى عناصر القوة والتماسك التي تربط بين أبناء الشعب العربي في أقطاره المنبسطة شرقاً وغرباً. وقد رأينا الشعراء والأدباء في العراق والوطن العربي أجمع في عصر النهضة الحديثة يلهبون مشاعر الأمة وينيرون لها طريق الحرية والاستقلال ويدعونها إلى اليقظة والانطلاق.

قامت معارك اجتماعية ووطنية وسياسية خاض غاها الأدب وكان النصر فيها حليف قوى التقدم والعرفان. وحسبنا أن نذكر مثلاً معركة تحرير المرأة والسفر والحجاب التي احتدمت بين الأنصار والمعارضين. وقد تعرّض الزهاوي للمحنة لمقال كتبه في الدفاع عن المرأة فبقي حبيس داره أياماً خوفاً من سحق الجماهير، حتى ليخاطب زوجه قائلاً:

أبثين، إن أدنى العمدو حمامي  
بمسدس يذكّيه أو بحسام  
فتجلدي عند الرزية واحسبي  
أني اجتمعت إليك في الأحلام

وقال الرصافي:

لقد غمطوا حق النساء فشددوا  
عليهنّ في حبس وطول ثواء  
وقد ألزموهن الحجاب وأنكروا  
عليهنّ إلا خرجة بغطاء

ودعا شعراء النهضة إلى العلم والحرية. واتخذ كتاب الرواية والقصة والمسرحية آثارهم أداة لرسالة الثقافة والاستقلال. ثم تشعبت نواحي الأدب في مناهجه وأهدافه، وظهر الشعر المنثور والحرّ ومذهب الرمزية والسوريالية، واتسع مجال الأثر الأدبي بنشوء البث الإذاعي والتلفزيوني ونقل الشعر والنثر العربي إلى اللغات الأخرى بعد أن مرّ دور الترجمة والتعريب.

وأرجو أن تكون الصفحات التالية سجلاً لتعريف الشعراء والأدباء وبيان أثرهم في النهضة الحديثة، وذلك قصارى الجهد وغاية القصد والمرام.

لندن، شباط ١٩٩٤

مير بصري



## القصص الشعري

أولع شعراء الشباب في مطلع القرن العشرين بالقصص الشعري، وكانت قصصهم في الغالب ساذجة شجيّة تنتهي بالفواجع، وكانّ الدهر مأساة لا تبقي على غنيّ ولا متنعم. ولعلّ أولئك الشعراء قد تأثروا بمصطفى لطفي المنفلوطي، الأديب المصريّ الأنيق الذي كان له تأثير عظيم في النصف الأول من القرن في طول الأقطار العربية وعرضها.

حدثني عبّاس العزاوي أن الكتب والمجلات كانت ممنوعة في عهد الاستبداد الحميدي، ولم يسمح بورودها إلا بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وإطلاق حرية المطبوعات. أخذت المجلات والصحف المصرية كالمتقطف والهلال والمقتبس والزهور وغيرها ترد إلى بغداد فيتلقفها الشباب المتعلم ويطالعها بشغف ولهفة.

قال العزاوي: كنّا ننتظر وصول المجلات والكتب بنافذ الصبر، فإذا تأخر البريد مررنا بالمكتبات في سوق السراي كلّ يوم، بل كل ساعة، نسأل عنها ونستفسر عن أسباب التأخير. وكانت مقالات المنفلوطي التي تنشرها جريدة المؤيد تحظى باهتمامنا قبل غيرها، ولا سيما النظرات والعبرات والروايات المترجمة التي نشرت بعد ذلك كتباً مستقلة. فإذا وردت المؤيد أقبلنا على مطالعة مقالات المنفلوطي في المكتبة أو الطريق، ولم نصبر عن قراءتها حتى الوصول إلى الدار

وللمنفلوطي نفسه قصص شعرية، منها منظومة «بين أسماء وعبد الله». تلك قصة أسماء بنت الصديق ولدها عبد الله بن الزبير الذي طلب لنفسه الخلافة فحاصره الحجاج بمكة وعرض عليه التسليم. لكن أمه أشارت عليه بالمضيّ في القتال حتى الموت:

صنعت في الوداع خير صنيع  
تحت درع منسوجة من نجيع  
بين أسر مـــــرّ وقتل فظيع  
صاحب غير سيفي المطبوع  
غاب عنيّ ولم يعهد لطلوع

إنّ أسماء في الوداع خير أنشي  
جاءها ابن الزبير يسحب درعاً  
قال: يا أمّ، قد عييت بأمرني  
خانني الصبح والزمان، فما لي  
وأرى نجمي الذي لاح قبلاً

بذل القوم لي الأمان، فما لي  
فأجابت، والجفن قفر كأن لم  
لا تسلّم إلا الحياصة وإلا  
إن موتاً في ساحة الحرب خير  
وختم الشاعر قصيدته قائلاً:

وأتى أمّهُ النعيُّ فجادات  
بعد لأيٍ بدمعها المنسوع

ونظم المنفلوطي أيضاً رواية بولس وفرجينى لبرناردان دي سان بيير، وهي قصة  
الطبيعة الساذجة والطفولة البريئة، ومطلعها:

يا بني الفقير، سلاماً عاطراً  
من بني الدّنيا عليكم وثناء

نشأ الطفلان في جزيرة نائية، وتمتعا بمشرق الشمس ومغيبها، ولعبا معاً في ظل  
الأشجار الوارفة وعلى ضفاف الجداول الرقراقة. وقد تبادلا الحبّ وعزما على الزواج،  
لكن الفتاة مضت إلى فرنسا للمطالبة بإرث لها فلم تحصل على المال. ولما عادت إلى  
جزيرتها حيث ينتظرها الحبيب هاج البحر وماج، فغرقت السفينة وجرفت المياه العروس  
العائدة جثة لا حياة فيها ألقتها على الساحل.

كان جميل صدقي الزهاوي من مبتدعي القصص الشعري، وقد نظم عدة قصائد  
في هذا الباب، منها: أرملة الجندي، سليمة ودجلة، طاغية بغداد، الغريب  
المحتضر، على قبر ابنتها، أسماء، مقتل ليل والربيع، سعاد بعد زواجها، ليلي وسمير،  
إلخ.

فأساء فتاة تهوى أحد الشبان، لكن أهلها يزفونها إلى شيخ فإن له ثلاث نساء فلا  
تجد مخرجاً من مأساتها إلا بتناول السمّ والموت في ميعة الصبا.

وأرملة الجندي يعرضها الفقر بناه بعد وفاة قرينها فتصاب بالسلّ ولا تنال الكفاف  
من القوت مع طفلها لضالة راتب التقاعد الذي يصرف لها.

ويقف الرصافي بين شعراء الشباب في العراق على قمة عالية لا تصل إليها الأبصار.  
إن منظوماته القصصية قصائد رائعة تجمع جمال الشكل إلى سموّ المعنى ولطف الأداء.  
إننا نقرأ «المطلقة» و«أمّ اليتيم» و«الفقر والسقام» و«اليتيم في العيد»، فنحلّق مع  
الشاعر في عالم روحانيّ من الرحمة والمحبة ونحفق قلوبنا بالعواطف الإنسانية الرفيعة.

هذه المرأة تثنّ في سكون الليل، وقد لفها الظلام والوحشة والفقر بدثار قاس أليم،  
وإلى جنبها طفل جائع ينتظر رجوع أبيه الذي قتل في مذبحة همجية. وهذه الزوجة  
المخلصة المحبوبة يطلقها زوجها لزلة لسانية بدرت منه يحيلها جمود المجتمع وجهله إلى  
مأساة لا مخرج منها.

وهذا الصببيّ اليتيم البائس، صبيح الوجه، شاحب اللون، يخرج في صباح العيد ملتفعا بأسفاله البالية فيزيد من أساه وحرمانه ضجيج الناس وفرحهم ولعب الصبيان الذين يرتدون الملابس الزاهية ويمضغون السكر والحلوى ويضحكون ويمرحون في فيض من السعادة والهناء . . .

أما موشح الفقر والسقام فهو أنه المضحى الكئيب ترتفع في الظلام يطلقها الفقير المريض الذي لا يجد طبياً لعلته ولا نفقة لأسرته . بشير الكادح الذي كان يسعى طول النهار ليكسب قوتاً زهيداً وليعيل أخته العانس أقعده المرض عن العمل :

إنّ سقماً بـــــــــــــــــــــــ وعقماً أماً      تركاه يدوب يوماً فيوماً  
فهو حيناً يشكو إلى السقم عُدماً      وهو يشكو حيناً إلى العُدْم سقماً

باكياً من كليهما بانتحاب

وفي ليلة زيمرت العاصفة واكفهر أديم السماء والتمع البرق ودوى هزيم الرعد، قضى بشير نجه . ولم تلبث أخته أن تبعته إلى رحاب الموت، منطلقة من قبضة الحياة القاسية الشديدة .

لقد أبدع الرصافي الشاعر في تصوير قسوة الطبيعة وثورة عناصرها الهوج وسخرية القدر، وتجسيم الموت الذي ينشب محالبه كالوحش الضاري في بني الفقر على الفراش البالي وفي ضياء السراج الضعيف . وبرع في الإفصاح عن رزايا الفقر وأوصاب المرض وسعار الجوع، ووصف عبرات الأرامل والأيتام وأنين المكلمين الذي يقطع الأحشاء بسيف مثلث ويهز نياط القلب، والليل ساج حالك السواد، وكأن نجومه تصيخ إلى الزفرات المجمجمة . وبرع في تصوير البيت الخاوي المهتم الذي ينوء بأثقال البؤس، والجسم الهزيل الشاحب الذي يهده الجوع والسقام، والطفولة التي تشكو ضراوة الدهر قبل أن يتفتح ذهنها لحقيقة الوجود، تغذيها أمها بالدموع إذا أعوز الخبز . والجمال الذي يدوي من الوجد في عنفوان الشباب، وذلل مجتمع البؤس وتضامنه وتعاطفه وتبادلته العون والحنان والنزر مما يمتلكه من حطام الأرض، وشموخ مجتمع الغنى والبذخ وعدم مبالاته واستهانته بالدموع والدماء، أليس كل ذلك وكثير غير ذلك قد عبّر عنه شاعرنا ألطف تعبير، ينفذ إلى مكاسم النفس البشرية ويثير فيها أسوأ العواصف والعواصف؟ وهل عجب أن يرسم الرصافي صورة حية للحزن، وهو القائل :

أنا للحزن دائماً ذو انتساب؟

إنّ الرصافي يروي قصص الأسي والألم والموت بصيغة المتكلم، فهو قد رآها وسمعاها وعاشها، أصغى إلى أنين الملهوفين وسأل عما أصابهم وخفف من ألامهم وودعهم يوم مماتهم الوداع الأخير وسكب على قبورهم دمعة حرّى صادقة هامة من جفن قريح .

وقد كان إبراهيم صالح شكر، وهو الأديب الدوّاقعة، معجباً باستعارات الرصافي

وتشبيهاته يعدّها من الروائع . استشهد بقوله في «أمّ اليتيم» :

أرى فحمة الظلماء عند أنيها فاعجب منها كيف لم تتضرم  
فقال - على ما أذكر - إن شاعرنا قد شبّه الأئين ضمناً بالنار فعجب كيف لم تضطرم  
فحمة الظلماء .

ومن تشبيهاته الأخرى في نفس القصيدة خفوق أنين الأرملة في قلبه كرنّة الدرهم في  
قلب الفقير المترّب . ثم شبّه تقطّع أحشائه بضربة سيف مثلم ، ولا يخفى ما تسببه  
ثلثات حدّ السيف من الألم عند تمزيقها الأعصاب . ثم انظر إلى الأحزان التي هاجت  
فاغرة الفم ، وإلى الدار التي هوى بها زلزال الخطوب إلى حضيض الشقاء ، وإلى العين  
التي سال دمعها بكاءً ونظرتها بتسم ، وهلمّ جرا .

إنّ خيرى الهنداوي صديق الرصافي وعشيرته لا يرقى مرقاة صاحبه ، لكنه مع ذلك  
يحسن نسج القصة الشعرية وحبك وقائعها . ففي قصيدته «فتاة سلانيك» يروي  
حديث حبيبين عاشا زماناً في بلهنية الصبا وصفاء السلم والوداد ، حتى نشبت الحرب .  
ومضى الفتى إلى ساحة الوغى فقتل وأسرت الفتاة الحزينة .

وقصيدته «زينب وخالد» أو «فتاة بغداد وفتاها» ملحمة المآسي والأحزان . ومن  
زينب؟ - هي فتاة عربية نشأت في أحضان الفضيلة والعزّ والدلال :

فجاءت كخصن البان يورق ناضراً وكالشمس إلا أنّها ليس تغرب  
خرجت ذات يوم مع صديقاتها في نزهة ، فالتقت بفتاها جالساً في ظلّ دوحة .  
وقعت عينه عليها :

فجنّ بها حباً ، ولم يسدر قلبها بأن الهوى يأتي الفتى وهو يلعب  
ورأته هي أيضاً فهامت به حباً :

مضت ومضى للحيّ ، كلُّ مولّه بصاحبه يدعو الرشاد فيعزب  
ومرض خالد وقد تيّمه الحبّ ،

ينوح كما نوح الحمام صبابة ويشهق من فرط الغرام وينحب

وعرفت أمه بالسّر الذي يطوي عليه جوانحه ، فخطبت له الحبيبة وهيئت أسباب  
الزواج . غير أنّ القدر يقف للمحبّ السعيد بالمرصاد ، فقد جاء جند جنكيز واقتادوا  
خالداً وزجّوه في السجن ، ثم ساقوه إلى سيواس . وماذا كانت جنايته؟

لقد كان صبياً بالعراق وأهله يدافع عن أحسابهم وحقوقهم  
وهل ربيعة أن ذبّ عن مجد قومه  
يثور إذا سيموا الهوان ويشغب  
ويطعن في صدر العدو ويضرب  
فتى عن بنيات العلى لا ينكب؟

أعدلاً يرى الأقوام حبس ابن حرّة  
إذا كان في حب الديار جريرة  
يغار على مجد العراق ويغضب؟  
فكل فتى فوق البسيطة مذنب!

وبعد أعوام قضاها في المنفى البعيد، عاد بطل قصتنا فوجد أمه قد ماتت. وأمدّه صديق وفي بالتقود فاقترن أخيراً بحبيته زينب. لكنه عاد إلى العمل السياسي لتخليص بلاده من ربة الاحتلال، فقبض عليه، وهو في غمرة أفراح ختان طفله، وسيق إلى المعتقل النائي مكبلاً بالحديد. وابتلي بالسّل فقضى نحيبه بعيداً عن أهله وأصحابه.

إيه، أيها الشاعر. لقد أحكمت حلقات المأساة، وأعرت الأيام غلباً وناباً فلا تهدأ حتى تشب أظفارها بالأرملة واليتيم وتختم الفاجعة بلا رحمة ولا تلكؤ. وتخطب الأم طفلها وهي تشعر بدنو الأجل:

بني، إذا مات من لك راحم  
بني، يتيماً أنت بعدي مسيماً  
بني، لقد هان الردى بعد خالد  
ولكنه في يتم نفسك يصعب  
ومن بك يعنى أم لأجلك يتعب؟  
تعيش كما عاش اليتيم المسيب  
وجاءت جاراتها في الصباح فوجدنها ميتة وطفلها يعول باكياً. وشغلوا بدفنها، فسوها عن الطفل الذي خرج من الدار يسير على غير هدى حتى غرق في دجلة.

وهذا كاظم الدجيلي وقصيدته «بوليس بغداد»، فهل نستطيع أن ننعثها بالقصة؟ إنها إلى الحكاية أقرب وبالسرّد أوثق نسباً.

يستهلّ الدجيلي قصيدته بوصف مجلس شراب، فيصف الخمرة التي تमित الأحزان والخلآن الذين اختلسوا لحظات من السعادة والصفاء. وإذا بالشرطة تداهمهم وتلقي بهم في غيابة السجن. وهناك يلتقي الشاعر بأبناء البؤس الذين أناخ عليهم الظلم بكلّكله: الفتاة المعسرة التي لم يخنها ضميرها، والمرأة الباكية التي ترضع طفلها في ذلك المكان الموحش، ولكل منها قصة عذاب وشقاء.

ومن قصص كاظم الدجيلي الشعري قصيدته «مريم وحسان» وهي تروي قصة «رومية من غيد بغداد» (أي بغداد) زارته قبيل الفجر ترفل في حلة لا كمّ لها ولا رذن وتتهادى في سيرها غنجاً. لكن عصابة شريرة اختطفها. وجاءها جندي تركي فاتمها بالخلاعة، لكن رجلاً شهماً استطاع إنقاذها. غير أن الجنود قبضوا عليه وساقوه إلى القاضي الذي أمر بحبسه، وقضى الفتى نحيبه في السجن. ورأت مريم جنازته فصعقت وسقطت ميتة هي الأخرى!

وهي قصة متهافة نظماً ومعنىً وسياًقاً؛ ولا شك أنه نظمها في مستهلّ شبابه.

ويلقي إبراهيم منيب الباجه جي دلوه بين الدلاء، فينظم قصيدته «إقبال وإدبار». فتاة من الأعراب هيفاء مُعَصِرُ يقال لها في سالف الدهر منورُ

ولعلّه استعار كلمة «معصر» من عمر بن أبي ربيعة فأساء فهم معناها، فالمعصر هي التي تقدم بها العمر وليست الغيداء الشابة.

وصف حسنها وحياءها وسحر عينيها وتورّد خديها ولين عطفها وشقرة شعرها . نشأت في قصر منيف وترعرعت في بحبوحة العزّ في ظلّ أب نبيل حكيم . وأتى ظالم شرير من الغرب يريد خطف الفتاة، فقتل أبها بخنجره وفرّ هارباً . واستغرقت منور في جزعها وحزنها، فوضعت نهاية لحياتها بأن رمت نفسها من سطح الدار. ثم تبعها أمها إذ ألقّت بنفسها في بئر عند قبر ابنتها!

أما عبد الرحمن البناء فروى في «فتاة العرب» قصة رمزية تشير إلى اعتداء الدول الغربية على السلطنة العثمانية المهزومة وتكالبها على تمزيق أشلائها .

قال البناء :

قضت حقبة في عالم الشرق زينب لها المسجد أم والفخار لها أب

عاشت زينب في صفاء ونعمة تجرّ ذيول الدلال وتمرح في روضة الشباب . تاهت يوماً في الصحراء ، فلم تشعر إلا واللبل قد أسبل على الكون رواقه الحالك . وأجالت طرفها في حيرة ووجوم، فرأت شبهاً قادماً خالته في بادئ الأمر صديقاً، ولما اقترب منها وجدته شيخاً أجرب من الغرب، دميم الخلقة، أحذب الظهر، أشعث الشعر . هدهداً بمديته فلم تغن عنها ضراعتها، وسلبها ملابسها وحليها . ولما طلع الصبح عادت إلى أهلها، وكانوا في أسى وقلق على مصيرها، فنادت أمها بالويل والثبور، وأهابت بالقوم إلى الثأر لابنتها :

أراكم حيارى ليس فيكم حميّة	على طفلة من أمة الشرق تسلب
فقدتم بهذا الجبن كلّ مزيّة	وعام بكم في لجة الذلّ مركب
ألا فانهضوا واسعوا وجدّوا وسارعوا	وكرّوا على دفع الأذى وتقربوا
حناناً حناناً، أيها الأمة التي	لها عند أخذ الثأر عزم مجرّب
ألستم بني الشرق الذي قيل عنهم	لهم هيبة منها المقادير ترهب؟
ألستم بني الشرق الذي قيل عنهم:	إذا غاب منهم كوكب لاح كوكب؟

وفي منظومة أخرى يروي عبد الرحمن البناء قصة لبنى الفتاة الجميلة التي درجت في حجر أمها الحنون . وقد ماتت الأم، واقرن الأب بامرأة شرسة خبيثة كرهت لبنى وسامتها الذلّ والعذاب، ثم لم تتورّع أن خنقتها في حندس الليل!

وماذا فعل الأب؟ لام زوجته،

ثم نادى عليّ بالنعش حتى	نلدفن الميت في المقابر دفنا
فأتوه بالنعش سرّاً، وفيه	ليس يدري أقصى الأنعام وأدنى

وضعوها بالنعش من غير غسل ثم أبوا بجمعهم بعدما قد ثم قالوا من مكرهم حين عادوا :  
ثم ساروا بها مسير الهوينى تركوها في ظلمة اللحد وسنى ربّ إنا إليك نرجع ، إنا

وهي كما نرى قصة متهافئة متفككة العرى ، سقيمة اللفظ والسياق والمعنى ، لكنها تهول صورة اجتماعية فظة من صور المجتمع العراقي في العصور المظلمة ، وتدعو إلى التأمل والاعتبار والإصلاح .

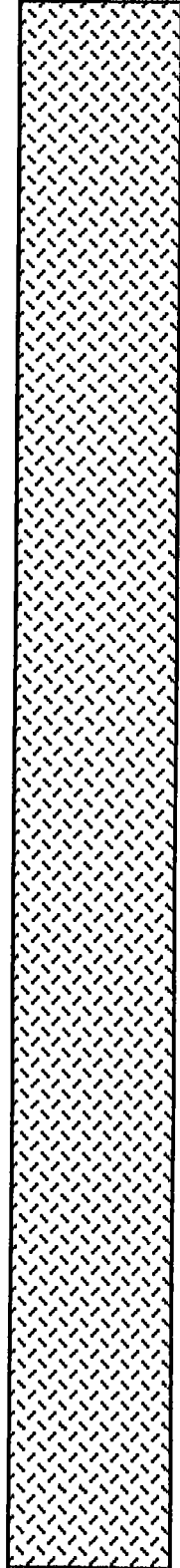
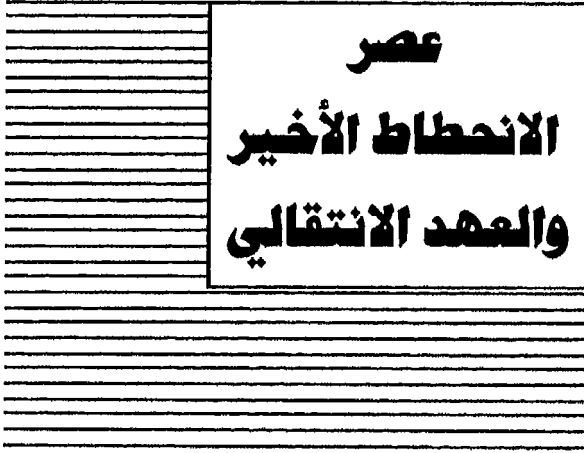
ولا بدّ لنا بعد ذلك أن نذكر قصيدة الفتاة المخدوعة والشرطي الأثيم لمحمد الهاشمي . لقد أحبّ صالح الشرطي فتاة طاهرة الذيل ، جميلة القسمات (شأن القصص الرائجة في ذلك العهد) . وشجعته أمها العجوز الماكرة ، لكن الفتاة أوجست منه ريبة وأحسّت أنه يريد اللهو بها لا الزواج منها . قالت الأم :

واضيعتي بعد عمر قد وقعت به على تجاريب إدبار وإقبال  
دعي ، ابنتي ، هذه الأفكار واتّدي فإنّ غشك لم يخطر على بالي  
وهل سمعت بأم تخدع ابنتها كيا تبيت على حزن وبلبال؟  
ماذا يريك منه؟ إنّه لفتى مؤدب النفس لا جاف ولا سبال  
زين الشائل يسبي القلب منظّره يحدث العين عن فضل وإجلال  
لو لم يحبك حبّ الصدق كان له عذر بهجرك هجر المعرض القالي  
ولما قضى الأثيم منها وطراً لم يكتف بهجرها ، بل أخبر بأنها بنت مربية فأخذت قسراً إلى المباءة العامة . وشاء الشاعر بعد ذلك أن يحبك المأسة من جميع أطرافها ، فابتلى الفتاة المسكينة بالسّل وسرعان ما أدركها الموت .

إنّ القاسم المشترك بين شعراء النهضة الأدبية الحديثة كان ، ولا ريب ، الشعور الإنساني والعطف على مجتمع البائسين . عبّر عن ذلك الرصافي ، وعبّر عن ذلك الزهاوي الذي قال :

يا شعر أنت ، إذا وصفتك موجزاً شكوى الكظيم ونفثة المصدور  
وعبّر عن ذلك محمد الهاشمي إذ قال :  
سألقي نظرة ملئت حناناً على البؤساء من طرفٍ خشوع  
يعيش الأغنياء على رخاء ونحن نعيش في بؤس وجوع  
تنام عيونهم بالليل ، لكن عيون البائسين بلا هجوع

ولقد اضطلع الشعر العربي في عصر النهضة برسالة سامية لحفز الهمم وطلب العلم والإصلاح وتحرير المرأة واستقلال الوطن . ولا ريب أن القصص المنظومة كانت جزءاً هادفاً من شعر النهضة الاجتماعية في مطلع القرن العشرين .







## عبد الغفار الأخرس

ولد في الموصل وعاش في بغداد وتوفي في البصرة، وكان همزة الوصل بين القرنين التاسع عشر والعشرين. فلقد اتصل بدواد باشا آخر ولاية الماليك الذي عزل ونفي في سنة ١٨٣١ ومدح السيد عبد الرحمن النقيب الذي ولي رئاسة الحكومة الوقتية في سنة ١٩٢٠ وتوفي سنة ١٩٢٧.

ذلكم السيد عبد الغفار عبد الواحد وهب المعروف بالأخرس لحبسة كانت في لسانه، ولعله كان أنبه شعراء بغداد ذكراً وأبعدهم صيتاً في عصر الانحطاط. وقد ردّد ذكر عقلة لسانه في شعره فقال من قصيدة يمدح أبا الهدى الصيادي الرفاعي حين زار بغداد سنة ١٨٦٧، وقد اشتهر بعد ذلك بصلته الوثقى بالسلطان عبد الحميد الثاني:

فهو عن مدح سواكم أخرس      وبكم أفصح حـزب الشعـرا  
وقال يمدح المفتي أبا الثناء السيد محمود شهاب الدين الألوسي:

وقد أخرستني من علاك فصاحة      ألت تراني أخرس النطق أبكها؟  
وقال:

هذا لساني يعوقه ثقل      وذاك عندي من أعظم النوب  
فلو تسببت في معالجتني      لنت أجزراً بذلك السبب

ولد الأخرس في الموصل في نحو سنة ١٨٠٥ وقدم بغداد شاباً ولم يلبث أن ولج محافلها الأدبية واتصل بالوالي داود باشا الذي كان يعطف على العلماء والأدباء. وديوان الأخرس الذي جمعه أحمد عزت باشا الفاروقي وطبعه في الأستانة سنة ١٨٨٧ قد ضمّ مقطوعتين للشاعر قالهما في عهد هذا الوالي، أولاهما بيتان قالهما «حينما حبسه المرحوم داود باشا من جهة ما زوره عن عبد الرحمن باشا والي الموصل وكان ذلك سبباً لاتصاله به»:

أقول للشامت لما بدا      يكثر بالتعنيف والشين  
اليس يكفيني فخاراً وقد      أصبحت في قيد وزيرين؟

ولا نعلم شيئاً عما زوره الأخرس عن ولى الموصل فكان سبباً لسجنه في بغداد  
واتصاله بواليتها . أما المقطوعة الثانية فقصتها أنه كان واقفاً بين يدي داود باشا فأعطاه  
عريضة وأمره بأن يتلوها ويلخصها فارتجل البيتين الآتين :

فديتك لا ترجو لنظفي تكلمنا      فإن يراعي عن لساني يترجم  
غرقت ببحر من نوالك سيدي      فكيف غريق عاثم يتكلم؟

ويروي جامع الديوان في ترجمته للشاعر أن داود باشا أرسله في صباه إلى بعض بلاد  
الهند ليصلحوا لسانه ، فقال له الطبيب : أنا أعالج لسانك بدواء فيما أن ينطلق وإما أن  
تموت ، فقال : لا أبيع كلي ببعضي وفقل راجعاً إلى بغداد . ولا ندري مبلغ صحة هذه  
الرواية ، فظاهرها يدل على الصناعة والتنميق . ولم يكن مألوفاً إرسال المرضى للعلاج في  
خارج البلاد ، وكانت صلة الوالى داود باشا في آخر عهده غير طيبة بالمقيم البريطاني في  
بغداد وبحكومة الهند . وديوان الأخرس على كل حال خال من أية قصيدة في مدح داود  
باشا في إبان ولايته ، لكن الشاعر مدحه بقصيدة طويلة بعد عزله أنفذها إليه إلى  
الأستانة ، ومطلعها :

بـوادي الغضا للكيسة أربع      سقتها الحيا منّا جفون وأدمع  
ويقول منها :

فهل أنت مثلي قد أضرت بك الهوى      وهل لك قلب لا أبالك مـوجع؟  
لئن نشرت طي الغرام السذي لها      فقد طويت مني على الوجود أذراع  
ومنها :

أراي مقيماً بالعمراق على ظها      ولا منهل للظلماتين ومـرتع  
وكيف بـورد الماء والماء آجن      ييل به هـذا الغليل وينقع؟  
لعل — وما يجدي لعل — وربها      غمائم غمّ أطققت تنقشـمع  
يعود زمان مرّ حلو مذاقه      وشمل أحبباني كما كان يجـمع  
فقد كنت لا أعطي الحوادث مقودي      ولاني لسريب الدهر لا أزعـج  
كأنى صفاة زادها الدهر قسوة      من الصمّ لا تبلى ولا تنصـع  
فسألت حرب النابيات فلم تنزل      تقود زمامي حيث شـمسـع  
وكنت إذا طاشت<sup>(١)</sup> سهام قسيها      وقتني السردى من صنع (داود) أدرع

ثم يذكر جود الوزير وفضله وبأسه ويقول :

أبا حسن ، هل أوبة بعد غيبة      فللبدر في الدنيا مغيب ومطلع  
لئن خلّيت منك البلاد التي خلّيت      فلم يخل من ذكرى جمالك مـونع  
ففي كل أرض من أياديك ديمّة      وروض إذا ما أجذب الناس مـرع

(١) لعل الكلمة «راشت» فهي أدل على المعنى .

وهو لا يفتأ يذكر داود باشا في شعره بعد أعوام طويلة، فإذا مدح السيد علي النقيب قال :

فبورك من لا زال يورثني الغنى      وذكرني أيام داود ذي الأيدي  
وإذا ذكر ابتلاءه بحرفة الأدب قال :

وليس لي حرفة سوى أدب      جم ونظم القـريـض والخطب  
من بعد داود لا حرمت منى      فقد مضت دولسة الأدب

لقد مضت دولة الوزير داود باشا لكن دولة الأدب لم تمض ، فقد وجد الشاعر الأخرس من بعده حماة ورعاة كالسيد محمود نقيب الأشراف والمفتي أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ومحمد أمين السواعظ والشاعر عبد الباقي العمري والسيد علي النقيب وولديه سلمان وعبد الرحمن وعبد الغني الجميل وابنه محمد وغيرهم من أشراف بغداد وعلماؤها الذين حبوه بعطفهم وجودهم واتخذوه نديماً وزينة لدواوينهم . ومن الغرابة أن صلة الشاعر قد قطعت بالموصل مسقط رأسه أو كادت ، فديوانه الضخم لا يحوي سوى قصيدة واحدة يمدح بها رئيس علماء الموصل عبد الله الفاروقي . لكنه وجد بديلاً طيباً في البصرة التي زارها غير مرة ومدح أشرافها ونقباءها واستمتع برفدهم وودهم .

كان الأخرس لطيفاً ظريفاً يضيفي مع رفيقه عبد الله الخياط (المتوفى نحو سنة ١٨٩٠) على مجالس بغداد ودواوينها رائعاً من النوادر والفكاهات . وقد اعتبر الشعر تجارة يروج سوقها حيناً ويكسد أحياناً ، فقال يخاطب السيد علي نقيب أشراف بغداد :

تاجرت في شعري إليك ، وإنما      نفق القريض لديك بعد كساده  
وقال يمدح ولده السيد عبد الرحمن الكيلاني :

ربحت فيكم تجارة شعري      لا رماها في غيركم بالكساد  
وقال في مدح عبد الغني جميل :

أتاجر في شعري ، وكل تجارة      من الشعر إلا في علاك لفي خسر  
وقال يرثي عبد الواحد جلبي من أعيان البصرة :

وقد كان فيك الشعر ينفق سوقه      لديك وبيتاع الثناء ويشترى  
ردّد هذا المعنى كثيراً في شعره لكنه كان مع ذلك عزيز النفس أيتها ، فإذا هنا الشاعر عبد الباقي العمري بمنصبه الكبير قال :

سواي يروم المال مكتزثاً به      ويرغب في غير الذي أنا راغب  
وإنك أدري الناس فيما أريده      وأعلمهم فيما له أنا طالب

وإذا سمت نفسه إلى المعالي اعتذر فقال :

أسفياً للشعر، لا حظ له

وقال :

لـو تنبـهت لها مجتهداً  
أو رأى المقـدور فينا رأيه  
وهو لا يفتأ يندب جور الزمان وظلمه فيقول :

في زمان الجهل والقوم اللئام

كيف بالخط إذا ما الخط ناما؟  
ما تكلفت نهوضاً وقياماً

فمن كبـد تصلى ومن لـوعة تصلي  
لحاكمتـه فيه إلى حكم عدل  
على أرب يرضى من الكثر بالقل؟  
فمن مهمه وعـر إلى مهمه سهل  
فلا كانت الأيام إذ ذاك في حل  
حليف الجهول الوغد والحاسد النذل  
وأكرم نعلي أن أقيس به نعلي  
وناظرنـي من لم يكن شكله شكلي  
وتستكبر الأنذال فيه وتستعلي  
فما قام في عقد هناك ولا حل  
وما وجدوا مثلي وأنى لهم مثلي؟  
شديد عليها في الدنى موقف الذل؟

وإن فـاض دمعي لا أزال أريقه  
وجور زمان لو أرى فيه منصفاً  
أمثلي يطوف الأرض شرقاً ومغرباً  
وتقذفني الأسفار في كل وجهة  
وتحرمني الأيام ما أستحقه  
وأرجع أختار الإقامة خاملاً  
يطاولني من لست أرضاه موطناً  
وفاخرني من يحسب الجهل فخره  
فتباً لدهر تستذل قرومه  
أقاموا مقامي من جهلت بزعمهم  
ولو طلبوا مثلي لعزّ وجوده  
إلى مَ أمّتي نفس حرّ أيبه

ويثور وهو الساكن المهاديء فيصرخ قائلاً :

تركـت لكم، أعيان بغداد، منزلاً  
فقيم مقامي عندكم ظاميء الحشا  
وإني عزيز النفس لو تعرفونني

ويقول :

وساء زمان بعد أن سرّها بهم

ويقول أيضاً :

تتنفّس عن وجـد توقـد جـره  
وبسات يعانـي الهم ليس بـيارح  
تمنى وما يغني التمني مطالباً  
ودون أمانيه عـوائق جمة  
تحمل أعباء المتعاب والتقى  
وأشقى بني هذا الزمان أريبه

ويقول :

تجور عليه النائبات وتعتدي  
ولا أنا بالواني ولا بالمقيّد  
ولي بينكم ذلّ الأسير المصقّد

فماذا يلاقي الحرّ في الزمن الوغد؟

فأجرى مسيل الدمع ينهل قطره  
على قلبه إقدامه ومكرّه  
حريّ بها لولا الدنيّة دهره  
يضيق لها في المنزل الـرحب صدره  
على غـرّة صرف الزمان وصبره  
وأتعـب مَن فيه من الناس حرّه

إذا الحرّ ألقى الضيم شرط حياته رأى الرأى فيها أن يموت ويقبرا  
ولكنه بالرغم من كل ذلك رضخ لجور الدهر واستسلم لظروف الزمان . ولقد قيل :  
«إن سيّد نفسه يرث الآلام» فاطمأن شاعرنا إلى الدعة والحمول واتخذ ممدوحيه أسياداً  
يسترفد رفدهم ويعيش في ذراهم ولا يأنف أن يقول في بعضهم :

أراني - والخطوب إذا ألمت - رجعت إلى جميل أبي جميل  
كأن الله وكله برزقي وحولني على نعم الوكيل  
ويقول أيضاً :

كفاني المهات عبء الغني وذلك من بعض أفضاله  
فإن نلت مالا فمن جاهه وإن نلت جاهاً فمن ماله  
إن شعر عبد الغفار الأخرس مثال لشعر عصر الانحطاط الأدبي ، فهو شعر جامد  
جاف يغلب عليه روح المحاكاة والتقليد ويكاد يخلو من الإشراق والانطلاق والابتكار .  
ويمكن القول إن قيمته قد أصبحت تاريخية أكثر منها أدبية . أما مواضعه فتقتصر على  
المدح والتهنئة والرثاء والغزل والبكاء على الطلول وقد تناول شيئاً من الوصف والهجاء  
شابتها المبالغة المستهجنة وشانها الإسراف الممجوج والتكرار الممل . وهذا أحرصنا بهنيء  
السيد سلمان بنقابة الأشراف فلا يملك إلا أن يردد قول أبي العتاهية :

أتك النقابسة تسعى إليك تجرّ من التيه أذيها  
إذا لم تكن أنت أهلاً لها ممن الأنجين فمن ذا لها؟

وهو يكثر في نسيه من وصف المحبوب بالجؤذر والغزال والمثيم بالأسد الضرغام  
ويتساءل كيف يتسنى للغزال أن يتصيد الأسد محاكياً في ذلك ابن الفارض الذي قال :  
هل سمعتم أو رأيتم أسداً صاده لحظ مهياة أو ظبي؟

فإذا عرضت له مناسبة للإبداع - وقلما تعرض له - لم يستطع التحليق في شعره كما في  
وصفه للباخرة حين استقلالها عائداً من البصرة فلم يقل فيها إلا أبياتاً متهافتة :

قد ركبنا بمركب الدخان وبلغنا به أقاصي الأماني  
حين دارت أفلاكه واستدارت فهي مثل الأفلاك بالدوران  
إلخ . .

ولا يخلو ديوان الأخرس مع ذلك من الشعر الطريف ، فمن ذلك وصفه لسرقة داره  
قبيل عيد الفطر .

يا ليلة في آخر الشهر قد جئت بعد الصوم بالفطر  
كشفت الصباح لنا حوادثها وتكشفت عن مضمرة الغدر  
أصبحت منها غير مفتقر أبداً إلى حرس على وكسر  
ثم يصف منزله الذي «أخذوا مساحته يوماً فما أوفى على شبر» ويصف صبيته الغرّ

الوجوه، السود الحظوظ الذين فرحوا بالغلائل الحمر فجرت دموعهم لضياعها،  
ويصف حليلته «نظيرة الخنساء» التي أسرفت في نذب أشياءها المسروقة وفقرها المدقع  
فيخاطبها قائلاً:

هل كنت قبل اليوم في سعة      وملايس من سندس خضر؟  
أو ما ذكرت العمر كيف مضى؟      لا كان ذاك العمر من عمرا  
تلك قصيدة الأخرس في سرقة داره . ومن الطرافة أن نقابلها بقصيدة للشاعر  
الفرنسي كليان مارو (١٤٩٧ - ١٥٤٤) Clément Marot في موضوع مماثل . يخاطب  
مارو ملك فرنسا عن سرقة داره، فيقول : إن سوء الحظ لا يأتي وحده بل يجلب معه  
مصيبتين أو ثلاث مصائب . ثم يقول إنه كان له خادم سكير كذاب جشع يجمع في  
نفسه كل الصفات المقيته . وقد علم أن للشاعر كيساً ضخماً من النقود فابتدر غفلة منه  
وسرق دراهمه وملابسه ، ثم امتطى ظهر حصان سيده ومضى في الصباح الباكر دون أن  
يودعه .

على أثر ذلك مرض الشاعر مرضاً شديداً ألزمه الفراش ثلاثة أشهر، ولم يبق منه  
سوى الفكر الذي يندب وينتحب . ولم ينفعه أطباء الملك الذين يعودونه ويتفقّدون  
صحته . ويمضي إلى القول إنه ينجل أن يطلب من الملك إعطاءه المال ، لكن الدائنين  
يلحّون عليه مطالبين بدفع ديونه . وأخيراً يعد الملك بأن يفني صلته بمدائحه .

ومن جميل شعر الأخرس في الغزل :

لمن أشتكى حالي لمن أتوجع؟  
وكم ذلّ من يهوى غراماً ويخضع  
فقلت وقلبي بالجووى يتقطع  
وحق الهوى عن حبه لست أرجع  
وحق هواه لست أصغي وأسمع . . .  
بليل ومن وجدي أهيم وأولع  
لكنت بطيف منسه أرضى وأقنع

إذا كان خصمي حاكمي كيف أصنع  
غرامي غريمي وهو لا شك قاتلي  
أباح دمي بين السورى من أحبه  
دموعي شهود أن قلبي يحبه  
وراموا سلوى في هواه عواذلي  
وأصبحت كالمجنون في حيّ عامر  
فلو زارني في النوم طيف خياله  
وقوله :

وأشجواه بسرّق للحبيب لموع  
وأنت لما يقضي الغرام مبيع  
عيون وأفشت ما كتمت دموع  
أللمدنف النائي إليك رجوع؟  
وريق ، وشمل الظمّاعين جميع

إلا يا فؤاداً قد أضرب به النوى  
إذا ما دعاك الصبر يوماً عصيته  
كتمت الهوى دهرأ فباححت بسره  
ويا منزلاً للهو أبعد النوى  
تذكرت فيك العيش ، والغصن يانع  
وقوله :

زيد لوماً فزاد في الحبّ وجدا  
مـازح الحب مـرة فأراه  
ورمى قلبه بجذوة نار  
وقوله من موشح :

حبـذا مجلسنا من مجلس  
نغم العود وشعر الأخرس  
يتعاطون حياة الأنفس  
بأبليّ السحر معسول الجنى  
وإذا مـرّ نسيم بيننا

وقوله وهو في البصرة وقد حنّ إلى بغداد :

فيا زمن الصبا، هل من رجوع  
سلام الله أحبّ أبي عليكم  
يهيـج لوعتي وجد طريف  
فهل أخبرتم أي بحـال  
وقوله :

من معيدي أياماً مضت  
أهصر الغصن إذا ما كان قدّاً  
كم أهـاج الشوق من وجدها  
وجرى دمعي من الوجد فما  
وقوله يتحسر على الشباب :  
ذهبت لـذاذات الصبا وتصرّمت  
وإذا امرؤ فقد الشباب فما له  
ولقد أقول لطامع بـرجوعها  
وقوله في الشوق والوداع :

تحنّ نيقا الظاعنين، وما لها  
أبالنوق ما بالنازحين من الأسي  
ولما التقينا للوداع عشية  
بلدت لها من هذه العين عبـة  
فلا القلب لما أزع القلب صابر  
فلولاك ما قاسيت، يا غاية المنى  
إذا كنت لا تدرين ما الشوق بالحشا  
جننت بذكر العامرية، والهوى

مستهام تحيّل الغيّ رشدا  
أن هزل الغرام يصبح جدّاً  
أوقدته بلاعج الشوق وقدا

جامع كل غريب وعجيب  
ومحبّ مستهـام وحبيب  
في بديع اللفظ والمعنى الغريب  
أين هـذا واشتيتار العسل؟  
قلت هـذا ويحكم من غـزلي

ويا عهد الشباب متى تعود؟  
إلى بغداد يحملها البريد  
لكم ويشوقني وجد تليد  
يساء بها من الناس الحسود؟ . . .

كان فيها الغيّ لو أنصفت رشداً؟  
وأشـمّ الورد إذ ما كان خـداً  
كلما جده الذكر استجداً  
يملك الطرف لجاري الدمع رداً . . .

أوقات أنسك في الزمان الغابر  
في اللهو بعد مشيبه من عاذر  
كيف اقتناصك للغزال النافر؟

تحنّ وفي القلب المشـوق حنين  
ووجد بأحشاء الضلوع كمين؟  
وباحت بأسرار الغرام عيون  
ولني بها لـولا الفراق ضنين  
ولا السدمع من يوم الفراق مصون  
حوادث تقسو مرة وتلين  
سليني عن الأشواق كيف تكون  
جنون، ولكن الجنون فنون



ومن بديع حكمياته :

ونطمع بالبقاء ولا بقاء  
وما يجري القضاء كما نشاء  
وليس حديدتها إلا افتراء  
وسعي بالتكلف واعتناء  
ومن عجب نسرّ بها نساء  
لحق لنا التغابن والبكاء  
عن العظيمة التي فيها ارسواء  
إذا ما أسمع الصمّ النداء  
له بدء لعمرك وانتهاء  
فأولنا وآخرنا سواء  
يعزّ على مفارقه العزاء  
إلى حيث السعادة والشقاء  
أسير الموت ليس له فداء

نؤمل أن يطول بنا الثواء  
وتغرينا المطامع بالأمان  
تحدثنا بأمال طوال  
وإن حياتنا الدنيا غرور  
نسرّ بها نساء به ونشقى  
ونضحك آمين، ولو عقلنا  
إلى م يصعدنا لعب وهو  
وتنذرنا المنون ونحن صمّ  
ظهرنا للوجود وكل شيء  
لكن ذهبنا أوائلنا ذهباً  
نودّع كل أونة حبيباً  
تسير به المنايا لا المطايا  
ولو يفدى فديناه ولكن  
وقوله :

إذا كان أمر الله فيه مقدرًا  
فكيف بمن يأتيك من حيث لا تدرى؟  
وليس لنا في الأمر أن نتعذّرًا

وما حيلة الإنسان في ما ينوبه  
وهبك اتقيت الرزء حيث رأيت  
ونحن مع المقدور نجري إلى مدى  
وقوله :

وما نحن إلا عرضة للمصائب  
وهيهات ما في الآل ماء لشارب  
ومن أعجب الأشياء تصديق كاذب  
وما هي إلا خدعة من محارب  
فلم يبق منها غير حسرة خسائب

نؤمل في الدنيا حياة هنيئة  
ونغتّر في برق المنى وهو خلب  
نصدّق آمالاً محال بلوغها  
تسالمتنا الأيام والقصد حربنا  
ونطمع أن تبقى ويبقى نعيمها

أولع الأخرس بالخمير حتى شبهه الدكتور محمد مهدي البصير بأبي نواس ولكن أين هو منه؟ فالنواصي مجدّد في عصره، مبتكر في شعره، مفرد في وصفه، أما الأخرس فببغاء تردد معاني الأقدمين وأخيلتهم .

قال الأخرس :

على خطا طسر المرء مثل الجرب  
ولا بسرء منها كبت العنب  
إذا حشر المرء مع من أحسب  
ومن لي بها مثل ذوب السذهب

أعندك علم بأن الهموم  
ولا من دواء لأدوائها  
وحشر مع الغانيات الحسان  
وإني فقير إلى قهوه

تقوي العظام وتشفي السقام  
إذا مزجت بابن ماء السماء  
وقال:

قد نحزنا الزق يوم العيد نحرا  
وتخيلنا الحمي لها  
قال لي الساقبي وقد طاف بها:  
يا ندياً قد سقاني كأسه  
إن أحلى العيش مما مرّ على  
ويد المزن وأزهار الربى  
لا تخف من وزرها في شربها  
راحة الأرواح بالراح التي

وقال:

إذا ما الشيخ في الكأس احتساها  
لئن عللنتي يا صاح يوماً  
ومن لي بالكرى يوماً، لعلني  
وما أنسى لها في المركب قولي  
نحو لي ما بخصرك من نحول

وقال:

قام يجلوها وبرد الليل معلم  
فهني تبر في لجين ذائب  
نظم المزج عليها حبيباً  
مرة يجلوها بها العيش وفي  
من رأى يا قوم منكم قبلها  
فهي سرّ منعت سرّ الضيها  
قدمت في عصرها حتى لقد

وقال:

جلا في الكأس جالية الهموم  
وقد فرش الربيع لنا بساطاً  
بحيث الأفق مغبر الحواشي  
هنالك تطلع الأفار فيها  
كأن جباها نظمت نجوماً  
وقد كانت تدار عليّ راح  
أخذت بكأسها وطربت فيها

ويذهب عن شاربها النصب  
تولد منها لآلي الحب

وأذبننا بلجين الكأس تبراً  
وحسيننا أنها بالماء توري  
هي خمر وتراها أنت جمر  
اسقنيها في الهوى أخرى وأخرى  
روضه غناء والكاسات تترى  
نشرت من بعد ذلك الطي نشراً  
أو تخشى مع عفو الله وزراً؟  
لم تدع للهم في الأحشاء ذكراً

غدا في الحال أنشط من غلام  
بأحببني فعللني بجمام  
أرى طيف المليحة في المنام  
وقد نظرت لأجفان دوام  
وسقمني ما بطرفك من سقام

خمرة ما اجتمعت يوماً مع الهم  
أو كنار في فؤاد الماء تضم  
رصع الياقوت بالدر المنظم  
مثلها قد يحمد الدهر المذم  
قبل هذا أن نورا يتجسم  
في ضمير الليل من أن يتكتم  
أوشكت تخبرنا عما تقدم

وقام يميز بالقصد القويم  
من الأزهار مختلف الرقوم  
ووجه الأرض مخضر الأديم  
شمسوس الراح في الليل البهيم  
رحمت بها شيطاين الهموم  
تعيد الروح في الجسد الريم  
فسلني كيف شئت عن النعيم

بحيث الشمس طالعة مداامي وبدر التّم يومئذٍ نديمي . . .

تلك أيام صفت للشاعر فنعم بالحب والمدام، لكنه علم أنها لا تدوم وأن  
«الهوى أكبر داع للهوان» في «زمان من حقه أن يذمًا» فقال :

تركت الهوى بعد المشيب لأهله وما أنس لا أنسى زماناً قضيته  
وراجعني حلم لسلمي يصـارم وعود الصباريّان والعيش ناعم  
وبث شكواه فقال :

شكوتك ما يلقي فؤادي من الأسى فؤاد شجاه ما شجا كل وامق  
وما كل من أشكو إليه رحيم أرى صبوة المشتاق دائمة الهوى  
وما هو بعد الراحلين مقيم ثم استكان وعلل النفس وقال :

هذي هي الدنيا كما تريانها حتى رأيت النابسات تقول لي :  
حرم اللبيب وفاز فيها الأحق فصبرت فيها والخطوب متاحة  
لا ضاجر منها ولا أنا مشفق عجباً لصبرك كيف لا يتمزق !

أشرف الشاعر على السبعين من عمره، لكنه لم يترك قرض الشعر ولم يركن إلى العزلة  
والانزواء ولم يملّ الضرب في الأرض في سبيل بلغة العيش . ولعل آخر قصائده تهنئة  
السيد سلمان الكيلاني بنقابة الأشراف وورود الفرمان السلطاني بها إليه . وشدّ الرحال إلى  
البصرة فمرض فيها وأدرك حمامه في عشية عيد الأضحى سنة ١٢٩١ هـ - الموافق ليوم  
الأحد ١٧ كانون الثاني ١٨٧٥ م .

وقد طبع ديوانه بعد وفاته بعناية أحمد عزت العمري الفاروقي ، ونشر عباس العزاوي  
مجموعة له في شعر عبد الغني جميل وما قاله الأخرس فيه وطبعها ببغداد سنة ١٩٤٩ .

ولم يكد يمضي على وفاة شاعرنا الأخرس ثلث قرن ونحو ذلك حتى هبت على الشعر  
العربي نسائم جديدة ولاحت طلائع النهضة الأدبية الحديثة في وادي الرافدين ، فكأننا  
بينه وبين الشعراء الذين تلووه دهر طويل .

## إبراهيم الطباطبائي

الشاعر السيد إبراهيم بن حسين بن رضا بن السيد مهدي بحر العلوم الحسيني الطباطبائي . اشتهر جدّه العلامة محمد المهدي بن مرتضى المعروف ببحر العلوم (١٧٤٢ - ١٧٩٧)، كما كان أبوه حسين (١٨٠٦ - ١٨٨٩) من شعراء عصره . ولد في النجف سنة ١٨٣٢ ، ودرس على والده الشاعر الفقيه . ونظم الشعر فتفوّق فيه وكان أستاذاً عبد المحسن الكاظمي الذي لازمه حين قصد الطباطبائي الكاظمية وأقام فيها سنتين (١٨٨٧ - ٨٩) . وتلمذ عليه شعراء آخرون منهم محمد السايي .

وقد توفي بالنجف سنة ١٩٠١ ، وطبع ديوانه سنة ١٩١٤ مصدراً بمقدمة للشيخ علي الشريقي . قال الدكتور محمد مهدي البصير: «امتاز بخلال حميدة وصفات طيبة أهمها . . . اعتزازه بالعروبة وسرعة خاطره . . . وقوة حافظته . . . وخفة طبعه التي خلقت منه صورة مصغرة لعمر ابن أبي ربيعة من حيث حبه للجمال وافتتانه به وتحديثه عنه . . . » .

تبرّم بحاجته ورقة حاله، وهو الأبي المترفع، فقال:  
لقد قسم الله رزق السورى      وقتر بالرزق أقسامية  
فما زلت أشكره حامداً      وأقتل بالصبر آماليه  
وهل نافعني أنني شاعر      تضرّ وتنفع أشعاريه؟  
أديباً وتدركني حرفة الأديب،      فتعسسا لأدبايه!

وشعره قديم الطراز، حسن الديباجة، أكثره في الغزل والفخر والوصف والمدح والرثاء والحكم والمواعظ .

ومن رقيق نظمه قوله:  
أخي، هل راجع ليل فينظمننا  
بتنا على البدر حيث النجم يرمقنا  
بمجلس مشرف الأطراف مرتفع  
يا حيّ دجلة، والجرفان قد طفحا  
بشطّ دجلة نظم العقيد إخواننا؟  
بطرفه في ضمير الليل نُذمانا  
عالٍ تطول به الجلاس كيوانا  
فيضاً يسيل على الرضراض عقيانا

نسرح اللحظ في مجرى سبائكها  
لو كنت تطلبنا، والملقى كذب،  
مضت بتلك الليالي الصالحات لنا  
أحبابنا، إن تمن فيكم وسائلنا،  
هلاً نكون كما كنا وكان لنا،  
فيصدر الطرف دون الورد حيرانا  
لما طلبت حياةً دون لقياننا  
نوى شطون تمد البحر أشطانا  
فحسبنا كل شيء بعدكم هاننا  
فإننا العيش ما كنا وما كنا

وقيل في ترجمة الطباطبائي أنه كان أكثرًا من النظم، ولكنه لم يتخذ يوماً حرفه ولا جعله لنفسه ساعة مهنة يكتسب بها نشباً أو يلتبس بها من العيش سبباً.

كان سريع الخاطر، حاضر البديهة، متفتح القرية، أكد علي الشرقي أنه ربما ارتجل القصيدة التي تتألف من مئة بيت في مجلس واحد، كما فعل بعده تلميذه عبد المحسن الكاظمي. وقال محمد مهدي البصير أنه كان قوي الحفظ، حديد الذاكرة، أملى شعره كله على ولده السيد حسن وكان راسخاً في ذهنه. وكان إلى ذلك رقيق الطبع، خفيف الروح، تأسره الصباحة وتستهويه الملاحاة.

من شعر إبراهيم الطباطبائي في جبل عامل:

أين السهول من جبال عامل  
أخشاب رواسب شوامخ  
عادية، بل قبل عاد رسخت  
يحجب قرن الشمس مشمخرها  
إذا نسيم استن في ربوعها

وقال يرثي الشاعر السيد حيدر الحلبي:

لقد غلب الجرح أن يستطب،  
أرح فلغيرك هذا السروح  
أحيدر، زاراً بغيل القريض  
فمن أين أدمل فيك الجراح  
بـرحت ولست أطيع البراح  
عسى أن تغض الكلاب النبـاح

وإذا ذكر الشاعر إبراهيم الطباطبائي وآله فلا بد من ذكر مأساة غرامية سجلتها التاريخ إلى جانب قصص المجنون وليلي ورومي ورجوليت وغيرهم من المحبين. روى هذه المأساة محمد مهدي البصير ورواها قبله وبعده كثير من الأدباء.

كان الفتى الشاعر الوسيم عباس علي النجفي (١٨٢٦ - ١٨٦٠) تلميذاً للسيد حسين الطباطبائي (والد إبراهيم) فأحب ابنته وقال فيها قصيدته الشهيرة:

عديني وامطلي وعدي، عديني  
وديني بالصباغة فهي ديني

ومُتّي قبل بينك بالأمانِي  
فإنّ مئيتي في أن تيني  
ومنها:

صلي دَنفَاً بحبّك أوقفتَه  
أما لنواكُمُ أمد فيقضى  
وكنت أظن أن لكم وفاءً،  
هبوني أن لي ذنباً، ومالي  
أست بكم أكابر كل هول  
أصون هواكم، والدمع يهمي  
يميناً لا سلوئهم يميناً  
إذا ما الليل جنّ بكيث شجواً  
ولو أبت لي الزفرات صوتاً

وقيل إن الأستاذ ارتضى عبّاس صهراً، لكن أبناءه الأربعة - ومنهم إبراهيم - أنفوا  
من هذه المصاهرة فأهانوا الشاعر العاشق وضربوه ضرباً مبرحاً .  
وتوفي عبّاس شاباً في الرابعة والثلاثين من عمره .

## شهاب الدين الميسي

الشاعر شهاب الدين العلوي الميسي المعروف بالسيد شهاب الموصلّي، ولد في  
الموصل سنة ١٨١٥ . وسافر في شبابه إلى بغداد والبصرة، وقضى فيها نحواً من أربعين  
سنة ثم عاد إلى مسقط رأسه .

نظم الشعر المهلهل في الأغراض القديمة كالمدح والرثاء وما مائلهما . وقد ذكره  
عبّاس العزاوي في الجزء الثاني من «تاريخ الأدب العربي في العراق»، فقال: إن له  
قصائد كثيرة هي شعر مناسبات، منها في الأستاذين أحمد شاکر الألوسي ونعمان خير  
الدين الألوسي، وله أبيات في تقرّظ جريدة الجوائب لصاحبها أحمد فارس الشدياق .  
وكانت بينه وبين ناصيف اليازجي مراسلات، وله قصائد في رثاء الشيخ أحمد نور  
الأنصاري قاضي البصرة والسيد سلمان النقيب وغيرهما . وقد مدح والي بغداد محمد  
نامق باشا الكبير .

وتوفي بالموصل سنة ١٩٠٧ (وقيل ١٩٠٤) .

من شعره: قال يؤرّخ تعيين عبد الباقي الألوسي قاضياً لكرّوك (١٨٧٧):

هو عبد الباقي الذي ببقاه  
 قد أتى مسعداً وجاء معيداً  
 كل وقت إليه شوقي جديد  
 علقت نفسه بكسب المعالي  
 وارث عن أبي الثناء أبيضه  
 قد تحلّت به الشريعة جيداً  
 لقيت شهر زور للزور منه  
 إلخ . . .

وقال السيد شهاب الدين من قصيدة له في تقرّظ كتاب مجمع البحرين للشيخ  
 ناصيف اليازجي :

حديقة أثمرت أوراقها حكماً  
 فمن يشأ يتفكّك في مناقبها  
 طالع تقابلك مرآة الزمان بها  
 كم أودعت نبذاً للسمع قد عدّبت  
 محاضرات بها الحضار راغبه  
 إلخ . . .

## الشيخ حمّادي آل نوح

الشاعر محمد بن سلمان بن نوح الغريبي الكعبي المعروف باسم الشيخ حمّادي نوح ،  
 ولد في الحلة في سنة ١٨٢٥ وتأدب فيها وقرض الشعر . كان وثيق الصلة بأل قزوين  
 كبير العلاقة بالإمام السيد حسن الشيرازي الذي ترك النجف في نحو سنة ١٨٣٥  
 ليقيم في سامراء .

اشتهر بمدائحه وتهانئه ومراثيه ، فكان يقصد المحمّرة ليمدح شيوخها ويفوز  
 بعطاياهم ، كما كان يمدح آل القزويني الذين يكرمونه ويصلونه وسواهم من رجال  
 عصره .

لكنه عرف بنسكه وتقاه وشعره الصوفي الذي يستح الذات الإلهية ويمجدها حتى  
 دعاه الدكتور محمد مهدي البصير «خليفة ابن الفارض» . وقال إن الشيخ حمّادي كان  
 جليل القدر ، رفيع المنزلة ، محترماً عند أدياء عصره ، ولم يكن يحفل بشعر أحد عدا السيد

حيدر الحلي . وكان متمكناً من اللغة ، سئل عن القاموس فأشار إلى صدره وقال : هذا هو القاموس . وتوفي في الحلة في آذار ١٩٠٧ .

قال البصير إن شعره يكثُر فيه الغريب ويغلب عليه الغموض . ومن شعره في تقديس الله :

شَمِر الوهم أن ينال ثناكا      فخبأ دون شارقات علاكا  
خرق الغيب فالتوى الوهم صالٍ      قبس النور من سناء بهاكا . . .  
بك ، يا حيرة البصائر، ضلّت      فكُـرُّ منك حاولت إدراكا  
حاولت كنهه ذي الجلال ، ولكن      عبرت في دجى الضلال عداكا  
إلخ . . .

### محمد سعيد الإسكافي

الشاعر محمد سعيد الإسكافي النجفي المعروف بالإسكافي وهو الشيخ محمد سعيد ابن محمود سعيد نائب كليدار الروضة الحيدرية ، ولد في النجف في ١٧ تشرين الثاني ١٨٣٤ . ودرس العلوم الدينية والعربية ، وأخذ الأدب عن خاله الشاعر الشهير عباس الملا علي المتوفى سنة ١٨٦٠ صاحب القصيدة المشهورة :

عديني وامطلي وعدي ، عديني      وديني بالصبا بة فهمي ديني  
نشأ شاعراً فكانت له مساجلات أدبية مع أدباء عصره ، ومدح آل بحر العلوم وآل كاشف الغطاء وغيرهم كما مدح والي بغداد سري باشا (١٨٩٠ - ٩١) . وقد ترجم لهذا الشاعر ونشر نماذج من شعره محمد علي اليعقوبي وعلي الخاقاني وسلمان هادي الطعنة ، وذكره عباس العزاوي في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي في العراق .  
هاجر إلى كربلاء في عقد الثمانين من القرن التاسع عشر وأدركه الحماة فيها في ١٤ آب ١٩٠١ .

نظم الشيخ محمد سعيد الشعر بالعربية والفارسية . ومن شعره في الغزل :

فؤادي لوصول الغانيات مشوق      فللشوق عندي زفرة وشهيق  
بنفسي من البيض الحسان خريدة      فؤادي بها دون الحسان علقوق  
إلى مثلها يرنو الحليم صبا بة      إذا ما انتنت كالغصن وهو رشيق

وقال :

تذكرت عهداً بالحمى راق لي دهرأ      فهاجت تباريح الغرام لي الذكري



وأومض من وادي الغضالمع بارق  
 فإذكى لنيران الغضا في الحشا جمرًا  
 فيا حبذا تلك المغاني، وإن نأت،  
 ويا ما أحلى العيش فيها وإن مرًا  
 فيا طالما بالأنس كانت أو أهلاً  
 وإن هي أمست بعد موحشة قفرا

### الشيخ محمد حسن كبة

التاجر الوجيه والشاعر الفقيه الشيخ محمد حسن من آل كبة من بيوت بغداد القديمة التي تنتسب إلى ربيعة، وهو بيت تجارة وأدب ورعاية للشعر والإحسان. ومحمد حسن ابن محمد صالح بن مصطفى بن درويش علي بن جعفر بن علي بن معروف، ولد في الكاظمية في حزيران ١٨٥٣، ونشأ في بغداد نشأة أبناء الأشراف. وعمل في التجارة، فلما بلغ التاسعة والعشرين من عمره، انقطع إلى العلم والأدب. وتلمذ على علماء النجف والكاظمية، ثم رحل إلى سامراء سنة ١٨٨٩، ودرس على فقيه عصره محمد حسن الشيرازي الحسيني (المتوفى سنة ١٨٩٤). ولازم بعد ذلك الشيخ محمد تقي الشيرازي، ونال الإجازة في علوم الدين. ووضع مصنفات كثيرة، طبع منها بعد وفاته: الأحكام الشرعية في الموارث الجعفرية (١٩٣١) إلخ.

وتوفي في سامراء في ٢١ حزيران ١٩١٨.

نظم محمد حسن كبة الشعر، وكانت له مطارحات أدبية مع رجال عصره، ولا سيما محمد سعيد الحبوبي، نشر معظمها في «العقد المفصل» الذي ألفه السيد حيدر الحسيني الحلبي المتوفى سنة ١٨٨٧ في مناقب آل كبة وطبع ببغداد سنة ١٩١٣ - ١٤. وقد وصفه الدكتور محمد مهدي البصير فقال إنه كان كريم الطبع، سمح الكف، أريحي الروح، حاضر البديهة، رقيق الخيال، مشبوب الحس، محبا للأدب وأهله حبا جما. وقال إن شعره في جملة يجمع بين الرقة والمتانة ونقاء الديباجة والجزالة.

وهو والد الشيخ محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال.

من شعره في الغزل:

نحن قوم إذا نظرنا صبونا  
 فتننتنا بحسنها وجنات  
 وجفون رشقنتنا بنبال  
 وقال أيضاً:

وما أن مشتاق وما حنّ وامق  
 وما علققت بالقلب منك علائق  
 كأي وإياها مشوق وشائق  
 عليك سلام الله ما ذرّ شارق  
 وما تيممتني في هواك صبابه  
 وما سجعت في أثل سلّع حمامة

وقال :

بربى الكرخ لا ربى جيرون  
خلته سار بين تلك الطعون  
لا لغيري من الطباء العين  
وأنا في هواك كالمجنون

ضاع قلب المولاه المفتون  
فانشده بين الطعون فيني  
يا غزالاً تاقت له النفس شوقاً  
أنت ليلاي والرصافة نجدي

وقال أيضاً :

من ناظري فاعشوشب الربيع  
رفقاً به ، فله الهوى طبع  
ما مسها لولا النوى صدع

الصبر غار وأنجد الدمع  
والقلب حيث نأى الخليط نأى  
-تتام ترشق باللحاظ حشاً

وقال من قصيدة في رثاء والده :

نوماً وكيف من المدامع تجمد  
كمداً بنار الحزن لا تتوقد  
يا ليت لو آتي مكانك أهدأ  
أسفاً يحن إلى لقاك وينشد

أبي ، كيف تذوق عيني لحظة  
أم كيف قلبي لا يذوب ومهجتي  
وظعنت عن غض النسيم إلى البلى ،  
وتركت من تحنو عليه رقة  
ومن شعره الغزلي :

هبت بها نسائم الشوق والشغف  
مراعياً بدرها من شدة الدنف  
وأشرفت كبدي الحزى على التلف ،  
نعم ، تذكرت من قد حل بالنجف  
شوق ملح وتوق أو هنا كتفي

كم ليلة من ليالي الشوق مقمرة  
سهرتها محصياً منها كواكبها  
فمذ أبت مقلتي إلا أنسكاب دم  
قال النديم : على م الوجد؟ قلت له :  
فقطعت قلبي الذكري وبرح بي

## محمد سعيد الحبوبي

محمد سعيد الحبوبي من كبار شعراء العصر الأخير ولد في النجف في ١٩ نيسان ١٨٥٠ وتوفي بمدينة الناصرية وهو على رأس متطوعة العشائر لصد الزحف البريطاني في ١٥ حزيران ١٩١٥ . وقد أوردت ترجمته في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث» المطبوع في بغداد سنة ١٩٧١ .

طبع ديوانه الكامل بعناية وزارة الثقافة والإعلام في بغداد سنة ١٩٨٠ وتحقيق ابن أخيه عبد الغفار الحبوبي . وهو محمد سعيد بن محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن

حمزة بن مصطفى الذي ينتهي نسبه إلى الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب . ومصطفى أول من تلقب «حبوبي» . وأصل الأسرة من الحجاز نزح جدها حميضة بن أبي نمي الأول إلى العراق سنة ١٣١٨ م ، ثم استوطنت النجف منذ عهد بعيد .

كان محمود أبو الشاعر مزارعاً يمتلك أراضي بالقرب من الكوفة والمسيب ، ثم ذهب إلى حائل يمارس التجارة مع بعض أقاربه . وقد التحق محمد سعيد بأبيه في حائل من أعمال نجد ، وكانت تابعة لحكم أمراء آل رشيد ، وظل فيها ثلاث سنوات وعاد إلى النجف سنة ١٨٦٧ . وانصرف إلى الشعر ، حضر المجالس الأدبية فجال فيها وصال . وكان يزور بغداد فيتصل بصديقه محمد حسن كبة ويحضر ندوات الأدب . ثم انقطع إلى الفقه وعلوم الدين ، فدرس على علماء كثيرين منهم الشيوخ محمد حسين الكاظمي ومحمد الشرياني ورضا الهمداني وموسى شرارة ومهدي الحكيم ومحمد طه نجف . وقال جامع ديوانه عبد الغفار الحبوبي إنه زامل أيام الدراسة السيد جمال الدين الأفغاني الذي مكث في النجف أربع سنوات يدرس الفلسفة والتصوف .

ثم ترك نظم الشعر وانصرف عنه انصرافاً كلياً إثر حادثة حدثت له مع الملا كاظم الخراساني (الأخوند) . قال جعفر الخليلي إنه ناقش الملا في مسألة تتعلق بعلم الأصول ، وألح في المناقشة حتى قال له الخراساني : إنك رجل شاعر ، فما أنت والمسائل الأصولية؟ ومنذ ذلك اليوم قرّر الحبوبي تطبيق الشعر لينصرف إلى الفقه .

وقد قال الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب في كتابه «تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر» وهو يتحدث عن مصطفى لطفی المنفلوطي الذي درس في الأزهر ثم انقطع إلى الأدب ، إن علماء الأزهر كان فيهم من يعتقد أن الأديب لا يكون عالماً ، وربما كانوا يرمون الشيخ محمد عبده بذلك أيضاً لغلبة البيان على منطقته وجريان الأدب في دمه .

ولما دخلت تركية الحرب واحتل الإنكليز البصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ ، دعا الحبوبي إلى الجهاد في صفوف الترك . وخرج من النجف يتبعه المجاهدون فذهب إلى ساحة الحرب في الشعبية . لكن القائد سليمان عسكري بك اندحر أمام القوات البريطانية وانتحر ، فقصد الحبوبي الناصرية واشتد عليه المرض فتوفي بها .

رثاه الشيخ جواد الشيبلي فقال :

فقيّد المسلمين غداة أودى      حسبت السنين بينهم فقيدا

وقال علي الشرقي :

حماة الحمى قد شيعوك إلى الثغر      فبالرغم أن يستقبلوك إلى القبر  
وشاؤوك للأوطان ظهراً ممنعاً      وما شعروا إلا بقاصمة الظهر  
ومن رثاه أيضاً من الشعراء جواد البلاغي وعبد الحسين الحويزي ومحمد رضا الشيبلي ومحمد مهدي البصير .

## شعر الجبوي :

من رقيق شعره :

ما لقلبي تهزه الأشواق؟      خبرينا: أهكذا العشاق؟  
كل يوم لنا فؤاد مذاب      ودموع على الطلول تُراق  
عجبا كيف تدعي الورد وجدي      ولدمعي بجيدها أطواق؟  
كم لنا بالحمى معاهد أنس      والصبا يانع الجنى رفاق . . .  
فارحمي، يا أميم، لوعة صب      شقه الوجد بعدكم والفرق  
كاد يقضي من الصبا لولا      أن تحاماه في السواد العناق

وصف شاعرنا الخمرة وقال فيها القصائد والموشحات ولم يخرج في خمرياته عن معاني الأولين . فالخمرة لديه بيضاء كالشمس أو حمراء كالياقوت ، شذا أنفاسها يعطر الجوّ، عتقها القس في ديره سنين طوالاً فأدركت عهد الملوك الغابرين وشهدت دوهم دولة بعد دولة . والخمرة تल्प الطباع وتهيج وتحذر الأحاسيس ، وهي علاج للنفس الحزينة وتردّ الروح إلى الجسم الراقدة في القبور . وقد قال عبد الغفار الجبوي أن عمّه لم يعاقر الخمرة ولم تسلب لبه ، وقد وصفها عن مخيلة خلقة وحس فني فجاءت كأنها منتزعة من الواقع . وقد قال الجبوي نفسه :

لا تخل ، ويك ، ومن يسمع يخل  
أو بمهضوم الحشاساهي المقل  
أو برربات خدور وكلل  
إن لي من شرفي بُزداً ضفى  
غير أني رمت نهج الظُرفا :

أتني بالراح مشغوف الفؤاد  
أخجلت قامته السمر الصعاد  
يتفنن بقرب وبعاد  
هو من دون الهوى مرتبني  
عفة النفس وفسق الألسن

والحقيقة أن الجبوي قرأ شعر أبي نواس وصحبه فتمثله وقلد معانيه أحسن تقليد ولم يخرج في خمرياته على جمالها الفني وتركيبها المتين برأي جديد أو فكرة طريفة . وهو يذهب أحياناً مذهب الصوفية وينهج سبيل ابن الفارض فيقول :

وقد شفت فما ظهرت لراء      فكان خفاؤها فرط الظهور

ويقول :

وانعتنّها في ألقابها      فهني رُوح وهي رُوح وهي راح

وذكر ناشر الديوان أن عمه قلما تطرق إلى الشعر الديني أو القومي ، فخلا شعره من المدائح النبوية والمراثي الحسينية خلافاً لرجال عصره ومصره .

## جواد الشيببي

شاعر يعدّ في الطبقة الأولى من شعراء المدرسة القديمة في العراق ، وهو والد الشعراء محمد رضا ومحمد باقر ومحمد حسين ورئيس غرفة تجارة بغداد محمد جعفر الشيببي .

وهو محمد جواد بن محمد بن شبيب بن راضي بن إبراهيم بن صقر ، ولد في بغداد في ٧ كانون الثاني ١٨٦٥ ، وكان أبوه الشيخ محمد مقيماً بها فراراً من سطوة بعض شيوخ المنتفق . ولم تمض على ولادته أيام قليلة حتى توفي والده ، فأخذته أمّه إلى أبيها الشيخ صادق أطمش في الشطرة ، ونشأ الطفل اليتيم في رعايته .

ولما شبّ عن الطوق قصد النجف سنة ١٨٨٠ فدرس على علمائها اللغة والأدب وعلوم الدين . وكان من أساتذته السيد عبد الكريم الأعرجي والشيخ أحمد المشهدي والسيد مهدي الحكيم ومحمد الطباطبائي ، وتخرّج في الشعر على الشيخ محسن الخضري ، والسيد محمد سعيد الحَبْرِي .

وانصرف جواد الشيببي إلى الشعر والأدب فبرز في النظم والترسل . وكانت له مساجلات مع أبناء جيله كالسيد جعفر كمال الدين الحلبي (١٨٦١ - ١٨٩٨) وعبد الحسين الجواهري وهادي كاشف الغطاء وعبد الكريم الجزائري . واستعان به المشير أحمد فيضي باشا وكيل والي بغداد (١٩٠٢ - ٠٤) ، عند مروره بالنجف على رأس حملة عسكرية ، في تحرير رسائل إلى شيوخ القبائل تحذيراً لهم من التمرد والعصيان وترغيباً في الطاعة والإخلاق إلى السكينة .

وكان على وقاره حاضر البديهة ، حلو الفكاهة ، لطيف الدعابة . قال جعفر الخليلي : «وكان الشيخ جواد الشيببي هو المجلّي في الغالب بشعره ونثره ونوادره وسرعة خاطره . وقد قيل أن نوادره الأدبية وتحفه الفنية من الكثرة بحيث تستوعب مجلدات ضخمة لو تصدّى أحد لجمعها» . ثم قال : « . . . كان العلماء كثيراً ما يتخذون من قلمه ترجماناً للاعراب عن رغباتهم ومقترحاتهم ، فيبعثون بها للباب العالي باسطنبول ، أو يخاطبون بها الولاة ببغداد . وكثيراً ما يقصده أرباب الحاجة ممن يريدون أن يسجلوا وصيتهم بعد مماتهم ، أو يريدون وقف أملاكهم أو تأسيس شركة لهم أو إجراء بيع أو شراء على الوجه الشرعي فيما بينهم ، فيدبّج لهم بإنشائه وخطه وثيقة حسبها من القيمة الشرعية والعرفية أن يقال إنها من وضع الشيخ جواد الشيببي . فقد عرف ببراعة إنشائه كما عرف بحسن خطه ، ليس في النجف فحسب وإنما في جميع الأوساط الأدبية في العراق . وكثيراً ما كان ينظم الشعر الجيّد ويعطيه لمن ينتحلّه لنفسه لغرض من الأغراض» .

وقد أقام جواد الشيببي متنقلاً بين النجف وبغداد . وامتدّ به العمر ، وسما أنجاله في عالم الشعر والأدب وتقلدوا المراكز الرفيعة في السياسة والتجارة والمال . وتوفي ببغداد في أوّل آذار ١٩٤٤ .

## مؤلفاته وشعره:

ترك تاليف خطية لم يهيباً لها الطبع ، منها ديوان شعره الذي جمعه محمود الحنبوي ، ومجموعة مراسلاته وقد سماها «الروض الممطور بالدرّ المنثور» . وله كتاب في تراجم أدباء العصر، وآخر في حياة الشيخ خزعل آل الشيخ جابر أمير المحمرة، ونبذة في الأصول إلخ .

وشعره رصين الديداجة ، واضح الأسلوب يشتمل على المعاني القديمة والأغراض الاجتماعية والإخوانية والوطنية . فمن مدحه للسيد حسين القزويني :

أمنيع أركان الفتوة      وربيــــــــــــــــع رواد المروءة  
وابن الزعامة والكرامة      والإمامــــــــــــــــة والنبــــــــــــــــوة  
ومن الإلهه بجــــــــــــــــده      وأبيــــــــــــــــه في القرآن نــــــــــــــــوة  
قد ، والنبي محمد ،      أصبحت للإسلام قدوه

ومن رثائه للسيد الموماً إليه أيضاً :  
أصغت لرعدٍ أوقر السَّمع هائله      فقلت : نعيّ في السماء زلازلــــــــــــــــه  
سما صوته حتى إذا استوعب السَّما      تحدّر في الأرض العريضة وابله

ومن شعره يخاطب السيدة أم كلثوم :  
قمرية الدُّوح يا ذات الترانيم      مع النسور على ورد الردي حومي  
سيرى مع الجحفل الجرار خافقة      وسابقي فوقه سرب القشاعيم  
وناوحي الأمة الثكلي فقد رزت      بلادها بالمطاعين المطاعيم  
ما في العراق اذا استقرت بقعته ،      أذن تصيخ لأفكار الأنغاميم

وقال شاكياً متألماً لحال أبناء الشعب :  
يا ماطل الوعد ، ما هذي الأساطير؟      زادت على السَّمع هاتيك المعاذير  
العدل منك سمعناه ولم نره      والجور منك أمام العين منظور  
إن قلت : عصري عصر النور مفتخرأ      فظلمة الظلم ما في فجرها نور  
وهل يفيد جمال الوجه ناظره ،      والبرقع الدكن فيه الحسن مستور؟

حتى يقول :

يا حارث الأرض والساقى وباذرها ،      قتر إذا نفع المحــــــــــــــــروم تقثير  
إذا أتاك رجال الخرص فالقهُم      بطلعة برقت منها الأسارير  
إن باغتوك بنار شبها غضب      وسعرتها من العسف الأعاصير،

فاحفظ بقايا حبوب منهُم سقطت ،  
طارت من الغرب ، والأطباع أجنحة ،  
وقال في نهضة العرب :

يا عربُّ ، أين جيا دكم ، وهي التي  
الناشرات من السيب مرواحاً  
سل عن جوانبها : إلى كم غرّبت

أما نثره فناصع الديباجة ، واضح البيان ، قديم الأسلوب ، كثيراً ما يزينه بالسجع .  
وقد نقل له عبد المحسن شلاش نصّ رسالة حررها باسم المشير أحمد فيضي باشا ، قال  
منها :

«ليعلم من وعث أذنه من قبائل جزيرة العرب وعموم أهل القرى والطنب ، أن  
مرهب الدول ، خلف السلاطين الأول ، ناشر العدل في الأرض ، معدن البسط  
والقبض ، صان الله تعالى ببركة وجوده بيضة الإسلام من الصدع ، وجعلكم كسائر  
رعاياه ملقين له بالطاعة والسمع . أمرنا بالصفح عن الماضي ، وسرنا نحوكم لننشىء  
الإصلاح بينكم والتراضي ، ونحمد نيران الفتن ، وننهج بكم أوضح سنن ، فوطأنا ، والله  
الحمد ، أرضاً ما لسوى المسلمين بها وطأة قدم ، ولا لغير الموحدين يخفق في بقاعها  
علم . ورأينا أن نقرع أبواب مسامعكم بخطاب الإرشاد ، ونجمع شملكم ، أيها  
المسلمون ، على الصفاء والاتحاد . ما جئناكم إلا لنختبر صفاتكم ونحقن دماءكم  
ونحكم بالقرآن الشريف والسنة النبوية ونؤلف بين قلوبكم ، ومن العدل التأليف بين  
الرعية .

دعوا الشحناء والبغضاء واجتنبوا المغازي وسفك الدماء ، فأنتم ملّة واحدة ،  
والمسلمون أخوة سواء . وادخلوا حقيقة في مجاز الإيفاء لتغمركم الحاقة في الرضى من بعد  
تلك الواقعة . ولا تصيروا أغماد سيوفكم هواديكم فتضعفون ، وفوق الضعف تشمتون  
أعاديكم الكافرين . . . .»

من شعر الشيخ جواد الشيببي :

قال يتألم من داء الشيخوخة :

طبيبي ، ما عرفت عياء دائي  
وبي ألم يـــــــؤرثني ، فتعى  
وحى خالطت عرقاً بجسمي  
وكنت خلقت من مـــــــاء وطين  
مللت العائدين وقد أمالوا  
وأنت معالج الداء العياء  
يميني فيه عن جذب الرداء  
فباتا مزمعين على اصطلائي  
فها أنا صرت من نار وماء  
إلى رقاب إخوان الصفاء

وقالوا: إن صحته ترقّت،  
وقالوا: قد شفيت، فقلت: كّفوا  
أرى شبحاً يسير أمام عيني  
وأخّر عن مظالمه تنحّي  
وقال الشيخ جواد:

ألا قتل الإنسان، ماذا يريد  
أبى أن يساوي نوعه في شؤونه،  
وعالج، لا عن حكمة، ضعف نفسه.  
وقال:

عمّ السؤال، فلات حين سؤال  
انظُر بتاريخ الزمان الخالي  
تجد الظروف هي الظروف، وإنّما  
يتخالف الإنسان في أخلاقه  
والمح والعدب الفرات كلاهما  
والسدوح نبت والثمار مناسب  
والأرض تلك الأرض ما إن بدلت  
واحسرتا خلت البلاد، فهل بها  
تركوه مغزى يستهان، وإلّهم،  
لا يفلتون براءة من شعبهم،  
جهل النصيح عليّ أثقل موضعاً  
رمق الشراب فجسّدت أثوابه  
واستعمر الجوّ البعيد خياله  
حرث الجبال، وتلك ضيعة أشعب  
عقد المنى سرجاً على متوهم  
وكأنه شحد الهلال مهتداً

ثم قال:

(١) القيفال عرق في الدراع يفصد.

فقلت: أرى انحطاطي بارتقائي  
فمن عليّ تعاليل الشفاء  
لغايته فأحسبه ورائي  
وأكره في مغادرة الشفاء . . .

وقد جاز حدّ المسرفين، أما يكفي؟  
فجبار على صنف ورق على صنف  
متى عولج الضعف المبرح بالضعف؟

أو ما كفتك قرائن الأحوال؟  
نظرات عينك في الزمان الخالي  
تتفاوت النظرات بالأجيال  
إمّا اغتدى متوافق الأشكال  
ماء ولا كالبارد السلسال  
والكرم أكرم من عروق الضال  
بقوارع الأرجاف والزّلزال . . .  
من شاغل هذا الفراغ الخالي؟  
لو يشعرون، ربائق الأنفال  
والمري من دمه دم القيفال<sup>(١)</sup>  
من غلظة اللوام والعدال  
عنه ليسبح في عباب الآل  
فبنى على الأوهام والأمال  
يستصعد التيّار من أوشال  
فجسرى ولكن في مجال خيال  
أو جاء معتقلاً مسدّب «هالي»



قالوا: أتتكَ من المشيب غلائل  
فتعزَّ عن بُرد الشباب، فإنه  
حتى إذا ملأ القميص معاطفي،  
فطفقت أهتف، والمسامع لا تعي:  
برد الشباب، لأنك نثرتي التي  
لو في متون العيس همي لانتنت  
ولو أنها بالطود عاديّ الذرى

وقال يتشوق إلى أصحاب له في النجف:

أروح على جمر الغرام كما أغدو  
وحيرني النَّائي، وموطنه الحشا،  
أحباي بالوادي المقدس، أخذكم  
تذكركم قلبي فطار شراره  
وظلق عيني غمضها، فهي بعدكم  
تحبب لي نجداً عربوبة أصلكم  
تنسئتُ فيها نسمة من رياضكم  
على ضوء هاتيك الثنايا زواهياً  
خطوط بأقلام الرماح مشجراً  
يلد بعيني السهد في ذكرياتهم  
ومن ظلمات الليل بحر يخيفني  
أرى ساحل الإصباح يبيض رمله  
بأذا أخوض البحر، والبحر هائج،  
أماي نفسي أجهدتني تعللاً،

وقال أيضاً:

يسألني عن موطن العدل جائر  
على يده أدلاه بالحفرة التي  
ويسألني عن كنز دري مخاتل  
لو انبسطت كفي على قدر حقها

جسد تطرز في نهي وجلال  
صدى المفاضة، أقمم السربال  
أبصرت منه طرائق الإذلال  
من لي برّد برودي الأسمال؟  
فيها فللت مضارب الأهوال  
ملساً رمين الأرض بالأثقال  
لا نهار عن دعص النقا المنهال

فلا الدمع يطفيه ولا يسكن الوقد  
فلا قربه قرب ولا بعده بعد  
علي طريق الصبر ليس له ردّ  
كأن حصاة القلب يقرعها زند  
تعذ الليالي والشهور وتعتدّ  
وأين من المغموس في دجلة نجد؟  
يعطرها شيخ الجزيرة والرنند  
أطالع صحفاً من عناوينها المجد  
بها النسب الوضاح والحسب العدّ  
كأن مذاق السهد في مقلتي شهد  
فلا الجزر ينجيني ولا يُعبر المدّ  
فيضربه موج الظلام ويسودّ  
ولا ساعد يقوى عليه ولا زند  
وإن التمني جهد من لا له جهد

ويعلم أن العدل موطنه اللحد  
تبليج فيها الحق وابتسم الرشيد  
وفي يده مما احتفظت به عقد  
أقمت عليه الحد لو أمكن الحدّ

وقال جواد الشيبيني من قصيدة له بعنوان «تنهّات» :

عبر الزمان استحلّبت عبراتي      وألانت الأيام صدر قناتي  
أنتى أعان على الجهاد بواحد      وخطوبها يملأن ستّ جهاتي  
أنتى التفتُّ رأيت خطباً هائلاً      فكأننا الأهمـوال في لفتاتي  
وإذا أردت صراعها في نهضة      عاقتني الأيام عن نهضاتي  
نفسى لماء السرافدين يسيلها      نفس يصعّده جوى الزفّرات  
يحيّا به خصمي فأشرق بالردى      وأذاد عنه وفيه ماء حياتي  
لا دجلتي أمّ السيول بسدجلتي      كلاً ولا هذا الفرات فراتي  
ثم يقول :

ليّ من جنّاي - وما اقترفتُ جناية -  
واضيعة الأكفاء بعد مناصب  
ولوا الأمور، ولو أطاعوا رشدهم  
من كل كاس يستجدّ لنفسه  
النّاهبي رمق الضعيف وقوته  
قطعوا البلاد ومنهم أوصالها  
سكروا بخمر غرورهم والعامل (م)  
غزوا المصايف والهوى يقتادهم  
هم أغنموا مغزوّهم وتراجعوا،  
مال تكفّلت الجبّاة بعسفهم  
نهب من الحجّرات صيخّ به، وفي  
طارت شعاعاً فيه أيدي لم تزل

أشواكه والقطف عند جنّاتي  
حفظت مقاعدها لغير كفاة  
لسعوا وراء الحقّ سعي ولاة  
حلاً ولكن من جلود عرّاة  
والقاتلي الأوقات بالشّهوات  
والقطع يؤلم من أكفّ جفّاة  
المجهود بين الموت والسكّرات  
لمسارح الفتيان والفتيات  
أفهدّه العقبى من الغزوات؟  
إحضاره لخزائن اللّذات  
عزف القيّان يُردّ للحجّرات  
مخضوبة بالسراح في الحانات . . .

### عبد المحسن الكاظمي

الشاعر العربي الذي عرف بالارتجال وطول النفس وجزالة الألفاظ ، ولد في بغداد يوم الأربعاء ٣ كانون الثاني ١٨٦٦ ، وهو عبد المحسن بن محمد بن علي بن محسن بن محمد بن صالح بن علي بن هادي النخعي . وقد درس في مسقط رأسه ومارس التجارة والزراعة زمنًا ، ثم انصرف إلى مطالعة الكتب الأدبية وحفظ الشعر والنظم .  
وقدم جمال الدين الأفغاني منفياً من إيران سنة ١٨٩١ فلأزمه الكاظمي وأخذ عنه

وتشرّب منه مبادئ الإصلاح . ولما خرج الأفغاني من بغداد أصبح الكاظمي موضع ريبة وتعقيب ، فلذا بالوكالة الإيرانية ثم غادر الزوراء خفية إلى البصرة ومنها إلى أبي شهر في الخليج العربي .

وقد عاد إلى بغداد بعد ذلك ، ثم رحل من العراق سنة ١٨٩٧ فقصده إيران والهند ، وألقى عصا الترحال في القاهرة (١٨٩٩) . ونال الحظوة لدى الشيخ محمد عبده ، واتصل بالمحافل الأدبية والقومية فكان موضع التجلّة والاحترام .

وقيل إن محمود سامي البارودي الذي عرف الكاظمي وقرّبه إليه بعد عودته من منفاه في جزيرة سيلان ، قسّم شعراء عصره إلى طبقات فاستثنى الكاظمي واكتفى بالقول إنه «أمة في الشعر وحده» .

لكنه ضاق بمعيشته ولم يصب منها الكفاف . وقد قال وليّ الدين يكن في «تجاريه» :

«علم من أعلام العراق ، هو أبو القصائد المحبّرة والقوافي المحكمة ، نزيل بمصر ، مقيم في دار حزنه يعالج أيامه ويعاني شدائدّها . وليس بمصر من يقول له : أين أصبحت ، أيها الأديب العظيم؟» .

وتوفي في القاهرة في أول أيار ١٩٣٥ .

طبع الجزء الأول من ديوانه في دمشق (١٩٣٩) والثاني في القاهرة (١٩٤٨) . ونشرت له : معلقات الكاظمي (١٩٢٤) عراقيات الكاظمي (١٩٦٠) . وله كتب نثرية منها : البيان الصادق في كشف الحقائق ، تنبيه الغافلين .

شعره :

من شعراء الطبقة الأولى ، في شعره أنفاس البداوة ومثانة المدرسة القديمة . أما مواضيعه فأغلبها قومي وطني ، يدعو فيها العرب إلى اليقظة والنهوض وينعى عليهم الغفلة والجمود .

هأم الكاظمي بالحرية فقال :

يـوم لـه بـين الضـلـوع ديبـب  
وإذا تقارب فالعدوّ حبيب  
يصفو به هذا وذاك يشوب  
ولها شروق مـرة وغـروب

مهما تباعد فهو منك قريب  
فإذا تباعد فالحيب مبعّض  
لا فرق بين المشرقين سوى الذي  
كالشمس ما بين الأنام مشاعة  
واستنهض همّة قومه فقال :

سيرا بننا عنقاً وشاداً  
سيرا فــــرادى او ثنى  
لا يقعدنْ بعزمننا  
حتى يقول نادياً حال وطنه :

بــــالله، يا وطني، أجب  
كلُّ يبلِّ غليلــــه  
يــــرضيك تصبـح للخراب  
يا أيها الوطن الــــذي  
وأسرّ نــــاراً كلما  
ورمى بـكلتي مقلتيــــه  
يــــدعو و كــــهـو لهم كما  
لك من بنيك النّجب  
رؤح فــــؤادك واسترح

سيرا بننا ممسى ومغدى  
والجمع للغايات أجدى  
يوم يــــرينا الهزل جــــداً

ما بال قلبك ليس يهدا؟  
مما رجاه وأنت تصدا  
وكنت للعمــــران مهــــدا؟  
نادى بــــينه واستمــــداً  
قيل اخمدي تــــزداد وقــــدا  
ولم يجد من ذاك بــــداً  
يــــدعوهم شياً ومــــزدا  
كل غضنفر وقى وفــــدى  
فبنوك لا يــــلون جهــــدا . . .

أحبّ الكاظمي البلاد العربية قاطبة، وتوزع قلبه بين موطنه العراق ومسكنه مصر.  
قال يحنّ إلى مسقط رأسه :

ألا خبر من ثــــايا العراق  
هل الــــدار بعدي كعهدي بها  
أم البين أسلمهــــا للبل  
رعى الله أهل الحفــــاظ الألى  
أحبــــاي، هل كلف شتيق  
وإن خفق البدر نحو الحمى  
على حــــرق أضلعي تلتــــوي  
وقال يبارك مصر ويشكرها على رعايتها له :

يطلع أو زورة تطــــرق؟  
يياكرها العارض المغدق  
وعاث بها الــــذئب والخزق  
كما لقي القلب فيهم لــــوا  
يناشــــده الكلف الشتيق  
نرت كــــبيدي نحوكم تخفق  
ومن علق أدمعي تــــدفق

ولا زال في أرجائها البشر يسطع  
ومما الخير إلا منكم يتفرّج  
وسوف نرى للفرخ ما هو أشيع

تعدت صروف الدهر مصر وأهلها  
نعم، أهل مصر، أنتم خير أمة  
لقد شاع عنكم كل فضل وسودد  
وتمنى لو كان العالم بأسره عرباً :

شبهوا وشابوا بعدما اكنهوا  
عرق بــــذاك الأصل يتصل ا

ليت الأنعام جميعهم عرب  
أوليت كــــل المالكين لهم

وقال يحنّ إلى مسقط رأسه بغداد :

أبغداد، لا فاتتك مني تحية  
حينياً إلى تلك البقاع، إلى التي  
حينياً إلى الزُّورا، حينياً إلى الصِّبا،  
حينياً إلى تلك القرى وإلى الذي  
حينياً إلى أرض حيت بترها،  
هناك شبابي قد تقضى، وها هنا  
لقد زعموا أني نسيت، وأنني  
وكيف تراني ناسياً ذكر موطن  
منى النفس أن يلقي العراق وعزه

مات عبد المحسن الكاظمي في مصر، فرثاه معروف الرصافي قائلاً:

أيها النادبون، غيري غُرُّوا :  
يُكْرَمُ المَيّتُ بالثناء، وتحيا  
إن جفتنا بلادنا فهي حبّ،  
لم نُحلّ عن عهدها مذ جفتنا،  
إنما هـذه المواطن أم

وقال الزهاوي :

يا بلبل الشعراء، مالك صامتاً  
قد سرت قبلي للردى متعجلاً  
من بعد تغريد بشعرك مُسجِن  
ولعلني بك لاحق ولعلني

وقال إبراهيم عبد القادر المازني : «وجاء الكاظمي إلى مصر، وكان الأدب فيها قد أخذ يشيح بوجهه عن زيف المقلّدين والعاثين من المتأخرين، وبيثني راجعاً إلى الشعر الجيّد والشعراء المخلصين، فنزل منزل الكرامة بين فحول ذلك العصر. وزينت له الإقامة ففعل، وعاش في مصر كريماً أيباً لا يمتهن نفسه ولا يبين شعره. ولم يعرف عنه قط أنه مدح أحداً مبتدئاً، وإنما كان يشكر المستحق على الصنيع الحسن. واشتهر بالقدرة على الارتجال مع المحافظة على طبقة شعره. والارتجال عسير، وقد تسعف القريجة بالبيت، ولكن الكاظمي كان يسحّ بالعشرات ولا يقصر عن المئات. ولا شك أن ضخامة محفوظه من اللغة والشعر، وطول اعتياده الإملاء حين ينظم، كانا ممّا أعاناه على الارتجال. ولكن كثرة المحفوظ وحدها لا تكفي وعادة الإملاء لا تغني، ولا بدّ من استعداد خاص حتى تسعف القريجة وتؤاتي السليقة . . .

«وقد تغيّرت الدنيا في الشرق بسرعة تغيراً ترك الكاظمي غريباً فيها . فهو لا يحسن إلا أن يقول الشعر، ولا يستطيع مع هذا أن يتكسّب به ، وقد فطره الله على العزوف الشديد والإباء المرّ . فلا قدرة له على التزلّف والمصانعة ، ولا قبول منه لحسنة أو صدقة أو معونة في صورة من الصور . . . وكان المرحوم الإمام الشيخ محمد عبده يرحاه ويتفقده بانتظام ، وظلّ مواظباً على ذلك كما تمّ له حتى توفي . . . فلما مات الشيخ محمد عبده اضطربت حياة الكاظمي واصطلحت عليه الفاقة والعلّة ، ولكنه احتملها وصبر على بلائها صبر الحرّ الكريم . وبلغ من أمره في ذلك أن كثيرين من ثقافته كانوا يجهلون مكان بيته في العام الأخير من حياته ، لفرط تكنمه حقيقة حاله وإخفائها حتى عن أقرب الناس إليه وأصدقهم ودّاً له» .

هذا وقد قال الكاظمي معترّاً عن إباثته وتعفّفه :

لو على قدر همّتي واعتزامي	صال نظقي — بلغت كلّ مرامي
همّة ترهق النجوم وعمزم	ضارب في الجبال والأكمام
وأراي أرى القلب — وب رواء	غير قلب ما بين جنبي ظمام
وإبائي يرى من الضيم أن يحمل (م)	في الدهر منّة للغمام . . .
ليس عيش الفتى زخاريف لبس	وشراب مصفّق وطعم — غمام
إنما العيش أن تكسبون عظيماً	عالي الذكر في الأمور العظام
ليت أمسي ، إذ بشرت بغلام	بعهد لأي ، لا بُشّرت بغلام
وللهدني مجسماً من إباء	وجلال ورفعّة واحتشام
فترعرعت بين أكرم قوم	شمخوا عزة على الأقوام
ولأن أدبرت حظوظي أضحت	حسناتي تعدّ من آثامي
أيها المشفقون ، إن فؤادي	أقصدت به تصيب المرامي
فأثاروني بمهجتي أو دعوي ،	أنا عرضت مهجتي للسقام

حتى يقول :

ألمي إن خلوت من ألامي	وسقامي متى فقدت سقامي
ما شكت لي الضنى عظامي لكن	قام يشكولي الضنى من عظامي
فإذا كانت الحياة كهذي	فعلى هذه الحياة سلامي

تحدث عبد المحسن الكاظمي عن نشأته الأدبية فقال : «أدخلت في أوائل صباي بمكتب فقيهة بالبلدة ، ثم خرجت منه إلى معلم فارسي لأدرس اللغة الفارسية ، لأن أبائي تجار ، وللعراق صلة تجارية بإيران وأفغان والهند ، والتخاطب التجاري باللغة

الفارسية في هذه البلاد كثير. فمكثت عنده ستة أشهر أمكنتني بعدها أن أقرأ وأكتب . . . وذهبت إلى معلم عربي، ولكن ما لبثت أن خرجت من عنده. ثم أخذت أنظر في المخطوطات العربية والفارسية . . .

ولما بلغت الثانية عشرة من حياتي تطلّقت على موائد العلم بالكاظمية. وكان أخي محمد حسين مشتهراً بالأدب، فأخذت أطلع مثله على كتب الأدب، ولكن الأساتذة كانوا ينهونني عن ذلك بحجة أن هذه الكتب تشغل الطالب عن العلم وتؤخره في تحصيله. فلم أستمع إليهم، ووجدت في نفسي شوقاً إلى الأدب والشعر، وصرت أكتب على مطالعته في يومي الخميس والجمعة، وأكتب القصائد القديمة وأحفظها سراً حتى حفظت عشرة آلاف بيت. وحدث أن أخي وزميلاً له كانا يوماً يتطارحان الشعر وأيهما غلب يكسب الرهان. وكان الاتفاق بين الفريقين على أن زملاء الرئيسين يتطارحون الشعر، فإذا عجز فريق منهم أنشد الرئيس بدله. ولما جاء الدور عليّ بدأت بهذا البيت:

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم  
واسترسلت في المطارحة حتى عجز الزملاء والرئيسان، ومن ذلك الوقت كان المتطارحون يتنافسون عليّ، وكانت سني وقتئذ ستة عشر عاماً. وقد نظمت قصيدة غزلية يبلغ عدد أبياتها ٥٥ بيتاً لا أذكر منها الآن غير الشطر الأول، وهو:

أيها الرامي وما أجرى دما . . .

وبعدها نظمت عدة قصائد. ولكن أول قصيدة ظهرت لي كانت رثاء لأحد علماء العراق. وذلك أنه كان من العادة عندنا، إذا أريد رثاء أحد الموتى، وقف منشداً خاصاً لتلاوة ما نظمه الشعراء من القصائد. وكلما أتى إلى قصيدة، قال له الحاضرون: لمن؟ فيقول: لفلان. فيردون: أنعم وأكرم. أما إذا لم يرد الشاعر ذكر اسمه فإن المنشد يجيب الحاضرين عن سؤالهم بقوله: لبعض المحييين.

«فلما أتى دور قصيدتي في ذلك اليوم الذي أريد رثاء العالم فيه، لم ينسبها المنشد إليّ لأني صغير. وكان هناك في هذه الأثناء أديب كبير يدعى السيد إبراهيم الطباطبائي فنسب الحاضرون هذه القصيدة إليه. فحزنت وطربت في آن واحد. حزنت لأن قومي لا يفرقون بين قائل وقائل، وطربت لاشتباه شعري بشعر أديب كبير. ولكن لم تمض مدة حتى ظهر اسمي، وانقلبت الآية فصار الناس ينسبون إليّ كل ما يستحسنون . . .»

عبد المحسن الكاظمي:

ارتأى الدكتور إبراهيم السامرائي أن الشعراء الذين نشأوا في المواطن الشيعية كالنجف وكربلاء والكاظمية والحلة قد تأثروا بالشريف الرضي نقيب الطالبين (٩٧٠ -

١٠١٥م) ودعبل الخزاعي (٧٦٥ - ٨٦٠م) والسيد الحميري (٧٢٣ - ٧٨٩م)، وفي مقدمة هؤلاء الشعراء عبد المحسن الكاظمي وجواد الشيبلي وولده محمد رضا ومحمد باقر وغيرهم. وقد رأى السامرائي تأثير قدماء شعراء الشيعة ظاهراً في الطريقة التقليدية والروح البدوية ومرآتي آل البيت.

والحقيقة أن لشعر الشيعة طابعاً خاصاً يتمثل في المراثي عامة وخصائص الحزن والتفجع. على أن شعراء العصر الحديث فتحت لهم أفاق جديدة وسّعت شمول معانيهم ومواضيعهم مع احتفاظهم بالأساليب التقليدية القديمة، فقلّ تأثير الشريف الرضي وأمثاله من القدماء في شعرهم.

\*\*\*

عبد المحسن الكاظمي: تمّن أخذ عنهم في النظم في صباه أخوه الأكبر الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى في رشت من أعمال إيران سنة ١٩٣٦، والشيخ جابر الكاظمي المتوفى سنة ١٨٩٩، والسيد إبراهيم الطباطبائي الشاعر الشهير.

الكاظمي وثورة الحجاز سنة ١٩١٦:

نهض الشريف حسين وأعلن ثورته العربية الكبرى على الأتراك خلال الحرب العظمى، فاستبشر بها الوطنيون العرب، ومنهم عبد المحسن الكاظمي الذي حيّا الثورة وقادتها بقصائد عامرة ومدح الملك حسين وأنجاله ورجاله أمثال جعفر العسكري ومولود مخلص وفؤاد الخطيب. قال في الملك حسين:

هذا الحسين وذاك أول من دعا  
والرأس أولى بالعلا أن ترأسا . . .  
ذو عزيمة جعل الإله شباتها  
نقماً تصبّ على الطغاة وأيؤسا

وقال أيضاً:

مليك، وهل للعرب مثل حسينها  
مليك تولى منّسه وأبّ برّ؟  
أمحي رجاء العرب من بعد موته،  
أسيفك أمضى أم عزيمتك البكر؟

وكان الكاظمي في شعره من دعاة الحركة الوطنية المصرية ومريدي زعيمها سعد زغلول، مدحه في حياته ورثاه عند وفاته.

ورحب الكاظمي بمبادئ الرئيس وودرو ولسن وعدّها وسيلة لتحرير الشعوب، فقال يخاطبه:



عمرت مجالسنا بذكرك وانحنى  
وأراك قد حملت من أعبائها  
لرفيع قدرك سائر المعمور  
ما فوق طاقة ألبها وثير  
ولربّ ماء كان غير طهور . . .

شعر عبد المحسن الكاظمي :

في شعر الكاظمي جزالة وفيه جرس موسيقيّ عذب كأنه صدى من الحان الأجيال  
الغافية في الصحراء . ولكنك تفتقد في ذلك الشعر تلك الطراوة وذلك الوهج اللذين  
تلمسهما في شعر المجدّدين من معاصريه كشوقي وحافظ ومطران والزهاوي والرصافي .  
ولعلّ الأمر يرجع إلى تطويله في قصائده وتكراره للمعاني واستعماله لحوشي الألفاظ  
وضيق آفاه وثقافته القديمة . فإذا حللنا قصيدته :

سيروا بنا عنقاً وشداً      سيروا بنا ممسى ومغدى

نجد أنها في أبياتها الستة والتسعين لا تخرج عن حثّ الأمة على التقدم والسير إلى  
الأمام ومجانبة التخلف وتحفيز الهمم والالتفاف حول الوطن .

تفتحت شاعرية الكاظمي واكتملت في العراق في أواخر القرن التاسع عشر قبل  
رحيله إلى مصر ومعابشته للنهضة الأدبية التي حمل لواءها البارودي وإسماعيل صبري  
وخلفاؤهم من بعدهم ، فكان أقرب إلى شعراء عصر الانحطاط المتأخر كحيدر الحلبي  
وإبراهيم الطباطبائي وجعفر الحلبي ومحمد سعيد الحبوبي . وقد أفاد من اتصاله بهجمال  
الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في التطلع إلى آفاق فكرية جديدة كالنزوع إلى الحرية  
والدعوة إلى النهضة والعلم والعدالة والاستقلال والدفاع عن الإسلام وذكر الشرق ،  
وهو الاصطلاح الذي انتشر في مصر سابقاً لذكر العروبة وانتقل منها إلى العراق .

قال الكاظمي :

مهما تباعد فهو منك قريب  
لا فرق بين المشرقين سوى السذي  
هيهات يصبيني سوى حرّية  
حرّية الأمصار أنت حبيبة  
يا حبّذا يوم الجمال وحبّذا  
يوم يعود به لنا استقلالنا  
حتّام نحتمل المذلّة طوعاً  
لا فاتنا عزّ الحياة ولا عدت

يوم له بين الضلوع ديب  
يصفو به هذا وذاك يشوب  
يصبو الشباب لذكرها والشيب  
في حبّها يستعذب التعذيب  
يوم الوصال وأجره المكسوب  
ويردّ فيه حقننا المنصوب  
ولنا بأفياق البلاد ثوب؟  
شعباً تُذلُّ بها الحياة شعوب

وقال :

بالنقائب والمفدى  
الفضل في الدنيا وأبدي  
باسمه أبداً ويؤدى  
بل إنها بالروح تفدى  
حقوقنا أو نستردا  
ونكافح الخصم الألسدا

سيروا إلى الوطن الموقى  
يا حبذا وطن أعاد  
يا حبذا وطن يغنى  
أوطاننا أرواحنا  
أبداً نطالب بالحقوق  
أبداً نجاهد دونها

وقال:

عدلاً يهد الظلم هدداً  
قضى فريضة وأدى  
عدلاً ومن بهم استبدداً . . .  
إن تقصر الأعلام مدداً . . .

سيروا نشيداً لـديارنا  
ماكل من ساس الأنعام  
شتان من ساس السورى  
يا حبذا العلم السدي

ومن قصائده الشهيرة «العينية» التي تبلغ أبياتها ١١٤ عدلاً. يستهلها الشاعر بمعنى عزيز على شعراء الجاهلية، وهو إدارة الطرف في الأرض البلقع والبكاء على الطلول، وذكر الأحبة الذين مضوا، والشوق إلى أيام القصف والهناء، والأسى لساعة الوداع. ثم يذكر سفره بالباخرة تاركاً المطايا في بواديهما واقتحامه جيوش الأمواج التي ترتفع إلى عنان السماء، حتى وصوله إلى مصر، يجاذبه الحنين إلى وطنه في بلاد الرافدين والاستبشار ببلوغه وطن الحرية والنهوض. لكنه يشكو مقامه في دار الغربة وضياح مثله في خصم الحياة الدفاقة. ويمضي إلى الإشادة بمصر وأهلها الذين يصفهم بأنهم خير أمة يتفرع منها الخير والفضل والسؤدد. ويدعوهم إلى شحذ همهم وشد عرى أوطانهم والدفاع عن عزها ومنعتها. ويتلذذ حيناً بالفخر بنفسه، وهو الأريحي السميع الذي يززع فكره أبطال الوغى، ويقول:

وأسياف عزمي في دجى الخطب مع  
تسنتها، والليل أسود أسفع

وكيف أخاف الخطب يسود ليله  
فكم غمة كشفتها وعظيمة

وينتقل من ذلك إلى مهاجمة المنسدين بالإسلام المتحاملين عليه من رجال الغرب، وفي مقدمتهم السياسي الأديب الفرنسي جبرائيل هانوتو Gabriel Hanotau الذي تعرض للدين الإسلامي فرداً عليه محمد عبده وأفحمه.

والحقيقة أن الكاظمي في شعره جسر يصل عصر الانحطاط بعصر النهضة الجديد ويضفي ثوباً من الديباجة القديمة على المعاني التي أخذ يرددها شعراء الأمة المتفتحة على حياة العصر، المتحفزة إلى الوثوب واليقظة من غفوة الأجيال.

## أحمد الفخري

شاعر الموصل وقاضيتها السيد أحمد الفخري، وهو ابن محمود بن محمد أمين بن محمد بن حامد بن فخر الدين بن يحيى، ينتهي نسبه إلى النقيب السيد فخر الدين الأعرجي الحسيني. ولد في الموصل سنة ١٨٥٨ وتعلّم في كتابتها وحفظ القرآن، ثم درس العلوم العربية والدينية على علماء عصره كالملا علي الحصري وعبد الوهاب الجوادى والشيخ محمد النقشبندى. قال الشعر وهو يافع، ثم برع فيه وتفوق. ووظف في المحكمة الشرعية كاتباً وأصبح رئيساً لكتابها ودرس في المدارس الأهلية والرسمية. وعيّن على أثر احتلال الموصل قاضياً (أول أيار ١٩١٩) ونهض بمنصب القضاء حتى عيّن وزيراً للعدلية في وزارة جعفر العسكري (٢٢ ت ١٩٢٣ - ٣ آب ١٩٢٤). وانتخب نائباً عن بلده في المجلس التأسيسي العراقي (١٩٢٤) وأعيد بعد تخليه عن الوزارة قاضياً للموصل (٢ أيلول ١٩٢٤) حتى تأليف مجلس الأمة العراقي إذ اختير عضواً في مجلس الأعيان (تموز ١٩٢٥). وأدرسته الوفاة في الموصل في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٦.

وقد غني بجمع شعره المتفرّق الأديب الفاضل السيد علي العلوي الذي استطاع أن يدوّن له نحواً من ١١٠ قصائد ومقطوعات في زهاء ٢٤٢٠ بيتاً. وصفه السيد العلوي فقال: «كان وسيم الطلعة، معتدل القامة، عذب الصوت، كريم الخلق، أنيس المحضر، سريع الخطّاط، حاضر البديهة، يرسل النكات من دون تكلف فيطرب لبراعتها الحضور، متواضعاً، محبّاً للغناء، مغرماً بالصوت الجميل».

كانت الموصل في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين في عزلة وانزواء، فلئن كانت جزءاً من العراق، لقد كانت أقرب إلى حلب منها إلى بغداد. وكانت الرحلة إلى بغداد بطريق القوافل أو طريق الأرمات النهرية طويلة شاقة، فكانت الحداية أوثق صلة بحلب الشهباء تتصل بها بأسباب تجارية وأواصر فكرية وروحية. فلا بدع أن حرمت الموصل النهضة الأدبية والوطنية التي لاحت بوادرها في بغداد قبيل إعلان الدستور العثماني.

إن بلدة أبي تمام قد غطت في نوم عميق خلال عصر الانحطاط، فلم ينشأ فيها سوى نظامين لهجوا بالمدائح والمراثي، حتى إذا ما بزغ فجر القرن التاسع عشر، ظهر شاعران لها شأنهما في ذلك العهد، وهما عبد الباقي العمري وعبد الغفار الأخرس، لكن كليهما نزح إلى بغداد وتفتحت شاعريته فيها. وعرفت الموصل بعد ذلك شعراء مقلّدين كأحمد عزت الفاروقي (المتوفى سنة ١٨٩٢) والسيد شهاب الدين العلوي المليسي (المتوفى سنة ١٩٠٧) وداود الملاح (المتوفى سنة ١٩١١) والشيخ محمد ضياء الدين الشاعر (المتوفى سنة ١٩١٢) ونجيب جلميران (المتوفى سنة ١٩١٧).

في تلك البيئة المغلقة المنطوية على نفسها نشأ شاعرنا الفخري وقال الشعر، فنظم المدائح الإلهية والنبوية ونسج القصائد الصوفية والوجدانية وأجاد في الوصفيات والإخوانيات وجانب من المدائح والمراثي والموشحات والتخاميس . وقد أدرك القرن العشرين وأصبح وزيراً وعيناً في الحكومة الوطنية وعاصر الزهاوي والرصافي وسائر أساطين النهضة الأدبية الحديثة ، لكنه كان أقرب بشعره إلى عصر الانحطاط السالف وأدنى نسباً إلى ابن الفارض وأقرانه من شعراء التصوف والغزل الأقدمين ، ذلكم أحمد الفخري الذي يقول :

هذا الغرام وتلك حاجر	والدمع ليس عليه حاجر
وبـروفهم لاحت فيما	لسحاب دمعك غير مطاير؟
أخـلا فـؤادك أم حـلا	لك غيرهم أم أنت صابـر؟
أم مـساء عينك جفّ من	حرّ الصبابة في الضمائر
أم رمـست كتبان الهوى	والحبّ ليس عليه سائر
ولـي مـ تكتم لـوعـة	شهدت عليك بها الظواهر
وعلى مـ لا تبـدي الجوى	أمن الملاممة أنت حـاذر؟
إن كان حـبّك صـادقـاً	فندع العـذول ولا تحاذر
اي والـذي أحيـا بأسرار	الهوى مـنـي السـرائر
أنـا عاشق أنا مغرم	أنا ذو هـوى في القلب ثائر
كيف الحـياة بلا هـوى	إنّ الهوى أحـمد العنـاصر
في الحـبّ طـباب تـهتكـي	فـهتكت عن سـري السـتـائر
لا أرعـوي، لا ألتـوي	لا أنشـي بمـلام زاجـر
مـاذا يقـال سـوى الـذي	قـد قيل في مجنون عامـر؟

وليس من ريب أن الشعر الصوفي في العهود المحافظة المتزمتة تنفيس عن المشاعر الملتهبة ، فإذا قرأت شعر الفخري الوجداني لم تدر أين ينتهي الحبّ الإلهي لبيد الإحساس العاطفي .

وشعر الفخري راتب النسق ، مفرد النغم ، قديم الوحي في معناه ومبناه ، بيد أنه يفيض بالبورق الوجدانية التي تهز النفس واللوامع الفكرية التي يرتاح لها الذهن . يختلط فيه الغزل المكثّر المبتذل بعاطفة حب صوفية تنبثق من صميم القلب ، وتعقب موشحاته بأنفاس الأندلس الزكية .

يؤمن الفخري بالحبّ ولا يخشى فيه لوم اللائم ولا تقريح العذول ، فاستمع إليه يقول :

إن كان حـبّك صـادقـاً      فندع العـذول ولا تحاذر  
وهو يجاهد نفسه في الغرام فيوماً يدعن لها ويوماً يتغلب عليها :

لاح للنفس غيتها من هداها  
وصحت بعد سكرة الجهل، لكن  
هي تأبى إلا الغسرام وأبى  
فتراهها طوراً تميل عناني

وقد نقل تفجع الخنساء ونحيبها إلى لوعة العشق والهيام فقال :

وتأهاها عن الهوى قد نهاها  
بعد فيها بقيّة من صباها  
أن أرى الذلّ باتباع هواها  
وتراني طوراً أطيل عنهاها

وأذكرها في وقت كل غروب  
وبالليل أحلامي وعند هبوبي  
وأعيى الذي بي طبّ كل طيب  
وما كمد في عاشق بعجيب  
غريب الهوى، يا ويح كل قريب!  
فقلت له: اقصر، أنت غير مصيب  
أصلح أجسام بغير قلوب؟

وما ذرّ قرن الشمس إلا ذكرتها  
وأذكرها ما بين ذاك وهذه  
وقد شفتني شوقي وأبلاني الهوى  
وأعجب أني لا أموت صباية  
وكلّ محبّ قد سلا، غير أنني  
وكم لام فيها من أخ ذي نصيحة  
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه؟

وعارض ابن زيدون في نونيته فقال :

فهل لنا في الضنى آس يواسينا؟  
عاجت نفسي من داء الهوى حيناً  
بحبّه وهو هواء كعاد يضمنينا؟  
إليه، فاحتلّ دون الحيّ نادينا...

جدّ الهوى ومضى حكم القضا فينا  
هيهات ما من دواء للغرام، فقد  
وكيف ننسى حبيباً روحنا امتزجت  
قد لاح كالبدر، والأبصار شاخصة

والموصل التي لبثت تغطّ في نوم هاديء هنيء متمسكة بأهداب التقوى والورع، لم  
تزل على مرّ العصور تلتمس متعها البريئة ونزهاتها الجميلة في زيارة قبور الأولياء والخروج  
إلى ضواحي دجلة التي يسبغ عليها الربيع أثواب الخضرة والبهاء لعقد مجالس الطرب  
والحبور بين الماء والخضراء وتمت زرقة السماء . فهذا محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل  
الذي نبغ بعد شاعرنا الفخري يصف أنس الربيع فيقول :

ملابس خضراً ذات لونٍ على لون  
وزهرة قلبي في كرائم من حزن  
لواعج وجد حرّكتها يد اللحن  
يرددها سجع الحائم في أذني  
ولئن كان العبيدي قد تذكر حبه في مجالس الربيع البهية فاستسلم إلى الوجد  
والأسى، إنّ الفخري قد ألقى بروحه في تيار الفرح والجمال الشامل فقال :

لقد ألبست قدّ الربيع يد الزن  
تفتحت الأكمام عن كل زهرة  
نسيت، وما أنسى، بشاطيء دجلة  
نسيت، وما أنسى، أحاديث صبوة  
وإنّ الفخري قد تذكر حبه في مجالس الربيع البهية فاستسلم إلى الوجد  
والأسى، إنّ الفخري قد ألقى بروحه في تيار الفرح والجمال الشامل فقال :

بُعَيْدَ حَيّاً أحياء الربوع انهاره  
أديم الحمى فازدان منها اخضراره  
فراق لديه حسنه وازدهاره  
وقد فاح نشرأ شبحه وعمراره

ويوم تجلّى في الربيع نهاره  
وقد كست الأزهار حلّة وشيها  
فنزّهت في وجه البسيطة ناظري  
وجلث بأكناف الحمى متنزهاً

وملت أريح النفس في ظل رهوة  
يحلي لجين السورد فيها نضاره

وهل يتم السرور في مجالس الطرب بغير العود والمزهر؟ فلنصغ إلى شاعرنا يقول:  
لو تسمع العود تدري ما الهوى وترى  
أريشة بيد العواد تحفق أم  
وتلك أوتار عود دق فاضطربت  
يحس جس طيب نبض ذي مرض  
والمعنى في البيت الثاني (أريشة بيد العواد . . .) ينظر إلى قول الشاعر الدكتور نقولا  
فيّاض :

ليس «اليانوس» الذي باتت تكهريه  
كشسته فتمشى السحر بي فكما  
أصابع العجاج هذي تلعبين بها  
يداك أطوع من قلبي وأفكاري  
تهتز أوتاره تهتز أوتاري  
أم تلعبين بأسع وأبصارا؟

وقديماً قال ابن الرومي :

غلط الناس ، لست تلعب بالشطرنج  
لك مكر يدب في القوم أخفى  
والفخري ، بعد ذلك ، شاعر مؤمن ، سعيد بإيمانه ، قوي النفس بالله ، فلنستمع  
إليه يتضرع إلى العزة الإلهية ويقول :

أيارب ، مالي غير لطفك خيمة  
أيارب ، ظللني بفصلك واخني  
أيارب ، واضرب لي سرادق عزة  
أيارب ، وامدد لي رواق عناية  
أيارب ، واجعلني بفسطاط نعمة  
تقيني بما أتقيه من الدهر  
بعزك واشرح لي بنور الهدى صدري  
على عمد التوفيق في طنب النصر  
على خيمة العلياء في ساحة الفخر  
أعيش بها في راحة سائر العمر

ولقد رأينا شاعرنا مولعاً بالبديع مغالياً في المحسنات اللفظية ، يطرز شعره بالتشابيه  
والاستعارات الكثيرة . ففي هذه الضراعة إلى العزة الربانية جسم الرحمة والعناية والتوفيق  
والنعمة بالخيمة التي تقى من الخوف وتؤمن من الشر والعذاب ، فذكر السرادق والعمد  
والطنب والرواق . ورأينا في قصائد أخرى يقرن فعل النهي بالنهي والحجى فيقول :

ونهاها عن الهوى قد نهاها

ويجمع فعل الرؤية بالوتر قائلاً:

لو تسمع العود تدري ما الهوى وترى  
وأمثلة ذلك كثير في شعره .

ومن لطيف شعره في النزاع بين هوى النفس وحب الله قوله :

عجبت لها تجفؤ، وتدرى بوصولها  
فقال النهى : لا تعجبن فحب ما  
حياتي وأني حيث تجفؤ شهيدها  
سوى الله نار في حشاك وقودها  
حياتي على خلق فلست أريدها

لكنه لا يلبث أن يستسلم إلى الهوى فيقول :

كل يوم يموت بالشوق قلبي  
أيها الناصح الخالي أتبعني  
بذكرى الحبيب يبعث حيا  
في الهوى أهديك الصراط السويبا  
خامرته من الغرام حميا؟  
كيف يصحو ويقبل النصح صب  
وامتزجت روحه بروح الحبيبة هيأما :

روحان بعضهما ببعض هامتا  
روح إلى روح تـزفت، وإنما  
وجداً، ولا إحساس للأشباح  
ذاك الزفاف بعالم الأرواح

ومن موشحاته الجميلة أنشودة الحب التي قال منها :

ذهبت في الكون أنفاس الصبا  
بحديث سلسلته أدمعي  
سلسل الدمع حديث الشوق عن  
مقل أحرمها البين الوسن  
عن فؤاد يوم جرعاء افتتن

بهوى من جرءوه العطببا  
بنواهم جرعاء في جررع  
والصبا أهدي حياة الأنفس  
إذ بعرف من شذاهم قد كئبي  
ثم عادت نفسه من نفس

بسموم وهي تحكي لهببا  
عن سفير الشوق بين الأضلع . . .

ونراه في هذا الموشح وهو الشاعر الوجداني يغرق في الصناعة ويلبس ثوب المحدث  
الفقيه . ثم يعود إلى حديث الهوى والحنين فيقول :

لم أكن قبل غراممي أعلم  
أن جرح القلب لا يلتئم  
لائمي، بالله جـز حـيهم  
وتبصر ثم عنف من صببا  
ليس من يبصر كالمستمع

نظرات أعقبتها حسرات  
في فؤادي كم لها من زفات  
هذه العين وتلك العبرات

فاسألنها زند وجددي هل خبا  
مد صبا قلبي لوادي الأجرع؟

أنا والليل ، إذا الليل سجي ،  
 في هواهم بين خوفٍ ورجا  
 فإذا ما رقد الناس دجى  
 وقضى بالأمن كلُّ ما ربا  
 أتجافى عن لذيذ المضجع  
 لا تقل : غاب ولا قربت ولا  
 كلُّ بدر بازغ إن أفلا  
 هل ترى أننا قطعنا الأملا؟  
 لا ، وإن عزّ لقاهم مطلبنا  
 ما قلعنا منه سنّ الطمع  
 إن أحمد الفخري قد عاش في العصر الحديث ، لكنه في شعره وغزله وتصوفه كان  
 يمتّ بصلة النسب الروحي إلى أصحاب الموشحات الأندلسيّة وإلى ابن الفارض وابن  
 النبية من أبناء القرون الخالية .

## علي البناء

الأُسْطَّةُ علي البناء الشاعر الأمّي البغدادي ترجم له علي علاء الدين الألويسي في  
 «الدر المنتثر» ونشر جانباً من شعره ، قال :  
 «هو أعجوبة بغداد في هذا العصر ، فإنه ينظم الشعر مع كونه أمياً لا يقرأ ولا  
 يكتب ، ومشغول بصناعة البناء بعمله مكتسب» .  
 ولد علي البناء سنة ١٨٤٩ ، وامتهن حرفة البناء ، ونظم الشعر الفصيح . وكانت  
 وفاته ببغداد في ٢٤ نيسان ١٩١٨ .

وشعره تقليديّ جامد لا تتعدى أغراضه المدح والرثاء وغيرهما . منه قوله :  
 أوجهك هذا أم سننا الشمس لامع  
 من الشرق بادٍ أم هو البدر ساطع؟  
 وذلك شذاك النافع العطر نافع  
 ببغداد أم نوع من الطيب ضايح  
 وهذي معاليك التي وازر العلى  
 علاها فأضححت وهي شهب طوالع  
 يسرّ حديث المجد يوم إيبابه  
 بمدحي لعلياهم تسرّ المسامع  
 لقد كان وجهه العيش أسود كالخأ  
 ببعذك فهو اليوم أبيض ناصع  
 وقال في قصيدة له يمدح الوالي ناظم باشا عند قدومه إلى بغداد :  
 إليك من الأمّي وافتك مدحة  
 سرى ذكرها في نجدها والتهائم  
 وقد دعي أحياناً علي المعمار البغدادي .

ذكر لنا التاريخ الأدبي عدداً من الشعراء الأميين منهم طرفة بن العبد وغيره في  
 الجاهلية . أما في العصر العباسي فكان أشهرهم نصر بن أحمد المعروف بالخبز أرزي



المتوفى سنة ٩٣٩م . كان يجبز خبز الأرز في مبرد البصرة وينشد أشعاره الغزلية والناس يزدحمون على دكانه يأكلون خبزه ويستمعون إلى شعره .

## عبد القادر العبادي

الشاعر عبد القادر بن عبد الله البزاز العبادي المعروف بـ «عبد القادر شنون» ، عرف بالهجاء المقذع وروح الفكاهة والمجون ، قال إبراهيم الواعظ :

إن كنت تهجو بأبيات منمّقة فإنني سوف أهجو هجو شنون  
ولد في بغداد سنة ١٨٦٥ ، ودرس على نعمان خير الدين ومحمود شكري الألوسيين .  
ومال إلى النظم والظرافة شاباً ، فلازم الفكاهة البغدادي الشهير عبد الله الخياط المتوفى  
سنة ١٨٨٩ وحضر معه مجالس الأشراف ودواوين رجال الفضل والأدب .

ورحل إلى مدن العراق كالحلة والبصرة وحواضر الخليج ، وزار الكويت والبحرين  
والحجاز انتجاعاً للرزق ، ومدح الشيخ والسراة . وعين قاضياً للقطيف فأصبح ، كما  
قال عبد الله الجبوري في كتابه «من شعرائنا المنسيين» (١٩٦٦) ، ممدوحاً بعد أن كان  
مادحاً . لكن القضاء في تلك البلدة النائية لم يستقم له إلا شهوراً ، وعاد إلى بغداد قبيل  
إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ .

عمل في الصحافة فتولى تحرير القسم العربي من جريدة الإرشاد التي أصدرها  
حسين فريد في شباط ١٩٠٩ . ثم مضى إلى البصرة وحرّر جريدة إظهار الحق (أول  
حزيران ١٩٠٩) ، وكان صاحبها قاسم جلميران . وعين كاتباً في المحكمة الشرعية  
براتب حسن ، فقال - على ما رواه عباس العزاوي في الجزء الثاني من تاريخ الأدب  
العربي في العراق (١٩٦٢) : «إن حظي لا يمتثل مثل هذا الراتب ، وهو مؤذن بقرب  
أجلي واستيفاء رزقي» . وقد توفي بعد أشهر قليلة في البصرة في ٣ تشرين الثاني ١٩١٠  
مصاباً بمرض الهيضة .

عاش عبد القادر شنون بائساً عاثر الجدد ، ومات منسياً وتفرّق معظم شعره .

ولعلّه كان من حيث الفقر وسوء الحظّ والظرف والإقذاع في الهجاء أشبه بالشاعر  
المصري محمد إمام العبد (١٨٦١ - ١٩١١) صاحب حافظ إبراهيم ، الذي قال :  
أنا ليل ، وكل حسناء شمس ، فـاقتراني بها من المستحيل !  
شعره :

قال عبد القادر العبادي في جسر بغداد سنة ١٩٠٢ :  
هي الحضارة ما تعلوبه الرتب وما سوى العدل في الدنيا لها سبب

وقد تخلص إلى مدح السلطان عبد الحميد الثاني ووالي بغداد نامق باشا الصغير، ثم ذكر تشييده جسراً على دجلة :  
 كل البدائع جاءت في صناعته  
 كأنه، ووضوح في طرائقه،  
 إن قال واصفه : فاق الحديد، فلا  
 إلخ . . .

وقال في منارة سوق الغزل، وهي من بقايا جامع الخلفاء :

عُجج بالرصافة وابتك ربعا البالي  
 وانظر بعينيك في أطراف ساحته،  
 فذني منارتيه في الجو شاخه  
 جميلة ما رأى الرائي كرفعتها  
 غريبة الشكل لا زالت تحترنا  
 قد عشعش الذل في أعلى دوائرها  
 تمنطقت باسم بانيتها مفاخرة

لقد أحب الكتاب واتخذ صديقاً وسميراً فقال :

كتابي، لا أروم سوى كتابي،  
 أجيل الطرف فيه فيجتلي لي  
 إذا غمزت قناة الدهر قلبي  
 لئن أخطأت في فكركي ببحث  
 وإن شاهدت من قومي جفاءً  
 فكم خفت فيه هموم ما بي  
 مخائل حكمته في كل باب  
 أدوي في مباحثه مصابي  
 ففيه قد هديت إلى الصواب  
 يسليني بأقوال عذاب

ولا ندري هل ملك كتاباً في حياته، وهو البائس الفقير، أم كان في المتربة كصاحبه  
 جعفر الحلبي الذي قال :

ملكيت فكركي بكار المعاني  
 وكان عبد القادر شتون كثير التحسر على آثار المجد العربي، يبكي على أطلالها  
 ويسترجع ما مضى من صورها وأشكالها، فقال في المستنصرية :

يا دار، ما بال ربع العلم ينعاك  
 يا دار علم عفت منها معالمها  
 لهفي على ربعك المأنوس إذ خليت  
 لهفي على حلقات العلم ما صنعت  
 فما دها في السورى أعلى مزايك  
 يد الخمول، فمن أفتى فأغواك؟  
 منه أفاضل حلّوا في ثناياك  
 أبحاث علمهم في ظل جدواك

وقال يندب أطلال سامراء :

هذي مبانيهم ، فأين الباني ؟ فتكت بها وبه يد الحدثان  
خلت الديدار فليس تلقى بينها غير الوحوش ومجمع الغربان  
غدرت بها أيدي الزمان ، كأنها لم تحو من حور ومن ولدان

وأعلن الدستور العثماني فاستقبله شاعرنا ، كما استقبله غيره من رجال الشعر  
والأدب ، بالبشر والأمل ، وحيًا مطلع عصر الحرية فقال :

ألا إن عصرًا جاء بالحقّ مشرقاً هو العصر لا عصر من الظلم أغبر  
رعى الله عصرًا فيسه للحرّ راحة يقول فلا يخشى الأنام ويظهر  
بيت قريير العين ، غير مفكّر بما كان قبل اليوم فيه مفكّر

### عبد المهدي الحافظ

عبد المهدي بن صالح بن حبيب الحافظ من أعيان كربلاء وتجارها وأدبائها ، ينسب  
إلى أسرة خفاجية استوطنت المشهد الحسيني . وقد ولد في كربلاء ودرس في معاهدها ،  
وأخذ العروض عن الشاعر الشيخ كاظم الهرّ ، وتعلم اللغات التركية والفارسية  
والفرنسية .

انتخب رئيساً لبلدية كربلاء ، ثم ناب عنها في مجلس النواب العثماني من كانون الأول  
١٩٠٨ إلى كانون الثاني ١٩١٢ . وتوفي بكربلاء في شباط ١٩١٦ .

نقل عباس العزاوي في الجزء الثامن من كتابه «تاريخ العراق بين احتلالين» إن عبد  
المهدي الحافظ كان ذكياً ذا سلطة وجراً ، تزعم في أثناء الحرب العظمى حركة انتفاض  
على السلطات التركية ، فأهين الموظفون وأخرجوا من الحاضرة ولم يعادوا إليها إلا  
بمساعدة حكومة بغداد .

وترجم له سلمان هادي الطعمة في كتابه «شعراء من كربلاء» ، فقال إنه شبّ شاعراً  
متوقد الذهن ، بليغ البيان ، واسع الاطلاع ، حفظ عيون الشعر العربي ، وكان خطيباً  
مفوّهاً . وكان ديوانه المطلّ على الروضة الحسينية محط أنظار رجالات البلد وملتقى أهل  
الأدب . . .

امتاز شعره بالرقة والعاطفة المرهفة . ونظم قصائد في الغزل والشبيب على الطريقة  
القديمة ، منها قوله :

إلى الله أشكو ما أقاسي من الجوى غداة استقلّت بالحبيب ركائبه  
وأفسر ربع طالما كان حالياً به فخلت أكنافه وملاعبه  
فبتُّ أقاسي ليلّة مكفهرة وليس سوى الشّعري بها من أخاطبه  
أكفكف فيها الدمع ، والدمع مرسل كغيث همي لما ارجحت كتائبه

وأندب عيشاً حرّمته يد النوى  
وأذكر داراً طالما بت أنساً  
غريراً إذا ما قصر الليل وصله  
فمن لي برّيع غاب عنه ربيعه  
وعاث به من جائر الدهر لابعه  
بها بأغنّ ماطل الوعد كاذبه  
أمّدت ليالينا القصار ذوائبه . . .  
ومّن لي بقلب ودّعته جائبه  
حدّثني أحمد حامد الصراف أن الحاج عبد المهدي توفي كهلاً وكان ينظم الشعر  
الرائق باللغة الفارسية .

## محمد رضا الأصفهاني

الشاعر الفقيه محمد رضا الأصفهاني النجفي ، وهو ابن محمد حسين بن محمد باقر بن محمد تقي . عرفت أسرته بالزعامة الدينية في أصفهان ، وأمهم بنت الشيخ جعفر كاشف الغطاء . وجدّه الشيخ محمد تقي صاحب كتاب هداية المسترشدين في شرح معالم الدين .

ولد محمد رضا في النجف سنة ١٨٧٠ ودرس في معاهدها . وقد نظم شعراً كثيراً وألّف كتباً منها : نقض فلسفة داروين (في جزعين) ، الردّ على البهائية ، وقاية الأذهان (في أصول الفقه) ، إلخ .

توفي بمدينة أصفهان سنة ١٩٤٣ . وكانت له في شبابه صحبة ومطارحات شعرية مع السيد جعفر الحلّي المتوفى سنة ١٨٩٧ ، فكتب إليه الأصفهاني معاتباً ومداعباً :

حللتُ حمى الحليّ ألتمس القبري  
جزاء سنهار جزائي ، ولم أكن  
ولم يرع لي حق الإخاء وسبني  
وكان لأمالي ربيعاً ومرعباً  
فقل لأبي يجيى ، وإن هو ملني :  
(صدودكم وصل وسخطكم رضا  
فأجابه الحلّي بقصيدة قال منها :

وحقّكم ما ازورّ لي عنكم جنب  
صوت إليكم قبل أن أعرف الصبا  
رأيتكم أحنى وأعطف من أبي  
فقلت لنفسي : ها هنا ويحك احبسي  
ولا حلن أحسوالي ولا انقلب القلب  
وما كنت لولا طيب إحسانكم أصبو  
عليّ وأوفى الصحب إن خانني الصحب  
فهذا المكان الرحب والمنزل الخصب

وقال في الأصفهاني بعض أدباء النجف : «وللشيخ آغا رضا . . . حظ وافر من الأدب ، وباع طويل في النظم والنثر ، وشعر رائق جمع فيه بين ظرافة الفرس وفصاحة العرب» .

وقال الدكتور علي الوردي في مقدمة الجزء الثالث من كتابه «المحاث الاجتماعية من تاريخ العراق الحديث» إن مجلة المقتطف كانت تنشر مقالات متسلسلة في شرح نظرية داروين بقلم الدكتور شبلي شميل . وحين وصلت المجلة إلى العراق ، انبرى لها بعض علماء الدين في النجف يردون عليها ويفندونها ، وكان أنشطهم في ذلك الشيخ آغا رضا الأصفهاني والشيخ جواد البلاغي ، وألفوا في ذلك كتباً ضخمة بأسلوبهم الجدلي . وقد أرسل أحدهم كتابه في نقد النظرية إلى شبلي شميل ، ظناً منه أن هذا الرجل سيقتنع بسقم النظرية بعد قراءته للكتاب وسيعلن تركه لها ، لكن شبلي شميل أرسل إليه جواباً مقتضباً هذا هو : «عذرک جهلک ، والسلام» .

### عبد الحسين الحويزي

الشاعر الشيخ عبد الحسين بن عمران الحويزي ولد في النجف في حزيران ١٨٧٠ من أسرة هاجر جدّها الأعلى من الحويزة وأقامت في الغري منذ سنة ١٨٣١ . درس على إبراهيم آل بحر العلوم الطباطبائي ومحمد حسين الكشوان وغيرهما من العلماء والأدباء .

وامتهن البزاة تجارة والده ، ثم بارت تجارته فمضى إلى كربلاء في سنة ١٩١٧ وأقام فيها يعاني البؤس وشنظف العيش ويتكسّب بشعره .

وتوفي بكربلاء في آب ١٩٥٧ . وقد نشر جزآن من ديوان الحويزي (١٩٦٤ - ١٩٦٥) ، كما نشرت له ملحمة باسم «فريدة البيان» (١٩٥٥) في مدح الرسول الأعظم وآل البيت .

وشعر الحويزي تقليدي قديم الطابع مواضيعه المدح والرثاء والغزل والهجاء والفخر وما مائلها من الأغراض . وذكر سلمان هادي الطعمة في كتابه «شعراء من كربلاء» أنه عاصر الحبوبي والزهاوي والرصافي والهنداوي وغيرهم من مشاهير الشعراء وكانت له معهم صولات وجولات في ميدان الأدب .

من شعره في ثورة العشرين :

أبطلق شعبنا للزحف ساقا	وكم خطب له الحدثان ساقا
لقد عقد الضغائن فيه خصم	بخدعته ليحتل العراقا
فأورى فتنة عمياء شبت	ليصلي حزب جبرته احتراقا

إلخ . . .

## الملا عثمان الموصلّي

من أذكىء المكفوفين وآيات الفطنة وحسن التصرف، الملا عثمان الموصلّي المولوي، كان حافظاً مقرئاً وموسيقياً شاعراً يجيد اللعب بالشطرنج والعزف على العود وآلات الطرب.

وهو عثمان بن عبد الله السقاء ابن فتحي بن عليوي آل الطحان. ورجح الدكتور عادل البكري، الذي ألف كتاباً فيه سنة ١٩٦٦، أنه ابن عبد الله بن محمد بن جرجيس من البوعلوان إحدى فرق الدليم.

ولد عثمان بالموصل سنة ١٨٥٤ لأسرة فقيرة، وفتح بوفاة والده وعمره سبعة أعوام، وكان قبل ذلك قد أصيب بالجذري ففقد بصره. وتعهده الوجيه محمود بن سليمان العمري بالرعاية، فهياً له حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة. ومضى بعد ذلك إلى بغداد سنة ١٨٨١ بصحبة أحمد عزت باشا ابن محمود العمري ودرس على الشيخ داود النقشبندي وبهاء الحق. ودرس المقام وأصول الغناء على مغني الموصل، ثم اتصل بالمشهورين من رجال الفن في بغداد وأخذ عنهم.

ذهب إلى الحج، ثم عاد إلى الموصل سنة ١٨٨٦، وقصد استانبول (١٨٨٩)، وقفل راجعاً إلى بغداد. وشد الرحال مرة ثانية إلى قاعدة السلطنة والخلافة، وعرج على مصر سنة ١٨٩٥ فلبث فيها خمسة أعوام طبع في أثناءها كتبه وأصدر في القاهرة مجلة «المعارف» (١٨٩٧).

وفي سنة ١٩٠٠ مضى إلى استانبول، ثم قصد الشام وبقي فيها من سنة ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩. وأدى فريضة الحج ثانية، وعاد إلى دمشق، ثم زار بيروت واستانبول ودمشق وحلب، حتى عاد أخيراً إلى الموصل في حزيران ١٩١٣.

أخذ عنه فريق من المغنين والموسيقين في مصر ودمشق، منهم الشيخ سيد درويش ومحمد كامل الخلعبي وعلي محمود وأحمد أبو خليل القباني. وعلت له شهرة في دار الخلافة في قراءة الموالد وإحياء حفلات الذكر ومجالس الصوفية.

قدم بغداد في نيسان ١٩١٤ فعيّن شيخاً للقراء بمدرسة جامع المرادية. وعرفت بغداد فضله، فكان محور حلقاتها وواسطة عقد أنديتها والمجلي في محافل الأوس والطرب. ذكره إبراهيم الواعظ في «الروض الأزهر» بمناسبة عقد قرانه في تشرين الأول ١٩١٤، قال:

«ثم بعد أيام شرف حضرة بلبل القسطنطينية ومصر والشام والعراق، الذي ذاع صيته حتى علا الآفاق، الأكمل اللوذعي والشاعر الألمي المولوي الملا عثمان أفندي الموصلّي حفظه الله إلى دارنا. وبعد تلاوة عشر من الكلام القديم، قال مؤرخاً عام

القران ، وفي الأبيات :

زفافك ، فرع المصطفى وابن مصطفى ،  
توخت شمس الفضل عن جعفر الهدى  
شقيقك إسماعيل أبدي له الهنكا  
بعرسك هتان المنى قال أرتخوا :  
زفاف على الزهر السواري به الفخر  
غدت لك شمساً حيث أنت لها البدر  
وذلك بعدي حيث لي عندكم ذكر  
زفافك ، إبراهيم ، شخ به خيرا  
وقامت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ فكان للملا عثمان مواقف فيها محمودة شعراً  
وخطابة . وأدركته الوفاة ببغداد في ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٣ .

وقد أقيم له تمثال في مسقط رأسه الموصل سنة ١٩٧٠ . رئاه عند وفاته عبد الرحمن  
البناء بقصيدة مطلعها :

رحلت ، والصدر بالإيمان ملآن ، في ذممة الله شيخ العلم عثمان  
مؤلفاته :

من مؤلفاته المطبوعة في استانبول والقاهرة : الأبيكار الحسان في مدح سيد الأكوان  
(١٨٩٥) تخميس لامية البوصيري (١٨٩٥) المراثي الموصليّة (١٨٩٧) مجموعة سعادة  
الدارين (١٨٩٨) . ونشر أيضاً : الأجوبة العراقية لأبي الثناء الألويسي (١٨٩٠) الترياق  
الفاروقي (ديوان عبد الباقي العمري الفاروقي ، ١٨٩٨) ، إلخ .

قال عثمان الموصلي يمدح يوسف السويدي :

سلمنا الخطوب وثلنا المرام  
تناديه أربابنا مرحباً  
بآبائه ضياء نور الهدى  
وقال فيه أيضاً :

رسالة البرق قد جاءت مبشرة  
أنجى الإله عزيز مصر وانكشفت  
ومن شعره الصوفيّ ، قال :

بنو المصطفى ، قلب المتيم قد أبدى  
لکم فرط وجد لا سلمى ولا سعدي  
وقال :

قلبي بحبكم ، والله قد جذبا ، وظل فيكم عن الأغيار محتجبا

ذكره الدكتور مصطفى جواد في بحث له عن الغناء والمغنين في العراق فقال : « . . .  
وملا عثمان الموصلي الضرير كان من أعلام المغنين والموسيقيارين ، وله فيها تأليف ،  
ويحسن قراءة المولد النبوي .

وكان من الخطباء المصاقيع في الحركة الوطنية بالعراق . أدركته ، وكان يضع على رأسه القلنسوة المولوية البيضاء من اللبد ، توفي قبل عدة سنين .

وقال محمد هاشم الرجب استاذ المقام العراقي في معهد الفنون الجميلة ببغداد :

«الشيخ عثمان الموصلي . . . وهو إمام أهل الفن في هذا المضمار (أي مضمار المقام العراقي) يتدع القطعة ببراعة في الأسلوب ودقة في الأداء . يجيد الغناء بأفانينه ، يرتجل الشعر الرصين في المناسبات حسب البحور اللازمة لكل مقام ، كما يحسن الضرب على العود والنفخ بالناي والعزف على القانون . وهو كفيف» .

وقال جلال الحنفي : «كان كثير الأسفار في البلاد والتجول فيها . وكان صوته غليظاً أجش وفيه بحة – وإلى الملا عثمان تنسب عشرات التنزيلات والاشغال المولوية المستعملة اليوم في الموالد النبوية» .

وذكره أيضاً إبراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون : أخبارهم ومجالسهم» باسم الشيخ عثمان البصير ، فقال انه كان يتولى تدريس علم التجويد والقراءات في جامع الحفافين ببغداد . ثم قال : «وكان حسن الصوت والأداء يخلب الألباب ويسحر العقول بنغماته الشجية ، فضلاً عن كونه كان عالماً فاضلاً وشاعراً . . . وله إلمام في الموسيقى ، وكان يحسن قراءة المولد النبوي» .

حدثني محمود صبحي الدفترى عن ذكاء الملا عثمان الموصلي فقال انه كان يعرف الناس من صوتهم أو لمسة يدهم .

قال الدفترى : سافر أبي فؤاد إلى استانبول سنة ١٩٠٥ ، فكان يجتمع دائماً بصديقيه موسى كاظم الباجه جي ووفيق الربيعي ، فيأخذون الملا عثمان إلى بعض الأندية أو المقاهي ويتمتعون بفكاهاته ولطائفه . وذهبوا مرة إلى المسجد الذي كان يعظ فيه ويقرأ الأذكار ، فلما أطال وأسهب ، نبهوه إلى وجودهم ، فقال منغماً في أثناء ترتيله :

يا فؤاد ، يا موسى ، يا وفيق ، إنني أنتهي قريباً ، فانتظروني . وحسب الأتراك الموجودون في المسجد أن ذلك من جملة التراتيل فكانوا يردون على أقواله : آمين ، آمين !

ولم يلتق محمود صبحي نفسه بملاً عثمان إلا في سنة ١٩٢٠ . كان يسير بصحبة أحد أصدقائه ، فتقدم محمود صبحي وسلّم عليه وصافحه قائلاً إنني أنتشرف برؤيتك لأول مرة ، ايها الملا المحترم ، ولكنني سمعت عنك الشيء الكثير من والدي . وتمایل جسمه يميناً ويساراً على عادته حين يفكر ، ثم قال على البديهة :

أوراق إخلاصي ، إذا ما كتبت ،  
تشر في البلدان حسن الأسطر  
كلها محفوظة في مهجتي  
ومهجتي عند فؤاد الدفترى



## الشيخ محمد السماوي

من شعراء المدرسة القديمة في العراق وذوي البصر بالكتب والمخطوطات القاضي الفقيه ، وهو - كما سمى نفسه في تقرّيب قديم لكتاب «الروض الأزهر» الذي ألفه مصطفى نور الدين الواعظ ونشره ولده ابراهيم الواعظ - محمد ابن الشيخ طاهر التركي الفضلي الشهير بالسماوتلي ، ولد في بلدة السماوة على الفرات سنة ١٨٧٦ . ولما بلغ العاشرة من عمره أرسله والده إلى النجف فدرس في معاهدها ، ثم قصد سامراء ولازم عالمها الامام حسن الشيرازي . وعاد إلى مسقط رأسه سنة ١٨٩٧ ، ولبث متنقلاً بين السماوة والنجف حتى سنة ١٩١٣ حين قصد بغداد إذ أصبح عضواً في مجلس الولاية .

احتل الانكليز العاصمة العراقية سنة ١٩١٧ فبارحها إلى النجف ، وعين قاضياً شرعياً بها في ٢٤ آذار ١٩٢١ . ونقل قاضياً لكربلاء (حزيران ١٩٢٤) فبغداد (آب ١٩٢٥) ، وعين عضواً بمجلس التمييز الشرعي الجعفري (١٩٢٦) . وأعيد قاضياً جعفرياً في بغداد (كانون الاول ١٩٣١) فالنجف (شباط ١٩٣٤) ، حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٣٥ .

وقد قيل إنه فصل من الخدمة وفقاً لأحكام قانون ذيل قانون انضباط الموظفين بناء على مسعى السيد محمد الصدر ، فداعبه محمد علي اليعقوبي قائلاً ، بحسب رواية جعفر الخليلي :

قل للسماوي الـــــــذي      فلك (القضاء) به يدور  
الناس تضربها (الذيول)      وأنت تضربك (الصدور) .

وسكن السماويّ النجف بعد ذلك منصرفاً إلى عالم الكتب . وانتخب عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي في ايار ١٩٤٩ . وأدرجه الخيام في النجف في ١٦ تشرين الاول ١٩٥٠ .

### شعره ومؤلفاته :

نظم محمد السماوي الشعر ، وهو في ميعة الصبا ، فأكثر منه في الغزل والانشائيات ، ثم اقتصر في نظمه على مدح النبي وآله .

ومن مصنفاته : شجرة الرياض في مدح النبي الفيّاض (١٩١٢) ثمرة الشجرة في مدح العترة المطهرة (١٩١٣) إيبصار العين ، في أنصار الحسين (١٩٢٣) ظرافة الأحلام (١٩٤١) تاريخ المعصومين ، صدا الفؤاد (١٩٤١) عنوان الشرف في وشي النجف (١٩٤١) مجالي اللطف بأرض الطفّ (١٩٤١) وشائج السراء في شأن سامراء (١٩٤١) الكواكب السماوية في شرح قصيدة الفرزدق العلوية (١٩٤١) موجز تواريخ أهل البيت (١٩٦١) الخ . . .

ومن مؤلفاته المخطوطة: الطليعة في شعراء الشيعة (ثلاثة مجلدات) قرط السمع (أرجوزة في الربع المجيب). ونشر كتاب المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة الخ... لابن الجوزي (١٩٣٠) ومقتل الحسين للموفق الخوارزمي (في جزئين، ١٩٤٨).

نهج في شعره على الطريقة القديمة، فاستهل أماديجه متغزلاً، كما قال في مدح الرسول الأعظم:

أخجلت جيد الريم بالالتفات  
بسمت زهواً بشتيت اللمي  
تقول الناس بتحقيقه  
نثر إذا لحن ثناياه لي  
جلا علينا فمه خرة

وقال في مدح علي السجّاد بن الحسين:

أبدي لي ممّ احـوزار المقل  
بثّ منها، وهي سكرى، ثملاً  
تلفت نفسي، أما يرأف بي

وقال يتلهف على الشباب المدير:

أبعد أن عرى الصبا أفراسه  
خفض عليك فالمشيب قد أتى  
لم تدع الخمسون منك جانباً  
سوّد لي غصن الشباب كُتَبه

وقال متغزلاً في مطلع قصيدة له مدح بها السيد مصطفى نور الدين الواعظ مفتي الحلة:

صليني، يا أميم، كما قطعت  
فديتك قد شربت بقاء وجهي  
أيتك أشتكي فصفحت عني  
تقولين: السلوب به حقيق  
سلووي مثل وصلك مستحيل  
أجدك هل علمت طويل ليلى  
وعاصي العاذلين كما أظعت  
رضاك فما رضيت وما قبلت  
كأنك ما رأيت وما سمعت  
عفا الرحمن عنك، لقد ظلمت  
فإن أسلو، ولن أسلو، وصلت  
فإني قد سهرت وما سهرت...

## وقال في النجف :

ألم على ذكــــــــــــــــوات النجف  
هواءً نقياً تحفّ النفوس  
وترباً زكياً يودّ الفؤاد  
وعرفاً ذكياً يغير الكبا  
وإخوان صدق رقيقي الطباع  
كما كــــــــرام يــــــــرون الشرف  
يــــــــؤلفهم جــــــــامع من ولا  
كان الجماهير حــــــــول الضريح  
كان صــــــــفوفهم في الصلاة  
كان العلــــــــوم إذا دارســــــــوا  
سل الصحن كم فيــــــــه من لائذ  
وكم فيــــــــه من مستقيل يــــــــقال  
وكم فيــــــــه من ذاكر رــــــــبه  
ونظم محمد السماوي أراجيز في تاريخ النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء ، قال في مطلعها :

أحمد من قــــــــدد أنشأ الســــــــماء  
واختصّ بعض الخلق دون بعض  
والأرض وامتــــــــازهما إنشــــــــاء  
بفضله من الســــــــماء والأرض . . .

قال جعفر الخليلي : «لم يعرف التاريخ عالماً في العصور المتأخرة أحاط بالكتب القديمة وتواريخها ومواضيعها وقيمة الكتب الأثرية ونفاستها كالشيخ محمد السماوي . . . فهو في عصورنا المتأخرة كمحمد بن اسحق (ابن النديم) صاحب الفهرست في عصره ، فقد كان السماوي مرجعاً فذاً في تبيين الكتب القديمة ومطابقتها وجودها . . . وقد جاءته هذه الملكة من افناء عمره الطويل في جمع الكتب ، والمخطوطات بصورة خاصة ، وللكتاب في نفسه منزلة ما حاكها شيء معزّة وحباً وتقديساً .

ولقد روى الراوون عنه ، على سبيل الفكاهة ، قوله : إنه عمل قاضياً أكثر من ثلاثين سنة (كذا) ، وكان يجنّب نفسه الاتصال بغير أصدقائه الخالص المتقين ، وكان يرفض قبول أية هدية من أي شخص . . . حذراً من أن تشوب حكمه شائبة من العواطف . لقد قال : «لقد حاول الكثير إغرائني بشتى الطرق فلم يفلحوا لأنهم لم يكتشفوا نقطة الضعف في نفسي ، ولو عرفوا قيمة الكتب عندي ومنزلتها في نفسي لأفسدوا لي برشوة الكتب كل أحكامي ا»

وكانت له مكتبة نفيسة جمع فيها المطبوعات والمخطوطات النادرة، ولقد طالما نسخ الكتب بخطه وجلدها بيده ليضمها إلى خزانته. وقد بيعت بعد وفاته وتفرقت مجلداتها.

وللشيخ محمد السماوي رسائل ذات الديباجة القديمة، منها ما كتبه في مقدمة رسالة إلى المفتي السيد مصطفى نور الدين الواعظ سنة ١٨٩٨:

كفى حزنناً أني أرى الورد حاضراً      لسديّ ولكن لا سبيل إلى الورد  
وما كنت أخشى أن تكون منيتي      بكفّ أعزّ الناس كلهم عندي  
السلام الذي تهلّلت أغصانه النواضر، وتهلّلت غمامه المواطر، وتنافحت نسائمه  
العواطر، فضاء برقه، وضاع عبقه، وارتاح ودقه. والتحية التي تحيي المريض، وتشفي  
المريض، وتبرد القلب المريض، وتلبس ثوب المجد الطويل العريض، فهي أقرّ على  
العين من رؤية الروض الأريض. والثناء الذي عذب رقيق لفظه وملح حرّ معناه، وحلا  
بيته على كل سمع ولدّ مغناه، فهو أنظر من برد الشباب، وأنضر من مواصلة  
الأحباب، يهديها وينيرها ويسديها:

مغرم ما تنفّست نسائم الجوّ (م)      إلا وهيجت أنفاسه  
وإذا ما السوميض لاح تلظّى      وثنى طرفه وأطرق راسه  
وهي طويلة نشر نصّها في كتاب الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر لناشره  
ابراهيم الواعظ. وختمت الرسالة بقصيدة طويلة في مدح المفتي، ومطلعها:  
صليني، يا أميم، كما قطعيت      وعاصي العاذلين كما أظعت  
حتى يقول:

همام قد تفرّج من همام      بأصل طيب في المجد بخت  
لقد غرسته دوحه آل فهر      بأطيب تربية وأعزّ نبت  
أطاب الخلق منه حسن خلق      وزان الصمت منه حسن سمّت  
تجمّع في علاه كلّ وصف      وحاز على علاه كلّ نعت  
الخ . . . .

## رضا الهندي

الشاعر رضا الهندي ابن السيد محمد بن هاشم الموسوي، ولد في النجف سنة ١٨٧٣، ودرس على محمد كاظم الخراساني المعروف بـ«الأخوند». وقد تفقّه في علوم الدين وقرض الشعر فجوّده.

كتب عنه جعفر الخليلي في الجزء الأول من كتابه «هكذا عرفتهم» فقال إنه بارع النكتة، لطيف المحضر، لم تنحصر صفاته بالأدب، بل كان فقيهاً غزير المادّة، واسع الاطلاع، له في العلوم الدنيوية، ولا سيما الردود على الذين تناولوا الدين الاسلامي، جولات وصورات... وقال انه ولع بالبديع ولعاً كبيراً، ووضع «مقامات» هي شعر إذا شئتها شعراً يبحور مختلفة وقوافٍ متنوعة، وهي نثر إذا شئتها نثراً مسجّعاً أو مرسلًا. وله تواريخ شعرية غريبة في بابها، ومن قصائده التي اشتهرت «الكوثرية»، ومطلعها:

أمفلج نغرك أم جوهر ——— ورحيق رضا بك أم سكر ———  
قد قال لنغرك صانعه: «إننا أعطيناك الكوثر».

وروى جعفر الخليلي طرفاً من لطائف رضا الهندي، ومنها أنه حكّمه ذات يوم في قضية أدبية - وكان يحسب نفسه محقاً فيها - فحكّم لخصمه. وغضب الخليلي لذلك الحكم، فقال له الهندي: «إذا كنت تريد العراك وكنت شجاعاً، فيجب أن تبحث عن «تركي» حاد المزاج لا أن تقصد «هندياً» بارد الطبع مثلي».

توفي السيد رضا الهندي في حزيران ١٩٤٣ في الفيصلية.

طبعت قصيدته الكوثرية في مدح أمير المؤمنين علي بن ابي طالب، وطبع من مؤلفاته: بلغة الراحل، الميزان العادل بين الحق والباطل (١٩١٣).

## عبد الحق الأعظمي

عبد الحق حقي الأعظمي الشاعر الأديب ولد في الأعظمية من ضواحي بغداد سنة ١٨٧٣ ودرس في معاهدها. ثم مضى إلى الهند، وهو شاب، فعهد اليه بالتدريس في كلية عليكره (وهي مدرسة أنشأها في تلك المدينة سنة ١٨٦٤ السر السيد أحمد خان ليجمع فيها التعليم الاسلامي القديم إلى العلوم العصرية، وقد رفعت الى مصاف الجامعات سنة ١٩٢٠).

عاد الأعظمي إلى بغداد بعد الحرب العظمى الاولى ونشر شعره في المجلات والجرائد. وألف: أعجب العجب من أحوال العرب (طبع بالقاهرة، ١٩٢٢).

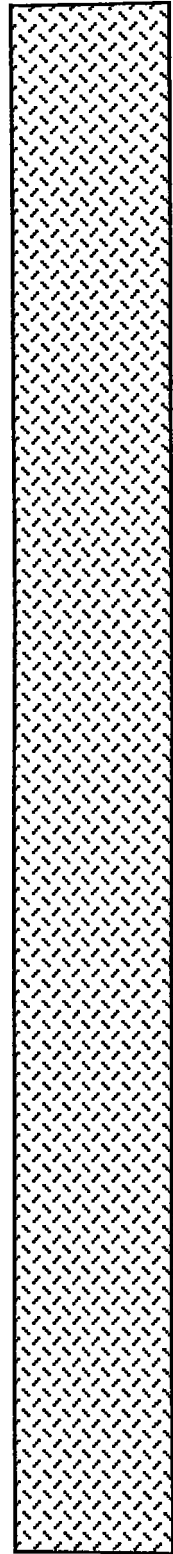
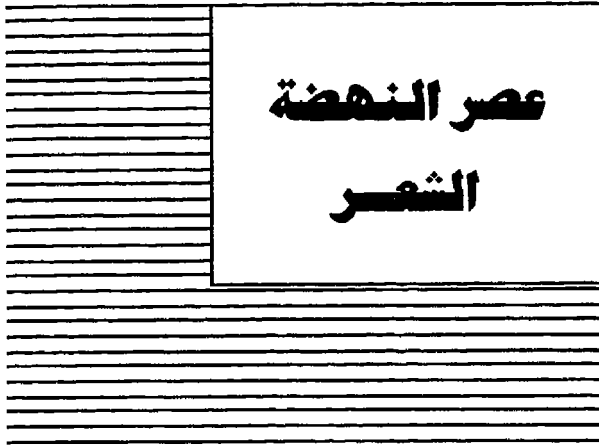
أثنى عليه الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة «المنار»، وقد عرفه حين زار الهند سنة ١٩١٣ وقال إن الأعظمي كان مدرس اللغة العربية في مدرسة العلوم الكلية.

سافر إلى مكة فوفاته منيته بها سنة ١٩٢٤، كما يستفاد من رثاء له بتوقيع «زهير» نشر في جريدة الضاد البغدادية لصاحبها محمد صالح سليم السهورودي (في العدد الخامس المؤرخ ٢٥ آب ١٩٢٤)، ومطلعه:

بكى العراق بدمع سال منسكبا  
تالله قد كان عبد الحق بدر هدى  
العلم من بعده قد بات منكسراً  
والأعظمية في ثوب الحداد غدت  
منّا عليك سلام كلما قرئت

على الذي يتمّ الأقلام والأدبا . . .  
يهدي السورى غير أنّ اليوم قد غربا  
والشعر من بعده قد صار منعطبا  
تقول: أين نزيل الهند قد ذهباً؟  
قصائد لك كانت تسحر الأدبا









## جميل صدقي الزهاوي

شاعر النهضة الأدبية جميل صدقي بن مفتي بغداد محمد أمين فيضي الزهاوي ولد ببغداد في ١٨ حزيران ١٨٦٣ وتوفي بها في ٢٣ شباط ١٩٣٦ . كان نائباً في مجلس النواب التركي وعضواً في مجلس الاعيان العراقي . وقد ترجمت له في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية» ترجمة وافية . اهتم الزهاوي بتحرير المرأة واتخذ شعره أداة للدعوة إلى تنقيفها وانهاضها . وكانت شقيقته الأنسة أسماء الزهاوي من رائدات النهضة النسائية ، إذ أسست «جمعية النهضة النسائية» في بغداد سنة ١٩٢٤ وانتخبته رئيسة لها . وعهدت بنبابة الرئاسة إلى السيدة نعيمة قرينة نوري السعيد .

عين الزهاوي على أثر احتلال بغداد عضواً بمجلس المعارف في أول ايلول ١٩١٨ واستمر فيه إلى ٣١ تموز ١٩٢١ . واختير في ١٩ شباط ١٩٢٠ مدرساً للغة العربية بمدرسة الحقوق . وعين رئيساً للجنة تعريب القوانين التركية في نظارة العدلية في أول آذار ١٩٢٠ حتى الغاء اللجنة في ٣٠ حزيران ١٩٢١ .

انتخب نائباً عن المنتفق في مجلس المبعوثان (١٩١٢) وناب عن بغداد في المجلس الذي تلاه . وقد عاد إلى بغداد قبيل نشوب حرب ١٩١٤ فبقي فيها ولم يعد إلى استانبول لحضور جلسات المجلس النيابي بخلاف زميله معروف الرصافي نائب المنتفق الذي لبث في العاصمة التركية إلى سنة ١٩١٩ .

وقد اشترك الزهاوي مراراً في مناقشات المجلس ، فاعترض على جباية الضرائب من دور الفقراء واعفاء قصور الأمراء ووصيفات آل عثمان . وانتصر لحرية الصحافة عند بحث قانون المطبوعات فقال : أثبت تاريخ الأمم أنه كلما اشتد تضيق الخناق على حملة الأقلام والأفكار كان الانفجار عظيماً . وطالب الحكومة بجعل الأحكام العرفية تابعة للتمييز . وطلب جعل اللغة العربية لغة رسمية للمحاكم في العراق تحقيقاً للعدالة ولغة التدريس في المدارس . ودعا إلى تأسيس كلية طبية في بغداد أسوة بدمشق . وناقش شؤون الزراعة ودعا إلى العناية بها .

وذكر سليمان فيضي في مذكراته «في غمرة النضال» أن بعض القادة البحرين أوقفوا أوقافاً تصرف غلتها للأئمة الذين يقرأون البخاري في السفن الحربية . قال الزهاوي عند المذاكرة في ميزانية القوة البحرية إن البواخر تسير بالبخر لا بالبخاري وطالب بإنفاق

تلك الغلة على نشر التعليم ليتقن الناس استعمال البخار.

وفي مناسبة أخرى قال الزهاوي إن الآية الكريمة ﴿إِنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ لا تعني بالصالحين العباد والنساک بل تعني الصالحين لإعمارها، وقوبلت كلماته بالضجيج والاستنكار والتكفير.

وكان في العهد الملكي عضواً بمجلس الأعيان (الشيوخ) (١٩٢٥ - ٢٩) فكانت الكلمات التي ألقاها ينصبّ معظمها على شؤون لغوية ولفظية. . ولما انتهت عضويته في المجلس، وقد سقط بالقرعة، ولم تجدد قال يخاطب نفسه:

سقطت فلا تحزن على ما فقدته، فما أنت بين السَّاقطين بأول  
فكم من وزير كان قبلك قد هوى (كجلمود صخر حطه السيل من غل).

### الزهاوي المتشكك:

كان الزهاوي متشككاً فحيناً مؤمناً وحيناً جاحداً وتارة أخرى لا أدرياً. وقد استهوته نظرية التطور (أو كما كانت تدعى آنئذ: نظرية النسوء والارتقاء)، فطالع آراء داروين وهكسلي وغيرهما كما ترجمها «المقتطف» وعبر عنها الدكتور شبلي شميل والدكتور يعقوب صروف وفرح أنطون وإسماعيل مظهر. ونظم هذه الآراء في قصائده رغبة منه في التجديد كما نظم سواها من الأفكار العلمية والأخلاقية.

ولم يفهم نظرية داروين على حقيقتها، فظن أن الإنسان حسب نظرية التطور متحدر من القرد فقال:

رجعت إلى الماضي البعيد بفكرتي      وقلت لقرد الغاب: يالك من قرد  
تقلبت في الأصلاب دهوراً وبعده      نسلت ابنك الإنسان نادرة الولد  
وقال أيضاً يخاطب الإنسان:

هل أنت إلا واحداً      من القرد في النسب؟  
ألم تكن وأنت في      طيور الجنين ذا ذنب  
مشابهاً جنين حيوان      لاسطاسع وذب؟

وعلماء التطور إنما قالوا ان جد الإنسان والقرد كان واحداً قبل مئات الملايين من السنين، ثم اختلف النسلان على مرّ الدهور فأنجبا الإنسان والقرد في خط متواز كلا منهما بمعزل عن الآخر. وقد قلت في ذلك:

يا قرد الغاب، نقريك السلام،  
جدنا كان لكم نعم الرفيق  
أخرج الصوت شبيهاً بالكلام،

ترك الأدغال وارتاد الطريق . . .  
زرع القمح وأنواع النباتات ،  
شيد الدور وقد أحيى الفلاة ،  
وتعالى سيد الأرض المطاع .  
ومضى يوماً إلى الغاب البعيد  
فأتى بالقرد في طوق الحديد  
هزأة يسلوبه هم الصراع . . .

آمن الزهاوي بالعقل واتخذ نهجاً مناسبات الوجود وحاول أن يستغني به عن الإيمان . لكن العقل قاصر يعجز عن إدراك منشأ الكون وخاتمته وتصوّر اللانهاية المكانية والزمانية . وحرار العقل في تعليل انبثاق الحياة وتطورها ، فاكتفى الزهاوي بأن قال :

ما حياة قديمها غير باد لك الا تطوّر في الجهاد  
وقال :

رقيت من الجهاد فصرت حياً  
وبينا نراه يكبر سلطان العقل إذا به يقول :  
للـكـون فيـما بـدا لي  
مـا قـام فيـنا حـكـيم  
ظـوا هـر و خـفـايـا  
يـجـل بـعـض القـضـايـا . . .

وهو يمعن في الإنكار في «نزغاته» التي نشرها هلال ناجي في القاهرة (الزهاوي وديوانه المفقود ، ١٩٦٣) فيقول :

تـوقـفتُ لا أدري تـجـاه الحـقـائق  
لـن وثق الجـمهور بـالله خـالقاً  
لـكنه في آخر الأمر يرتد نادماً ويستغفر قائلاً :  
أنا فيما أبديته من مقال  
شهد الله والملائكة الأبرار  
أنا خلقت الله أم هو خالقي ؟  
فـربّ حـكـيم بـينهم غير واثق  
مـخـطـىء لـي أقـل استـنـاد  
أنا ركبت غير السداد . . .  
وكذلك كان الزهاوي مؤمناً جاحداً لا أدرياً ، حكيماً حائراً متردداً ، جمع العبقرية في نقائضه وتقلباته .

جميل صدقي الزهاوي  
رواية ليلي وسمير :

(نظمها سنة ١٩٢٧ ونشرها في مجلة لغة العرب)  
يفتتح المشهد الأول بزنب تغني اغنية النوم لابنتها ليل حين كانت طفلة :

نعست بعد الرضاع وللنعاس دواعي  
تغنين فوق ذراعي والآن في المهـد نـمامي  
وهي أغنية رقيقة ساذجة العواطف تمثل نفس الشاعر الوجداني المحب للطفولة  
والبشرية .

ثم تكبر ليلى فيحبها الفتى سمير وتبادلـه الحب . ويلتقي الحبيبان على شاطئ دجلة  
في ليلة قمرء ويتحدثان في أمر الزواج . لكن الشيخ عبد الله رجل الدين الكهل الذي  
طلق نساءه الثلاث واحدة بعد واحدة يرسل الخطابات إلى أم ليلى فتزدهن . ويجرّض  
الشيخ الولي على سمير متها إياه بالطعن في الذات السلطانية ، فلا يجد سمير مناصاً  
من الهجرة إلى خارج العراق وتقديم الشكوى إلى السلطان فيأمر هذا واليه بالكف عن  
تعقيب الفتى البغدادي .

يعود سمير إلى ليلاه ويستعد لعقد قرانه . لكن الرجل المسمى رجب الذي يتظاهر  
بصداقة سمير ويكشف أسراره للشيخ عبد الله يكتب نشرة مقلداً خط سمير وفيها حث  
على الثورة باسم الحرية . ويتهم سمير بالجريمة ويقبض عليه ، بينما تمرض زوجته بعد  
ولادة عسيرة وتقضي نحبها . ويختتم شاعرنا روايته بقصائد حزينة أولها لليلى في ساعة  
موتها ، والثانية لزينب على قبر ابنتها . ويطلق سراح سمير بعد اعلان الدستور واطلاق  
الحریات ، وقد مضى على نفيه عامان ، فيعود ليرى طفله لأول مرة ويسمع خبر موت  
زوجته ، فيلقي على جدتها قصيدة شعجية :

هل ما أراه قبر ليلى مائلاً بيدو أمامي  
كذبوا فإنك في ظلام القبر يسوماً لم تنامي . . .  
سيظل طرفي هامياً يسقي ثراك على السدوم  
ويظل قلبي خافقاً مما يقاسي وهو دامي  
نوادير الزهاوي :

كان جميل صدقي الزهاوي في شبابه وكهولته مرحاً بعيداً عن التزمّت واصطناع  
الوقار .

قال ناجي شوكت في كتابه «سيرة وذكريات ثمانين عاماً» : «كنت خلال هذه الفترة  
(سنة ١٩١٦) أتردد على دار العم مراد سليمان في أغلب الليالي . وكانت الدار المذكورة  
تضم من المداومين الدائميين السادة جميل صدقي الزهاوي وأحمد القبياقجي (من ظرفاء  
بغداد المعروفين) وعزت الفارسي وعبد الرزاق الشيخ قاسم والدكتور سامي سليمان .  
وكان الزهاوي يسمعنا من شعره كل طريف ولذيد ، كما كان يسمعنا عن آرائه في الكون  
والعلم كل غريب ، أما القبياقجي فكان يبتكر لنا الحكايات المضحكة التي تدخل  
السرور على قلوبنا» .

ثم يذكر ناجي شوكت ليالي الجمعة في دار مراد سليمان الواقعة في الصليخ ،

وهي سهرات أنس وطرب. قال: «وكان الزهاوي ينقلب في مثل هذه الليالي التي تمتد حتى الصباح إلى شخصية أخرى لا تمت إلى العلم والشعر بصلة. وعند الفجر كنا نشكل دائرة (حلقة) حول الزهاوي رحمه الله ونردد الأغنية المعروفة «يا مسعد الصبحية» . .

ومن النوادر التي تروى عن الزهاوي أنه شوهد ذات ليلة في استانبول يسير في بعض الشوارع المشبوهة ، وكان آنذاك يرتدي الجبة والعمامة .

فراه شرطي من شرطة الآداب وقال له : أيها الخوجة (الملا) ، ماذا أتى بك إلى هنا؟ وأصرّ على أخذه إلى دار المشيخة الإسلامية . لكن شاعرنا تصنّع جهل اللغة التركية وأجاب بالفارسية أنه غريب وقد ضلّ طريقه . فأخذه الشرطي إلى دار السفارة الإيرانية وأخلى سبيله .

وكان الزهاوي يداوم الحضور في بغداد في مجلس محمد باشا الداغستاني . وكان لهذا القائد حديقة كبيرة ملاصقة لداره ، وفيها أقفاص للأسود والحيوانات الضارية الأخرى . وكان من الذين يحضرون المجلس مدير الشرطة التركي ، وهو رجل ضخّم الجثة ، شديد البأس ، يبالغ في أحاديثه ويروي عن نفسه قصص بطولة عجيبة . وضاق الزهاوي ذرعاً بمفاخراته ، فقال ذات يوم في المجلس الحافل : «هل تعلمون أن هرتز فلد العالم الألماني قد اكتشف في خرائب سامراء آثاراً غريبة؟ وقد وجد في ضمنها صندوقاً أكل الدهر عليه وشرب ففضّه ووجد في داخله صندوقاً ثانياً وثالثاً ورابعاً . . .»

وظلّ الزهاوي يواصل وصف الصناديق المحفوظة أحدها في داخل الآخر ، فقال له الحاضرون : «وماذا كان في داخل الصندوق الأخير؟» قال : «وجد العالم في الصندوق الأخير ورقة عليها كتابة ، فأكبّ على حلّ طلاسمها ، فإذا فيها : لعن الله الكاذبين !» .

وغضب مدير الشرطة وتحدى الزهاوي أن ينزل معه إلى قفص الأسد فيصارعه . وقبل الزهاوي التحدي ، فقام مدير الشرطة ونزع معطفه وقميصه واستعد للدخول في قفص الضواري ، لكن الزهاوي أسرع بترك المجلس والخروج هارباً . وقد ضاق الزهاوي ذرعاً بأحد الكذابين فقال فيه :

ومدّع بحياة البحر معرفة ما حازها أحد في العصر الأول  
فقلتُ : صف لي كيف الحوت ممتحناً ، فقال لي : الحوت ذو قرنين كالجمل

وكان أصدقاء الزهاوي كثيراً ما يقسون في مداعبته . فمن ذلك أنه كان يحضر مجلس مراد سليمان صباح الجمعة ، فأعدّوا له مهزلة أحكموا نسج خيوطها للسخرية منه . كان في بغداد رجل مهترج يقلّد أصوات النساء ، فاستدعي وكلف أن يرتدي الملابس النسائية ويضع على وجهه النقاب ويأتي إلى دار مراد بك صباح الجمعة ليطلب مواجهة الشاعر الفيلسوف .

وفي ذلك الصباح ، والمجلس حافل بزوّاره من أعيان بغداد وأدبائها ، والزهاوي

جالس يبهر الحاضرين بشعره ونوادره، إذا بامرأة محجبة تدخل إلى باحة الدار وتصرخ بصوت نسائي رفيع : «اين جميل الزهاوي؟ لقد وعد بزيارتي مراراً وأخلف وعده . . » واستمرت على الصراخ بكلام في هذا المعنى ، والزهاوي يقول : «والله لا أعرفها، ولم أرها من قبل»، ويطلب من صاحب الدار أن يجدوا له نجباً وأن يصرفوا تلك المرأة الرعناء . وبعد ضحك طويل هدأوا من روعه وجاؤوا بالمرأة وأمرها برفع حجابها، فإذا هي رجل يسعى .

وكان الزهاوي يقرأ شعراً له في مجلس محمود صبحي الدفكري فانتقده عارف حكمت . فقال الزهاوي : إذا دخل عارف في الأدب فإننا نخرج عن الأدب ا ونظم الشاعر قصيدة وأبردها إلى مجلة الهلال المصرية للنشر، ولم يكذ يرميها في صندوق البريد حتى بدا له أن يغير كلمة فيها، فأسرع إلى الدكتور فائق شاكر مدير البريد والبرق العام وقال له : أرسلتُ قصيدة بالبريد إلى مجلة الهلال في القاهرة اليوم وأريد أن أصحح بعض أبياتها، فأرجو أن تأمر باستخراج الرسالة وإعادتها إلي . قال المدير العام : إن استخراج رسالتك، يا استاذ، من بين آلاف الرسائل المبردة أمر عسير والأفضل أن تردفها برسالة ثانية تصحح فيها ما تريد تصحيحه . قال الزهاوي : ولكنني لا أريد صاحب «الهلال» ومحريها أن يعلموا أنني أصحح قصائدي بعد نظمها . واضطر الدكتور فائق شاكر أن يأمر موظفيه بفرز الرسائل المبردة إلى مصر واستخراج رسالة الزهاوي وإعادتها إليه .

وقد حياَ الفنانات والفنانيين المصريين الذين قدموا إلى العراق، وعمره يقارب السبعين، بقصائد عاطفية كفاطمة رشدي ويوسف وهبي ومحمد عبد الوهاب ونادرة وأم كلثوم وغيرهم . وقال :

ليس الحديث عن الهوى  
واعترض عليه بعض المتزمتين فقال :  
يريدون أن أحيا بعيداً عن الهوى  
يريدون أن لا أهبط الروض منصتاً  
وما كنت في دنيا إليّ حبيبة،  
أجل، كنت عيناً في زماني ونائباً  
من شاعر شيخ جريرة  
فلا تبتغي عيني الحسان النواهدا  
لشادٍ وأن لا أطريّ الزهر حامدا  
وإن كسدت استوفى الثمانين، زاهدا  
ولكنني ما كنت للسدوق فاقدا

الزهاوي في مهرجان الفردوسي :

أوفد الزهاوي لتمثيل العراق في مهرجان الفردوسي الذي أقيم في طهران في تشرين الأول ١٩٣٤ ، وكان معه «تلميذه» أحمد حامد الصراف .

ألقى الزهاوي قصيدة رائعة بالفارسية في المحفل الذي عقد برعاية رضا شاه بهلوي وحضور رجال الدولة والأدب والمستشرقين . وكان قد أعد القصيدة في بغداد قبل سفره وقرأها على فهمي المدرّس فاستحسنها . ولما فرغ الزهاوي من القائها ضجّ المجلس بالتصفيق ، وقام إليه الصدر الأعظم رئيس وزراء إيران فقبّل يده تقديراً لأدبه واعترافاً بفضله .

عاد الزهاوي إلى الفندق فاستدعى إليه الصّراف وقال له : يا ولدي أحمد ، هل رأيت الصدر الأعظم وما فعله حينما فرغت من انشاد قصيدتي؟ قال : أجل ، يا استاذ ، رأيته يسحب يدك على ملاء من القوم ويقبّلها . قال الزهاوي : احفظ ذلك جيداً ، يا ولدي ، فأنت شاهدي الوحيد في بغداد!

حدثني أحمد حامد الصّراف ان عبد الاحد حبّوش أصدر مجلة أدبية باسم «الزنبقة» سنة ١٩٢٢ ، فقال له : أرجو أن تعرفني بالزهاوي لكي أسأله نشر شعره في مجلتي .

قال الصراف : اخذت عدد المجلة فوجدته مصدراً بقصيدة لمعروف الرصافي ، فقلت لصاحبي : هلّم نذهب إليه الآن . وذهبا إلى داره ، فأعطى الصراف العدد إلى الخادم وقال له : إذا جلسنا بضع دقائق فجيء به وسلمه إلى الاستاذ .

وقدم الصراف صاحبه إلى الزهاوي وقال انه من الشباب الناهض المثقف ، وقد أصدر مجلة أدبية راقية ، وهو يرجوك أن تعطيه شيئاً من شعرك الجديد لنشره .

سرّ الزهاوي ورحّب بالأديب وقال له : اننا بحاجة إلى مثل هذه المجلات كي لا نكون عائلة على المصريين واللبنانيين . . . .

وفي تلك اللحظة دخل الخادم وقدم المجلة إلى الزهاوي ، فقال الصّراف : هذا عدد المجلة واسمها «الزنبقة» .

وأخذها الشاعر وفتح صفحتها الاولى فوجد قصيدة الرصافي تحتل منها محل الصدارة ، فقذف بها في الهواء حيث دارت دورتين أو ثلاثاً ثم سقطت على الأرض . وقال : يا رجل ، إذا كنت من أتباع الرصافي المعجبين به فلم تأتي إليّ وتريد نشر قصائدي؟ ألا تعلم أن في أوروبا لكل شاعر أتباعاً ، فالذي يتأثر خطي فكتور هوغو لا يقصد لامارتين ، وهكذا؟ . . .

وخرج حبّوش خجلاً يجرّ أذيال الخيبة .

وأقول : زرت جميل صدقي الزهاوي مرتين أو ثلاثاً قبيل وفاته في داره ببغداد في الشارع الذي سمي بعد ذلك باسمه . وكان يشكو كثرة متاعبه الأدبية ، ويقول ان نظم الشعر يؤرقه ويهد من قواه . وقال مرة ان مجلة «الهلال» سألته عن رأيه في شؤون أدبية واجتماعية وماله علاقة بنهضة الشرق ، وهو يعاني تعباً في الردّ وفي ارشاد الأدباء والمتأدبين الذين يتوافدون عليه للاستماع إلى آرائه . ومع ذلك فهو يشعر بواجب أدبي عليه في رعاية الجيل الطالع وتوجيهه بالرغم من شيخوخته وعجزه .



## معروف الرصافي

شاعر العراق معروف بن عبد الغني بن محمود ينتمي إلى قبيلة الجبارة القاطنة في أنحاء كركوك . ولد في بغداد سنة ١٨٧٥ وتوفي بها في ١٦ آذار ١٩٤٥ . أقام الرصافي دولة للشعر في القرن العشرين وخلّد اسمه بين الشعراء الأفاضل كالفرزدق وجرير وأبي تمام والمنتبي ، فسارت قصائده مسير الأمثال في الاقطار العربية وسحرت أجيالاً من شدة الادب . شبهه عبد القادر المغربي بالبحثري في مزية السهولة ونمنمة الديباجة ، ولكن أين البحتري من معاني الرصافي والآفاق الرحبية التي فتحتها النهضة الحديثة في ذهنه العبقري؟

وردت ترجمته الوافية في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث» .

حينما ألفت الحكومة الوطنية في العراق لأول مرة منذ العهد العباسي السالف وأسند العرش إلى الملك فيصل الهاشمي ، أراد العاهل القادم إلى وطنه الجديد إشراك اتباع المذهب الشيعي في الحكم شيئاً فشيئاً بعد أن كانوا بمعزل عنه في العهد التركي المتعصب لسنتيه . ولم يجد الملك ولا الانكليز رجالاً من الشيعة يليقون للمناصب الإدارية والوزارية أو يرضون بتبوّئها ، فدعوا إلى الوزارة بعض رجال الدين والوجاهة الذين رفضوها في بداية الأمر ثم قبلوها . والتفتوا إلى الشعراء والادباء من الكهول والشباب ، فهبّء لمحمد حسن أبي المحاسن ومحمد رضا الشيبلي وأمثالهما أن يصبخوا من وزراء الدولة . أما الشعراء من أهل السنة فلم يلوا من المناصب سوى التدريس وعضوية مجلس المعارف ، واللجان العلمية ، وكانوا بعد ذلك نواباً وأعياناً . وكان ذلك مدعاة لتذمر الزهاوي والرصافي وأمثالهما الذين نفسوا على زملائهم من الشيعة مناصبهم الوزارية .

شعر الرصافي أكثر من سواه باستهانة الملك والحكومة بأمره وعدم منحه ما يستحقه من التبجيل والإكرام . ومع أنه ظل يمدح ويرثي في كل مناسبة عرضت فإنه لم يترك التذمر والتمرد حين يجتمع بأصحابه وأخصائه . وقال سنة ١٩٢٢ يخاطب رجال الحكم :

وقاطعين إلى ما أبتغي طرقي  
وماعلمت الذي ترضون من خُلقي  
حتى يكون لديكم جائر السّبِق؟  
أو كأن حقم فلإني أحقّ الحُمق

يا مبعديّ بظلم عن مناصبهم  
علمت كلّ خفيّ من ضمائرهم  
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم  
إن كان عقل فلإني عاقل فطِن  
وقال أيضاً متجنّباً ناقماً :

وأوطان وليس لها حدود  
وملكة وليس لها نقود

لنا ملك وليس له رعايا  
وأجناد وليس لهم سلاح

أيكفيننا من السدوات إتنا  
وكم عند الحكومة من رجال  
كلاب للأجانب هم ولكن  
وقال :

علم ودستور ومجلس أمة  
أسماء ليس لنا سوى ألفاظها  
وقال :

دار ذا الدهر مداره  
كم وزير هو كالوزير  
وزار المس جزرود بلّ يعرض اخلاصه ويطلب الإقالة والعون، ثم يقول في الوقت  
نفسه :

لقد جمع الدهر المكاييد كلها  
فصاغ طباع الانكليز من الندي  
بقدر كبير صيغ من معدن الخُبث  
تقاطر في الانبيق كالمطر الدث . .

وحاول مغادرة العراق . فردّه عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء الذي كان يودّه  
ويرعاه . وقد شكّا إليه حاله فقال :

أعبد المحسن السعدون، إنى  
لذلك قد أتيت إليك أشكو  
أراك منأط أسباب الرجاء  
رثائفة بزّي وبلي كسائي  
تكداد تذبذب من مسّ الهواء  
فقد رقت ثيابي اليوم حتى

وما هذه النقمة وذلك التمرد سوى مظهر من مظاهر العبقريّة التي تعتقد أنها  
مستهان بأمرها غير حائزة للتقدير الذي تستحقه . لكن الحكومة لم تغفل أمره ، فقد  
عيّنته مفتشاً بوزارة المعارف واستأذاً بدار المعلمين العالية ، ثم انتخبته نائباً في مجلس  
النواب بالرغم من معارضته وتركه بغداد إلى بلده الفلوجة ليقوم فيها في رعاية الوجيهاء  
من آل عريم .

وكان راتبه يكفي لسدّ رمقه وهو الفرد الذي لا عائلة له ينفق عليها . ولم يعدم  
أصدقاء أوفياء ومحبين مقدّرين لشأنه يسعفونه ويرعونه بلا منّ ، ومنهم فخري الجميل  
وعبد اللطيف المنديل وخالد سليمان وحكمت سليمان ومظهر الشاوي .

ولما رأى نوري السعيد ، الذي طالما مدحه الرصافي وهجاه ، ان راتبه التقاعدي لا  
يقوم بأوده خصّص له جعلاً من المخصصات السريّة يذهب به إليه صديقه محمود  
السوي في كل شهر . ومع ذلك هجاه فقال :

ان نوري السعيد قد كان قبلاً آدمياً فرُذِّبَ بالمسوخ قردا  
ولم تقم حركة رشيد عالي الكيلاني الوطنية سنة ١٩٤١ حتى بادر إلى تأييدها والتنديد  
برجال الحكم السابقين .

لقد كان الرصافي كسواه من الشعراء متردداً بين السلب والإيجاب ، يرضى حيناً  
ويغضب أحياناً لدواعٍ نفسية وظروف طارئة ، مفيداً من الفرص العارضة وناقماً عليها  
ضائقاً بها ذرعاً في آن واحد .

وقد قال مصطفى علي مؤرخ الرصافي وراويته شعره ان الرصافي يعاف الذل ويأبى  
الاستعباد ويأنف من الدنية ، ويكره الاستعمار ويحتويه فلا يرضاه لبلاده ولا لأمته . وقد  
حاربه ما وسعه أن يحاربه ولم يهادنه حتى فارق دنياه . وقال مصطفى علي ان الرصافي في  
شعره الذي ندّد فيه بالوضع السياسي في البلد إنما كان لرغبة منه في مصارحة أمته  
والامتناع عن غشها فيقول خلافاً لما كان يرى ، فلم يكتف ما كان يشعر به بل كان يعلنه  
ويذيعه لما طبع عليه من الصدق والاخلاص والشغف بالحقيقة . واستشهد بقول  
الرصافي :

أما الحياة فشيء لا قرار له      يحيا بي المرء موقوتاً إلى حين  
سيان عندي أجاء الموت مخترماً      من قبل عشرين أم من بعد تسعين

ولقد حاول بعض الأدباء والمتأدبين بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أن يقولوا إن الرصافي  
كان مضطهداً في العهد الملكي معوزاً لا يجد من التقدير والرعاية ما قد كان أهلاً له .  
والحقيقة أنه بالرغم من تنديده بالملك ووزرائه في عهد الانتداب لم يفصل من مناصبه  
الرسمية ولم يحرم من النيابة . وقيل انه كان في خلال الحرب العالمية الثانية يبيع السكاير  
لسد رمقه . وحقيقة الأمر ان راتبه التقاعدي والمخصصات السرية التي كانت تقدم له  
والاعانات السخية التي ترده من محبيه والمعجبين به كانت تزيد عن حاجة رجل فرد لم  
يعرف بالإفراط ، لولا أن خادمه عبد كان يستولي على ماله ويسطو على المآكل النفيسة  
التي تهدي إليه ، كما ذكر ذلك تفصيلاً مؤرخه مصطفى علي . وقد حذر الرصافي كثيراً  
من خيانة خادمه ، فلم يهتم ولم يطرده .

أما قضية بيعه للسكاير فالحقيقة ان صديقة الشاعر أنور شاول ، وقد كان محامياً  
لشركة طيارة وعبود صاحبة معامل السكاير ، رأى أن يفيد الرصافي بعد أن أصبحت  
السكاير تباع بأسعار باذخة في السوق السوداء ، فحمل الشركة على تخصيص كمية منها  
له في كل شهر . وكانت تباع هذه السكاير مباشرة ويقدم فرق أثمانها إلى الرصافي دون  
مشاركة أو جهد منه .

وضع الرصافي قصصاً شعرية استوحى مواضيعها من البيئة العراقية المحلية . ونرى  
في الوقت نفسه الشاعر المصري الكبير اللبناني الأصل خليل مطران (١٨٧٢ - ١٩٤٩)

ينظم قصصاً متعددة، غير أنه استمدّ مواضيعه من مصادر أجنبية وتاريخية كمقتل بزرجهر ونبيرون وشيخ أئينا وفتاة الجبل الأسود الخ .

## محمد رضا الشبيبي

نابغة من نوابغ الشعراء المتأخرين وزعيم وطني معروف المنزلة، ولد محمد رضا الشبيبي في النجف في ٦ ايار ١٨٨٩ وتوفي في بغداد في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٥ . تولى وزارة المعارف مراراً وكان رئيساً لمجلس الاعيان ورئيساً لمجلس النواب وعضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق ومجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيساً للمجمع العلمي العراقي . ومنحته جامعة القاهرة سنة ١٩٥٠ مرتبة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية . ترجمت له ترجمة وافية في «أعلام اليقظة الفكرية» .

قالت المس بيل في رسالة لها إلى أبيها تأريخها ٤ كانون الأول ١٩٢٠ أنها حظيت بزيارة ممتعة من الشيخ محمد رضا الشبيبي الذي عرفته سنة ١٩١٨ . وقد ذهب فجأة إلى الحجاز وسورية حيث كتب مقالات شديدة ضدّ بريطانية في الصحف المحلية منتقداً طريقة حكمها لهذه البلاد . ويظهر أنه أصيب بخيبة أمل من جراء استقرار السوريين في ظل الحكم الفرنسي ، فأتى يعبر عن قناعته بأن ما يفعله الانكليز هنا هو الصحيح . وقالت إنه رجل معروف وله قلم ساحر، فإذا تعاون معنا مجازفاً بأن يدعوه المتطرفون انكليزياً فقد يكون ذا قيمة لا تقدر .

### الشبيبي والمجالس الادبية

في صيدا والشام :

قضى محمد رضا الشبيبي في ربوع الشام شهوراً سنة ١٩٢٠ فاجتمع بأدبائها من الشباب الناهض الذي حلم بالوحدة العربية واستبشر بقيام الحكومة الفيصلية . وعقد المجالس الأدبية في صيدا مع سليمان الظاهر وأحمد عارف الزين وأحمد رضا وأديب الزين والدكتور شريف عسيران وغيرهم . وقال فيها قصيدته :

عروس من البلدان ليس لها مهر      ومصر سبني لا الصعيـد ولا مصر

والتقى في دمشق بشفيق جبري وخير الدين الزركلي وسائر ادبائها فقال قصيدته :

ببغداد أشتاق الشام ، وها أنا      إلى الكرخ من بغداد جَمّ التشوق

فبارها شفيق جبري قائلاً :

أحنّ إلى بغداد من أرض جَلَّقِ      وأسأل أهل الشام عن كلّ معرق

ونظم جبري قصيدته :

شط المزار فربيع دجلة نازح      دون العراق سباسب وأباطح

قال إنه القى هذه القصيدة في سهرة بدار الزركلي ، فلما فرغ من إنشادها ظهرت الكآبة على وجه الشيببي وقال : لولا أن قصيدتك أبكتنا لصفقنا لكل بيت .

ثم قضى الفرنسيون على الحكومة العربية وأخرجوا فيصلاً ، فذهبت الآمال وتبددت الاحلام . فقال الشيببي قصيدته «دمشق وبغداد» ومطلعها :  
ماذا بنا وبذي السديار يراذُ؟ فقدت دمشق وقبلها بغدادُ

### محمد رضا الشيببي يعالج شؤون القطر:

قدم محمد رضا الشيببي قبيل وفاته (في ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٥) مذكرة إلى رئيس الوزراء عبد الرحمن البراز أوضح فيها القضايا والمشاكل الخطيرة التي تواجهها البلاد . وأشار إلى الأحداث والكوارث التي حلت بها نتيجة تصارع الآراء وتضارب الآهواء وتشجيع التفرقة ، وطالب بإجراء الانتخابات ليقول الشعب كلمته في الحكم . وقال ان الوحدة العربية هدف يتم باستفتاء الشعب عليه ، وأشار إلى أخطار الطائفية المنقعة التي تفتت بعضد الوحدة الوطنية . وقال ان الشعب العراقي انتفض أكثر من مرة على سياسة التفرقة النكراء وعمل منذ ثورته الاولى سنة ١٩٢٠ على اقامة حكم وطني ديمقراطي يسهم بإقامته وينعم في خيراته أبناء الشعب كافة لا يفرقهم عنصر أو دين أو مذهب . وشجب بعد ذلك سياسة المحاباة التي كانت نتيجتها تبوء المقربين لمناصب الدولة وهم محرومون غالباً من المؤهلات والكفايات والاخلاص .

وطالب الشيببي في مذكرته بدرس القضية الكردية درساً دقيقاً لصيانة الوحدة الوطنية وحقق الدماء وإعادة السلام والطمأنينة إلى الربوع الشمالية لأن العرب والاكراد شركاء في هذا الوطن يتقاسمون غرمة وغنمه . ودعا إلى تحرير النقابات من الضغط السياسي وتوكيد حقوق العمال . ثم التفت إلى الاشتراكية ونادى بلزوم مراعاة الواقع في شأنها ، إذ أن تطبيقها بقرارات ١٤ تموز ١٩٦٤ قد أدى إلى تحبط الاوضاع المالية وارتباكها وزيادة البطالة وقلة الانتاج وتبذير أموال الدولة وتهريب رؤوس الأموال وعجز الميزانية . ودعا إلى الديمقراطية الاقتصادية قائلاً إنه «النظام الذي يلائم ظروفنا وحاجتنا» وان الفروق الاقتصادية الواسعة خرق للعدالة الاجتماعية التي نؤمن بها .

وذكر انه يمكن العمل على تقليل تلك الفروق عن طريق توزيع الضرائب وزيادة مكاسب الطبقة العاملة ووضع خطة شاملة للتنمية وزيادة الدخل العام .

ثم تناول القطاع الزراعي الذي يمثل في نظره مصدراً أساسياً من مصادر الثروة العامة ، فأشار إلى أخطاء قانون الإصلاح الزراعي - تلك الأخطاء التي أدت إلى تخلف الزراعة ، وطالب بإعادة النظر في أسس ذلك القانون وتطوير شؤون الزراعة وحماية الانتاج وتحديد واجبات الزراع وتعويض الفئات التي تم الاستيلاء على أراضيها . وطالب بعد ذلك بإصلاح نظام الضرائب ، واستخلاص حقوق البلاد من شركات

النفط وإعادة النظر في تكوين الاتحاد الاشتراكي العربي الذي تنازعتهُ الأهواء وأفضى إلى احتكار العمل السياسي وتطبيق مبدأ الحزب الواحد المعارض للديمقراطية .  
ولا شك أن هذه المذكرة التي قدمها الشيببي إلى السلطات المسؤولة قبل شهر واحد من وفاته كانت أروع خاتمة لحياته الأدبية والسياسية ووصيته التاريخية لابناء البلاد في تلك المرحلة الدقيقة .

محمد رضا الشيببي : شؤون واحاديث

تعرفت إلى محمد رضا الشيببي في سنة ١٩٣٩ وتوثقت صلتني به بعد اختياري عضواً بنادي القلم سنة ١٩٤٢ وكان هو رئيسه . وزادت هذه الصلة إحكاماً بعد ذلك ، فكنت في سنواته الأخيرة أكثر من زيارته في داره والمجمع العلمي ، كما كان يمر بمكتبي مرة أو مرتين في الاسبوع حتى توفاه الله .

وأذكر أنه كان يلقي عندي في بعض الأحيان علي الشرفي ، وكانت بينهما جفوة ، فبادره الشرفي بالسلام والكلام حتى استقام ما بينهما وعادت مودتها القديمة شيئاً ما .

كان الشيببي يحضر مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كل عام ويقضي في مصر شهراً أو بعض شهر، فإذا عاد حدثنا بطرائف مما شهده وسمعه . وقال لنا ان الدكتور طه حسين سأله ذات يوم : «لماذا كان العراقيون دائماً نائرين لا يستقرون على حال ولا يرتضون حاكماً؟ فقد قرأت تاريخ العراق منذ الفتح الإسلامي حتى الآن، وقلما وجدت حقبة خالية من الفتن والقتال» . فأجابه الشيببي : «أسمح لي أن أسألك أنا أيضاً؟ لماذا كان المصريون دائماً خاضعين خاضعين؟ لقد قرأت تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي وقبله أيضاً، فوجدت المصريين دائماً يسترضون حكامهم مها جاروا وطمغوا ويخضعون الهام لكل متحكم فيهم حتى لشجرة الدرا» .

قال الشيببي : وقد اغتاط طه حسين لجوابي ، لكن الحاضرين قالوا له : لا يحق لك الغضب ، يا دكتور ، فجواب الشيخ من طبيعة السؤال .

وقد قيل قديماً : إن العقل لحق بالشام ، فقالت الفتنة وأنا معك . ولحق الشقاء بالبادية فلحقت به الصحة ، ولحق الخصب بمصر فلحق به الذل .

وكان أمين هويدي سفير مصر في بغداد والذي دعي «المنذوب السامي المصري» وقد أصبح فيما بعد مديراً للمخابرات ووزيراً لحربية جمال عبد الناصر كثيراً ما يزور الشيببي ويسأله عن رأيه في الاتحاد مع مصر . فأجابه الشيخ بصراحة أن العراق لا يجب عبد الناصر وإن الاتحاد أو الوحدة سابق للأوان . وقال له : بلغ الرئيس عبد الناصر أن لا يغرّه كلام عبد السلام عارف (رئيس الجمهورية آنذاك) ، فالعراقيون عازفون عن الوحدة بالرغم من حبهم لمصر واعترافهم بمكانة الصدارة التي تتبوأها في مجتمع الدول العربية .

وقد اشتد الخلاف بين عبد السلام عارف والشيخ الشيببي حتى أنه أصبح رئيساً اسمياً للمجمع العلمي العراقي لا يستطيع الحل ولا الربط ، وقد تولى الامور فعلاً نائب رئيس المجمع بتشجيع من الحكومة ، فكان الشيببي يأتي إلى غرفته في المجمع ويخرج منها دون أن يباشر عملاً .

ودعيت مجامع اللغة العربية إلى عقد مؤتمرها السنوي العام في بغداد، فانتهاز الشيببي فرصة دعوة وجهت له للسفر إلى عمان، فزابل بغداد إلى الأردن وعقد المؤتمر في غيابه . وعاد من عمان بعد انتهاء المؤتمر، فلم يكذب يصل إلى داره حتى قضى نحبه في نفس تلك الليلة .

\*\*\*

أصدر الكاتب السوفياتي كوتلوف كتاباً عن «ثورة العشرين» نقلها إلى العربية عبد الواحد كرم . وقد ذهب الكاتب إلى أن الثورة العراقية كانت ثورة عمال وفلاحين على الاقطاع والرأسمالية على الرغم من قادتها من شيوخ الدين والعشائر، ومنح العوامل الاقتصادية والصراع الطبقي أهمية بالغة في نشوب الثورة . وسجل للشيخ محمد رضا الشيببي آراء تؤيد ما ذهب إليه . فسألنا الشيخ عن تلك الآراء، فقال ما معناه : جاءني ذات يوم المؤلف بموعده سابق ومعه مترجمان رجل وامرأة، إذ كان لا يحسن سوى اللغة الروسية . وقد بحث معي عن ثورة العشرين وأسبابها، وكان يتكلم بالروسية فينقل المترجم كلامه إلى الانكليزية ثم تترجمه المترجمة إلى العربية، فأرد عليه وينقل كلامي إلى الإنكليزية فالروسية ليفهم صاحبنا مآله . وكانت تلك طريقة متعبة فضلاً عن احتمال ضياع المعنى أو اختلافه خلال هذا النقل المزدوج .

وقد أرسل المؤلف نسخة كتابه بالروسية إلى الشيببي بعد طبعه (وذلك قبل سنوات من ترجمته إلى العربية)، فاستعان بأحد الطلاب العراقيين لترجمة ما جاء فيه على لسانه . ولما اطلع على الآراء المنسوبة إليه استنكرها وتناولها بالنقد والتجريح .

وقد ناقش الدكتور علي الوردي، في الجزء الخامس من كتابه «المحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (القسم الثاني)، آراء كوتلوف في ثورة العشرين، فأبدى عدم موافقته على ما ذهب إليه المؤلف من نسبة الثورة إلى جماهير الفلاحين والبدو وعمال المدن . قال الوردي : «وأعترف أنني، حين قرأت الكتاب، شعرت كأنه يتحدث عن ثورة غير الثورة التي عرفناها وأدركنا رجالها، وعن بلاد غير البلاد التي نعيش فيها» . وأضاف قائلاً : «ويبدو أن كوتلوف حاول أن يصبّ ثورة العشرين في القوالب التي يميلها في ذهنه بغض النظر عما جرى في الثورة من وقائع مشهودة» .

حدثني محمد رضا الشيببي أنه هاجم نوري السعيد، وهو رئيس الوزراء، في مجلس الاعيان ونفذ بسياسته تنديداً شديداً، فوقف نوري يردّ عليه بحدة وانفعال، وقال ما معناه : ليس هذا كلام سياسي مسؤول بل هو خيالات شاعر وأوهام كاتب .

ولم يكن من الشيببي إلا أن التفّ بعباءته وخرج غاضباً من القاعة . ولكن لم يخلّ المساء حتى فوجيء بزيارة نوري السعيد له في داره يطيب خاطره . وهكذا كان رجال ذلك العهد يميزون بين المناقشات والمهاترات السياسية والعلاقات الشخصية . وقال له السعيد : سوف يأتي يوم تترحمون فيه على عهدنا .

\*\*\*

كثيراً ما كنت أسمع محمد رضا الشيببي بعد ثورتي ١٩٥٨ و ١٩٦٣ يشكو ويترحّم

على عهد الملك ونوري السعيد .

قلت له : كنت معارضاً مزمناً تسلق الحكومات المتعاقبة بالسنة حداد، فما عدا ما بدا؟ قال : أجل ، كنت معارضاً أتسقط مخالقات الحكومة وانحرافها وأطلب الإصلاح ، لكنني لم أطلب انهيار النظام وذهاب ريح السلطة واستبداد فئة قليلة جديدة لا خبرة لها ولا حسن نية بأمور البلاد . حين كنت أصارع المسؤولين وأتعقب أخطاءهم وسوء أعمالهم وأخذ عليهم التواء طرقهم كانوا يصغون إليّ ولو على مضض ويفعلون أحياناً أو لا يفعلون . أما هؤلاء الذين ينتعون أنفسهم بالثورية والتقدمية وسائر الصفات فلا يستمعون إلى أحد ولا يقبلون مصارحة ، ويسرعون إلى اعتقال خصومهم والفتك بهم ، وكمّ الألسنة والصحف وحرية القول . . . وبقي الشيببي ساخطاً متألماً حتى أدركه الحمام .

وقد جاء إلى داره زبانية الأمن في عهد الرئيس عبد السلام عارف بعد منتصف الليل للقبض على ابتته المتهمة بالشيوعية . حاول الشيببي اقناعهم بإرجاء الاعتقال إلى الصباح فلم يفلح . وأخيراً تمكن من الاتصال هاتفياً بعبد السلام فشكا له الأمر وترحم على العهد الملكي البائد ، فأمر الرئيس بصرف النظر عن اعتقال الفتاة .

انتخب الشيببي عضواً بجمع اللغة المصري في مقعد الأب أنستاس ماري الكرمللي ، ولما كان المألوف أن يتكلم العضو الجديد عن سلفه الذي حلّ محله ، فقد طلب إليّ أن يطلع على قاموس الأب «المساعد» لبحث فيه . وقد اتصلت بالأباء الكرمليين في الدير وهيئات للشيببي أن يطلع على مسودات المعجم ، فوضعت تحت تصرفه ونظر فيه ونقل ما يروم نقله لخطابه في المجمع المصري .

\*\*\*

على أثر قيام ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ والقضاء على حكم عبد الكريم قاسم ، قررت حكومة الرئيس عبد السلام محمد عارف مفاوضة الملا مصطفى البارزاني الذي قاد التمرد الكردي منذ سنة ١٩٦١ . وارتأت إيفاد لجنة مفاوضة للتعرف على مطالب الاكراد وأسندت رئاستها إلى محمد رضا الشيببي ، وكان من أعضائها فائق السامرائي .

ذهب الشيببي إلى المناطق الكردية وفاوض البارزاني ، واتفق معه على منح المنطقة الكردية «لا مركزية» إدارية ، وعاد فبلغ السلطات العراقية بنتيجة مساعيه .

قال الشيببي : بعد أيام سألني الرئيس عبد السلام عارف عن معنى «اللا مركزية» ، فقلت له : انني رجل لغوي و «اللا مركزية» ليست محددة لغة بل يحددها الاتفاق على نطاقها السياسي والإداري ، وذلك شأنكم أنتم السياسيين .

\*\*\*

جاء إلى بغداد سنة ١٩٤٧ رشاد بيبي مندوباً عن إذاعة الشرق الأوسط التي كانت تديع من قبرص ، فاتصل بالأدباء للحصول على أحاديث منهم .



وقابل محمد رضا الشيببي الذي سأله : ما معنى لقبك «بيبي»؟  
قال : انه الشيببي بدون «ش» .

\*\*\*

توفي صديق للشيخ محمد رضا الشيببي فمضى لقراءة الفاتحة على روحه تتبعه حاشية كبيرة من أقربائه وأصحابه ، ولم يكن يعلم أن هذا الصديق الذي نعي إليه ولم يره منذ سنوات طويلة قد ترك داره في بعض شوارع بغداد القديمة وابنتى دارا انتقل إليها في أحد الأحياء الجديدة .

دخل الشيخ وجماعته إلى الزقاق الذي فيه دار الصديق الراحل القديمة فرأى رجالاً واقفين على الجانبين . ولم يكادوا يرون الشيخ حتى حفوا به واستقبلوه استقبالاً لائقاً وأدخلوه إلى الدار وأجلسوه وصحبه في صدر المجلس . ولكن . . . كان المقرئ يقرأ السورة القرآنية الخاصة بزواج موسى القوي الأمين ، وهي تقرأ عادةً في حفلات عقد القران . وقدمت للشيخ وصحبه الحلوى والعصير ، والجمع في أنس وسرور . إذن لم يكن هناك مجلس تعزية ، بل كانت حفلة عرس .

وخرج الشيخ بعد أن هتأ أسرتي العريس والعروس . وسأل بعد ذلك عن دار صاحبه المتوفى فأرشد إليها وقصدها ليقرأ الفاتحة على روحه .

\*\*\*

حدثني محمد رضا الشيببي أنه سافر ذات مرة إلى الشام ونزل في فندق أمية . وفد رجال السياسة والأدب للسلام عليه ، وجاءه معلم خدم في المدارس العراقية يوم كان وزيراً للمعارف ، فدعاه إلى تناول الغداء في داره . واعتذر الشيببي بكثرة مشاغله ، لكن المعلم لم يقبل له عذراً .

وجاء المعلم إلى الفندق في اليوم الثاني قبل الظهر واصطحب الشيخ في عربة اكترها وقال للحوذي : مرّ في طريقك بسوق الحميدية . واستأذن ونزل إلى بعض الدكاكين واشترى خبزاً و «كباباً» وفاكهة وشيئاً من الحلوى وضعها في العربة وأمر الحوذي بالمضي إلى داره .

ولما بلغها وضع المعلم الطعام الذي ابتاعه على المائدة ، واتي بقدر ماء ، وقال للشيخ : تفضل باسم الله ، واعذرني عن التقصير في شأنك فإن زوجتي لا تطبخ . وفرغاً من تناول الطعام فأركب الشيخ عربة وأعادته إلى الفندق معزراً مكرماً .

\*\*\*

دعي الشيخ الشيببي إلى زيارة مدينة فاس عاصمة المغرب القديمة مع نخبة من أدباء العرب وأعضاء مجمع اللغة العربية المصري ، والمدينة قائمة في وإد ينزل إليه بطريق وعر متعرج من الهضبة ، وهو طريق يصعب على السيارات السير فيه . وقد اضطرّ الشيخ ورفاقه إلى النزول على أقدامهم ولقوا في ذلك مشقة عظيمة . وبعد زيارة معالم المدينة وقضاء بضعة أيام فيها وحان موعد العودة قال الشيببي للدكتور عبد الهادي

التازي المرافق للوفد أنه يصعب عليه وعلى رفيق له من شيوخ المصريين الصعود من الوادي ورجاه أن يجد لها وسيلة للركوب . وكلم التازي هاتفياً أحد المسؤولين باللغة الفرنسية وقال له : لدي شيخان ميتان من التعب فجد لها وسيلة نقل . ولم يسمع المسؤول العبارة «من التعب» ، فظن ان الرجلين قد ماتا فعلاً فأسرع وارسل سيارة اسعاف تحمل تابوتين . رأى التازي السيارة القادمة فبادر إلى إعادتها قبل أن يراها الشيخان ، ثم نبّه رفيقه أن الرجلين حيّان وطلب ارسال سيارة «جيب» لتقوم بمهمة النقل .

دعي الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى زيارة الكويت ضيفاً على أميرها ، وقد استقبل فيها استقبالاً حسناً ووضعت تحت تصرفه سيارة وسائقها . أخذه السائق لزيارة العمران الجديد والأسواق المليئة بالبضائع الشرقية والغربية وكل النعم التي نالها البلد الصغير من ثروته النفطية المفاجئة .

قال الشبيبي للسائق ذات يوم : أريد أن أرى الكويت القديمة . فأجاب : أنا على استعداد لأخذك إليها ، لكن السيارة لا تدخل السوق العتيق . قال الشيخ : أنا أستطيع المشي على قدمي .

وأخذ السائق إلى سوق الكويت القديم ، فشهد الدكاكين المتواضعة . ورأى امرأة جالسة على الأرض تبيع بعض الأعشاب الهزيلة وترشها بالماء بين الحين والحين من سطل بين يديها . قال السائق : هذه الكويت القديمة . أما صناعة السفن الشراعية فقد انقرضت أو كادت .

\*\*\*

أشاد عبد الرزاق الشبخلي ، في رثاء له لمحمد رضا الشبيبي ألقاه في حفلة تأبينه ، بمزايه الكثيرة وأدبه الجمّ ، وذكر مواهبه وصره وجلده في التصميم والعمل ونضجه الفكري المنبعث من إدراك عميق وتمييز بين الحقائق والأوهام والانطلاق والجمود ، ومجاهته لدنيا الحقائق مباشرة باحثاً عن الجوهر ، غير أنه بالظواهر المتغيرة والمظاهر الخارجية ، والتزامه جانب البساطة وهي عماد الحياة ومحورها .

وقال ان التحدّث عن الفقيد الشبيبي ليس يسيراً ، إذ شمل جهاده كل الميادين من علمية وأدبية واجتماعية وسياسية ، بنظمه ونثره ، على مدار الساعة ولنصف قرن من الزمن . وقال إن الحياة التي عاشها والآفاق البعيدة التي امتد إليها بصره ونفذت إلى أعماق بصيرته تكاد تكون وثيقة تاريخية وسفراً ضخماً حافلاً بماثره ومحامده لعهدين متعاقبين : العهد العثماني في إبان احتضاره والعهد العراقي الذي تلاه . وقال إن سيرة الشيخ منثقة من إيمانه العميق بكرامة الإنسان وحرّيته ومن مفهومه للسياسة بأنها ترمي إلى الإصلاح الجذري في الإنسان ذاته لتضمن له أخوته مع الغير وأمنه وسعادته .

ورثى الشبيبي الشاعر المصري عزيز أباظة (باشا) بقصيدة طويلة قال في مطلعها :

قم فأد العزاء للإسلام      في زعيم وشاعر وروام  
الشبيبي ، أين ثباتي الشبيبي      إذا طمّت الخطوب الدوامي؟

## علي الشرقي

علي بن الشيخ جعفر بن محمد حسن بن أحمد بن موسى بن راشد الشرقي أو الشروقي، وقد قال الدكتور محمد مهدي البصير في الشيخ جعفر (١٨٤٣ - ١٨٩٢) أنه كان من كبار فقهاء العراق وشعرائه في القرن التاسع عشر.

وقال: «وقد يَسَّر المترجم، وهو في قبره، أني أعرفه بابنه (أي الشيخ علي الشرقي)، ولكن ثَقُوا أنه كان أُنْبَه شأناً وأعلى قدراً وأسير ذكراً من أن يعرف». وتنتمي أسرة الشرقي إلى قبيلة بني خاقان العربية، المقيمة على ضفاف الغرّاف في قضاء الشطرة، وكان أول من استوطن النجف منها جدّها الشيخ موسى.

ولد علي الشرقي بالنجف سنة ١٨٩٠، وتوفي والده وهو طفل صغير، فنشأ في كنف خاله الشيخ عبد الحسين الجواهري. ودرس علوم العربية والدين على علماء الغرّي فبرز فيها تبرزاً، وقال الشعر صغيراً وجوّده شاباً. وكان من الشباب الواعي المتطلع إلى النهضة الأدبية والفكرية في أواخر العقد الأول من المائة العشرين.

وصف الشرقي طفولته أروع وصف في كتابه «الأحلام» فقال: «ويموت أبو الوليد، ويترعع اليتيم يعوّضه حنان الأم عن حذب الأب.

وكانت لأمّه جارة من آل الفتحّام، ذلك البيت الجليل المنجّم بالعلماء والأدباء، تولّت تعليم الوليد. وكان لتلك المعلمة الحبيبة أخوان هما السيد حسن والسيد محمود، وكان الكثير من ناشئة النجف يتأدّبون عليهما. وكان مجلسهما للتعليم في عمارة الميتم الذي أنشأه الدرويش إبراهيم خان في أواخر القرن الثالث عشر للهجرة وجعل فيه قسماً داخلياً وبذل عليه أموالاً طائلة، وموقعه في محلة العمارة تحت الطاق المعروف بطاق الدرويش. لقد أودعت المعلمة الوليد عند أخويها، ولما أتقن الكتابة تقدم للدراسة العلمية. وكان يلبس البزة العربية الشائعة كوفية وعقالاً، ولكن احتراماً للعلم وضعوا على رأسه العمامة. وكان من عادته أن يلف العمامة للشيخ الجديد شيخ قديم محترم. وعندما كوّرت على رأس الشيخ الجديد، دفعها الشيخ القديم ورصّها كي لا تكون قلقة على هذا الرأس، ولكن بكلّ أسف بقيت قلقة حتى الآن».

ثم وصف «الجامعة النجفية» التي نشأ في أحضانها ودرس في حلقاتها وتأدّب بأدابها وتخلّق بأخلاقها فقال:

«فاتيكان الشيعة وأزهر العراق قبل أن يوجد الأزهر. ولا تمتاز هذه الجامعة بأسلوب فكريّ خاصّ، إنما هو أسلوب الفكر القديم طبعته الكوفة بطابعها: طابعه الآداب العربية والعلوم الإسلامية، وكانت على الأخص مدرسة علوية أسسها منبر عليّ عليه السلام ومن تتلمذ عليه من أبنائه وأصحابه . . .»

ويقول بعد ذلك: «أما طريقة التدريس في النجف فقديمة تتردّد بين الطريقتين

اليونانيتين : طريقة التحليل وطريقة التفسير. . . ومراحل التدريس في النجف ثلاث : المرحلة الأولى في المقدمات يدرس فيها النحو وعلم الصرف وعلم المنطق وعلم البيان والبدیع . . . المرحلة الثانية : السطوح ، وهي دراسة الفقه والأصول على سطح كتاب مفتوح ينشر بين يدي الاستاذ والتلميذ . . . وفي هذه المرحلة يدرس الحساب والجدل والفلسفة النظرية . . . ويدرسون أشكال إقليدس للمهندسة ، ويراجع الطلاب لدراسة اللغة القاموس المحيط للفيروز أبادي والصحاح للجوهري ومجمع البحرين للطريحي ، ويراجعون لعلم الرجال كما يسمونه كتاب رجال أبي علي ، ويراجعون للحديث كتاب الوسائل ، وللتربية كتاب المفيد والمستفيد للشهيد العاملي» .

ثم يتطرق إلى ذكر المرحلة الثالثة ، وهي الدراسة الخارجية ، أو كما يسمونها «الخارج» فيقول : «وهي محاضرات يلقاها الاستاذ على مجموعة من التلاميذ لا ينشر لها كتاب ، بل هي أشبه بمذكرات على موضوع مركز وللتلميذ الحرية الكاملة في المراحل الثلاث أن يختار المدرس والمدرسة والكتاب المدرس . . .» .

\*\*\*

لم يكد الشرفي يبلغ مبلغ الشباب حتى مضى إلى كرمشاه لجباية حقوق للشيخ كاظم الخراساني ، ثم عاد مسرعاً إلى النجف بعد تفشي وباء الهیضة في ربوع إيران . وأكّب الشرفي الشاب على المطالعة والمناقشة والمباحثة واستشفاف معالم النهضة الأدبية في مصر وسورية ولبنان . واتفق مع نفر من أقرانه على جمع الكتب والدواوين الشعرية وتبويبها وشرحها ، فتولوا طبع ديوان إبراهيم الطباطبائي وغيره .

ونشبت الحرب العظمى في أواخر سنة ١٩١٤ ، فلجأ إلى الشطرة ، وكان ذلك مبدأ اتصاله بالغرّاف والمتفق ، مسقط رأس آبائه من قبل ، وتعرّفه بزعمائها من آل السعدون وسواهم . ثم لحق بالمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي في الناصرية ، وكان له يد في محاربة الانكليز . ونشر الاحتلال البريطاني ظله على بغداد وجنوبي الفراتين ، فجاء إلى النجف وقدم منها إلى بغداد ، ثم عاد إلى المنتفق مساهماً في الحركة الثورية .

رحل إلى الحجار سنة ١٩٢١ عن طريق البصرة والبحر الأحمر وقابل الملك حسيناً في جدّة ومكة وألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

أعلاك ربّي ، ما أعزّ وأشرفا ،  
علماً على الملك الأغرّ مرفرفا

وقفل عائداً بعد نحو من سبعة أشهر . وقد عين عضواً بمجلس التمييز الشرعي الجعفري في بغداد (٧ تموز ١٩٢٨) ونقل قاضياً في البصرة (آب ١٩٣٣) وأعيد عضواً بمجلس التمييز الشرعي بعد أمد وجيز (شباط ١٩٣٤) ، ولم يلبث أن أصبح رئيساً له (٢٥ كانون الأول ١٩٣٤) . وقضى في هذا المنصب نحواً من ١٣ عاماً ، حتى عين عضواً بمجلس الأعيان في تموز ١٩٤٧ . واختير نائباً أول لرئيس مجلس الاعيان (٥ آذار ١٩٤٩) وجدّد انتخابه في أول كانون الأول ١٩٤٩ حتى عين وزيراً بلا وزارة (١٠ كانون

الأول ١٩٤٩ - ٥ شباط ١٩٥٠).

وأعيد تعيينه وزيراً بلا وزارة في ٧ أيار ١٩٥٣ إلى ١٧ أيلول ١٩٥٣، ثم في ٣ آب ١٩٥٤. واحتفظ بمنصبه في الوزارات المتعاقبة المؤلفة في ١٧ كانون الأول ١٩٥٥ و ٢٠ حزيران ١٩٥٧ و ١٥ كانون الأول ١٩٥٧ إلى ٣ آذار ١٩٥٨، ثم من ١٩ أيار ١٩٥٨ إلى ١٤ تموز ١٩٥٨. وقد استمر عضواً بمجلس الأعيان إلى ٦ تموز ١٩٥٥، وجدّد تسميته عيناً في شهر تشرين الثاني من نفس السنة إلى ثورة تموز ١٩٥٨. واعتقل عند قيام الثورة، ثم أفرج عنه بعد مدة قصيرة.

وضع مؤلفات منها: عواطف وعواصف (ويحوي جانباً من شعره، طبع ١٩٥٣)، ذكرى السعدون (١٩٢٩) الأحلام (١٩٦٣) العرب والعراق (١٩٦٣). وقد نشر مقالات متسلسلة في المجالات والجرائد، منها: الغراف والبطائح (في مجلة لغة العرب) والألواح التاريخية (في مجلة الاعتدال النجفية) والأحلام والأنديّة العراقية (في جريدة العراق) ونكت القلم الخ . .

توفي ببغداد في ١١ آب ١٩٦٤ ووري التراب في مقبرة أسرته بالنجف.  
علي الشرقي الشاعر:

كان علي الشرقي رجل قضاء ورجل سياسة، لكنه لم يكن طوال حياته الا شاعراً بالفطرة. تطّبع بالمظاهر الدينية والدينيوية، فتغلّب عليه الشعر في أخرج مواقفه وأشدها قسوة وغلظة وانقاد لزام العاطفة في مقام الجدّ والصرامة.

ولقد نشر طائفة من شعره في ديوانه الموسوم بـ «عواطف وعواصف» فأهدى إلي نسخة وشّحها بالكلمة الآتية:

«إذا جاز أن تحمل الفاكهة إلى بستائها فإني أحمل اليكم هذا الأثر، مع إخلاص الشاعر».

وكتبت إليه برسالة جاء فيها:

«أما الشعر فسحر وعطر. وهو شعر نابض بالحياة، صادق اللهجة، واضح السيات، ينطق بلسان البلد والجيل، ويحمل طابع العصر ورسالته. وقد مرّ زمان كان في مقياسه أعذب الشعر أكذبه، أما اليوم فخير الشعر ما عبّر عن آلام الشعب وآماله ومشاعر الأمة في طموحها وتحفزها.

وخير الشعر ما أفصح عن حبّ المغرم وبهجة الخليل وحسرة الشجيّ وأمل الشباب وذكرىات الشيخوخة وجميع ما يهز أوتار القلب البشري من نوازع ولواعج.

«ولقد وقّعتم لترديد نواح البليل السجين وصداح البليل الطليق، ولوعة الفلاح في كوخه، وترجمتم عن نزعات الشعب المتطلع إلى الحياة والحرية، ودعوتهم إلى الألفة والإخاء، وأشدتكم بالنهضة والإصلاح، فجاء ديوانكم سجلاً حافلاً للحياة العراقية في النصف الأول من المائة العشرين . . .».

أجل ، إن في شعر الشرقي كل ذلك وأكثر من كل ذلك . وشعر الشرقي قبل كل شيء شعر الشعب ، فهو يفتح عن أماني الفقراء والكادحين ويعبر عن مشاعرهم ونزعاتهم ، وهو يأنس إلى الأرياف وفلاحيها ويحنّ إلى مرابعها وأكواخها ، ولا سيما إلى نواحي الغراف التي قضى فيها شطراً من صدر شبابه ، وقال في ذكرها :

زهو القصور ونزهة الأرياف	غرف مطّلات على الغراف
تلقي الحضارة والبادوة عندها	بإزاء فرع أو بجنب طراف
أنفت على الأحقاف ، فهي مدلّة	لكنها بيساطة الأحقاف
الفارحات بساطة وجلالة	هذي القصور وغيرهنّ أثافي
نهضت على حمراء دجلة زانها	صافي الأديم على الأديم الصافي
بمحلّة الأعصان تحسب أنها	من حسنّها بمحلّة الأعطاف
ملء المجالس عقّة وطهارة	ومحبّة وتكرم وتصافي
معمورة الأطراف ، كم من ليلة	بجوارها معمورة الأطراف
النهر مضمفور السلاسل فلّه	جري النسيم وكفّ منه الضافي . . . .
قمر السما ، لك فوق دجلة منظر	متنوع الأطياف والألطاف
وكأنّ دجلة شعلة وهّاجة	سالت أشعتها على الأجراف

ولا يأنف الشرقي أن يضمّن شعره كلمات أبناء الشعب وأمثالهم وحكاياتهم . ولعلّ هذا الشعر لا يتّسم بجزالة اللفظ ومتانة التركيب لكنه يفيض بالأصالة والإخلاص وصدق اللهجة وطيبة النفس وحبّ البشرية والناس ، تقطر منه أنداء اللطف والعطف والحنان كالعبرات الباردة التي تسكبها المآقي الحزينة .

لقد تمنّى لو تمطر السماء مروءة وحناناً ، ورؤعته دمعة المظلوم ، فقال :

مدّ زعيم لطيب يبدأ	كانت على رغمي ملثومة
قال له : ليس بها من أذى	فصاح : لا . . . كفيّ محمومة
ومرّ من حولها شاعر	ردّدت السدينا ترانيمه
فقال : ظنّي بمكان الأذى	قد سقطت دمعة مظلومة !

وعلي الشرقي شاعر الأسى والألم : فقد أباه طفلاً ، وذاق مرارة اليتيم والحاجة حتى إذا ما ابتسم له بعد لأي الزمان ومنحه السعادة والأمن وأتاح له الحبّ والزواج ، فاجأه بموت عروسه في ليلة الزفاف . فإذا بالشموع التي أعدت لموكب العرس قد أسرّجت في موكب الموت . وإذا بالشاعر قد أخرسه هول المصاب حيناً ثم أنطقه شعراً مؤسّياً حزيناً :

أنت مشبوبة ويُطفأ عرسي  
من سناك المشؤوم ظلمة نفسي  
يتهافتن حول نعش ورمس  
خجلاً ترسل الدموع بهمس  
هكذا سورة الدموع برأسي  
يتناثرن بين سعد ونحس  
والليالي خيّن ظنّي وحسدي

شمعة العرس، ما أجدتِ التأسي  
أنت مثلي مشعولة القلب، لكن  
يارعى الله للزفاف شموعاً  
عاكست حظّها الليالي فذابت  
هكذا ذاب باحتراق فؤادي،  
جلوة أم مناحية لنجوم  
كان حسدي تذكو الأماني شموعاً

إن العروس الشابّة التي قضت نحبها ليلة الزفاف لتذكرنا بقصيدة الشاعر الفرنسي أندره شنييه (١٧٦٢ - ١٧٩٤)، تلك القصيدة التي قالها في رثاء «ميرتو» الثارنتية الفتاة الحسنة التي ركبت السفينة لتلحق بخطيبها حيث تنتظرها السعادة والأغاني والزواج. وقفت وحيدة تحدّق في الأمواج المتلاطمة، فهبّت ريح هوجاء نفخت الشراع وأطاحت بالفتاة في حوض المياه المزبدة. لقد تلقت الأعماق جسدها الجميل، فخرجت إليها ربة البحر دامعة العين من كهفها السحيق، وحفظت جسمها من أنياب الوحوش الضارية، وأمّرت قيان الماء فأخذنها إلى الساحل واستدعين غيد المروج والمنابع والجبال، فأقمن لها مناحة لم تشهد الأرض مثلها. وقلن لها ناديات: «أسفاً عليك، أيتها العروس، لم تبلغي دار الحبيب ولم ترتدي ثياب العرس، وحلى الذهب لم تحط بساعدك البصّ، ولم يزيّن إكليل الزفاف شعرك المنسدل على كتفيك».

ولا عجب أن يطغى الألم على نفس الشاعر الشرقي فيخطب البلبل الأسير قائلاً:

أيتها البلبل المعلق في السجّـن  
إن تكن ذكرياتك الورد والأطيّار  
كلّ يوم يلوح فاجر لعينيك  
سـلام، وهكـذا لي روح  
تشدو فذكـرياتي جـروح  
فهلاً يوماً لعيني يلوح؟ . .

إنّ هذا البلبل السجين الذي خاطبه في رباعياته لم يكن سوى طيف الشاعر نفسه. لقد كان هذا الشاعر أسير الحياة الاجتماعية يبغى الانعتاق والانطلاق، فهل بدع أن يلتقي وبلبله الحبيب في قفص السجّـن، كما يقول:

التقى الشاعران في قفص السّجن  
يرسلان الألحان للملأ الخابط  
فكـأنّ الأسير غير أسير  
فلم يعبـاً بحبس وضيق  
تيهـاً في عالم مصعـوق  
وكان الطليق غير طليق

لقد مزج الشرقي في رباعياته التصريح بالرمز وقرن السياسة بالاجتماع والمادة بالمعنى فلا بدّ للقارئ من إمعان الفكر في خفايا السطور ليستشفّ معاني بعيدة في أغوار الكلمات الظاهرة. وان شاعرنا ليكثر من الصور والاستعارات والتشابه والكنائيات، أليس هو القائل:

أنا أصدح باللفظ لمن في صدره المعنى

والقائل: ثوب الصداقة يبلى سريعاً، وبيت الحكم الذي أسسوه له ألف باب، واليوم المضرج بحر هائج والغد المؤمل في ساحل الأمان، والمرأة لا تفيد في كفت الأعمى، وماذا يلقط الطائر من دكان الحدّاد؟، وأية خيرة ترجى من الفطير؟ . . .

وهو يقول:

هذي الصدور مواقد خمدت فبثت بالدخان

ويقول:

إننا، ولا غمّ زلّ لنا، نحسن فتل المغنزل

ويقول:

من وراء المرأة صوت يناغي

ويقول:

جسدي قارب وقلبي شراع

ويقول:

بعض القلوب طيور

ويقول:

بلدي رؤوس كلّه:

ويقول:

شمعتي بالرغم من مقراضها،

شمعة طاف بها الجّم الغفير

تتهادى من ضريـر لضريـر

\*\*\*

أقام الشرقي شطراً من حياته في الريف ورأى نصب الفلاح وعناء ورثى لبؤسه وشقائه فقال:

أتراني بين القرى والضواحي

إن تفتش عن ارتيـاح بلاد

طفنت ظهراً وفي يدي مصباحي

فتفقد شؤونها في الضواحي



ما لهذا الفلاح في الأرض روح،  
هو في جنّة ينال عذاباً  
وقرى النمل، لهف نفسي، أثرى  
ربّ قصر من فوق دجلة كالطّام)  
لو كشفنا أطباقه عن أساس  
ولقد ضاق الشاعر بأمر نفسه فقال:  
لهني لحمسين من سني قد اندرست  
وضاق ذرعاً بالعقل والفكر واليقين فقال:  
ليتني كنت في الرياض شقيقاً  
وقال:

انني قد غدوت أنعم في الشك  
وقال:

وبلى بوى البشر المكّار

وضاق ذرعاً بالتاريخ ورجاله فقال:  
في رمال التاريخ أثار أقدام  
نفخت في الجراب دهباً وولّت  
وإذا بي ما بين أجربة تمشي

ولقد حسد الطائر السجين فقال:  
ولا يضيرنك أن غدوت أسيراً،  
قفص من جريدة النخل خير  
ونفس عليه أنغامه الفطرية فقال:

بلدتنا صناعة اللحن في القول  
وقال أيضاً:

إن تكن قد سجت، يا طير، جسماً  
وقال:

إن يكن قلبك المولّع بلـواك  
وقال:

وهـذا قلبي المغلق

أهو من معشر بلا أرواح؟  
وهو تحت الأشجار أجرد ضاح  
من قره إلا من الأتراح...  
ووس للزهو ناشر بجناح  
لوجدناه منجل الفلاح!

في الكُتب بحثاً كأني دودة الكتب

لـورود بـدون عقل ولـب

لأني منغص بـاليقين

أن يمعن في الفكـر

رفـاق تخطّت التـاريخنا  
فورثنا جـراها المنفـوخنا  
على الأرض سـادة وشـيوخنا

كم طليق يكابد التنكيـدا  
من رياض عن طيرها لن تـلودا

فغرد لنا بلحن السليـقه

فأنا قد سجت روحاً وجسماً

فإني بلـواي قلب وراس

من يفتح أبـوابه؟

وقال من فرط الوجد والألم :

عسى أن ترقص السدينا ، ولو رقصة مذبوح !

وأساء الظن في المجتمع فقال :

لست أخشى عليك من سارق قط ولكن خـوفـي من الحراس

والشرقي بعد ذلك عدو التعصب والرياء ، فهو يقول :

ذممت التعصب من قبل ذا وهما أنما في ذممه لا هج

دعوننا نوسع آفاقنا ليقبلنا المزج والمزج

أقول ، وقد سألتني الرفاق : أنت على وضعنا خارج ؟

أبى الثمر الفج عن جذعه فصلاً وينفصل الناضج

ويقول :

سبعون معصية قد أتيتها في الخفاء

كـانـت أبـرّ وأزكى من طاعة في رياء

ولقد هام علي الشرقي بوطنه وبلاده ورثى لحالها وطلب رقيتها ورفعتهاء ومجدها ، وردد في شعره ذكر أقطار العروبة من مصر والشام والحجاز ونجد إلى طر ابلس وفلسطين .

وأقضى مضجعه حول العراق ، فقال :

نظقت بحاجتها الشعوب وأفصحت وأرى عراقـي واجماً لا ينطق

وكان هذا الشرق سفر غرائب شرحوا عليه الدارجون وعلقوا

ختمت صحائفه وجئنا بعدها حتى كأننا فيه فصل ملحق

وفي موشحه «صفيـر العسس» عرض لأحداث الدهر في بلاد الرافدين من سقوط عبد الحميد ودك عرشه وغليان الثورة القومية إلى تشتت الآراء وتخاذل الرجال . ولقد طالما راودته الأحلام ، فرأى الفراتين وقد ازدهرت على ضفافها نينوى وبابل وأور ، ومرت مواكب آل ساسان وأكاسرة المدائن ، ورأى شبح الموبدان خاشعاً بين يدي سابور .

ثم ازدهمت الجموع في يوم ذي قار والقادسية ، وارتفعت رايات الرشيد والمأمون ، وهجمت المغول ، وجاءت دولة آل عثمان ، وإذا العين تحلم بدولة عربية ، وإذا العراق قد بنى بيتاً له ألف باب ، واحتفل بدولة الألقاب ، فنعم الغدو ونعم المآب .

تألم الشاعر لحال بلاده فقال :

لم يبق وجهه بشوش في الكـوخ أوفي الخصاص

وقال :

في جائيتي قطري زيت يفور      فأين أبن الأمة الشاعلة؟  
وقال:

ليس تجديك سكتة الأفواه      حين نمسي بثورة في الصدور  
والشوقي شاعر يجيد الوصف ولا سيباً وصف الحالات النفسية والنوازع الخفية ، فهو  
يقول:

شاعر خاشع يحس بها في      النفس من وحشة وفرط التيساع  
رجف الصوت بالحنين وأصغى      لـريف الأرواح في الأسماع  
ذلك علي الشرقي الرجل والشاعرا

إيه، يا أبا إحسان، أيها الإنسان الفاضل . إنّي لأذكر ساعات وأياماً وسنين مضية قضيتها متمتعاً بأدبك الرفيع ولطفك الجّم ومودتك الجميلة المتواضعة . لقد كنت في عهدك الأخير تشعر بدنو الأجل ، سافرت للاستشفاء في لندن ، ثم عدت وكأنت متجرد عن الحياة الدنيا . فأسرعت بطبع كتابين لك وهيات كتاباً ثالثاً لم يمهلك الزمن لنشره . وكنت تقول : ليس لي شيء من المتاع ، فداري وسيارتي وكل ما ملكت يميني إنما هي لإحسان وللعائلة . . . ولا أنسى أنني زرتك قبل مرضك القاتل الأخير، وكان لديك جمع من الزوار، فلما استأذنت بالخروج ومضيت في توديعي متفضلاً إلى الباب ، قلتُ : أريد أن أستشيرك في أمور، يا أبا احسان ، فاسمح لي أن أزورك في فرصة قريية . وقلت لي : بل عد الآن ، وأنا كفيـل بصرف الزوار، فنختلي وتكلم . ولكنني قلت : لا داعي للعجلة ، وانصرفت ولم أعلم أن القدر يقف بالمرصاد ، وأنّ زيارتي التالية ستكون للسؤال عن صحتك وأنت راقد في الفراش تعاني أوصاب الداء الفتاك . ثم دق جرس التلفون بعد أيام قليلة ، وكان نعيك الذي صبك السمع وأضنى النفس وأدمع العين .

\*\*\*

كان الشيخ علي الشرقي متواضعاً ، أنيس المحضر ، لا يأنف ، وقد أصبح شاعراً عربياً ووزيراً عراقياً مرموقاً ، أن يتحدث عما لقيه في صباه وصدر شبابه من ضيق وشظف عيش ، حتى شق طريقه في الحياة وبلغ منزلته الرفيعة .

وقد حدثني يوماً أنه كان ، وهو شاب ، يعاني عسراً شديداً حتى ضاقت به السبل ولم يعرف باباً للأمل . وفي تلك اللحظات العسيرة طرق بابُه وجاء أحد أبناء شيوخ العشائر يسأل عن الشيخ علي الشرقي .

ولما عرفه بنفسه قال القادم : ان الفرس عربية أصيلة ولكنها لا تساوي أكثر من ستين ليرة ذهباً ، فإذا شئت دفعت لك ثلاثين ليرة عن نصف ثمنها ، أو رغبت في أخذها فادفع لنا ثلاثين ليرة وخذها ، بارك الله لك فيها

ولم يدر علي الشرقي قصة الفرس ولم يسأل عن أمرها ، ولا ساوم في ثمنها ، بل قال :

هات ثلاثين ليرة واحتفظ بالفرس .

وقبض المبلغ وحمد الله الذي فرّج كربته من حيث لا يعلم .

ومضى اسبوع أو اسبوعان ، وجاء صديق علي الشرقي إلى النجف وقال له : هل قبضت نصف ثمن الفرس؟

قال : قبضت ثلاثين ليرة ، وحقق محفوظ فيها . ولكن حدثني ما القصة ، وما شأنك في الأمر؟

قال : انني نازل في مضارب الشيخ . . . رئيس عشيرة . . . وقد أدركته الوفاة ، فاستدعاني وقال لي : أعلم ان هذه الساعة آخر عهدي بالحياة ، ولي فرس أصيلة أريد أن أصرف نصف ثمنها في وجوه البر ، فأبي جهة من جهات الخير أجدر بها؟ فقلت : أو ص بنصف ثمنها إلى مقام علي الشرقي (وهو مزار يقابل قرية علي الغربي على الجانب الأخر من نهر دجلة) . وأوصى الشيخ ، ثم قضى نحبه .

وأتم الصديق حديثه قائلاً : وجاءني أولاد الشيخ الراحل يسألون انفاذ وصية والدهم ، فقالوا انهم قدّروا ثمن الفرس بستين ليرة ذهب ، وسألوا عن مقام علي الشرقي ، فقلت : أسألوا عنه في النجف الأشرف . وأرسلوا أحدهم إلى النجف ، فكان ما رأيت وسمعت !

قال علي الشرقي : بل كان ذلك الفرج الذي أرسله الله .

ولقد تحدّث علي الشرقي في «الأحلام» عن فقر النجف المذقع وأحلامها العريضة ، تلك البلدة التي كما قال :

فيها مفااتيح لأبواب      المرجا وبها مغالق  
ولها مجاز ينتهي      بالسالكين إلى حقائق  
ملاى بكل طريفنة      من كل معجزة وخرارق

حار ورفاقه من الشباب في التماس الرزق ، فألفوا «شركة مقاومة الفقر» وشرعوا بطبع الكتب والدواوين الشعرية . ثم ضربوا في القرى والديساكر ومنازل الريفيين والعشائر ، وباتوا في الخيام والعراء وحجر الطين التي تجري فيها الفئران وتصب السقوف ميزاب أمطارها ، وجابوا ساحات الحرب ودهاليزها الخلفية وميادين الثورة والجهاد . . . وقد كتب الشرقي صفحات صادقة من تجارب الشباب وتحوّلاته وتطلّعاته ، صفحات تمتاز بنثرها القلق القاسف المتعثر وتكاد تشبه أحاديث جان جاك روسو في اعترافاته . وقد قال :

فصح الشعور به ، ولم أك شاكياً      إلّا لكوني شاعراً وفصيحا  
في النفس أشياء ، فهل من موضع      حرّ الفضاء لأشتكي وأبوحا؟

امتحن علي الشرقي الحياة وعرك الدهر فخرج بحكمة عملية لخصها بقوله :  
«وإني أكاد أن أكون مخضراً : لقد توسطت جيلين وشهدت عهدين لا يلتقي أحدهما مع الآخر، ولكنني التقيت مع هذا وذاك وأدركت وداع أحدهما واستقبلت الآخر. لقد تتلمذت على منبر ذاك وتوسطت حلقة هذا، وأغرب ما أدهشني وحدة الجوهر واختلاف الأسلوب. الضجة التي سمعها المعري في اللاذقية، وأن الأصوات التي كانت مرتفعة في أروقة البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقاهرة وغرناطة واشبيلية، وما كان يتصاعد من أبواق دراويش المتصوفة ومن قعقة السيوف الخشبية التي يتكئ عليها خطباء الجمعة، كلها تطلب البلسم للجرح وتريد العلاج لهذه الدنيا المريضة، ولكن كل ما جاءت به مسكن لا العلاج الشافي. وكذلك دعاوة اليوم وما تقوم به هذه الأكوام من المؤلفات والمحاضرات والمجلات والجرائد ومكاتب السياسيين ومنابر البرلمانات وصفوف الجامعات وأنباء المراسلين، وكل ما سجلته الأفلام ورتبته حروف المطابع، تلك الأفلام وتلك المطابع التي تكتب وتطبع بحبر رماد الحق. فقد قيل إن الباطل أحرق الحق، وجاء البشر أو شياطين البشر فلم يجدوا إلا رماد الحق، وسرعان ما جعلوه مادة حبر لما يكتبون وما يطبعون. والدنيا في يومها وأمسها برغم الانقلاب الأول والثاني أساليب تتبدل وظواهر تتطور، ولكن كل ما جاءت به علاج مسكن وليس بالشافي.

«إنك إذا تقصّيت وفحصت بعمق لم تجد في الرؤوس شيئاً. وهذا الإنسان في قديمه وحديثه لم تنفعه تفاحة آدم ولا صمّونة مولوتوف\*»، بل هذي وتلك طرده من الجنة وأبعده عن النعيم . . .»

الشيخ علي الشرقي :

كان عاطفياً سريع الإنفعال في حياته الشخصية والأدبية، وقد أثر فيه يتمه ونشأته الصعبة في البيئة النجفية الجامدة تأثيراً عميقاً. ولذلك نرى شعره يختلف اختلافاً بيناً عن شعر معاصريه بكثرة مجازاته وإيمااته وصوره الغريبة وحده على الفقراء والفلاحين والكادحين.

لم يكد يبلغ مبلغ الشباب حتى ثار على بيئته الجامدة ووجد نفسه سجيناً يصبو إلى الحرية والانطلاق ويرنو إلى آفاق بعيدة خارج مجتمعه. وهو يحمل على رجال الدين المتزمتين ويداعب الأفكار الحرة الجديدة التي انبثقت من النهضة الفكرية في مصر ولبنان على قدر ما تسمح به ثقافته الدينية الأصيلة وعدم معرفته باللغات الغربية. وقد جاء نشره وشعره متهاوجين بين القديم والحديث لا يستقر لهما قرار شأن نفسيته القلقة المضطربة.

(\* صمّونة مولوتوف (أو قنينة مولوتوف، على الأصح) اسم أطلق خلال الحرب العالمية الثانية على قنابل بدائية استعمالها الروس في الدفاع عن بلادهم، ومولوتوف وزير الخارجية السوفيتية عهدئذ.

ولعل هناك بوناً شاسعاً بين الشرقي الشاعر والشرقي القاضي الشرعي العالم الناجح والشرقي الوزير الذي مالاً الوضع الذي ينتقده وسايه لينعم بمنصبه . لكنه كان دائماً مخلصاً وفيماً لأصحابه معتدل السيرة غير مندفع في خصومته ونقده . عرف في القضاء فقيهاً ملماً بالأحكام الشرعية متمسكاً بالتسامح والتزام مفاهيم العدالة في تطبيقاته وتحريجاته . أما في الوزارة فكان شفافاً كالماء الذي يتلَوَّن بلون الإناء ، فلما جاءت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وقضت على العهد الملكي الذي زامله في حياته السياسية مضى في «أحلامه» يحمل على سياسة الأمير عبد الاله ونوري السعيد . ومن الحق أن يقال إن شعره قبل الثورة كان زاخراً بالشكوى والتبرم من الأوضاع السائدة ، فكان ثمة ستار فاصل بين حياته العملية والفكرية لم يحاول رفعه . لم يكن الشيخ علي الشرقي من الرجال المكافحين في سبيل المبادئ والآراء ، الراضين بالوضعية وتحمل المشاق ، بل كان بطبعه سهلاً ينتقاد للواقع ويهاشي ويجامل إلى أبعد الحدود .

وقد قال في إحدى رباعياته :

يا رامي الشجر العالي بأكرته ، هلاً تعلمت أخلاقاً من الشجر  
ترميه بالحجر القاسي بلا خجل وإنه دائماً يرميك بالثمر

لقد هادن المغالين المندفعين والمعتدلين المساييرين وقنع برفاهة العيش وهناءة الأسرة  
والقبيل واكتفى بالنقد البريء والقول الهاديء ، فقال :

هذي الرؤوس ولكن كلها وجع ، وذو العيون ولكن كلها رمد  
وكم صدور بهذا القطر فارغة جوفاء ليس بها قلب ولا كبد  
صدور أنديّة في جهلها انتفخت حتى تشابه فيها الهُرّ والأسد  
وصحّ فيه قوله :

يا بلاداً تجهمت بظلام المصاييح فيك ملأى بزيت  
إنني هامس بأذنك قد كنت ولكن لا أريد أرفع صوتي

وكان المسالم الذي قال :

مالدار السلام أضححت برغمي تشتهي أن تكون دار الخصام؟  
تنطح الصخر في قرون الطين وتغزو الأجداد بالأقزام

\*\*\*

اطلع احد شعراء النجف المتزمتين على منظومة إيليا أبي ماضي «لست أدري»  
فعارضها بمنظومة مثلها حسب أنها نقضت كل شكوك الشاعر المهجري وجعل عنوانها  
«أنا أدري» . فانبرى له علي الشرقي بمعارضة جديدة مختصرة ختمها بقوله :

أنت بمنون ولكن لست تدري ، أنا ————— أدري .

## علي الشرقي :

حدثني علي الشرقي أنه جاء من النجف إلى بغداد بعد أمد قصير من احتلال الانكليز لها سنة ١٩١٧ ونزل في بعض خانات الكاظمية . وتخلّق رواد الخان عصرًا في الساحة وأخذوا يتحدثون عن الأتراك وما جنوه على العراق فسلقوهم بألسنة حداد ، وقال بعضهم إن الأتراك كانوا كفارًا والإسلام بريء منهم . . . فاعترض علي الشرقي ، وكان جالسًا معهم تمضية للوقت ، وقال إن الأتراك مسلمون ولا ريب ، وليسوا كفارًا ، والأولى انتقادهم بأنهم علة تأخر البلاد التي حكموها نحوًا من أربعة قرون في دياجير الجهل والفقر . . .

وفي صباح الغد مضى الشرقي إلى بغداد ودخل السوق وجلس في دكان السيد محمد رحمة الله ، وكان جعفر الشيبلي عاملاً لديه . وفيما هم يتحدثون إذ جاء بعض أفراد الشرطة وتفحص وجه علي الشرقي وقال له : أنت علي الشرقي القادم أمس من النجف؟

قال : نعم

فأشار إليه الشرطي أن يرافقه إلى «خان دلة» وهو آنذاك مقر الشرطة الانكليزية . ومضى بصحبته فأدخل على قوميسير (مفوض شرطة) انكليزي يتكلم العربية بطلاقة ، وقال له : أنت علي الشرقي (ومضى يسرد حياته وأعماله) . ثم سأله : ماذا قلت أمس في خان الكاظمية وأنت جالس تتسامر مع الجماعة؟

فأخبره الشرقي بما دار الحديث حوله وما قاله هو نفسه ، فقال المفوض : هذا صحيح ، وكلامك لا غضاضة فيه . لكن العوام لا تفهمه وتؤوله شتى التأويلات في هذه الظروف التي تخيم عليها سحابة الحرب ، فالأولى أن تحذر الكلام وتلوذ بالصمت . وأذن له بالذهاب بعد هذا التحذير ، فخرج وهو يعجب لدقة الاستخبارات البريطانية .

## عبد الحسين الأزري

عبد الحسين الأزري من شعراء الطبقة الثانية التي برزت بعد رائدتي النهضة الأدبية الزهاوي والرصافي . لكنه بقي محافظاً إلى حد ما ولم يساير التجديد إلى آخر أشواطه شأن محمد رضا الشيبلي وأخيه محمد باقر وعلي الشرقي وأقرانهم .

نسبه علي الشرقي إلى الأسرة الأزريّة المتفرعة من محمد بن مراد التميمي البغدادي المتوفى سنة ١٧٤٩ ، وهو أول من لقب بالأزري لتعاطيه بيع الأزر المنسوجة من القطن والصوف ، وقد نبغ من هذه الأسرة الشاعران محمد كاظم (١٧٣٠ - ١٧٩٦) ومحمد رضا المتوفى سنة ١٨٢٤ .

لكن جعفر الخليلي يذكر مستنداً إلى أصح المصادر أن الحاج عبد الحسين بن يوسف ابن محمد المعروف بالأزري ابن محمود بن ابراهيم الحضيري التميمي لا صلة له بأل الأزري المتقدم ذكرهم سوى أن أحد جدوده من الحضيريين تزوج بابنة الشيخ محمد رضا أخي الشاعر الشيخ كاظم فطغت شهرة الأزرية على هذا البيت .

ولد عبد الحسين الأزري في بغداد في شهر شباط ١٨٨١ ، ودرس في مدارسها الابتدائية . ثم تتلمذ على الشيخ شكر الله قاضي الجعفرية فأخذ عنه العلوم العربية والدينية . وأكّـب على مطالعة الشعر والأدب ، ونظم القريض وهو يافع . عمل في التجارة حيناً ، وهي مهنة أسرته ، وكان موظفاً في شركة ترام الكاظمية .

وافتح المدرسة الجعفرية في بغداد سنة ١٩٠٨ فألقى في حفل الافتتاح قصيدة قال فيها :

زيـدي بـنيك محاسناً وجمالاً      ودعي الحوادث تقنع العــــذالاً  
وامشي بهم مشي الهلال معانياً      حلك الســــدجى حتى يتمّ كما لا

وأعلن الدستور العثماني في تلك السنة فكفل حرية الكلام والصحافة . وأصدر الأزري جريدة «الروضة» (٢٢ حزيران ١٩٠٩) ، لكنها أغلقت قبل مرور سنة على صدورها فشفعها بجريدة «مصبح الشرق» (أول آب ١٩١٠) . وصدرت هذه الصحيفة أشهراً ثم أصابتها يد التعطيل .

وأصدر بعد ذلك جريدته الثالثة «المصبح» (٧ آذار ١٩١١) فـ «المصبح الأغر» (١٤ تشرين الثاني ١٩١١) وظلّت تصدر ثلاث سنوات . وتولّى الأزري في الوقت نفسه ادارة مجلة «العلم» التي أصدرها هبة الدين الحسيني الشهرستاني .

ولما نشبت الحرب العظمى وخاضت الدولة التركية غمارها ، نفي إلى قيصرية الأناضول مع لفيف من أحرار العراق ورجال الفكر والإصلاح ، فمكث في منفاه نحواً من سنة وعشرة أشهر . وسمح له بالعودة إلى بغداد مع صحبه سنة ١٩١٦ . وقال يذكر وادي أرجيوس من قمم جبال طوروس القريبة من قيصري :

وادي أَرْجِيُوس ، حسبي ما أقاسيه ،      شيتت رأسي كما شابت نواصيه  
كفالك سجن غريب بين مجتمع      يعدّه كأسير من أعـاديه  
ضيتت ، ويلك ، شطراً من شيبته      قد ظنّه برغيد العيش يقضيه  
يشكو إلى الليل من صبح يعيد له (م)      البلسوى وللصبح من ليل يلداجيه

ويحنّ إلى بغداد فيقول :

إذا ذكرتك ، يا بغداد ، أرقني      ذكرى حبيب بروحي كنت أفديه  
تركته ساعة التوديع في ولـه      لم يدرك كيف عن الأنظار يخفيه



وبين جنبيه نفس لا تطاوعه على النوى وفؤاد لا يواتيه . . .  
وهي من رقيق الشعر تذكرنا بهائية ابن زريق البغدادي (لا تعذليه فإن العذل يولعه)  
ونونية محمود سامي البارودي:  
محا الين ما أبت عيون المهامني فثبت ولم أقض اللبانة من ستي  
أصدر الأزري بعد الحرب مجلة «الإصلاح» (٢ آب ١٩٢٤) فلم ينشر منها سوى  
عددين .

وانتخب نائباً عن الديوانية في مجلس النواب (كانون الاول ١٩٣٤) فلم تدم نيابته إلا  
أشهرًا إذ حلّ المجلس في نيسان ١٩٣٥ . وقد قال في المجلس النيابي:  
يا رواق المجلس الحافل بالسوفد الضيوف،  
يا جناح المطعم الغاض برواد المرغيف،  
أيها الحافظ للائثار ربات السرفوف . . .  
حشرت في الأمر، فهل عنك من رأي حصيف؟؟  
كيف مالت كفة الميزان بالوزن الخفيف؟

وعدّ المجلس صالة تمثيل هزلي تحركه الإشارات من وراء الستار ويعيش جوقه اللاهي  
على كدّ الألوف من المواطنين . وقد قال الشاعر العراقي في القرن التاسع عشر - ولعله  
عبد الباقي العمري -:

صور وأشباح تروح وتغتدي خلف الستارة والمحرك باقي  
وكان للأزري بعض الإلمام باللغات التركية والفارسية والفرنسية . ومن أولاده  
الوزيران المهندس عبد الأمير والاقتصادي عبد الكريم . أدركه الحماق في بغداد في ١٧  
كانون الاول ١٩٥٤ .

مؤلفاته:

له شعر نشر في معظم المجلات والصحف العربية، ثم جمع في ديوان طبع في بيروت  
سنة ١٩٧٩ بمقدمة للشيخ علي الشرقي . ووضع تاريخاً للعراق قديماً وحديثاً وروايات  
متها: قصر التاج، بوران، بطل الحلة، وكلها لم تطبع، ومجموعة مقالات في السياسة  
والاجتماع والأخلاق .

شعره:

عبد الحسين الأزري شاعر محافظ في معانيه ومبانيه، جزل الألفاظ، مشرق  
الديباجة . ذكر علي الشرقي مزايا شعره فقال: «هو إقليم في فنه، انساني في نزعتة،  
قومي في أهدافه . وبما أنه ترعرع في أحضان الثورات والانقلابات فقد كان يكثر في  
شعره النقد اللاذع وتصطبغ قصائده أحياناً باللون القاتم . . . يجب من الشعر الخيال

الجميل ويدع في الأسلوب القصصي» .

وقال جعفر الخليلي إن الأزري، إلى جانب شاعريته الفياضة، محدث بارع وظريف لبق. كان على جانب كبير من الوقوف على التاريخ العربي، وقلما روى شيئاً دون أن يستشهد بأقوال شعراء الجاهلية والإسلام والوقائع التاريخية. وكان لغويًا واسع المعرفة، خفيف الروح، يعشق الجمال في كل شيء ولاسيما في المرأة. (اه)

امتاز شعر الأزري بالجزالة والرواء. وهو شاعر وجداني قبل كل شيء. أليس هو القائل:

خطأ كان، فاذهبي بسلام  
وتناسي بحرمة العهد ما كنت  
من عتاب مرّ وآلام شكوى  
غمرني طيفك الملمّ بجفني  
وتخيّلت أنني فزت بالقرب  
لست أدري، وليتني كنت أدري،  
والقائل:

فلكم تذرع بالوداد مصادق،  
صدق الهوى، ما كلّ ودّ صادق،  
لعرفت منه سرّ ما هو عاشق...  
ومكابِر بالعشق لو كاشفته  
لولا فمي بالماء دونك شارق،  
أحمامة الوادي، سبتك بالغنا،  
نفس معذّبة وقلب خافق  
ولربما سكت الحزين، وفي الحشا

وقال يخاطب شجر البان:

هل مسك الوجد مثلي، أيها البانُ  
فأذنت بذبولٍ منك أغصان؟

سأل الشاعر شجر البان: هل روت له الحمامة حديث الهوى مشوباً بالأشجان والأحزان، وهل اتخذت الطباء ملجأ في ظله الوارف الفينان، ثم أمست مغانيه قفرة موحشة كنفس الشاعر الوهّان؟

وفي قصيدته «اليتيم» التي أنشدها سنة ١٩٢٥ في حفلة المعهد العلمي لرعاية الجمعية الخيرية للأيتام يقول:

هدأ الدجى لولا أنين عليل  
ومدّد بسقامه مشغول  
ونشيح وهى خشية من أنها  
تبقى وصبيتهُ باغير كفيل

طال السقام على الشقي المريض، وبجانبه صبية صغار وحليلة تتكلف الصبر الجميل، ومن الصبر ما يثقل ويرهق إرهاقاً. وقفت عند سريره تكفكف دمعها وتنظر

إلى أولادها وقد باتوا على الطوي . حتى إذا ما قضى رب الأسرة بقيت المرأة المفجوعة تعاني البؤس ، حتى سئمت الذل ووردت حياض الموت تاركة أيتامها طعائن في قفر راحت مشتتة بغير دليل .

وقصيدة الأزري مؤثرة حزينة تبتدىء وتنتهي بالفاجعة على عادة شعراء زمانه وفي مقدمتهم الرصافي ناظم «أم اليتيم» و «اليتيم في العيد» .

وفي شعر شاعرنا ، أنات وحسرات ، فهو نفسه قد ابتلي بالمصائب فقال :

عشتُ دهرًا فلم أجد غير ما بُتُّ (م) أقاسيه من نوائب دهري  
غصص لـو حسبتهـا لتلاشت دون إحصائها دقات عمري  
فلا عجب أن أصبح سيء الظن بالدهر وبالناس .

ألم يقل :

أضحكتنا ، ورب ضحك بكاء ، فترة من زماننا رعناء  
وقال أيضاً :

نحن في كلِّ غُدوة ورواح هدف الموت والقضاء المتاح  
وقال :

لم يبق في الناس موثوق بعفته إلا الذي عصمته رحمة الباري  
وقال :

تشي بنا القهقري مشي الكسيح بها دنيا تقدم أذناً على الراس  
وقال :

قد ذهب الصدق وظل اسمه ، يا ليتته ولي مع الصّدق  
وقال يرثي لحال الأديب :

جهلوه في قيد الحياة ، وبعدها لما مضى أسفوا على فقدانه  
فكأنهم فيضان دجلة حينها يأتي إلى الوادي بغير أوانسه  
وقال يذكر صديقاً خانه :

ولي صاحب قد كنت أوثر حبه فلما أساء انسل من قلبي الحبُّ  
لقد خانني فيما عليه ائتمته ورب أذى مستقبح بعده العتب  
وقال ، ولعلها الغاية في الشكوى من العقوق والكنود :

حسي عتاباً على من قد خلصت له وقد جفاني أي لا أعاتبه  
مّن تحدر من صُلبي نفضت يدي ، فكيف أرجو الوفا ممن أصحابه؟  
والأزري شاعر وطني تألم لحال بلاده وسائر أقطار العرب والشرق وطلب لها الحرية

والعلم والنهوض . فيها هو ذا يخاطب وطن الرشيد قائلاً :

وطني ، لأجلك قد عدت قراري  
أحيي الليالي والعيون هواجع  
وسئمت فيك حياة هذي الدار  
وهواجسي في جنحها سماري

حتى يقول :

ناديت أوطاني ، وما أعني بما  
النائرات فضائلي ومفاخري  
والناظرات إليّ نظرة أمل  
والباعثات بنفسي الشّمم الذي

ويقول في قصيدته «المجد مكتسب» :

دم ذاكراً فيك ، يا شعبان ، من وثبوا  
واحفظ لهم عهد صدق عند نهضتهم  
واسعد بقوم على ورد الرّدى عقدوا

ويقول في قصيدته «مظاهر ودّ كلهن مصائد» :

ألا أيها السوادي الكئيب الذي له  
لقد كنت أرجو أن تحلّ من الإبا  
ظمئنا ولاغيار فيك موارد

ويقول في قصيدة أخرى :

ليس يجدي من الضعيف الكلام ،  
إنما الحق سلوة العاجز الأعزل (م)  
يتسلّى به كما يتسلّى

ولا يفوته - على عادة شعراء عصره - أن يطلب العلم لأمته ، فيقول :

نال فيك الغرب ، يا علم ، المراما  
أشرقت شمسه في الغرب ولم

حتى يقول :

يا بني الشرق ، خذوا العلم ولا  
واتقوا عادية الدهر به ،

ثم يلتفت إلى وطنه فيخاطبه قائلاً :

أيها القطر الذي في مجده  
كلما رمثت أنساجيك بما  
لك في عهد حورابي على  
وعلى آثاره قد شهدوا  
ببدأ العلم بمغناك فهل  
ضارع النجم علواً ومقاماً  
في فؤادي قطع الدمع الكلاماً  
سائر الأقطار فضل لا يسامى  
أنك المبدع في الأرض النظاماً  
فيه تحظى اليوم بدءاً وختاماً؟

خلا شعر الأزري من المديح باستثناء الأماديع النبوية والمراثي الحسينية . لكنه رثى رجال عصره ، وفي طليعتهم الملوك الهاشميون حسين وفيصل وغازي ، والسياسيون محمد جعفر أبو التمن ورستم حيدر وسعد زغلول ، والأدباء الزهراوي وشوقي والرافعي والمنفلوطي ، والزعماء الروحيون محمد تقي الشيرازي ومهدي الخالصي ، الخ . ولعله الشاعر العربي الوحيد الذي رثى شاعر الهند طاغور ، وإن يكن الأدباء كتبوا عنه وترجموا له كثيراً ومنهم مصطفى صادق الرافعي . قال الأزري في طاغور:

أيها الراحل الذي كان يشدو وهو رهن القيود والأغلال  
مثلها تصدح الطيور صباحاً من وراء الأقفاص والأقفال

والحقيقة ان طاغور لم يعرف القيود والأقفاص ، بل شدا وترنم حراً طليقاً ، فلقى التكريم في موطنه وفي بريطانيا والمحافل الدولية التي منحتة جائزة نوبل للأدب . واقتصر نضاله في سبيل الهند على إعادة الأوسمة التي منحتة إياها الحكومة الانكليزية بعد الحرب العظمى الأولى .

وقال الأزري :

لم تصل للكمال نفس ، ولكن  
أدب لذت من شجونك فيه  
خطرات شفافة ككؤوس  
أو نسيم بين الرياض بليل  
كدت فيها تجتاز باب الكمال  
عدت فيه بمعجزات الخيال  
من رحيق معتق سلسال  
أو كماء عذب المذاق زلال . . .

وهو يستطرد في رثاء الزهراوي إلى حكمة الحياة والموت ، فيقول :

ضرب الغموض على الحياة حجابه ،  
قصرت خطاك عن الوصول ولم تزل  
مشت العصور على غرار واحد :  
والأرض تثمر والمنيبة تجتني ،  
والدهر كالبحر الخضم يفيض في  
.....  
فـارقت بنفسك ، أيها المتعمق  
تدنو فتبعد أو تعموم فتغرق  
نفسها تحيا وأخسرى تزهب  
والليل يجمع والنهار يفرق  
رحم الذين مضوا ويحرف من بقوا  
..... الخ

ويرثي ولدأ احتسب به صبيأ فيقول ملتناعأ :  
بين نشر السدجى وطى النهار  
أيتها الحاملون للقبر دُرجأ  
كفّنوه بالورد فهو أخوه ،  
لا تهيلوا على الأقاحي ترابأ ،  
ويرثي قريبة له عزيزة عليه فيقول :

سبق الشمس للمغيب هـزاري . . .  
من عطور أوباقية من بهار ،  
واجعلوا القبر سلّة من نضار  
فحرام تعفّر الأزهار

كأنك في قبرين : قبر بأضلعي  
أجدد فيك العهد كلّ عشية  
وقبر به وسنذتُ خدك تُربيه ،  
وقفت عليه خاشع القلب مطرفأ  
وهو يرثي سعد زغلول فيطلقها صرخة وطنية مدوية ، ويرثي أحمد شوقي فيمجّد  
الأدب ويكبر الشاعر والأديب ، ويرثي يوسف رجب فياسى لهوان الأديب الحرّ ويحزن  
لبؤسه وشقائه .

والمواضيع الأخرى التي يطرقها الأزري يماثل معظمها تلك التي شغلت بال  
معاصريه من الشعراء .

فهو يرثي لحال وطنه - ذلك الوطن الذي قال فيه :

وطن يرانا الخير من غربائه      وتعدّنا النكبات من أبنائه  
وتكاد تنكرنا الحياة ، كأننا      لسنا بهذا القطر من أحيائه

لقد عدم قراره لأجل هذا الوطن وسثم الحياة فيه ، فأرقت ليلاليه . طلب لقومه العلم  
والنهضة والسودد ، وحيى ذكرى الثورة العربية وثورة العشرين ، وقال إن الحق لا ينال  
بغير النضال ، واستنكر الشقاق وتفرق الكلمة ، وقال :

تعهدوا ، يا شباب اليوم موطنكم      من أن تضعه الأحزاب والشيخ  
كان الوفاق لكم أيام نهضتكم      ركنأ ، ولكن أراه اليوم ينصدع .

والأزري بعد ذلك رجل محافظ وقف من قضية تحرير المرأة موقف الوجل والحذر ،  
وردّ على دعاة السفور قائلاً :

أمنازل الحفّرات في الزوراء ،      لا زعزعتك عواصف الأهواء

قال لبنات قومه إنّ الحجاب لم يكن إسارأ ، وحلدهنّ من أن يخذعهنّ الشعراء  
بخيالهم ، ونذد بالمسارح والملاهي قارناً التهذيب بالفضيلة والحياء . وطلب تشييد

المدارس للفتيات ورفع مستوى أخلاقهن ليكن نساءً فاضلات ، صالحات لتربية الأجيال الطالعة .

ومن طريف شعره قصيدته «الغادة العذراء في أحلامها» . وللشاعر الفرنسي ألفرد دي موسيه مسرحية منظومة لطيفة عنوانها «فيم تحلم الفتيات» أو «أحلام الفتيات» يصور فيها أختين تتناجيان في الحب والزواج والتبرج والجمال . تحلم احدهما بالعريس الذي دعاه أبوها لزيارة الأسرة في الغداة وتسمع ، وهي على فراشها سكرى بحسنها وصباها ، صوت شاب يغني لها خارج النافذة ويقول : أيتها الفتاة ، ماذا تفعلين بحياتك؟ الساعات تهرب ، والورود تذبل ، والشتاء يعقب الخريف . قلبك يخفق وعيناك تتوهجان . أنت تذهبين إلى البحر بلا نجم هاد وإلى المعركة بلا نشيد . وما قيمة الحياة بلا حب؟ إنما الحياة رقاد والحب أحلامه .

وتقول الفتاة : إنني أشعر بهزار يترنم في أعماق قلبي . ويأتي الحبيب ليختار احدى الفتاتين فيتردد ويحار ، ويقول : لا تسخروا مني ، أنا لا أعرف طرق الحب . انا لا أعرف سوى النظر وإنزال عبرة ساكنة وترديد آهة خجولة . النار تضطرم في صدري ولساني عاجز عن البوح بهيامي . . . وتنتهي الأحلام بالزواج السعيد .

إن أحلام فتيات الشاعر الفرنسي تضجّ بالبطولة والحبّ والمجازفة والغناء . أما غادة الشاعر العراقي فتريد سعادة هادئة لا تعصف بها الرياح . قال الشاعر :

عصفت بها ريح الهوى فتدلّمت ،	من ذا يردّ الريح عن أدراجها؟
وتطلعت في الأفق من أستارها	كتطلّع الأقبار من أبراجها
عذراء فاتنة وكم من فتنة	كان الهوى سبباً إلى إرهابها؟
قد جاوزت اعصارها وتميأت	للقطف كالثمرات في إنضاجها
ويبدت ترائبها كماء بحيرة	وكأنها النهدان من أمواجهها
نظرت رشاقة قدّها فتنهدت	وكأنها خشيت فوات زواجها
خلع الإهاب عليه أجل حلّة	يسمو برقته على ديباجها
ويشفّ عن هيف القوام رداؤها	كالراح تظهر من وراء زجاجها
تختال ضامرة الحشا ، لكنها	تشاقل الخطوات من رجراجها
جاءت لتعرضه على مرآتها	من بعد ما عبث الهوى بمزاجها
وتلفّنت لترى انعكاس خيالها	في ميسها ودلالها وغنّاجها
وتكفّ ما قد سال فوق جبينها	من شعرها لتزيد نور سراجها

وأيقنت الفتاة أنها تسنمت عرش الجمال ، فتساءلت عن الذي سيكون حارس تاجها . غير أننا نرى الشاعر ينتقل إلى موضوع أحبّ إلى نفسه وأقرب إلى فكره ، فيفصح عن خوفه من أن يعود عصر حواء فتتسرّ الغيد بأوارق الشجر .

ولالأزري غزل لطيف ، منه :

بداءي محيهاها على حين غفلة  
فقلت : أفق من سكرة أنا كأسها ،  
وهمت بإسدال القناع تعطفاً  
فقلت : أصاب السهم مرماه فارقي ،  
رأيت الهوى استوفى بأول نظرة  
ففي أتزود من محياك لحظة  
وقال :

فخرّ على أقدامها صعباً قلبي  
وهي أنني أستغفر الله من ذنبي  
على كبد شبت به جذوة الحب  
وهيهات برء الجرح من نصله الزهب  
نهاية ما استوفاه من عاشق صب  
ففي قبلها أفضي على حكمه نجبي

بينني وبينك ألف القسـدرُ

لقد أحسن الأزري رواية قصص الحب الخيالية في شعره العذب المنسجم ، فقال :

وأنا في مضجعي لثماً وضماً  
أن تـزوري دون أن أسبق علماً  
وتنشقتك كالزهرة شما  
كان عهدي في اليقظة نغماً  
وتقمصت من الأحلام جسماً؟  
كيف لم تختلف الـوناً وطعماً  
ليت شعري كيف عدّوا الطيف وهماً؟  
عندما ألقاك واليقظة حلماً  
زال رؤياي لك اللغز المعمى

زارني طيفك فاستقبلته  
مثلها عودتني في يقظتي  
فتنسمت لك لطفاً كالصبأ  
وتحدثت بصوت مثلها  
هل تحولت خيالاً في الكرى  
وعجيب أنت والطيف معاً  
خفت القلب لمرآك بهـه ،  
لم لا؟ أحسب حلمي يقظة  
حلليـه كيفما شئت فما

إنّ شاعرنا قد طوّف في المدائن والمعاهد ، وتجسّم المتاعب والمشاق ، عاشر الشيوخ  
في آمهم والشباب في آمهم ، وعلل النفس وهددها بالأمان والأحلام ، فرجع إلى  
عزلته خائباً حائراً . والتجأ إلى «واحة الإيمان» ينشد الراحة والسكينة في ظلال الأدب ،  
منشداً لنفسه :

ومـداد مـحبرتي شراي  
الأمـنـادمـة الكـتاب

حسبي يـراعـي سـاقـياً  
وأنا السـذي لم يبق لي



## محمد حبيب العبيدي

مفتي الموصل وشاعرها ولد فيها سنة ١٨٧٩ وتوفي بها في ١٩ تشرين الاول ١٩٦٣ .  
وقد نشرت ترجمة وافية له في «أعلام اليقظة الفكرية» .

وأضيف هنا أنه كان مع الجيش التركي في ساحة فلسطين حين احتلها الانكليز سنة ١٩١٨ ، فقبضوا عليه واعتقلوه في معتقل الأسرى بالاسكندرية . وأطلق سراحه بعد انتهاء الحرب .

من شعره الوطني :

أضرموا النار، يا سرة العراق،  
إن ضيماً حملتموه عظيم  
واغسلوا العار بالدم المهرق  
كاحتمال الأطواق في الأعناق  
كل أن تُسقون كأس هـوان  
فاقطعوا بالسيوف كفّ الساقبي  
يا رجال العراق، لستم أسارى  
لتزينوا الأعناق بالأطواق . . .

قال فيه إبراهيم صالح شكر انه تعشق البطولة والعظمة من الصغر، فوضع العمامة على رأسه وتخيل نفسه نذير القضاء على جمود المسلمين وبشير الإصلاح المنشود في الشرق . فلما وصل سنّ الشباب رأى نفسه أهلاً لأن يقوم بالدعوة لإصلاح حال الشرق والمسلمين، فأخذ يخطب ويكتب في هذا الباب . ورحل إلى سورية والاستانة مراراً، ثم قام برحلة يطوف فيها العالم الإسلامي داعياً إلى الإصلاح . ونشرت له جريدة الرأي العام البيروتية قصائد ومقالات طنانة حماسية واجتماعية . ولما نشبت الحرب العظمى أصبح خطيباً للفيلق التركي الرابع بقيادة جمال باشا السفاح . وألف كتاباً عن «جناية الانكليز» وآخر بعنوان «حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الإسلام» .

وجاء إلى الموصل بعد الحرب فخلع عن نفسه ثوبه التركي الطوراني . وعادته فكرة الزعامة، كما قال إبراهيم صالح شكر، فجمع له زمرة من الشيبة الموصلية وأخذ يدعو إلى العرب ونهضتهم ويتغنى بأجماد قحطان وعدنان ويمتدح ملوك العرب ومجاهديهم . . .

## الشيخ كاظم الدجيلي

سلام على شطّ الدجيل، فحسبه  
أديب سياسي أريب وشاعر  
عُلى أنه مَغنى الدجيلي كاظم  
وبالفضل معروف كثير المكارم  
إذا قال شعراً ردّد الدهر شذوه  
وفي نشره سحر كسجع الحائم

وصاغت أيادي الشيب تاجاً لرأسه      لجيناً، وقلب الشيخ غصن البراعم  
يفيض بأوصاف الحسان قصيده      ويا قلماً قد خاض غمر الملاحم  
شبيهه بأفلاطون في الطهر حبه      على أن شعـر الحب جم المزاعم  
على أن شعر الحب عذب نشيده      فلا تستمع فيه للوم اللوائم

قرأ علينا الاستاذ الشيخ كاظم الدجيلي في السنوات الأخيرة طرفاً رائعاً من شعره غير المنشور أمتع أسماعنا وسحر ألبابنا، فكان أن خاطبته بتلك الأبيات مازجاً التقدير والتعظيم الذي أكنه للمصديق الشاعر بالدعابة والملاطفة .

ولد كاظم الدجيلي في قرية دجيل المعروفة بسميكة شمالي بغداد في ١٠ آذار ١٨٨٤ ، وهو ابن حسين بن عيدان بن درويش بن نهار الخزرجي . وجاء به والده إلى بغداد وعمره ستة أشهر فاستوطن جانب الكرخ . ودرس في الكتاتيب فحفظ القرآن وألم باللغة العربية وطرف من العلوم ، ثم لازم فريقاً من أفاضل العلماء والأدباء كشكري الألوسي والسيد حسن الصدر والأب أنستاس ماري الكرملی وجميل صدقي الزهاوي فأفاد منهم فوائد جلية .

وقد حدثني أنه كان يغشى مجالس رجال بغداد كالسيد عبد الرحمن النقيب وعبد المجيد الشاوي وغيرهما ، فكان النقيب يستقبله كلما وافى ديوانه مردداً البيتين التاليين :

أسـال بـالصـبـح سـيل      أم زيـد في اللـيل لـيل ؟  
يا إـخـوتـي بـدجـيل      وأيـن مـنـي دجـيل

والبيتان للشاعر علي بن الجهم قالهما حينما مضى إلى الشام ، فلما قرب حلب ، خرج عليه اللصوص وجرحوه وأخذوا ما معه وتركوه على الطريق ، فاستنجد بإخوته في دجيل ، وأين منه دجيل ؟ (وكان مقامه بمحلة دجيل في بغداد) .

وأتيح له بعد ذلك أن انتمى إلى مدرسة الحقوق في بغداد فنال شهادتها في سنة ١٩٢٣ .

وقد عمل مع أبيه في تجارة الحبوب ردهاً من الزمن في صدر شبابه ، ثم أقبل على المطالعة ونظم الشعر . وأعلن الدستور في السلطنة العثمانية سنة ١٩٠٨ فحياه بقصيدة ألقاها في الاحتفال الذي أقيم في السراي تخليداً لهذا اليوم ، ومطلعها :

بشرى الأنام وبشرى أهل بغداد      فالدهر وافى بإقبال وإسعاد

وصدرت الصحف بعد أن كانت الأفواه مكمومة في العهد الحميدي الدابر ، فحرر الدجيلي في جريدة «بغداد» التي أصدرها مراد سليمان و«الإرشاد» لحسين فريد وجريدة «الحقيقة» لصاحبها عبد المجيد طلعت من رجال حزب الاتحاد والترقي . وأصبح في سنة ١٩١١ مديراً لمجلة «لغة العرب» التي أصدرها الأب أنستاس الكرملی حتى

أغلقت عند نشوب الحرب في أواخر سنة ١٩١٤ . وحكم عليه بالسجن في نفس هذه السنة لمقالة نشرها في مجلة «المستقبل» المصرية لصاحبها سلامه موسى ، ولم يلبث أن أطلق سراحه ، وقد نظم في السجن قصائد منها قصيدته «بوليس بغداد» التي يصف فيها مآسي السجن وأحواله ختمها بقوله :

ولا يحسبنّ المرء تلك خرافة      فناظمها سماعها وخيرها  
ولم تك مأساة لعمري غريبة      ففي جانبي بغداد جمّ نظيرها

وقام الدجيلي في السنوات السابقة للحرب العظمى برحلات إلى إيران وكردستان وأطراف العراق وعربستان وجاب القرى ومنازل الأعراب ودرس أخلاقهم وعاداتهم وأحوالهم الاجتماعية وكتب عنهم ما لم يتهياً لغيره من الرحالين والرواة .

وقد رحل إلى البصرة على اثر احتلال الإنكليز فوظف بدائرة الشرطة (٢٨ كانون الاول ١٩١٤) . ثم رفع إلى وظيفة معاون مفتش شرطة (كانون الاول ١٩١٦) فمفتش شرطة (تموز ١٩١٧) ، لكنه استقال في ايلول من تلك السنة ، وقد عاد إلى الشرطة بصفة معاون مفتش في (كانون الثاني ١٩١٨) ولم يلبث أن استقال بعد شهرين . ثم اعتقل في النجف في كانون الاول من تلك السنة وسجن في بغداد نحواً من ٤٠ يوماً .

وانتمى إلى مدرسة الحقوق عند إعادة افتتاحها ، وعين في الوقت نفسه سكرتيراً خاصاً لرئيس محكمة الاستئناف في بغداد ومحرراً لمجلة «العدلية» (حزيران ١٩٢١) فمحرراً للوقائع العراقية ، وهي جريدة الحكومة الرسمية ، عند صدورها في (كانون الاول ١٩٢٢) .

وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق (١٩٢٣)

وعين في أواخر سنة ١٩٢٣ مدرساً للغة العربية في معهد الدراسات الشرقية في لندن فبقي فيها إلى سنة ١٩٢٩ . وقام في الوقت نفسه بتدريس اللغة العربية للأمر غازي ولي عهد العراق في أثناء دراسته في العاصمة البريطانية (١٩٢٦ - ٢٨) ، وقام أيضاً بوكالة سكرتيرية الممثلة السياسية العراقية في لندن (٤ أيلول ١٩٢٧ - ١٢ آذار ١٩٢٨) .

وعاد الدجيلي بعد ذلك إلى بغداد (ت ١٩٢٩) ، فلم يلبث أن عين في السلك الخارجي وسمي نائب قنصل في مصر (٥ كانون الاول ١٩٣٠) . ونقل في السنة التالية مراقباً للبعثات العلمية في لندن (تشرين الاول ١٩٣١) فنائب قنصل في المحمرة (أيار ١٩٣٤) في بيروت (١٩٣٥) فقنصلاً في حيفا (١٩٣٥) فالقدس (١٩٣٧) فبومبي (أب ١٩٣٨) ، ونقل قنصلاً في كراچي (كانون الأول ١٩٣٩) فتبريز (حزيران ١٩٤٣) . ولما أنشئت المفوضية العراقية في موسكو عين مشاوراً (١٨ تشرين الأول ١٩٤٥) وأصبح بعد ذلك قائماً بأعمالها حتى أحيل على التقاعد (أب ١٩٤٨) .

وقضى الأعوام الأخيرة من حياته متنقلاً بين العراق وأوروبا، حتى أدركه الجهم في فيينا عاصمة النمسة في ٢٣ آذار ١٩٧٠، وجلب جثمانه إلى بغداد ودفن في النجف .  
وقد وضع كاظم الدجيلي رسالة في «أحداث ثورة العشرين» حققها حكمت رحمانى ونشرها سنة ١٩٧٣ .

#### مؤلفاته :

لكاظم الدجيلي شعر كثير متفرق في الصحف والمجلات العراقية والمصرية والسورية واللبنانية . وقد وضع مؤلفات عديدة نشرت معظم بحوثها في مجلة «لغة العرب» والهلال والمقتطف وسواها من المجلات والجرائد، لكنها لم تطبع كتباً . منها: رحلة الفرات، تاريخ النجف، تاريخ الكوفة، تاريخ كربلاء، المشاهد المقدسة في العراق، سامراء قديماً وحديثاً، تاريخ الكاظمية، وتاريخ البصرة، الآثار العراقية، أشعار الأعراب، أعراب العراق، الأغاني العراقية، صابئة العراق، اليزيدية، الأسر البغدادية، الفرق الثلاث (وهي الفرق الامامية الأصولية والأخبارية والشيخية أو الكشفية)، الأمثال العراقية، المصطلحات العراقية، السفن العراقية، الشعر القصصي الحماسي، الخ .

وكتب بالانكليزية بحثاً عن الشيعة نشر في كتاب «أديان الانبراطورية» . وقال انه وضع روايتين باللغة الانكليزية أيضاً باسم «رواية عربية» و «باشا بغداد» .

وللدجيلي بصر بالمخطوطات والآثار . ولم يمنعه عمله في السلك الخارجي وتنقله بين العواصم والبلدان المختلفة من الاهتمام بالأدب، فكثيراً ما كان يكتب إليّ وهو في الخارج رسائل تتناول تعليقات وشؤوناً أدبية .

#### شعره وأدبه :

كاظم الدجيلي أديب حرّ الفكر ، صريح القول، واسع الأفق، زادته اقامته في الأقطار الأوروبية وغيرها واتصاله بأرباب الفكر العالمين ثقافة وإطلاعاً . وقد أودع أشعاره ومقالاته آراء بعيدة الغور اقتبسها من تأملاته ومطالعته الكثيرة . يدور شعره في الغالب على المواضيع الاجتماعية والفكرية، وله غزل ووصف رائع . ولكم يشور على التقاليد البالية وينعى على المجتمع الرياء والتعصب والجهل . وراثؤه قليل، منه مرثاته لأخيه المحامي جواد الدجيلي وهي تقطر لوعة وأسى . وقد أرسل من موسكو بمراثية لشيخه وصديقه أنستاس الكرملي، يقول في مطلعها :

ويح المنسون ا فما لها من رادع      وقفت لكل الخلق بالمرصاد  
ان الحياة على تعاطم شرها      محبوبة حتى لدى الزهاد

## الدجيلي والنقد الذاتي :

حديثك عن غير القويّ حرام وسعيك في نصر الضعيف أثمّام  
تحدث بمجد الأقوياء فإنهم قعود بأحكام الورى وقيام  
يؤلّه مد صار ابن آدم قوة وما الكون الاقوة ونظام . . .

لم ينظم هذه الأبيات بعض أعوان هتلر أو تلاميذ نيتشه، بل قالها شاعر عراقي وديع هو كاظم الدجيلي الذي روعته أهوال الحرب العظمى فحدثه على الجهر بما لا يعتقده ويرتضيه . ولذا أقدم على نقد نفسه في مقال طريف نشرته له صحيفة «الحقائق المصوّرة» البغدادية في عددها المؤرخ في ٢٢ شباط ١٩٢٥ . قال الدجيلي : «في ليلة مطيرة تراكمت فيها الأحزان على قلبي وحاولت أن أسريّ الهم عني بالمطالعة، التفت نحو عالمي الصغير - أي مكتبتي - وأخذت أضرب أخماساً لأسداس . فقلت : هل أقرأ «علم الحب» لأوفيد وأنا سوداوي، أم أقرأ «أصل الأنواع» لداروين وأنا أعتقد حتى الآن بأن الإنسان وحش مفترس؟ هل أقرأ «الفردوس المفقود» وأنا في جهنم، أم أقرأ رواية «البؤساء» وعلاقتي معهم تقضي عليّ أن لا أنبش قبورهم؟

«هل أقرأ «بحيرة» لامارتين أم «جان الصغير» لهوغو، وفي النفس صوت يمنعني عن المطالعة في هذه الليلة إلا في لغتي العربية . وبيننا كانت هذه التأمّلات تجول في فكري المتضعع الإحساس، رأيت شبحاً ينظرني بألف عين، فقلت في نفسي : لا شك أن هذا شاعر حيرتي وتردّدي، ولذا تراه يصوّب نظره إليّ لأنشد أحلامه ولأرثي أمانيه . ثم اختفى بين صحائف «الأدب العصريّ في العراق العربي» . أما أنا فللحال أخذت الكتاب وبدأت أقلب صفحاته حتى عثرت على الشيخ الذي اختفى عني، فإذا به كاظم الدجيلي» .

ويمضي الشيخ كاظم في مقاله فيقول :

«دخلت أول مدينة في عالمه واسمها «الحياة الاجتماعية» وفي البيت الاول من أول شارع وجدت فيه :

حديثك عن غير القويّ حرام وسعيك في نصر الضعيف أثمّام  
«أما تخاف الله أيها الشاعر؟ أتروم أن نتحدث دائماً عن الأقوياء، ومن سعى في نصره الضعيف والأخذ بيده يعدّ اقتراف ذنب يحاسبه الله عليه؟»

ثم يضي الشاعر في نقد أبيات قصيدته حتى يقول : «رباه! أتروم أن تنتقم مني لهبوطي العالم الذي لم أجد فيه سلوتي بل ترك لي حسرة وزفرة تتصاعد وتنخفض . . .» اهـ  
إن قصيدة الدجيلي هذه تزخر بالأفكار وتعبّر عن حيرة الشاعر في رتابة الحياة وتناقضها . فهو يقول :

إذا كنت بين العالمين أخا قوياً  
حمى الغاب بأس الليث من كل طارق  
يقولون: إن الحق من فوق قوّة  
ولو درسوا علم الطبيعة لانشوا  
رعتك عيون الناس حين تنام  
ولم ينج من فتك البسطة حمام  
وما الحق الامدفع وحسام  
وفيهم غرام بالقوى وهيام

ثم يلتفت إلى الخلق فيراه جائراً باسم عادل، ينوح على الميت ويأكل لحمه، ويهدي الصديق الزاد ممزوجاً بالسّم الزعاف. وماذا يرى الشاعر في الناس؟ انهم أشياخ مذاهب يزعم كل منهم صلاح مذهبه وسداده، فهذا قد أفنى الحياة في العبادة، لكن معبوده الأوثان وهي رجم، يقدم لها النذور ويروم الرزق والمغفرة والعافية. وذلك خرافي يروح ويغتدي وأفعاله الشرّ والمعاصي، حتى إذا ما قضى نحبّه قدّسه بعد مماته الطعام وشادوا عليه قبة وجاؤوه من شرق البلاد وغربها يطوفون بقبره ويلتمسون بركته وشفاعته:

وقالوا، وهم يبكون شوقاً ورهبة  
وصار لهم حول الضريح زحام:  
بك الله يحيينا غداً ويميتنا  
وأنت شفاء للورى وسقام.

ويمضي الشاعر في جولته الاجتماعية، فيقف عند جحود ينكر الله جهرة وينعى على القوم أساطيرهم وخرافاتهم، وعالم يحار في سرّ الطبيعة الغامض ويحاول حلّ ألغاز الكون فيموت وفي نفسه حسرة منها وفي حشاه ضرام.

وما الأديان؟

حكاية أديان الأنعام عجيبة  
تريد الهدى والخير للناس كلهم  
وغايتها القصى عبادة واحد  
عظيم لديه يصغر الخلق كلّه  
له أثر في كل شيء وآية  
دعوه بأساء قد اختلفوا بها  
وقالوا وهم في حالة اليأس والرجا:  
متى تجمع الأديان في الأرض وحدة  
ويسلك كلّ العالمين سبيلها  
تجمّع فيها فرقة ووثام  
وكم ثار منها فتنة وخصام  
حقيقته ما إن ترى وترام  
وتستصغر الأجرام وهي عظام  
وبين قواه والوجود لزام  
وعدوه نوراً لا يكاد يُشام  
متى تتلاشى ظلمة وغمام؟  
لها سنة مشروعة ونظام  
وغايتهم منها هدى وسلام...

وينفذ الشاعر في قصيدة أخرى إلى أعماق النفس البشرية فيخاطبها قائلاً:

يا لك من أمرة ناهية  
أحكامها نافذة ماضية

لم يقو مخلصوق على ردها  
 جامعة الأضداد شيطانة  
 قاسية رقيقة الحاشية  
 خبيثة شريرة باغية  
 عاجزة قادة إن ونت  
 تقلبت كالريح أوضاعها  
 الحب والبغض لها شيممة  
 أعني بها النفس التي حيرت  
 وهو يرى الشر أصيلاً في النفس فيقول:  
 تجنب الشر لا خوفاً ولا طمعا  
 ويقول:

إلى الناس نشكو الناس من سوء فعلهم  
 أرى الشر قد عم البرية كلها،  
 فلا الدين مناع ولا العقل رادع  
 أرى الناس في هيجاء من أمر عيشهم  
 فكانوا وديانهم سباعاً وجيفة  
 تقدم في الدنيا فساد أخو الغنى  
 إذا قال رب المال قولاً تطاولت  
 له حرمة في الناس وهي عظيمة  
 له الرأي متبوع، له الحكم نافذ  
 وقد غشي التشاؤم بصر الشاعر فقال:

وسائل يسأل عن مبدئي  
 خبرت دنياي وأبناءها  
 فلم أشاهد غير ما حالة  
 وساء ظنه بالناس فقال:

الجميل يصنع به  
 والألوه يعبه  
 وخاب فآله في بلده وصحابه فقال:

لو كان رب السلطة القاضية  
 إلهة رشيدة غاوية  
 سافلة عالية راقية  
 طيبة طاهرة زاكية  
 أو عزمت، خالدة فانينه  
 هادئة عاصفة عاتية  
 فدأبها غاضبة راضية...  
 أفكار أرباب النهى السامية  
 والشر في النفس قبل الخير قد طبعها

فقد كثرت آثامها وشرورها  
 أكل الورى، يا قوم، مات شعورها؟  
 ولا العلم جالٍ ظلمة أو منيرها  
 تنازع فيها عبدها وأميرها  
 تعاوت عليها أسدها ونمورها  
 وأنعد كل البعد عنها فقيرها  
 إلى وعيه من كل قوم نحورها  
 وقدر جليل لم يحزه قديرها  
 له شهرة كالشمس سار مسيرها

فقلت: إني رجل أسـوئي  
 منذ نشأتني خبرة مستقرى  
 أرتني السوء بكل امرء

من لـه به به أرب  
 من يخيفه الله!

إني أرى العيش في أرض سوى وطني  
والعيش في بلد قل الرفاق به  
وقال متألماً:

إذا رحلت إليها اليوم أصفى لي  
خير من العيش بين الصحب والآل

أنا من عاش في العراق غريباً  
أنا من قال في الحقيقة قولاً  
لكنه يتألم لحال بلاده وحال الشرق المتأخر فيرجو لبلاده وللشرق الرقي والمعرفة  
والنهوض، فيقول:

أنا حرّ مقيّد بقيود  
فانتحاه مكابّر بالردود  
لكنه يتألم لحال بلاده وحال الشرق المتأخر فيرجو لبلاده وللشرق الرقي والمعرفة  
والنهوض، فيقول:

يا نديمي، وأين منّي نديمي،  
فلقد هاجني تهدم مجد  
هدّ أركانه الزمان وأبقى  
أيها الشرق، هل ليومك عود؟  
يا مقرّ الآله، يا معبد الكون،  
نهض الغرب للبرقي ففاز  
سبقوننا إلى العلاء بعلم  
ووقفنا جهلاً ونحن كسالى  
نتمنى البرقي حيث قعدنا  
وأدعينا بأننا علماء  
وينظر إلى حال وطنه المريض فيقول:

غنّني واسقني ابنة العنقود  
كان في الشرق ذا بناء مشيد  
رسمه ندبة بوجه الصعيد .  
أيها الشرق، مَنّا بالسعود  
عجيب تدهور المعبود!  
القوم فيه هناك بالمقصود  
تخذوا منه سلباً للصعود  
ننظر القوم من مكان بعيد  
كيف يرقى إلى العلى ذو قعود؟  
تلك دعوى محتاجة للشهود . . .

ولي وطن يعدّ به أناس  
ولوتركوه يختار المداوي  
ويفكر في حال وطنه الفقير فيقول:

بدعوى أن قصدهم شفاؤه  
لأصلح حاله ولزال داؤه

يا سواد العراق، يئضك الجذب  
يا سواد العراق، فيك كنوز  
يا سواد العراق، أمحك القوم  
يا سواد العراق، شئت يمين  
ومن طريف شعره في المرأة:

فصرت البياض وسط السواد  
يعلم الله ما لها من نفاذ  
وقد كنت روضة المرتاد  
ذات إثم دلت عليك الأعادي

يا زوجة المرء ويا أمه  
ما أنت إلا امرأة فلذة

حارت بك الأبصار والباصرة  
قد نعتها الأمم الحاضرة



إلهة معبودة تارة وتارة شيطانة ساحره  
تغضب في حال المرضا مثلها  
لا وصلها دام ولا قطعها  
وقال في دلال الحبّ وذله :

أرأيت كيف تمنعُ المعشوق  
يا للرجال المُتَعَدِّين لعاشقٍ  
من ذا يساعده على فتانة  
حوراء ألبسها الجمال بهاءه  
صبّت بهيكلها الطبيعة حسنها  
وروت محاسنها حديث جهاها  
ولما يفرغ من وصف المحبوبة ومقلتها وقوامها وطيب رائحتها وثغرها وصدورها  
وبشرتها، يشيد بحلو حديثها ومنادمتها في الشراب، ثم يقول :

أصبو فيتركني الغرام مكاشفاً  
الله ما يلقي فؤادي من جوى  
يا سعد، كن لي في الصبابة مسعداً  
شأن الزمان وتلك سيرة أهله  
بكمُ عدوي إن فقدتُ صديقي  
وصبابة وتقرح وخفوق  
فهوى المحب أراه غير حقيق  
قال الصديق فكان غير صدوق  
الدجيلي والأنسة مي :

كانت الأنسة ميّ زيادة الأدبية النابغة قد اتصلت بالأب انتاس ماري الكرملي  
وراسلته في سنة ١٩٢٠ وساجلته في شؤون الأدب، فاهتم بحسبها ونسبها وكتب إلى  
زميل له من رهبان الناصرة - حيث رأت أديبتنا نور الشمس - يسأله مراجعة سجل  
الكنسية وتحقيق مولدها وأسرته. فأجابه الراهب انها ولدت في الناصرة وعمدت في  
كنيستها في ١١ نيسان ١٨٨٦، وسميت «بربارة»، وأمها من الناصرة، أما أبوها الياس  
زيادة فمن قضاء كسروان في لبنان، وكان عند ميلاد ابنته معلماً في مدرسة «الأرض  
المقدسة» (تيراستنا) الفرنسية في الناصرة.

وقد كتبت الأنسة ميّ في مجلة «المقتطف» سنة ١٩١٩ عن الشعر القصصي الحماسي  
وعدم معرفة العرب آياه، فردّ عليها كاظم الدجيلي، ثم ترضاها بقصيدة قال فيها :

قلبي بكلّ هواي لاسمك ذاكر  
يرتاح للذكرى ويطرب كلمها  
يا من تحدّثت الرجال بفضلها  
هل أنت شاعرة؟ فإني شاعرا!  
وافاه طيف من خيالك زائر  
وبها النساء النابغات تفاخر

لك في سويداء الفؤاد وفكرتي  
 إني امرؤ بالتأبغات مقيم  
 الحب أضناه ويروح قلبه  
 لم يبق منه الشوق الا صورة  
 في كل قلب، يا أميمة، نبعة  
 والحب منتج الحياة وكل ما  
 والحب سلطان تملك أهله  
 والحب فلسفة تعذر وصفها  
 والحب معنى الله أو هو ذاته  
 إني لأحوي في الفؤاد محبة  
 لتيمة الشرق المضيع حقه  
 في عدلها جور وإن حكمت له  
 وبمقلتي وفمي محل عامر  
 وإلى النوابع شوقه متكائر  
 وأمضُ آلاماً محب صابر  
 يأسى لها لما يراها الناظر. . .  
 للحب زاهرة وغصن ناضر  
 أحيا النفوس فذاك حب طاهر  
 خضعت سلاطين لها وجباير  
 وعن الحقيقة كل فهم قاصر  
 طمحت إليه خواطر ونواظر  
 لم تحوها للعاشقين ضماير  
 دول له تقضي وفيه تناظر  
 ومن الغريب يقال: عدل جائر!

ولم يكن الدجيلي أول من تغزل بمي غزلاً بريئاً طاهراً، فقد تغزل بها الادباء  
 والشعراء، وهي الفتاة العبقريّة الفريدة، غزلاً كثيراً لا يخرج عن التجاوب الفكري  
 والتعاطف الروحي والتعارف الأدبي الذي جعل المرأة المثقفة الحساسة حلماً في العيون  
 ومغناطيساً جذاباً للأفئدة والقلوب وخيالاً مائلاً ولكنه، في الوقت عينه، عزيزاً بعيد  
 المنال. وهل كان وليّ الدين يكن يقصدها حين قال:

تمسين ناسية وأسي ذاكرا  
 عجباً، أشاعرة تهاجر شاعرا؟  
 فهل الملائك كالخسان هواجر  
 ان الملائك لا تكون هواجرا  
 إن كنت لا أسعى لمدارك زائراً  
 فلکم سعی فکری لمدارك زائراً

ولنعد إلى شاعرنا الدجيلي فقد شكته الأنسة ميّ إلى الأب الكرملّي، فكتب إليها  
 رسالة مطوّلة، وكان ذلك في سنة ١٩٢٢، فكان أن أرسلت إليه بأحد كتبها وخاطبته  
 في كلمة الاهداء: «إلى أعدل الظالمين من الشعراء».

وعين الشيخ كاظم مدرساً للغة العربية في جامعة لندن فمرّ في طريقه بالقاهرة في  
 أول سنة ١٩٢٤ ومكث فيها أياماً التقى في أثنائها بالدكتور يعقوب صروف صاحب  
 المقتطف، لكنه سافر إلى لندن دون أن يتاح له التعرف بالأنسة. وعاد إلى اثاره النقاش  
 في موضوع الشعر القصصي الحماسي عند العرب فكتبت ميّ تقول:

«لقد عاد الشيخ كاظم الدجيلي في فبراير ١٩٢٤ إلى موضوع الشعر القصصي  
 الحماسي. . . ناقشني وصمت خمسة أعوام درس خلالها الحقوق ونفحني بقصيدة

نشرها في «الهلل» ودعاني فيها ببعض الأسماء الحلوة التي يبتكرها الشعراء يوم يوطدون النفس على معالجة العناد عند امرئ بوجه من الوجوه وعلى أن يسترضوه بالأوزان والاسجاع ليخاصموه بالنثر المرسل . . . .» .

وختمت ردّها تقول: «قيل لي يا سيدي الاستاذ، إنك رحلت إلى انجلترا لتدرّس اللغة العربية في جامعة لندن . وسواء كنت الآن في انجلترا أم في العراق فهات يدك أصافحها! . . .»

ومرّت الاعوام، وحلّت سنة ١٩٣٠، فإذا بالدجيلي ينقل إلى القنصلية العراقية في القاهرة، فيؤمّمها ويغشى محافلها الأدبية والاجتماعية . وهيء له لقاء ميّ لأول مرّة في بعض الحفلات، وكان الذي قدمه إليها الدكتور أمين معلوف، فقد أخذ بيده وانجبه صوب سيدة مشرقة الطلعة من غير جمال أخاذ وقال: هل تعرفين هذا الرجل؟

قالت: لم يسعفني الحظّ بلقائه من قبل . فضحك الدكتور معلوف وقال: كيف ذلك؟ إنه صديقك وخصمك كاظم الدجيلي! فصافحته ببشاشة وقالت: إذن أنت ذلك البغدادي الذي ناظرني وقارعني وترضاني منذ سنين! . .

ولبت الدجيلي في القاهرة سنة واحدة كان يزور الأنسة في أثنائها مساء الخميس من كل أسبوع بحضور والدتها . وكان الكلام يدور حول الأدب والعلم والتاريخ والاجتماع . وفي سنة ١٩٣١ أعيد نقله إلى لندن مراقباً للبعثة العلمية في المفوضية العراقية . ومضت ستان أو ثلاث، وفوجيء شاعرنا ذات يوم بزيارة ميّ على غير موعد، وكانت قد جاءت إلى العاصمة البريطانية في رحلة قصيرة . وقد سرّ بلقائها أيّما سرور واحتفى بها في خلال الأيام القليلة التي أمضتها قبل عودتها إلى مصر، واحتفل بها أيضاً عطا أمين القائم بأعمال المفوضية آنذاك وثابت عبد النور . وقد وجدها الشيخ كاظم في اضطراب نفسي شديد: فقد توفيت والدتها التي كانت تلازمها وتتعهدها برعايتها وبقيت وحيدة لا أخ لها ولا أخت ولا صديق يؤاسيها ويعطف عليها .

عادت ميّ إلى القاهرة فكتبت إلى الشيخ رسالة شكر ختمتها بقولها: «أسأل الله أن يوحى إلى شاعرنا ألف قصيدة وقصيدة!» ولم يكن بوسع الدجيلي إلا أن يجيبها بقصيدة قال منها:

سلام على ميّ، سلام على مصر	سلام على صحبي بها أبرد الدهر
وإني، وتهيامي بميّة، عاجز	عن النظم حتى في محاسنها الغرّ
تطالبني بالشعر ميّ وتبتغي	لشاعرها وحيّاً من الله بالشعر
ولم تدرّ أيّ في حياة بعيدة	عن الشعر إذ أنّي تقدّمت في عمري
ومارست أعمال السياسة سالكاً	مسالكها القصوى إلى حيث لا أدري
وكان بعد ذلك من أمر ميّ ما كان،	فغلب عليها الداء وحجرت في المستشفى لتعود

بعدها فلا تلبث حتى تقضي نحبها . وكان ذلك اخر العهد بالمناظرات الأدبية بين الشاعر العراقي والأدبية المصرية التي شغلت المحافل والناس سنين طويلة .

## محمود الملاح

في دار منعزلة بمحلة السعدون في بغداد يعيش شاعر منزو يعدّ من كبار شعراء المدرسة القديمة في العراق . ذكّم الشاعر «محمود الملاح» الذي يلازم داره وحيداً منذ عشرات السنين لا يكاد يبرحها ولا يزوره إلا نفر يسير من أقرانه وأصدقائه .

ولد محمود الملاح في الموصل سنة ١٨٩١ ، وهو محمود بن عبد الله بن يونس الملاح ، ونسبته إلى سوق الملاحين في مسقط رأسه ، وهو سوق قديم يباع فيه الملح وسائر الحاجات . وقد نشأ في ربوع الموصل ودرس العلوم الدينية والأدبية على علمائها وفي مقدمتهم عبد الله النعمة وعثمان الديوه جي قاضي الموصل . ونال الاجازة العلمية في سنة ١٩١٢ فوظف مداوماً في قلم تحرير الولاية . ولم تلبث الحرب العظمى أن اضطرم أوارها فجنّد لكنه استمر على مزاولة وظيفته في الولاية إلى عقد الهدنة وانسحاب الأتراك وتسليم المدينة إلى القوات الانكليزية .

كانت الموصل في ذلك العهد بلدة منعزلة راكدة الثقافة لا تكاد تستشفّ بصيصاً من أنوار المدنية الحديثة . وكانت الثقافة التركية تعمّ المحافل الرسمية وتستهوي الطبقة الراقية ، أما الثقافة العربية فكانت ضيقة الأفق محصورة في نطاق المحافل الدينية . وقد استطاع فتانا مع ذلك أن يحصل على طائفة من الكتب الصادرة في القطرين المصري والسوري وأن يتتبع سيرة دعاة الاصلاح أمثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا ويغذي روحه النهضة بأرائهم وتصانيفهم . وأعلن الدستور في السلطنة العثمانية على أثر انقلاب سنة ١٩٠٨ وانتشرت المبادئ الاصلاحية واللامركزية في ربوع الشام وانتقلت منها إلى العراق . فكان أدينا الشاب في طليعة الشباب الموصلية الناهض الذي آمن بهذه المبادئ وأشرب حبّ الثقافة العربية الجديدة على بعد الشقة وعسر الاتصال . وقد قام بتدريس التاريخ والجغرافية بصورة فخرية في مدرسة محمد رؤوف الغلامي ، واشترك مع فريق من الشعراء منهم داود سليمان الملاح ، وفاضل الصيدلي في نظم أناشيد عربية للأطفال تولى الغلامي طبعها في كتيب .

وفي سنة ١٩١٩ شدّ الرحال إلى سورية واستقرّ في حلب أمداً على عهد حكومتها العربية . ووظف في مجلس إدارة الولاية ومدير التحرير آنذاك ابراهيم هنانو الذي عرف بمواقفه الوطنية السامية ، وقد رئاه الملاح عند وفاته في سنة ١٩٣٥ بقصيدة مطلعها :

جللسوا الأرض بالسواد حدادا  
إن فقد الزعيم هزّ البلادا

ولما شدد الفرنسيون سيطرتهم على البلاد السورية وقضوا على حكومتها العربية ضاق محمود الملاح ذرعاً بوظيفته فعاد إلى الموصل سنة ١٩٢٢ . ولم يلبث أن قدم بغداد سنة ١٩٢٤ وألقى بها عصا الترحال . قام في أول الأمر بإعطاء دروس خاصة في اللغة العربية ثم عين رئيساً لكتاب مجلس النواب عند إنشائه في سنة ١٩٢٥ لكنه قضى في هذه الوظيفة أياماً معدودة . وعين بعد ذلك مدرساً في بعض المدارس الأهلية فمدرساً في المدرسة الثانوية الرسمية (١٩٢٥ - ٢٨) . وعين بعد سنتين معلماً للغة العربية في المدرسة العسكرية (١٩٣١ - ٣٣) ، وأصدر جريدة أدبية باسم «التجدد» (٢٤) تموز ١٩٣٠ ، فلم يكتب لها التعمير طويلاً . وانتخب نائباً عن الموصل في كانون الأول ١٩٣٧ ، فلم يطل عهد نيابته سوى أمد قصير، إلى حل المجلس في شباط ١٩٣٩ . وقد توفي محمود الملاح في بغداد في ١٩ آذار ١٩٦٩ ، ودفن في الموصل .

عالج محمود الملاح قرض الشعر صيباً . وما إن وفد على بغداد حتى اتصل بمحافلها الأدبية والثقافية ونشر قصائده ومقالاته في مجلاتها وجرائدها . ومن بواكير شعره الذي نظمه في مدينة السلام قصيدته «تمثال مود» . فقد شاهد تمثال القائد الانكليزي ولم يكن له سابق عهد بالتمثيل والأنصاب فخاطبه قائلاً :

أتروم في جو السماء مطارا  
لم نلق حيا طائراً بجواده  
فكانها ضاقت به فسح الفلا  
ويقول منها :

أم أنت ملتمس لها أخبـاراً؟  
لكنّ ميتاً فوق مهر طارا  
فأراد في فسح الهواء مغـاراً  
من ميت درس الحياة جهـاراً  
طاولت فوق متونها الأقبارا  
وكفى بلوغك وقع الخطا متغافلا  
فمتى أراك تسابق الأبراراً؟  
نفعاً بوصف الفاكه الأشجارا  
أترى الدم الجاري بهنّ معاراً؟  
يا أيها الشعب الجهول تعلمن  
طأطأت رأسك للحوافر بعدما  
ما زلت عن وقع الخطا متغافلا  
وأراك في ذيل الشقا متلفعاً  
فيم ادعاؤك للأصول ، ولا أرى  
يا خابراً من أمتي أعراقها  
ومنها :

والغرب بيني في السماء منازلا  
والغرب في درج العلا متصاعدا  
جهلوا الطريق ولا دليل مبصر  
والشرق يحفر في الثرى آبارا  
فهم بيضاء الحياة حيارى . . .

نشر هذه القصيدة في جريدة «العراق» بتوقيع مستعار فاستحسنها الشاعر محمد

المهاشمي ونقلها في مجلته «اليقين» وقدم لها بتوسطها كلها مدح وإطراء . ولم تمض أيام حتى لقيه محمود الملاح وأخبره ان القصيدة له ، فقال الهاشمي : «لقد أثنت عليها لأنني ظنتها للسيد محمد حبيب العبيدي مفتي الموصل» .

لازم محمود الملاح في أثناء إقامته ببغداد أدباءها وفضلاءها وغشي مجالس الزهاوي والرصافي والكرمي وعبد العزيز الثعالبي وفهمي المدرس وطه الراوي وعبد اللطيف ثنيان وياسين الهاشمي ومولود مخلص وعباس العزاوي وأضرابهم وشارك في المناسبات الوطنية والأدبية بشعره ونثره . وله مباحث في اللغة وقواعدها والتاريخ العربي والإسلامي . واجتمع له ديوان ضخم تفرقت قصائده في الصحف والمجلات . ونشر رسائل منها «الوحدة الإسلامية بين الأخذ والردّ (١٩٥١) عبد الباقي العمري (١٩٥٣) ، تاريخنا القومي بين السلب والإيجاب (١٩٥٦) ، دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون (١٩٥٥) نظره ثانية في مقدمة ابن خلدون (١٩٥٦) تحذير المسلمين من المتلاعبين بالدين ، تعليقات وحواشي على كتاب ابن سينا (١٩٥٣) حقيقة إخوان الصفا (١٩٥٤) تشريح شرح نهج البلاغة (١٩٥٤) النحلة الاحمدية ، البايية والبهائية (١٩٥٥) ، المجيز على الوجيز (١٩٥٦) ، الآراء الصريحة لبناء قومية صحيحة (١٩٥٦) ، الزرية في القصيدة الأزرية (١٩٥٢) حجة الخالصي (١٩٥٢) .

وللملاح مطارحات شعرية ومداعبات إخوانية كثيرة مع أصدقائه وفي مقدمتهم عباس العزاوي ومحبي الدين أبو الخطاب المحامي ، وقد سجل طرفاً منها المرحوم ابراهيم الواعظ في كتابه الجامع «الروض الأزهر» .

\*\*\*

تعرف محمود الملاح على أثر قدومه إلى بغداد بالأب أنستاس ماري الكرملي ونشر المقالات في مجلة «لغة العرب» ثم نشب خلاف بينهما في أثناء الاحتفال بيوبيل الكرملي فلم يلتقيا بعد ذلك .

ومن طريف ما يرويه الملاح أن الكرملي تحدث أمامه ذات يوم عن المآكل والمشارب الطيبة التي تقدم لرهبان الدير وخصّ بالذكر النيذ المعتق الذي يقدم على مائدة الطعام ، فتاقت نفس الشاعر إلى مشاهدة هذا النيذ وسأل الأب أن يخصه بشيء منه . قال الأب «إن النيذ ملك الدير ولا سبيل إلى إخراج شيء منه» . وألح الاستاذ الملاح وألح في الطلب وقال : «إذا قدم لكم النيذ على الخوان فصب قليلاً منه في قنينة وأحكم سدّها وضعها في جيب ثوبك الفضفاض» . فلم يسع الراهب إلا أن يمتثل واحتفظ بالقنينة حتى إذا ما جاءه صديقه الشاعر بعد أيام قدمها إليه قائلاً : «هاك النيذ المعتق الذي طلبته» .

أخذ الملاح القنينة وأطال النظر إلى السائل الأحمر القاني الذي تحويه وقال : «إذن هذا

هو النبيذ الذي يسيل له اللعاب ويطرى به الالهاب ويخضل الشباب» ومضى بالقنينة إلى داره ووضعها على الرف في بعض الغرف وقال: «لعلّي أتذوق هذا الشراب يوماً». لكنه لم يفعل بل كان كلما دخل الغرفة نظر إلى القنينة وكسّر ذلك القول. وفي ذات يوم وجد القنينة قد سقطت على الأرض وكسرت وسال شرايها الثمين. لقد مرّ فأر على الرف فعثر بها، وكذلك كانت نهاية النبيذ المعتق الذي لم يذقه الشاعر.

إنّ الملاح على المعيته وحده ذكائه كثيراً ما تجوز عليه الهنات: فمن ذلك أنه حين استحدثت مسكوكة المائة فلس لأول مرة ظنّها ريالاً، فمضى إلى الحلاق وكان من عادته أن ينفحه بياضي فلس، فلما فرغ من الحلاقة سلمه القطعة الجديدة ذات المائة فلس، فلم ينبس الرجل ببنت شفة بل شكره بانحناءة إلى الأرض وتبجيل لم يعهده من قبل.

وخطر له بعد ذلك أن يتحقق عن قيمة هذه القطعة النقدية فسأل صبيّاً عنها فأجابته: «إنها مائة فليس، ألا تقرأ الكتابة على وجهها؟» وعجب الملاح من نفسه كيف فاته مثل هذه البداهة.

وحدث مرة أخرى أنه اكرى سيارة وأراد أن يدفع ١٥٠ فلساً إلى السائق. ولم يكن في جيبه إلا ورقة نقدية ذات ربع دينار وقطعة ذات مائة فلس، فدفع إلى السائق القطعة من فئة مائة فلس وسأله أن يستوفي أجرته ويعيد الباقي.

ومن النوادر التي انفقت للاستاذ الملاح أنه كان يسكن داراً تطلّ على حديقة الأمة. فلما قرر هدم هذه الدور والحاق أرضها بالحديقة، جاءه مأمور التبليغ وطرق الباب. وكان الوقت عصراً والحرق شديداً، فخرج إليه الشاعر في مبادله.

قال المأمور: «أين صاحب الدار؟»

- تفضل، أيها السيد، ما تريد؟

- لقد تقرر هدم البيوت المطلّة على الحديقة فوراً، فيجب إخلاء الدار في أيام معدودة.

وما أن بوغت الشاعر المنزوي بهذا الكلام حتى صقع وعظم عليه الأمر، فصاح:

«سبحان الله، كيف أفرغ داري خلال أيام وأين أذهب...»

لكن المأمور قال بغير اكتراث: لا بدّ من ذلك، وأرجو أن تتبلغ بالأمر. ولم يدع له مجالاً للتفكير أو الجواب بل سحب يده وغمس إبهامه في الحبر وطبع به ورقة التبليغ، ثم أخذها وودع وخرج.

قال الشاعر: «لم يسألني هل أحسن الكتابة، وكان من هول المفاجأة وشدة وقعها عليّ أني لم يحظر بيالي أن أقول له إنني أعرف التوقيع باسمي».

وقد ذكرتني هذه الحادثة الطريفة بنادرة تنسب إلى اللغوي الأميركي نوح ويستر صاحب القاموس الشهير الذي أفنى عمره في وضعه . كان يعمل طوال النهار مجهداً فكره وجسمه لإنجاز معجمه ، فلما أمسى المساء خرج للترويح عن نفسه وقصد بعض المطاعم لتناول العشاء . ولم تلبث الخادمة أن جاءت به بقائمة الطعام ، فأخذها ببطء وألقى عليها نظرة كليله مرهقة ثم أعادها إلى الفتاة وقال : «ألا تختارين لي برأيك شيئاً نفيساً أكله؟» .

واختارت له الخادمة ما شاءت من الطعام ، فلما فرغ من تناوله وأنت لترفع الصحون ، قالت : «هل أعجبك طعامنا؟» .

قال : «أجل ، أجل ، لقد أحسنت الاختيار فشكراً» .

فقلت : «لا تنس أن ترسل إلينا أصحابك ممن لا يجسنون القراءة ، فأنا كفيلة بخدمتهم وإرضائهم» . . .

يجمع محمود الملاح في شعره كل خصائص مدرسة النهضة الشعرية الأولى التي حمل لواءها محمود سامي البارودي في مصر وترسم خطاه شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي وأضربهم . والسمات العامة لهذه المدرسة الإعجاب بالديباجة العباسية والالتزام بالأساليب الفصحى والعمود الشعري الدقيق . ذلك من حيث الأسلوب ، أما من حيث المعاني والأغراض فالغالب على شعراء هذه المدرسة النظم في المواضيع الوطنية والاجتماعية والدعوة إلى النهضة والإصلاح والتقدم والتضامن العربي والشرقي والحملة على الاستعمار والاستغلال وتكريم مشاهير الأمة ومصليحيها ورثائهم وإحياء أجداد العرب والإسلام ووصف الطبيعة والمخترعات الحديثة ومباراة القوائد القديمة وطرق المواضيع الأخرى من حكم وقصص وأمثال وغزل ونسيب والاعراب عن المشاعر والعواطف ، كل ذلك مع الاهتمام بوحدة القصيدة والتوسع في الأغراض والمطالب وتحري المعاني المنفردة والحكم الماثورة واستلهاهم آداب الأمم الغربية والشرقية إن راساً وإن عن طريق الترجمة والاقْتباس .

وقد عني الملاح بتلك الأساليب والمواضيع . وتفتحت قريحته بعد قدومه إلى بغداد واتصاله بمحافلها الأدبية والوطنية ، فنظم أكثر ما نظم في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات والمراثي وشارك في الندوات والحفلات وأشد في الموالد النبوية ومواسم المعهد العلمي . وكان صوته ينطلق في كل مناسبة سانحة ينعى على الأمة العربية تشتت كلمتها وتمزق شملها .

لكن نفرّنا أودى بعزّتنا ففاتنا في الأنام العزّ والخطر

وهو يدافع عن عروبة فلسطين ويرثي شهداء عالية وينافح عن سيادة العراق وكرامته واستقلال البلاد العربية في المشرق والمغرب ويدعو إلى النهضة والإصلاح



والتمسك بلباب الدين ونبذ القشور والخرافات . وهو يتفجع للانسانية المعذبة المهانة في الحرب العالمية الثانية ويقارع الاستعمار والانتداب ويندد بالادواء الاجتماعية ويهاجم النواب الذين يستهينون بحقوق الشعب وكرامة الأمة . وهو يرى أن كل ما يهز الشاعر يصلح أن يكون موضوعاً للشعر فيستهجن التقليد والمحاكاة والتصنع ويجبذ إرسال الشعر على طبيعته . ونظراً إلى دراسته اللغوية وإدمانه مطالعة الشعر القديم وحفظه ، نراه يهتم كل الاهتمام بصقل منظوماته وتجديدها ولا يتورع عن استعمال الكلمات الفصيحة المهجورة . وهو ينقاد أحياناً لقوافيه ، فإذا طاوعته القافية - وكثيراً ما تطاوعه - توسع في المعنى وكرّر القول حرصاً على استيفاء القوافي المؤاتية ، ولذلك جاء معظم منظومه من القصائد المطولات يتوسط فيها تبسطاً ويشعب آفاق الكلام .

إن شعر محمود الملاح يصور عهداً تاريخياً حافلاً من عهود العراق والأمة العربية ، وقد ظل يلقي هذا الشعر وينشره قرابة ثلث قرن . وحفلت به صفحات الجرائد والمجلات المعروفة كالعراق والاستقلال والبلاد والانحاء الوطني والزمان واليقين ولغة العرب والحاصد والهداية الاسلامية . واتخذ الرثاء ذريعة لاطراء الشيم واستنهاض الهمم ، فممن رثاهم سعد زغلول وعبد المحسن السعدون وشعلان ابو الجون وعمر المختار وابراهيم هنانو وجمال الدين الافغاني والمنفلوطي واحمد تيمور وحافظ ابراهيم واحمد شوقي واحمد زكي وعبد المحسن الكاظمي وعبد المسيح وزير وعبود الكرخي ومحمد أمين العمري ومولود مخلص وعبد الوهاب عزام وغيرهم من رجال الوطنية والسياسة والقلم . انتصر الملاح لفلسطين فقال (سنة ١٩٣٦) :

فلسطين، بيّضت وجهه العرب	وقمت بحقّ جهاد وجب
لقد هان عندك بذل النفوس	كما هان عندك بذل التشب
غلاء النفوس بإرخاصها	وإحياؤها بارتداد العطب
صعيبك من عُصْر خاليات	يسرّوي بكل دم منكسب
ولا يرجع المجد مثل الدماء	إلى أمة مجدها قد سلب . . .
فلسطين، رجّحت سلّ الحسام	على شغف بيبي ان الخطب
ولا نفع في خطب صواريخات	إذا لم تؤيد بحسد القضب
وللّسيف أخطب من قسائم	على منبر نادباً ينتحب . . .

وقد دافع عن جميل صدقي الزهاوي أول قدومه إلى بغداد وقبل أن يتعرف بشخصه فقال على لسانه :

سائلني عن أحبّتي وخليلي	صاح ، هلاً سألت عن مستحيل ؟
كنت من غير مازن فاستبيحت	ابلي بعهد شيبتي ونحو لي . . .
إن ستمتم إقامتي سوف لا يسأم	ذكري مدى الزمان الطويل

فلما مات الزهاوي رثاه بقصيدة فريدة صور فيها الشاعر الذي غمط حقه في حياته

ينظر إلى موكب تشييعه الحافل فيعجب ويستغرب :

أطلّ الزهاويّ من نعشه      فشاهد من حوله محشرا  
رأى منظراً لم يكن في الحياة      يؤمل من جنسه منظراً  
كأنّ المناكب من تحتّه      غوارب بحر إذا زجرا  
وللقوم همس فهذا يقول      لقد جلّ ما قطرنا أحسرا  
وذاك يقول: « هوى كوكب      من الأفق من بعد لن يظهر  
فيا أسفاً يذهب الفيلسوف      ويترك مربعنا مقفرا» .  
جرت خلفه زاخرات الجموع      فأنشأ يسأل «ماذا جرى»؟  
فقالوا: «حييت وقد كنت ميتاً      فرصت لتقدسنا مظهر  
ورجلك عرجاء كانت فصارت      بموتك تعرج نحو الدرّ . .  
وقال على لسان الشاعر الحكيم :

فماذا يريد الألى أنكروا      عليّ سلوكي وقالوا: «افترى»  
عجبت لمن جاء يبغى الصلاة      عليّ وبالأمس لي كفراً

ومن الذكريات التي يرويها الملاح أن الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي سعى مرة بالصلح بين الشعاعين المتنافسين الزهاوي والرصافي ودعاهما إلى داره لتناول الطعام، وكان الملاح حاضراً. ولما علم الضيوف أن الثعالبي قد طهى الطعام بنفسه وأحسن طهيّه، قالوا له: «لو لم تكن لك إلا هذه الملكة لاستغنيت بها . .» .

إن شعر الرثاء قد كان في النصف الأول من القرن العشرين في مصر وسورية ولبنان والعراق وسائر الاقطار العربية المنبر المدوّي لروح الوطنية والنهضة السياسية والاجتماعية واللسان المعبر عن المطامح والأمانى السامية . من منّا لم يقرأ آيات الوطنية والنهضة في مراثي اسماعيل صبري وأحمد شوقي وحافظ ابراهيم والزهاوي والرصافي وخليل مطران وعبد المحسن الكاظمي وأحمد محرم وأحمد نسيم وأحمد الكاشف ومحمد عبد المطلب وعلي الجارم وبشارة الخوري ومهدي الجواهري وعباس محمود العقاد وبدوي الجبل وغيرهم من شعراء العربية الملهمين؟ من منّا لم يهتز للمراثي التي قيلت في أعلام الوطنية والجهاد من مصطفى كامل ومحمد عبده ومحمد فريد وشهداء العروبة في سورية ولبنان إلى سعد زغلول وعبد المحسن السعدون وابراهيم هنانو ومحمود شكري الألويسي ومحمد جعفر آل أبي الثمن وغيرهم من الزعماء والافذاذ الخالدين؟ ولقد أدلى شاعرنا محمود الملاح بدلوه بين الدلاء فاتخذ الرثاء أداة للتعبير عن طموح الأمة ونهضة الشعب .

قال يرثي السعدون :

فوادح خطب سيلها متتابع  
سليل العلا هلاً التمتست ذريعة  
وأنى لجنن منك غص على القذا  
وقال لشريان يجول به الإيا  
أيجري دم الأجداد فيك وأمتي  
رأيت اعوجاجاً ظاهراً وتلوّناً  
فقدت مطيعاً بينهم لنصائحي  
زرعت لأمال العراق نواتها

وقال يرثي عمر المختار بطل برقة الشهيد :

أراها لا تقرّ على قرار  
تنازلنا الحوادث في جيوش  
رويد، رويد، دكتاتور روما  
وربّ هزيمة شنعاء تبدو  
دماء الأبرياء إذا تجارت  
حقرتم غارييلدي إذ رميتم  
هما بطلان مختلفان أصلاً  
والقيتم على الأقنوم درساً  
فلا يفخر بقتل العزل باغ  
وقال في جمال الدين الافغاني عند نقل وفاته عن طريق بغداد في سنة ١٩٤٤ :  
جمال الدين كان فريد عصر  
أتوا برفاته من ألف ميل  
وحاز الفخر موطننا بحفل

وقد قدر الملاح شعر عبود الكرخي وأثره في العوام فقال يرثيه :

بالشعر غلب ألباب الجهاير  
ما كان مطلوبه يوماً بميسور  
تخليط أجوف ذي جهل وتقصير . . .  
لما رأى الفضل شيئاً غير مشكور  
شعر لأحمد في النسوي كافور

من بعد عبود الكرخي لا تثقن  
بمنطق لو غدا حسان يطلبه  
خير من اللغة الفصحى يشوهها  
سن الخطيئة للأخلاف ستته  
ليس العراق بريئاً من مهازل في

أما هجاؤك عندي فهو أصدق من  
حبّ الصراحة في الآراء أنطقني  
مدح تكلفته لم يخجل من زور  
وللصراحة ذنب غير مغفور  
إن ديوان محمود الملاح الذي نرجو أن يتاح له النشر روضة غناء فيها من الأزهار  
والإثمار أفانين . فمن قصيدة له يخاطب طاغور:

طاغور عدت إلى مواطنك التي  
أفأنت للاقرار جئت بحقها  
منها خرجت وكنت عنها غافلا  
حتى إذا أقررت عدت مواصلا؟  
ما زلت مفتوناً بها متسائلاً  
وما زلت مفتوناً بها متسائلاً  
ومنها:

طاغور، وهم الناس غال عقولهم  
لا يستطيعون الحياة بدونه  
وهو المصيب من العقول مقاتلا  
كالماء يجري الفلك فيه حافلا  
ولذلك كان العقل أكثر خاذلا  
وله من «خواطر مرتجلة»:

إن الحياة اغتراب  
فإنما الوطن الأصلي  
وقد يسمى حياة  
كما يسمى وفياة  
إن الحياة لعمري  
نار بأيدي السرياح  
كأنها الأرض كأس  
وكل ما حوت الكأس  
وفيها من «خواطر شتى»:

يأتي على أجسامنا أبد  
سيان سابقنا ولاحقنا  
ممثل الذي قد مرّ من أزل  
ماتم من أخسر ولا أول  
إلا الذي يأتي من الأجل  
في وهدة طوراً وفي جبل  
مما ليس بين النفس والأمل  
ومن طريف شعره قصيدة عنوانها «لو قدر للسود أن يسودوا البيض...» يقول منها:  
اقتلوا البيض ولا تبقوا رمتق  
اقتلوا الناصل منه صبغة  
صبيغة الله، ولا أحسن من  
صبيغة الله تعالى من خلق

تأكلوا معهم طعاماً في طبق  
إن ما قالوه شيء مختلف . . .  
كل ما في البيض طيش ونزق

أيها الأسود انبذوا البيض ولا  
لم يكونوا من أيننا آدم  
ليس في البيض عقول رجحت

ولقد نقل معروف الرصافي عن قصيدة تركية للشاعر توفيق فكرت فقال :

كما تنكسر العيادة  
أكل الساسة القيادة  
حتى تنقذوا زاده  
فإن الناس منقاده . . .

كلوا يا أيها السادة  
كلوا من مطبخ الـدستور  
كلوا بالسبعة الأمعاء  
كلوا لا تخشوا الناس

أما شاعرنا الملاح فقال في «مطبخ الوحدة» :

ففيه طبابت الشرده  
حتى تطفح المعده  
كلوا ما فيه من زيده  
والشموم كالسورده  
لمن يرغب في العوده  
وفي الصرة والعقده  
فإن المأكـل العمده

كلوا من مطبخ الـوحده  
كلوا من فاخر الألوان  
كلوا ما فيه من حلوى  
كلوا المطعموم والمشروب  
وإن العود محمودة  
ضعوا في الفم والجيب  
ولا تصغروا إلى عدل

ورأى الملاح طغيان الماء في بغداد فقال :

والقوم مختلفون في الطبق  
فالقوم كلهم على نسق . . .  
فيه غداة بخاذليه شقي  
هو من دمـاء الشائرين سقي  
تيسار نهر مشرف العنق  
بسوعودهن غداة قلن : ثقي  
مثل الكواكب لحن في غسق  
مخضوبة الشرفات بالشفق

بغداد مشرفة على الغرق  
لا يندعوك إذا هم اختلفوا  
لهفي على بلـد ذوه شقوا  
لم يسق من مـاء الحياة وإن  
أما القصور فليس ضائرها  
سكنت إلى الأيـام وانقصة  
بين الرياض تلوح زاهية  
قلبي يرف إذ أشاهدها

وأشفق من النفط فقال في «المارد الأسود» :

ضللت حتى صرت لا أهتمـدي  
ولم يطل سهـدي إلا على  
فبددت أحلامي الغـرّ في  
واعترضتني في السورى جنّة  
فإله أسود أزرى بنا  
قد كان موطوءاً بأقدامنا  
تالله ما كافور في مصره  
إن جار كافور فعذر له  
وعبدنا جار على أهله  
لم تنكب الأوطان في مرفق

وقال في قسوة الناس وحقارتهم :

لعن الله قسوة الإنس ، إن  
مقتوا الشيطان الرجيم ولو قيس  
إن يكن خارجاً على الله إبليس  
حارب الله من وراء محن  
يفترون الهراء وجهاً لوجه  
كان صلباً في ظنّه حين ضحى ،  
وهم إن رأوا يضحّون بالرأي

وقال مداعباً في كلب سيّدة :

يا كلب سيّدة ، حسبك سيّدا  
لو لم يكن إلا يد من غادة  
نلت المنى من غير قصد للمنى  
السّر كل السّر في الذنب الذي  
لا تكترث ما دمت تحمل سرّه  
ذنب ثمين لست منه مبدلاً  
هل أنت منه مبدل ، وهو الذي  
لو أن زنديقاً بعيشك راتع

وطال تسهيدي عن الشهد  
قوم على ضيم به رقـد  
شعب إلى أحلامه مخلد  
بعبد النهى من مارد أسود  
وصير الأحرار كالأعبـد  
حتى اعتلى مرتبة السيّد  
حاز الذي للفظ من سوؤد  
غريته في الأصل والمحتد  
لما خلوا من ناصح مرشد . . .  
نكبتها في المرفق الأوحـد

الانس من جنّها أحقّ بلعن  
بأعمالهم لبـاء بغبن  
فهم خارجون ، لكن بغنّ  
وهم حاربوه دون محنّ  
ويقولون حكمة غير ظنّ  
مثبّأ رأيه ، بجنّة عذنّ  
إذا تحفوا بلعة دهن

لما قعدت من المليحة مقعدا  
تحنو عليك بلطفها لكفت يدا  
كم غافل في القصد نال المقصدا  
أيقنت تحريكاً له أتى بدا  
إن كنت أبيض منظرأ أو أسودا  
ذنباً لطاووس يضاهي عسجدا  
جعل النعيم عليك وقفاً مرصدا؟  
ما كان خالقه الكريم ليجحدا

وقال في سنة ١٩٢٩ يدافع عن حقوق البلاد :

حَتَام تَهْضَم لِلبِلَادِ حَقُوقَ      وَيَهِينُهَا مِنْ وَلَدِهِنَّ عَقُوقَ  
عَجِباً لَشَعْبٍ وَاجِمٍ لِعَوَاصِفِ      وَالصَّخْرَ إِنْ مَرَّتْ بِهِ مِنْطِيقَ  
الشَّعْبِ مَهْضُومِ الحَقُوقِ وَسَاكِنِ      فِي الرَّمْسِ كَلِّ فِي البِلَاءِ شَقِيقِ  
هَذَا يَضِيقُ بِهِ الطَّرِيقَ إِذَا مَشَى      ذِلاً وَذَاكَ بِهِ اللُّحُودَ تَضِيقُ  
ومنها :

لو أن طغيانا تحمّله الثرى      صبرت على حكم الطغاة «فروق»  
تترف واسراف بمثلها هـوت      من قبل ذا الرومان والاعتريق  
ما جمعوه من دموع بوائس      في كل موبقة له تفريق  
بين الجوانح شعلة مشبوبة      إنّي لأخشى أن يشبّ حريق

وقد لازمت الملاح ثلاثين عاماً أو يزيد، ونعمت بصداقته ومودّته، وأفدت من أدبه وفضله. وكان لي معه مطارحات شعرية ومراسلات أدبية ومساجلات اخوانية كثيرة لا تزال ذكرها تثير الفريجة وترهف الفكر وتنعش الروح.

كان للملاح هرّ يعنى به ويطعمه حتى هرب ذات يوم بلا وداع. وأعرب الشاعر عن أسفه لفراقه، فأرسلت إليه بالأبيات الآتية :

قد كان يؤنسنا هرّ ونؤنسه      في وحشة الدار بين الصبح والغسق  
يأتي فنطعمه من زادنا، فنرى      فتأعجيباً من الألعاب والمثق  
لكن مضى لم يودّعنا بلا سبب      تخلفاً حسرة بانّت على الحدق  
لقد محضناه ودأ يوم مقدمه،      فياله أبقأ مستهجن الخلق  
إنّ الطبيعة نادت فاستجاب لها،      وراح يسرح حرّاً في دُرى الطرق

وتذاكرنا يوماً في الكتب القديمة وما ضاع منها فنسي الحاج خليفة كاتب جلبي وكتابه الفدّ «كشف الظنون»، فقلت له :

عجيباً لملك عـالمأ      جمّ المعارف والفنـون  
تنسى أريباً فاضلاً      وكتابه كشف الظنون  
للترك يُنمى أصلـه      والعرب فازت بالثمين  
قد شاد صرحاً سامقأ      للعلم والأدب المرصين  
لو أن «عباساً» درى      لاستساء من ظلم وهـون  
واحتجّ غضبـانـاً على      إنكار ذي الفضل المين

والإشارة إلى صديقنا المؤرخ عباس العزاوي . وقد أجبني الملاح بأبيات يعرض فيها بالعزاوي ، منها :

أسباب ذلك أن عباساً      غزانياً بالمجنون  
فتشّنت أفكارنا      حتى حكمت مسحوق طين . . .  
لا تغترر بتظاهرها      إذ عندنا كل اليقين

حين حلّ محمود الملاح في بغداد أشير عليه بالانتماء إلى مدرسة الحقوق كما فعل الكثيرون من صحبه وأبناء بلده ، فقال إنه لا يحمل الشهادة الثانوية الرسمية . لكن سمح له ولأمثاله من أصحاب الدراسة الخاصة أن ينتموا إلى الصف الأول على أن يؤدوا بعد ذلك امتحاناً في المواضيع العامة موازياً لامتحان الدراسة الإعدادية .

داوم الملاح في مدرسة الحقوق أشهراً ، ثم عين موعد الامتحان العام ، ووجهت إلى الطلاب الذين لا يحملون الشهادة الثانوية أسئلة في الرياضيات والطبيعيات واللغة ومواضيع أخرى ، وكان منها أسئلة في العروض . وقد سرّ الشاعر الملاح بهذا السؤال بوجه خاص لبعده عهده بالمواضيع العلمية والحسابية ، وهنأ نفسه سلفاً مؤملاً أن يحمل إلى النجاح على موجة سعيدة من بحور الخليل . لكن كل الطلاب الذين شاركوه في الامتحان أو جلهم لم يجيبوا على أسئلة العروض ، فتقرر آخر الأمر اهمالها وإسقاط درجاتها من متوسط النجاح العام . فخاب أمل شاعرنا ، وكان ذلك آخر عهده بدراسة الحقوق .

### نشر محمود الملاح :

كان الجمود فاشياً في عهد نشأة محمود الملاح ، وكان الكتاب يلتزمون بالسجع غير مكترئين بأسلوب الترسّل الواضح المؤدّي للمعنى . ووجد الملاح نفسه صعوبة في التخلص من ذلك الأسلوب العقيم ، فقال في ذلك في كتابه «نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون» :

«ومن الغريب أن الأدباء درجوا على السجع حتى عصرنا الذي أدركناه ولم يحدث أحد نفسه باطّراح هذه البدعة . ولعل لابن خلدون الفضل في اطّراح كتاب العصر الحاضر لها .

وكنت أنا من أواخر من نهج نهجه بعد قراءتي وصيّته في المقدمة وأنا في عهد التحصيل . وعانيت في الانتقال من طبيعة إلى طبيعة صعوبة حتى أنّي جسّمت نفسي حفظ النثر المرسل للتخلص من السجع ! وأتذكر أنّي حفظت قسماً من كليلة ودمنة . . . وكنّت أعكف على المقدمة لذلك ، وكانت الكتب البليغة النثر عسرة التحصيل .



«وطبيعة السجع التي كانت فيّ لم تأتني من قبل حفظ كلام مسجع، كلا، فإني لم أحفظ كلاماً مسجعاً قط. ولكنني أسمع كلاماً مسجعاً وأطالع في كتب مسجعة كمقامات الحريري ومقامات البديع ونهج البلاغة، فينطبع في ذهني السجع، ولا يزال في أثر منه!»

وكان محمود الملاح معجباً بابن خلدون، وقد قال:

«إنّ مقدمة ابن خلدون فتح في الفكر الاسلامي يشبه الفتح الأمويّ في التاريخ الاسلامي، وكلاهما آية من آيات الاسلام». وكان ابن خلدون يلي الكتابة والسفارة والأعمال لأمرأء المغرب والأندلس في دويلاتهم المتصارعة فيما بينها، ثم اعتزل أربعة أعوام في قلعة ابن سلامة متخلياً عن الشواغل ألف في أثنائها مقدمته الشهيرة.

قال الملاح: «ولولا مطاردة ابن خلدون لحرمانا أئمن ما أنتجه المتخّ العربي. فإذا ذكرت ضروب الاضطهاد، فحيّلاً بالضرب الذي عاناه ابن خلدون!».

ومن نثره الرائق مقالته «القطوب بعد الابتسام» التي نشرها في صحيفة البلاد (١٤ كانون الثاني ١٩٣٠)، قال فيها:

ما من ابتسامة إلا في عقبها قطوب.

كذلك كانت ابتسامة المغيب، إذ هي أشبه بصحوة المحتضر. هنالك قطعت صلاتي بكل ما كان يطيف بي من شواغل «القهوة» (المقهى) وضوضائها وتكلفت شبه غفوة نغرغت فيها لمشاهدة طيوف الماضي معروضة على رقوق الخيال، وهي محفوفة بالحلك شأن السّينها.

فثارت حيثئذ ذكريات «العروبة» ومجدها الرافل ببرده على ضفاف الرافدين، حيث الراية السوداء سواد مقلة الأيام وسويداء فؤاد الدهر، فعنّ لبالي بيت من قصيدة نظمته في عهد التّرك، ثم غالها غول التجسّس، وهي:

ما زالت الأيام تبكي دولة كانت سواد عيونها سوادها

أما أنه لو نطقت هذه الأمواج، أو لو ترجمنا لغة خريرها التي تشبه غمغمة السياسة أو لغة الدواوين، لغمرتنا بالقصص ولحدّثتنا بواقعة الجسر وواقعة القادسية من أيامنا البيض وأخبار هولوكو وأحاديث تيمور من أيامنا السود.

نعم، لو ألحفنا على هذا الماء واستجوبناه استجواب متّهم لا اعترف لنا بالجرم الذي اقترفه أو كان عوناً على اقترافه يوم ألقيت في قعره كتب المستنصرية وأسفار النظامية، فانطوى عليها انطواء القمطر. ويوم تحزّى أحوال المأمون. . . أخاه ابن زبيدة بالحراقات التي أنفذها طاهر بن الحسين كما يتحرّى السمك هؤلاء الذين أراهم الآن يمحرون دجلة بزوارقهم. . .

ثم شخصت ببصري إلى الأفق الغربي لأعاتب الغرب على جفائه لأخيه الشرق جفاء المأمون للأمين، وإن كنت لا أملك من وسائل عتابه إلا أضعفها، وهي هذه القصة التي هو من بها علي! لكن قطع على نظري الطريق منظر حدائق النخيل المسطورة على هامش الشاطئ الغربي، إذ كان لون لممها أشبه ببقايا الخضاب في لم الكواعب. فهاج ذلك المنظر ذكري الصقالبة يوم كانوا حولاً للعرب يتخللون بنواصيهم الشقراء حدائق الخلفاء.

ثم رجعت إلى نفسي وقلت: هل أذاقنا الموت الأحمر إلا الافتتان بذياتك الشعر الأشقر الذي حلب الألباب فأضعف إرادتها؟ وهل ثل عروش الملوك إلا الاندفاع وراء الشهوات واتخاذ الأبعاد ركائب لاقتناص شواردها حتى يصبحوا شبحاً في حلق أهل البلاد الذين بنيت العروش على سواعدهم؟ كذلك نفص العباسيون أيديهم من العرب، فنفضت العرب أيديها منهم، فكان نفصها نقضاً، وما بين النفص والنقض إلا نقطة!

ها هي ذي ملكة النهار تزف لترسب في قعر الظلمات كما كانت الفتاة المصرية تزف لترسب في قعر النيل. وصورة زفافها أن يحاك لها إكليل من الغمام مبرقش بالحمرة والصفرة والزرقة، ثم يقام على جمّة تسرحها الرياح فلا تركها ثابتة على قرار، كأنها تحاول أن تستوعب عامة «الموضات» وتجرب جميع الأوضاع، فهي حائرة في الاعتماد على واحد منها. ولللغواني أحلام وأمان لا يضبط منتشرها ولا يضطلع بتحديدتها إلا بياض الكفن أو بياض الهرم.

وهناك ثارت رفاف من أطياف النهار متراجعة إلى أوكارها فأحدثت في الفضاء شبه الخيلان، وقامت على أثرها رفاف من أطياف الليل التي لا تطيق النظر إلى بهجة الكون إلا في بهمة الخندس. أطياف ليلاها النهار ونهارها الليل، وشروقها الغروب وغروبها الشروق، وأصيلها الفجر وفجرها الأصيل، بحيث لو كانت بشراً لاحتاجت إلى الشمس التي تحيلها المتنبّي في مدح «الأسود» ولما استغنت عن مصاييح من الظلمة. وغاصت الغزالة ولم يبق منها إلا غدائر طافية تلكأت عن الرسوب وارتكم الدم في وجنتها حين شدّ عليها الخناق، فانبسط جانب من لونه على حاشية الأفق. وعلى أثر خلود تلك الشعلة الكبرى من العالم الأكبر، خمدت شعلة الفكر من العالم الأصغر وعرا نشوتي فتور اضطرني إلى التقهقر بفلول آمالي . . .

محمود الملاح:

سألت محمود الملاح يوماً لم لا يجمع شعره ويسعى إلى طبعه؟ فقال: إنني يتّضت شعري منذ أعوام طويلة، لكنني أخاف معاودة النظر فيه. فكلمنا وقع بيدي شيء من شعري السالف صرت على غير إرادة مني أضيف إليه

وأصحح فيه وأسقط منه حتى عييت وقررت أن أتركه وشأنه .  
وجاءني بمجموعة شعره فنقلت منه ما شئت في جلسات متعدّدة .

استملاك دار الملاح :

لاستملاك دار الملاح قصة طريفة لا بأس من روايتها بعد أن استأثرت رحمة الله ببطلها . فقد قررت أمانة العاصمة منح الملاح بدل استملاك قدره ثلاثة آلاف دينار، فاستقله وجاء في المساء إلى المحامي عباس العزاوي في المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه على شاطئ دجلة وشكا له قلة التعويض .

قال العزاوي : الأمر هين ، ويمكنك الاعتراض لدى المحكمة .

- ولكنني لا أعرف ما يجب أن أعمله .

- تعال غداً إلى دار المحاكم واعمِل وكالة باسمي ، وأنا أقوم بما يلزم .

- وكم تتقاضى أجرة أتعابك؟

- نحن أصدقاء العمر، ولن أتقاضى منك فلساً واحداً في سبيل رفع الغبن الذي وقع عليك .

- وماذا تفعل إذا وكلتكم رسمياً؟

- هناك إجراءات معلومة : فإنني أعترض على البدل ، فيعين الحاكم خبراء يمثلونك ويمثلون أمانة العاصمة ويقوموا بإياهم بالكشف على الدار، ثم يقرّر البدل المناسب .

وكذلك كان . وجاء الملاح بعد أيام يسأل العزاوي عن سير القضية فطمأنه وأعلمه أنها سائرة على وجهها الصحيح .

قال الملاح :

- إذا رفع البدل إلى خمسة آلاف دينار فإنني أعطيك أجراً كبيراً .

- قلت لك إنني أفعل ما أفعله لأجل صداقتنا ولا أرغب في تقاضي أيّ أجر .

وجاء الملاح في اليوم التالي وقال :

- إذا رفع البدل إلى ثمانية آلاف فإنني أمنحك الأجر الذي تطلبه .

- ولكنني قلت لك مراراً إنني لا أطمع في الأجر

وظلّ الملاح يزيد كلّ يوم في بدل الاستملاك الذي يرجو الحكم له به ويعد صديقه العزاوي بأجر عظيم ، حتى كانت عشية البتّ في القضية . فجاء إلى المقهى وقال :

- إذا رفعت المحكمة البدل إلى خمسة عشر ألف دينار فإنني آتي بالمبلغ جميعه إليك لتتقاضى منه ما تشاء ! .

قال العزوي : لا أدري ما ستقرّر المحكمة ولكنني أكرّر القول إنني لا أطمع في أجر ولا مثوبة .

وذهب الحاكم والخبراء في اليوم الثاني إلى الدار المستملكة وسأل الحاكم ممثل أمانة العاصمة عن البديل فقال : لقد تقرّر تعويض صاحب الدار بمبلغ ثلاثة آلاف دينار، وهو بديل مناسب إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالة البناء والموقع . . .

ثم سأل الحاكم ممثل محمود الملاح عن رأيه ، وكان ذكياً ، فقال :

أنا لا أعرف الأرقام المجملة ولكنني أدري أن المتر المربع الواحد في هذه المنطقة من بغداد لا يباع بأقل من مائة دينار بصرف النظر عن البناء .

فصاح ممثل أمانة العاصمة معترضاً : ماذا تقول؟ مائة دينار؟ إنك لا تجد مشترياً بشمانين ديناراً .

فقال ممثل الملاح : إنني أوافق على ثمانين ديناراً .

وتمت الموافقة على ذلك ، ولما حسب التعويض على هذا الأساس بلغ البديل ثلاثة وعشرين ألف دينار قبضها الملاح صكاً على المصرف وهو لا يكاد يصدّق عينيه .

قبض الملاح المبلغ ومضى إلى داره وأرسل إلى العزوي أحياناً يقول فيها : لقد وكلتني محامياً عني فماذا فعلت؟ إن الفضل يعود إلى الخبير اللبق الذي عرف من أين تؤكل الكتف .

وغضب العزوي غضباً شديداً وقال : إنني فعلت ما فعلت واخترت الخبير وسرت في الاجراءات القانونية بدافع الصداقة ولم أطمع في الأجر . ولكن صاحبنا يقبض أضعاف ما حلم به ، ثم يبخل عليّ بالشكر ، ويجازيني بشعر يبئس من حقي ويغضّ من شأني . والله لأعلمنه درساً لن ينساه أبداً واتقاضاه أجراً مضاعفاً .

واشتدّت الجفوة بين الملاح والعزوي الذي هدّد برفع الأمر إلى القضاء ، فقلت له : لا تفعل ، يا أبا فاضل ، واترك الأمر لي .

قال : لا أرضى بأقل من ألف دينار .

ومضيت إلى الملاح وعاتبته وقلت له : لو كنت قد مدحت صديقنا بشعر أشدت فيه بذكركه وأطريت فضله لما وقع ما وقع .

قال : لقد كانت دعاية ولم أقصد شيئاً ، وهو لا يرضى بأي أجر .

قلت : أما الآن فهو يريد الأجر ولا يتنازل عنه .

وبعد مكالمة ومساومة فصلت مقدار الأجر بخمسة مائة دينار قبضتها من الملاح ودفعتها إلى العزوي ، فعادت مياه الصداقة بينها إلى مجراها .

حدثني محمود الملاح قال : كنت كاتباً للنفوس في ولاية الموصل في أواخر عهد الاستبداد الحميدي . وكان السلطان يحرص ألا يشاركه أحد في لقبه ، فالويل لمن يجراً أن يكتب اسمه (سلطان) ولو سمّاه به أبواه عند الولادة . وكان هؤلاء - وهم كثر في الموصل - يكتبون اسمهم (سلطان) بالتاء ويتجنبون حرف الطاء .

قال الملاح : وكان عملي أن أكتب الأسماء في سجل النفوس الأساسي ، وهو سجل يحظر فيه الحك والشطب . ولذلك كنت أملأ المعلومات في حقوله بدقة شديدة وخط واضح خوفاً من حصول خطأ . فإذا حضر رجل اسمه (سلطان) لتسجيل أحواله المدنية ، ترك ميمز الدائرة أعماله ووقف على رأسي يراقب الأمر بنفسه خوف الزلل وسوء العاقبة ، فيشير عليّ بأخذ الأهبة والعناية ، ويقول لي : احذر الغلط ، يا ولدي . اكتب (سلطان) بالتاء لا بالطاء ، أفهمت ؟ ويكرّر ذلك مثني أو ثلاثاً ، حتى إذا ما خططت اسم الرجل انحنى على السجل ورأى الرسم صحيحاً فربت على كتفي وقال : آفرين ، يا ولدي ، أحسنت .

وكانت هذه الرواية تتكرر كلما جاءنا «سلطان» لتسجيل نفسه .

#### محمود الملاح في حلب :

حدثني محمود الملاح قال : كنت كاتباً في مجلس إدارة ولاية حلب بعد نهاية الحرب العظمى ، وكان مدير التحرير ابراهيم هنانو ، وكانت حلب تابعة للحكومة الفيصلية في الشام . ولم يمض أمد طويل حتى احتلّ الفرنسيون سورية وأخرجوا الملك فيصلاً منها (١٩٢٠) ، فظلّ مجلس الادارة يعمل تحت إمرة الحاكم الفرنسي .

وكان التنافس شديداً في المدينة بين المسلمين والأرمن . وجاءت في هذه الأثناء امرأة أرمنية بعريضة إلى مجلس الادارة تطلب اعتناق الدين الاسلامي ، وقد فهمنا أنها أقدمت على هذه الخطوة رغبة منها في التخلص من زوجها الذي كان يسيء معاملتها . وجاء زوجها الأرمني ، وكان فظاً غليظاً ، فأخذ يتوعد المجلس واعضائه وموظفيه ويهدّد باستنزال نقمة الفرنسيين عليهم إذا هم ساعدوا امرأته على الدخول في الدين الاسلامي والتخلص من ربة زوجها .

وكان المجلس يميل إلى قبول اسلام المرأة ، لكنه كان يحسب حساباً للحكام الفرنسيين وموقفهم المعروف من الأمر . وفي هذه الأثناء اتصل الرجل بشيخ مسلم من المعمّنين وطلب إليه حل مشكلته ودفع له الأجر بسخاء . فقال المعمّم : أتريد أن تحتفظ بزوجتك ؟

- نعم .

- إذن فاطلب أنت أيضاً اعتناق الدين الاسلامي ، وعند ذلك تبقى المرأة في عصمتك إذا قبل اسلامها .

ولم تجد المرأة المسكينة بدأ من الاحتفاظ بدينها والعودة إلى منزل الزوجية .

الموصل في أواخر القرن التاسع عشر:

كانت الموصل في أواخر القرن التاسع عشر تشكو العزلة والخمول والانحطاط الاقتصادي ، وتعاني فقراً مدقماً يعز على الوصف . حدثني محمود الملاح أن الرجل كان يسير في السوق فيرى بصقة على الأرض ، وأنه ليحدق فيها ملياً لعلها تكون متليكاً بهم بالتقاطه ، والمتليك أدنى قطع النقد العثمانية .

وجاء أحد أمراء إيران لزيارة الموصل ، فحار الوالي التركي كيف يستقبله بما يليق بمنزلة الدولة . وكان الجند يلبسون الملابس البلدية ذات الأشكال والألوان المتباينة ، فقرر الوالي يعد التفكير واعمال الرأي شراء قماش خشن من نسج الجبل وصبغه بالنيل ، فعمل منه بزات رسمية لعشرة أو بضعة عشر جندياً توحيداً لزيهم ، لتحية «الشاهزادة» عند قدومه . وظل هذا نفر من الجند بملابسه الخشنة المصبوغة مضرب المثل في الموصل عهداً غير قصيراً!

وكان الناس لا يعرفون الشاي شرباً . ومن ذكريات الملاح عن طفولته أن جدّه أصيب بالمرض ، فجيء له بالشاي دواءً . وقال الجدّ: أعطوا شيئاً من الشاي إلى هذا الطفل ليذوقه ، فلما أشربوه منه متجّ طعمه وأخذ بالبكاء .

محمود الملاح:

حدثني محمود الملاح أنهم كانوا ثلاثة يدرسون على الشيخ عبد الله النعمة ، هو وضياء يونس وشيت خطاب ، وقد اتصلت بينهم المودة فصاروا لا ينقطعون بعضهم عن بعض نهراً ولا مساءً . ولم يتزوج الملاح ، ولم ينجب ضياء يونس ولداً ، أما شيت خطاب فتزوج وأنجب ولدين سمى أولهما باسم محمود الملاح ، وهو محمود شيت خطاب صاحب المؤلفات العسكرية واللواء في الجيش العراقي والوزير في العهد الجمهوري . وسمى ثانيهما باسم ضياء يونس ، فكان ضياء شيت خطاب الذي أصبح رئيساً لديوان التدوين القانوني ونائب رئيس محكمة التمييز ورئيسها بعد ذلك .

حدثني محمود الملاح أنه حين أنشئت الحياة النيابية في العراق سنة ١٩٢٥ ، عين صديقه ضياء يونس سكرتيراً لمجلس الأعيان . وتوسط له لدى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي فعين الملاح رئيساً لكتاب مجلس النواب براتب ٢٥٠ روية شهرياً .

قال : داومت في الدار التي قرّر اتخاذها مقراً للمجلس النيابي قبل افتتاحه ، وكان العمال والنجارون منهمكين في تنظيم قاعة الاجتماع ومقاعدها لاعدادها لحفلة الافتتاح . وكنت أنا وسائر الموظفين المعيّنين واقفين نشرف على العمل ونصدر التعليقات

بشأن إتمامه . فجاء رجل معتم باللباس الأهلي ووقف يراقب عملنا ، ثم صار ينتقد العمل ويصدر الايعازات والتوجيهات ، فقلت له : يا أسطى ، ما شأنك في الأمر؟ ورجوته أن يخرج ، فلم يفه بينت شفة .

فقال لي أحد الفراشين : خفف من غلوائك ، إنك تكلم الحاج عبد المحسن شلاش وزير المالية السابق . فخرجت ومضيت بعيداً .

ثم افتتح المجلس وانتخب رشيد عالي الكيلاني رئيساً ، فلم يقرّ التعيينات السابقة ، بل أصدر أوامره بتعيين موظفين جدد . وتلقيت أمراً بتعييني كاتباً براتب ١٥٠ روية ، فغضبت وانقطعت عن الدوام . وقد نصحتني أصدقائي بقبول هذه الوظيفة ، فلم أفعل . ومرّ أسبوع أو أسبوعان فاعتبرت مستقيلاً وأنهيت خدمتي قبل بدئها .

### محمد حسن أبو المحاسن

الشاعر الوطني ووزير المعارف العراقية الشيخ محمد حسن بن الشيخ حمادي بن مهدي آل محسن الحائري ، من قبيلة آل علي . تسكن أسرته في قرية جناحة بجوار الهندية في لواء الحلة وتنحدر من ابراهيم بن مالك الأستر . وقد ولد في كربلاء سنة ١٨٧٦ وطلب العلم في مسقط رأسه ودرس علوم العربية والدين على يد محمد حسين الشهرستاني وكاظم الهرّ وغيرهما . وامتاز بشعره الجزل الرقيق ، وأمن في شبابه بالمبادئ الاسلامية وناصر الخلافة العثمانية حامية الاسلام ونظم في ذلك القصائد الكثيرة . وكان له اطلاع على الشعر الفارسي . ولما اختل نظام الحكم التركي في الحلة خلال الحرب العظمى ، خرج من كربلاء بأسرته إلى قرية جناحة وأقام فيها ردحا من الزمن .

ونشبت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ وتولّى زمام الأمور في مدينة كربلاء الزعيم الشيخ محمد تقي الشيرازي ، فعهد إلى مترجمنا برئاسة المجلس الملي والحكومة الوقتية ، حتى إذا ما خبا أوار الثورة سجن في الهندية ، ثم أطلق سراحه في آخر أيار ١٩٢١ .

وعين وزيراً للمعارف في وزارة جعفر العسكري (٣ كانون الأول ١٩٢٣) ، وقد استقال في ٢٧ ايار ١٩٢٤ . وانزوى في قريته جناحة حيث وافاه الأجل في ٢٤ حزيران ١٩٢٦ . وطبع ديوان شعره سنة ١٩٦٤ بإشراف الشاعر الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي .

شعره :

اشتهر أبو المحاسن بشعره الاسلامي والوطني ، فقد سجّل أحداث التاريخ العثماني بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ منتصراً للدولة العلية التي كانت تجمع شمل الاسلام وتدافع عن حماه . ومما قاله يخاطب الدين الاسلامي ويشيد ببيض أياديه :

لك الشرف الباقي ، وإن رغم العدى  
تردّيت بالمجد الأثيل ، وما لهم  
وما أنت إلا الشمس في الأرض ما لها  
وما لنظام الكون غيرك كافل  
نشرت لواء العدل في كل بلدة

وقال في رثاء محمود شوكت باشا بطل الانقلاب العثماني :

بكي الشرق ، يا خير الصدور الأعظم  
نعيت إليه فاستمالت ربوعه  
ومنها :

ألم يكشف الكرب الذي ضيق الفضا  
فشيّد صرح العدل مذ هدّ سيفه  
ومن شعره الوطني :

يا أيها الوطن العزيز لك الهنا  
سيعيد تاريخ العلى لك نفسه  
أبناء يعرب يطلبون تراثهم  
لا يقنعون من الفخار بتالد  
حتى يقول :

فمتى تؤلّف وحدة عربيّة  
ليس العراق بموطني هو وحده  
وقال يفتخر بقومه :

بقومي أسمو راقياً شرف العلى  
هم القوم أما عزّهم فمشيّد  
شائل كالروض الأريض تضوّعت  
وقال في مدح النبيّ الأمين :

وأشرقت أنجم التوحيد محذقة  
نبوة حاولوا إخفاءها فبدت :  
كأن شرعته ضوء النهار جلت  
من صفو أخلاقه سلسال كوثره

أبى الله إلا أن يـدوم مـخلّدا  
إذا اجتذبوا ذاك الرداء سوى الردى  
غنى عن سواها فهي تطلع سرمدنا  
لك الله فاسلم كي نعيش ونسعدنا  
وساويت فيها بالسود المسودا . .

عليك بمنهّل الدموع السّواجم  
مصاباً ومادت أرضه بالمآتم . .

على أمة باتت بقبضة ظالم؟  
على «يلدز» الشّاء صرح المظالم

قد نلت أشرف بغية ومراد  
ويعسود مجد رجالك الأجماد  
إنّ البنين أحقّ بالأجداد  
ما لم يضيفوا طارفاً لتلاد

وطنيّة الاصدار والإيراد  
فبلاد قومي كلهن بلادي

وأسطوبهم يوم الوغى وأصول  
تليد وأما مجدهم فأثيل  
بطيب شذاه شمأل وقبول

منه يدر هدىّ يجلو دجى الظلم  
إن الشموس سناها غير منكم  
من الضلالة ليلاً حالك العتم  
جرى بصفومعين سائغ شبم



وقال في السجن :

غير أني مفرد بالشجن  
وصل أشجاني وهجر الوسن  
رخصت وهي غوالي الثمن  
لي شغل فهو أضحي ديدني  
لو أقاتنا صروف الزمن  
ولنا تأسيس تلك السنن

أنا والنجم كلانا ساهر  
لا أبالي، والمعالي غايتي،  
في سبيل المجد منّا أنفس  
ليس غير الشعب واستقلاله  
نحن للعلياء والعلينا لنا  
عُرفَ المعروف والعدل بنا

ولأي المحاسن غزل لطيف على الطريقة القديمة، كقصيدته «شجو الغرام» التي يقول فيها :

فأيسر شجوي لوعنة وزفير  
وكل شجيّ للنجم سوم سмир  
يلمّ ولا طيف الحبيب يسزور . .  
نعرض بالشكوى لهم ونشير  
له بين أنشاء الضلوع سعي  
بدور لها فوق الحدوج سفور  
نجوماً فلاحت أنجم وبدور . .

أجدك هل لي من هواك بغير  
أسامر في ليل التمام نجومه  
وقد منعوا طيف الخيال، فلا الكرى  
ولما وقفنا للسوداع بندي النقى  
وفي القلب من برج الصبابة لاعمج  
وقد أشرقت للناظرين طوالعاً  
جرت لمراعاة النظير مدامعي

ومن رقيق شعره الوجداني :

فلا عيش إلا من وصالك لي يخلو  
فمثلك لا يُسلى ومثلي لا يسلو  
هواه المعالي الغرّ والحدق النجل  
أواصل نهجاً فيه تأتلف السبل  
فلا حور العينين منه ولا الكحل

لعلّ النوى تدنو فيجتمع الشمل  
فدى لك نفسي، كيفما شئت فاحتكم  
وما أنا إلا عاشق قد تقاسمت  
وما اختلفت سبل الهوى غير أنني  
معاني جمال غير ما افتتنوا به

وقصيدته «الربيع الناظر» من أمثلة الوصف البارع الجميل :

ما أنت إلا بهجة للناظر  
بمطارف الحسن السنّي الباهر  
وكسوتها بُرد الشباب الزاهر  
تجزيك بالنعماء حمد الشاكر  
فاسمع ثناءك من غناء الطائر  
مهما بكت عين السحاب الماطر

بوركت يا زمن الربيع الناظر  
أقبلت يا ملك البسيطة رافلاً  
رجعت للأرض الموات حياتها  
فتضوّعت أزهار كلّ خميلة  
نطق الحمام عن الرياض بشكرها  
ضحكت تغور الأرض فهي بواسم

خطر التّسيم الغصن يحمل نفحةً  
والشمس صاغت بالشعاع سباتكاً  
وجرى لجين الماء فيه فحلّيت  
ومن شعره الغزليّ :

مسكّية فيها ارتياح الخاطر  
يجلو النّضار بها جميل مناظر  
أشجاره بمعاضد وأساور

ما تشى الغصن إلا وصفنا  
يطرب الغصن إذا شبهته  
وسلاف الراح في نشوتها  
أرضاب الثغر أم مشمولة  
فيه للظامي شفاء من جوى  
ومهارة غادرت ألحظها  
إن مشت هزّت قناة صعدة  
مائها السكر، لكنّ الصبا  
صفة الحسن بها قد أغريت

لكِ قدّاً وقواماً أهيفاً  
بكِ حتى ينثني منعطفنا  
تصف الثغر وتخلو مرشفا  
قد جرت في لؤلؤ قد رصفا  
لو رأى الظامي سبيلاً للشفا  
مهجة الصبّ المعنى هدفنا  
أوزنت سلّت حساماً مرهفا  
من نعيم قد سقاها قرقفا  
فزهت حسناً وفاقت شرفنا

كان لأبي المحاسن مطارحات شعرية مع رجال عصره كرضا الاصفهاني وعبد المهدي الحافظ وهادي عباس آل كاشف الغطاء وعبد المطلب الحلبي وجواد الشيبلي وعبد الحسين الحويزي وغيرهم . ومن طرائفه التي رواها محمد علي اليعقوبي أبيات قالها يداعب الشيخ علي الأسدي الذي أناف على التسعين :

أعمّراً عمر النسور، إلى متى  
حدّث، فلا حرج، حديث جذيمة  
وعن البسوس وماضيات حروبها  
تبقى وأنت الميت في الأحياء؟  
ما كان قصّته مع الزّباء؟  
حدّث فإنّك حاضر الهيجاء

قال سلمان هادي آل طعمة : وكان الشاعر صلب الرأي، سامي الخلق، واسع الخيال، مرهف الاحساس، . ويمتاز شعره بحرارة العاطفة وصدق التعبير ورقة الشعور.

قال وهو سجين في الحلّة :

أناجز جيش الخطب، والخطب فادح،  
إذا كلّ عزم القوم أو طاش حلمهم  
فيثبت قلبي والقلوب مَرُوعَة  
وقد نصحووا لي بالخضوع إلى العدى  
يكافحني طوراً وطوراً أكافح  
فعزّمي مسنون وحلمي راجح  
ويشرق وجهي والوجوه كوالح  
وما كلّ من يهدي لك النصيح ناصح

فقلت: معاذ الله أن يستذلني  
وأهون عندي أن أمد لهم يداً

عدو، فغيري للدينونة جانح  
تصافحهم أن تحتلبها الصفائح

من قصيدة له يطالب بالاستقلال في أثناء ثورة سنة ١٩٢٠ :

وثق العراق بزاهر استقلاله  
أضحى يؤمل نيل أشرف غاية،  
فله إلى التحرير، وهو حبيبه،  
قد أطلق العاني وفك أساره  
وردت شعوب الأرض باستقلالها  
أفيحرم الشعب العراقي المنى،  
فازوا بنيل حقوقهم، وحقوقه  
إن يُعطَ واجب حقه فله حقه

والشعب متفق على استقلاله  
يارب، أوصله مدى أماله  
نظر المشوق المستهام الواله  
فللم يبقى وهو في أغلاله؟  
عذب الرجاء ورؤيت بزلاله  
والشيء محمول على أمثاله؟  
بضمان أهليه وعزم رجاله  
أولا فمفزعته إلى أبطاله...

وقال من قصيدة يرثي الامام محمد تقي الشيرازي :

يا غلة الأحشاء غاض المورد،  
لا نجدة للمستغيث ولا روى  
قل الغرار فلا فم لخطابة  
بكر النعي وقال: قد أودى التقى  
ومنها: إن كان قد أودى التقى محمد  
يا آية الله المقدسة التي  
غادرتنا والخطب داج ليله  
فمن المدافع والاسننة شرح  
الشرق، يا شمس الهداية مظلم،  
لو لم تعاجلك المنية لانجلي

يا أزمة الأيام غاب المنجد  
يشفي غليل حشاشة تتوقد  
عند الخطوب ولا حسام ولا يد  
ومضى إمام المسلمين الأوحده  
فلقد أصيب به النبي محمد  
أمست إليه بها الملائك تصعد  
واليوم من صبغ الحوادث أسود  
والبيض تبرق والمدافع ترعد؟  
مد غاب عنه ضياؤك المتوقد  
عنه سحب المغرب المتلبد

## أحمد الصافي النجفي

إن سيرة هذا الشاعر إنما هي شعره :

وهو أحمد بن علي بن صافي من أسرة نجفية يتصل نسبها بالامام موسى الكاظم وكانت تعرف بأل السيد عبد العزيز الذي نزل النجف ، وهو الجدّ السادس للشاعر . أما جده لأمه فهو الشيخ محمد حسين الكاظمي من آل معتوق في صور . ولد أحمد في النجف سنة ١٨٩٦ ، وتوفي والده بوباء الهیضة وعمر صبيّنا ١١ سنة ، فكفله أخوه الأكبر محمد رضا .

قال أمين الريحاني في كتابه «قلب العراق» إن هذا الشاعر رأى نور الشمس «يوم كان الحسن الخَلقي والصحة والنعمة تنزّه كلها في الكون الأعلى ، فما رمقته بنظرة ساعة الولادة ولا دنت بعد ذلك من ملعبه أو من رحله أو من كوخه . . انه لطير غريب يحسن الطيران والغناء ولا يحسن سواهما . . . » وقد قال الصافي :

أسير بجسم مشبه جسم ميّت      كأني إذا أمشي به حامل نعشي  
ولما بلغ الخامسة من عمره أدخل الكتاب ، فتعلّم القرآن والخطّ وشيئاً من الحساب .  
وقد قال في ترجمة مخطوطة لنفسه كتبها سنة ١٩٣٦ :

«وما كدت أتجاوز العقد الأول من عمري حتى نكبت بفقد والدي بمرض الوباء الذي اجتاح العراق يومئذٍ وترك في كل دار مناحة ، ولا سيما في بلدة النجف . وقد كانت الصدمة شديدة على نفسي ، وما زلت حتى اليوم أتمثل ذكراها الفظيعة وحوادثها المؤلمة ، ولا أنفك حتى اليوم أشعر بهولها .

فكفلني أخي الأكبر ، وكان بالرغم من عطفه عليّ ، قاسياً في معاملتي ، ضاغطاً على حرّيتي ، مقيّداً لي تقييداً يكاد يكون استعباداً أو استعماراً . . . »

وحين بلغ الثالثة عشرة أخذ يدرس قواعد اللغة والمنطق وعلم الكلام والمعاني والبيان والاصول وشيئاً من الفقه على أساتذة منهم الشيخ محمد حسن المظفر والسيد حسين الحماي والسيد علي اليزدي ، ثم حضر دروساً على السيد أبي الحسن الاصفهاني والشيخ مهدي الخالصي .

وكان منذ الطفولة ضعيف البنية ، ميالاً إلى الكسل والتأمل ، فلم يحتل مواصلة الدرس الذي زاد في مرضه العصبيّ . ثم توفيت والدته سنة ١٩١٢ ، فاشتدّ عليه الداء ومنعه الأطباء من الانكباب على الدرس ، فانصرف إلى المطالعة ومراجعة الشعر والأدب وتصفح الكتب العصرية والمجلات كالمقتطف والهلّال .

وكان أقرب كتاب إلى نفسه - كما يقول - لزوميّات المعريّ، ومن الذين أثروا في تفكيره في تلك الحقبة محمد رضا الشيبيني وعلي الشرقي .

وفي سنة ١٩١٦ ترك النجف مع رفيقه محمد علي كمال الدين قاصدين البصرة للعمل فيها، فاخترقا خطوط الحرب ووصلا إلى البصرة، لكن لم يجدا فيها شغلاً يمسك رفقهما .

وذهبا إلى المحمّرة (خرّمشهر) في إيران، فخلع الصافي البزة الدينية وارتدى لباس العمّال وشرع يبحث عن عمل، وانتقل لتلك الغاية إلى عبّادان والكويت . . . وكتب عن هذا الدور من حياته فقال :

«ثم إنني سافرت بعد ذلك إلى عبّادان لاشتغل عاملاً فيها فلم أوفق . فتوجهت إلى الكويت في سفينة شرعية ورمت الاشتغال فيها بأحد المخازن، فلم يقبلوني مما اضطررتي أن أكون بناءً طيلة يوم كامل وقعت في انتهائه ميتاً من شدة التعب، فذهبت قبل أن أستلم الأجرة . ولما رأيت عدم استعدادي لهذه المهنة الشاقة، سافرت إلى بندر بوشهر المرفأ الفارسي، وكانت رحى الحرب إذ ذاك دائرة بين القبائل الفارسية والانكليزية بتحريض القائد الألماني «وسموس» الذي كان قبل الحرب قنصل الحكومة الألمانية في شيراز. فلم أتمكن من الوصول إلى قرب بوشهر إلا بمشقة تعرّضت أثناءها إلى الغرق في الخليج الفارسي (العربي)، لولا صندوق شاي كان معنا في الزورق، فطفا على سطح الماء وتعلقت به فكان سبب إنقاذي .

«ومن هناك سافرت مشياً على الاقدام مع قافلة تجارية قاصداً شيراز، فوصلت بعد اثني عشر يوماً قطعناها في الجبال والطرق الوعرة إلى بلدة فيروز آباد موطن الفيروز آبادي المشهور صاحب المعجم العربي المعروف بالقاموس المحيط . وهناك أصبت بالتيفوئيد، فأنفردت عن القافلة . وقد تعرّف إليّ المجتهد المرحوم الامام السيد عبد الحسين اللاري الذي كان تلميذاً لجديّ المرحوم الشيخ محمد حسين الكاظمي، ولولا عنايته بي لقضى عليّ التيفوئيد . وبعد إبلاي من المرض سافرت إلى بندر عباس، ومنها قفلت راجعاً إلى النجف الأشرف بعد مفارقتها تسعة أشهر، كانت خلالها قد انقطعت أخباري عن أهلي . وقبل وصولي إلى النجف بشهرين كانت بغداد قد سقطت بيد الجيش الانكليزي . . .»

بدأ الصافي بنظم الشعر . وقد سمع بأنباء ثورة الحجاز التي رفع لواءها الشريف حسين، فكانت باكورة نظمه قصيدتين في مدح الشريف وتحية الأمة العربية الثائرة . ثم شارك في الثورة الوطنية التي شبّ أوارها سنة ١٩٢٠، فسجن اخوه الأكبر محمد رضا الصافي، وهبّء لشاعرنا أن فرّ إلى طهران عن طريق الكوت وجبل حلوان .

عكف الصافي على دراسة اللغة الفارسية وعمل مدرساً للأدب العربي في المدارس الثانوية . وترك التدريس بعد سنتين ، واشتغل بالترجمة والتحرير في أمهات صحف طهران كجريدة «شفق سرخ» وغيرها . وأكّب على مطالعة الأدب الفارسي ، فقرأ المثنوي ديوان جلال الدين الرومي ورباعيات الخيام ودواوين حافظ والمنوجهري وسعدي والشعر المعاصر . وتعرّف بشعراء إيران أمثال بهار ملك الشعراء وحيدر علي كمالی وجلال المالك وعارف القزويني والشاعر عشقي الذي ذهب ضحية قصيدة حمل فيها على رضا شاه بهلوي . واختير بعد ذلك عضواً في النادي الأدبي ، وقام بترجمة رباعيات الخيام ، ولم ينقطع في تلك الاثناء عن مطالعة الأدب العربي قديمه وحديثه .

ثم انخرط في سلك موظفي الحكومة الايرانية مترجماً بوزارة المعارف ، فنقل إلى الفارسية كتاب علم النفس لعلي الحارم ومصطفى أمين . وعاد إلى بغداد بعد ثمانية أعوام قضاه في إيران (١٩٢٨) ، فاتصل بمحافلها الأدبية وصادق الزهاوي وسواه من الشعراء . ورشحته الحكومة العراقية قاضياً شرعياً في الناصرية ، لكن المرض عاوده بسبب المناخ واشتدت عليه وطأته .

وأشار عليه الأطباء بالنزوح إلى سورية ، فبارح العراق إلى دمشق سنة ١٩٣٠ ، ولم يستطع - كما قال - وبالرغم عن وصية الطبيب الابتعاد عن الاشغال الفكرية ، فأخذت صحته بالتأخر وعانى جملة أمراض منها تضخم الكبد وضعف القلب ومرض الكلية والتهاب الحنجرة وضعف الأعصاب!

لقد هيمت للصافي أن يتغلب على جميع تلك الأمراض ، وقد أناف على السبعين . وعاش متنقلاً بين ربوع سورية ولبنان . ولما احتل الانكليز بيروت في خلال الحرب العالمية الثانية اعتقلوه وأودعوه السجن (١٩٤١) ، فلبث في غيابه شهرًا ونصف شهر، وخرج منه بديوان شعر أسماه «حصاد السجن» .

وكانت حياته بعد ذلك تقتصر على كلمة واحدة ، هي الشعر الذي واصل قرضه وأخرج دواوينه في تتابع وانسجام .

مؤلفاته :

دواوين شعره : الأمواج (١٩٣٢) أشعة ملونة (١٩٣٨) الأغوار (١٩٤٤) التيار (١٩٤٦) ألحان اللهب (١٩٤٨) هواجس (١٩٤٩) حصاد السجن (١٩٥١) شرر (١٩٥٢) اللفحات (١٩٥٨) الشلال (١٩٦٢) شباب السبعين (١٩٦٧) ثمالة الكأس (١٩٧١) .

وله عدا ذلك : رباعيات الخيام (ترجمة شعرية) (١٩٣١) ، هزل وجدّ (نشر) ، (١٩٣٧) .

شعره :

الصافي شاعر أصيل انصرف إلى الشعر وعاش له وعرف به ، حتى قال :

لي في الشعر عالم مستقل  
لم أشرك غيري لآتي رب  
أنافيه فرد بدون خلاف  
واحده لا شريك لي في القوافي

وقال :

سموت بشعري فوق جبلي ، ولم يزل  
فإن لم أكن في أمة الشعر واحداً ،  
يشك بشعري معشر البلهاء  
أكن أمة أعلى من الشعراء !

وقد أثر الحرية والانطلاق من القيود فقال :

يروم زيارتي عشاق شعري  
تتراني كالنسيم أطوف حراً  
فوزوروني بأنفاس الخزامى  
وقد أوي لقلب أخي غرام  
فلا يجدون لي في الأرض دارا  
فلسنت ، ولا التسيم ، نرى قرارا  
وزوروني بأهات العذارى  
وأصعد منه أنات حيارى

وعاف المجاملة والتقاليد الاجتماعية :

أفر من النوادي زاخرات  
وأري للحقول طليق نفس  
بالوان المجاملة الوضيعة  
فلسنت مجاملاً إلا الطبيعة

أرهفت حسه الأمراض التي ركبت بدنه وأضنت جسمه ، فقال :

لقد عدت أمراضاً أحرار بعدها  
يقولون لي : ماذا بجسمك مؤلم؟  
ومن ذا يطيق العد للزمل والنمل؟  
أقلب ، رأس؟ قلت : يؤلني كلي

وداهمته الخطوب وهذته المصائب فأوحت إليه أرق الشعر وأروعه :

سأشكر للدهر الخؤون خطوبه  
فإن خطوب الدهر أذكت بصيرتي  
وكم من مصاب حل بي فحسبته  
فما زال يغلي في حتى تنفجرت  
وإن كدت منها أفقد الرشيد والصبرا  
وإن خطوب الدهر أوحت لي الشعرا  
سيفقـدني روحي ويسكنني القبرا  
ينابيع شعري منه وانسدقت نهرا  
تثور به أمواجه شعلاً مـهـراً . .

وهل عجب بعد ذلك أن يكون شاعراً إنسانياً يتفجر قريضه رحمة وحناناً وأن يتخذ  
مواضيع شعره أبناء الشعب الكادحين والفقراء البائسين من بائع الحصير  
والأعمى والمسلول والسائل القروي إلى راعي الغنم والبلهاء والشحاذ . . . وإنه ليأسى  
لحال صباغ الأحذية ، والشاعر وحذاؤه عدوان للصبيغ والاناقة ، فلا يرده خائباً مع  
ذلك :

جاء يوماً إلى صَبَاغ نَعْل  
 مرّ دهر عليه لم يَرِ صبغاً  
 وكسته أشعة الشمس لوناً  
 جاء نحوي من بعد ما طاف يوماً  
 جاء نحوي يروم صبغ حذائي  
 أنا خصم الألوان تخفي عيوباً  
 رمت ردأله فلم يرضّ قلبي  
 قلت: أجبوه درهماً، غير أني  
 قلت: فاصبغ لي الحذاء بصبغ  
 فغدا يصبغ الحذاء بحذقي  
 ثم بسادرتة بما ضمّ جيبي  
 فمضى هاتئناً ورحت كأني

وبنعلي صبغ من الأيام  
 غير صبغ الغبار والأقدام  
 صار منه كقطعة من رغام  
 دون ربح غير العنا والسقام  
 وأنا للصبغ أعدي الأنعام  
 إنّ عندي الألوان كالأوهام  
 رده خائب المنى والمرام  
 خفت من أن يُذله إكرامي  
 فيه أغدو مثل الذوات العظام  
 مبدياً فيه كلّ فنّ تمام  
 من نقود أعددتها لطعامي  
 ثمل بالسخاء لا بالمدام

إن هذه المقطوعة مثال الشعر الفطريّ الأصيل الذي لا تكلف فيه ولا صناعة ولا إغراب، ينساب كالجدول الرائق: يصف حذاء الشاعر الذي كسته الأيام لون التراب، ثم يلتفت إلى الصبّاغ المسكين وقد أخطأه التوفيق وفاته الرزق سحابة يومه، فيهمّ أن يردّه فلا ترضى عاطفته الانسانية، ويهمّ أن يمنحه صدقة فيخاف أن يبيته ويذله. فلا يكون منه إلا أن يدعوه إلى صبغ حذائه ويمنحه أجره عمله النقود التي هيأها لطعامه.

وقد عظمت رحمة الشاعر وفاض حنانه حتى شملا الحيوان بعد الانسان، فقال:

لو يعلم الحيوان ما عندي له      من رحمة لأتقى إلى مسلماً  
 ولأصبحت كل الوحوش أليفة      عندي وخالتي أبا أو أرحما

وقصيدته «على طريق بيروت» مأساة تهزّ النفس وتثير في أعماقها أسمى المشاعر وأشدها ألماً ووجداً. فلئن كان الشاعر الفرنسيّ ألفرد دي فنبي يصف لنا في قصيدته «موت الذئب» تسامي الوحش وأداءه للواجب بصمت وسكون وزهده بعد ذلك في الحياة، إنّ شاعرنا الصافي ليصف لنا «موت الكلب» ويحيط فاجعته بإطار إنسانيّ حزين من الشعور الدافق والوفاء النبيل والرحمة التي تنفذ إلى صميم القلب البشري. لقد كان الشاعر مسافراً في سيارة تقطع الفلاة مثل الفيل الذي تشع عيناه في دجى الليل:

فلاح على الطريق لنا مشاة      يـؤلف بينهم نسب وحبّ  
 أب شيخ وطفل دون سبع      وأمّ زان منها الرأس شيبُ  
 ورابعهم، كأهل الكهف، كلب      يلوح كأنه في الشكل ذئب  
 يسير بجنبهم يحمي هامهم      وفي عينيه نيران تشبّ



ويحدق الكلب في السيارة فيهجم عليها ويوسعها نباحاً، وقد ظننها وحشاً غريباً يريد سوءاً بالقافلة التي يجرسها، فينتقم السائق القاسي منه بأن يسحقه ويقتله ظلماً وعدواناً.

ويمضي الشاعر في وصف المأساة فيقول:

فظل الكلب يرفس رفس موت  
تفجع أهله فبكوا عليه  
وجاء الطفل يبغي ضمّ كلب  
لقد نشأ معاً والكلب جرو  
يداعبه ويؤنسه بقفز  
رأى دمه فصبت عليه دمعاً  
وظل يروم مسح التراب عنه  
يحاول حمله حيناً فيعيها  
ويلثمه لينعشه بلثم  
حتى يقول:

تركناهم، وفي قلبي شجون،  
فثرت على الأنعام لقتل كلب  
وقلت: بأيّ ذنب أوردوه  
بكيست وللسماء رفعت رأسي

وفي قصيدته «ذكرى سمكة» يذكر جلوسه على ضفاف العاصي فيرى الأسماك تنأى وتدنو من الشاطئء وكأنها جائعات، ويلقي إليها بفتات الخبز طعاماً. وإذا بالصيد قد جاء يرمي شصه، وقد كمن فيه الموت لهذه المخلوقات الضعيفة:

أنا أطعمتها لتجيا وقومي  
ثم لم يكفهم نفاق وغدر  
إن يك الرفق بالضعيف جنوناً  
فأنا أعظم المجانين طراً

وبلغ من حنان الصافي ورأفته أن شمل النمل فرعى هذا المخلوق الصغير بعطفه

وقال:

تصايق كأس الشاي عندي نملة  
وأخجل من طردني لها إذ أخالها  
تقبلت هالي في الحياة شريكة،  
فتحمل مني للثقوب ذخيرة،  
لها ولع بالحللـو يجذبها قسرا  
تقول: أما أوحيت قبل لك الشعرا؟  
لها السكر المحبوب أنشره نثرا  
وإن لم أكن في العيش متخذاً ذخرا

وقديماً قيل عن الشاعر الفرنسي لافونتين (١٦٢١ - ١٦٩٥) أنه أحب الحيوانات وعرضها في أمثاله وقصصه التي سحرت أجيالاً متعاقبة من الصغار والكبار. وقد شوهد مراراً مكباً يراقب النمل في عمله الدائب ونظامه العجيب حتى نسي نفسه ساعات طويلة وسها عن مواعيد الطعام.

إن الصافي النجفي شاعر روجي عرف الله بوجوده وسما إليه بايمانه، قال:

راح يقوى على المدى إيماني      فبري قد امتلا وجداني  
 قيل لي: هل عرفتَه بدليل      أو بحسّ شهدته أو عيان؟  
 قلت: كلا، إيمان قلبي أقوى      من دعاوى الحواس والبرهان  
 واضح لي وضوح روجي وعقلي      مائل في مداركي ككياني  
 هو رمز الوجود، سرّ التجلي      هو روح الأكوان معنى المعاني

وقد نظر إلى الوجود بعين البشر فاستهجن قبحه ودمامته، ورآه بعين الاله فأبصر بهاءه وسناه:

نظرت الوجود بعين البشر      فلما نظرت بعين الإله  
 ولا بدع بعد ذلك أن يصيح: الله أكبرا      وأحسبها حقائق راهنات  
 فيقطع لي سلاسل ترهاتي      وأسعى للوصول إلى النعيم  
 وأضرب سادراً بين المهموم      هتاف مؤذن: الله أكبر  
 فيدعوني إلى النهج القويم      كأني ميّت في جوف قبر  
 وأفني في الرقّاد ثمين عمري      صياح مؤذن: الله أكبر  
 فيوقظني لأحشر كلّ فجر      ونبقى بين هالك وبين هات  
 ونأخذ في أحاديث شتات      فأنفض صائحاً: الله أكبر  
 فأسمع صوت حيّ على الصلاة

لقد عرف الصافي الغربية البدنية والروحية فجرع غصص الأولى وهفا إلى مغاني الثانية. نزع عن وطنه فقال:

حتى مَ أقضي ثمين العمر مغرباً      كأنني ليس لي مثل السورى وطن؟  
 فمن رأني أطوي الأرض منتقلاً      يقول: ما لي لا أهل ولا سكن...  
 لم يرض بي وطني، لم يرض بي وطن      فهل تُرى يرتضيني القبر والكفن؟  
 وحنّ إلى الوطن المجهول فهتف قائلاً:

كأنني عن وجودي أبتغي السّفرا  
فما بلغت بها قصداً ولا وطرا  
ولا التغرّب يجلو عني الكدرا  
يثيرها فتعاف الصّحب والسّمرا  
والعين في كل شيء تبغض النّظرا  
به شغفت ولم أعرف له أثرا  
فهل سألقاه لما أغتدي خبراً؟

أبغى أسافر، لا إلى جهة  
فكم قصدت جهات ما لها عدد  
فلا الإقامة في الأوطان تسعدني  
أتى جلستُ رأيت النفس في قلق  
وأين سرت رأيت القلب منقبضاً  
كأنني باحث في الكون عن وطنٍ  
لم ألقه وأنا حيّ وبى رمق،

إنّ هذه الابيات المفعمة بالضياح والحيرة والحنين لتذكّرنا بقصيدة شارل بودلير:  
الدعوة إلى السفر، ففي هذه القصيدة يتحدث شاعر «أزهار الشر» عن عالم بعيد يتمنى  
أن يعيش فيه، عالم زاخر بالحبّ والموت، عالم يغشاه النظام والجمال والترف والهدوء  
والهيام اللاهب، عالم تظلمه الشمس المبلّلة والسّموات المضطربة، يسحر الشاعر بفتنة  
خفية كعيني حبيبته الخائنتين اللامعتين خلال الدموع.

بل تذكرنا هذه الابيات بقصيدة «السفر»، وهي من قصائد بودلير ايضاً، يتشوّق  
فيها إلى وطن مجهول ويقول: إن المسافرين الحقيقيين هم اولئك الذين يذهبون لأجل  
الذهاب فحسب، قلوبهم خفيفة، يستجيبون لنداء القدر الذي يدعوهم دون أن  
يتساءلوا عن السبب ويصيحون:

هيا ولنذهب! . . . ويقول الشاعر الفرنسي: إن العالم لصغير وانه ليجري على وتيرة  
واحدة ولا يعكس إلا صورتنا كواحة من أهول في صحراء الملل والسّامة. ثم يخبّث  
قصيدته داعياً الموت، ذلك الرّبّان القديم، ليعد سفينته ويرفع قلوعه، فلئن كانت  
السماء والبحر متشحين بالسواد القاتم، إن قلوبنا، نحن المسافرين، مغمورة بأشعة  
النور البهية تترقب المجهول لتجد فيه الجديد الذي تتطلّع اليه!

وللصافي بعد ذلك ألوان شتى من الشعر، وطني واجتماعي ووصفي وغزلي. وله  
شعر خفيف يتّسم بالحلاوة والدعابة والسخرية، كقصيدته «حسنا تسوق سيارة  
حسنا»:

وحتق قرآني وانجيلها  
يجري زخاءً وفق مأمـولها  
في ساحر المقلّة مكحولها  
فيه التي ألطف من جيلها  
(موديله) حلـو كموديلها  
يختـال إذ خصّ بتفضيلها

وغانية فاقت على جيلها  
ساقـت (أو تميلاً) رقية لها  
كأنه الطيف إذا ما سرى  
ألطف ما قد صيغ من جيله  
آخر (موديل) جمال كما  
نشوان من نفحة أردانها

أضحى ملكاً بين أتربابه  
أحيتة فهي السروح حلّت به  
مَرّت كما مَرّت بنا نعمة  
تعلّق القلب بها فاغتدى  
أهوى ركوباً لي في جنبها  
متوجاً منها بإكليلها  
بلمس كفيها ومنديلها  
من عاطر الأزهار مطلوها  
يحوم كالطير لتقيلها  
أو لا فدهساً باتوميها

ومن ذلك بيتان قالهما في معرض دمشق الدولي :

ومليحة جاءت لمعرض جلق  
هي ما أتت كيما تشاهد معرضاً:  
تخفي مناظره بمنظرها الوضي  
جاءت لتعرض حسنها في المعرض

قال من قصيدة حين خصصت له الحكومة العراقية راتباً تقاعدياً شهرياً قدره مائة دينار:

ليس مالي فضة أو ذهباً،  
مالي الخير الذي أعمله،  
مالي النور الذي أرسله  
مالي السوحي الذي يلهمني،  
لم يغير خلقه سي أو سيري  
أعشق الزهد صريحاً فكرتي،  
أعشق العيش بسيطاً هادئاً،  
كم هويت الصخر لي متكأً  
مالي الفكر الذي عزّ نظيرا  
مالي السعي الذي يرضي الضميرا  
يبدل الظلمة في الأفكار نورا  
مالي الشعر الذي يحيي الشعورا  
عارض المال وإن كان وفيرا  
أعشق الكوخ ولا أهوى القصورا  
أشتهي الأرض مهاداً لا السريرا  
وافترشت الصخر لا الفرش الوثيرا

سجنه الانكليز عند دخولهم إلى لبنان سنة ١٩٤١ بعد دحرهم سلطات فيشي، فقال:

حبست وضيق الحبس بي حين زجّ بي  
فقلت: علام الحبس؟ لا أنا سارق  
ولما رأيت الذنب خدمة موطني  
إلى غرفة ظلماء محكمة السدّ  
ولا آثم عمداً ولا دوناً عمداً  
حلا السجن حتى خلته جنة الخلد

وقال في أحداث لبنان التي جرح فيها (١٩٧٥):

بين الرصاص نفذت ضمن معارك،  
وبها ثقبوب في جداري خمسة  
فبرغم أنف الموت ها أنا سالم  
وقد أخطأت جسمي وهنّ علائم

وصف أمين الريحاني الصافي في كتابه «قلب العراق» فقال إنه تنقل من كوخ إلى كوخ  
ومن بلد إلى بلد، وكان يدعى عجمياً في النجف وعريبياً في بلاد العجم. ثم راح يقيم  
بين البدو فظنّوه من الحضر، وجاء سورية فظنه أهلها من البدو. ثم قال: إنه لطير

عجيب غريب يحسن الطيران والغناء ولا يحسن سواهما . وهو . . . وليد برج النحوس ،  
فالدمامة أمه والسقم أبوه والبؤس أخوه . . . أما الروح منه فهي سليمة قوية ، بل هي  
روح جبارة في هيكل سقيم :

أسير بجسم مشبه جسم ميت      كأي إذا أمشي به حامل نعشي  
من آخر ما نظمه احمد الصافي بيتان على لسان السياسي اللبناني صائب سلام على أثر  
بلوغه السبعين (١٩٧٥) ، قال :

سني بروحي لا بعدد سنين      فلاسخرن غداً من التسعين  
عمري من السبعين يركض مسرعاً      والروح ثابتة على العشرين

### أيام الصافي الأخيرة ووفاته :

أصيب الصافي في أحداث لبنان برصاصات فنقل إلى بغداد في ١٩ شباط ١٩٧٦  
حيث عولج . وكتب إليّ جعفر الخليلي يقول إنه لم ينقطع عن زيارة الشاعر منذ أن  
جئىء به إلى بغداد ليقضي دور النقاهة بعد استخراج الرصاصة من صدره . ثم قال :  
والعجيب أنه شفي تماماً من هذه الاصابة الخطرة ثم مات بمرض الشيخوخة الذي لا  
علاج له .

وكانت وفاته في بغداد في ١٧ حزيران ١٩٧٧ .

### محمد مهدي الجواهري

شاعر العراق والعرب محمد مهدي بن عبد الحسين بن عبد عليّ بن صاحب الجواهر  
الشيخ محمد حسن المتوفى سنة ١٨٥٠ . ولد محمد مهدي في النجف يوم الأربعاء ٢٦  
تموز ١٨٩٩ ونشأ في كنف والده الذي توفي سنة ١٩١٧ . درس أمداً وجيزاً في المدرسة  
العلوية في مسقط رأسه ، ثم أخذ علوم اللغة والأدب عن محمد علي المظفر وعلي ثامر  
وحسين الحامي وغيرهم من مشايخ الغري . ونبغ في الشعر ، قرضه قبل أن يبلغ الحلم  
وبرز فيه تبرزياً ، وبدأ بنشر قصائده منذ مطلع سنة ١٩٢١ في جريدة الاستقلال  
والعراق وغيرهما من صحف بغداد . وسافر إلى إيران لأول مرة سنة ١٩٢٤ ، فرأى من  
طبيعتها الخلابه ومشاهدها الجذابة ما ساعد على تفتح مواهبه وصقل قريحته وتوسيع  
آفاقه .

وجاء إلى بغداد سنة ١٩٢٧ فعين معلماً في بعض مدارس الكاظمية ، ولم يلبث أن  
نقل موظفاً بدائرة التشريفات في البلاط الملكي . واستقال من الوظيفة بعد ثلاث  
سنوات ، فأصدر جريدة «الفرات» (ايار ١٩٣٠) . وأعيد إلى سلك التعليم في اواخر

السنة التالية، ثم أصبح رئيساً لديوان التحرير في وزارة المعارف، فمدرساً في المدارس الثانوية بالبصرة والحلة والنجف ودار المعلمين الريفية، حتى اعتزل التدريس في تموز ١٩٣٦. وقد اهتم بنشر قصيدة سياسية في جريدة «الإصلاح» البغدادية، وأحيل على القضاء فبرأت محكمة الجزاء ساحته.

وأصدر جريدة «الانقلاب» في بغداد في ١٥ تشرين الثاني (١٩٣٦) فجريدة الرأي العام (١٩٣٧) والمعرض (١٩٣٧). وأيد حركة ايار ١٩٤١، فلما انتهت بالانحياز مضى إلى إيران، ثم عاد في نفس تلك السنة واستأنف إصدار جريدته الرأي العام. وأصدر في آب ١٩٤٦ جريدة صدى الدستور. وانتخب نائباً عن كربلاء في المحل الشاغر بوفاء عبد الرزاق شمسة (تشرين الثاني ١٩٤٧)، لكن المجلس حلّ في شباط ١٩٤٨.

وسافر إلى فرنسة سنة ١٩٤٩ فنظم ملحمة الغزلية «أنيتا» التي قال في سبب نظمها: «كان حباً عارماً لا يريد، ولا يقدر له لو أراد، أن يقف عند حدّ». وأقام في مصر سنة (١٩٥٠ - ٥٢)، ولما عاد إلى بغداد حرّر في صحف منها الأوقات البغدادية والجهاد والشباب والاستقلال. واعتقل في أبي غريب في تشرين الثاني ١٩٥٢. وأصدر جريدة «الجديد» في ايار ١٩٥٣. ثم غادر العراق إلى دمشق سنة ١٩٥٦، فاتخذها سكناً وعهد إليه بتحرير جريدة «الجندي» التي تصدرها رئاسة أركان الجيش السوري.

وعاد إلى بغداد في تموز ١٩٥٧، ولم تمض سنة واحدة حتى قامت ثورة تموز، فحيّاهما بشعره وأعاد إصدار جريدته الرأي العام (تشرين الأول ١٩٥٨). وانتخب في السنة التالية رئيساً لاتحاد الأدباء ونقيباً للصحفيين. وفي سنة ١٩٦١ سافر إلى تشيكوسلوفاكية وأقام في براغ سبعة أعوام، ولم يعد إلى الوطن إلا في تشرين الأول ١٩٦٨. وأعيد انتخابه رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين عند إعادة تأليفه في كانون الثاني ١٩٧١. ثم عاود الرحلة إلى براغ ومكث فيها أمداً طويلاً. وانتقل منها إلى دمشق حيث يعيش الآن (١٩٩٤).

#### ديوان الجواهري ومؤلفاته:

أصدر الجواهري «حلبة الأدب» (١٩٢٣) وهي مجموعة أدبية، ثم طبع ديوانه سنة ١٩٢٧. وصدر الجزء الثاني من ديوان الجواهري في النجف (١٩٣٥). وطبع الديوان في ثلاثة أجزاء (١٩٤٩ - ٥٣)، ثم طبع للمرة الرابعة في الشام (١٩٥٦ - ٥٧) وللمرة الخامسة في بغداد (١٩٦١)، وثم في بيروت (١٩٦٨). وشرعت لجنة بوزارة الاعلام بطبع ديوانه الكامل، فصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٧٣، وعقبته ستة أجزاء طبع آخرها سنة ١٩٨٠.

ولمحمد مهدي الجواهري عدا ذلك: شكوى إقبال وجوابها (١٩٣٦)، وهو ترجمة

شعرية لقصيدتين للشاعر محمد إقبال، بريد الغربية (١٩٦٥) بريد العودة (١٩٦٩) أيها الأرق (١٩٧١) خلجات (١٩٧٢).

وقد قرر المكتب الدائم لاتحاد الكتّاب الأفريقيين والآسيويين في دورته الخامسة عشرة المعقودة في موسكو منح جائزة لوتس الدولية في الآداب لسنة ١٩٧٥ إلى الجواهري بالاشتراك مع كاتبين آخرين باكستاني ونيجيري.

مازال الجواهري يعيش في دمشق. وقد حضر في ١١ آذار ١٩٩١ مؤتمر الأحزاب العراقية المعارضة لحكم صدام حسين في بيروت وألقى فيه كلمة، ووضع مذكرات بعنوان «ذكريات» صدر الجزء الأول في دمشق سنة ١٩٨٨، ثم صدر الجزء الثاني.

وقد رغب في المجيء إلى لندن في آب ١٩٩١، لكنه مرّ في طريقه ببراغ ومرض فبقي فيها للمعالجة. ثم حضر إلى لندن في كانون الأول ١٩٩١ وتوفيت زوجته بها في الشهر التالي، ونقل جثمانها إلى دمشق حيث دفن. وعاد الجواهري للإقامة في دمشق.

شعره:

الجواهري عملاق الشعر العربي الحديث، عبّاسيّ الديباجة، طويل النفس، يرصّ كلماته وأشطره رصاً فتجيبه قصائده كالصرح الممرّد أو الطود الشامخ، ويكسو معانيه أثواباً مؤنقة من جزل الألفاظ. قرض الشعر يافعاً وجوّلاً في آفاقه وجلى في حلقاته وتفنّن في أغراضه من غزل ووصف واجتماعيات وسياسيات ووطنيات، وله من القصائد آيات بيتات. ولئن كان في حياته الشخصية متقلّب الأهواء، كثير النّزوات شأن العباقرة النّابغين، لقد كان شعره دائماً إنسانيّ النزعة، فوّار العاطفة، تقدّمي الأغراض. وكان الشاعر مؤمناً بجماهير الشعب، معبراً عن آمالها وآلامها.

يرثي محمد جعفر أبا التّمّن فيستهلّ رثاءه أيّما استهلال:

طالت، ولو قصرت، يد الأقدار	لرمت سواك، عظّمت من مخّار
من صفوة لوقيل: أيّ فدّهم؟	لم تعدّ شخصك أعين النظّار
لكن أرادت أن تحوز لنفسها	عين القلادة فازدردت بنّشار
وأرى المنايا بالذي تختاره	للموت عاطلة وذات سوار
فطوتك في درج الخلود فعطّرت	بك سالف الأحقّاب والآثار
واستنزلتك لغربة، ولأنت من	عليك في لجب من الأنصار
وتجاهلت أن البلاد بحاجة	لك حاجة الأعمى إلى الإبصار

ثم يصف الراحل فيقول:

بكر النعيّ فيما سمعت بمثلها	عبثاً على الأسع والأبصار
وترنّح الأحرار ينلر بعضهم	بعضاً بفقدهم أبا الأحرار

لله دَرْكٌ مَنْ نَقَسِي لَمْ يَنْبَلْ  
فِي حَيْثُ تَزْدَحِمُ الشُّرُورُ وَتُرْتَمِي  
خَاضَ السِّيَاسَةَ وَانجَلَى عَنِ جُهَا  
فِي حَيْنِ رَامَ سِوَاهُ خَوْضَ عِبَابِهَا  
وَصَلِيبَ عَمُودٍ حَيْنَ بَعْضِ مَرُونَةِ  
وَطَرِيٍّ نَفْسٍ حَيْنَ بَعْضِ صِلَابَةِ  
وَخَفِيٍّ كَيْدٍ حَيْثُ يَسْمُو كَائِدٌ،  
وَصَرِيحٍ رَأَى لَمْ يَجِدْ عَنِ خَطِّئَةِ  
حَرْبٍ عَلَى مُسْتَعْمِرٍ وَرَيْبِيهِ

أَذِيَالَهُ وَضُرَّ مِنَ الْأَوْضَارِ  
شَبَهَاتِهَا حَتَّى عَلَى الْأَخْيَارِ  
أَلْقَى الْجَبِينِ، مَكْلَأً بِالْغَارِ  
فَطَغَى عَلَيْهِ، فَضَاعَ فِي التِّيَارِ  
فِي ضَعْفِهَا خَطَرَ مِنَ الْأَخْطَارِ  
فِي عَمَقِهَا حَجَرَ مِنَ الْأَحْجَارِ  
وَمِنَ الْمَكَائِدِ جَالِبٌ لِلْعَارِ  
لِيَلْبُذَ مِنْ تَأْوِيلِهَا بِجِدَارِ  
وَمَسَالِمِ مُسْتَعْمِرٍ رَأَى وَجَارِ

ويلتفت إلى حالة البلاد التي كان الفقيه يدود عنها ويريد حريتها ورفعها فيقول :

وَمَفْرُقَيْنِ عِنَاصِرًا وَمَنَاهِبًا  
نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْغَرِيبِ وَعَرَّسُوا  
وَتَحَلَّبُوا أَوْطَارَهُمْ، فَإِذَا بِهَا  
وَاسْتَفْرَشَ الشَّعْبَ الثَّرِيَّ، وَدَرُوبِهِمْ  
ذَعَرَ الْجَنُوبَ فَقِيلَ كَيْدُ خَوَارِجٍ  
وَتَنَابَذَ الْوَسْطَ الْمَدْلُ فَلَمْ يَدْعُ  
وَدَعَا فَرِيقٌ أَنْ تَسُودَ عَدَالَتُهُ  
وَمَشَى الْمَغِيثُ عَلَى الْجِيَاعِ بِقُوتِهِمْ  
وَتَسَاءَلَ الْمُتَعَجِّبُونَ لِحَالَتِهِ  
هِيَ لِلصَّحَابَةِ مِنْ بَنِي الْأَنْصَارِ  
لِلْحَاكِمِينَ بِأَمْرِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ  
مِنْ كَلِّ غَازٍ شَامِخٍ فِي صَدْرِهِ  
هِيَ لِلَّذِينَ لَوْ امْتَحَنَتْ بِإِلَاءِهِمْ  
هِيَ لِلَّذِي مِنْ كُلِّ مَا يَصُمُّ الْفَتَى

مَتَكْفَلِينَ سِيَاسَةَ اسْتِعْمَارِ  
فِي ظَلِّ مَأْنَمَةٍ لَهُ وَفَجَارِ  
وَشَلَّ لَمَّا اسْتَحَلَّ مِنَ الْأَوْطَارِ  
مَفْرُوشَةَ بِنَشَارَةِ الْأَزْهَارِ  
وَشَكَا الشَّمَالَ فَقِيلَ صَنَعَ جَوَارِ  
بَعْضٌ لِبَعْضٍ ظَنَّةً لِفَخَارِ  
فَرُتُّمُوا بِكُلِّ شَنِيعَةٍ وَشَنَارِ  
وَعَلَى الْعَمْرَةِ بِجِحْفَلِ جَرَّارِ  
نَكَرَاءً: مَنْ هُمْ أَهْلُ هَذَا الدَّارِ؟  
مِنْ كُلِّ بَدْرِيٍّ وَكُلِّ حَوَارِيٍّ  
وَلِصْفِوَةِ الْأَسْبَاطِ وَالْأَصْهَارِ  
زَاهِيِ الْوَسَامِ، مَدْقُخِ الْأَقْطَارِ  
لَعَجِبْتَ مِنْ سَخْرِيَةِ الْأَقْدَارِ  
كَاسِرِ، وَمَنْ جَهْدَ يَشْرَفُ عَارِ

ويحيى الجواهري ثورة تموز بقصيدة عصماء يقول منها :

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ نَقْلُكْهُ تَشْكِيًّا  
كُنَّا نَقُولُ لَهُمْ: حَذَارُ مِنْ لَطْفِ  
وَمِنَ الصَّدُورِ الْحَابِسَاتِ زَيْبَرَهَا

فِيهَا مَضَى بِالْمَصْرَحَاتِ وَبِالْكِنَى  
إِمَّا اعْتَلَّتْ وَمِنَ اللَّهَيْبِ إِذَا دَنَا  
وَمِنَ النُّفُوسِ الْكَاطِمَاتِ تَحِينَا



ومن السجون الداجيات، فإنها  
ومن السياط، فإنَّ حرَّ نسيدها  
ستحول سلسلة السجين وقيده  
كنّا نحدّثهم ونضرب راعيآ  
ما أقبح الدنيا إذا ضلَّ الصوى

كانت وما زالت لباغ مدفنا  
بنهاية الجلاّد كانت ملحنا  
من معدنٍ بخس لأنمن معدنا  
مثلاً لهم وقطيعه مثلاً لنا  
راعٍ بثلثته وما أدنى الدنى.

إنَّ شعر الجواهري الشائر المتأجج، المنافع عن الشعب المظلوم، النازل على ظهر  
الحاكم الظالم كالسوط اللاهب، ليشبه شعر فكتور هوغو في دفاعه عن الحرية وتنديده  
بالطغيان والطّغاة. أجل، إنه ليشبه فكتور هوغو خطيب الجماهير في ثورة ١٨٤٨،  
وصاحب «نابليون الصغير» و«العقوبات»، والمبعد إلى جزيرة بحر المانش «تلك الصخرة  
التي حطم عليها جناحه». وسيبقى شعر الجواهري أبداً سجلاً حافلاً للجهاد العربي  
وتحفز الشعب وظمأه إلى الحرية والكرامة.

## الرصافي والجواهري

تلاقى الشاعران الرصافي والجواهري على صعيد الفكر فتناجيا وبث كل منهما  
لاعجته وشكواه. قال الرصافي:

أقول لربّ الشعر مهدي الجواهر  
فترسلها غرّاً هواتف بالعل  
وتشدد بها، والقوم صم عن العلي  
أترجو من الحساد عوناً وناصراً  
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم

الى كم تناعي بالقوافي السواحر  
يزوّد منها سمعه كل شاعر  
فلم تلق إلا غير واع وذاكـــــــر؟  
فتدعوّ منهم خاذلاً غير ناصراً؟  
فهل أنت مغرور ببيض المسافر؟

ثم ناغاه الجواهري فهزّ - كما قال - الأسد الرابض الضائق ذرعاً بعريته، المنطوي  
على نفسه ألماً وغضباً وكبرياء، فزار الأسد الرصافي وقال في معرض الجواب:

بكّ الشعرُ لا بي أصبح اليوم زاهرا  
فأنت الذي ألتقت مقاليد أمرها  
بلغت من الإيــــداع أرفع ذورة  
إذا شيء ظلم قمت للظلم رادعاً

وقد كنتُ قبل اليوم مثلك شاعرا  
إليه القوافي شرّداً ونوافرا  
هوى النجم عنها صاغراً متقاصرا  
وإن شيء حقّ قمت للحق ناصرا

تذكرنا هذه المطارحة الشعرية بين معروف الرصافي والجواهري المراسلة الشعرية التي  
جرت في أواخر القرن الماضي بين الشاعر المنفي الشيخ محمود سامي البارودي والشاعر  
اللبناني الشاب شكيب ارسلان، وقد نشرتها مجلة الزهور المصرية في مختاراتها.

وللجواهري صرخات ثورية مدوّية، أليس هو القائل :

يتبجّحون بأن موجاً طاغياً      سدّوا عليه منافذاً ومساربا  
كذبوا، فملء فم الزمان قصائدي      أبداً تجوب مشارقاً ومغاربها  
تستلّ من أظفارهم، وتحطّ من      أقدارهم، وتثل مجدداً كاذبها  
أنا حتفهم، ألج البيوت عليهم      أغري الوليد بشتهم والحاجبا

ومن موشحات الجواهري التي نظمها في عهد شبابه «وشاح من ورد» قال فيها :

روح الصبا تسري      بالبعث والنشر      على البطّاح  
ويانع الزهر      يلتفتّ بالنهر      مثل الشواح

الروض مزدان

تكسوه ألوان      من الربيع

\*\*\*

والنبت فينان

روح وريحان      صنع البديع

والرند والبان

صاِدِ وريّان      زاهي الفروع

والشمس في سكر      من رشفة الخمر      من الإقحاح  
تسري ولا تسري      بالنهي والأمر      بسلاجماح

وسيمة الفجر

يفترّ عن دَرّ      من السقيط

\*\*\*

وكائن النسر

يلوذ بالوكر      نخوف السقوط

والبدر في الأسر

يغزل للفجر      بيض الخيوط

والصباح إذ يسري      بطالع البشر      على النواحي  
وريق القطر      يحرك للزهر      ثوب ارتياح

والكأس ملآن

والشهب نُدْمان      بعض لبعض  
والكل فرسان  
والروض ميدان      للقطف والعص  
والصدغ بستان  
والحظّ وسنان      كالترجس الغصّ

والشعر كالشعر      في اللفّ والنشر      فيه افتضاحي  
والخذّ كالبدر      كالشمس في الظهر      في الأفق ضاحي

### ناجي القشطيني

تنسب الأسرة الى قشطين من أعمال حلب ، وهي أسرة طائية امتهن أفرادها التجارة ونزحت الى بغداد بعد فتح السلطان مراد الرابع . وقد عرف منها محمود القشطيني رئيس بلدية الكرخ المتوفى في ١٩ كانون الثاني ١٩١٥ ، وهو عمّ الشاعر المرابي محمد ناجي القشطيني .

ولد محمد ناجي بن عبد الوهاب بن عبد الحميد بن أحمد في كربلاء سنة ١٨٩٦ ، وكان أبوه زراعاً قبل الوظيفة على ممرض لحسائر حاقت به ، فعمل في كربلاء أربع سنوات ، ثم عاد الى الزراعة وتوفي سنة ١٩١٣ . وجيء بناجي طفلاً الى بغداد ، فلما كبر أخذ يدرس على خاله عباس حلمي القصاب وغيره من العلماء . وعين القصاب مدرساً للمدرسة الدينية في سامراء ، فلحق به الفتى ناجي وقضى في تلك المدينة سبعة أعوام يتلقّى العلم في مدرستها .

قرض ناجي القشطيني الشعر في صباه ، وكان من أوائل نظمته رثاؤه لوالده الذي أدمت وفاته قلبه الغصّ فقال :

لم أدرِ مصرعٍ والـمـدي أم مصرعي      هو لا يعي ، وأنا كذلك لا أعي  
وصحوت أسأل من رأيت ، فلم أجد      أحداً يجيب سوى غزير الأدمع

ثم رثى عمه الذي تعهده برعايته وحنانه فقال :

موت عمي أمات منّي اللسانا      فاعذروني إذا فقدت البيانا  
كان لي حجّة وكان إماماً      أتلقى منه الهدى والأمانا  
كان لي جُنّة وكان حساماً      أتحدّى به العدى والزّمانا

وكان شبابه عهد جدّ ودرس وصرامة ، فلا عجب أن ذكره قائلاً :

شيئان مَرَّابِي كَلِمَحِ الْبَصْرِ      عَهْدُ شِبَابِي وَجَمَالِ الصُّوْرِ  
أَمَّا شِبَابِي فَهُوَ مَا يُؤَسِّفُنِي      مَضَى وَمَا خَلَّفَ غَيْرَ الْعَبْرِ  
واحتل الإنكليز بغداد ففتحوا في حزيران ١٩١٧ دورة لتدريب المعلمين انضمَّ إليها  
الشاعر فيمن انضمَّ من الشباب الناهض . ولما تخرج فيها عيّن معلماً فمديراً للمدرسة  
البارودية (أول نيسان ١٩١٨) . وقد حيّا عهد العلم والعرفان فقال :  
إن المعارف قد لاحت بشائرها      متى بنهضة أوطاني تبشّرني؟  
هي التي ضاءت الدنيا بطلعتها :      لولا المعارف هذا النور لم يكن  
ثم عيّن بعد ذلك مديراً لمدرسة الكرخ فالكاظمية (أيلول ١٩٢٣) ثم عيّن مدرساً  
العربية في المدرسة الثانوية المركزية (١٩٢٤) ، وانتمى في السنة نفسها الى دار المعلمين  
العالية التي افتتحت آنذاك وكانت الدراسة فيها مسائية استمرت سنتين . وعيّن مديراً  
لجريدة الوقائع العراقية الرسمية (آب ١٩٢٦) ثم عمل مدرساً أعواماً طويلة حتى عيّن  
مديراً للمدرسة الشرقية المتوسطة (آب ١٩٣٦) . ونقل في آذار ١٩٣٨ الى مديرية  
الدعاية العامة مميزاً للمطبوعات الداخلية ثم أعيد مديراً للمدرسة المتوسطة المسائية  
(آذار ١٩٣٩) فمميزاً للمطبوعات العربية (آب ١٩٤١) . وأعيد إلى سلك التدريس في  
تشرين الأول ١٩٤٦ ، ثم عيّن مفتشاً إختصاصياً بوزارة المعارف (آذار ١٩٥٣) حتى  
اعتزل الخدمة سنة ١٩٥٩ . وتوفي ببغداد في ١٥ كانون الأول ١٩٧٢ .

شعره :

نشر ناجي القشطيني «الللهفات» ديوان شعر ونثر (١٩٦٨) ، «ومن عيون الشعر»  
(١٩٦٨) ، وهي مختاراته لشعراء العربية ، ونفثات الأخرس (١٩٦٩) .

وشعره وطني النزعة ، إسلامي الطابع ، يكاد يقتصر على المواضيع القومية والدينية ،  
وليس له شعر وجدائي يذكر . ولئن كان القشطيني المرّي قد أنشأ أجيالاً من الشباب  
المثقف الواعي ، لقد شارك القشطيني الشاعر في المناسبات الوطنية والاجتماعية خلال  
نصف قرن ، فأنشده قصائده في ميلاد الرسول الأعظم ، وارتفع صوته في عيد الثورة  
العربية وتكريم جميل صدقي الزهاوي والشعالي التونسي وطلعت حرب ورثاء محمود  
شكري الألوسي والمنفلوطي وشوقي والزهاوي وفهمي المدرس ويوسف السويدي وعبد  
المحسن السعدون وغيرهم من رجال الأدب والزعامة والسياسة .

إن القشطيني غيور على دينه وأمته ، فلنستمع إليه يقول :

ربّ ، هب لي من فنون الأدب      حكمة الشعر وسحر الخطب  
ربّ ، هب لي رشاداً وحجى      ربّ ، أيديني بأيّات النبي  
لأننا جبي أمتي فيها أرى      وأريها مـا وراء الحجب

أو يقول :

كالصبح يسطع لا يخفى على أحد  
تلتذ في ذكره المعسول كالشَّهَد  
للحق غير أبي الزهراء لم تجد  
أثنى عليها كتاب الواحد الصمد  
ولم يَـلْذُرْ كُنْهُ معناه على تحلُّد  
وأنعم نفست عن كل مضطهد  
ويسجدون لها في زيِّ معتقِد  
والله حاشاه لم يولد ولم يلد

الحق أبلج وضاح إلى الأبد  
فقل عن الحق ما تهوى ، فأنفسنا  
وإن ترد مثلاً أعلى لتضربه  
طه ، ومن مثل طه في خلائقه ،  
سرّ من الله لم تعرف حقيقته  
قد جاءنا بنظام كله حكم  
كانوا يطوفون بالأصنام جامدة  
يدعون لله أبناءً تشاركه ،

وهو وطني صلب ، ثابت المبدأ ، يقول :  
لا السجن يُكِيننا ولا التبعية  
سنظّل نهزأ بالخطوب تجلّداً  
وإذا تناوشت الحراب صدورنا  
إننا نخالفنا على نيل المنى  
الصبر شيمتنا وليس يهمننا  
والقييد مهما أحكمت حلقاته

كلّاً ، ولا الإرهاب والتهديد  
مهما استمرّ الضغط والتشديد  
هتفت إليها في الصدور كبود  
وتسجّلت منّا بذلك عهد  
إن قال فينا ما يشاء حسود  
كسرتهم منّا أذرع وزنود

ويكبر عزم الشباب وقوة الشعب فيقول :

وهل تمنع البركان يوماً موانع ؟  
وفتحّص فيما يدّعيه المخادع  
تناضل عن غاياتها وتدافع  
كما اجتمعت حول النقود الأصابع  
وهل سترت شمس النهار البراقع ؟  
لقد كذبت فالشعب ما فيه طائع . . .  
رأها وفي أنيابها السّم ناقع  
لسرّ على رغم التكتّم شوائع  
يقدمها من جلده وهو جائع  
وبتّ به ما حرّمته الشرائع  
وبارت تجارات وماتت مزارع . . .

هو الشعب كالبركان يقذف ناره  
لقد كان مخدوعاً فثاب لرشده  
فلم يـرَ إلاّ زمرة أشعيية  
قد اجتمعت لما صفا الجوّ ضحوّة  
تحاول ستر الحق في بسرقع الهوى  
وتزعم أن الشعب طوع بنائنا ،  
ألا قل لمن يبغى الخيانة بعد ما  
تكتّم وحاذر ما استطعت ، فإنه  
لقد أنهكت ظهر العراق ضرائب  
أناخ عليه الأجنبيّ بجيشه  
فهانت كرامات وضاعت فضائل ،

وقد هزّته نكبة حزيران سنة ١٩٦٧ فأطلقها لهفة أخيرة من نفس ذاهلة كسيرة ،

وقال :

أبكي أم تعدّد أم تنوح ،  
ولو أنشدت قومك ألف بيت  
لماذا تستغيث ولا مغيث ،  
وليس لنا إذا رمنا حياة  
سوى صبر يؤزره جهاد  
وكم سفكّت لأمتنا دماء

من شعر ناجي القشطيني :

أمن مصائب عصر النور، يا قلم،  
وهل هيامك فوق الطرس من ألم  
صدي أنينك أشجاني وأزقني  
إني عهدتك لا تخشى الخطوب ولم

وقال أيضاً :

خطر التّسيم الغضّ يحمل نفحة  
والشمس صاغت بالشعاع سبائكاً  
وجرى لجين الماء فيه فحلّيت  
مسكية فيها ارتياح الخاطر  
يجلو النّضار بها جميل مناظر  
أشجاره بمعاضد وأساور

## عبد العزيز الجواهري

شاعر عراقي عاش في إيران ، لكنّ روحه بقيت متّصلة بوطنه العراق ومسقط رأسه النجف ، وهو الأخ الأكبر لمحمد مهدي الجواهري : عبد العزيز بن عبد الحسين بن عبد عليّ المولود بالنجف في ٣٠ أيلول سنة ١٨٩٠ .

وقد أرّخ مولده الشاعر جعفر الحلي فقال :

بشراكم هذا غلام لكم      مثل الذي بشر فيه العزير  
سمعاً ، أباه ، إنّ تاريخه      أعقت ، يا بشراك ، عبد العزير

درس عبد العزيز الجواهري في معاهد بلده وحصل العلوم العربية والدينية على عادة أهل زمانه ، حتى إذا ما بلغ مبلغ الشباب اتصل بالحركة الفكرية الجديدة التي هبّت أنسامها على البلد المنعزل وراء الصحراء . لقد أعلن الدستور في إيران وعقبه

إعلان الدستور في السلطنة العثمانية، وصدرت الصحف في بغداد بعد أن أطلقت حرية النشر والتعبير، ووردت الجرائد والمجلات من مصر وسورية ولبنان تحمل الأفكار الجديدة والشعر المحفّز للهمم، المفصح عن يقظة دينية ووطنية بعد سبات القرون الطويل.

وسار فتانا في ركاب النهضة الى جانب محمد رضا الشيبلي وعلي الشريقي وأضرابهما، وأخذ ينظم في المطالب العصريّة ويخلع عنه رداء الجمود والانغلاق الذهني. وقد نشر قصائده في المجلات العربية الكبرى كالعرفان والمقتطف، وتولّى طبع ديوان محمد سعيد الحبوبي في بيروت سنة ١٩١٣.

ثم غادر العراق بعد الحرب العظمى الأولى واتخذ مقامه في طهران. وقد ترجم مقدّمة ابن خلدون الى اللغة الفارسية، ووضع دائرة معارف إسلامية في عشرة مجلدات، وصنّف تأليف أخرى منها: النهاية في الشرح والتحرير للكفاية (في ثلاثة أجزاء) آثار الشيعة الإمامية (في عشرين مجلداً طبع منه الثالث بالفارسية والرابع بالعربية) المكتبات الإيرانية (بالفارسية ١٩٣٣)، جواهر الآثار في ترجمة مثنوي جلال الدين الرومي شعراً (١٩٥٨) الخ.

تفتّح ذهن عبد العزيز الجواهري الشاب للحياة العاملة العاملة فخاطب الشباب قائلاً:

تطلّب في شبابك للصّعاب  
وسلّ حسام عزمك للمعالي  
ودع طلب الهوان لمبتغيه  
وكرّر لو خطوات الجدّ يوماً  
فما عمّر الفتى غير الشباب  
فإن السيف يصدأ بالقراب  
فإن المجد أجدر بالطّلاب  
فكم خطأ يؤول الى الصواب

وأمن بالشعر الحيّ الذي لا يموت فقال:

خليّتي، ما معنى الشعور؟ فإنني  
أرى الكون في لوح الوجود قصيدة  
هو الشعر باقٍ ليس تفنى حياته  
تصوّره روح الخيال، فلو بدا  
وتنشر أسفار الطبيعة شعرها  
هل النجم إلا روضة نرجسية  
فدئى لدموع العاشقين فإنها  
أرى كلّ شيء شاعراً مترنماً  
تخطّ عليها الخلق شعراً منظماً  
نقيم احتفالاً أو نشيداً مأمّناً  
إذن لراه الطرف شخصاً مجسّماً  
رموزاً فيمليها الهزار مترجماً  
أرى البدر فيها شاعراً متبسّماً  
قصيدة شعر بينها الحبّ نظماً

عرائس حبّ إن تجلّت بدورها      لدى الصبّ ليلاً زفّها الوجد أنجما  
تقبّل خدّ الجلنّارة وجنّة      وتلثم ثغور الأفعوانة مَبَسِّمًا

ويمضي الشاعر في اقتفاء خطي الشعر، فيسمعه في الروض الذي تداعبه أضواء  
البدر ونسيج الليل فوقه وشياً منمنماً، حتى يقول:

تقرّيت أسفار الخلائق في الثرى      وفتشت أسرار العوالم في السّما  
فلم أرَ إلا روضة أو فخرودة      ولم أَلَفْ إلا شعاعاً أو متيّماً  
ألا كل صوت طارق صوت شاعر      وسيّان فينا من بكى أو ترّنا

وليس من ريب أن هذا الصوت يعيد إلى أذهاننا صوت معروف الرصافي الذي قال:  
قرأت، وما غير الطبيعة من سفر،      صحائف تحوي كلّ فنّ من الشعر  
وخلع السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٩٠٩، فكان لخلعه صدى كبير دوى في  
جوانب الدولة العثمانية المترامية الأطراف من مصر إلى العراق. قال شوقي:

سَلَّ يَلْدِزًا ذات القصور      هل جاءها نبأ البدر؟  
ورّد عليه وليّ الدين يكن قائلاً:

هاجتك خالية القصور      وشجتك آفلة البدر  
وذكرت سكّان الحمى      ونسيت سكّان القبور  
أما صاحبنا عبد العزيز الجواهري فبدّل الوزن واحتفظ بالرويّ، وخاطب السلطان  
السّجين قائلاً:

بعيشك كم تحنّ إلى السّريـر      وكم ترنو بطرفك للقصور  
هـلالياً أراك نحلت جسماً      أما تشفيك آفلة البدر؟  
طواك الرعب قبل الموت ميّتاً      وأحيتك المنى قبل النشور  
أهانتك القصور وكنت ملكاً      تهيبّ منه سكّان القبور  
قرّيت الوحش من جثث البرايا      ورؤيت السّرى بدم النحور  
بكت منك الثغور دمماً مراقاً      وتضحك عند باسمّة الثغور  
فأقسم أن عود السّدست لو لم      يكن من حـرّ بأسك في سعيـر  
لأثمر في رؤوس الجنود روضاً      وأزهر من دماها في غديـر

لقد سقط السلطان المخيف وتألّب عليه الشعراء والأدباء يشيعونه بسخطهم  
ولعناتهم.

وأين صاحبنا الجواهري الذي ودّع عبد الحميد بتلك القصيدة، أين منه هو نفسه  
قبل أعوام قليلة حين مدح خليفة الإسلام قائلاً:



عُلِيَ بطـريف مجدك والتليـد  
وفخـراً في عـلاك فقـد تحلّى  
وليس وراء مجدك من مـزيد  
بفيض نـداك عاطل كـلّ جيد

ومن شعر عبد العزيز الجواهري في رثاء الشيخ محمد كاظم الخراساني :

بكاك الحيا دمعاً كما بكت الورى  
تخيّر عقلي كيف أرثيك واصفـاً،  
لئن كنت نوراً في حشا الكون مظهراً  
فهذه المرثية قديمة الطراز فيها المعاني المتصيّدة والمبالغة المتعمّدة . لكنّ شاعرنا حين يفقد أخاه يثيره الوجد ويرهفه الحزن والأسى ، فيبثّ صبايته تهمّ النفوس وتكوي الضلوع :

بـزغ الـهلال ، فأين عهد وفائه  
أيرى أخاه مغيباً تحت الثرى  
إني خضبت أناملني بمدامعي  
وعكفت حول أزاهـر من قبره  
نذر عليّ لئن زهـا ريجانه  
يا لهف أيـار تفرّط ورده  
أهلـال عيـدي ، أين غيـبك الثرى  
أغتته عن جدد الحلـى أكفـانه  
وتركت قلبي حول قبرك حائماً  
إن شـع لي قبس الحياة فلئنـه  
أخيّ ، يا قوسـي ونبل كـنانتـي  
أبقيت قلبي للزـمان دريئة

أن لا يخون بـودّه وإخـائه؟  
قـمـراً ويشرق زاهـراً بسـمائه؟  
وطلبت طـوق الحزن في ورقـائه  
نبتت تسبّح في ضريح ثـوائه  
لأرؤيـن السـورد في أنـدائه  
بيد المنون وجفّ قبل نهائه . . .  
فحـرمتني من بـشـره وهنـائه  
وكفاه صبغ الـدمع عن حنـائه  
شبه الفراش يحوم حول ضيائه  
هب السـراج يـلـوح في أطفـائه  
ومـديـر جيـشي بل أمير لـوائه  
ونصبتني غـرضاً إلى أبـنائه . . .

وفي هذه القصيدة الحزينة صور متعاقبة رسمت هول الفاجعة في ذهن الشاعر الذي سلبه الموت شقيقه الحبيب : فلقد بزغ هلال العيد ، فالقمر يتألق في العلاء لكنّ أخاه مغيب في أطباق الثرى . ثم هذه الخميّة الزاهية في فصل الربيع ، تفتّح زهرها وجري ماؤها وصدح عندليبها ، لكن زهرة الشاعر قد صوّحتها يد الردى قبل الأوان ، وبلبله رقد في قفص التراب . ولقد حامت نفس الشاعر حول القبر كالفراشة التي يجتذبها النور، وهيئات ، وهيئات ، فقد خبا ذلك النور ولم يكد يشرق .

وكان الشاعر يأمل في أخيه نصراً ومعونة ، فإذا هو قد بات طريدة الزمان ونهب المصائب واللواعج ، كالفارس الذي أضاع قوسه وكنانته وكالجيش الذي فقد قائده

وأمره . ويختتم الشاعر المفجوع مرثيته راجياً أن يحظى بلقاء أخيه في المنام وسائلاً رضوان أن يحفظه في فردوسه الخالد .

إن الشاعر قد فكّر في الحياة فلم ير سوى نار تضطرم ثم تحمد ، فقال :  
أرى عمر الحياة شواظ نار من الأجسام تكمن في زناد  
وما ليل الشباب سوى دخان وما صبح المشيب سوى رماد  
ذكر عبد العزيز الجواهري ، فيمن ذكره ، الشيخ علي الشرفي فقال إن عبد العزيز  
الأرغني الذي يجسّ بتوقيعه العواطف ولا يغني في الغالب إلا على رحيق الوطنيات . . .  
وقد توفي عبد العزيز الجواهري في طهران سنة ١٩٧٦ .

### محمد الهاشمي

الشاعر الأديب القاضي محمد الهاشمي ، ولد في بغداد سنة ١٨٩٨ وأبوه يحيى بن عبد القادر ينتهي نسبه الى الشيخ علاء الدين الحموي الفقيه الشافعي المتصوّف ، صاحب المزار في حماه ، المتوفى سنة ٩٣٦ هـ = ١٥٣٠ م . وقد انتقلت الأسرة الى هيت ثم استوطنت جانب الكرخ من بغداد ، وعرفت بآل مطر . وللمترجم ثلاثة أشقاء عرفوا بالأدب ، أكبرهم عبد المجيد عمل في القضاء والتدريس وتوفي سنة ١٩٤٦ ، وثانيهم عبد الرزاق (١٨٨٣ - ١٩٦٤) وكان شاعراً وقاضياً وعضواً بمجلس التمييز الشرعي (١٩٤١ - ٤٦) . وثالثهم الشاعر محمد رشيد (١٨٩٦ - ١٩٤٣) ، وقد كانت حياته مأساة من المآسي .

توفي والده وشاعرنا محمد الهاشمي لا يزال في السابعة من عمره فتعهده أخوه عبد المجيد برعايته وأشرف على تدريسه . ثم دخل المدرسة الرشدية (١٩٠٨) فالمدرسة السلطانية (١٩١٢) ولازم محمود شكري الألوسي فأفاد منه . ونظم الشعر صبيّاً ، فاستدعته السلطات التركية وحاكمته عن قصيدة نشرها في جريدة «الرياض» لصاحبها سليمان الدخيل ، ومطلعها :

يا قيصر الروس ، شلّ الله عرشك هل علمت منقلب الظلام إذ ظلموا؟  
وقصيدة أخرى ينتصر فيها للغة العربية قال فيها :

تركوك ، يا لغة النبي ، وآثروا في المسلمين سياسة التتريك  
وحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر . واستطاع أن يسافر الى القاهرة قبل تنفيذ الحكم ، وكان ذلك في أواخر ١٩١٣ .

وانتمى الى الجامع الأزهر فنال شهادته الأهلية (١٩١٧) . وعاد الى مصر بعد زيارة للحجاز فالتحق بالجامعة المصرية ، وقضى فيها سنتين . ثم مضى إلى دمشق ومكث فيها الى سنة ١٩٢٠ حين عاد الى مسقط رأسه بغداد .

وقد أحبّ مصر التي أقام فيها عهداً من شبابه كما أحب وطنه العراق فقال مودعاً:  
 أن يوم من الرحيل قريب      فيه يدمى قلب وتبكي عيون  
 ما بقاء الغريب في البلد      النازح إلا صبابة وحنين  
 كيف بالنيل إن ذهب إلى دجلة؟      إني بالسواديين ضنين  
 قد تحيّرت بين هذا وهذا      وانتحتني قبل الرحيل شجون  
 فتمتع قبل الفسراق ففي مصر      زمـان غصّ وعيش ثمين  
 وظف في وزارة الدفاع كاتباً ثم نقل إلى الديوان الملكي ودرّس بعد ذلك في المدرسة  
 الثانوية . ودخل مدرسة الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩٢٥ . وأصدر في الوقت نفسه  
 مجلّة اليقين (نيسان ١٩٢٢ - ١٩٢٥)، وكانت من المجلات الأدبية الراقية في عهدها .

وعين حاكماً في المحاكم العراقية (٢٦ أيار ١٩٢٧) فخدم في القضاء أكثر من ثلث  
 قرن وتنقل بحكم منصبه في معظم أنحاء العراق . وكان أول تعيينه حاكماً للصلح في أبي  
 الخصيب (أيار ١٩٢٧) فحاكم بداءة البصرة (حزيران ١٩٢٨) فحاكم صلح قلعة  
 صالح (ت ٢، ١٩٢٨) فالفلوجة (أيلول ١٩٣١) فدلثاوة (أيار ١٩٣٣) فالشطرة (آب  
 ١٩٣٥) . ونقل حاكماً في محكمة بداءة بغداد (ك ٢ ١٩٣٦) فكركوك (آذار ١٩٣٧)  
 فحاكم كربلاء المنفرد (١٩٣٧) فحاكم جزاء النقلات ( ) فحاكم جزاء بغداد (آذار  
 ١٩٣٩) . ونقل حاكماً في محكمة بداءة بعقوبا (نيسان ١٩٤٠) فحاكم جزاء بغداد  
 (١٩٤٢) فحاكم صلح تكريت ( ) فحاكماً منفرداً للكوت (تموز ١٩٤٣)  
 فحاكم بداءة الناصرية ( ) فبغداد (تموز ١٩٤٦) فحاكم محكمة استئناف  
 تسوية حقوق الأراضي في بغداد (آذار ١٩٤٧) فعضو المحكمة الكبرى فيها (آذار  
 ١٩٤٨) . ونقل مفتشاً عدلياً (ك ١، ١٩٤٨) فنائب رئيس محكمة استئناف البصرة  
 (ك ٢، ١٩٤٩) فرئيس المنطقة العدلية في بعقوبا (نيسان ١٩٤٩) فحاكم بداءة  
 الرمادي (أيلول ١٩٥٠) فالعمارة (آب ١٩٥٢) . وأصبح عضواً في مجلس التمييز  
 الشرعي السنّي (أيلول ١٩٥٣) فرئيساً له (٣ كانون الثاني ١٩٥٦)، وانتدب للعمل في  
 محكمة التمييز العراقية (أيلول ١٩٦٠) . وقد أحيل على التقاعد فاعتزل الخدمة في أول  
 تموز ١٩٦١ .

وقد أصيب محمد الهاشمي بداء عضال ألزمه داره بضع سنوات ، حتى وافاه الأجل  
 في بغداد في ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

### مؤلفاته

له : عبرات الغريب وقد تضمن شعره إلى سنة ١٩١٨ وطبع في الشام (١٩٢٠) أبو  
 العلاء المعرّي (١٩٤٤) الأبطال الثلاثة (١٩٣٣)، النعت (١٩٤٧) سميراميس بين  
 الحقيقة والأسطورة (١٩٥٩) ديوان المثاني (١٩٦٢) القضاء بين يديك (١٩٥٧) . وقد  
 نظم رباعيات الخيام شعراً ونشر ديوان عبد الله بن الدمينية مشروحاً مع السيد محي الدين

رضا في أثناء إقامته في مصر (١٩١٨) وجمع «أراجيز العرب» وهي تضم مئات الأراجيز التي عثر عليها في مصر وسورية والعراق . وله عدا ذلك ديوان شعر كبير معدّ للطبع ومقالات نشرت في مجلة المقتطف واليقين وسواهما من المجلات والصحف العربية . وقد نظم ملاحم وقصصاً شعرية منها : سميراميس الأنف ذكرها ، بلقيس ، إعرافات مقامر ، الفتاة المخدوعة ، في الوفاء وفي الغدر ، قصة الإمام عليّ النخ .

شعره :

ذاق محمد الهاشمي مرارة اليتيم طفلاً وخبر آلام البؤس والفاقة والغربة شاباً ، فلا عجب أن جاء شعره حزينا ناطقاً بالشجو والألم .

فهذه قصيدته «اليتيم الباكي» تعرب عن حاله وتفصح عن ذات نفسه لا زيف فيها ولا إغراب :

روايات عن الخطب الفجيع؟	إلى كم أنت تكتب بالدموع
ألم تره يدق من الدموع	على قلبي دموعك نازلات
أحرّ من الصهير على الضلوع	كأن وقوعها حجرات نار
بها لليتم آثار الخشوع	دموع قد أفاضتها عيون
يطاوعني على الألم الوجيع	إذا أجهشت أجهش لي فؤاد
أبي الطبع للزمن الفظيع	أرق من النسيم هوى وعطفاً
ويقتسم الشجون على الجميع	يؤاسي كل ذي حزن بحزن
من الآلام أذن بالخضوع	ولو حملته قسطاً ثقيلاً
إذن لشفيت بالدمع المموج . . .	ولو تشفي الدموع غليل قلب
على البؤساء من طرف خشوع	سألقي نظرة ملئت حناناً
ونحن نعيش في بؤس وجوع	يعيش الأغنياء على رخاء
عيون البائسين بلا هجوع	تنام عيونهم بالليل ، لكن
وخلّوهم الى الزمن المنوع	نسوا البؤساء في الدنيا جيعاً
عليه علامة الصنع البديع	لكل من بنهم ألف ثوب
وفي غرف من القصر السرفيع	أناموهم على بيض الحشايا
كأفراخ الحمام على الجدوع	وأطفال على الأوساخ ناموا
ولا التحفوا سوى الثوب اللذوع	وليس لهم سوى الدقعاء فرش
ويطوون الليالي بالدموع	يقضون النهار طوى وجوعاً
تعلل نفس ذي البؤس الجزوع	أحاديث الشقاء لهم عزاء
بليته هزيعاً في هزيع	ويضرب منهم ذو السقم عيياً
يراه الأغنياء بلا شفيح	رأيت اليتيم ذنباً لليتامى

وقال منها :

مضى أهلي وعرضني زماني  
يتيم ليس يعرفني قريب  
أبي، أمي! عـلامـ تـركتـاني  
أجيباً دعوتي، أنا مستغيث  
لقد هما بيوم نوى قدوف  
تذكر أمه وأباه يوماً  
له قلب وليس له لسان  
مضى أبواه قد تركاه طفلاً

وقصيدته «الفتاة المخدوعة» صرخة مدوية من صرخات الألم والفجعة تروي قصة فتاة أوقعتها أمها بين برائن وحش مفترس وعدّها بالزواج لكنه نصب لها فخاً وألقى بها في مهاوي الرذيلة، فابتليت بالسل وقضت نجبتها شهيدة الفضيلة والعفاف .

وهو يردّد أنغام الحزن والأسى حتى في الحب، فيقول في موشّحه «آلام الحياة» :

ثمّ في الصحراء، في القفر الجديب  
أخذت منه شمال وجنوب  
كان من قبل محباً مغرماً  
فلماذا لا يمرى مبتسماً  
أي قلب للمحبّ المبتلى  
ذاهل عن كل شيء ما خلا  
يا غريباً ضاع في أوطانه  
نغمًا يكشف عن أحزانه  
فوق غصن شائك غير رطيب  
يتهاكى بلبل الوادي الغريب  
علمته الحبّ أملاك السما  
بعد إلا بسات بقطوب؟  
ضبيح الماضي والمستقبلا  
نزعته من ذلك الحبّ الكئيب  
يملاً الصحراء من ألحانه  
كلّنا مثلك مهجور قريب

إسأل الأسحار عن أحلامنا      واسأل الظلماء عن آلامنا  
 قد نفثنا السم من أفلامنا      هو سم لا يداويه طيب . . .  
 أه على هذه الدنيا المليئة بالأحزان والكروب ! إن المرء ليصرخ وليبكي ويستغيث ،  
 ولكن الصراخ والدموع كلها عقيمة فلا سامع ولا مجيب :  
 هي دنيا كل ما فيها شجون      فاغض عن كل مساويها الجفون  
 إنما سخطك فيها كالجنون      والتغابي سلوة الصب الأريب  
 ناد أفلاك السموات العلى      وانذب الفجر إذا الفجر انجلى  
 واملأ السهل بكأ والجبال      نادا هل من سامع أو من مجيب ؟  
 أه من صمت على الأرض عميق      خرس الكون فهلاً تستفيق  
 هذه الآلام تذكو كالخريق      في فؤاد ذنّب كاد يذوب

والهاشمي يقرب الحب دائماً بالشجو والألم ، فهو يقول في قصيدته «ليلة عاشق» :  
 أيها الساهر ، ما هذا الأرق      لذكر أم بعباد أم قلق ؟  
 غرق النوم في ليلهم      وتولاني هم قد طررق  
 ظلمة تأتي وأخرى بعدها      تشبه البحر إذا البحر اندفق  
 أنا في الليل غريق ، وأرى      موجه يسبقني قبل الغرق . . .  
 فيك ، يا ليل ، مواعيد الهوى      يتقاضاها الأسي بمن عشق  
 إن فلسفة محمد الهاشمي في شعره فلسفة اليأس والشكوى : فالإنسانية معذبة  
 والحياة شقية بائسة ، والحنان قد مات في النفوس ، والعدالة لا مكان لها في الأرض ،  
 والدماء تسيل مسيل الأنهر ، والنار والأعاصير تفتك بالأرواح . وهذه قصيدته «صوت  
 من الإنسانية» صورة مؤسفة للبشرية في عصر الحضارة والعرفان ، فلنصغ إليه يقول :  
 أفي الأرض تبقى أم إلى النجم ترفع      نفوس لها في الأرض مبكى ومجزع ؟

لعلّ لها بعد المنيّة رقدة  
وتنسى بها بؤس الحياة وشرها  
لقد ساءها ما في الحياة وشرها  
ويقول :

تمتعت من نجم الثريا بنظرة  
أحاول أن أرقى إليها بجثتي  
أهيم إذا لاحت بها وبحسنها  
فيا أيها النجم المثل على السورى،  
فيا ليت أني قبل موتي صاعد  
وكنت إذا ما جنّ ليل وأشرق  
نظرت الثريا ثم أغضيت ناظري  
لأنجو من أرض بها الفضل ضائع  
فقد سئمت نفسي الثواء بمجمع  
يذلّ به المستضعفون ويعتلي

تخفف عنها بعض ما تتوجع  
فإنّ حياة البائسين تفجع  
لها في الثرى بين المقابر مضجع

لك الله، ما هذا الذي أتمتع  
ومالي إليها سلّم فيه أطلع  
ويخفق قلبي كلما هي تلمع  
لمثلي أن يثوي بمثلك مطمع  
إليك وأني في بلادك أرتع  
كواكب في داج من الليل شرع  
وقلت: ألا ليت المنيّة تسرع  
وفي أهلها بالشرّ والسوء مقنع  
تزيّن فيه المنكرات وتصنع  
به الظالم المستكبر المترفع . . .

ومحمد الهاشمي شاعر وطني يجري في عروقه حبّ العراق والأقطار العربية جمعاء،  
فمن قصائده الوطنية «نحية الشهداء» نظمها في القاهرة وقد شهد بعينه مصرع شهداء  
الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ورأى القتل تتخبّط بدماؤها على قارعة الطريق، فقال :

يجري لنصر الحقّ فهو مطهّر  
كلياً كنيان الغضا تتسعّر  
لا تركّوه على البسيطة يهدر . . .

لا تدفنوا الدم بالتراب فإنّه  
بل فاكتبوا منه على أعلامكم  
هذا دم الشهداء يهدر فيكم  
وقال يذكر المجد العربي الضائع :

إذ كنت للعـافين سعـدا  
من النـدى صـدراً ووردا  
والملـوان معـوداً وعبـدا  
وإن دنوت دنـا وجـدا  
مارستها حلـاً وعقـدا  
إيـرامـاً ورداً  
صار لآمـال مهـدا  
خرابها عهـداً فعـدا

نقضت لك الأيام عهدا  
إذ كنت تبغي من بغـداك  
فأطـاعك العـصران  
وإذا أبيت أبى الـزمان  
تمضي الحـوادث كيفما  
وتدور بين العـزّ والإقبـال  
ولقـد حميت الملك حتّى  
ولقـد عمـرت الأرض بعـدا

وأعـرضت عمـن تعـدى  
 بينهم فأصبت رشـدا  
 مدى فما جاوزت قصـدا . . .  
 شمّ السـدى وبنيت مجدا  
 ملكت يـداك لها مـردا  
 حتى تجـر واستبـدا  
 بك ناكشاً لك منه عهدا

وإليك أخلـدت الأنـام  
 وعـددت فيما كنت تحكم  
 ومضيت بالحكم الرشيد  
 ولقد بنيت مفاخرأ  
 وعنت لك الأقـدار إذ  
 غالبت دهرأ عاتياً  
 فأضاع دهرك غادراً

ويختتم الشاعر قصيدته بالدعوة إلى النهوض وزرع بذور العزّ لحصد جناه .

ويجبّ الهاشمي الأمثال الشعرية حبّه للقصص المنظومة . فمن أشعاره «الوردة والفراشة» و «القبر والزهرة» ، وكلاهما مقتبس عن فكتور هوغو، و «الذئب والحمل» أو القوة والضعف ، و «النحلة والجلنارة» . وقصيدة هوغو «الوردة والفراشة» ترجمها شاعر لبنان الدكتور نقولا فياض (١٨٧٤ - ١٩٥٨) بعنوان (الزهرة والفراشة» ، قال :

من فراش الحقل معشوقاً صغيراً  
 لك كالنجم اختفاءً وظهوراً؟  
 مائتاً نفسي غياباً وحضوراً  
 أبداً أرففك الثغر الطهوراً  
 لا تنرى إنسياً ولا تخشى شروراً  
 وتفاهمنا حفيفاً وشعوراً  
 فكلا لنا زهرة تسطع نوراً  
 سوء حظي جعل الفرق كبيراً  
 بالثرى رابطة جسمي الأسيراً  
 تتزود عطـرهما إلا يسيراً  
 تائهماً في الجوّ زهواً وسروراً  
 حول جسم عاجز عن أن يدوراً  
 بفؤاد لم يكن عنك صبـوراً  
 كلما عـذت مع الفجر منيراً  
 فدع الهجر طويلاً وقصيراً  
 أو أعزّ جسمي جناحاً فأطيراً

زهرة في الحقل يوماً سألت  
 ما الذي يلهيك عني جاعلاً  
 غائباً حيناً وحيناً حاضراً  
 أفما أنست رقيقة في الهوى  
 عائشاً في عزلة الحبّ معي  
 قد تماثلنا جمالاً وسنى  
 ولبسنا ثوب نور واحد  
 لا أرى ما بيننا فرقاً، بلى  
 أنت في الجوّ طليق وأنسا  
 كم سرت نحوك أنفاسي فلم  
 هائماً بين أزهير السرى  
 وأنا أنظر ظلّي دائراً  
 وأبيث الليل أشكـو وحشتي  
 ولذا تلقى بجفني أدمعاً  
 هاجري، إن صح عهد بيننا  
 واتخذ مثلي أصلاً في الثرى



وقد أضاف نقولاً فيأض تكملة لقصيدة هوغو فأجاب عن لسان الفراشة يخاطب  
الزهرة قائلاً إنها مفتونة بهواها، متممة بحسنها، وبعادها عنها إنها هو سر من أسرار  
الطبيعة، فهي كالريح رسول الهوى تحمل ذرات الغبار الى الأزهار القاصية.  
أما شاعرنا الهاشمي فيقول في ترجمته :

فراشة وقعت يوماً على شجر	تفتحت فيه أزهار وأكمام
قالت لها زهرة صفراء ناضرة	وقلبها فيه أحزان وآلام:
لا تهربي وأجيبيني بمسألة	عن حظنا، وحفظ الخلق أقسام
شأني وشأنك في أمرهما مختلفا	لغيرنا فيها نقض وإيـرام
تمضين أنت الى العلياء طائفة	ولا أظير ولا لي ثم إعمـزام
لقد ضجرت ولكني على ضجيري	أحب نفسي وما في حبها ذام
أعيش والناس عني مبعدون وكم	في قـربهم علل شتى وأسقام
أشبهتني فلنكن زهراً نظير معاً	لنا بما فوق هذا الـروض إلام
لكن أرى الأرض، والهفاه، تمسكني	والريح تعليق: هذا الحظ ظلام
إني سأعطيك من عـرفي الجميل لكي	يعطـر الجو نشر منه نـام
لا، لست أعطيك، إن الزهر يصحبي	وأنت يقصيك إنجـاد وإتهام
رضيت عيشي وحدي في الرياض أرى	ظلي وينعشني ضـوء وإظلام
وتهربين فتأتين الضيـاء إذا	رأيت نـاراً لها لمع وإضرام
في كل صبح بكـائي دائم وعلى	خدّي من عبرات الفجر تسجام
أهـ لـحـبكم الماضي الـذي ذهبت	به ليالٍ سعيـدات وأيام
خذي، كما لي، جذراً أو هبي ورقي	جنحاً، كما لك، والآمال أو هام!

إن الهاشمي قد نظم رباعيات الخيام باللغة العربية جعلها خماسيات واستند في  
نقلها الى ترجمة أحمد حامد الصراف الشرية، لكن ترجمته لا تتسم بالدقة والسلاسة التي  
امتازت بها ترجمات عربية أخرى كترجمة الصافي النجفي وأحمد رامي. فمن أمثلة  
خياميات الهاشمي :

يا الهي، إذا جنيت فإثمى  
يا الهي، على شبابي وجسمي  
وعلى نفسي الحزينة جرمي

أنا جانٍ رجوت عفواً وصفحاً منك قد غره رضاك فجاراً  
جيئتي في الدنيا أذى واضطراب

وبقــائــي تحيــر وارتيــاب  
وبقســر يكــون مني ذهاب  
أي قصــد من جيئــة وبقــاء وذهاب؟ قد ضلــت الأبواب  
من حضيض الثرى الى حيث يــدو  
زحل كل مشكل فيه عقــد  
لاح منه في حيلتي لي رشــد  
كل سرّ حللت ثمة إلّا أجل ما كسفتــه عن خفاء  
لم ير الخلد واحــد والسعيرا  
من أتى من وراء مــوت صغيرا  
أفزع الموت والرجاء صدورا  
نازعت ما يغيب عنها ويخفي غير ذكر الأسماء والأوتار

### سميراميس

نظم شاعرنا الهاشمي ملحمة شعرية عن سميراميس بين الحقيقة والأسطورة .  
وسميراميس ملكة بابل القديمة حبيبة الى الشعراء ، أثيرة لدى رجال الفن ، طرق  
موضوعها غير واحد منهم . فهذا فولتير ينسج من حياتها رواية مسرحية مأساوية ، وبول  
فاليري يصوغ منها مسرحية جديدة ، وروسيني يخرج عنها أوبرا موسيقية . وهذا بلند  
الحيدري صاحب «خفقة الطين» يقول فيها قصيدة تعج باللذة المحرّمة والحبّ الأثم  
واللظى المخمور والقشعريرة الداجية والضحكة المحمومة المغرية المغرّرة .

ويهم بالملكة الأسطورية عمر أبو ريشة شاعر سورية فيستوحى منها مسرحية  
شعرية هي قصة الحب والجمال والطيوف والأحلام ، تقول سميراميس في مطلعها :

عيرك يا ليل وهج الحياة	فلا تتنفس على مضجعي
بعثت بأخــر ما تمتت	شفاه الــربيع على مسمعي
أحسّ به رةشة في دمي	وحلماً جرّيحاً على مدمعي
ألا أين بدعة حلمي إذا	ترنحتُ بالقــدح المترع
وأين الصدى لنداء الحنين	إذا عربرد القلب في أضلعي
أريد . . . ودوني انهيار الفتون	على كل ذي هيف ممتع

أما سميراميس الهاشمي فصحراء ممتدة الأطراف تكتنفها الواحات والرياض .  
ينظر الشاعر الى الوجود قبل الخليفة بمنظار الأساطير البابلية ، فإذا هو فراغ عظيم  
لا نور فيه ولا ظلام :

«أبسو» هو الإله العظيم  
لا من ثلاثة أقتوموا  
ولا مجهولاً ولا معلوماً  
من عماء أن لا نراه سديها  
في فراغ لا يقبل التقسيما  
أم ثبوت، فما وعمّ وفيهم؟

قبل خلق السماء والأرض كان الأب  
و«تيامات» الأم كانت فكان اثنان  
حين لا ليل في المكان ولا يوم  
قيل: لا شيء، قيل: سرّ بعيد  
عدم من وجوده وهو صفر  
أهو نفسي، وكيف يدرك نفسي؟

ثم كانت الخليقة وكانت الآلهة وكان الصراع والحرب. وكانت بعد ذلك بابل  
وهورابي ونينوس، وهذه سميراميس ترقى العرش فتخاطب شبح بعلمها قائلة:

لا يثقل التاج أحلامي ويلهيني  
عن احتفال بتحصين وتزيين  
وليس إلا عبير المجسد يكفيني  
جهاها تقلب الدنيا مع الدين  
من عرش مردخ<sup>(١)</sup> ذي الخمسين أو «سين»<sup>(٢)</sup>  
حتى أرى مصر في ملكي إلى الصين  
ومن سلام ومن فتح إلى حين

هَوْنٌ، وحسبك مني أنني امرأة  
نم مطمئناً فإن الملك يشغلني  
يكفي النساء عبير يدهنّ به،  
إن الكياسة في الأنثى مظاهرة  
حورية أنا لا غول نزلت بهم  
ويشهدان بأني غير قانعة  
فأملاً الأرض من حرب ومن ظفر

لكن الدسائس والمؤامرات لا تلبث أن تسري في أروقة القصر الملكي فيقول الكاهن  
الأشوري:

وإن نطقوا علانيةً فهلك  
حياة الموت، إن الموت تترك  
له عيش وراء العزّ ضنك  
يحصّ اللبدين ولا يفك  
ولو أن الأذى ورد ومسك  
تدكّ بها الجبال ولا تدكّ  
دم حرّ على يسدها وسفك  
مشقة عيشها معك ودعك  
وحاشية بل الأخلاق ملك  
وصومك عن مذاق الذلّ نسك

إذا سكتوا فعن داء دفين  
يداهن بعضنا بعضاً ويحيى  
عزّيز النفس ذلّ، وكل حرّ  
وقيسد الليث إن يصبز عليه  
ومما شمّ الأذى أنف حمي  
ومن حلم اللبيب مغامرات  
أرى بشرية تدمي وهدر  
وقل: كيف الإقامة في بلاد  
وليس الملك من تاج وعرش  
صلاتك للحسام العضب دين

(١) مردخ إله بابلي.

(٢) «سين» القمر وهو «ود» عند العرب.

ويحلّ رأس السنة فيهرع أهل بابل للاحتفال بالمهرجان وإقامة طقوس العيد :

صباح غد عيد وجاءت وفوده  
سما بهم شقوق إلى أم بابل  
وصفت جنود واستعدت تحية  
وألهة في فلکها وفودها  
هنا معرض الدنيا فما شئت فاقتبس  
فهذا يريك العلم كيف فنونه  
وهم زمرٌ والناس فوضى بأنهم  
وهزل وجدّ بالسيوف وبالقنا

ليحتفلوا والوافدون جموع  
وغصت ديار منهم وربوع  
فمنهم سجدود دونها وركوع  
أتوها وكلّ سامع ومطيع . . .  
بروعاً، وآيات النبوغ بروع  
وهذا يريك السحر كيف يروع  
لكلّ إلى ما يشتهيّه نزوع  
ووثب وقفز تارةً ووقوع . . .

تشهد سميراميس مشاهد المهرجان فلا تني تقول :

سلام وحبّ أيها البلد الخصبُ  
على خير أرض فوقها خير أمة  
وجنة عدن رافداها وأرضها  
جرى كل إقليم إليها بيائه  
مفجّرة المائين في كلّ بقعة  
خصوبة صقع من زكاة ترابه  
وكالتبر لئون الماء جار سيبكه  
وغاب نخيل سابغ الظل والجنى  
وما الشهد إلاّ تمرها لو تذوقه

بحبّك فلتصبو القلوب التي تصبو  
إذا ذكرت بالمجد قيل لها : حسبُ  
بها النخل والكرم المعرّش والعشب  
لها الشرق من أنهارها ولها الغرب  
فتروى ويروي ما بها ماؤها العذب  
فلا القحط معهود عليها ولا الجذب  
وكنز عليها الطين والرمل والترّب  
فما كهة ما تشتهي العين والقلب  
لقلت : أشهد في الكوارة أم قسب . .

لكن الحياة لا تلبث أن تجور على الملكة فتبدّد أحلامها وتخيّب آمالها، فتقول :

هذه حيرة الحياة انتظار  
والأماني شعاعه في سراب  
لا تقل في الغنماء نغمة سعد  
هذه الشمس كلهم عبودها  
منّ دليلي على ابتكار؟ فقد طال  
خذ إليك الكأس التي لك واشرب  
قتل الأذكى ما وجدوه  
حيرتها دلائل الحرص حتّى

يذكر المرء ما يكون ويُنسي  
من ضياع على ظهور وطمس  
إن تقل في البكاء أنّه نحس  
وإذا ما انفردت أعبد نفسي  
وقسوفي على قسراتح دُرس  
فلغيري لا ينبغي أخسّد كأسِي  
من فساد على النفوس ورجس  
عقدت حظها بختم وكريسي

وكانت الخاتمة ، فإذا نبيناء الشاب يرقى عرش أمه وإذا سميراميس الملكة المخلوعة  
تنسخ حمامة فتنوح قائلة :

صوّر: بـرج له سبـعته  
صوّر: يـوم وأمـس وغـد  
صوّر فيها رعايا وملوك  
وخيال وظنون وشكوك  
وتقول القهرمانه ناناث :

آخر العهد كان في باب إيلا  
خلعت ثوبها إليك وطارت  
وأثارت في الأرض حرباً وسلاماً  
الوداع، الوداع، أيتها الأرض  
إفتحوا لي باب السماء فبثت  
مسحت وجنتيك أنمل بييلا  
بعد أن مسها التراب قليلا  
وأطالت إقامه ورحيلا  
احتملنا عليك حملاً ثقيلا  
حفرة الأرض من سماء بيديلا

### رشيد الهاشمي

محمد رشيد بن يحيى بن عبد القادر الهاشمي ، ولد في بغداد من أسرة فقه وأدب في  
سنة ١٨٩٦ ، ودرس اللغة العربية وآدابها على يد أخيه عبد المجيد ، ولازم بعد ذلك  
محمود شكري الألوسي فأفاد من دروسه . ونظم الشعر ، ومال إلى الأدب ، وآمن  
بالمبادئ القومية والوطنية ، فقصده الحجاز سنة ١٩١٦ والتحق بالثورة . ثم شخّص إلى  
القاهرة في بداية سنة ١٩١٨ . ومضى إلى الشام عند تأسيس حكومتها العربية فعيّن  
كاتباً في المجمع العلمي العربي عند تأليفه سنة ١٩١٩ .

عاد إلى بغداد سنة ١٩٢٠ ، فعمل في ميدان الصحافة . وكان محرراً لجريدة «دجلة»  
التي أصدرها داود السعدي (٢٥ حزيران ١٩٢١) وجريدة «الرافدين» لصاحبها سامي  
خوندة ، وقد صدرت في ١٦ أيلول ١٩٢١ ودامت إلى ٢٤ آب ١٩٢٢ . ونشر شعره  
وبحوثاً أدبية واجتماعية في مجلة اليقين التي أصدرها شقيقه محمد الهاشمي (١٩٢٢ -  
٢٥) . ونشرت مقالاته وقصائده في الجرائد العراقية كالعراق والاستقلال والفلاح  
والصحف الحجازية والسورية والمصرية كالقبلة والعقاب والمقطم والنور ولسان العرب  
والمفيد والنهضة الخ .

وغالى في تطرفه فهجا الملك فيصل الأول وحكومته ، وكان قبل ذلك قد مدحه حين  
إعتلائه العرش سنة ١٩٢١ ، فقال :

رقاك ، يا عرش ، من ترجو وتنتظر  
بينيك فيصّل الجليل ومن  
يا ابن النبي ، وأحلى الشعر أصدقه ،  
وزانك العلم لا الياقوت والدرر  
في راحتي جده قد سبّح الحجر  
سيل المفاخر من واديك ينحدر  
.....  
..... الخ .

إنتمى الى مدرسة الحقوق في أواخر سنة ١٩٢٢ ومكث فيها أربع سنوات ، حتى إذا ما آن أوان التخرّج ، أصيب برجة عصبية فأودع مستشفى الأمراض العقلية حيث قضى نحواً من سبع عشرة سنة . وتوفي ببغداد في أوائل سنة ١٩٤٣ . وقد رثاه أخوه محمد الهاشمي فقال :

قل لهم : ما وفاء حق الأديب ؟      شغلوا عنك بالزمان العصيب  
ليس داء الأعصاب فيك عيباً      بل دليل القضاء عجز الطبيب  
كلهم يسألون عنك وعنّي      فيقولون للدموع : أجيبني  
ما افترقنا ، وليس كالموت بُعدُ      فيه عهد القرب غير قريب  
ونحيبي حزن عليك وشعر      وغناء الحزين صوت نحيب

وقد طبع ديوان رشيد الهاشمي سنة ١٩٦٤ بعناية عبد الله الجبوري - وصدر بمقدمة لمحمد بهجت الأثري .

وقيل إن رشيد الهاشمي توفي في ١٥ تموز ١٩٤٦ في دار الشفاء ببغداد حيث قضى الـ ١٩ سنة الأخيرة من حياته لمسّ أصابه في عقله .

#### مأساة النبوغ :

إن النبوغ إذا اقترن بإرهاق الحسّ ورقة الشعور ، وامتنح بالحرمات والفشل والجحود ، وصهر في بودقة ألم النفس وعذاب الجسم ، كثيراً ما يدفع بصاحبه الى الإرهاق العصبي والجنون أو الموت . وقد سجل التاريخ الأدبي فواجع رهيبية في إطار من البؤس والهوان والرثاثة والدم : فهذا الفيلسوف المتصوّف أبو حيّان التوحيدي الذي اتهم بالزندقة ولقي من العنف والاضطهاد ما حمله على إحراق مؤلفاته واستتاره عن الوزير المهلبي الذي ألحّ في طلبه ، حتى مات في نحو سنة ١٠١٠ م .

وهذا الشاعر الإنكليزي توماس شاترتون (١٧٥٢ - ١٧٧٠) ، رأى نور الحياة يتيم الأب ، وتمرّغ في أوجال الفاقة والجوع والحرمات ، حتى إذا ما غلب عليه القنوط ، مزق آثاره المخطوطة وتناول السمّ في ربيع الثامن عشر . كان شعره يفيض باللوعة والمرارة ، دعا القاريء الى البكاء معه ، فقد مات حبه تحت شجرة الصفصاف . كان حبه فاحم الشعر كليل الشتاء ، أبيض البشرة كثلج الصيف ، أحر الخدّ كضوء الصباح ، وهو يرقد الآن بارد الجسم في حفرة القبر .

وتصوّر الحرية ترتدي معطفاً ملوّثاً بالدماء ، وقد كلّل رأسها بالأعشاب البرية .

وذلك الشاعر الفرنسي هيجيسيب مورو (١٨١٠ - ١٨٣٨) قضى الحياة هائماً شريداً ، وعمل ممرضاً في أثناء تفشيّ وافدة الهيضة في باريس سنة ١٨٣٢ سداً لرمقه . باع شعره لبعض الناشرين بدرهيات معدودة ، وانتهى به المطاف الى ملجأ حيث وجد

الراحة أخيراً في الموت. قال في بعض قصائده: «لقد كنت تلميذاً فقيراً حالمًا غريب الأطوار، ولكم نثرت فئات الخبز لطير الشاطيء فقال لي الماء: تمسك بأهداب الأمل، فإن الله سوف يعيد لك خبزك! لكن الله لا يزال مدينًا لي به».

وماذا عن جبرار دي نرفال الأديب الشاعر (١٨٠٨ - ١٨٥٥) الذي هام بفاوست، رواية غوتي، ونقلها إلى اللغة الفرنسية بما يكتنفها من سحر وإغراء وظلمات جهنمية؟ لقد ألم بشيء من العربية والفارسية، وانصرف إلى قراءة كتب التصوف وما وراء الطبيعة، وهام على وجهه في القسطنطينية وربوع سورية وجبل الدروز. وزادت هواجسه يوماً بعد يوم، واستغرق في لجج مظلمة بعيدة الغور من الرؤى والأمال، حتى انتهى به المطاف إلى مصحح للأمراض العقلية. وفي مساء يوم قارس البرد، وجد مشنوقاً في شبّاك بعض الدور المنزوية بأحد الأزقة الباريسية. لقد انتحر ذلك الشاعر الذي يقول: «إنني فتى الظلام التاكل الذي لا يعرف السلوان، أنا الأمير الذي هدمت قلعته. أقل نجمي الوحيد، وصدح قيثاري بأنغام الشمس السوداء والمئخولياء...».

ومأساة الشاعر الأديب المرفه الحسّ محمد تيمور (١٨٩٢ - ١٩٢١) ابن العلامة أحمد تيمور باشا أشهر من أن تعرف: فقد ضاق ذرعاً ببيئته الأرستقراطية وعزف عن دراسة الطب، ثم احترف التمثيل وخالط المحافل الأدبية والفنية. ألح عليه المرض فقال:

هيئتوا لي في باطن الأرض قبرا      ودعوني أنام تحت التراب  
في ظلام القبور راحة نفسي      ومن النور شقوتي وعذابي...

وقضى في ميعة الشباب.

وذلك الشاعر المصري أحمد العاصي (١٩٠٣ - ١٩٣٠) الذي قال فيه شوقي:

هذا شباب الشعر يلمح ماؤه      من جدول العاصي ومن ديوانه  
مرض بداء الصدر وعاش متبرماً بالحياة، غلبته هواجسه فأغلق نوافذ حجرته في مسكنه بالقاهرة وصبّ على نفسه مادة كاوية أودت بحياته.

والأديب الغريب إسماعيل أدهم (١٩١١ - ١٩٤٠) الذي اختلف الناس في سيرته ودراسته، نبغ في الرياضيات وألف في التاريخ الإسلامي والزهاوي الشاعر والإلحاد ونظرية النسبية وعلم الأنساب. أضناه داء السل، فلم يجد خيراً من الانتحار غرقاً في ساحل الإسكندرية اللازوردي.

والشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي (١٩٠٢ - ١٩٦٢) رأيناه بيننا غريب الأطوار، عجيب الأخبار، يجمع العنف إلى الطيبة وسلامة الطوية، ويمزج الورع الشديد بالتصوّف والتحلل، يحبّ الناس حباً أفلاطونياً خالصاً ويحتقرهم ويسبّ الظنّ بهم في أن واحد. ولقد طالما شهدناه يجلس في المقهى أو يسير في الشارع متناقل الخطوات وقد أطلق لحيته وتهذّل شعره على كتفيه ورثت ملابسه، وهو يحدّق في الفضاء ويرسل إلى اللانهاية نظرات شاردة جوفاء.

أما شاعرنا رشيد الهاشمي فقد توفي والده وهو يدلف الى التاسعة، فتركه لرعاية أخويه الكبارين، ونشأ مرهف الحس ثائراً تتوقد بين أضالعه النار وتنطلق في ذهنه العواصف. إنتمى الى الجمعيات السرية الوطنية، وهجا الأتراك مرّ الهجاء. ورغب في التطوع للقتال في صفوف جيش الثورة الحجازية، ونطق بالشعر الحماسي الذي يلهب النفوس ويثير الهمم والعزائم.

راففته المصائب والأحزان منذ طفولته فخطبها قائلاً:

نوب الليــــــــــــــــالي، خففي، أو ما سمعت تأقسي؟  
رافقتني طفــــــــــــــــلاً، وذا زمن الصبــــــــــــــــا، فتخلفي . . .

ثم تمرّد وقال:

زيــــــــــــــــدي عــــــــــــــــداك، إن نــــــــــــــــور  
لا تحسبــــــــــــــــي أي أدل  
وعاش رهين أسرين فقال:  
قــــــــــــــــر مجتني لا يخفني  
ونــــــــــــــــار عــــــــــــــــزمي تنظفي

بين أسرين عشيت عيش اضطرار  
تلك للروح قد قضت بالأسار  
ما نجاتي، وأين أين قراري؟  
خاضعاً للأجسام والأقذار  
والأخيرات حيرت أفكــــــــــــــــاري:

ظلمات الضلــــــــــــــــوع تــــــــــــــــزعج قلبي  
غير أني لما شعــــــــــــــــرت بحب  
كــــــــــــــــل حــــــــــــــــب تخفف أــــــــــــــــكــــــــــــــــداري  
هي كــــــــــــــــالليل لا يضيء بشهب  
قلت: رفقاً بقلب عبــــــــــــــــدك، ربّ،

آمن الشاعر بالحب شعاعاً لمعنى الجمال والخلود، لكن الشكوك ساورته: ما مغزى الحياة، وما الفكر، وما أسرار الوجود؟

يا نياماً تحت التراب، إلا ما لا تحيرون عن سؤالي كلاماً؟  
أضيءاً رأيتم أم ظلاماً أم رأيتم في نومكم أحلاماً؟  
لا تناموا، قد لاح ضوء النهار.

وقد راعه حال أمته وما بلغته من جهل واستكائة فقال:

يا نائمين على جور الهوان، كفى  
هبوا وذتبوا عن استلالكم بطبي  
لا بد للعرب أن تحيا بوحدها  
وهاج بلابله الليل البهيم فحدّثه قائلاً:  
ذل يغادر صدر الحر موقودا  
تخلف الدهر مضى القلب معمودا  
وأن ترى تاجها للكف موسودا

أيها الليل، يا أبا الأسحار، أين زهر النجوم والأقمار؟



كان للبدر في سوادك ضوء  
كنت، يا ليل، عبده، ولقد كان  
كان يوليكَ رحمة وحناناً  
ويشعر، وهو الشاعر الشاب الذي لا حول له ولا طول، كأنه مسؤول عما آل إليه  
أمر أمته وبلاده، فيقول:

دافعت عن حق قسومي حيث أنهم  
بمنطق تترك الأسباع واعية  
إننا لقوم ورثنا الفضل من قدم  
جدي الذي قهر التيجان قاطبة  
إننا هجمنا على كسرى ودولته  
ويعيد النظر في حال بلاده فيصيح:

يا للرجال ويا للصيد من مضر  
أين الحمية، بل أين الشهامة، بل  
أين الألى تزار الدنيا إذا زاروا  
بغداد باكية، والشام شاكية،  
لا تبخلن بروح أنت حاملها  
ويغضب أخيراً ويشور فيخاطب ملك العراق خطاباً شديداً ويعاتبه عتاباً مرأً،  
فيقول:

يا لابس التاج في بغداد هنتاً  
لا يكمل التاج إلا أن يكون له  
فزنه بالحق والعدل الأعم، ولا  
واستعمل الحزم وانقذ أمة نصبت  
نحن الذين بنينا في جماجمنا  
شيخ الوزارة ميت لا حراك به

طغت الهواجس على نفس الشاعر وجثمت على صدره كالليل الرهيب، فناء بها  
جسمه الواهن ولم تحتملها أعصابه المرهقة. وكذلك ذهب بلبه وطوح بعقله، وعاش  
بقية عمره في فراغ ذهني، حتى انتقل من ضباب الخبل إلى ظلمة الموت.

في تقرير سري للأنسة جرتود بل كتبه إثر زيارتها لسورية في تشرين الأول ١٩١٩،  
حين كان الأمير فيصل يرأس الحكم في دمشق، قالت إنها استدعت رشيد الهاشمي

الذي كانت تعرفه في بغداد، ثم مضى فجأة إلى الشام. قال لها إنه فرّ من العراق بعد اتهام أخ له بالاتصال بالأتراك.

قالت المس بل إن رشيد وأخاه محمد الهاشمي مناوئان بشدة للأوروبيين، ورشيد يعمل سكرتيراً لياسين الهاشمي. وقد خطب قبل أسابيع فقال إن دجلة ستجري دماً، ولم يصرّح أهو دم عربي أو بريطاني. وعلى أثر ذلك أمر علي رضا باشا الركابي حاكم دمشق بالقبض عليه وسجنه أمدأ قصيراً. وقد بدأت علاقة رشيد بالبريطانيين سنة ١٩١٦ في البصرة جاءها هارباً من الترك، فمنحه الإنكليز مخصصات إلى ما بعد سقوط بغداد...

ولم يحصل بعد ذلك على وظيفة لأن عقله - كما قالت المس بل - لم يكن ثابتاً وظهر لها كأنه «ضئيل المسؤولية».

### إبراهيم منيب الباجه جي

الشاعر إبراهيم منيب الباجه جي ينتمي إلى الأسرة الباجه جية المعروفة، وهو ابن أحمد بن محمد سليم بن عبد الرحمن. ولد في بغداد في سنة ١٨٧٦، وأحسن والده تربيته وتعليمه. ثم أدخل إحدى المدارس الابتدائية عهداً قصيراً، ووضع بعد ذلك في دائرة تحرير ولاية بغداد للتمرّن على الأعمال الكتابية (١٨٨٩). وتقدم في سلك الخدمة، ومهر في النظم والشعر باللغتين العربية والتركية. واستقال من الوظيفة سنة ١٨٩٦، وسافر إلى استانبول، ثم عاد منها واستأنف العمل في دائرة الولاية (١٩٠٠)، وعيّن أخيراً معاون رئيس التحرير في إدارة الأملاك السنّية.

كان إبراهيم منيب من فتيان زمانه المولعين بالحيل واللهو والغناء. وقد أطلق الرصاص على بعض شباب الملاهي سنة ١٩٠٧، فحكّم عليه بالسجن. وسجّل معروف الرصافي تلك الحادثة - التي قامت لها بغداد وقعدت - شعراً في قصيدة رثى بها القتيل وبرّر فعل القاتل، وقال:

قضى، والليل معتكّر بهيم، ولا أهل لــــيديه ولا حميم

وأصدر بعد ذلك جريدة أدبية باسم «الرياحين» في ٢٨ آذار ١٩١٣.

واحتلّ الإنكليز بغداد فعين إبراهيم منيب مفتشاً في دائرة الشرطة (١٩١٧) أمدأً وجيزاً، ثم عين كاتباً في وزارة الدفاع (١٩٢١). وأحيل على التقاعد في آخر آذار ١٩٣٧، ثم أعيد استخدامه في تموز من نفس العام لعهد غير طويل.

وتوفي في بغداد في ١١ حزيران ١٩٤٨.

مؤلفاته وشعره :

وضع رسالتين في «التبصرة لمولعي الخمرة» و «نزهة الأحداق في مباحث السباق» ،  
ورسالة ثالثة باللغة التركية عن رحلته الى الإستانة .

وطبع ديوانه الأول سنة ١٩١٣ ، ثم طبع مجموعة ثانية من شعره باسم «زنايق الحقل»  
(١٩٣٨) .

ويشتم شعره بالرقّة والسّهولة ، ويزخر بالمعاني التقليدية والأفكار السائدة في عصره ،  
فقلماً تجد فيه ابتكاراً أو النعاعة ذهنية .

نظر شاعرنا الى طاق كسرى فقال :

دعائمه العدالة لا الصخور  
لسديه كلّ ذي طولٍ قصير  
كطاقٍ حولهُ الأفاق سُورٌ  
ولا خلٌّ لسديه ولا سمير  
كطود لا يزول ولا يمور  
وما أبلت معالمه العصور  
فلا تبلي معاليه الدهور

بنساء شهاده ملك كبير  
تسامى مشمخراً بازتفاع  
كأني بالسما عليه شيدت  
تفرّد في الفلاة ولا أنيس  
تعالجه الزعازع وهو رآيس  
فكم عصر تقضى بعهد عصر  
وما قد كان شيّد فوق عدلٍ

ونزعت به نفسه الى المعالي فقال :

ولكن برأى كالتسهام مسدّد  
وأصبح عندي وهو واحد أعبدى  
وهيهات من إذلال أروغٍ أصيد  
سأشرق بعد اليوم كالشمس في غدٍ  
فكل حسام إن مضى الحرب يغمد  
فعضب لساني مطلق دون حُسدي

طلبت العلى ، لا بالحسام المهنّد  
فأدر كتبه حتى ملكت قياده  
لقد رام إذلاي العداة بكيدهم  
فإني ، وإن أمسيت في السجن غارياً ،  
ولا بأس أن أصبحت كالسيف مغمداً  
وما ضرّني سجنى وتقييد أرجلي

حدث به تجاربه في الحياة على العزلة والانفراد فقال :

إذا ما رمت أن تحيا سعيداً  
إذا هو لم يعش فيها فريداً

تجرّد ما استطعت وعش وحيداً  
أرى الإنسان في دنياه يشقى

وقال على لسان طاق كسرى :

وإن أضحت دوائرها تدور  
وحلّ محلّه الظلم الكبير  
ومثلي يفعل الرجل البصير

يعد الأيـام لم تعبث بمثلي  
ولكن قد رأيت العدل ولى  
فملت الى التزهّد بانفرادي ،

وشعره طافح بالمعاني الإنسانية، فهو يحبّ أمه ويقول:

ولدت خلياً لست أدري بما عندي      ولم أدر ما همتي ولم أدر ما قصدي  
فأزل شيء حلّ قلبي محبّة      لأمي التي لم تنأى عني ما يجدي  
يلاطفني منها حنان ولم يكن      يقابله مني سوى الضحك في المهد  
وذاك لديها نعمة عزّ مثلها      تراقبها مني بباصرة الحمّد.

وهو في قصيدته «في سبيل البؤساء» يأسى للبشرية المتألّمة ويقول:

وإني بدمع ذارف هتّان      يشكو الزمان وقسوة الخلان  
شيخ ملامح وجهه دلّت على      ماضي وجاهته بكلّ معاني  
وعليه أطهار تراهها رقت      من فقره بغرائب الألوان  
يمشي فتوقفه طواريء ضعفه      متعكّزاً عوداً من العيّدان  
والوجه منه قد علتة صفرة      تحكي هنالك صفرة البرقان

وقف الشيخ يسأل ذليلاً وهو يتضوّر جوعاً، فأخذه الشاعر الى داره وأتاه بأطيب  
المأكل والمشرب. ثم استعلم عن حاله فقال إنه عاش ستين عاماً هائلاً سعيداً، ثم  
توالى عليه المصائب، فبارت تجارته وبقي بلا مال ولا ولد ولا سكن، ونأى عنه  
الصحاب حتى لقد تمّنى الموت فلم يسعفه الموت:

مالي أرى الإنسان يقسو قلبه      تلقاء رقّة دمعة الإنسان؟  
مالي أرى الإنسان لم يعطف على      حال الفقير البائس الحيران  
أفّ لقلب لم يبرق لبائس      هوأ من الدنيا بعيش فان

وهو مولع بالقصص الشعري، ففي قصيدته «إقبال وإدبار» يروي قصة فتاة هيفاء  
جميلة من الأعراب، نشأت في عز وحشمة بين أبيها وأمها. ثم قضى الأب وقد فتك به  
خنجر ظالم شرّير أراد خطف فتاته. ولم يمض وقت طويل حتى قضت الفتاة حزناً  
وأسى، فشيعها الشاعر الى القبر أسيفاً. وشاء أن يكمل خطوط المأساة فجعل الأم  
تلقي بنفسها في بئر قريبة من تربة ابنتها، فدفنوا الثلاثة جنباً الى جنب.

إن شعر إبراهيم منيب يطفح بالألم، لكنه يذكر أحياناً هو شبابه وأنسه فيحن الى  
أيامه السالفات ويقول:

رعى الله ساعات تقضت من العمر      بدجلة، والأرجاء تزهّر بالبدر  
وزورقنا إذ ذاك طيراً تخالسه      يمدّ جناحيه من الشوق كالنسر  
ودجلة تجري في مذاب مفضض      ييازجه ضوء المقاصير بالتبر  
يلاعبه نفع النسيم فتجلي      مويجاته عن نسج درع من الدرّ  
ويطرب سمعي من بعيد خريره      إذا انحطّ من عالٍ الى أسفل يجري

وتغرق الباخرة «تيتانيك» سنة ١٩١٢ ، فيتبارى شعراء العراق في رثائها . ويدلي شاعرنا دلوه في الدلاء فيقول :

سرت والبدر في أفق السماء	يسارها بأجنحة الضياء
سبح تزدري بالبدر زهواً	منورة بنور الكهـرباء . . .
ولما أن نأت عن كل أرض	ولم تر غير أفق السماء
أناها تحت طي الماء طود	يطوف من الجليد على عماء
فشئت شملها الموصول قسراً	الى ما غير وصل والتقاء
وأغرقتها بمن فيها سوى من	توصل بالسلامة للنجاء
وأمت وهي راسية بقعر	من الظلماء من بعد الزهاء
على حين الكواكب زاهرات	ووجه البحر يشرق بالضياء

وكذلك الحياة الى فناء ، والكواكب زاهية والطبيعة ضاحكة :

فلا عيش يدوم ولا صفاء ، وهل بعد الحياة سوى الفناء؟  
حدثني أحمد حامد الصراف قال : كان إبراهيم منيب الباجه جي مولعاً بالسباق لا يفوته يوم من أيامه . وكان حلاقه يشاركه نفس الهواية ، فلقيه يوماً في الحلبة وسأله عن الحصان الفائز ليراهن عليه ، ودله إبراهيم منيب على حصان أو حصانين فلم تصدق فراسته .

وفي صباح اليوم الثاني مضى الشاعر كعادته الى دكان الحلاق وجلس على الكرسي ليحلق ذقنه . وسلم عليه صاحبه هاشأ باشأ . وشد الفوطة على صدره ، ووضع على وجهه الصابون ثم قال :

يا أستاذ ، لم تصدقني البارحة في ساحة السباق . لقد دلتني على الخيل الخاسرة وراهننت على الفرس «الصقلاوية» التي فازت فربحت مبلغاً جسيماً .

واعتذر الباجه جي بأنه إنما دله على الخيل المعروفة ، أما «الصقلاوية» التي راهن عليها ففازت مصادفة ، وهو ما يعرف في اصطلاح أهل السباق بـ «فلوك» أي حظ .

ولم يقنع الحلاق بهذا الجواب ، بل ظل يجمع ويدمدم ، وصاح : يا غلام ، هات الموسى «الصقلاوية» لنحلق وجه الأستاذ . قال ذلك وهو يفرك وجهه بالصابون بحركة عصبية .

وبادر الباجه جي فنزع الفوطة وقام من الكرسي وجري قائلاً : عفواً ، لقد نسيت أمراً مهماً ويجب أن أعود الى الدار . ونخرج الى الشارع راكضاً لا يبالي بالصابون الذي يلمطخ وجهه .

قال الصراف : رأيت مضطرباً فهذأت من روعه وقلت له : ماذا دهاك ، ولم هذا الخوف؟

فأجاب : رأيت الشرّ في عيني الخلاق وحركاته فنجوت بنفسي . ولو ذبحني بالموسى  
لرقدت تحت التراب مضرّجاً بدمي ، مستعجلاً قدري ، مبتدراً منيتي . وهل كان يعزيني  
أو يخفف عني أن يقبض على الخلاق ويحاكم ويلقى به في غياهبه السجن ؟

من شعر إبراهيم منيب الباجه جي

حماسة لا سياسة :

ولكن برأي كالسهم مسدّد  
وأصبح عندي وهو واحد أعبد  
وهيهات من إذلال أروع أصيد  
سأشرق بعد اليوم كالشمس في غد  
فكل حسام إن مضى الحرب يغمد  
فعضب لساني مطلق دون حُسد  
لدى الحرب أمضى من فعال المهند  
بنيت مقاماً فوق نسر وفرقد  
وأنى لهم لس الكواكب باليد  
وراح جوادي سابقاً كل أجود  
إذا الحرب شبت كنت أول منجد  
وإن ماد سطح الأرض لم أتمد  
وحرب لأعدائي ولست بمعتدي  
كراعي الشهيّ وجداً بجفن مسهد  
وإن خان يوماً لم يخنه توّدي  
إذا جاء في ذنب غير تعمّد  
بأني إن أغفر له الذنب أحمّد  
ومالي سواه من فخار وسؤدد  
أطلق سراحه بعفو سلطاني سنة ١٩١٣ .

طلبت العلى ، لا بالحسام المهند  
فأدركته حتى ملكت قياده  
لقد رام إذلال اللثام عداوة  
فإني ، وإن أمست في السجن غارياً ،  
ولا بأس أن أصبحت كالسيف مغمداً  
وما ضرتني سجن وتقييد أرجلي  
فإن يراعي مفلق وفعاله  
وإني بأرائي على الرغم منهم  
فإن يقدروا فليهدموا ما بنيته  
سيعرفني قومي إذا سلّ صارمي  
فإني مقدم وفارس نجدة  
وإني كطود في الثبات لدى الوغى  
وإني ذو سلم لكل مسالم  
وإني أراعي للصديق ذمامه  
وإني على عهد الصديق محافظ  
وإني مقيل للكريم عثاره  
وإني حليم دون ذي الجهل عالماً  
وهذا يراعي ناطق عن حقيقتي

قضى الباجه جي في السجن أعواماً حتى  
ومما قاله في الحبس عند نشوب حرب طرابلس :

فظل يدك الأرض وهو يانع  
لنصر ربوع زعزعتها الزعازع  
وتنهّل مثل السحب منه المدامع  
ولكنها سدّت عليه الشوارع  
فأقعده عمّ نوى وهو جازع

وذي عزمات أوقفته الموانع  
يروم حراباً بين مشتبك القنا  
فيمعنه سدّ فيفزع صارخاً  
يروم السرى نصرأ إليها بنفسه  
لقد سدّها كفّ من الدهر ظالم

وقال في السجن أيضاً:

أما والذي في صنعه حير الفكرا  
ترى الناس فيه في ازدحام وضجة  
يقاسون أنواع الهوان بموقف  
ولا تحسبن القبر أقسوى مـرارة

لفي السجن ما ينسي القيامة والحشرا  
فمن مـرتج يسراً ومن مشتك عسرا  
تحكم فيه العبد واستعبد الحرا  
من السجن ، لا لا والذي فلق البحرا

### فاضل الصيدلي

الشاعر فاضل حامد المعروف بالصيدلي ، ولد في الموصل سنة ١٨٨٢ ، وتعلم الصيدلة في استانبول دار الخلافة . ودرس اللغات العربية والتركية والفارسية والكردية وشدا شيئاً من الفرنسية .

وقد عين صيدلياً في نجد ، ثم عاد الى العراق ، فأسندت إليه وظيفة كتابية في بغداد ، واختير من بعد مديراً لبعض نواحي قضاء سنجار . وعين في المعهد الوطني مفتشاً صحياً في الموصل ، وعمل صيدلياً في الجيش في الموصل وبغداد وكركوك والسليمانية ، حتى استقال في سنة ١٩٢٧ . وعين كاتباً للضبط في مجلس الأعيان (١٩٢٨) ، واعتزل الخدمة سنة ١٩٣٣ . وعاد الى الموصل ملازماً للعزلة ، منصرفاً الى الشعر والأدب حتى توفي فيها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٤٩ .

مال فاضل الصيدلي الى الشعر يافعاً . وأصدر في سنة ١٩١١ كتراساً باسم «بدائع الأفكار» باللغتين العربية والتركية . ونشر ديوان شعره في دمشق بعنوان «هدية الأحرار» (١٩٢٧) ، ونظم بعد ذلك شعراً كثيراً لم ينتظم في مجموعة . وكان له شعر غزليّ كثير أحرقه حين اعتنق مذهب التصوف .

قال فيه إبراهيم الواعظ : «تعرفت به فعرفت فيه الروح الأبويّ والوطنيّ المجاهد والأديب الكامل والشاعر الذي أخلص لأتمته ووطنه إخلاصاً منقطع النظير» .

وقال عنه ذو النون أيوب : « . . . مؤمن متدين الى حدّ التعصب ، متزمت متمسك بالقوالب الأخلاقية تمسكاً لا يقبل تأويلاً ولا تعليلاً ، كاره للتجديد الذي يجد فيه كل الجرائم التي سببت انهيار هذا المجتمع وتفسخه السياسي والاجتماعي والأخلاقي ، وذلك طبيعي جداً عند من حبس نفسه في داره بعد أن يثس من إمكان تبديل الفاسد وتقويم ما اعوجج من أمر هذا البلد» .

وقال محمد توفيق حسين أستاذ التاريخ العربي في جامعة بيروت الأميركية : «لم يسعد في حياته العائلية فحوّل حياة العائلة كلها شقاء . ولم يسعد في حياته العاملة فانسحب من معترك الحياة مخفياً بائساً . ولم يسعد في أماله الأدبية . . . ورأى أماله في

الحياة وآراءه الدينية والوطنية تتهاوى مندحرة ، فحزن وابتأس وعاش شقيماً .

وقال مجيد شوقي البكري في تقديم ديوانه «هدية الأحرار» : «فهو لم يكتب إلا ما شعر ولم يعرب إلا عن هاجس ، وما انقاد في كل ما كتب ، (اللهم غير الغزل والنسيب اللذين هما مسرح الخيال وفاكهة الشعراء) إلا لإحساسه وقلبه السليم . وليس له رائد إلا الإخلاص ، ولا قصد إلا وجه الله وخدمة الوطن والدين فالأخلاق فالإنسانية» .

### شعره

كان فاضل الصيدلي من أوائل شعراء الموصل الذين تأثروا بالنهضة الأدبية الحديثة ، فترك الأساليب القديمة وسار على نهج الزهاوي والرصافي وحافظ وشوقي وأندادهم . وقد نظم في المواضيع الوطنية والاجتماعية ، واستنهض الهمم المتقاعسة ، ووصف الأدوية والقطار والسيارة والسينما وكرة القدم . ووضع الأشعار الروائية على لسان المعتصم وموسى بن نصير والمقوقس صاحب مصر والأرمانوسة وعمرو بن العاص وغيرهم من الشخصيات التمثيلية .

وقد عدّ الصيدلي رسالة الشعر رسالة خلق وهداية فقال :

الإن شعراً ليس يدعوا إلى هدى      فذلك شعر لا يقام له وزنٌ

لكن بيانه كثيراً ما يقصر عن شأو شعراء النهضة الحديثة البارزين .

رأى أهوال الحرب العظمى التي فتكت بالبشرية سنة ١٩١٤ فقال :

لقد فاجأتنا بالمصائب والردى      ليالٍ تردّت بالمكاييد والغدر  
فليت الذي قد حلّ فينا من العنا      بأعدائنا ، بل بالليالي وبالدهر  
فياليت شعري ، ما يكون مصيرنا      وماذا لنا قد أضمر الدهر من نُكرٍ؟  
فإن كان خيراً فالمراد ، ولم أخل ،      وإن كان شراً فالزمان أبو الشرِّ  
وإننا لفي يوم تشيب لهولاه      نواصي الرزايا السّود لو أنّها تدري  
وإننا لهذا اليوم في وسط لجة      فإمّا إلى قعر وإمّا إلى قفر  
وإنما حياة بعد موت مريثة      وإلا فمَن قبل الممات إلى القبر

وأنكر على الإنسان عدوانه على أخيه الإنسان وخوضه غمار الحرب الطاحنة فقال :

ألا هل ترى الإنسان قد فقد اللبّا      إذ اختار غير الخير واستهل الصّعبا  
طنى فبغى واستبدل الغيِّ بالهدى      فجرّ على أبنائه الويل والكربا  
لماذا ، لماذا ذي الرجال تطاحت ،      وما ذنب هاتيك النساء التي تُسبى؟  
لمّ البغي والعدوان في غير طائلٍ؟      ألا شاه وجه الحرص كم أمة أصبى . . .

ونعى على المجتمع ضعفة الأخلاق ورواج النفاق فقال :



شكوت لصاحب إدار حظي  
قلت له: اهديني، جوزيت خيراً،  
فجئت السوق، سوق العصر، أبغي  
رأيت الناس قد حاموا عليه  
فلم أظفر بشيء منه، لكن  
وقد آمن بالعزة، والإباء والكرامة، فلنستمع إليه يقول:

إنما العيش عزة وإبـاء  
والذي يبتغي الحياة صفاء  
فحياة الانسان علم وعز  
وما لذة الحياة في مذهبه؟  
وعلى العيش دون ذين العفاء  
ليس تظفي أوامه الاقضاء . . .  
وحياة الانعام تهن وماء

لذة العيش صحة وشباب  
وكفاف وكفاء زوج لها من  
وقد هوى الشعر فقال:

إني ليطربني السماع فأسكـر  
ويميل قلبي للغرام مع الصبا  
فالشعر لهوي والمحاسن لذتي  
فأظل أشدو كالهزار مغرداً  
ويروقني نظير الجمال فأشعر  
فأروح نشواناً به أتبختر  
والصوت كأسي لست عنه أصبر  
برقيق وصف كالمدامة يقطر

ودعا الى العلم والنهوض فقال:

طلول العلم والعصر الخوالي  
ألا يوماً لنا بين الليالي  
ويا عهد المفاخر والمعالي  
رجاء في تلاق كالمحال

فيرجع فيك جيد العيش حالي؟

وصالاً منك، يا علم، جديدا  
بحقك لا تضع فيك النشيدا  
وعد عوداً ولا تعد الوعودا  
وبدل نحس طالعنا سعودا

فندرك صبحنا قبل الزوال . . .

بهجرك شرقنا أمسى ظلاما  
مشينا القهقري ومشى أماما  
وأضحى الغرب فيك لنا إماما  
ويا ليت اقتدينا حين قاما  
لسعي فيه قد بلغ المعالي . . .

متى هذا العراق يقرّ عيننا  
فبادر قبل أن يُقضى علينا  
ونجلو عن ثنانا فيك زينا  
جعلتْ بدمتي إن عدت دينا  
بأن أقضي بخدمتك الليالي

هام الصيدلي بحبّ وطنه وقومه فندب تأخرهم وطلب لهم اليقظة والمجد والحرية  
والعلی ، ونظم في ذلك قصائد كثيرة . قال :

أيشرب الغير برداً من مواردنا  
أعيذ قومي ، وقومي من عرفتهم ،  
يا آل يعرب ، تهضاً للرجوع الى  
لقد كفانا رقاد ملء أعيننا  
وهاً لأيامنا الغرّ التي سلفت  
ونحن نشربها حاراً وغسلينا؟  
من أن يساموا على الإذلال توطينا  
عهود مجد لنا أضححت تناديننا  
فإنّ هذا التواني كاد يُزديننا  
متى تقرّ بلبقهاها ماآقينا؟  
وقال :

وطني ، كيف ، والحبيب حبيب ،  
كيف أنسى منك الأيادي وفضلاً  
كيف أجفوك ، والجفاء عقوق ،  
وطني ، أنت ملجأى وملاذي  
عقدت بينك الولاء وبينني  
لك أسلو أو عن هواك أنوب؟  
له منّي بكل عـزقي ديب؟  
وأنا في حمى ثـراك ريب؟  
وشفـائي في عـلتي والطيب  
فطرة حـرة ودين صليب  
وقال نادياً :

تولت عن حمانا المكرومات  
وساد على النفوس هوى الأعادي  
تعالى الله ، يا قومي ، لماذا  
هدمتم مجد آباءٍ مشيداً  
بنوك ، بنوك ، يا أوطان ، خانوا  
لقد عاد العراق غريب قوم  
وأضحى العرب عُرضة كل رام  
وصار الشرق مطمح كل عين  
فلا صدق هناك ولا ثبات  
لحبّ الذات ، فلتنها العداة  
وحتىّ مّ التهوان والسبات؟  
فمن بيني وقد عدم البناة؟  
فمن يحمسي إذا سرق الحياة؟  
فلا أهل تقيسه ولا رعاة  
وأمسى العرب ليس بهم رماة  
ولا عين تـردّ ولا زقـاة

وقد خانت بذمتها الثقات؟  
لدى ضيم فقد رضي الأباة

وأخلق ثوب العدل أو كاد يخلق  
ولا الوعد مفعول ولا القول موثق  
فقلت: كذبتهم، ها هو الفعل أصدق  
ولو سكت الأشهاد فالحال ينطق  
بموت حقوق دونها النفس تزهد

بمن تثق المواطن بعد هذا  
فلا تذكر أباة الضيم يوماً

وقد بكى شاعرنا الحق المهضم فقال:  
قضى الحق إلا ما به يتمطق  
فلا العهد مسؤول ولا الشرط أملك  
يقولون: نبغي الحق، والفعل عكسه،  
يقولون: نقضي العدل، والنقض ظاهر،  
وما رزى الأقسام تالله رزءهم

\*\*\*

### الشقاء والصيدلي:

وسم الشقاء شاعرنا الصيدلي بميسمه، فرافقه رفقة العمر وناء بأثقاله وأوصابه .  
ولقد وصف الشاعر الفرنسي ألفرد دي فنيي (1797 - 1863) Alfred de Vigny  
الشقاء في قصيدة له فقال:

«يجوس الشقاء خلال المدائن الباهتة، وقد لاذ بأذياله شبح الانتحار العاق، يرقبنا  
على عباتنا الوجلة طالباً فريسته .

فيسمع الشباب المنغمس في ملذاته ويتأوه ويدبل ريعانه، ويهبط الشيخ الى قبره كما  
تسقط أوراق الشجر، وقد حرم الجذوة التي تنعشه وتغذيه .

«أين المفز؟ لقد جلس الشقاء ذات يوم على عتبة داري، وأنا أحمله منذ ذلك الحين  
في غضون أبيامي المكفّهرة .

«تلك أجنحته المفجعة تطبق عليّ كالرداء القاتم، في وهج الشمس وغيابة الدياتي  
وفي كل صقع ومكان . تلقني ذراعاه الجشعتان بالأمهما، وتشهر يدها الدكناوان المدينة  
على فؤادي . . .»

ونظم الشاعر الإنكليزي توماس غراي (1716 - 1771) Thomas Gray نشيداً الى  
الشقاء، فخاطبه قائلاً:

«أيها الشقاء، ذو الحول والطول، مروّض القلوب البشرية، يا من يخيف الأشرار  
بسوطه الحديدية وساعته الرهيبية ويتلى الأخيار الطيبين . . .» .

ووصفه بأنه يربط بسلاسله المتجبرين فيذيقهم طعم الألم ويترك الطغاة لابسِي  
الأرجوان بثّون، وقد عصرت الغصص أرواحهم عصراً، لا يرحمهم أحد في وحدتهم  
القاسية .

ثم يبتهل الشاعر الى ربّة الشقاء ويسألها أن تسبغ على قلبه الرّقة لا الجروح والكلوم ،  
وأن توقد شرارة النّبل المنطفئة في أعماق ذاته ، وأن تلقنه المحبّة والصفح والغفران ،  
وتستلّ شوائبه ومعائبه ليعرف نفسه رجلاً .

أما شاعرنا الموصلي فتغنّى بالبؤس والشقاء في أكثر من قصيدة . قال :

خلقت ، ويا ليت لم أخلق ،	لكل شقــــــــــــــــاء ، ومن للشقي؟
تطاردني عاديات الخطوب	ولو أنني لذت بالأبلى
سئمت الحياة وعبء الحياة	وصرت من الموت لا أتقي
حياة مضت كلّها مُرّة	وهيهات تحلّوها قد بقي
فحظي استعمار سواد الشباب	ولون ضميري دهى مفرقي
شباب تولى بلا طائل	وغصن تدلى ولم يورق
ولكننا أثقلتـــــــــــــــــه الهموم	فأوهت قــــــــــــــــواه فلم ييسق . .
ولي طالع أين وجهته	أبى أن يعــــــــــــــــود ولم يُخْفِقِ
وأحلام سؤل تعلقتــــــــــــــــها	ولكن بها الكفّ لم تعلق
ولييس طمّاحــــــــــــــــي لئلا ولا	منالٍ له لست بالشّيق
ولكن لما لم يُحْمِ حــــــــــــــــولــــــــــــــــه	ســــــــــــــــواي وفي العصر لم يُنْفِق
ونُصرة حق وــــــــــــــــوم ودين	وخلّق أراه على مــــــــــــــــزلق

وقال :

سئمت حياتي بعد فقد شبّابها	ولو تشتري بالموت كنت أبيعها
حياة الفتى عام به الصيف والشتا	حروراً وبردأ والشباب ربيعها
إذا ما انقضى عهد الشباب تقلصت	ظلال حياة ثم أقوت ربوعها
على أنني ما فزت في لذة الصبا	ومرّت حياتي بالهموم جميعها

وقال :

يا عيش ، إنك نُكــــــــــــــــرُ	فهل لــــــــــــــــذنبك عُــــــــــــــــذرُ؟
إن لم تكُ الموت حقــــــــــــــــاً	فأنت منــــــــــــــــه أــــــــــــــــمرُ
إن كــــــــــــــــان بعضك خيراً	فــــــــــــــــإن جأــــــــــــــــك شرُ

وقد رأى النحس حتى في طلعة القمر ، فقال :

أطلّ علينا البدر جلدانً ضاحكاً	يشرّتا بالنحس والويل والشقّا
فلا كنت ، يا شهر الفجائع ، طالعاً	ففيك قضت آمالنا ولك البقا

ساء ظنّه في الناس والإنسانية فقال :

بكل الناس حتى في نفسي  
لما قد مرّ من عجب برأسي  
ومما أغنى التصبّر والتأسي  
وأنفّر وحشة من كل إنسي  
بأن القوم من أبناء جنسي

بلوت الناس حتى ساء ظني  
وعاشرت الأنعام فشبت غماً  
وكدت أموت من أسف وحزن  
وصرت أودّ لو أنست جنساً  
وأخجل مطرّقاً لما أراني

لقد ساء ظنّه حتى في نفسه ، وقال نظير ذلك محمد رضا الشيباني :

كلّنا يطلب ما ليس له كلّنا يطلبه  
وضجّ الصيديل بالشكوى من سقوط الأخلاق وموت الفضيلة وانتشار الرذيلة  
فقال :

فيا ويح قومي للرزية ، واويلا  
أحبّوا على باقي الثنا عرضاً بيلي؟  
وبالجهل باع العلم أكثرهم جهلا  
لها أثراً في العصر فعلاً ولا قولاً

هوت رفعة الأخلاق للهوة السفلى  
أضلّوا طريق الحق والرشد حينما  
أضاعوا ثمّاهم مدّ شروا بالهدى الهوى  
وعن كرم الأخلاق زاغوا ، فما ترى

حتى يقول :

أراها أذاعت بيننا الغش والغلا  
وتلوّنت في طورها الأزمان  
أهل الزمان فليتهم أقران  
ما كان أعلى شأنه الإنسان

وإني لأزري بالحضارة عندما  
وقال في قصيدة أخرى :

مات الوفاء وخانت الإخوان  
وتقلّبت ظهراً لبطن مثله  
لهفي على خالي العصور وأهلها

وقد بلغ من ربيته وسوء ظنّه أنه حدّر القمر قبل أن يغزو الإنسان القمر، فقال :

فقد نوى لك شراً ، ويحك ، البشر  
فدمّروها وظنّوا أنهم عمسروا  
يرموك في شرك الأنكاد ، فالحدّر

إن رمت تسلّم فاغرب ، أيها القمر،  
جاسوا خلال نواحي الأرض قاطبةً  
واليوم مدّوا شباكاً للسما لكبي  
وقال :

هل أنت مثلي معني ، أيها القمر؟  
فراح يعبك فيك الكحلّ والخوّر؟  
قرارك الوجنات البيض والطّرر؟  
رياضها أم شجاك العود والوتر؟

ليلي وليلك ، يا بدر الدجى ، سهر  
هل غازلتك لحاظ الغيد من بُعْدِ  
أم قد دهاك هوى الغزلان أم سلبت  
أم هاج وجدك الحان البلابل في

أم أنت تعشق من ذي الشهب جارية  
أم أنت مثلي من الأيام في نكد  
وكذلك نرى شاعرنا قد افتقد البهجة والهناء ولم يجد صديقاً يبته ألمه وشجاءه ،  
فخاطب القمر وباح له بأسراره :

هيهات ، يا بدر ، ما لي ليك في  
أبيت منفرد المهجران محتجباً ،  
وأنت تمرح في علياء واسعة  
وإن هوى لك نجم بتّ مكتباً ،

أحبّ الصيدلي التمثيل المسرحي فقال :  
إنّ للماضين روحاً تنجلي  
إن للغيب لمرآة بها  
وهي التمثيل والفنّ الذي  
فهي من جسد علوم وحجى  
وهي النزّهة للنفس ، بها

ووصف كرة القدم قائلاً :

كمروق السهام بعد السهام  
ترتقي للفضاء شوطاً وتهوي  
كرة حوّم الرمّة عليها  
بين خطف وبين جذب ودفع  
بين كسرّ وبين فرّ وزحف  
حيرتها الأضداد أين تؤولي  
ذا ليؤمنى وذا ليسرى وهذا  
لا تكاد الأنظار تثبت فيها  
أو خيال الأديب عند ارتجال  
أو كقلبي من السوجب وجيفاً

ووصف فوارة ماء فقال :

وفوارة ترمي بقضبان فضة  
ويخرج كالسلك النضيد مُسَلْسَلاً

وحال بينكما التغريب والسفر  
فصرت تطلع حيناً ثم تستتر  
وكذلك نرى شاعرنا قد افتقد البهجة والهناء ولم يجد صديقاً يبته ألمه وشجاءه ،

صفو ، ولكن لي ليك كدر  
وأنت حولك تزهو الأنجم الزهّور  
وإنني رهن ضيق فيه أنحدر  
فما أقول وفي قومي هوى القدر؟

ما لها غيب وإن هم غيّبوا  
يُجْتَلَى من هـ الحجى والأدب  
ليس عنه غائب يحتجب  
ما بها هزل يُرى أو لعب  
يُجْتَنَى أنس ويجلسو طرب

وانقضاض الرجوم من أجرام  
مثل صقـر يجزّ فوق حّام  
ترتميهما الشبان بالأقدام  
واقترحام وحملّة وازدحام  
واستباق وخلفّة والتحام  
وجهها من تقاذف واصطدام  
لوراء يرمي بها وأمام  
لمرور بسرعة الأوهام  
أو كطيف الحبيب في الإلام  
واضطراباً لكربة أو سقام

من الماء يعلو للفضا ويرفرف  
ويلوي كمشور اللاكي ويعطف

إذا صعدت فهي السهام صواعداً  
فما هو إلا اللؤلؤ الرطب ساقط  
وإن هبطت فهي الشواقب تقذف  
على الأرض نثراً حين يهدي فيرجف

وهذا الوصف قد جاء على طريقة ابن المعتز العباسي الذي قال في الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة  
قد أنقلته حمولة من عنبر  
وقد سئل ابن الرومي لم يبلغ في تشبيهاته مبلغ ابن المعتز، فأجاب : واغوثاه ! لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . ذاك إنما يصف ما عون بيته لأنه ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف ؟ . . .

ونظم فاضل الصيدلي في الغزل والنسيب ، لكنه طوى هذا الباب من شعره في عهد كهولته وعفا عنه ، وكان تشبيهه مصنوعاً لا عاطفة فيها ولا حياة ، فمما قاله :

واعدتنا بوصولها الحسنة  
تصل الليل بالنهار وعوداً  
ولنا الوعد والوفاء لسواننا  
نحن همنا بحسنها فحرمنا  
وأنت من تشاء قريباً ولقيا  
أنفتننا وألفت بهواها  
قاضي الحب ، هل يجوز لديكم  
أنا أهوى والوصل يمينه غيري

وقال :

يا حمى ليل ، ويا أهل الحمى ،  
قاتل الله وشاة بيننا  
ليست ربي في الهوى أوقعهم  
لوعه الوجد وتبريح الهوى  
وتصاريف زمان لم يزل  
كيف ليل ، هل تراعي خلتي ؟ . . .  
فلكم قد سلبوا من نعمتي  
ليروا كم للهوى من غصّة  
ولظى العزل وحرر الغيرة  
كل يوم بسارزاً في عننة

وقال :

أمن الحور أم ظباء الفلاة  
غلط القائلون عنها فتاة ،  
هي شمس ، وفي الملاححة بدر ،  
ودعا حسنهما الأنام ينادي :  
أم سراج يضيء في الظلمات ؟  
أي شيء يعنون ؟ أي فتاة ؟ . . .  
وهي السريم ، ويك ، في اللفتات  
أيها الناس ، فانظروا معجزاتي

## الموصل والربيع :

وصف شعراء العرب فصل الربيع في مختلف عصورهم وأجاد الأندلسيون في ذلك أيما إجادة لجمال رياضهم وسناء طبيعتهم وشغفهم بالماء والخضراء . ولم يقصر المشاركة في ذلك ، فقال صفى الدين الحلي :

ورد الربيع فمرحجاً بوروده      وبنور بهجته ونور ووروده  
وقال أيضاً :

خلع الربيع على غصون البان      حلاً فواضلها على الكتيبان  
ونمت فروع السُّوح حتى صافحت      كَفَل الكتيب ذوائب الأغصان  
وتتوجت هام الغصون وضرجت      خدّ الرياض شقائق النُّعمان  
وتنوّعت بُسَط الرياض ، فزهرها      متباين الأشكال والألوان  
والظّل يسرع في الخيائل خطوه      والغصن يخاطر خِطرة النشوان . . .

وقد كان لشعراء الموصل القدر المعلى في وصف الربيع والتمتع بحسنه ومباهجه ، ولعلّ مردّد ذلك لبرد صقعههم ، فيقبح أهل الموصل في دورهم طوال الشتاء ، حتى إذا ما حلّ فصل الربيع ، اكتست البرية المحيطة بالمدينة والمطلة على دجلة بالورود والأعشاب وخرج إليها أبناء البلد زرافات ووحداناً ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، للنزهة والاستجمام واجتلاء محاسن الطبيعة ، يعقدون مجالس الأناجيس واللهاج البريء على بُسَط الحشائش السندسية ويتلذذون بالغناء والموسيقى تحت قبة السماء الزرقاء بين خريف الماء وحفيف الشجر . وصف شعراؤهم مجالس الربيع ومآدبه وتغنّوا بالطبيعة التي نضت عنها سربال الغيث والصقيع والضباب ، كما قال الشاعر الفرنسيّ القديم شارل دورليان Charles D'Orléans (١٣٩١ - ١٤٦٥ م) في مقطوعته الربيعية اللطيفة :

«إنّ الزمان قد خلع رداءه ، رداء الريح والبرد والمطر

واثترز بوشاح مطرّز من السماء الساطعة الصافية الجميلة .

ولم يبق من حيوان ولا طير إلّا تغنّى بلغته وصاح . . .

وقد لبس النهر والغدير والجداول حلّة أنيقة موشاة باللّجين والنّضار ، وجدّد كلّ شيء لباسه . . .»

ومن شعراء الموصل المحدثين الذين وصفوا الربيع أحمد الفخري ومحمد حبيب العبيدي . ومنهم شاعرنا فاضل الصيدلي الذي قال في تحية فصل الزهور :

بسم الربيع بزهره ووروده      فأقرّ عين الكون عند شهوده  
وشبيبة الأيام عادت غضة      فرحاً بإدبار الشتاء وجوده



فالروض يزهو في بديع حليته  
والطير بالألحان غنى مطرباً  
والغصن والأوراق هذي صققت  
والشمس فوق الورد ألتت نفسها  
والنرجس الزاهي تطلع شاخصاً  
كبرت إذ شاهدته متخاشعاً

وقال من قصيدة أخرى:

ما لهذا النسيم هبّ عليلاً  
ليت شعري أزهوة واختيالاً  
إن فصل الربيع طال بقاه —  
فيه تحمي الأرض الموات فتزهي  
هو سرّ الأزمان والدهر، لكن  
هو بيت القصيد في العمر، فاصدع  
غرة الدهر، شامة الحول، فيه  
ما أحيل الربيع في العيش، لو دام،

ثم يقول:

يا زمان الربيع، أنت شبابي  
أنت أوفى من الشباب ذماماً  
أنت تأتي فتوسع الأرض خصباً

والنبت يمرح في بهاء بروده  
والورد حرّك عُوده لنشيدته  
واهتزّ ذا طرباً بكلّ وجوده  
شغفاً لترشف من رحيق خدوده  
من كُمه بعيونه وبجيدته  
متواجداً بركوعه وسجوده

وأتى وانياً يجزّ الذبولاً؟  
أم سقاماً به دعاه كليلاً...  
لهو العيش ليو يعيش طويلاً  
فهو ينفي العنا وينفي المحولاً  
غير خافٍ معنى بليغاً جليلاً  
ثم رتل آياته ترتيلاً  
عاد طرف الزمان أحوى كحيلاً  
وإن كان دومه مستحيلاً

وشباب الأيام جيلاً فجيلاً  
كلّ عام تردّداً ومثولاً  
ورواءً وبهجة وبقولاً

ولئن كان ربيع الموصل فصل السرور والزهور، إن خريفها حزين يحمل النفس على  
الأسى والانقباض. وقد قال الصيدلي في ذلك:

فلا شاعر يهفو ولا طائر يشدو  
خيام له فالعيش وجهه مُسودُّ  
عبوس كئيب قاحل سبطه جعد  
هزيراً نحيفاً أو هو العظم والجلدُ  
فتبكي السّما وجرّداً، وما إن بها وجد  
ولا نورها فوق البسيطة تمتدّ  
يليه من الثلج المشيب لكدن يبدو

تساقطت الأوراق وانتشر العقيد  
إذا القيظ ولّى والربيع تقوضت  
ويبدو محياً للطبيعة كالح  
ويكشف عن ساقٍ به الروح حاسراً  
ويغتر وجه الجدّ كالأرض كاسفاً  
فلا الأفق بسّام ولا الشمس تزدهي  
تولّى شباب للطبيعة زاهر

إن حياة الشاعر الصيدلي كانت كهذا الخريف الموصل الذي أجاد وصفه، تناثرت أوراقه وتصورحت أزهاره وصمتت عنادله بعد التغريد والغناء، فلا عجب أن ودّع الأرض غير مشفق ولا آسف، يرجو في الموت أملاً لم تجده به الأيام.  
عرف من أبناء الشاعر فاضل الصيدلي عبد الحق وأكرم.

## عبد الحق فاضل

الأديب القاصّ اللغوي الدبلوماسي عبد الحق ابن فاضل الصيدلي ولد في الموصل سنة ١٩١١. تخرّج في كلية حقوق بغداد، ووظف أمدأ في وزارة المالية (١٩٣١) ومديرية الأوقاف العامة. ثم عاد الى الموصل ومارس المحاماة، وكان رئيس تحرير مجلة «المجلة» التي صدرت في تشرين الأول ١٩٣٨.

إلتحق بالسلك الخارجي فعين ملحقاً في المفوضية العراقية في طهران (١٩٤٥) فملحقاً أول في مفوضية أنقرة (١٩٤٦) فمفوضية كابل (١٩٤٨). ونقل سكرتيراً ثالثاً في طهران أيضاً (١٩٤٩) فسكرتيراً ثانياً في مفوضية روما (١٩٥٤). وأعيد الى ديوان وزارة الخارجية سنة ١٩٥٧ مديراً عاماً للشعبة الشرقية. عين بعد ثورة ١٤ تموز وكيلاً لوزارة الخارجية فمسيراً في بكين (١٩٦٠)، ولما سقط حكم عبد الكريم قاسم فصل من منصبه في نيسان ١٩٦٣.

مضى الى المغرب وانصرف الى الدراسات اللغوية. وعاد الى بغداد بعد نحو ٢٠ سنة، وتوفي بها في كانون الثاني ١٩٩٣.

أصدر مجموعات قصصية: مجنونان (١٩٣٩) فرح وما أشبه (١٩٤٠) حائرون (١٩٥٨) طواغيت (١٩٥٨). وله أيضاً: ثورة الخيام (١٩٥٢) ٤ نساء ٣ ضفادع (مسرحية، ١٩٦٨) مغامرات لغوية (١٩٦٨) الخ.

## الدكتور أكرم فاضل

أكرم فاضل الصيدلي ولد في الموصل سنة ١٩١٨ ودرس في مدرسة الصناعة، وعين معلم مدرسة ابتدائية في بعض القرى. ثم مضى الى بغداد ودرس في كلية الحقوق. وقد أطلع منذ حداثته بالأدب الفرنسي المترجم واللغة الفرنسية فدرسها على نفسه. وأوفد في بعثة دراسية الى باريس فدرس الحقوق في جامعتها وحصل على درجة الدكتوراه.

كان حيناً ما كاتباً في محاكم الموصل. وعين أخيراً مديراً للفنون والثقافة الشعبية في وزارة الإعلام في العهد الجمهوري فقضى في منصبه أعواماً طويلة، وأشرف على إصدار مجلة «بغداد» بالفرنسية.

أدرسته الوفاة ببغداد سنة ١٩٨٧ .

أصدر مجموعة شعر بعنوان «الكوميديا البشرية» (١٩٤٨) . وله كتب منها : مأساة الشعب الجزائري (١٩٦٠) . وقد اشترك في ترجمة رواية «الآباء والبنون» لإيفان تورغنيف (١٩٥٠) ، كما ترجم إلى العربية : يا حياة المنفى من مهنة شاققة للشاعر التركي اليساري ناظم حكمت (١٩٥٩) ، اللقيطة للسيدة لوسيت توفيق (١٩٦١) الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ - ١٩١٤ للسفير الفرنسي بيير دي فوصيل (١٩٦٨) أسطورة الشعب المختار (١٩٦٩) ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي (١٩٧١) . وله أيضاً : تعليقات على لهجة بغداد العربية للويس ماسنيتون (١٩٦٢) .

أكرم فاضل شاعر خفيف الروح إنسانيّ النزعة يرى العالم كله مهزلة ، فجعل عنوان مجموعته «الكوميديا البشرية» . لكن هذه «الكوميديا» في الحقيقة تحفي في طياتها «دراما» بل مأساة . وأبطال شعره البخيل والغانية والضحية والراقصة والحلاق والفلاح والحمال والشحاذ والفنانة البائسة ، فضلاً عن دون جوان الجاري وراء الحب ومحكمة الهرة والحظوظ بين المعدمين والمتخمين ومهزلة الغرام ودموع البائسين .

خاطب القارئ في مقدمة شعره :

أيها القارئ، هذا ديدني فارض أو لا ترض، فالأمر سواء  
وإذا مهاجرت أحسنت إلى شاعر يهوى هياج السخفاء  
وإذا لم تستسغ لفظي ولم تقبل فكري دون عناء  
فاطرح «الديوان» واعلم، يا أخي، أنني لا أستضيف الثقلاء . . .

كان شاعرنا رقيق القلب يحنو على البائسين ويتألم للمتألمين أشخاصاً وأماً . وبلغ به الحال أنه كاتب مجلة فرنسية تختص بالغجر البوهيميين . وقد نظمت قصيدة في الغجر فطلب مني ترجمتها إلى الفرنسية وأرسل بها إلى تلك المجلة لنشرها .

قال ذنون أيوب في مقدمة «الكوميديا البشرية» مقدماً صديقه الناظم إنه «شاب صغير السن، رقيق المزاج، تضيق نفسه ويضيق عقله وحسه بكل ما في الوجود من قيود، فينطلق على سجيته بعض الأحيان نائراً متجاهلاً كل عرف وتقليد، ثم يتبته فجأة كما يتبته المرء من حلم فيدرك أنه قد اشتط في سلوكه، فينكص على عقبه خائفاً خائباً تعباً . . .» ثم قال : «إني أعتقد أن أكرم من أولئك الذين لا يتقصدون أن يكونوا شعراء، ولكنهم يجدون أنفسهم شعراء، فيندفعون مع الشعر محاولين أن يثبتوا لهم قدماً فيه ويقطعوا شوطاً في مضماره» .

وقال إن شعره ليس من النوع الذي يرتفع إلى السماء السابعة ليشرف على العالم من عليائه ويعطي نتائج قطعية جازمة في الأخلاق والسلوك ومصير البشرية وعلل العالم،

بل يزحف على الأرض محتكاً بالملخوقات الزاحفة مثله من حيوان وإنسان، فيتبادل معها العواطف والإحساس بل والآراء أيضاً فما أكثر ما نراه في شعره «مشاهداً» في محكمة عقدت لعقاب القلط أو محامياً عن شحاذ أو متآخياً مع كلب . . . وهو بذلك صوفي بطبعه، لكن شطحاته مع المخلوق لا مع الخالق.

## محمد علي يعقوبي

الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب الحاج جعفر النجفي، الشاعر الخطيب، ولد في النجف في ٢٩ شباط ١٨٩٦، وكان والده الشيخ يعقوب شاعراً (١٨٥٤ - ١٩١١)، ولد في النجف وتوفي في الحلة. وقد حقق ابنه ديوانه ونشره سنة ١٩٦٢.

وانتقل والده الى الحلة سنة ١٨٨٣ إثر نزاع وقع بينه وبين إخوته على وقف لهم في النجف، وكان لهذا الاغتراب أثر عميق في نفس الشاعر الشيخ فقال:

تغرّبت عن أرض الغريّ، فلم تكن      تقرّ عيوني أو تطيب حياتي  
حبست ركابي عندها اليوم بعدما      أذبت عليها النفس بالزفرات  
مواطن آبائي بها وأحبتني،      وفيها مغناي أسرتي وسراي  
فمن تربها أصلي ومبدأ نشأتي،      وأرجو بها مشواي بعد وفاتي

ونشأ الفتى محمد علي في الفيحاء وأخذ عن والده مبادئ علوم العربية والدين، حتى إذا ما أدركته الوفاة سنة ١٩١١، انقطع فتانا الى السيد محمد القزويني الذي أحسن تربيته وتهذيبه. ثم خرج الى قرية جناحة على ضفة الهندية اليسرى واتصل بمحمد حسن أبي المحاسن وأفاد منه فوائد جزيلة في الشعر والأدب. ولما نشبت الحرب العامة التحق بالمجاهدين في الشعبية تحت لواء السيد محمد سعيد الحبوبي (١٩١٥). وعاد يعقوبي الى النجف سنة ١٩١٧ بعد تنكيل الأتراك بقيادة عاكف بك الأرنؤوطي بأهل الحلة، واشتهر خطيباً من خطباء المنبر الحسيني وداعية من دعاة الإصلاح الديني. وظلّ يتنقل بين الحيرة والكوفة حتى استقرّ في النجف، وتولى رئاسة جمعية الرابطة الأدبية فيها في كانون الأول ١٩٣٦. وتوفي بالنجف في ١٧ تشرين الأول ١٩٦٥. كان الشيخ محمد علي يعقوبي شاعراً مجيداً عرف بقصائده الوطنية التي أشادت

بذكر العرب من الريف والجزائر الى العراق وفلسطين ، وله ديوان خاص بمأساة فلسطين . وكان الى ذلك عالماً بتاريخ الأدب ، اشتهرت خزائنه بما ضمته من كنوز أدبية مجهولة تصدّى لنشر بعضها في أعوامه الأخيرة .

شعره وأدبه :

نشر ديوان الشيخ محمد علي اليعقوبي سنة ١٩٥٧ ، ومن آثاره الأخرى «البابليات» ، وهي مجموعة أدبية تاريخية في ثلاثة أجزاء (١٩٥١ - ١٩٥٥) . وله «المقصورة العلية» (في سيرة الإمام علي ١٩٢٦) «وعنوان المصائب» (في مقتل الإمام علي ١٩٢٩) والذخائر (في مدح آل البيت ١٩٥٠) وجهاد المغرب العربي» (شعر، ١٩٦٠) .

وقد حقق ونشر دواوين كثيرة، منها: الجعفریات (شعر جعفر القزويني، ١٩٥٠)، ديوان الشيخ عبد الحسين شكر (١٩٥٥)، ديوان الشيخ عباس الملا علي (١٩٥٥)، ديوان أبيه الشيخ يعقوب (١٩٦٢)، ديوان الشيخ محمد حسن أبي المحاسن (١٩٦٤)، ديوان الشيخ صالح الكواز (١٩٦٥)، ديوان الحاج حسن القيم (١٩٦٥) الخ . وترك في خزائنه دواوين شعرية أخرى لم يهتأ له طبعها، منها: ديوان الشيخ مير رشيد الهندي، وديوان سبط ابن التعاويذي، وديوان صادق الفحام، وديوان الشيخ علي الناصر.

وعرف اليعقوبي بارتجال الشعر وسرعة البديهة وحدة الذاكرة والظرف والفكاهة المشويين بالحشمة والوقار.

ويُتسم شعر اليعقوبي بنزعة إنسانية، فقد نشأ بين الشعب وعاش في أنديةهم وشارك في سرائرهم وضررائهم، فلا عجب أن رثى لحال فقيرهم ومريضهم وجاهلهم . ومما قاله في ألم الفقر ووطأة المرض :

يا شعب، ما أكثر هذا العنا	من هاهنا طوراً ومن هاهنا
قد علقت فيك، ولا منقذ،	مخالِب الفقر وناِب الضننا
خطب عظيم الوقع، لكننه	يسراه من لم يعننه هيتنا
ألم كالضيف ثقيلاً، أما	أن لهذا الضيف أن يظعننا؟
في مدن الشعب وأريافه	ما شطّ منها نائياً أو دننا
ما أكثر الشاكين، لو أنهم	تمكنوا أن يطلقوا الألسنا
من يَر أهليك ومانا بهم	لم يَر إلا منظرراً محزنا

وكم لذى الفقر بجنح الدجى  
مستعذباً من دون آلامه  
يكنتم ما فيه لفرط الإيما،  
يا موطناً كنا سعدنا به  
حملت أعباء الخطوب التي  
تنن من سقم ومن فاقية،

ومن شعره في رثاء يوسف رجيبي:

ما مرّ ذكر أولي المكارم والوفاء  
أولست في الأحداث أربط منهم  
لك نفس حرّ للعلی وثابة  
كم موطن قد كنت أشجع واقف  
لا قستُ فيك معاشراً لم يعرفوا  
العابدين هياكلاً منصوبة  
جهلوا مبادئك التي ما شاها  
كم محنة في الشعب غصّوا دونها  
فمضوا وسلطتهم مضت في إثرهم  
وتركت دنيا لم تدع من وفرها

وقال في رثاء سعد زغلول:

يا مصر، ما لصباح شعبك حائل؟  
يا مصر، ما نزلت حماك كهذه  
عصفت على مصر فمالت دهشة  
ما خصّ هذا الزرع شعبك وحده  
فجعت بنوك بمنقذٍ ومحور  
ذهب المؤمن والزعيم المرتجى

حتى يقول:

يا قطب دائرة السياسة كلما  
ما قمت عن مصر تجادل وحدها

من لوعة ما ذاقها ذو الغنى  
ورد المنايا، وهي أقصى المنى  
والبؤس ييدي سرّه معلنا . . .  
دهراً فأضحى للشقا موطنا،  
تكاد منها الهضب أن توهنا  
هل غاية الحالين إلا الفنا؟

الآ وكنت لذكرهم عنوانا  
جاشاً وأثبت في الخطوب جنانا؟  
تستصغر الأحوال والحدثانا  
فيه وكان سواك عنه جنانا  
للفضل مقياساً ولا ميزانا  
كالجاهلية تعبد الأوثانا  
دنس، فكنت أجلّ منهم شاننا  
طرفاً وكنت الشاهر اليقظانا  
وبقيت أنفذ منهم سلطانا  
إلا الثنا والمجد والإحسانا

غربت دُكّاك وبدر سعدك آفل  
طخياء جاء بها القضاء النازل  
هضب الشأم لها وماجت بابل  
لكنه لشعوب يعرب شامل . . .  
وأب يكافح دونها ويناضل  
فاستياس الراجي وخاب الأمل

طاش الحليم بها وحوار العاقل  
بل عن جميع الشرق قمت تجادل . . .

إن تمض فالشرف الذي خلّده  
أو يخلّ منك بمصر أكرم منزل  
ولأن طويّت فقد نشرت صحائفها  
خلّفت بعدك أمة أيقظتها  
نهضت بأعباء نهضت بها وما  
ما مات من بقيت بأنديّة العلي

باقٍ وذكرك في حياتك كإف  
فلك الخواطر والقلوب منازل  
عنوانن مناقب وفضائل  
للعرز، ليس بها نؤوم كإس  
وهنت لها عن حملهنّ كإه  
تشني عليه أوأخر وأوائل

\*\*\*

ومن لطيف شعر اليعقوبي:

من عادة الناس للأصنام تعبدها، من حطّة النفس لا من رفعة الصنم  
ولا أنسى سفرة لطيفة إلى النجف وربوع الفرات قمنا بها في شتاء ١٩٥٠ برفقة  
الصديقين أحمد حامد الصّراف ومصطفى جواد، ثم صحبنا الشيخ محمد علي اليعقوبي  
إلى كربلاء. كان الطريق وعراً غير معبّد، كثير الغبار تثيره عجلات السيّارة فيملاً  
الخياشيم ويعلق بالوجوه والثياب، لكننا قضيناها نستمتع إلى لطائف اليعقوبي وبدائعه  
الشعرية والنثرية، حتى بلغنا مدينة الحسين ولم نكد نصدّق أننا قطعنا تلك المرحلة ولم  
نشعر بمزعجاتها. ولعلها كانت المرة الوحيدة التي رضي فيها الصّراف أن يفسح لغيره  
مجال الكلام فلا يحتكره ويستأثر به على جاري عادته.

إشتهر محمد علي اليعقوبي خطيباً من خطباء المجالس الحسينية، وكان يقيم في بداءة  
أمره في بلدة الحيرة المعروفة باسم «الجعارة». ثم علت شهرته وانتقل إلى النجف سنة  
١٩٢٩ أو بعينها وصار ينافس أبرز خطباء ذلك العهد وهو السيد صالح الحليّ.  
وتطرق جعفر الخليلي في الجزء الثاني من كتابه «هكذا عرفتهم» إلى ذكر المنافسة بين  
الخطيب المخضرم والخطيب الناشئ، فقال إن نجم السيد صالح بدأ بالأفول، وبدأ  
نجم اليعقوبي بالصعود، على الرغم مما كان يوجهه الحليّ إليه من نقد وتنديد وصراحة  
وكناية. فقد كان السيد صالح - كما قال الخليلي - سليط اللسان جريئاً يخشاه أجراً  
العلماء. وكان اليعقوبي مسلماً عفّ اللسان بعيداً عن اللمز والغمز، ولذلك لم تبد منه  
ولا كلمة شائنة في حق السيد صالح وإنما كان يظهر عليه باطلاعه الواسع ووقوفه التام  
على التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب: فقد كان اليعقوبي موهوباً، وكانت له ملكات  
طبيعية ممتازة نهاها وصقلها أبوه الشيخ يعقوب الذي كان هو الآخر من خطباء المنبر  
الحسيني البارعين.

وقال الخليلي إن اليعقوبي عرف بسعة الاطلاع والعلم والظرف والأدب وصوغ النكتة  
وسرعة الخاطر، كما عرف بارتجال الشعر وصناعة التاريخ المنظوم. ويزخر شعره بالبديع  
من الجناس والتورية والأمثال والتضمين يرسله عفو الخاطر بلا تكلف ولا تعقيد. ومن

طرائفه أنه هجا شاعراً تنقّص المتنبي فقال :

يا هاجياً ربّ القوافي «أحمداً» بلواذع من قوله وقوارص  
حسبي وحسبك في جوابك قوله : «وإذا أتتكم مذمتي من ناقص!»

## ابراهيم أدهم الزهاوي

الشاعر إبراهيم أدهم بن الحاج صالح بن المفتي محمد فيضي الزهاوي ، ولد في بغداد  
في ٣٠ كانون الأول ١٩٠٣ ، ودرس في مدارسها الابتدائية ثم حضر دروس عبد المحسن  
آل بكتاش وقاسم القيسي وأحمد الزهاوي . وانتمى الى جامعة آل البيت وتخرّج فيها سنة  
١٩٣٠ . وقرض الشعر صبيّاً ، فبرز فيه تبرزاً حتى لقد أمل عمه جميل صدقي الزهاوي  
أن يكون خليفته .

كان عنيفاً في وطنيته وتدينه ، غريباً في أطواره ، متقلّب النوازع والأهواء ، فحفلت  
حياته بالمآسي والمناقضات والآلام . وقد اشترك مع عبد الستار القراغولي في طبع ديوان  
صديقهما نعمان ثابت عبد اللطيف باسم «شقائق النعمان» (١٩٣٨) وكتابه «الجنديّة في  
الدولة العباسية» (١٩٣٩) . ووظف كاتباً في وزارة الشؤون الاجتماعية (كانون الثاني  
١٩٤٠) فلم يطق قيد الوظيفة طويلاً وتوفي ببغداد في ١٥ آب ١٩٦٢ .

ألّف كتاب «إبطال اللانهاية في الفلسفة» (١٩٤٧) . وجمع شعره عبد الله الجبوري  
وطبعه في القاهرة بعنوان «اللهفات» (١٩٦٩) .

شعره :

له شعر وطني واجتماعي متين ، شديد اللهجة .

فمن شعره الوطني :

لنا مثلها للغاصبين سواعد	فما بالننا عن مجدنا لا نجالد؟
وأبي حياة هذه فنلذّها	لأيسر منها يشتهي الموت خالد
وإننا لفي عصر تيقظ أهله	فأدرك معنى العيش حتى الخرائد
فلا تطمعن الغرب فينا فنونه	فما هي إلا رغبة وعوائد
لنا أصلها النامي ، وهل من عجيبة	إذا انتقلت منه إلينا الزوائد؟
فنحن الألى لولا نتاج عقولنا	لما كانت الدنيا على ما نشاهد
لئن قابلونا بالإساءة والأذى	فما عرفت غير العضاض الأسود



جزى الله عنا الحادثات فإنها  
فيثبت ودّ بين شعبي خالص  
فلا يرتجوا من بعد هذا وادنا  
خرجنا عليها وهي منّا قريبة  
فهل وضعت أغلالها عن رقابنا  
فأين ادّعاءات لهم يدّعونها:

ومنه:

يا بني العرب، والحروب سجّال،  
وحدوا وحدوا الصفوف ولا تستـ  
لا تميّزكم السديار ولكن  
فهي لولا تخاذل السائسيها  
وقال:

أنا الداعي إلى أمجاد قومي  
وأدفع عنهم طعن الأعادي  
أعدّ منهم بيض الأيادي  
فكل يد لهم جمحت سنان

وقال في رثاء سعد زغلول زعيم مصر:  
هي الأعمار أثواب تعار  
وأيام تديم التحس حتى  
تغير خطوبها في الناس ترى

حتى يقول:

كذا الدنيا شؤون الدهر فيها  
لحاهها الله لم تترك عليها  
فملك العجم مغبر النواحي  
فلا أمر الجزيرة مستقر  
ولا حكم الجزيرة في بنيتها  
فقد أمسوا حيارى في ديار

تقارب ما بين السورى وتباعدا  
ويمحق ودّ بين شعبي فاسد  
لقد خابت الآمال والترك شاهد  
إن اختلف الأصلان فالدين واحد  
لتخلفها أغلالهم والمقاود؟  
أتلك ثعابين وهذي قلائد؟

والليلي بمن تحطّ تقوم  
صعبوا السهل فهو خلق ذميم  
لغة الضاد والتجار الكريم  
لم يفرّق ما بينهما التقسيم

أذكرهم عهد الأوليننا  
فأترك شلو طاعنهم طعينا  
على أهل البسيطة أجمعينا  
تراه بقلب جاحدها مكينا

وأوقات تزور ولا تزار  
تساوى الليل فيها والنهار  
وما غير النفوس لها مغار

شؤون في مجاريها بحار  
مكاناً يجتبي فيه الجوار  
وملك العرب أنذره البوار  
ولا قطر العراق له خيار  
ولا في الشام للأحرار دار  
شعار القاطنين بها الصغار

وتخبرهم — إذا سألوا — الشِّفار  
فما لبَّت لها الدِّعوى نزاراً  
يهدِّه إذا وثب السِّدم مار  
على كـرب وتمّ له الخسار  
أذاعتها المقـاوز والبحار  
خشيناً أن تشبَّ بهنَّ نـار  
أُميرٍ وسعددها ذاك المـار  
منها من حشاشته الشِّفار  
فلم يؤخِّد لها فيهنَّ ثـار . .

وكان سيء الظن بالناس، يراهم يميلون إلى الشرِّ، يحفلون بالغنيِّ ويظلمون الفقير والضعيف، لا يخضعون إلا للقوة القاهرة ولا يتمسكون إلا بأهداب الغنيِّ، ويسعون إلى المنافع ويغترّون بالمطامع. فإذا جادوا بالمال أو طلبوا العلم قصدوا التباهي والتعالي والتفاخر. وهم يثيرون الحرب تارة باسم الدين وطوراً بحجة نشر العلوم والفنون وإحياء المكرمات وجمع الشتات:

محال، وإن خيل في الممكنات،  
خلا نفراً شُدَّ في طبعه  
وقد يخرج الحي من ميت  
فرفقاً بنفسك أن تستغرّر  
فما الناس مزرعة للصلاح  
ركون الأنام إلى الصالحات  
فكاد يعدّ من المعجزات  
وقد يخرج الميت من ذي الحياة  
بهاء يسباق لأرض موات  
ولا معدن الفضل والطيبات

\*\*\*

كتب إبراهيم أدهم الزهاوي في سنة ١٩٣٦ كلمة خطية موجزة يترجم فيها لنفسه بضمير الغائب، قال منها:

«إبتداً ينظم الشعر وعمره ١٧ أو ١٨ سنة، ولو قرأ العربية قبل ذلك لنظم الشعر قبل هذه السن. وهو شديد النقد لشعره، لا يثبت منه إلا ما جزل لفظه وحسن معناه. وينظم في كل زمان ومكان، وأكثر ما ينظم في المقاهي، ولا يبالي بما يكون حوله من الضجيج، لأنه لا يحسّ به أثناء النظم لاستغراقه فيه. وهو لا يكتب شيئاً مما ينظم حتى تتمّ القصيدة، فيكتبها حينئذٍ بنفسه أو يملئها على أحد معارفه. وأحب الشعراء إليه من المتقدمين أبو الطيب المتنبي، ومن المتأخرين أحمد شوقي، ولا يقدم على المتنبي شاعراً، ويحفظ كثيراً من شعره، ويعتبره أستاذه. وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة

ترجم فيها المتنبي :

أنت علمتني نظام القوافي أنت أعليت في البلاغة كعبي  
لم يجل بيننا التراب، وأتسى لكـرى أن يغيب بـالمتنبي

وهو شديد الولع بمطالعة الكتب القديمة والحديثة، ولا تكاد تراه إلا ومعه كتاب يطالعه، ويرى في ذلك سعادته. وهو لا يحب الظهور ولا يسعى له، لأن حب الظهور عنده رياء، والرياء من أقبح خلائق الإنسان وآلامها، لأنه غش، ومن غشنا فليس منا. وقد حرق شعره مرة وصمّم على ترك نظم الشعر، فلم يلبث طويلاً حتى عاد إليه، لأن الشاعر غير مختار في نظم الشعر، ولو ظن أنه مختار بحسب الظاهر، بل ليس في الكون كله حركة اختيارية إذا أمعنت النظر ولم تتخدع بالظواهر. والنثر عنده أفضل من الشعر، لأنه الأساس الذي قام عليه رقيّ البشر، والله لم يخلق الإنسان إلا للرقّي، وليس في استطاعة الشعر أن يقوم مقامه، بل متى تورّط في ذلك خرج عن أن يكون شعراً. ويرى أن النثر العربي قد بلغ في هذا العصر شأواً بعيداً من الجودة لم يبلغه الشعر، إلا فيما خلّده شوقي من الآيات البيّنات. ولا يرى في ذلك عيباً على اللغة ولا قصوراً منها، لأن الشاعر من مواهب الطبيعة تهبه متى تشاء، وقد تشخّ الطبيعة بالشاعر النابغ وتهادى في شحّها أجيالاً كثيرة وعصوراً متطاولة.

قال حسين الظريفي :

« . . . والمرحوم إبراهيم أدهم الزهاوي كان معجباً، بل كلفاً، بشعر المتنبي، فتراه متأبطاً ديوانه في كل أنائه، وإني لأعجب كيف لم يحفظه مع طول قراءته له، كما كنت قد حفظته في صيف العام قبل الماضي وكما حفظه أخوه عبد الرزاق الزهاوي.

«إن بين المتنبي والزهاوي أكثر من شبه واحد، وقد انعكست هذه المشابهة في شعر الرجلين. وهي مشابهة موروثية لا يد فيها لأيّ منهما. وإن وقائع الحياة التي يمرّ بها الإنسان تتولّى ما انتقل إليه إرثاً من الآباء والأجداد بالصقل أنا وبالطمس أنا آخر، بحسب ما تكون عليه تلك الوقائع من تفاعل مع المواريث تفاعلاً موجباً أو غير موجب.

«وأول هذه المشابهة تلك الشخصية القوية التي يتأثر بها القارىء تأثراً يصل به الى عمق الانفعال، فتراه مأخوذاً ببريق ما يقرأه وكأنه يركض به في فهم المعنى الطافي على وجه ألفاظه فهماً مبهرراً، ومن ثمّ يكون مؤثراً، حتى إذا تكرّرت النظرة ظهر له في ما يمكن أن يحمل عليه من مأخذ . . .»

وأضاف حسين الظريفي أن المتنبي سلك في شعره كله طريق الغوص على المعاني أولاً، ثم إيجاد القوالب الشكلية لها بعد ذلك، مستجيباً فيما قدم وأتخر الى نداء الطبع فيه. وكذلك فعل إبراهيم أدهم الزهاوي، فإنّ المعنى الطافي على وجه شعره يكاد

يخطف البصر. ولكن متى انتهت الهزة الأولى وأعاد القارئ أو السامع مع النظر في البيت إعادة الناقد الهاديء، تبين له أن وراء ما عليه من طلاء ظاهر باهر شيئاً يستوقف النظر. . . (جريدة التأخي، في ٩/٣/١٩٧١).

وكتب عبد القادر البراك عن إبراهيم أدهم الزهاوي فقال: «إن الزهاوي الصغير كان من الكتاب المقتدرين وقد تجلت قدرته الكتابية وأحاطته بالعديد من العلوم العقلية والنقلية في الفصول التي ردّ بها على آراء عمه الشاعر المتفلسف المرحوم جميل صدقي الزهاوي في الفلسفة والفلك والكون وغير ذلك مما تضمّنه كتابه «المجمل مما أرى». . . كما سبق له أن نشر مقالات في الدفاع عن الشعر العمودي يوم انطلقت الدعوات إلى الشعر المرسل والشعر المطلق والشعر الحر في مطلع القرن الحالي، فكان يحقّ أول المدافعين عن عروض الخليل والذاتين عن اتهامه بعدم وفائه بالتعبير عما استجدّ من أغراض الشعر الحديث. هذا إضافة إلى المقالات العديدة التي ناقش بها فيلسوف الفريكة أمين الريحاني حول ما تضمّنه كتابه «قلب العراق»، والمقالات الأخرى في المل والنحل والمعتقدات والتي يعتبر كتابه «إبطال اللامهية» المطبوع في القاهرة في أواخر الأربعينات من أهم نأذجها».

هذا وقد جمع عبد الله الجبوري ديوان شعر إبراهيم أدهم الزهاوي وطبعه في القاهرة سنة ١٩٦٩ مع دراسته بقلم الدكتور شوقي ضيف.

## عباس الخليلي

الشاعر الأديب العراقي المغترب في إيران عباس بن أسد بن المولى علي بن الخليل الطيب الطهراني الأصل، المتوفى سنة ١٨٦٤ في النجف.

قدم الخليل الذي تنتسب إليه الأسرة إلى العراق في نحو سنة ١٨٠٠ ومارس الطب وعمّر زهاء مائة سنة. واشتهر ابنه المولى علي (١٨١١ - ١٨٨٠) عالماً زاهداً بلغ رتبة عالية في الاجتهاد وألف خزائن الأحكام وسبيل الهداية وغيرها من كتب الفقه والأصول. واشتهر أيضاً الشيخ حسين الخليلي الذي انتهت إليه الزعامة الدينية بعد وفاة السيد حسن الشيرازي، وتوفي سنة ١٩٠٨ عن نحو تسعين عاماً.

ولد عباس الخليلي في النجف سنة ١٨٩٦، ودرس في معاهدها، وقرض الشعر وهو شاب يافع. وقد اشترك في ثورة النجف الأولى على الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ - وهي الثورة التي قام بها الحاج نجم البقال - فحكم عليه بالاعدام، ولكنه استطاع الهروب والاختفاء في الآبار حتى بلغ إيران آمناً. وأقام عباس الخليلي في طهران، وأصدر فيها جريدة «إقدام» الفارسية اليومية، فظهرت أكثر من عشرين عاماً حتى سنة ١٩٤٨. وأبعد عن البلاد الإيرانية سنة ١٩٣١، فجاء إلى بغداد وأقام فيها بضعة

أشهر، ثم سمح له بالعودة الى طهران .

وقد وظف في دائرة بلدية طهران، ثم كان وكيلاً لدائرة القوانين في وزارة العدلية  
فريسيًا لها . وعمل في وزارتي الداخلية والخارجية، ثم عيّن في سنة ١٩٤٨ سفيراً لإيران  
في الحبشة واليمن، وكان بعد ذلك عضواً في لجنة مصايد أسماك بحر قزوين .

قال حين فرّ من العراق :

رويداً، رجال الإنكليز ورأفةً  
ثم التفت الى أبناء وطنه يحييهم قائلاً:  
يحييكم، أهل العراق، على النوى  
تحية عانٍ كلما هبت الصبا  
إن اليوم أطلقت اللسان بحبكم  
وهو كاتب باللغتين العربية والفارسية وشاعر عربي نشرت قصائده مجلة المقتطف  
والهلال والعرفان الخ .

ومن شعره بعنوان «الرائد» :

أبتك ما بي من جوى يقلق الصبا  
وأخشى على نفس بجنبك حرة  
جوى كلما أخفيتك عنك يلتوي  
رعى الله قلباً قلبته يد الهوى  
تخيّر بين الحب والمجد تائهاً  
عاشقاً

وقال حين عاد الى العراق سنة ١٩٣١ :

قبّلت منك بعيني الأرض لا بعمي  
عفرت بالتراب وجهي إذ سجدت ضحى  
وكاد ينطق طرفي بالسّلام على  
ما الدمع واللفظ إلا لسؤلؤ رطب  
فلست حتى الردى عنه بمنفطم . . .

توفي في طهران في ١٠ شباط ١٩٧٢ .

وضع مؤلفات عديدة ونقل الى اللغة الفارسية تاريخ ابن الأثير وكتاب «ضحى  
الإسلام» لأحمد أمين الخ . وترجم الى العربية ١٧ ألف بيت من شاهنامه الفردوسي .  
ومن مصنفاته : إيران بعد الإسلام، إيران والإسلام، الخ .

وكانت آخر قصائده «اللوح» نظمها قبيل وفاته، قال في مطلعها:

ما على الصبح لو أزال الإزارا  
بممداد من عسجد ويراع  
وبسفر زمردي وكف  
هي كف الفجر التي لاح فيها  
فمحسا الليل ثم خط النهارا  
من شعاع الشمس استمد النضارا  
من لجين تنمق الأسفارا  
رمز خط تمحوبه الأسحارا . . .

قال من قصيدة نظمها بعد فراره الى إيران سنة ١٩١٨:

أما وغمام يشبهه الظلم أسودا  
وبرق يرينا ومضه الحق خافقا،  
وغيث همى هطلاً يذكّرني الوغى  
وأفق على فقد السياسة صدقها  
وعاصف ربح مرّ كالموعد الذي  
وليل هو الحكم الحديديّ حالك  
يمينا، ولم يقسم فتى قبل بالذي  
لقد صبغت منا الدما كل بقعة  
ورعد حكي قصف المدافع بالصدى  
فسرعان ما يخفى عن الطرف إن بدا  
يمثل رشاشاتها تطمر الردى  
جداً بمسودّ من الفشل ارتدى  
لنا ضرب «السكون» ناهيك موعدا  
قضى لي قهراً أن أبيت مسهدا  
وصفت ولكنني حلفتُ تعمّدا  
زهت فبدت غناء في أعين العدى

### عبد الكريم العلاف

الشاعر الأديب، ناظم الأغاني الشعبية، عبد الكريم بن مصطفى بن سلمان العلاف العزاوي، كان أبوه مصطفى العلاف ينظم الشعر وله تواريخ منظومة بحساب الجُمَّل. ولد في بغداد سنة ١٨٩٤ ودرس على الشيخ عبد الوهاب النائب. ومال إلى الأدب ونظم الشعر منذ فجر شبابه، فقال أولى قصائده في مدح أستاذه النائب، ومطلعها:

رعى الله صبأ عنفته عواذله  
وشطت به نحو البعاد منازله  
وكان من شعراء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، ألقى قصائد حماسية في جامع الحيدر خانة والاجتماعات الوطنية. ثم فرّ إلى مضارب عشيرته العزة وسجن في دلتاوة (الخالص).

وعين سنة ١٩٢٦ كاتباً في دائرة المال بقضاء الكاظمية، ثم عمل أعمالاً مختلفة وتولى تحرير مجلة الفنون الأسبوعية (شباط ١٩٣٤).

وقد نظم أشعاراً رائعة لحنت وغنيت . من تأليفه : بغداد القديمة (١٩٦٠) الطرب عند العرب (١٩٤٥) الموالم البغدادي (١٩٦٣) ، نيل المرام في قاموس الأنغام ، الأغاني والمغنيات (١٩٣٣) أيام بغداد (١٩٦٩) قيان بغداد (١٩٦٩) مجموعة الأغاني والمغنيات (٢٤ حلقة ١٩٣٥ - ١٩٤٦) موجز الأغاني العراقية (١٩٣٠) ، قطف الأثرار في الأشعار والأخبار .

من شعره في رثاء شيخه النائب :

ترحل صاحب الفضل العميم	وخلف في القلوب لظى الجحيم
مضى عنا وكان العيش غضاً	بجانب ذلك الفد الرحيم
ومادت راسيات الأرض حزنأ	عليه وقد هوت زهر النجوم
وقد فاضت عليه كل عين	ولم تنجُ القلوب من الكلوم
حتى يقول :	

لقد عفت الحياة، ونحن فيها	نكابد لسوعة العيش اللذيم
وحقك ما الحياة حياة عز	تطيب لكل شيطان رجيم
خيار القوم تلقاهم نيامأ	على مضض كأصحاب الرقيم
فكيف يطيب عيش في بلاد	يدل بها الكريم على اللثيم؟ . . .

وقد اشتدت به الفاقة في أيامه الأخيرة وهذ جسمه المرضي ، فاضطر أن يمتن كتابته العرائض في دائرة طابو بغداد سداً لرمقه . ثم عين مشرفاً أدبياً لفحص الأغاني بمصلحة المسرح والسينما .

وتوفي العلاف في بغداد في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٩ .

كان العلاف شاعراً عاطفياً ، سئل عن رأيه في الشعر الحر فقال : « ليس هناك شعر حرّ ، فالشعر يلتزم بالقافية والوزن . وهو كما هو معروف ينم عن العاطفة والوجدان . وإذا تحرر الشعر من القافية والوزن فقد أهم ميزاته ولا تكفي العاطفة وحدها لتسميته بالشعر . فنحن نقول أحياناً كلاماً عاطفياً جميلاً بكلمات منمقة رشيقة ، لكنها بعيدة من أن توصف بالشعر» .

نظم العلاف مئات الأغاني الشعبية التي انطلقت من حناجر مغنيات فترة ما بين الحربين فهزت النفوس وترددت على الألسنة ، وأشهرها : يا نبعة الريحان ، خدري الشاي خدري ، قلبك صخر جلمود النخ . ويصح مقايسة العلاف بأحمد رامى شاعر الشباب المصري لولا الفارق الفني الجسيم بين مصر والعراق في تلك الآونة .

وقد أعجب العلاف بالملا عثمان الموصلى فسار على نهجه في أغانيه الشعبية .

قال عبد الكريم العلاف من قصيدة له «هيا الى الحرب» في ثورة ١٩٢٠ :

أين أهل الحفاظ، أهل الحميّة  
أين أبناء يعرب ونزار  
يا أسود العراق، أنتم حماه  
لكم في الوغى مواقف حرب  
وثبات في الحادثات وعزم  
كلما الحرب جاش فيها عباب  
كيف تغضون عن إغاثة شعب  
كيف ترضون، يا أباة، وفيكم  
حكمت في البلاد ظلماً وقالت:  
آل قومي، هيا الى الحرب هيا،  
واملاوا مسمع العداة دويّاً  
إن عين الإله تـرعى حماكم

أين أحفاد قادة القادسيّة  
أين تلك الشهامة العربيّة  
من قديم الزمان بين البريّة  
هي كالشمس في النهار جليّة  
ونفوس عن الهوان أيّة  
خضتم كلكم عباب المنيّة  
مستجيراً يأبى قبول «الوصيّة»  
رامت الحكم دولة أجنبيّة  
إن هذي حكومة وطنيّة  
إنّ فيها حياتنا الأبدية  
كدويّ الرعود وقت العشيّة  
وتنير المسعى بكل قضيّة

### القصص الشعري :

نظم عبد الكريم العلاف قصصاً شعرياً على منوال معروف الرصافي في «أمّ اليتيم» و «المطلّقة» و «اليتيم في العيد»، وخيري الهنداوي في قصيدته «زينب وخالد» أو «فتاة بغداد وفتاها»، وكاظم الدجيلي في «بوليس بغداد». رسم العلاف في قصيدته «الوحش الكاسر» صورة من صور بغداد في عهد الاحتلال البريطاني، ولم ينس في مطلع قصيدته أن يصف حالته النفسية فيقول :

أرقّت، وضوء البدر في الليل يسطع  
تحيط بي الأرزاء من كل جانب  
كأني في دنيا الهموم أراكة  
وصرت أناجي الفكر في حال أمّي  
وطرفي على أطلال بغداد مرسل

ونجم الدجى سهران والناس هُجّع  
وقلبي على ما حلّ فيه موجّع  
يميل بها عساتي النسيم فتركع  
وأحسب اشتاق الأمور وأجمع  
سحائب دمع من جفوني تنبع



على موطن قد كان بالأمس أهلاً  
سمعت به صوتاً على البعد راعني  
نشيج له في ظلمة الليل رنة  
وأصبح هذا اليوم والدار بلقع  
وأني فؤاد بالأسى لا يروّع؟  
كأنّ به سيفاً لقلبي يقطع

قام من فراشه وسار يتحرّى مصدر البكاء ، فجاء الى دار خيمٍ عليها الحزن والكآبة .  
ووجد فيها امرأة حسناء تبكي بحرقة ، وقد أحاط بها فتيات أربع ، وفي حضنها طفل المّ  
به الطوى . . . تقرب منها يستطلع حالها :

تقرّبت منها ، وهي تخشى تقرّبي ،  
وقلت لها : من أنتِ؟ بالله خبري ،  
فقلت : أنا سعدى فقدت سعادتِي  
بكيت على حظي ، على ما أصابني ،  
بكت سعدى على قرينها الذي كان ملازماً عسكرياً ، دعاه داعي الحرب فودّع زوجته  
وأطفاله ، ومضى يؤدي واجبه في ساحة الوغى ، ومات شهيداً يناضل عن قومه ووطنه ،  
مخلفاً أسرته بين فكي الحزن والمذلّة والفاقة .

وقد دخل الأعداء بغداد عنوة  
وجاروا علينا واستبدوا بحكمهم  
وبالأمس منهم واحد حلّ دارنا  
و مال على إحدى البنات بقسوة  
ولما رأيت الغدر يبدو بوجهه  
صرخت بصوت من فؤاد مروّع :  
أنادي فلا ألقى مجيئاً سوى الصدى  
وقاومت ذاك العليج في عزم حرّة

وأسفت المرأة على ضياع النخوة وصبر القوم على الأذى وانغماسهم في الملاهي والملاذ  
وتقويضهم صروح العلم لينشثوا المسارح والمراقص . ولا يبخل الشاعر عليها بالتسليّة  
والعزاء ، أملاً أن تكون الحال التي ذكرتها سحابة صيف عن قريب تقشع ، فيرتفع في  
البلاد علم العرب الميامين ، وتزدهر الأوطان وتخصّر المزارع والمرايع ، ليعيش الناس في  
عز ونعمة .

من شعره في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ :

## شعب العراق :

لك الخير، لا راعتِ حِمَاك الأجانِب  
أبى الله إلا أن تعيش مـؤيـداً  
ولا بلغت للخصم فيك مـآرب  
برغم العدى، والله لا شك غالب  
وقال:  
نهضتم، بني قومي، الى عزكم نهضاً  
نهضتم الى استقلال شعبيكم الذي  
وقضتُم صرح التخالف والبغضا  
يكاد عليه من يد الجور أن يُقضى  
على قدم يبغي التقدّم لا الفوضى  
طلبتم حقوق الشعب، والشعب قائم

## عبد الحسين الحلّي

الشاعر العالم الأديب الشيخ عبد الحسين بن القاسم بن صالح الحلّي ولد في الحلة سنة ١٨٨٣ ودرس في معاهد النجف وتصدّى للتدريس بها واشترك في الحركة الوطنية في النجف سنة ١٩١٨ - ٢٠، ثم عين قاضياً للبحرين، قال في ذلك جعفر الخليلي في الجزء الأول من كتابه «هكذا عرفتهم»:

«لا أدري كيف رضيت (النجف) لنفسها أن تراه يغادرها الى البحرين بصفة رئيس للتميز الشرعي دون أن تحرك النجف ساكناً؟ وهي تعلم - أي النجف - أن الشيخ عبد الحسين قد أفنى زهرة عمره في سبيل عزتها العلمية وشهرتها الأدبية . . . وإني لأذهب الى أن موقف أهل بغداد مع عبد الوهاب المالكي في القرن الرابع، الذي حمله ضيق ذات اليد على السفر الى مصر والذي اجتمع حوله العلماء والفضلاء ليحولوا بينه وبين الهجرة، فقال أنه لو وجد من يدفع له كيلاً من الباقلاء في اليوم لعدل عن الهجرة، فبكى الجميع ولكن لم يظهر أحد استعداده لسدّ هذه الخلة، أقول: إنني لأذهب الى القول بأن موقف بغداد في القرن الرابع (الهجري) مع عبد الوهاب - على نبوّه - كان ألطف بكثير من موقف النجف مع الشيخ عبد الحسين في القرن العشرين .

وقد أمضى في قضاء البحرين نحواً من عشرين سنة وتوفي بها سنة ١٩٥٥ . وقد قال:

تطلعت من المربأ الى العود الى المبدأ  
وسرحت به طرفاً حديد الطرف لا ينسأ  
وفكراً لم يزل يخطو ولكن قلماً يخطأ . . .

نظم شعراً كثيراً نشر بعضه في مجلة الهائف النجفية وسجل نماذج منه علي الخاقاني في

الجزء الخامس من «شعراء الغري». وألّف الحلي كتاباً منها: نصرة المظلوم، النقد النزيه لرسالة التنزيه (١٩٢٩) مسائل فقهية (١٩٦٤) حياة الشريف الرضي (١٩٦٨) الخ.

\*\*\*

روى جعفر الخليلي أن عبد الحسين الحليّ رشح قاضياً شرعياً، لكن زعم أنه أخفق في الامتحان وعيّن بدلاً منه الشيخ مهدي سميّسم. وزار هذا الأخير الشيخ جواد الشبيبي في أثناء ذلك، فقال الشبيبي وهو لا يدري أن سميّسم قد حلّ محلّ الحلي: حسناً فعلت الحكومة، فإني لا أجد برهاناً أكبر على غباوتها وتمييزها من رفض تعيين رجل فاضل كالشيخ عبد الحسين وترشيح همار لا يدري أي طرفيه أطول ليحلّ محله . . .

فامتقع وجه مهدي سميّسم وظهر عليه الاضطراب والخلجل وقال: أوكد لكم أنني رفضت قبول القضاء لولا إلحاح وزارة العدلية وإصرارها.

قال عبد الحسين الحليّ يجيّي النجف:

حيّ أوطاني اذا سعـدت	بالتحايا الغرّ أوطان
وأصيحـ باباً عهدتهم	وهـم في الله إـخـوان
لهم في كل مكرمـة	أثر بـالفضل مـلان
كيف يخفى فضلهم، ولـه	بينهم من لطفه شـان؟

### جعفر نقدي

الشيخ جعفر محمّد تقي نقدي القاضي الشاعر الأديب، وهو جعفر بن محمّد بن عبد الله النقدي من أسرة تنتمي الى ربيعة، ولد في العمارة سنة ١٨٨٥، ودرس الفقه والعلوم العربية والدينية. وقد عيّن قاضياً للعمارة في حزيران ١٩١٩، وكان عضواً في مجلس التمييز الشرعي الجعفري، ثم تولى القضاء الشرعي في كربلاء (كانون الأول ١٩٣١)، وعيّن بعد ذلك قاضياً في البصرة (حزيران ١٩٤٥)، واعتزل الخدمة سنة ١٩٤٧.

توفي سنة ١٩٥١.

نشر علي الخاقاني جانباً من شعره في الجزء الثاني من «شعراء الغري». ووضع جعفر نقدي مؤلفات كثيرة، أهمها: الإسلام والمرأة (١٩٣٠) الحجاب والسفور (١٩٣٠) آباء الضيم في الإسلام، تنزيه الإسلام (١٩٤١) الدروس الأخلاقية (١٩٣٨)، ذخائر العقبي، زهرة الأدباء (١٩٣٨)، زينب الكبرى (١٩٤٧) ضبط التاريخ بالأحرف (١٩٤٧) نزهة المحبين في فضائل أمير المؤمنين (١٩٥٠) وسيلة النجاة في شرح الباقيات

الصالحات لعبد الباقي العمري، الأنوار العلوية (١٩٥٨) تاريخ الإمامين الكاظمين (١٩٥٠) غزوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (١٩٦١) فاطمة بنت الحسين (١٩٦٤) . . . وحقق ونشر كتاب تدابير المنازل أو السياسات الأهلية للرئيس ابن سينا (١٩٢٩).

قال جعفر الخليلي: والشيخ جعفر نقدي عالم فقيه كان لفتاواه في أحكام القضاء حين كان يشغل القضاء الشرعي أثر كبير في التيسير. وكان من كبار العلماء في تاريخ الأدب العربي، وهو بعد ذلك من الشعراء المعروفين في عصره.

كان لجعفر نقدي مطارحات شعرية مع محمد مهدي الجواهري الذي خاطبه بقصيدة مطلعها:

مرّ النسيم برياًكم فأحياناً  
فهل كذاكرامُ في القلب ذكيرانا؟  
فأجابه جعفر نقدي:

لو كان يألف قلب الصبّ سلوانا  
أولم يكن ذاب وجسداً في محبتكم  
حملتموه هموماً لو تحشمتها  
مقدمات على دعواه أنتجها  
إنسان عيني جرى دمعاً فأغرقتني  
وقال الجواهري:

أنا مذمت فيكم كان دأبي  
إنّ ما تشتهوه يحمّله قلبي  
فأجاب نقدي:

يا أخلاي في الحمى، أي وربّي  
بهواكم أنست لا بسواكم  
وقال الجواهري:

الله يصحب بالسلام موذعي  
عجلاً وإن أخصى عليّ بعاده  
فأجاب نقدي:

أحبابنا، بعض العتاب لواجده  
مهما تشبّب في الغرّي فأنتم،  
شوقاً للقيامكم بحنّ فؤاده  
ياساكني أرض الغرّي، مراده

## قاسم الشعار

القاضي الفقيه الشاعر الشيخ قاسم الشعار، ولد في الموصل سنة ١٨٨٧. وكان أبوه الشيخ محمد ضياء الدين الشعار القادري الحاتمي عالماً شاعراً ناثراً، ألف كتاب «السعادة» المطبوع في استانبول سنة ١٨٩١، وتوفي في تموز ١٩١٢.

درس قاسم الشعار على أبيه وغيره من علماء الموصل وتصدى للتدريس سنة ١٩١٠. وعين قاضياً في المحاكم الشرعية في شباط ١٩١٩، وأصبح قاضياً في يعقوبا (أيلول ١٩٢٥) والموصل في كانون الثاني ١٩٣١، فكرّوك فالموصل ثانية (آب ١٩٣٧) فالبصرة (أيار ١٩٤٢) فكرّوك (شباط ١٩٤٦)، فالموصل أيضاً حتى اعتزل الخدمة في كانون الأول ١٩٤٩.

توفي في ٨ شباط ١٩٥٥. وكان شاعراً عالماً، وضع تصانيف في الأصول والفرائض والفقه والتصوّف.

## محمد رضا الخطيب

الشاعر محمد رضا الخطيب الذي اشتهر بقصيدته في هجاء الطبيب، ولد في بلدة طويريج المعروفة بالهندية على الفرات سنة ١٨٩٣، وهو محمد رضا بن هاشم الموسوي، واتصل بالقرظيني فتأدّب عليهم، ونظم الشعر فأجاد فيه وأحسن.

كتب عنه عبد القادر البراك الذي عرفه حق المعرفة فقال: «... فرأيت أن أردّ بهذه الكلمة المحضّة الى الأذهان صورة ذلك الشيخ الذي كان يضطرب في الحياة، فلا يشعر بوجوده أحد لإيثاره الدعة ولطول الكبت الذي أقعد هممه عن كل طائفة يكسب من ورائها الراحة والاطمئنان...».

وكان الخطيب برماً بمحيطه الضيق، فكان يزور بغداد بين الحين والحين فيلتقي بأدبائها ويحضر ندواتها. وقد حظي بتقدير الزهاوي الذي قال فيه الخطيب:

تنتاب نفسي النائبات فتلتوي      لكن بقربك تستعيد جمالها  
وخاطب محمد رضا الخطيب معروفاً الرصافي بقصيدة قال منها:

لك في القريض مواقف مشهودة      في الشرق هزّ الغرب صوت دويها  
وسياسة كفكفت من غلوائها      وجعلت عليها على سفليها  
وكانني بك قد رفضت بأن ترى      متربعا يوماً على كرسيها  
ولو أنها قد أنصفتك لأصبحت      ولك التصدّر في رفيع نديها

فأجابه الرصافي قائلاً:

شعراً ذكرت به زماناً قد مضى  
فيه، ورحت عن الفرزدق معرضاً  
أخذت تقيم من القريض مَقْوَصاً  
ولدى القراع هي الحسام المنتصى  
حسد الرضي بها أخوه المرتضى . . .

إني لأشكر من محمد الرضيا  
شعراً غدوت على جرير فآخرأ  
قد دبجته يراعة لمحمد  
هي في التفنن ريشة لمصوّر  
لو كان في كفّ الرضي نظيرها

وقد توفي محمد رضا الخطيب في مسقط رأسه في ٩ شباط ١٩٤٦ . ونشرت نماذج من شعره في «بابلات» محمد علي اليعقوبي (١٩٥٥) . وألف : «الخبر والعيان في أحوال الأفاضل والأعيان» (في مجلدين) .

### هجاء الطبيب

إن كان ينفع قاسياً تفكير  
وحياتها أبداً عليك يدور  
ليلاً وليلك ضاحك مسرور  
مال سوى كفّ إليك تشير  
منه فراشك سندس وحرير  
وعلى الجماجم أُسَّسَتْ لك دور  
كيا تشيّد للطبيب قصور  
يشكو إذا كان المجير يجور  
عبرات ذاك البائس التقطير . . .  
صدرت بحقك كلها تزوير . . .  
وتصمّ أذنك إن أتاك فقير  
تسعى كأنك خادماً ماجور  
وعراه من أكل الشعير شخير  
وحداك نحو علاجه التدبير  
من لطفك الإزراء والتحقير . . .  
فيناً وصهرك منكرو نكير . . .  
عند الحكومة صالح مشكور  
عسفاً وأماعنك فهو قصير

فكّر لنفسك ، أيها الدكتور،  
أصبحت تحكم بالنفوس فموتها  
يمسي الفقير يثنّ من ألامه  
لا أنت ترحمه وليس يجييه  
متوسّداً حسك القتاد وماله  
بدمائه أبواب قصرك صبغت  
كم بائس هدمت بظلم داره  
بك يستجير ولا يجار فعند من  
أمقظراً ماء الشراب وكان من  
تالله إن شهادة طيبة  
قلب الغنيّ تعيره سماعة  
وإذا دعاك أخو الثراء لداره  
وإذا جفنا أكل الشعير حماره  
أصبحت بيطاراً له ومضماً  
والبائسون إذا أتوك فحظهم  
وأخوك عزرائيل أنت وكيله  
أمقصر العمر الطويل ، وسعيه  
بأغ المحاكم للبريء يناله

وسلمت من وخز الضمير لأنه من أين للرجل الخؤون ضمير؟  
وهي طويلة اكتفينا منها بالأبيات المتقدمة . ومن الطريف أن الشاعر جعفر الحلبي  
ابتلي بطبيب نجفي اسمه صادق فقال يهجوهُ :  
في كل شيء صادق صادق إلا إذا جاء اليه العليل  
يقول : هذا داؤه قاتل ويوجب الإفطار لا عن دليل  
ليس له في الطب شيء سوى نسبته للشيخ مرزا خليل  
والمرزا خليل طبيب نجفي شهير طهراني الأصل .

### عبد الوهاب الصافي

الشاعر القاضي عبد الوهاب الصافي ابن عم الشاعر أحمد الصافي النجفي ، ينتمي  
الى الأسرة النجفية المعروفة ، وقد ولد بالنجف سنة ١٨٩٩ ودرس في معاهدها . وكلف  
في أثناء ثورة العشرين بالإشراف على الأسرى الإنكليز والهنود في الجعارة والنجف تحت  
إمرة عبد المحسن شلاش (أب ١٩٢٠) .

كان أحد مؤسسي جمعية الرابطة سنة ١٩٣٢ وتولى رئاستها . ثم انتمى الى سلك  
القضاء (٢٨ كانون الأول ١٩٣٦) ، فعين قاضياً شرعياً للبصرة (أيار ١٩٣٨) فالناصرية  
(١٩٤١) فالنجف (آذار ١٩٤٢) فالبصرة ثانية (كانون الثاني ١٩٤٣) فبغداد (أب  
١٩٤٤) فالعمارة (أيار ١٩٤٥) فالنجف (حزيران ١٩٤٧) .

واعتزل القضاء سنة ١٩٥٠ ، وخول ممارسة المحاماة . ثم وظف في مديرية ميناء  
البصرة حيث قضى عدة سنين .

وهو شاعر أديب ، يحسن اللغة الفارسية وقد ترجم عنها روائع من شعر شعرائها  
نظماً .

أخبرني عبد الوهاب الصافي أنه اعتزل القضاء قبل أن يكمل المدة التي تؤهله  
لاستحقاق راتب التقاعد ، فتشبت للعودة الى الخدمة الحكومية ، وعين موظفاً في إدارة  
ميناء البصرة على عهد وزير المواصلات والأشغال عبد الوهاب مرجان . ولم يعهد إليه  
بعمل ما ، بل أعطي كرسيًا ومكتباً في غرفة واحدة مع موظف مرهق بالأعمال يشتغل ليلاً  
ونهاراً لإنجاز مهامه . فقال الصافي له : لا يصح أن نجلس في غرفة واحدة ، أنت تعمل  
كثيراً وأنا عاطل لا أدري كيف أقضي ساعات السدوم . فأعطني جزءاً من عملك  
لأساعدك على قدر إمكاني . فأجابته : وهل تعرف اللغة الإنكليزية أو تعلم أوليات  
شؤون الملاحه الفنية؟ إذا كنت تعرف شيئاً من ذلك فهلم ساعدني .

ومضى الصافي إلى رئيس الدائرة وقال له : أعطني عملاً أستطيع القيام به ، فلا يصح أن أقبض راتباً ولا أنجز عملاً . وبعد لأي عهد إلى الشاعر الصافي بمديرية زراعة الميناء ، وكلف بالإشراف على تنظيم الحدائق والبساتين ، فصار يعمل ليل نهار ولا ينجز مهام وظيفته . فقال : ألا يوجد شيء وسط ؟ فيما أن تبقى عاطلاً وما أن تشتغل آناء الليل وأطراف النهار؟

وعين اللواء مزهر الشاوي الجندي الشاعر بعد ثورة تموز ١٩٥٨ مديراً عاماً للميناء ، فأصبح عبد الوهاب الصافي ، على ما حدثني به ، سكرتيراً شعرياً له ينظر في منظوماته . توفي عبد الوهاب الصافي في بغداد شيخاً هرمًا سنة ١٩٨٩ .

### الشيخ محمد حسن حيدر

محمد حسن حيدر ابن الشيخ باقر بن علي بن محمد علي حيدر من أسرة معروفة في سوق الشيوخ بالمتفق ومن رؤساء قبائل الأجدود . ولد في سوق الشيوخ سنة ١٨٨٨ ، وكان أبوه من رجال الدين جاهد في الشعبية في بداية الحرب العظمى ، ثم مرض ونقل الى بلده حيث توفي سنة ١٩١٥ .

درس محمد حسن العلوم العربية والدينية وحاز على مكانة روحية وأدبية ، ونظم شعراً نشر أغلبه في مجلة العرفان وجريدة دجلة والهاتف والغري ومجلة الاعتدال . واشترك في الحركة الوطنية سنة ١٩٢٠ . فلما استولت العشائر على بلدة سوق الشيوخ في إبان الثورة (آب ١٩٢٠) عهد إليه بإدارتها .

انتخب نائباً عن المتفق في المجلس التأسيسي (١٩٢٤) لكنه استقال . وانتخب بعد ذلك نائباً عن المتفق في مجلس النواب سنة ١٩٢٨ - ٣٠ و١٩٣٣ - ٣٤ و١٩٣٤ - ٣٥ ، فنائباً عن العمارة ١٩٣٥ - ٣٦ ، فنائباً عن المتفق أيضاً في شباط ١٩٣٧ و١٩٣٧ - ٣٩ و١٩٣٩ - ٤٣ و١٩٤٣ - ٤٤ . وانتخب نائباً ثانياً لرئيس مجلس النواب في ٥ تشرين الثاني ١٩٤٠ .

عارض المعاهدة العراقية البريطانية في المجلس التأسيسي عند المذاكرة فيها (١٩٢٤) . وقال : إن إعطاء زمام البلاد للأجنبي خيانة ، والخيانة خسران الدين والشرف والعيش الحرّ . واضطر بصفته نائب رئيس مجلس النواب في عهد حركة رشيد عالي الكيلاني (نيسان ١٩٤١) الى دعوة المجلس للانعقاد واختيار الشريف شرف وصياً على العرش في محل الأمير عبد الإله . فلما قضي على الحركة وعاد الأمير الى بغداد لوحق الشيخ محمد حسن وأمين ، فاعتذر بأنه كان مرغماً في فعلته غير مخير . وبقي منكسر النفس مكسوف الخاطر حتى أدركه الموت في بغداد في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٤ .



له مراسلات شعرية إخوانية مع إبراهيم الواعظ والملاعب الكرخي والشيخ عبد الغني الخضري وغيرهم . ونشر شعراً كثيراً في جريدة دجلة الصادرة في بغداد سنة ١٩٢١-٢٢، منه :

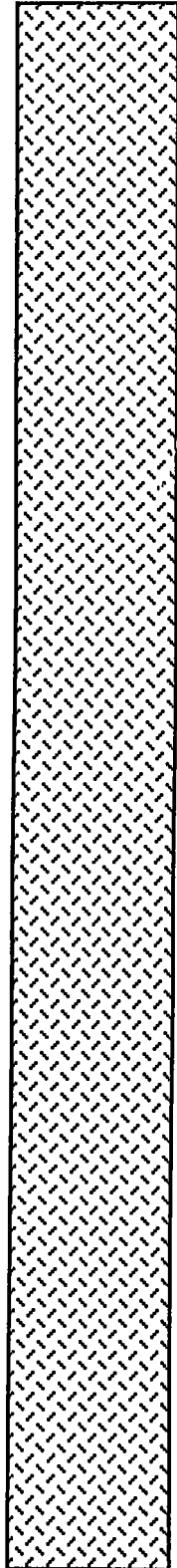
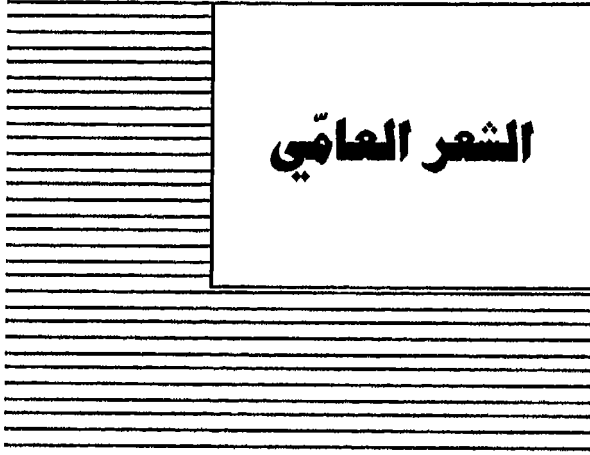
هي أمة العرب التي نهضت، وقد  
نهضت بعبء المكرمات فأحرزت  
حتى أشادات وحدة عربية  
نهضت فنالت دولة عربية  
نهجت بمنهاج الفخار فخلّدت  
ما كان لولا الإنفاق تنال ما  
ما كان لولا الإتحاد بسعيها  
سل أمة الفرس الألى والروم في  
سل عن معاليها المواضي والقنا  
بخصالها يزهو الزمان سنأ غداً  
بنوالها عمّت بني الدنيا ندى،  
يا شرق، تبه فخراً فأنت مؤيد

رفعت بنهضتها منار جلالها  
علياءها بجلادها وجدالها  
في أسد غابتها وفي أشبالها  
قومية قد شيدت برجالها  
عزاً لها يبقى الى أجيالها  
رامت بمبدأ أمرها ومآلها  
تحظى بسؤدها وباستقلالها  
ذي قار ما فعلته في أقيالها  
والخيل يوم الحرب عند نزالها  
يزهو الزمان سنأ غداً بخصالها  
عمّت بني الدنيا ندى بنوالها  
ومعزز لا زلت في أبطالها . . .

وله أيضاً :

أقراؤ ولا أرى لي قراراً  
كم أنادي ولا حياة لمن قد  
فإلى مَ الخمول باق، وهدي  
نهجت منهج الكمال الى أن

بمحيط فيه الخمول استدارا . . .  
غار في منهج الخمول وسارا  
أهل بغداد قد تسامت فخارا؟  
تخذت أنجس السماء سمارا . . .





## الملا عبود الكرخي

الشاعر الشعبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في فترة ما بين الحربين، عبود بن الحاج حسين السهيل الكرخي، ينتسب إلى فرقة البوطيف من عشيرة البوسلطان الزبيدية، ولد في بغداد في ٢٢ حزيران ١٨٦٩، ودرس في الكتاتيب وحلقات الدرس في مساجد بغداد والكاظمية. ولما بلغ الرابعة عشرة من عمره انضم إلى والده الذي كان يتاجر بالإبل والجلود ورافقه في سفراته بطريق القوافل إلى إيران والشام والحجاز ومصر والأقطار التركية<sup>(١)</sup>.

واستقر في بغداد بعد وفاة والده سنة ١٨٩٦، وتعاطى أعمالاً مختلفة من متاجرة ونقل وأنشأ سنة ١٩٠٨ شركة مع آل عارف آغا لنقل المسافرين بين أمهات المدن العراقية. ثم أصبح متعهداً للبعثة الألمانية التي قامت بمد خط السكة الحديد إلى سامراء سنة ١٩١١ وألم بشيء من اللغة الألمانية، علاوة على ما كان يعرفه من التركية والفارسية والكردية.

ولما أعلنت الحرب العامة سنة ١٩١٤، رافق الحملة التركية إلى إيران ترجماناً ومجهزاً للمواد الغذائية والمواشي والخيول. وأسره الروس في بعض المعارك، لكنه استطاع الفرار والعودة إلى صفوف الجيش التركي. وسمع بأخبار الثورة التي أعلنها الشريف حسين في مكة سنة ١٩١٦، فترك القوات العثمانية ولجأ إلى بعض القرى والأرياف حتى أذنت الحرب بالانتهاء.

عمل بعد ذلك في الزراعة فلم يؤاثره النجاح، وعاد إلى بغداد. واندلعت نار الثورة سنة ١٩٢٠، فأخذ ينشد قصائده الوطنية في جامع الحيدرخانة. وطبقت شهرته الآفاق، وتسابقت الجرائد إلى نشر شعره العامي الذي لقي من الجمهور إقبالاً. ثم أنشأ

(١) ذكر عبود الكرخي في ترجمة له كتبها سنة ١٩٣٥ أنه ولد في ١٢ ربيع الأول ١٢٨٦ هـ ويوافق ذلك الثلاثاء ٢٢ حزيران ١٨٦٩. أما في ديوانه فلذكر تاريخ ميلاده سنة ١٨٦١. وذكر فائق بطي تاريخ ميلاد الكرخي في كتابه «أعلام في صحافة العراق» ١٩ حزيران ١٨٦١.

جريدة «الكرخ» في ١٠ كانون الثاني ١٩٢٧، فكانت من الصحف الشعبية الرائجة . وعطلتها الحكومة فاعتاض عنها بجريدة «صدي الكرخ» (١٧ نيسان ١٩٢٨) و «صدي التعاون» (٢ نيسان ١٩٣١) و «الكرخي» (٢ تموز ١٩٣٢) و «الملا» (٣٠ أيلول ١٩٣٣) و «المزمار» (٤ حزيران ١٩٣٤) . وعادت الكرخ لى الظهور خلال تلك المدة وبعدها، ففضى في الصحافة نحواً من خمسة عشر عاماً (الى سنة ١٩٤٢) .

وأسس مطبعة سنة ١٩٣٣، ونشر في تلك السنة الجزء الأول من ديوانه . ثم نشر بعد وفاته جزآن من شعره (١٩٥٥ - ٥٦) ونشر الجزء الثالث سنة ١٩٦٧، والأدب المكشوف (١٩٦٧) أيضاً . وساءت صحته في سنواته الأخيرة، فلزم داره حتى قضى نحبه ببغداد في ٩ تشرين الثاني ١٩٤٦ .

### شعره :

يمثل شعر عبود الكرخي نهجاً خاصاً في الأدب الشعبي العراقي ، وقد اتّسم بسّيات المرحلة الانتقالية التي مرّ بها العراق خلال السنين التي عقبته الحرب العظمى الأولى (١٩٢٠ - ٤٠) . قرّض الكرخي الشعر العامي منذ فجر شبابه، وبرّز فيه تبرزاً، وذاع بعد ذلك على ألسنة الناس وتناقلته الصحف والإذاعة والمجالس الخاصة . وهو يبدع في النقد والهجاء ، وله في سائر الأغراض كالسياسيات والوطنيات والاجتماعيات والغزل والنسيب صولات وجولات . وهو يحسن استخدام اللغة العامية العراقية بمختلف لهجاتها والقديم والحديث من عباراتها، ويطعم شعره بالقصص والحكم والأمثال الشعبية ، ويرصّعه بالكلمات الفصيحة والكردية والفارسية والتركية والهندية والانكليزية والعبرية وغيرها ممّا هو مألوف لدى أبناء الشعب .

وكانت للكرخي مساجلات ومطارحات شعرية مع شعراء العامية في عصره وفي مقدمتهم حسين قسام .

حظي شعر الكرخي بتقدير شعراء الفصحى وأدبائها، فقال الرصافي :

لله ذلك، يا عبّود، من رجل  
جريت جري قدير في مزالقه،  
يا رافعاً في القوافي راية الزجل  
لم تحش من زلت فيــــه ولا زلل

وقال الزهاوي :

الشعر ما قاله الكرخي عبّود  
شعر يفيض من القلب المشعّ له  
عبود إن عدت الأفضاذ في بلد  
فتحت للشعر أبواباً، ولا عجب  
ففيه للأدب الشعبي تجديد  
على اللسان، فما إن فيه تعقيد . . .  
فأنت في أول الأفضاذ معدود  
ففي يمينك للنظم المقاليد  
وإن شدوت فأغرود وأغرود

وقال عبد الرحمن البناء :

إن رمت للجمهور من شاعر فشاعر الجمهور عبود  
وقال محمود الملاح :

من بعد عبود الكرخي لا تثقن بالشعر يجلب الباب الجماهير  
وشبّهه بالحطيئة الذي سنّ الهجاء لما رأى الفضل في الناس منكوراً غير مشكور.  
وقال فهمي المدرّس : «جمع أسلوبه بين لغة العوام وما يقارب اللغة الفصحى تدريباً  
للعوام على الفصحى من القول، وهو أسلوب حديث في الأدب العامي، والأدب العامي  
في بلاد تتغلب عليها الأمية لا يقل شأنًا عن أدب الخواص . . .» .

وقال محمد بهجت الأثري : «والشاعر قدير بلا شك، وهو رافع لواء الشعر العامي  
في العراق . . . وشعره صورة للمجتمع، فإن فيه كثيراً من الحقائق الاجتماعية والسياسية  
وفق في تصويرها الى مدى كبير .»

وقال رفائيل بطي : « . . . وهو يكتز في أشعاره ثروة طائلة من إحساس العامة  
وصور أفكارها ونظراتها الى الحياة، وهو يمثل عيشة طبقات الشعب ذات الصبغة  
المحلية البحتة . . .»

وقال انتاس الكرملي يخاطب الكرخي : «وامتاز شعرك أيضاً بحفظ لغة العراق  
الخاصة به، بأدابه وأخلاقه وآرائه . . .» .

وقال علي الشريقي : «تفضل عليّ الشاعر الزجلي الاجتماعي الملا عبود بتقديم نسخة  
من ديوانه العام . ولما تصفحته وجدته قد تصفحت العراق كله . نعم، فإن بين دفتي  
ذلك الديوان عراق الثلث الأول من القرن العشرين، فها أنا أتجوّل في شوارعه ونواديه  
ومراسحه ومقاهيه، في ريفه وحواضره، أسمع الحوار السياسي والاجتماعي والنقد الأدبي  
واللوعة الاقتصادية، والصبر إبتسامة الأمل، وأسمع أنّه أبلغ عراقيّة وتمثيل  
صحيح يقوم به شاعر الجمهور . . .» .

وقال القاضي جعفر نقدي : «إن شعر الكرخي يشتمل على أبهة امرىء القيس  
وطرب الأعشى ورغبة زهير واعتذارات النابغة وغضبة جرير وفخر الفرزدق ومدائح أبي  
تمام ومحاسن البحري ونفسية المتنبي ولطائف كشاجم وظرائف ابن الحجاج وبدائع  
بديع الزمان، كلّ ذلك بلغتنا العراقية العامية التي يألّفها عشاق الأغاني الشعبية . . .» .

وقال عباس العزاوي : «وفي ديوان المترجم ما يعيّن سعة اللغة العامية . . . وقد اتفقت  
كلمة أدبائنا على أن شعره من أفضل الشعر في الأدب العامي، ولم يبخسه أحد حقّه» .

والكرخي بعد ذلك ظريف له دعابة حسنة فكاهة مستملحة . وينقل عنه أنه قال :  
لم يغلبني أحد سوى أعرابي لقيته في زورق في شط العرب، وكان هذا الزورق يسير

بمحاذاة الشاطئ ويقوم مقام الباص، يأخذ الركاب وينزلهم بين القرى المنبثة على ضفاف النهر. وقد ركبته ذات يوم قاصداً بعض الأنحاء لجمع بدلات اشتراك جريدة الكرخ، فإذا بأعرابي يجلس الى جانبي ويحدثني بأحداث لقطع الطريق. وسألني الأعرابي: ما اسمك، يا ملاً؟

- ملا عبود.

- نعم، ماذا كنتا نقول، يا ملا أحمد؟

- إسمي الملا عبود... عبود..

- عفواً، عفواً، يا ملا... .

وناداه الأعرابي في خلال حديثه بكل الأسماء، فتارة ملا حمد وطوراً ملا علي أو جواد، والكرخي يقاطعه قائلاً: إسمي الملا عبود، فيعتذر صاحبنا ويعود الى تسميته باسم آخر في سياق الكلام. وضاق الكرخي ذرعاً بالأعرابي المتغابي، فقبض على ساعده وهزه هزاً عنيفاً وقال: اسمي جرو... جرو... ألا تعرف ما الجرو؟

وهنا بلغ الأعرابي المكان الذي يقصده وأشار الى صاحب الزورق بالوقوف، فلما خرج الى الشاطئ صاح بملء فيه: «في أمان الله، يا ملاً جرو!» قال الكرخي: «قاتلك الله، لقد نسيت الملا عبود عشرات المرات، ولم تنس الجرو مرة واحدة!».

حدثني مصطفى علي أن محمد مهدي الجواهري أصدر جريدته «الفرات» سنة ١٩٣٠ وسرعان ما دخل في مهاترات صحفية مع عبود الكرخي صاحب جريدة «الكرخ» ونوري ثابت (جزبوز) الذي كان آنئذ موظفاً بوزارة المعارف ويكتب في الوقت نفسه حقلاً هزلياً في جريدة رفائيل بطي «البلاد». وقد هجا الكرخي محمد مهدي الجواهري هجاءً مقذعاً بقصيدة عامية ختمها بأبيات يقرنه فيها بملهى الجواهري (وهو من ملاهي محلة الميدان المعروفة في ذلك العهد)، فلم يكن من الجواهري إلا أن أقام عليه الدعوى بتهمة القذف والتشهير.

وكان حاكم جزاء بغداد آنذاك عبد العزيز الخياط، فمثل الكرخي أمامه وقال: إن هذه القصيدة قديمة نظمتها في العهد التركي ولا علاقة لها بالجواهري.

قال الحاكم: وهل كان ملهى الجواهري قائماً في العهد التركي؟

فالتفت الكرخي الى نوري ثابت الواقف وراءه وقال: كيف فاتنا هذا الأمر، يا نوري؟

وقد حكم على الملا عبود بغرامة قدرها ٣٠٠ روبية دفعها عنه - على ما قيل - عبد الكاظم الشمخاني.

أصبح شعر الملا عبود الكرخي مصدراً من مصادر الفولكلور العراقي واللغة العامية

وصورة المجتمع في النصف الأول من القرن العشرين، وكان في الغالب مجتمعاً راكداً محافظاً على حالته قبل تطوره بدخول الإنكليز وتأليف الحكومة الوطنية. أما العامة فقد تطورت بعد ذلك كثيراً بتأثير الصحافة والإذاعة وانتشار المدارس. وقد استمد الكرخي ثقافته من التراث الشعبي، في حين أن شعراء الفصحى استوحوا أدهم من التراث العربي الخالد والانفتاح الحديث على الآداب العالمية.

أشيع نبأ وفاة الملا عبود الكرخي في البصرة كذباً فخاطبه معروف الرصافي قائلاً:

أعبود إنك ذو فطنة      تعيش بها عيش حرّ سعيد  
قريحة شعرك فياضة      لها في الأناشيد مرمى بعيد  
أتيت من الشعر بالمضحكات      وبالمبكيات التي لا تبيد  
حتى يقول:

يباهي بك الكرخ أبناءه      ويثني عليك بما لا مزيد  
ولكن حسّادك الخاسرين      يبيتون منك بغيط شديد  
أشاعوا نعيك من غيظهم      يريدون للشعر ما لا يريد  
ولما تبين بهتانهم لدى الناس      عادوا بغيط جديد...

## شعر عبود الكرخي

صوّر الكرخي في شعره حياة الفلاحين والنساء القرويات والمشاكل الاجتماعية، وذكر الأمثال والخرافات العامة. ودعا إلى العلم والاستقلال الوطني، حارب السفور مع الحجابيين سنة ١٩٢٤ - ٢٥، ورحب بالتجنيد الإجباري، وبكى على نكبة دمشق وفلسطين. نوّه بمتاعب الزراعة وبؤس الفلاح والأم الصحافة، وانتقد العادات الشعبية المستهجنة ومهازل الانتخابات النيابية وجهل بعض النواب. ونظم شعراً غزلياً على الطريقة القديمة. وله أشعار بذئية منع نشرها في العراق فطبع بعد وفاته في بيروت.

المحالات:

قصيدة طويلة نظم فيها الأمور المستحيلة في رأيه. فقال: هل يتزوج وهو الشيخ الفاني بفتاة أم تكون له حورية في الجنة؟ هل يصعد إلى السماء مسلّم وهل يطلب الفرج من المصلوب؟ هل تباع الخيل في سوق الهرج، وهل يحبى الأموات في المقابر؟ هل يجمد النهر في الصيف أم يعود الشيخ إلى الشباب؟ هل يأتلف القطّ والفأر أو يتساوى الفحم والماس؟ هل يغلب الحمار الحصان في السباق؟ هل تنشأ السفن من الورق وهل يأكل الأسد التبن والحشيش؟ هل يكون الهندسي خطيباً في البدو؟ هل يفترس الحمل الذئب،



وهل يؤكل لحم الكلاب؟ هل يدرس العالم على الأغبياء وهل ينسج البدو القز والحريز؟ هل تربط البقة بالحبل، وهل يسحب النمل السفينة؟ هل يؤسس معمل ورق في الهندية؟ هل يكون الصليبي أعلم من أديسن وهل يكون ماركوني غيبياً؟ هل يظهر نبي من زرباطية وهل يكون طلاب اكسفورد وحوشاً؟ هل يطيل فورد ذقنه؟ هل يزرع التبغ في الشامية، وهل ينبت جناح للجاموس فيطير؟ هل يصدر الغبار من أمواج البحر، وهل يدخل الفيل في شق الإبرة؟ الخ .

## حسين قسام

الشاعر الشعبي الذي نafs عبود الكرخي فلم ينل شهرته وذبوع صيته، وهو حسين بن عبود قسام الخفاجي، ولد في النجف سنة ١٨٩٧، ونشأ في محافلها وبجالسها، وتفتحت قريحته بوحى المنابر الحسينية. وأولع بالأدب العامي، وهو غرض العود، ومال الى النظم والظرف والمفاكحة. قست عليه الحياة ومنحته البؤس والحрман، فلاذ بالسخرية والهزء. نمت في نفسه نزعة الى الدعابة والهزل، فظهر أثر ذلك في شعره كما ظهر في مسآخره وحكاياته. وقد زار بغداد مراراً وطوّف في أنحاء الفرات الأوسط، وعرف شعره وانتشر في المحافل الشعبية وبجامع العوام، وكانت له مع أقرانه من شعراء اللغة العامية صولات ومساجلات ومفاخرات. وقد توفي سنة ١٩٥٨. طبعت مجموعات من شعره، منها: الأفكار المطلسمة (١٩٥٧) سنجاف الكلام (١٩٦٣) قيطان الكلام (١٩٦٣) محراث الكلام (١٩٦٤).

ولعلّ شاعرنا قد أشبه في هزله والقياس مع الفارق الزمني - محمد بن دانيال الخزاعي الموصلبي المتوفى بالقاهرة سنة ١٣١٠م، ذلك الشاعر الذي نعت بالأديب الحكيم الخليع وألف «طيف الخيال» وكان صاحب نكت ونوادير ومجون، وقد قال:

قد عقلنا والعقل أي وثاق      وصرنا والصبر مــــرّ المذاق  
كل من كان فاضلاً كان مثلي      فاضلاً عند قسمة الأرزاق

وقال سعيد الديوه جي أن ابن دانيال تفوّق في فنّ «خيال الظل» وكان يضع له القصة وينظم الأصوات ويلحنها ويعين الأزياء لها . . . أما حسين قسام فكان يسخر من السدج الغريباء ولا سيّما الزوّار الهنود والفرس، ويمثّل في جموعهم مسرحيات يخرجها على قارعة الطريق، ويضفي عليها لبوس الجلد والصرامة، ويكون في أكثر الأحيان مبدعها ومؤلفها وممثلها الوحيد .

كنّا ذات يوم نزور صديقاً لنا من أصحاب دور السينما، فجاء حسين قسام، ولم نكن نعرفه، فتقمّص دور صاحب دار سينما في بعض الألوية وأخذ يساوم صاحبنا على

شراء أفلام . وظلّ يتكلم في الموضوع كلاماً طويلاً ويجادل ويناقش ويوافق ويعارض ،  
وصديقنا يلاطفه ويداريه ولا يشكّ في حقيقة أمره . ولما كشف أمره أخيراً أحد  
الحاضرين العارفين له ، استذكرنا كلامه فوجدناه سفسطة خالية من المعنى !

ومثّل في يوم آخر دور قرويّ ساذج ، فجاء الى دار السينما واشترى بطاقة الدخول ،  
ثم دافع الناس وحاول أن يدخل من شبّاك بيع التذاكر ، والناس تضجّ بالضحك ولا  
تشكّ أنه جاهل يسير على سجيّته .

ترجمه محمّد هادي الأميني في مجلة التراث الشعبي البغدادية (أيلول ١٩٦٣) ، فقال  
إنه طرق جميع أبواب الشعر الشعبي ونظم فيها ، فأبدع في تصوير مشاهد الحياة وآلامها  
واللوان العواطف الإنسانية وخلجاتها ، وأطلق صرخات الأنفس الحرة التي يعذبها الظلم  
ويكويها الألم فلا تحور ولا تستكين . ونظم القصص والحكايات وال نوادر والأمثال ،  
ونفذ عيوب المجتمع ، وبرع في فنون الشعر كالموال والميمر والعتاب والأبوذية والحزورات  
والهوسات . . . وأدخل في نظمه من المصطلحات الشعبية ما هو متداول في أنحاء  
العراق وسائر الأقطار العربية كلبنان ومصر والمغرب . ومن أمثلة شعره الساخر وصيّة  
ريفي معدم لا يملك شروى نقيراً ، فهو يوصي أهله بترك البكاء والتفجع ويعدّد الأشياء  
التي خلفها فإذا هي لا تخرج عن حيوانات هزيلة وخنجر بلا قراب وأثاث محطم ولوازم  
بيتية عتيقة ، ويشدّد على أهله بالعناية بكل تلك الأشياء والمحافظة عليها . . .

ومن شعره الساخر قصائد يحسبها السامع هراء لما حوت من مبالغات وغرائب تفوق  
حدّ المعقول ، ولكنها تظهر لدى التأمل عميقة المغزى ، بعيدة الغور في الهزل القائم على  
فكرة التناقض والتعجيز والتلميح . فمن ذلك قصيدته التي قالها يواسي صديقاً له سرق  
للصوص متاعه القليل ، فهو يعده بنصره ومساعدته ، ويقول له : إنني لمرسّل لك  
جنوداً من الهنود تكرّ على خيولها في منتصف الليل وعند الظهر ، بنادقها من الخشب  
ورصاصها نارنج ، ترجّ البلد رجاً ، وقد ساندها جموع العرب والكرد والبربر ، رجاهم  
تمشي على أطراف النخيل وفرسانهم تجول فوق السطوح . . .

\*\*\*

ذكر جعفر الخليلي حسين قسام في الجزء الثالث من كتاب «هكذا عرفتهم» عند  
كلامه على الظرفاء الذين عرفهم ، فقال إنه تجاوز الخامسة والستين من عمره فافتقد  
تلك المقدرة التي كانت تعينه على تمثيل أدوار المساخر المضحكة وضاق به الدنيا ،  
وأعسر فلم يكن له مورد سوى راتب ضئيل يتقاضاه من دائرة الأوقاف لقاء سدائنه لمقام  
هود وصالح بمقبرة وادي السلام في النجف .

ثم قال إن حسين قسام نسيج وحده في تمثيل الأدوار الفكاهية والظرف ونسيج  
الأهابل والنكات ونظم الشعر الهزلي . وهو يجيد تقليد أغلب اللغات ويجيد حكاية  
اللهجة في أية لغة ولكن بدون معنى . وكثيراً ما يراه الرائي وهو يكلم أحد الهنود أو الترك

أو الإيرانيين أو الإنكليز بلغة لا ينقصها شيء غير المعنى ، فيهزون رؤوسهم أمامه ويضربون عنه صفحاً . وهو يتكلم العربية بهذه الطريقة فلا يدعك تفهم منه شيئاً . وقد يقصد بعض الحكام شاكياً ، فينصت له الحاكم ويسعى ليفهم شيئاً من كلامه ، فلا يفهم إلا النهاية التي يتركها واضحة ليقضي على الشك الذي يبعثه سرعة كلامه وعدم اتزانه . وهو فوق ذلك يحسن تكييف نفسه وقلب سحته كما يشاء دون أن تبدر منه بادرة تفسر عمله أو تشكك فيه . وقد سبق في أثناء الاحتلال الإنكليزي ليعمل في السخرة ويحمل أكياس الرمل لتقوية سدود النهر . فحمل حسين قسام أول كيس مكرهاً ، فحين عاد مع العائدين ، انطوى على نفسه في غفلة من الحراس وعوّج إحدى رجليه وصعد حاجبه الى الأعلى وجعل أعضائه تهتز كمن به رجفة ، ومرّ على هذا الوجه بين المراقبين وهم لا يشكّون أنه بعض العاجزين المشلولين المشوهين . ولم يزل هذا شأنه حتى تجاوز حدود المراقبة فأطلق عند ذلك ساقيه للريح . . .

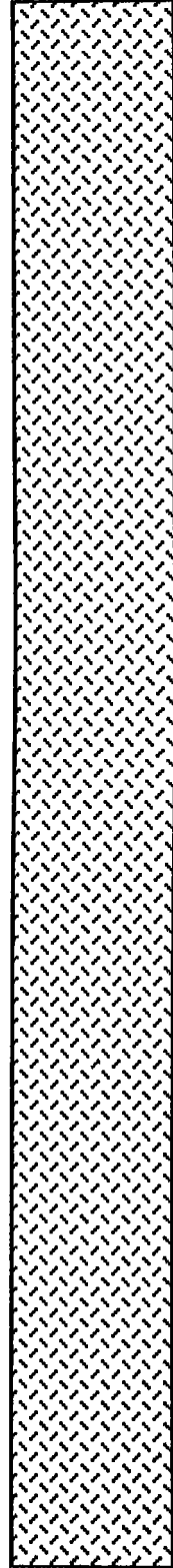
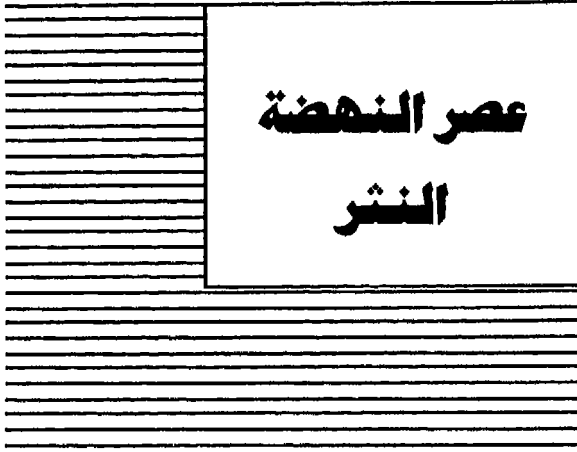
يذكرنا حسين قسام المعوز الدائم الذي قلما يجد ما يقيت به أسرته بأبطال المقامات كأبي الفتح الاسكندراني صاحب بديع الزمان الهمداني وأبي زيد السروجي صاحب الحريري وميمون بن خزام صاحب الشيخ ناصيف اليازجي ، وغيرهم من الذين يمتثلون لنيل رزقهم بشتى الحيل الأدبية واللغوية والتمثيلية . وكان حسين قسام ينتظر قدوم الزوار الهنود والأفغانيين والأعجماء الى النجف ، فيقيم لهم المآتم الحسينية والعلوية ويستدرّ بكاءهم بخطبه الرنانة الفارغة وتعازيه السفسطائية ، وهم لا يفهمون كلامه بل يتأثرون بكلماته وحركاته ، ولا يبخلون عليه في آخر الأمر بالنقود ، ثم يمضون راضين حاسبين أنهم قضوا واجباتهم الدينية .

## أدب اللامعقول

### LITERATURE OF THE ABSURD, OR IRRATIONAL LITERATURE

ظهر في أوربة في منتصف القرن العشرين مسرح اللامعقول ، وهو تطوّر حديث للرمزية والوجودية والسريالية وما يكتنفها من غموض وإبهام ، يرمي الى تجسيم سخافة الحياة وتهافتها واستحالتها . وتمن برز فيه أوجين يونسكو EUGENIE IONESCO والأديب الفرنسي الإيرلندي الأصل صموئيل بيكيت SAMUEL BECKETT . وحلدا توفيق الحكيم حذوهم فوضع مسرحيته «يا طالع الشجرة» .

وإذا دققنا شعور عبود الكرخي وحسين قسام وغيرهما من شعراء العامية نجد أنهم سبقوا أولئك الأدباء الغربيين في أدب اللامعقول . ومن أمثلة ذلك قصيدة المستحيلات المنشورة في ديوان الكرخي والكثير من قصائد حسين قسام كتلك التي نظمها يواسي صديقاً له سرق متاعه القليل ووصية الريفي المعدم عن توزيع تركته الهزيلة الخ .





## محمود شكري الألوسي

العالم البحّثة الذي أحيّا سنّة جدّه شهاب الدين محمود الألوسي وضرب مثلاً سامياً في الزهد والقناعة والتجرّد للعلم . ولد في بغداد في ١٢ أيار ١٨٥٧ وتوفي بها في ٦ أيار ١٩٢٤ . وقد ترجمت له ترجمة وافية في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية» .

قال الدكتور علي المحافظة الأردني في كتابه «الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩١٤» (بيروت ١٩٧٥) : «كان محمود شكري الألوسي مصلحاً دينياً سلفياً جمع بين مبادئ الدعوة الوهابية في الاعتماد على القرآن والسنة ومحاربة البدع الدينية والطرق الصوفية وبين مبادئ النهضة العلمية العربية الحديثة في الاهتمام بالعلوم غير الدينية مثل التاريخ والفلك» .

## علي علاء الدين الألوسي

قاضي بغداد علي علاء الدين بن نعمان خير الدين بن محمود شهاب الدين الألوسي ، ولد في بغداد في ١٧ شباط ١٨٦١ . أخذ العلوم العقلية والنقلية عن والده وعن الشيخ عبد الوهاب النائب وإسماعيل الموصللي وابن عمّه محمود شكري الألوسي . وقد أرسله والده سنة ١٨٨٢ الى الهند ، فاجتمع بالسيد صدّيق حسن خان (١٨٣٢ - ١٨٨٩) ملك بهوبال وفاتحه في طبع مؤلفات أبيه وجدّه ، وأخذ عنه الحديث فأجازه إجازة عامة . ثم قصد الأستانة مع والده سنة ١٨٨٣ ، فانتفى الى مدرسة القضاة وتخرّج فيها .

وولي القضاء في عدة مدن في فلسطين وبعلبك والعمارة والديوانية . وعهد إليه ، على أثر وفاة أبيه سنة ١٨٩٩ ، بالتدريس في مدرسة مرجان وجامع الشيخ صندل ببغداد .

وانتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب العثماني بعد إعلان الدستور (١٩٠٨) الى حلّه في ١٨ كانون الثاني (١٩١٢) . ولما نشبت الحرب العامة أوفد مع محمود شكري الألوسي بمهمّة الى أمير نجد عبد العزيز آل سعود (تشرين الثاني ١٩١٤) . وعاد الوفد

في نيسان ١٩١٥ ولم يفلح في مسعاه لحمل الأمير على مناصرة الدولة العثمانية . واختير بعد ذلك عضواً بمجلس الولاية العام .

احتل الإنكليز بغداد، فعين علي علاء الدين قاضياً لها سنة ١٩١٧ . ثم أصيب بالفالج وتوفي ببغداد في ٧ كانون الثاني ١٩٢٢ .

ذكره إبراهيم الواعظ فوصفه بالرزانة والخلق المتين ، وأشار الى معارضته لسياسة الاتحاديين الأتراك . وقال : «ثم عرفته قاضياً بعد الاحتلال البريطاني ، وكان صلباً في رأيه ، متمسكاً بدينه . وقد كلفه ناظر العدلية بونهام كارتر البريطاني بالموافقة على استبدال أموال الأوقاف ، فلم يوافق وبقي مصرأ على رأيه الى أن توفاه الله» .

### مؤلفاته وشعره

ترك علي علاء الدين الألوسي مؤلفات ، منها كتاب الدرّ المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر (طبع ١٩٦٧) ، ومجاميع ضمّنها نوادر وأخباراً وطرائف من شعره . ونظم الأجرومية وكتب تعاليق وحواشي على كتب كثيرة . وقد آلت معظم تصانيفه المخطوطة الى عباس العزاوي تلميذه وكاتب المحكمة الشرعية في عهده .

ونشر كتباً منها : نقد مقامات الحريري لابن الخشاب (١٩١٠) والحباء في الإيحاء لنعمان الألوسي (١٩١٠) وسيرة الرسول لعبد الباسط زين الدين الملطي القاهري الحنفي المتوفى سنة ١٥١٤م (١٩١٠) وكتاب التوحيد للإمام جعفر الصادق (١٩١٢) .

ونقل عن الفارسية رسالة للطوسي في معرفة التقيوم .

كان ينظم الشعر مقلأ . وقد نظم ارجوزة في سور القرآن وقصائد في مدح جمال الدين شيخ الإسلام سبأها «روضة الإفهام» .

ومن شعره رثاؤه لصديقه مصطفى نور الدين الواعظ ، قال :

أسفأ لقد حلّ الحيام بفاضيل	من فقدده الـزُوزا بأمر باهظ
قد كان في علم الشريعة حافظاً	ولسننة المختار جدد محافظ
وله اليراع العضب يعرف ثغره	للدين خير مؤازر وملاحظ
فقضى حقوق العلم غير مقصر	بكتابة وخطابة ومواعظ

وقال في السمر والبيض :

قالوا : جعلناك فيما بيننا حكماً	في السمر والبيض ، قلت : أصغوا لتعريضي
كلا الفريقين عندي جبههم حسن	لكن في السمر معنى ليس في البيض ا

وذكر إبراهيم الواعظ أن محمد رشيد رضا صاحب المنار زار بغداد سنة ١٩١٣ فحلّ

ضيفاً على بعض وجهائها . ولم يتمكن علي علاء الدين الألوسي من زيارته لبرود كان بينه وبين الوجيه صاحب الدار، فأرسل إليه بالأبيات التالية معتذراً:

أهلاً بيدر دنا، والدار نائية،      والقلب من أهلها - حاشاك - نفاً  
إني أحييك من بعد على ثقة      بالود منك ودون القرب أعدار  
قد يترك الماء محتاج اليه وقد      تُعاف للهون أوطان وأوطار  
لو كانت النار ما عاقتني ثانيةً      عن الزيارة، إلا أنه العار

\*\*\*

ولي علي علاء الدين القضاء أعواماً طويلة في العهد العثماني وعهد الاحتلال، وكان يرى فيه رسالة سامية لإعزاز الحق ونصرة الضعيف . قال في ذلك:

إن القضاء هو البلاء، فلا تكن      متعرضاً فتصاب من سوء القضا  
وإذا ابتليت به على كرهه فخذ      نهج العدالة إتها سبب الرضا  
وقال متشوقاً إلى بيروت:

لإخوان الصفاء محضت ودي      فأغنونني بهم عمّن عداهم  
تسرى عيني جميع الناس فيهم      وإني لست في المعنى سواهم

وقال يحنّ إلى العراق:

أومض البرق من ثايبا العراق      فاستفاضت له شؤون المآقي  
وبدا لامعاً فأجج ناراً      تتلظى بين الحشا والتراقي  
ليت شعري، وللزمان شؤون،      هل يضمّ الأجباب شمل التراقي؟  
ودياري كما أحبّ دياري      ورفاقي كما أحبّ رفاقي؟

وقال:

روحي وجسمي لما بنتم افترقا      فالروح في بلد والجسم في بلد  
بالله جودوا بطيف من زيارتكم      كي تجمعوا لي بين الروح والجسد

### عبد المجيد الشاوي

الأديب البغدادي الظريف صاحب الكلمات اللاذعة والاشارات البارعة . ولد في بغداد سنة ١٨٦٢ وتوفي في بيروت في ١٦ أيلول ١٩٢٧ . وكان في العهد العثماني نائباً في مجلس المبعوثان . وأصبح في العهد الوطني وزيراً بلا وزارة ورئيس بلدية بغداد ومتصرف لواء الدليم ونائباً . وعين عضواً بمجلس الأعيان وقد اشتد عليه المرض ، فقال



لما بلغ بالإرادة الملكية :

أتت وحياض الموت بيني وبينها وجادت بوصول حين لا ينفع الوصل  
ترجمت له في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية، ورويت طرفاً من أدبه ونوادره . وقد ذكره  
أمين الريحاني في كتابه «فيصل الأول» فقال إنه حضر مأدبة في البلاط الملكي بشوب  
افرنجي عادي ولم يرتدِ اللباس الرسمي . وصفه بأنه ذلك العربي الحُرّ الجريء الجامع  
بين محاسن البدو والحضر، ذلك الفيلسوف الذي نشر الحكم وما كتبها . وقال : كان له  
رأس كرأس سقراط شكلاً ومعنى ولسان كلسان صموئيل جونسن سقراط الإنكليز  
بفصاحته ولوأذعه .

سمع الريحاني عبد المجيد الشاوي يقول في تلك الليلة : «وهذا الاستبداد الحديث  
العهد ، استبداد «الموضه» جاءنا كذلك من الغرب . أما نحن العرب فلا نضيع وقتنا  
ومالنا وتعقلنا في سبيل «الموضه» ، فقد كان ، ولا يزال ، خلاصنا في بسيط عاداتنا  
وسذاجة طباعنا . أنتم تبدأون حيث يمكنكم أن تنتهوا . أقول : يمكنكم ولا أقول :  
يجب أو يجوز أن تنتهوا بهذه الرسميات ، هذه الترهات» .

فقال رستم حيدر : ولكنك أنت أيضاً خاضع لسطة الموضه في ثوبك الإفرنجي  
هذا ، قابل باستبدالها . فأجاب الشاوي على الفور : وأنا أيضاً حماراً .

رويت عدداً من النوادر المحفوظة عن الشاوي في كتابي المذكور . وأروي هنا بعض  
الطرائف الأخرى :

وقف وزير المالية ذات يوم في مجلس النواب وقال في معرض كلامه : أبشركم بزيادة  
الضرائب في الميزانية المقبلة . فقال النائب ثابت عبد النور : يا لها من بشرى سعيدة  
يشرنا بها معالي الوزير ! ولم يكن من عبد المجيد الشاوي إلا أن قال : النائب معذور ،  
فإنه لم يقرأ قوله تعالى : وبشر الذين كفروا بعذاب أليم (سورة التوبة) .

وكان الشاوي النائب إذا خرج من الجلسة مرّ بكتاب الضبط وقال لهم ما معناه :  
«هنيئاً لكم ، يا أولادي ، تخرجون كلاماً منمقاً من الأحاديث السخيفة التي تسمعونها في  
المجلس» . وقيل إن بعض النواب كانوا يمرون بكتاب الضبط فيلاطفونهم ويرجونهم أن  
يصلحوا من الخطب والكلمات المرتجلة التي كانوا يلقونها في قاعة المجلس قبل إثباتها في  
المحاضر .

وكان الشاوي في مجلسه عصرًا يحفّ به رجالات بغداد ولفيف من أبناء الأسرة  
الشاوية ، فإذا به يسمع منادياً في الطريق ينادي على حمار ضائع ويعد بالحلوان لمن يدل  
عليه . فأمر بإدخال الرجل وقال له : هل حمارك حساوي أم شاوي ، يا ولدي ؟ فقال :  
إنه شاوي ، يا سيدي .

وأشار عبد المجيد بك الى أفراد أسرته وقال له : دونك هؤلاء الشاوية ، فاختر واحداً

منهم بدل حمارك ، والعوض على الله .

قام الملك فيصل الأول ذات مرة بزيارة للألوية مصطحباً بعض وزرائه وخواصه ومنهم عبد المجيد الشاوي . ولما وصل الموكب الملكي الى العمارة ، وكان متصرف اللواء عبد الله السليمي ، نزلوا في دار المتصرف الذي وقف وموظفيه في خدمة الملك . وكان الشاوي يكره السليمي ويعلم أن هذا الضابط العسكري السابق والإداري اللاحق قد تزوج من مطلقة الأمير زيد ، فأسر الأمر في نفسه .

وفي الصباح بينما كان الملك وحاشيته يتناولون طعام الفطور والمتصرف واقف في خدمتهم ، قال الشاوي : أليس من المناسب ، يا سيدي صاحب الجلالة ، أن نقرأ شيئاً من القرآن الكريم؟ وعجب الملك ، وهو يعرف مخاطبه لا يعبا كثيراً بأمر الدين ، فقال له : تفضل اقرأ . وقرأ عبد المجيد الشاوي في سورة الأحزاب ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها . ﴾ ، فحجل المتصرف وانصرف .

والأسرة الشاوية التي ينتمي إليها عبد المجيد من أسر العراق القديمة تنتسب الى شاوي الشاهري الحميري رئيس قبيلة العبيد من عشائر زبيد ، ورد ذكره لأول مرة سنة ١٧٠٧ حين ذهب مع والي بغداد حسن باشا لتأديب قبائل زبيد والسليم . وكان ابنه عبد الله بك الشاوي «باب العرب» أي مدير شؤون العشائر في مقر الولاية ، قتله الولي عمر باشا سنة ١٧٦٩ . وعلى أثر ذلك نهض ولداه سليمان بك وسلطان بك فحشدا عشيرتهما في ناحية الدجيل وأحدثا اضطراباً .

وكان سليمان بك بن عبد الله بك أديباً شاعراً تولى منصب «باب العرب» أيضاً ، وقد قتله الولي سليمان باشا سنة ١٧٩٤ . وانتدب محمد بك بن عبد الله الشاوي في حملة أرسلها الولي سليمان باشا الى الأحساء لمحاربة الأمير سعود بن عبد العزيز . واتهم إثر عودته بالميل الى المذهب الوهابي فقتل سنة ١٨٠٢ .

وعرف من متأخري أبناء الأسرة الشاعران أحمد بك الشاوي (١٨٢٨ - ١٨٩٩) وولده عبد الحميد بك المتوفي في البصرة سنة ١٨٩٨ ، وأحمد توفيق بك بن سالم بك (١٨٤٤ - ١٨٩٥) وكان موظفاً إدارياً تولى قائممقامية أقضية الشامية والسماوة والديوانية وخانقين .

\*\*\*

رثاه إبراهيم صالح شكر عند وفاته فقال : «شعلة ذكاء متقدمة عصف المنون بها فانطفأت وتركت في جوانب النفوس كآبة مظلمة ولوعة مدلهمة» .

وصف نفسه الممراحة التي لم يلاطفها غير الأدب الغض وروحه اللطيفة الجذابة التي ملؤها الظرف والكياسة . وذكر دعابته الحلوة اللذيذة والبداهة الحافلة والحديث الطلي

الشهبي المملوء عظة وعبرة والروعة اللامعة المبتسمة . ونعته بشيخ الشباب النابه وفتى  
الشيوخ الأفاضل .

## إغناطيوس أفرام الرحماني

إغناطيوس مار أفرام الثاني الرحماني بطريرك أنطاكية على السريان الكاثوليك ومن  
علماء التاريخ واللغات الشرقية ، ولد في الموصل في ٧ تشرين الثاني ١٨٤٨ ، وكان اسمه  
لويس بن إبراهيم رحماني . درس اللاهوت في روما ورسم كاهناً (١٨٦٣) ثم عاد الى  
مسقط رأسه واختير نائب أبرشية الموصل سنة ١٨٨٠ . ثم كان أسقفاً للرها (١٨٨٧)  
وبغداد (١٨٩٠) وحلب (١٨٩٤) واختير بطريركاً لطائفته في ماردين (ت ١٨٩٨) .

وقد نقل مركز البطريركية الى بيروت سنة ١٩٠٢ وأصدر مجلة الآثار الشرقية سنة  
١٩٢٦ . واختاره البابا بنديكتوس الخامس عشر مستشاراً للمجمع الشرقي في روما .

كان يجسن لغات متعددة قديمة وحديثة منها العربية والفرنسية والإيطالية  
والسريانية واليونانية واللاتينية والعبرية ، وله معرفة بالخطوط المسماية والكوفية . وقد  
توفي في القاهرة في ٧ أيار ١٩٢٩ ودفن في لبنان .

من مؤلفاته : مقالة في سوريا (١٩٢٦) مقالة في مملكة آشور (١٩٢٦) المباحث  
الجليّة في الليتورجيات (الطقسيات) الشرقية والغربية (١٩٢٤) مختصر التاريخ القديم  
(١٨٧٧) مختصر تاريخ الأجيال الوسطى (١٨٧٧) مختصر التاريخ المقدس (١٨٨١)  
الخ . ووضع عدا ذلك قاموس اللغة السريانية ومصنفات باللاتينية والفرنسية  
والسريانية .

قال يوسف أسعد داغر في الجزء الثاني من كتابه «مصادر الدراسة الأدبية» إن  
البطريرك رحماني «استخدم معارفه الواسعة في علوم الدين والدنيا في حث البحث  
العلمي الدقيق وأمدّ الثقافة والتاريخ المدني والكنسي هذه الدراسات المخدومة التي  
نشرها بمختلف اللغات وبذلك المقالات المستفيضة البحث التي دبّجها في شتى العلوم  
والموضوعات التاريخية واللغوية والكتابية . . .» .

## أدي شير

المطران أدي شير إبراهيمنا ولد في شقلاوة في شمالي العراق في آذار ١٨٦٧ ، ودرس  
بمدرسة الآباء الدومنيكيين في الموصل ، وتعلم اللغات العربية والكلدانية والتركية  
والعبرية والفارسية والكردية واللاتينية والفرنسية . ورسم مطراناً على سعرد سنة ١٩٠٢ ،

وقتل في بعض قراها في أوائل الحرب العامة في آب ١٩١٥ خلال المذابح التي تعرض لها أبناء أبرشيته .

وضع مؤلفات كثيرة منها: الألفاظ الفارسية المعرّبة (١٩٠٨) التاريخ السعدي (مؤلف نستوري مجهول، حققه وترجمه الى الفرنسية في جزئين ١٩٠٧ - ١٩٠٨) تاريخ كلدو وآثور (في جزئين ١٩١٢ - ١٩١٣). مدرسة نصيين الشهيرة (١٩٠٥). ومن مؤلفاته الفرنسية المطبوعة في باريس: حوادث من تاريخ كردستان (١٩١٠) تاريخ محمد باشا المعروف بمير كور (١٩١٠) دراسة إضافية عن الكتاب السريان الشرقيين (١٩١٠) الخ. وعرّب كتاب «شهداء الشرق» في مجلدين (١٩٠٠).

كان المطران أدي شير في مقدمة العلماء الباحثين الذين تحزّروا أصول الكلمات واجتهدوا في إرجاعها الى مصادرها. وقد قال اللغوي الدكتور إبراهيم السامرائي الأستاذ في كلية الآداب في جامعة بغداد:

«أظنّ أن تجربة أدي شير صاحب «الألفاظ الفارسية المعرّبة» وتجارب الآخرين . . . غير موفّقة، لأنهم جاروا على العربية. فقد زعم غير واحد من هؤلاء الآباء الموقرين أن «كتب» و «قرأ» من المواد السريانية وهي دخيلة في العربية. ولا أدري كيف فاتهم أن هذه المواد العربية هي سامية الأصول، فوجودها في العربية والسريانية والعبرانية والأكدية والآشورية وغير هذه من وجود اللغة السامية الأم.

على أي لا أنكر أن يكون في العربية دخيل معرّب اقتبسته العربية في عصور مختلفة من لغات عدّة لسبب من الأسباب، وقد أشار الى ذلك القدماء والمحدثون».

## انستاس ماري الكرملّي

البحاثة اللغوي والمؤرخ المحقق الأب انستاس ماري الكرملّي، واسمه قبل أن يترهب بطرس ميخائيل ماريني، ولد في بغداد في ٥ آب ١٨٦٦ وتوفي بها في ٧ كانون الثاني ١٩٤٧. أصدر مجلة لغة العرب الشهيرة وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في الشام عند تأسيسه سنة ١٩٢٠ وعضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة.

وضع قاموساً ضخماً بعنوان «المساعد»، طبع منه جزآن سنة ١٩٧٢ و١٩٧٦ بعناية وزارة الإعلام العراقية وتحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، وهما يتناولان حرف الهمزة وقسماً من حرف الباء فقط. والمساعد إنما هو قاموس القاموسيين، فليس هو بالمعجم الاعتيادي الذي يفيد منه القارئ والمتعلم والأديب، بل هو ثبت للكلمات الغربية والأصول اللغوية وقياس اللغات واللهجات مع جولات في الجغرافية والتاريخ وأساطير الأمم وتتبعات في الكتب القديمة والحديثة ومناقشات للآراء والأسماء والأقوال والأفعال واستطرادات أدبية وعلمية وفكرية وشعبية عامية . . .

وعني الأب انتاس بتحرّي تطور معاني الكلمات ودلالاتها وإن كان يشدد على المعنى الأصلي ويعدّ المعنى الجديد في كثير من الأحيان غير فصيح . وقد ناقشته مراراً في هذا الموضوع وقلت إن اللغة كائن حيّ يتطور بتطور الزمن وظهور حاجات التعبير عن معاني العصر . فلا بدّ إذن من الاعتراف بأن الكلمات في جميع اللغات تتحوّر وجوه استعمالها : مثال ذلك أن (القهوة) في العربية كانت تطلق على اللبن المحض والخمرة ثم اتخذها المولّدون علماء اللبّن . و (القرن) يعني حقبة من الزمن ثم اختص بمائة سنة فقيل : القرن التاسع عشر والعشرون . . . و (الوجدان) مصدر للوجود ثم أطلق خصيصاً على الضمير والنفس . و (المقارنة) في الأصل المصاحبة والاقتران والجمع ثم أخرجت الى معنى المقايسة والمفاضلة . و (الثقافة) أتت بمعنى التقويم والحذق فصرفت الى معناها الحاضر وهو الحضارة الفكرية وتهذيب العقول والأخلاق ، لتنظر الى معنى كلمة (كولتور) الألمانية والفرنسية و (كلشر) الإنكليزية . وهذه الكلمة الغربية نفسها (كولتور) كانت تعني في بادىء الأمر الزراعة والعبادة والتحسين ولم تطلق على مفهوم الثقافة الحاضر إلا في أوائل القرن التاسع عشر .

ولا يزال الكتاب والمتكلمون يخرجون للكلمة معنى جديداً على صواب أو على خطأ فيشيع ويعمّ استعماله ويعسر على الفصحاء استئصاله . وليس ذلك بدعاً في العربية : فقد نبّه الدكتور مصطفى جواد على كلمة (الصمود) وقال إن العرب لم تعرف الصمود مصدراً وإنما المصدر (الصّمْد) كالقصد وزناً ومعنى . فإذا كان العرب قد استعملوا الصمد في حروبهم للقصد والسير الى العدو، فكيف يستعمل للثبات والقرار وهو عكس معناه؟

ونبّه الدكتور جواد أيضاً ، وهو تلميذ الكرملّي ، على كلمة (الاستهتار) فقال إن معناها الغرام والولوع بالشيء وأخطأ المحدثون في استعمالها بمعنى التهاون بالشيء والاستهانة به ، كأن يقال : فلان مستهتر بالقانون . وقالوا (الهاوي) وجمعها (الهاوة) بمعنى المحبّ وغير المحترف كالموسيقيّ الهاوي والمصارع الهاوي وهوأة الطوايع وفصيحتها (الهوي) بلا ألف ، إذ معنى الهاوي لغةً : الساقط والجراد الخ . وكرّر مصطفى جواد تنبيهه وبيّح صوته في «قل ولا تقل» ، لكن جمهور الكتاب والقراء لم يبالوا بذلك التنبيه واستمروا على أخطائهم لا يرضون عنها بديلاً .

وقد ترجمت للكرملّي ترجمة وافية في «أعلام اليقظة الفكرية» فليرجع إليها .

## الأب أوغسطين مرمجي

من علماء اللغة العربية الراهب الدومنيكي أوغسطين مرمجي ، وهو أوغسطين سِبْسْتِيَان ابن يوسف المعروف بالمرمجي ابن جرجس بن شمعون الحائك الموصلّي الأصل . ولد ببغداد في ٣١ تموز ١٨٨١ من أبوين موصليين ودرس في مدرسة الإتفاق

الكاثوليكي . ثم أرسل الى الموصل وانتمى الى المدرسة الأكليريكية الدومنيكية ، ورسم قسيساً سنة ١٩٠١ .

عاد الى بغداد سنة ١٩٠٦ وعيّن معلماً للعربية في مدرسة الطائفة السريانية . وأخذ يكتب المجلات الشهيرة كالمشرق والبشير البيروتيين والمقتطف والهلل المصريتين . وبعد ستة عشر عاماً مضى الى فرنسا واعتزل في بعض أديرتها سنتين . واختير سنة ١٩٢٥ مدرّساً في المعهد الكتابي والآثاري الفرنسي بالقدس الشريف . وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق وعضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

إختص الأب مرمرجي بدراسة العربية ومقايستها بسائر اللغات السامية ، ووضع مؤلفات في هذا الموضوع ، منها : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية (١٩٣٧) هل العربية منطقيّة؟ (١٩٤٧) معجميات عربية سامية (١٩٥٠) .

وألف أيضاً : بلدانية فلسطين العربية (١٩٤٨) ، [وقد ترجمه الى الفرنسية أيضاً وطبعه في باريس] ، العلاقات بين الأسرة والألفة الاجتماعية ، محاضرات مختارات في الدين والفلسفة والاجتماع (١٩٤٧) ، الخ .

وكانت له مناقشات لغوية مع الأب أنستاس ماري الكرملّي والبطريك إغناطيوس أفرام برصوم .

أدركته الوفاة في القدس في ٢٩ نيسان ١٩٦٣ .

### يعقوب سركيس

أمضي فتبقى صورتي، فتعجبوا: تمضي الحقائق والرسوم تدوم  
أهداني يعقوب سركيس صورته قبل سنوات فكتب عليها هذا البيت من نظم ناصيف اليازجي . ولم تمض على ذلك أشهر قليلة حتى أعياه الصمم وأوصاب الشيخوخة فاعتكف في داره منقطعاً عن أصدقائه مخلداً الى وحشته وانفراده . ووافته منيته ببغداد في مساء الأربعاء ٢٣ كانون الأول ١٩٥٩ قبيل منتصف الليل . وكذلك انطوت صفحة ناصعة من صفحات الحياة الإنسانية، صفحة حياة شيخ وقور انصرف الى البحث والتحقيق ودقق صحائف مجهولة من تاريخ وادي الرافدين وجمع خزانة كتب فريدة حافلة بنقائس المخطوطات والمطبوعات .

ولد يعقوب نعوم سركيس في بغداد في ٢١ آب ١٨٧٦ من أسرة حلبيّة الأصل ودرس في مدرسة اللاتين فتعلم العربية والفرنسية والتركية . ولما تخرج في مدرسته عهد إليه بالتدريس فيها أمداً وجيزاً في محل أحد المعلمين الغائبين . ثم ألحقه أبوه بعمل كتابي في

بعض البيوتات التجارية ليتعلم المراسلة والمعاملات . ولم يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى توفي أبوه نعوم سركيس ، وكان ملتزماً لمقاطعات في أنحاء المنتفك وملاكاً فيها ، فتعهده عمه بولس وأخذه معه الى الشرطة للإشراف على مزارع الأسرة . ومنذ ذلك الحين أمضى أربعين سنة أو نحوها يخرج في كل سنة الى أنحاء الشرطة والحى وقلعة سكر والناصرية ليعيش أشهراً في الخيام أو الدور القروية متعهداً أملاكه وزراعتة . ولم يشذ عن تلك القاعدة إلا في سني الحرب العالمية الأولى وبعض السنوات الأخرى ، ثم انصرف عنها بعد أن اجتاز سن الكهولة . وكثيراً ما كان يبتهج بأنه نصف بدوي أو فلاح لقضائه معظم أيام حياته في القرى والأرياف واعتياده معيشة الخيام وركوب الخيل ومجالسته للزراع ورجال العشائر ومعرفته بعاداتهم وأدابهم وأهائهم . وكان محافظاً يلزم نفسه بالتقاليد القديمة ويقول في كل مناسبة تعرض : «قطع الخشوم ولا قطع الرسوم» يريد بذلك وجوب التقيد بالأصول والرسوم ولو أدى الأمر الى جذع الأنوف والإرهاق والأذى . وكذلك أصبح يعقوب سركيس قطعة من تربة الوطن وجزءاً لا يتجزأ من تاريخه قبل أن يتصدى لتدوين صحائف من أحداثه وشؤون رجاله وبقاعه . وقد ورث عن آله ميلاً الى جمع الوثائق والرسائل والمخطوطات ، فانصرف الى هذه الهواية منذ نعومة أظفاره . ثم استبدت به هذه الهواية فجمع خزانة كتب ضخمة ضمت نفائس لم يتيسر اقتناؤها إلا ببذل المال الوفير وإنفاق سنين تربو على الخمسين . وقد حدثني مراراً عن المتاعب التي لقيها في شراء الكتب ، لا سيما في صدر شبابه في أثناء عهد الاستبداد الحميدي . فلقد كان يبيع عدد كبير من الكتب ودوائر المعارف محظوراً لاحتوائها على مباحث في الحرية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية . واضطر الشاب يعقوب سركيس أن يكلف صديقاً له زار أوربة في مطلع القرن الحاضر - وكانت تلك الرحلة من الأحداث النادرة آنذاك - كلفه بتهرب نسخة من دائرة المعارف الفرنسية ليضمها الى مكتبته ، وبقي بحثائنا يحتفظ بهذه النسخة ويحرص عليها الى آخر حياته .

وقد أشرف بحثائنا على الأربعين من عمره دون أن تخطر الكتابة بباله . ثم أصدر الأب انستاس ماري الكرملي مجلته «لغة العرب» فشجعه على تدوين معلوماته عن المنتفك ، فكتب نبذة عنوانها «خواطر في المنتفق وديارهم» بتوقيع مستعار . لكن يد الأب تناولت هذه النبذة بالتنقيح والتصحيح حتى «شوهتها» فطواها يعقوب سركيس وأغفل نشرها في مجموعته .

بيد أن تلك النبذة كانت فاتحة عهد جديد في حياة الأستاذ يعقوب ، فقد واصل الكتابة منذ سنة ١٩١٣ ونشر مقالاته وبحوثه الممتعة في مجالات وصحف عديدة كمجلة لغة العرب وغرفة تجارة بغداد والنجم الموصلية والاعتدال النجفية والأدب والفن اللندنية ومعالم الغد والبيان والجزيرة وسومر والنور والمجمع العلمي العراقي وجريدة البلاد والزمان والعراق والأخبار والشعب والطريق والأوقات العراقية الخ . وقام بعد

إلحاح شديد من أصدقائه بجمع مقالاته في كتاب «مباحث عراقية» في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ ، فأصدر القسم الأول سنة ١٩٤٨ بتقديم محمد رضا الشيبلي ، وأردفه بالقسم الثاني سنة ١٩٥٥ وقد قدمه رفائيل بطي ومير بصري .  
تضمن هذان الجزآن أغلب كتاباته التي تستوعب مجلدين آخرين .

واختاره المجمع العلمي العراقي في كانون الأول ١٩٤٩ عضواً فخرياً فكتب مقالات نفيسة في مجلة المجمع أهمها بحثه في النقود العراقية الذي جاء بشكل تعليق على كتاب الأب انتساس الكرملي في النقود العربية وعلم النميات ، وهو بحث مسهب يشكل كتاباً متوسطاً قائماً بذاته . وترجم يعقوب سركيس في آخريات أيامه الفصول المتعلقة ببغداد من رحلة أوليا جليبي ، نقلها عن اللغة التركية وشرع بكتابة الحواشي والتعليقات مما قدر له أن يتجاوز المتن ، لكن الزمن لم يسعفه لإنجازها .

وطريقته في الكتابة والبحث أن يراعي الدقة ويتحرى التفصيل ، لكن قلمه لم يكن يطاوعه - على ما كان يقول - فكان يصرف في كتابة البحث أو المقالة أياماً وأسابيع يراجع المصادر وينقل النصوص ويزن كل كلمة وعبارة خشية مجانبية الحق أو إساءة التعبير . وكان قلمها يعني بطلاوة الأسلوب وجمال الصياغة ، فلم يكن يعتبر نفسه أديباً وإنما كان يرمي الى الإفادة دون أن يهمله الإمتاع . وكنت أعرض عليه أحياناً شيئاً من شعري أو كتاباتي الأدبية فكان يقرأها بإمعان ثم يقول متواضعاً في صراحته المعهودة : «لعل هذا جيد ، ولكنني لا أستطيع الحكم» . أو ما كان في هذا المعنى . ومن أمثلة دقته أنه كتب ذات يوم يرد على أحد الأدباء في موضوع تاريخي فأشار الى إسم الكاتب «فلان الملقب نفسه بالفلاني» . فلما سألته لماذا لم يكتب «فلاناً الفلاني» كما هو المؤلف قال «إن هذا الرجل يدعي الانتساب الى قوم مضوا ، فإذا ذكرت اسمه على علاته حسب مني ذلك إقراراً بنسبه» .

ولقد تحدثت قبل سنوات طويلة عن يعقوب سركيس الباحثة المؤرخ فقلت : حظي يعقوب سركيس بالصفات المطلوبة في المؤرخ المحقق ، فأولع منذ حداثته بتتبع الأخبار واستقصاء الأنباء ، وأوتي جلدأ على التمحيص والتنقيب ، ومعرفة بلغات تعين على الإستطلاع والاستقراء ، وبصيرة نقادة تحاكم الوقائع وتميز بين المعقول والمختلق ، وغيره على الحقيقة لا ترضى عن الصدق بديلاً ، وروحاً علمياً ينزع الى التدقيق والتحقيق يدلل الصعاب ويهزأ بالنصب والعناء . ورزق الى جانب ذلك قلماً إن يكون رزين العبارة غير مشرق الديباجة ، فإنه واضح الأسلوب قريب المتناول بعيد عن التعسف والتكلف لائق بالبحث العلمي التاريخي . . إختص سركيس بعهد مجهولة من تاريخ هذه البلاد وأتيح له أن يجمع وثائق ومخطوطات نادرة ثمينة ذات صلة بهذه الحقبة من الزمن وأن يرث من أسرته أوراقاً يرجع أقدمها الى نيف ومائة سنة ، ويحوي بعضها معلومات ذات شأن لم ترد في مرجع معروف ويفسر وجودها هذا الميل المتأصل في نفسه الى التحقيق والتدوين .



ومن أئمن ما ضمته خزانة كتبه مجموعة كبيرة منقطعة النظير من الرحلات الى العراق لمختلف الرحالين الذين أتوا هذه البلاد منذ أقدم العصور حتي عهدنا الحاضر. وهذه المجموعة التي بذل صاحبها في سبيل الحصول عليها جهداً ومالاً وفيرين، كتبت بلغات مختلفة وفيها المطبوع والمخطوط، ومعظمها نادر عسير التطلاب. وإذا كان بحائتنا قد جد في طلب هذه المصادر القليلة الشهيرة وأنعم النظر في ثنائياها، فلا بدع أن جاءت أبحاثه غزيرة المادة طريفة الموضوع كاشفة لمناح مجهولة من تاريخ هذه البلاد في الأزمنة الأخيرة. ولا شك أن هذه الأبحاث سوف تبقى أسانيد تاريخية جلية القدر كبيرة القيمة.

لقد عرفت الراحل الفاضل عشرين سنة ونعمت بصحبته وتمتعت بأحاديثه وأخذت من علمه وفضله وطالعت من مكنونات خزانته ما شئت ورغبت، فوجدته، على ما بيننا من فارق السن، نعم الصديق الوفي الكريم والرجل المهذب الوقور والعالم المتخلق بأفضل الأخلاق والمتبع لسنن العدالة والحق والمتسم بالرصانة والصراحة والصدق. لقد كان عصامياً بالرغم من ثروته وجاهه، وكان معتدلاً في كل أموره مبتعداً عن التفریط والإفراط، وكان حليماً واسع الصدر متواضعاً للصغير والكبير، فيا لأسفي على فقده ويا للوعتي وأساي على وفاته. إن الجيل الذي أنجبه قد مضى وانطوى في ذمة التاريخ، وقد بقي فقيدنا الى آخر أيامه مثلاً حياً لأبائنا الجادين الأخيار البسطاء وأنموذجاً طيباً لأحسن صفاتهم وشمالهم. فيا أيها الشيخ النبيل والراحل الفاضل الجليل، لقد ألمني المصاب وأخرسني الحزن والشجن، فماذا أقول في تأبينك وكيف أئني عليك وأعدد ما شهدت من مزايك وسجاياك؟ إنك حي في نفوس عارفيك، مأثور الفضل منشور الذكر، وقديماً قال المتنبي:

كفل الثناء له برد حياته      لما انطوى فكانه منشور

### آثاره ومصادره:

إن أبحاث يعقوب سركيس ودراساته سوف تبقى مصدراً من مصادر تاريخ العراق في العهد العثماني الأخير يرجع اليها مؤرخ المستقبل في تحقيق موضوعه وتدوينه. وقد كان فقيدنا مولعاً بمباحثه يحبها حباً جماً ويتلذذ بكتابتها وتدقيقها وإعادة النظر فيها. وكان يقول: «أظن كتاباتي جيدة، ولكنني كالأب يجب أولاده في جهلمهم ودماثهم». وكان يتبجح - وهو الرجل المتواضع الذي يؤثر العزلة ويتحاشى الظهور - فيقول: «إن المصادر التي هيئت لي قلما هيئت لغيري . . .».

إن دراستنا لسيرة البحانة الراحل لا تكون كاملة إذا لم نردفها بنظرة عامة في آثاره ومراجعته. إن كتابات يعقوب سركيس التي دونها ونشرها خلال حقبة تنيف على

الأربعين سنة تتناول مواضيع شتى وتستند جميعها الى مراجع مخطوطة أو نادرة . ومن أهم هذه المواضيع :

١ - تاريخ المنتفق وآل السعدون ، وقد كتب في هذا الموضوع صفحات كثيرة اعتمد في أغلبها على وثائق ذات شأن وصلت إليه من أبيه الذي كان وثيق الصلة بآل سعدون .

٢ - خطط بغداد وأثارها كمنارة سوق الغزل وجامع الخلفاء والمدرسة المستنصرية وجامع قمريه والمدرسة العمريه ودار المسناة والقصر العباسي وخان جفالة زادة المعروف بخان جغان الخ .

٣ - بحوث أثرية كموقع خرائب تلو (تل هواره) وواسط وطاق كسرى .

٤ - بحوث في طائفة من مدن العراق كالبصرة والنجف والحماة والكوت والبغيلة وألتون كوبري .

٥ - بحوث في الملل والنحل كاليزيدية وعقائدهم .

٦ - تراجم أشخاص كنظمي وآله وإبراهيم يحيى العاملي وحكيم زاده البغدادي .

٧ - شؤون العشائر كآل قشعم وقبيلة العزة .

٨ - طرائف تاريخية كرحلة أول عراقي الى العالم الجديد وظهور حوت في دجلة والأسود في العراق واشتداد الحر وسقوط الثلج ومقاييس الماء وظهور أول سيارة وأول طائرة في بغداد وهلم جرا .

٩ - مباحث في تاريخ العراق الاقتصادي . وضع يعقوب سر كيس دراسات ذات قيمة في هذا الموضوع . وقد سألته ذات مرة أن يجمع هذه الشذرات والمقالات بين دفتي كتاب يطلق عليه اسماً ذا دلالة على الموضوع ، فقال إنه يؤثر إدراجها في محلها من مجموعة مقالاته بحسب تسلسل تاريخ كتابتها . وقام فعلاً بذلك فنشرها في القسم الثاني من مجموعته «مباحث عراقية» فاستوعبت زهاء ١٦٠ صفحة من القطع الكبير . ويصح أن يضاف إليها بحوث أخرى منها «بعثة جسني رائد الفرات» بصدد الملاحه في هذا النهر (مجلة دار المعلمين العاليه - ١٩٤٨) ورسالة مطولة في «النقود والنميات» (مجلة المجمع العلمي العراقي - ١٩٥٠) الخ .

وأستطيع أن أقول إن إقدام يعقوب سر كيس على تدوين مباحث في التاريخ الاقتصادي قد كان بطلب وإلحاح مني . فقد تعرفت عليه في مجلس أنستاس الكرمللي في سنة ١٩٤٠ فلم ألث أن دعوته الى الكتابة في مجلة غرفة تجارة بغداد التي كنت أشرف على تحريرها ، كما دعوت فريقاً من أفاضل الكتاب والعلماء أمثال انستاس الكرمللي وعباس العزاوي ويوسف غنيمه ومصطفى جواد وداود الجلبي وهاشم جواد وعبد القادر رشيد وشيت نعمان وغيرهم .

وقد واصل يعقوب الكتابة في هذه المجلة من سنة ١٩٤٠ الى ١٩٤٤ ، فتناول في مواضعه مبدأ زراعة بعض الثمار والخضر في وادي الرافدين ، وتاريخ التبغ والقهوة والنقود العثمانية وآخر العهد بضرها في بغداد، وواردات العراق بين عهدين، ورسم الاستهلاك في القرن التاسع عشر، وكمرك بغداد في عهد السلطان مراد الرابع، وتعرفة الاحتساب، وواردات المتفق، وتجارة البصرة في صدر المائة الماضية وهلم جرا. وفي وسعي أن أقول إن كل كلمة خطها وكل رقم ذكره يستند الى مصدر من كتاب قديم أو رحلة نادرة أو وثائق وأوراق خطية عثر عليها في الزوايا والخبايا. ومن المعلومات التي حققها أن زراعة الطماطة والفاصولية والبطاطة حديثة عهد في هذا القطر، وإن التبن قد عرف في العراق منذ مطلع القرن السابع عشر وعرفت القهوة قبل ذلك، وقد بني أول مقهى في بغداد سنة ١٥٩٠ م. وكانت واردات ولايات العراق الثلاث في أواخر العهد العثماني قبل الحرب العظمى الأولى - على ما تخمنه - لا تزيد على ٩٠٠ ألف ليرة. وكان ولي بغداد مفوضاً بسك النقود في دار الضرب (السكة خانة) ثم انقطع الضرب في سنة ١٨٣٥ على عهد الوالي علي رضا باشا اللازم.

أما مصادر يعقوب سركيس التي كان يرجع إليها في تدوين مباحثه فأهمها، بلا ريب، رحلات الرحالين الذين أموا العراق في القرون الماضية. وقد جمع في مكتبته من هذه الرحلات الشيء الكثير ولا سيما كتب الرحالين الإفرنج الذين جاؤوا الى بلاد الرافدين منذ سنة ١٥٦٥ الى أوائل القرن العشرين. وهذه الكتب بلغات مختلفة كالفرنسية والإنكليزية والإيطالية والألمانية والتركية، ومعظمها مطبوع قبل مئات السنين، وهي تجلو صفحة خفية من تاريخ هذا القطر وأحواله المعاشية والاقتصادية والسياسية.

ومن المصادر النادرة التي هيئت لبعثتنا وثائق آل سعدون التي سبق الإشارة إليها وأوراق ورسائل لآل عبود أسرة والدته - وترجع هذه الأوراق الى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر - وقد استخرج منها فوائد كثيرة تتعلق بأخبار العراق وتجارته في ذلك العهد. وقد رأيت لديه سجلات يومية مخطوطة لعدد من الأشخاص باللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية، منها ما يعود الى أوائل القرن الماضي وكان يرجع إليها بين الحين والحين لاستخراج معلومات طريفة وأخبار فريدة. ولا ريب أن أهم تلك السجلات يومات يوسف زفوبودا البغدادي المتوفى سنة ١٩٠٨. كان هذا الرجل كاتباً في باخرة شركة لينج التي كانت تمخر عباب دجلة بين البصرة وبغداد، وقد حرص على تدوين مذكراته يوماً فيوماً باللغة الانكليزية خلال ٤٦ سنة فجاءت في ٦١ دفترًا وقع أغلبها في يدي يعقوب سركيس. كان زفوبودا يدون يومياً ما يسمعه من الأخبار والوقائع وما يحدث له من الأمور غثها وسمينها، وقد كتب آخر كلماته قبل يومين اثنين فقط من وفاته.

إنني لأذكر هذه الدفاتر جيداً فهي على وفرة عددها بحجم واحد تفتح طولاً ومجلدة بجلد أحمر وقد كتبت بخط دقيق ظهر عليه الضعف واضحاً في الدفتر الأخير. ولغة الكاتب الانكليزية تتسم بالركة والخطأ، وأكثر مدوناته لا تعدو أخباراً شخصية أو عائلية تافهة، حتى ليحتاج قارئها الى حظ وافر من الصبر والجلد. ومع ذلك عكف يعقوب سركيس على مطالعتها سنين طويلة ووضع لها فهرس وجداول واستخرج من آلاف سطورها طائفة من الأخبار والوقائع والطرائف. وحرى بالذكر أن معظم هذه الدفاتر آلت الى بحاثنا قبل أعوام طويلة، ثم وجد في السنوات الأخيرة عدداً من الدفاتر الناقصة فكان فرحه بها عظيماً أشد من فرح الطفل بدمية جديدة يعثر عليها. وكانت معرفة سركيس باللغة الانكليزية ضئيلة فكان يستعين بي وبغيري من الأصدقاء لترجمة ما يريد من أخبارها.

### يعقوب سركيس ومخطوطاته

خلف لنا أناتول فرانس، أديب فرنسة الفدّ، في بعض رواياته شخصية حية عجيبة هي شخصية «سلفستر بونار» عضو المجمع العلمي الذي يمثل البهائية المدقق المنصرف الى التنقيب والتحقيق، المعتكف بين كتبه وأوراقه، الناظر بروحه وفكره الى زمان سالف. أولع الأستاذ بونار في صدر شبابه بالتحقيق التاريخي حتى انشغل به عن الزواج. واختص بتاريخ القرون الوسطى التي حجبتها سدل من الظلام كثيفة، فأكبّ على دراسة مظائنها وتحرّري أخبارها وكشف مجاهلها.

وقف صاحبنا انفاقاً، في بعض المراجع القديمة، على ذكر مخطوطة فريدة في بابها تضمّنت طرفاً نادراً من أبناء الحقبة التي أنفق عمره في تحقيق تاريخها، فهم بها وهو لا يدري بأقية هي في إحدى الزوايا أم قد ذهبت بها يد الحدّان. أصبحت هذه المخطوطة العدملية منية فؤاد أستاذنا، يحلم بها في يقظته ومنامه ويتغزل بها ويشقائق إليها، والأذن تعشق قبل العين أحياناً. ومرت السنون وهو على عهد ما مقيم، حتى أتيت له ذات يوم أن وجد اسمها في فهرس لأحد الكتيّبين الإيطاليين. فطار له فرحاً بها، وشدّ الرحال الى صقلية في سبيل شرائها، وهو الشيخ الذي مضت عليه ثلاثون سنة في دار واحدة لا يكاد يبرحها. لكنه تجشّم مشاق السفر الى ذلك البلد البعيد ليجد مخطوطته الحبيبة قد انتقلت الى نفس بارييس التي خرج منها، فعاد اليها على عجل، والمخطوطة تمعن في الفرار منه، وهو يجدّ في أثرها، حتى حظي بوصولها، ولأياً ما فعل، إذ أهدتها إليه، بعد أن يتس من اقتنائها، جنّة من بنات الإنس راعية للجميل.

لم يدر في خلدي أن آنس ذات يوم بلقاء «سلفستر بونار» بشراً سويماً حتى هيء لي التعرف بيعقوب سركيس المؤرخ المحقق والتنعم بصحبته الكريمة وصداقته النبيلة. أنفق سركيس سنين طويلة في جمع خزانة كتبه التي تضمّنت كل ما استطاع حيازته من مصادر تاريخ العراق، وفي مقدمتها رحلات الرحالين الشرقيين والغربيين الذين زاروا

بلاد الرافدين خلال الأعوام الألف الأخيرة، من ابن جبير وابن بطوطة وسيدي علي وأوليا جليبي ودرّي أفندي ومصطفى الصديقي وأبي طالب مرزا، الى بالبي وتكسيرا وديلا فالي وتيفنو وتافرنية ونيبوهر وروسو وشيزني وجونس ولوفنس وسون وجرتود بل . لكن هذه المجموعة الفريدة في بابها قد أعوزتها مخطوطة لا تقوّم بثمن : فقد علم الأستاذ سركيس في أثناء مراجعاته ، بوجود رحلة مخطوطة لرحالة برتغالي قديم مجهول الاسم زار العراق في نحو سنة ١٥٥٤ ، وكانت هذه المخطوطة النادرة في حوزة الميجر مارتن هيوم الانكليزي في مطلع المائة العشرين . أشار الى هذه الرحلة البرتغالية المستشرق غاي لسترانج في هامش كتابه «أراضي الخلافة الشرقية» مستنداً في ذكرها الى ما كتبه عنها مالك نسختها الفريدة نفسه في صحيفة «الأثينيوم» في عددها المؤرخ في ٢٣ آذار ١٩٠١ . ولم يقرأ باحثنا العراقي خبر هذه الرحلة في هامش لسترانج حتى ملكت لبه وشغلت باله ، فشرع يبحث عن عدد الصحيفة الانكليزية التي وصفتها . لكن هذا العدد نفذت نسخته ، وقد مرّت على صدوره عشرات الأعوام ، فلم ينل ذلك من عزيمة الباحث المحقق ، بل استمر على طلبه حتى وُقِّد للحصول على نسخة منه — بعد بضع عشرة سنة! وقد سرّه أن يجد على صفحات هذا العدد رسالة من الميجر هيوم يصف فيها مخطوطته المجهولة المؤلف ويسأل القراء أن يرشدوه الى صاحبها الذي خرج من لشبونة في منتصف القرن السادس عشر، وجاب أوربة غربيها وشرقيها، ثم عرج على الأناضول وسورية وفلسطين ومصر ووصل أخيراً الى وادي الرافدين والخليج العربي . وقد كتب البرتغالي الذي غمر اسمه وشخصه حجاب النسيان يصف البلدان التي زارها والمغامرات التي خاضها في رحلته الطويلة الشاقة ، فكانت مدوّنته بعد مئات السنين سجلاً رائعاً لعهود بعيدة وأقطار مغمورة .

يا لسرور الأستاذ بالعثور على وصف مخطوطته الحبيبة بقلم من حاز نسختها الوحيدة! لكن هذا الوصف لم يكن ليبلّ الغلّة ، بل إنه لم يكن إلا ليزيد الظمأ الى الرحلة الموصوفة كما يشتدّ جوع الجائع عند ذكر الطعام السائغ المريء . فكيف الحصول عليها وأين الوصول إليها؟ لقد امتلكها ضابط انكليزي في مطلع القرن ، فماذا فعل الدهر بهذا الضابط وماذا حلّ بمخطوطته الثمينة؟ أهى لا تزال في قيد الوجود خبيثة في بعض الزوايا ، أم قد ذهبت بها يد العيب والإهمال فزال أثرها وزال بزوالها آخر سجلّ لمغامرات عجيبة شائقة؟ أم لعلاها قد وقعت في قبضة هاوي كتب متبلد الذهن ، فعصّ عليها بالنواجذ وضمّمها في خزانة مغلقة ينفس عليها نور الشمس وأعين الناس . . . لقد نقب باحثنا وأمعن في التحقيق والتدقيق ، وراجع فهارس دور الكتب وقوائم الكتبيين والهواة ، وكتب الى «لوزاك» وأمثال «لوزاك» من قناصة الآثار الشرقية النادرة . . . ولكن هيهات أن يجد الى ضالّته المشودة سبيلاً . . .

وقد أهديت كتب يعقوب سركيس ومخطوطاته بعد وفاته الى جامعة الحكمة في

بغداد، فعهد الى كوركيس عواد بوضع فهرست للمخطوطات صدر سنة ١٩٦٦. ثم نقلت الى مكتبة المتحف العراقي في تموز ١٩٧١.

كان ليعقوب سر كيس دائرة معارف بريطانية تتألف من عشرات الأجزاء مطبوعة قبل سنة ١٩٠٠، وكان يعتز بها كل الاعتزاز. وقد اشترى طبعة جديدة بعد ذلك، لكنه بعد أن أهدى الطبعة القديمة عاد فاسترجعها وضمها الى مكتبته. وقد سألته عن السبب فقال: إن طبع الكتب والجرائد واستيرادها كان ممنوعاً في عهد الاستبداد الحميدي يعاقب عليه بأشد العقوبات، لا سيما تلك التي تذكر الحرية والحقوق المدنية والثورة والتاريخ الحديث. وقد سافر صديق له الى أوروبا سنة ١٩٠٠ فكلفه بجلب دائرة المعارف له، فتحمل مشقة كبيرة في إدخالها الى ميناء البصرة وحملها الى بغداد خوفاً من الكمارك والرقباء. ووضعها يعقوب سر كيس في مكان خفي من داره حذراً من العيون يطالعها سراً، حتى إذا ما أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وتم تحرير المطبوعات، أخرجها الى النور بلا وجل.

كان يعقوب سر كيس يمتلك مخطوطاً في تاريخ آل سعود والوهابين كتبه أحد كتبهم في نحو سنة ١٨٧٥. وقد ترك المؤلف خدمتهم والتحق بخدمة آل سعودون في المنتفق، فأجرى في مخطوطته بعض التصليحات.

وكان يعقوب سر كيس يحرص على هذه المخطوطة ويعدّها فريدة في موضوعها، وقال لي إنه يرضى ببيعها الى الحكومة السعودية إذا دفعت فيها ثمناً كبيراً، لا سيما أنها تقبض إيراداتاً جسيماً من مواردها النفطية.

ودعونا الشيخ عبد الله الخيال سفير المملكة العربية السعودية في بغداد ورفائيل بطي لفحص المخطوطة، فأبدى السفير اهتمامه بها ووعد أن يكتب الى حكومته حاثاً إياها على شرائها. ولكن لم يحصل أي نتيجة.

ولما توفي يعقوب وقام أخوه يوسف بإهداء مكتبته الى جامعة الحكمة، أخبرته بقيمة المخطوطة، فأثر الإحتفاظ بها ولم يهداها مع الكتب والمخطوطات الأخرى التي آلت بعد ذلك الى الحكومة العراقية عند تأميم الجامعة.

هذا وقد جمعت مقالات سر كيس في كتابه «مباحث عراقية: في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ». (الجزء الأول ١٩٤٨، الثاني ١٩٥٥). وله أيضاً: تلو أي تل هواره (١٩٣١) شهداء حلب (١٩٣٤) التتن والقهوة في العراق (١٩٤١) كمرك بغداد في عهد السلطان مراد الرابع وخلفه السلطان إبراهيم (١٩٤٢) واردات العراق بين عهدين (١٩٤١). وعني بنشر الجزء الثالث من «مباحث عراقية» مع حمدان علي سنة ١٩٨١.

أصيب يعقوب سر كيس في السنتين الأخيرتين من حياته بمرض الشيخوخة فصار

ينسى الحوادث القريبة . سألته يوماً عن الجزء الثالث من مباحثه العراقية الذي جمع مقالاته وهياًها للنشر فقال لي لا أذكر ذلك . ثم سألته عن مجيء سليمان البستاني مترجم الإلياذة الى العراق قبل سبعين سنة ، فانبرى يذكر التفاصيل بدقة وقال إن البستاني جاء الى بغداد والبصرة وأقام فيها ثماني سنين ومارس التعليم والتجارة واقترب بفتاة عراقية . . . ولم ينس بحائثنا الشيخ الأحداث التي مرت قبل عشرات السنين .

### رشيد السعدي

محمد رشيد بن داود السعدي ، كان أبوه الشيخ داود من علماء بغداد وعين مدرساً ومفتياً للمنتفق سنة ١٨٥٥ . ثم تولى إفتاء الجيش في الاحساء وألف رسالة في «طريق الحج من الاحساء الى الرياض فالحجاز» طبعت سنة ١٨٧٢ . وتوفي ببغداد سنة ١٨٧٦ .

درس محمد رشيد على علماء عصره وأنشأ مطبعة في بغداد سنة ١٩٠٣ . وألف كتاباً منها: غاية المراد في الخليل والحياد (١٨٩٦) قرّة العين في تاريخ الجزيرة والعراق وبين النهرين (١٩٠٧) ، ونشر من الكتب : سبائك العسجد لعثمان ابن سند (١٨٩٧) وديوان الشيخ كاظم الأزري (١٩٠٢) وقد طبعت تلك الكتب جميعها في بومبي بالهند .

قال إبراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون» : «كان هذا الرجل أعجوبة في قوة الحجّة وبعد النظر والاطلاع الواسع على قياسات أغلاط أهل المنطق ، يناظر ويبحث في علوم الملل والأديان فلا يجعل للخصم حجة ولا يبقى له كلاماً . كان آية في عرض الكلام في معارض بلاغية متنوّعة . . .» .

كان له شعر ، وتوفي ببغداد سنة ١٩٢١ .

### الدكتور سليمان غزالة

الطبيب الشاعر الأديب الدكتور سليمان غزالة ، وهو عبد الأحد سليمان بن جرجس بن يوسف غزالة ، ولد ببغداد في ٢١ أيلول ١٨٥٣ ودرس فيها . ثم قصد الموصل لمواصلة الدراسة ، وعاد الى مسقط رأسه سنة ١٨٧٠ ، وعين معلماً في مدرسة الأليانس الأهلية (١٨٧٣) ، وشد الرحال بعد ذلك الى بيروت سنة ١٨٧٩ فكان معلماً بمدرسة اليسوعيين ، لكنه أكب على الدرس في الوقت نفسه .

وسافر الى باريس في السنة التالية فانتمى الى كلية الطب (١٨٨١) وتخرج طبيباً سنة ١٨٨٦ . واختص بالقبالة وطبّ العيون والبكتريولوجية ثم عاد الى الاستانة سنة ١٨٨٧ وحصل على وظيفة طبيب صحة العراق .

وقد وصل الى البصرة في حزيران ١٨٨٨ ، وجعل مقرّه في الحلة ، وعهد إليه بمكافحة وباء الهیضة والطاعون في الألوية الجنوبية . وفي سنة ١٨٩٣ أوفد بمهمة صحية الى طور سيناء ، ورحل منها الى الأستانة وسيواس ونواحي الأناضول وحلب في سبيل أداء أعماله الطيبة .

عيّن طبيباً في طرابلس الغرب في كانون الأول ١٨٩٥ ، ثم نقل الى دمشق سنة ١٨٩٧ . وتوفيت زوجته الأولى صوفي كرومي ، فسافر الى باريس مجازاً . وتعرّف بالأدبية الفرنسية جان التي اشتهرت باسمها المستعار غي دافلين GUY D'AVELINE واقترن بها في العاصمة الفرنسية في ١٢ آب ١٨٩٧ ، وعمرها آنذاك نحو ٣٠ سنة .

وعاد الدكتور غزالة بزوجه الى الأستانة فأعيد تعيينه الى طرابلس الغرب (شباط ١٨٩٨) . وظلّ فيها الى الاحتلال الإيطالي ، فغادرها الى مالطة (تشرين الأول ١٩١١) ، ومن ثمّ قصد الأستانة فعيّن طبيباً للسفارة التركية في طهران . وقد وصل الى إيران في آذار ١٩١٢ ، واختير رئيساً لمجلس الصحة الدولي في العاصمة الفارسية في تشرين الأول ١٩١٤ الى كانون الثاني ١٩١٦ .

وقد رجع الى بغداد بعد غياب طويل في كانون الثاني ١٩٢٠ . واتخذ مقامه في البصرة وانتخب نائباً عنها في المجلس التأسيسي (أيار ١٩٢٤) ، وبعد ذلك في مجلس النواب (١٩٢٥ - ٢٨) . وأدرّكته الوفاة في بغداد ١٨ تشرين الأول ١٩٢٩ .

#### مؤلفاته

وضع سليمان غزالة مؤلفات كثيرة بالعربية منظومة ومنشورة ، منها : رواية لهجة الأبطال (١٩١١) سوانح الفِكر (١٩١٥) سوانح الكَلِم (١٩١٥) السبيل الأقصد (١٩١٧) سبب الموت الطبيعي (بالعربية والفرنسية) ، القصيدة الفيصلية (١٩٢٤) الحرية فلسفياً (١٩٢٤) الاعتماد على النفس (١٩٢٧) المعضلة الأدبية (١٩٢٧) حياتي الشخصية والوظائفية (١٩٢٩) الخ .

وصنّف «الوضيعة في الحكمة الخلقية في ١١ كتاباً (١٩٢٤ - ٢٧) ، وهي تتناول : الحياة الاجتماعية (١٩٢٤) منهاج العائلة (في جزئين ١٩٢٤ - ٢٦) خلاصة أركان الاقتصاد السياسي (١٩٢٦) العشق الطاهر (١٩٢٥) القصيدة الفردوسية (١٩٢٤) تاريخ الحرية البشرية (١٩٢٦) الهوى (١٩٢٦) الحبّ البشري (١٩٢٦) خلاصة الأدب الرياضي العملي (١٩٢٧) الاقتصاد السياسي (١٩٢٧) الأدب النظري العمومي (١٩٢٧) .

أما زوجته الثانية الفرنسية فكانت روائية معروفة ولها مشاركة في الفنّ كالرسم بالزيت على قماش الكتان . ولدت سنة ١٨٦٧ ، وعاشت مع قرينها في طرابلس الغرب وطهران والبصرة وبغداد وتوفيت بعده . ونشرت باسمها المستعار «غي دافلين» روايات لطيفة باللغة الفرنسية أشهرها «أتيلا» ملك الهون الذي دمر الحضارة الأوروبية في القرن



الخامس الميلادي، وكان يقال إنَّ العشب لا ينبت حيث وقعت سنابك خيله. وقد قال الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) في هذا الفاتح الطاغية:

إنَّ آتِيلاً، وما كان سوى      نعمة الله وسيف الغضب  
ملاً الأيام هولاً ودماءً      فحشاها خافق من رهب  
وهو المأثور عنه قوله      في سبيل الفخر فاسمع واعجب:  
«لم يغادر بي جوادي تربة      وعليها أنثر للعشب ا»

ومن روايات الأخرى: رسّام السيّدة، سكن بيننا، كنز علي خوجه، نجم بزغ، وردة الشواطئ، مريم المجدلية (١٩٢٧) الياقوت القتال (١٩٢٧)، الخ.  
وكان للدكتور غزالة وقرينته، بعد إقامتها في بغداد سنة ١٩٢٤، تجلس يومه رجال البلد وتبحث فيه موضوعات العلم والأدب والفن والاجتماع.

### أغا بزرك الطهراني

الشيخ محمد محسن بن علي الرازي المؤرخ البحاثة المعروف باسم «أغا بزرك الطهراني»، ولد بطهران في ٧ نيسان ١٨٧٦ ودرس على علمائها.

قدم النجف سنة ١٨٩٥، فتتلمذ على يد الشيخ محمد كاظم الخراساني وشيخ الشريعة الأصفهاني والسيد محمد كاظم اليزدي والشيخ محمد طه نجف وغيرهم. ثم قصد سامراء ولازم محمد تقي الشيرازي أعواماً. وعاد إلى النجف سنة ١٩٥٥ فانصرف إلى التأليف والتصنيف. وجمع خزانة كتب حفلت بنفائس المطبوع والمخطوط، وقد وقفها على طلبية العلم سنة ١٩٥٥. ورحل إلى إيران والهند وسائر الأقطار الإسلامية والعربية بحثاً عن المصادر للموسوعة التي عكف على وضعها في تصانيف الشيعة. توفي بالنجف في ٢٠ شباط ١٩٧٠.

قال فيه سلمان هادي الطعمة: «إنَّ هذا المفكر الذي عرفته عالماً بارعاً وأديباً فذاً ورجل بيان أمضى حياته بالتتبع والدراسات العميقة، أوتي مكانة فريدة في الثقافة الجامعة وأحاط بأسرار اللغتين العربية والفارسية...».

وضع مصنفات كثيرة أهمها: الدرر إلى تصانيف الشيعة (صدر منه ١٨ جزءاً في ٢١ مجلداً، ١٩٣٧ - ٦٧)، الكرام البررة (في جزئين ١٩٥٤ - ٥٨)، نقاء البشر في القرن الرابع عشر (٤ أجزاء ١٩٥٤ - ٦٨). وله أيضاً: حياة الشيخ الطوسي (١٩٥٧) ذيل كشف الظنون (١٩٦٧) المشيخة (١٩٣٧) مصفّى المقال في مصنفّي علم الرجال (١٩٥٩) الخ.

## اسماعيل باشا الببان

من فضلاء الأسرة الببانية اسماعيل باشا المعروف بالبغدادي أو النوري ابن محمد أمين باشا بن سليم باشا، ولد ببغداد ودرس في استانبول. وكان من رجال الجيش التركي في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، نال رتبة أمير لواء. وكان آخر مناصبه مديرية الشعبة الثانية لدائرة الضبطية (الشرطة) في استانبول قبل أن يعتزل الخدمة وينصرف إلى التأليف.

إشتهر بكتابه «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون» (طبع في مجلدين سنة ١٩٤٥ - ٤٧)، وقد أنفق في تأليف هذا الذيل نحواً من ثلاثين سنة وفرغ من تصنيفه سنة ١٩١٢. وألف أيضاً «هدية العارفين» في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين (في مجلدين ١٩٥١ - ٥٥).

توفي إسماعيل باشا في استانبول سنة ١٩٢٠.

قال عباس العزاوي إنه كان دؤوباً على العمل، عارفاً بالكتب والمخطوطات، وكان إلى ذلك خطاطاً ماهراً يشار إليه بالبنان.

## يوسف رزق الله غنيمة

الوزير البحاثة الأديب يوسف رزق الله غنيمة ولد في بغداد في ٩ آب ١٨٨٥ وتوفي في لندن التي قصدها مستشفياً في ١٠ آب ١٩٥٠. كان وزيراً للمالية والتموين وعضواً بمجلس الأعيان ومديراً عاماً للأثار الخ.

من مؤلفاته: تجارة العراق قديماً وحديثاً، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، محاضرات في مدن العراق، الحيرة: المدينة والمملكة العربية الخ. أسهبت في ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية».

\*\*\*

نشر المحامي حارث ابن يوسف غنيمة كتاباً في سيرة والده: يوسف غنيمة من أركان النهضة العلمية في العراق الحديث (طبع ببغداد، ١٩٩٠) وكان قد نشر أيضاً قبل ذلك «يوميات يوسف غنيمة: رحلة إلى أوروبا ١٩٢٩» (بغداد، ١٩٨٦).

ذكر حارث ان الجد الأعلى للأسرة القسّ يشوع بن الشماس غنيمة كان من النساطرة متزوجاً حسب عادة الكهنة الشرقيين، وكان يقيم في بغداد في النصف الأول من القرن السابع عشر. وانتمى حفيده عيسى بن الشماس غنيمة إلى الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٧٤٣. أما والد يوسف، وهو رزق الله غنيمة، فكان رئيس كتاب المكوس في بغداد

وتوفي في الثامنة والثلاثين من عمره . ولما ولد يوسف سمي يوسف نعمة الله قرياقوز لكنه عرف باسمه الأول . وتوفي والده وهو في الخامسة من عمره فكفنته والدته ورعاه عمه شكر الله ونصر الله .

درس في المدرسة الكلدانية الابتدائية ثم انتقل في أوائل سنة ١٨٩٨ الى مدرسة الألبانس وتخرج فيها سنة ١٩٠٢ ، وقد تعلم فيها اللغات العربية والفرنسية والانكليزية وشيئاً من التركية والعبرية إضافة الى العلوم والرياضيات والجغرافية والتاريخ . ولم بعد ذلك باللغة السريانية ، ودرس العربية على الأب انستاس ماربي الكرمل . وافتتح سنة ١٩٠٦ محلاً تجارياً وحصل على وكالات لاستيراد المضخات والمحركات الخ . ، وأسس فندقاً عصرياً بعد الاحتلال البريطاني . وأنشأ سنة ١٩٠٩ بالاشتراك مع المعلم داود صليوا جريدة «صدى بابل» .

انتخب عضواً في مجلس إدارة لواء بغداد (شباط ١٩٢٢) ، وتولى تدريس تاريخ المدن العراقية في مدرسة المعلمين العالية المؤسسة في كانون الأول ١٩٢٣ . وانتخب نائباً في المجلس التأسيسي (١٩٢٤) وكان مقرر اللجنة تدقيق لائحة القانون الأساسي . وأصدر جريدة «السياسة» اليومية في ٣ آذار ١٩٢٥ ، الى ٣ تموز ١٩٢٥ ، وانتخب نائباً عن لواء بغداد (حزيران ١٩٢٥) ثم أوقف صدور جريدته .

أصبح وزيراً للمالية (١٩٢٨ - ٢٩) و ١٩٢٩ و ١٩٣٤ - ٣٥ و ١٩٣٥ ، ووزير التموين (١٩٤٤ - ٤٦) ووزير المالية (١٩٤٦) مع وكالة وزارة التموين ، ووزير المالية (١٩٤٧ - ٤٨) .

غادر العراق بإجازة مرضية في تموز ١٩٢٩ قاصداً الاستشفاء فزار سورية ولبنان وفلسطين ومصر وإيطالية وفرنسة وانكلترا وعاد عن طريق فرنسة وإيطالية وتركية وسورية ولبنان في تشرين الأول ١٩٢٩ .

أعاد إصدار جريدة السياسة بعد تعطيل جريدة نداء الشعب لتكون لسان حال حزب الأخاء الوطني (٣٠ كانون ثاني ١٩٣١) ثم عطلتها الحكومة في ٢٤ آذار ١٩٣١ . ثم عين مديراً عاماً للواردات (٢٤ كانون أول ١٩٣٢) فمديراً عاماً للمالية (١٦ حزيران ١٩٣٤) فوزير المالية (٢٧ آب ١٩٣٤) نائب بغداد (كانون أول ١٩٣٤) الى نيسان ١٩٣٥ . وزير المالية (٤ آذار ١٩٣٥) الى ١٦ منه . عين مديراً عاماً للمالية للمرة الثانية (٢٧ حزيران ١٩٣٥) . تولى مديرية الأملاك والأراضي الأميرية العامة أيضاً بالوكالة (تموز ١٩٣٥) ثم عين مديراً عاماً للمصرف الزراعي الصناعي بالوكالة (آذار ١٩٣٦) . ثم نقل من مدير المالية العامة مديراً عاماً للمصرف أصالة (١٢ كانون أول ١٩٣٦) . الى ١٩ تشرين ثاني ١٩٤١ حين نقل مديراً عاماً للأثار مع بقائه مديراً عاماً للمصرف بالوكالة الى ١٧ آذار ١٩٤٢ . ثم تولى مديرية المصرف بالوكالة أيضاً من ٢٧ تشرين أول ١٩٤٣ الى ١٨ تشرين ثاني ١٩٤٤ بالإضافة الى مديرية الأثار وبعد ذلك مديريةية

التموين العامة . وقد قام المصرف بإمداد الزراع بالسلف والتدخل في الأسواق لرفع أسعار المحاصيل كالقطن وبذر الكتان والمساهمة في المشاريع الصناعية كشركة السمنت العراقية وشركة استخراج الزيوت النباتية وشركة تجارة وطحن الحبوب ومشاريع أخرى تتعلق بنسج القطن وأهراء الحبوب ودباغة الجلود وصيد الأسماك .

عين مديراً عاماً للآثار القديمة (٢٠ تشرين ثاني ١٩٤١) وكان نائب رئيس لجنة التموين الاستشارية أيضاً (نيسان ١٩٤٢) . ونقل مديراً عاماً للتموين (٢٥ حزيران ١٩٤٤) وأصبح وزير التموين (١٨ تشرين ثاني ١٩٤٤ الى ٢٣ شباط ١٩٤٦) . وعين عضواً بمجلس الأعيان خلفاً للبطريك يوسف عمانوئيل الثاني المستقيل (١٤ أيار ١٩٤٥) . ودخل في وزارة أرشد العمري وزيراً للمالية ووزير التموين بالوكالة (١ حزيران ١٩٤٦) . وقد استقال من وكالة التموين في ٣١ تموز ١٩٤٦ . واستمر في المالية الى استقالة الوزارة في ٢٠ تشرين ثاني ١٩٤٦ . وتقلد وزارة المالية أيضاً في وزارة صالح جبر (٢٩ آذار ١٩٤٧) ، وتم في عهده تأسيس البنك المركزي الذي عرف باسم المصرف الوطني العراقي (تشرين الثاني ١٩٤٧) . واستقال من الوزارة بعد أحداث الوثبة المعارضة لمعاهدة بورتسموث في ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ .

تكلمت عن أدبه ومؤلفاته في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية» . وقد ذكرت مقالاته التي نشرها سنة ١٩٢٩ / ٣٠ عن «حقوق الفلاح والعامل في العراق» . وقد قال هاشم جواد عنه إنه سبق الصحفيين والتقدميين في ميدان المطالبة بحقوق الفلاح والعامل وأشار بكل قوة وحماس الى ضرورة العناية بالطبقة العاملة في المعامل والمزارع . وذكر ما كتبه يوسف غنيمية سنة ١٩٢٩ إن من واجب العدل ومقتضيات النظام الاجتماعي الراقي أن تضمن راحة كل أفراد الأمة وتكفل طمأنينتهم مدى الحياة ، فضلاً عن وجوب الاهتمام بإعالة ذويهم بعد موتهم ، وذلك بتحديد ساعات العمل وتوفير شروط الصحة في محلات سكنهم وأعمالهم وأمان ومستقبل كل فلاح وعامل وغيرهما ويفكر في وسائل معيشتهم عند العجز والهرم وحلول العاهات ، ويقام بإعالة أيتامهم وأراملهم بعد موتهم .

وتساءل هاشم جواد هل قال لورد بيفيريج أكثر مما قاله هذا الرجل العراقي قبله بستة عشر عاماً؟

وقال يوسف غنيمية إن مطالب الفلاح يجب أن تشمل بقاء الحكومة مالكة لرقبة الأرض ، وتفويض الأراضي للفلاح والعامل بيده وترجيحه على من سواه ، وتشجيع الملكية الصغيرة والحد من مساحة الأراضي التي يملكها الشخص الواحد ، وتأليف مصرف زراعي ونقابات زراعية ، وحماية الإنتاج الزراعي وإيجاد الأسواق له ، الخ .

أما مطالب العمال فلخصها في تحديد سنّ العمل وساعات العمل والأجرة الصغرى ، وضمان العمال في حالة المرض وعند وقوع الحوادث المهنية وعند الشيخوخة

والعجز، ومعاونة العمال في أيام العطل، ومكافحة البطالة، والمساعدة في إيجاد مساكن صحية ورخيصة، ورفع مستوى التهذيب، الخ.

## طه الراوي

الكاتب المحقق اللغوي «معلم الجيل» طه الراوي ولد في بلدة عانة المقابلة لراوة على الفرات (كما أعلمني بذلك ولده حارث) سنة ١٨٩٠ وتوفي في بغداد في ٢١ تشرين الأول ١٩٤٦. كان أستاذاً في جامعة آل البيت ودار المعلمين العالية ومديراً عاماً للمعارف وعضو المجمع العلمي العربي في الشام ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر. نشرت ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية».

كتب الشاعر المصري علي الجارم إلى طه الراوي يقول:

«هذه والله، يا طه، صلة الروح التي لا تنفصم وإن بعد المكان وتعاقبت الأزمان. ماذا أكبر فيك؟ والله لا أدري. أهو علمك؟ أهو أدبك؟ أهو كريم خلقك، أم هؤلاء جميعاً؟ أم هناك أخوة بعيدة المدى منذ خلقت الأرواح لا أعرفها. رأيت كثيراً من العلماء وعاشرت عديداً من الأدباء وخالطت جمهرة من ذوي الخلق الكريم. فما كانوا لك نداءً ولا لشخصك العظيم في نفسي ظلاً...»

وقال توفيق السويدي:

«وقد أحببت صديقي الفقيده لميزة زادته في نظري إعجاباً، وهو أن تفكيره كان بعيداً عن تفكير بعض المعممين. وأريد بهذا أن الراوي لم يكن يتسم بالجمود بل كان يريد أن يساير الزمن ويواكب تطوراتها، ولكن تقدميته هذه كانت تقف عند حدود معينة بحكم النشأة والتربية التي نشأ وتربى عليها.

«وفي رأينا أن المرحوم الراوي كان يعتقد برسالة روحية سامية دأب على التغني بها منذ حداثة إلى اليوم الذي ودع فيه الحياة، رحمه الله».

وقال عباس العزاوي:

«... ولا أخالني مبالغاً إذا قلت أن الفقيده استكمل أدب النفس، وهو أصل التهذيب الحق وأداة العلم الوافر. ولم يكتفِ بما ذكر، بل خدم بما عنده مدارك الأمة في تعليمها وتلقينها، ولا زال على ذلك إلى أن لفظ نفسه الأخير. فهو أستاذ معروف، وفاق أكثر في توجيه اللغة العربية، وكان وافر الاطلاع فيها، عارفاً بحقائقها، مشبعاً في حبها...».

وقال الدكتور مصطفى جواد في رثائه:

أرى الموت لم يترك لذي اللب مفزعاً  
فقدنا عميد الأملين ذا النهى  
هووى كهوى العبقريين لم يكن  
قضى عمره في نصرة العلم سالكاً  
أبا هاشم، أضحي مصابك شاملاً،  
لقد كنت لسلاذاب والعلم موثلاً  
وقد كنت قوئاً بحق وأمراً  
تساميت عن جهل التعصب مبغضاً  
طوتك يد الأقدار سفرأ مكرماً

وقال الدكتور زكي مبارك :

فجعت بألطف العلماء روحاً  
أديب لا يساميه أديب

وأفصحهم إذا اشتجر الجدال  
له في كل معضلة مقال . . .

\*\*\*

كتب أحمد حسن الزيات الى طه الراوي سنة ١٩٣٨ رسالة جاء فيها :

« لا أحب أن أتحدث في هذه الرسالة عما أحمل لك في قلبي من جميل الأثر، وأكنّ لك في نفسي من عظيم التجلّة، فإنّ معرض ذلك في خطاب يشبه أن يكون رسمياً فيه معنى لا أرتضيه لنفسي . فلا ترك ذلك إذن الآن . . . » .

قال طه الراوي :

أميل مع الحقيقة حيث مالت  
وأدمغ بالدليل هراء خصمي

وأجعل ظلّ رايتها شعاري  
فإنّ ماري فيّاني لا أماري

وكتب معروف الرصافي الى طه الراوي يقول :

أبلغ أبا هاشم عني مغلغلة  
إني عهدتك حرّ النفس متخذاً  
نماك جدّ كريم للعلی، فلذا  
ظننتني قد هجرت الشعر مُدْزَمِن،

يعجّ فيها القريض الغضّ شكرانا  
لك العلاماً رباً والصدق ديدانا  
زكوت نفساً كما قد فقت تيانا  
وهل أطيق لحبّ النفس هجرانا؟

\*\*\*

طه الراوي كاتب مشرق البيان، جميل الأسلوب . وقد كتب في المواضيع الاجتماعية

فدعا الأغنياء الى التنبّه لموجة السخط من الطبقة الكادحة الفقيرة وترك البذخ وإنفاق جزء من ثروتهم في التخفيف مما يعانيه إخوانهم في البشرية وبناء المشاريع المفيدة كالمستشفيات والمدارس والملاجئ . وقال :

«تنبّه البشر اليوم الى ما لم يكن يحلم به البشر القديم . وتكتسح العالم اليوم موجة سخط من هذا التفاوت الهائل بين الإنسان والإنسان : فالوف من الناس لا يصلون الى قوتهم اليومي وإلى ما يستر أبدانهم من الكساء وإلى ما يأوون إليه من المسكن إلا بعد الكدح المضني والكدّ المجهد . .

وقد قام أولئك الألو ف يطالبون بالمساواة الاجتماعية ويقولون لأصحاب التكاثر: نحن وأنتم في البشرية شرع ، ولولا جهودنا لما أصبتم هذه الكنوز . فنحن نريد المساواة ، نريد العدل الاجتماعي . . . » .

وارتأى لذلك وجوب النزول على حكم الواقع ورفع مستوى العيش بين الفئات الكادحة وتخفيف الضنك عن تلك الطبقات البئيسة لتهدئة سورة الغضب التي كادت توقد حرباً شعواء بين الفقراء والأغنياء . فإذا أراد الأغنياء أن يخففوا من حدة هذا الغضب الذي أخذ يتطير شرره حولهم فما عليهم إلا أن يعالجوا ذلك بالأفعال لا بالأقوال .

هذا ولقد قلت في ترجمة الراوي أن تلامذته خير آثاره . وقد سئل المؤرخ المصري الأستاذ محمد شفيق غربال عن أهم مؤلفاته فأشار الى تلامذته المتحلّقين حوله في مجال الجواب على ذلك السؤال .

### طه الراوي

عتب طه الراوي على معروف الرصافي في كانون الثاني ١٩٤٢ هجره للشعر بقصيدة أرسلها الى راويته مصطفى علي مطلعها :

أمصطفى بن علي ، يا أخا ثقتي ،  
أبلغ ملك القسوافي كلّ خالصة  
ما باله ، حرس الرّحمن مهجته ،  
فأجابه الرصافي بقصيدة منها :

أبلغ أبا هاشم عني مُغلغلةً  
أحسنّت ظنّك بي إذ جئت تمدحني  
ظننتي قد هجرت الشعر مذ زمن  
ذاك الحبيب الذي أوسعته مِقَّةً  
يعجّ فيها القريض الغصّ شكرانا :  
بما به زدت حسن الظنّ إحسانا  
وهل أطيّق لحبّ النفس هجرانا ؟  
منّي ، وصيرته للمجد عنوانا . . .

ومضى الرصافي يقول أن حبّ الشعر قد شفه حتى هجر له طيب المنام، يصحو بصحوته ويتشي بنشوته، يسليه إذا اعتلجت همومه، ويشدو به في المحافل مفتخراً. وختم قصيدته في لهجة حزينة مشفقاً أن يبوح بشعره في معشر الطغاة الذين لا يقيمون وزناً لحرية الفكر.

## منير القاضي

العالم الفقيه الحقوقي منير القاضي ولد في بغداد سنة ١٨٩٥ وتوفي بها في ٩ شباط ١٩٦٩. كان رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع دمشق وعميد كلية الحقوق ورئيس ديوان مجلس الوزراء ووزير المعارف. ترجمت له في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية».

كان منير القاضي لطيفاً حسن الدعابة على وقاره. ذكر جعفر الخليلي في الجزء الخامس من كتابه «هكذا عرفتهم» أنه جرى في الندوة الأدبية لصبيحة الشيخ داود بحث الطلاق وهل يجوز للمرأة أن تمنح حق الطلاق. وكانت المناقشة عنيفة، وارتأت صاحبة الندوة وجوب تعديل قانون الأحوال الشخصية لمنح المرأة هذا الحق. وكان منير القاضي يخالف هذا الرأي ويرى فيه خروجاً على الشريعة الإسلامية.

وقال الخليلي إن المذهب الجعفري يميز منح المرأة حق تطليق زوجها إذا نص عقد الزواج على هذا الحق. وأراد منير القاضي أن يمزح فقال: لو أردنا أن نجعل الطلاق بيد المرأة لما غبن أحد غيري في عالم الرجال، لأنني سأكون أول من تطلقه زوجته لإنعدام المزايا التي تتطلبها الزوجة في زوجها في شخصي. وضحّ المجلس بالضحك.

## عباس العزاوي

مؤرخ العراق عباس العزاوي ولد في أنحاء ديالى سنة ١٨٩١ وتوفي في بغداد في ١٧ تموز ١٩٧١. كان محامياً معروفاً وعضواً في المجمع العلمي العراقي ومجمع دمشق وعضواً مراسلاً في مجمع القاهرة وعضواً في جمعية الدراسات التاريخية المصرية ومجمع اللغة التركية في أنقرة. إشتهر بمؤلفاته عن تاريخ العراق وفي مقدمتها «تاريخ العراق بين احتلالين في ثمانية أجزاء». نشرت ترجمة وافية له في «أعلام اليقظة الفكرية».

عين العزاوي معلماً في بعض المدارس الابتدائية في بغداد سنة ١٩٠٨، لكنه واظب على الدراسة. ونقل بعد ذلك معلماً أول في كربلاء، وكان جندياً كاتباً خلال الحرب العامة. وعين سنة ١٩١٧ كاتباً في المحكمة الشرعية، لكنه استقال من الوظيفة حين تخرجه في مدرسة الحقوق (١٩٢١) وانصرف الى المحاماة. وتولى التدريس أمداً غير



طويل في المدارس الأهلية .

جمع عباس العزاوي مكتبة ضخمة تعدّ عشرات الآلاف من الكتب والمخطوطات . وقد رأيته يوماً يستعير كتاباً من مكتبة المتحف العراقي لمراجعته . فقلت : أليس هذا الكتاب في خزانتك؟ قال : بلى ، لديّ عدة نسخ منه مخطوطة ومطبوعة ، لكنها كلها ليست في متناول اليد ، وأيسر عليّ أن أراجع الكتاب في مكتبة المتحف ! .

حين ابنتى عباس العزاوي داره الجديدة على شاطئ نهر دجلة خصّص الدور الأسفل جميعه لمكتبته العظيمة . لكن الكتب بقيت تتوارد وتتراكم وتملأ الغرف الأخرى حتى وصلت الى غرفة النوم . فقالت له زوجته : «أن لك أن تختار بيني وبين كتبك !» .

وقد روي عن الشاعر الانكليزي جون درايدن ( ١٦٣١ - ١٧٠٠ ) John Dryden أنه كان مكباً على كتبه حتى ضاقت زوجته بالأمر ذرعاً وقالت له : «ليتني كنت كتاباً فأجد في رفقتك وقتاً أكثر» . فقال لها الشاعر الشيخ : «يا عزيزي ، إذا أصبحت كتاباً فلتكوني تقوياً لأستطيع استبداله كلّ عام» .

حاولت جامعة بغداد شراء مكتبة عباس العزاوي وفاوضته على السعر ، وكانت مستعدة لدفع مائة ألف دينار أو دون ذلك لجميع المطبوعات والمخطوطات . لكن العزاوي رفض العرض وقال : لا أقبل بيعها بأقل من ٢٥٠ ألف دينار .

وزاره ذات يوم وفد أدبي مصري بصحبته سفير مصر وبعض الأدباء العراقيين . وتناول الكلام بيع مكتبته الى الجامعة أو الحكومة فقال إنه ليس على استعداد لبيعها مهما دفع له من ثمن . وقال السفير المصري : ألا تخشى أن تؤمّمها الدولة وتأخذها قسراً؟ فقال العزاوي مشيراً الى نهر دجلة الذي يطلّ عليه من شرفة داره : إنني أرميها كلها في النهر قبل أن يستولي عليها أحداً

وتوفي مؤرخ العراق . وكنت سائراً ذات يوم على شاطئ نهر دجلة فرأيت موظفي مكتبة المتحف ينقلون الكتب والمخطوطات الثمينة من دار العزاوي ويضعونها في سيارات الحمل بلا عناية ولا اهتمام . أما الثمن الذي قدر لها فلم يتجاوز ، على ما أذكر ، ١٧ أو ١٨ ألف دينار .

طريقة العزاوي في تدوين التاريخ :

طريقة عباس العزاوي في تدوين التاريخ هي كتابة تسلسل الوقائع حسب السنين ، بعد الرجوع الى المصادر المتيسرة . وكانت أكثر مصادره للحقبة التي بدأت بالاحتلال المغولي مخطوطة ومكتوبة بالتركية القديمة أو الفارسية . وكثيراً ما شكّا من قلة المصادر لفترات معيَّنة . لكنه استعمل مصادره الى أبعد ما استطاع ، وسرد الحوادث التي سجّلتها دون تمحيص في معظم الأوقات ، ناقلاً أخباراً متضادة أو متنافرة حيناً بعد حين .

وبما يروى أن أحمد حامد الصراف قال عند صدور بعض أجزاء «تاريخ العراق بين

احتلالين» وفيها نقل عن كتاب «كُلُّشَنَ خلفا»: «وهل يعرف العزاوي اللغة التركية القديمة العويصة لنعتمد على ترجمته لما جاء في «كلشن خلفا؟» .

فقال العزاوي حين نقل إليه ذلك الكلام: «وهل رأى الصرّاف مخطوطة «كلشن خلفا» ليستطيع الحكم على ما جاء فيها ونقل عنها؟» .

ثم لما بلغ العزاوي النصف الثاني من القرن التاسع عشر فتيسرت له مصادر كثيرة عربية وتركية، مخطوطة ومطبوعة، وصحف منشورة تذكر الأخبار والأحداث على علاقتها. فقال:

تكاثرت الطباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد!  
وخراش كلب صيد كان لا يجد ما يصيده، ثم تكاثرت عليه الطباء فحار أبها  
يصيد.

قال العزاوي في مقدمة الجزء الثامن من «تاريخ العراق» بين احتلالين: «تزايدت المراجع وتكاثرت بسبب تكاثر المطبوعات. وتأسست خزائن الكتب فوصلت الى درجة الإشباع. وصرت في حالة تردد أو حيرة في الاختيار. . .»

ثم يقول: «وعهدنا هذا أدركنا الكثير من أيامه وذقنا حلوه ومرّه. شاهدنا أيام الاستبداد وزمن الدستور وأوقات الحرب بما فيها من غوائل وآلام ومحن وما فيها من أفراح وأتراح. وصفحات هذه الحقبة تدعو الى تنقل الكاتب تنقلاً غير مطرد، بل تضطره الى تحوّل مضطرب. يرى المرء نفسه في حاجة ماسّة الى تدوين صفحات قد يكون شاهد عيانها أو من المطلعين على كثير من أوضاعها. ولكن المرء تعوزه المعرفة التاريخية المتقنة الصحيحة أو الى ما يذكر بالحالة المشهودة والتبصّر بما لم يكن من شهوده. . .» .

لقد اكتفى العزاوي بتدوين الوقائع خطيرها وتافهها، صارفاً النظر عن المحاكمة والغريبة والتحليل، تاركاً مهمة المؤرخ لمن يأتي بعده فيستعمل المادة التي جمعها له بجهد كبير وعناية فائقة خلال عمر كامل.

قال الشاعر كمال عثمان:

رأيت الرجال بأثـارهم وتاريخ «عبّاس» آثـاره . .  
فمن كأبي فاضل في الرجال وأصل التـواريخ أسفـاره

نشر عباس العزاوي سنة ١٩٥٣ «سمط الحقائق في عقائد الاسماعيلية»، وهو منظومة لداعي الدعاة علي بن حنظلة أصدرها له المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق. وعلى أثر ذلك تلقى كتاباً من أحد المستشرقين المقيمين في حيدر آباد بالهند - وأظنه فريتز (سالم) كرينكو - يدعوه الى الانتماء الى الجمعية الاسماعيلية، وهي جمعية علمية تضم المؤرخين والعلماء المهتمين بتاريخ الاسماعيلية وعقائدهم، ولا ينتمي هؤلاء

بطبيعة الحال الى فرقة الغلاة .

قرأت الكتاب للعزاوي - وكان باللغة الإنكليزية - فقال العزاوي : يريدني أن أصبح إسماعيلياً؟

قلت : إنها جمعية علمية لا شأن لها بالعقيدة . ولما نشرت سمط الحقائق أصبحت أهلاً للانخراط في سلك أعضائها .

فهز رأسه وقال : كلا . من ذا يصدق أن العزاوي قد أصبح من أعضاء الجمعية الاسماعيلية ، وهو لا يؤمن بالفكرة؟

وزار المستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسينيون بغداد في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وأتى يوم الجمعة الى دير الأب أنستاس الكرملي ، وكان هناك فريق كبير من رجال العلم والأدب والفضل . ولم يكذب يستقر به المقام حتى أخذ كعادته يتكلم عن الخلاج ويشرح مأساته ويسأل هل عثر على آثار أو مخطوطات جديدة له؟ فقال عباس العزاوي : « ما قيمة الخلاج وأية مأساة حلت به؟ لقد كان كافراً زنديقاً فكفره علماء المسلمين واستحلوا دمه . وأنا ، كفقيره إسلامي معاصر ، لوجيء به إلى الآن بعد ألف عام ، لأفتيت بتكفيره وقتله عوداً على بدء! » .

وكان هذا الكلام مثار دهشة الحاضرين وإشفاق ماسينيون .

نوادر العزاوي :

كان عباس العزاوي يطبع الجزء الثاني من كتابه «تاريخ الأدب العربي في العراق» . وكان على عادته يجلس في غرفة المحامين أو المقهى أو إحدى المكتبات ويسأل أول قادم أن يساعده في تصحيح مسودات الطبع .

وجلس ذلك اليوم في المكتبة العصرية ، فجاءه ولده فاضل بآخر مسودات الكتاب ، وقد تناولت مبحث الشعر في العهد العثماني الأخير . وألقى بعض الجالسين نظرة عليها فقال للعزاوي : إنك لم تفِ الحبوبى حقه ولم تذكر شعراء لهم مكانتهم كحيدر الحلي وجعفر الحلي . . .

فغضب العزاوي وصاح بابنه فاضل : إحذف هذا الفصل برمته ، أخرج هؤلاء الشعراء من الكتاب ، أخرجهم ! .

فضحكت وقلت : يا أبا فاضل ، هل أنت رضوان خازن الجنان وهل كتابك فردوس الأدب لتدخل من تشاء وتخرج من تشاء؟

وضحك المؤرخ واحتفظ بذلك الفصل من كتابه وأشار في آخره الى الشعراء الذين أغفل ذكرهم من أصحاب الدواوين .

كنت ذات يوم في زيارة لمدير القاضي رئيس ديوان مجلس الوزراء في دائرته ، فجاء

عباس العزاوي، وقد طبع كتاباً جديداً له، فأهدى نسخة منه إلى السيد منير. ثم دفع إليه نسخة ثانية ورجاه تقديمها هدية إلى رئيس الوزراء، فاستدعى رئيس الديوان أحد موظفيه وقال: هذا كتاب الأستاذ العزاوي يهديه إلى رئيس الوزراء فقدمه إلى فخامته.

وخرج عباس العزاوي، فلم تمض هنيهة حتى عاد الموظف يحمل الكتاب وسأل رئيسه: كم أعطي للعزاوي، ديناراً أو دينارين؟ فقال منير القاضي: إنك على ما يظهر لا تعرف أقدار الناس، وعباس العزاوي محام ومؤرخ جليل، وهو يهدي كتابه تفضلاً منه لا طلباً لمبلغ زهيد أو كبير. . .

وخرج الموظف الجاهل وهو يجرّ أذيال الحية.

\*\*\*

كثرت المداعبات مع عباس العزاوي في المقهى الذي اتخذه منتدى له أعواماً طويلة على شاطئ دجلة وفي نادي القلم وغرفة المحامين.

وقد قال له بعض الأدباء: إنك لا تحسن الأدب ولا تعرف كتابة التاريخ، ولكن لديك مصادر من المخطوطات والمطبوعات النادرة، مناجم زاخرة بالمعلومات الثمينة والعوائد والفوائد، فأعزنا طائفة من هذه المراجع لنفيد منها وندون جوانب من تاريخ العراق وأدبه في عصور الانحطاط.

فغضب العزاوي وقال: إنني حصلت على هذه المخطوطات والمطبوعات بالجهد الجهد، وبذلت في سبيلها النفس والنفيس، وسعيت أجمعها آناء الليل وأطراف النهار، ولم تأتني عفواً ولا هياتها لي الدولة أو أية مؤسسة عامة. فلماذا أنتم قاعدون متقاعدون، تعضون على الفلس والذائق بالنواجذ وتريدون الشيء بلا بذل ولا جهد؟ والله لأحفظن هذه النوادير في الخزائن المغلقة وأنفس عليها النور والهواء، لأرجع إليها في مباحثي دونكم وأجيئكم كل يوم بالأخبار الغربية والآثار التي يجهلها عالمكم وجاهلكم.

وقد مضى العزاوي إلى الرفيق الأعلى وألت مكتبته إلى خزانة دار الآثار، فأين الذين حلموا بتقليب صفحاتها والنهل من ينابيعها الصافية؟ لقد مات أكثرهم ولاذت بقيتهم بالعزلة والخمول.

وأخبرني عباس العزاوي أنّ في الاجتماع الذي عقده نادي القلم لتأين جميل صدقي الزهاوي عند وفاته، قال محمد رضا الشيبلي: رحم الله الزهاوي، هل كان شاعراً، أو أنه لم يكن شاعراً؟ ولعلّ الشيبلي قصد الإشارة بذلك إلى ما قاله النقاد الأقدمون من أنّ أبا تمام والمنتبّي حكيما والشاعر البحري.

وكان عباس العزاوي وأخوه علي غالب كثيراً ما يمرّون بدارنا عند عودتهما من المقهى الذي اعتادا الجلوس فيه مساء، فأقول لهما: تفضلاً واشربا القهوة، فيعتذران بتأخر

الوقت . وأجيبها مداعباً بيت الشاعر القديم :

تمرون الـديار ولا تعـوجوا ، كـلامكم عـليّ إذن حـراماً  
والبيت من شواهد النحو على حذف الخافض لاقتضاء الضرورة ، فقال الشاعر  
«تمرون الديار» بدلاً من «تمرون بالديار» .

وكان العزاوي يقسو أحياناً في مداعبته لأصدقائه وزملائه فيردون عليه بالمثل . وقد  
سأله بعد يوم تسجيل النفوس : كم سجّلت عمرك ؟ فقال : دون التسعين ! وقالوا له :  
إنك قد شخّت وهرمت وبلغت من العمر عتياً ، فأجاب متمثلاً بقول الشاعر البدوي :  
شـايب وعـايب      والهوى مـانـسـناه  
وذلك أن فتيات الحيّ رأين شاعر القبيلة الشيخ وهنّ يجلبن الماء ، فقلن له : قد  
كبرت ! فقال : أجل ، قد شخّت ونحلت ، لكنني لم أنس الحب .

وقد قال جميل صدقي الزهاوي :

ليس الحديث عن الهوى      من شاعر شيخ جريرة  
وروى عبّود الشالحي في كتابه «الكنايات العامية البغدادية» أن المحامين في غرفتهم  
كانوا يقسون في مداعبة عباس العزاوي ويعيرونه بأنفه وقسمات وجهه . وفي ذات يوم  
دخل الشالحي فوجد المحامي محمد جواد الخطيب جالساً بين عباس العزاوي وعباس  
عبد اللطيف البلداوي فدسّ في يده رقعة كتب فيها :

إني رأيتك جـالساً      في مجلس حلـو ظـريف  
مـا بين عبـاس اللطيف      وبين عبـاس «الكسيف»  
يريد بالكسيف الكثيف أو الثقيل أو الغليظ المعاشرة .

انتخب عباس العزاوي عضواً بالمجمع العلمي العربي ، فقال صديقنا إبراهيم  
الواعظ : إذا لم يكرّمه الأدباء فنكرمه نحن المحامين . وسعى لدى نجيب الراوي نقيب  
المحامين فأقام للعزاوي حفلة تكريم شائقة .

تأخر افتتاح الحفل حتى جاء فاضل العزاوي بمعروف الرصافي وأجلسه في الصّف  
الأممي ، وكان يلبس الكوفية والعقال والعباءة وتبدو عليه آثار الشيخوخة .  
وتكلم الواعظ فداعب المحتفى به دعابة ثقيلة لم يكن مناسباً ، ويا للأسف ،  
ورودها في خطاب تكريم .

ثم تكلمت ووفيت مؤرخ العراق حقّه على ما اعتقد . وأشرفت ، وأنا أستهلّ  
كلامي ، على الحفل فوجدت النادي يغيّص بالرجال وليس بينهم سوى سيّدة واحدة ،  
فقلت : سيّدي وسادتي ، وكان ذلك مثار بهجة الحاضرين وضحكهم .

كان عباس العزاوي يكثر من التنادر بأخبار عشيرته ، فيقول إن العزاوي يخرج على فرسه ويدور بين مضارب العشائر وقرى الريف سنة واحدة، ويقضي في كل مكان مدة الضيافة المألوفة، وهي ثلاثة أيام. فإذا ما عاد إلى ديار قبيلته واستشرف خيامهم، قال: وأسفاه، عدنا إلى مهجّجات أهلنا!

وكان عباس العزاوي يتوكل في الدعاوى في كربلاء والنجف وكركوك وبعقوبا وسائر أنحاء العراق ويذهب للمرافعة أمام محاكمها. فيقول له موكله: ماذا تحب أن نحضر لك في الغداء؟ فيعدّد العزاوي أصنافاً مختلفة من الطعام، ثم يقول: هذه بالإضافة إلى ما تعدّونه عادة للضيف!

وقال إن عزاوياً تطوّع في الجيش التركي وخدم فيه عدة سنين. وعاد إلى أهله فقالوا له: هل تعلّمت التركية؟ قال: نعم، لقد أتقنتها. فقالوا: إذن، يا مسيعد، تفيدنا حين يأتي موظفوا الكودة (ضريبة الأغنام) فتفاهم معهم وتحفّف عنّا عبء الضريبة.

وفي ذات ليلة جاءت الخليل تحمل موظفي الكودة، فصاح رجال القرية: اليوم يومك، يا مسيعد، فتعال وكلم الجماعة. لكن مسيعد هرب واختبأ في بعض الخيام قائلاً: إنني أحسن التركية في النهار، فكيف تريدوني أن أعرفها في الليل؟

قرر مجلس أمانة العاصمة تسمية شوارع بغداد، فاختر لها أسماء بعضها لأشخاص مغمورين ذكرتهم الكتب الصفر القديمة وعثر عليها عبد اللطيف ثنيان.

قال عباس العزاوي: أقترح أن تسموا شارعاً باسم هولوكو، فإنه على طغيانه، أشهر في الأقل من النكرات التي أطلقت أسماؤهم على بعض الشوارع.

عاد عباس العزاوي من فينّا سنة ١٩٦٢ وقد أجرى جراحة لعينه فقال:

وجدت في مستشفى العيون بعاصمة النمسا رجلين عراقيين أعميين من أهل الكاظمة، وقد جاءا لمعالجة بصرهما. وقاما بناءً على إشارة الطبيب بابتياح قرنيتين لترقيع باصرتيهما من عجوزين فقيرين مشرفين على الموت.

وكان الرجلان يقيمان في المستشفى وينتظران موت صاحبيهما لكي يتمكن الطبيب من قلع قرنية المتوفى فوراً وتركيبها خلال ساعات معدودة على شبكة عين الأعمى فيتاح له أن يبصر النور.

لم يكن للرجلين من حديث سوى التمني على الله أن يعجّل بقبض روح الشيخين اللذين اضطرتها الفاقة على بيع عينيها بيعاً أجلاً. وبعد أيام توفي أحد البائعين، فهرع صاحبه إلى غرفة الجراحة وغرزت قرنية عين الميت في عينه، فلم تمض أسابيع حتى تمت المعجزة.

أما الثاني فانتظر طويلاً، ولم يمت صاحبه، بل انتعش وعادت قواه وحسنت حاله . وكان يقول كل يوم: ربّاه! أليس لهذا الليل من آخر؟ كم أنتظر وقد عددت لهذا الرجل قيمة عينيه نقداً، وهو يرفض أن يموت! ربّاه، أنقذني من هذه الحال التي لا تطاق وعجّل بخلاصي! . . .

وعاد العزاوي إلى بغداد، والأعمى لا يزال يبتهل إلى الله أن يميت صاحب عينه ليستردّ البصر.

ذكرتني هذه القصة بما كتبه الأديب الفرنسي دنيس ديدرو (١٧١٣ - ١٧٨٤) عن طبيب كان بحاجة إلى جثة لتشریحها. فسأل الممرّض الذي قال: لقد جئت في الوقت المناسب حقاً، فلدينا رجل محتضر لن يعیش ساعتين .

قال الطبيب: ساعتين؟ لا، إن هذا لا يفيدني، فأنا ذاهب هذا المساء في رحلة قصيرة لن أعود منها قبل مساء الغد .

- لا بأس امض لطيتك . وسنحاول إطالة عمر المريض قليلاً في انتظار أوبتك .

وذهب الطبيب، أما الممرّض فمرّ بالصيدلية وجلب دواءً منعشاً ناوله إلى مريضه فنام نوماً هنيئاً طوال الليل . وجاء الممرّض صباحاً فوجد صاحبه جالساً يسعل ويبصق، وقد خفت وطأة الحمى وسكن الألم . وشكره المريض قائلاً: لا أدري أي دواء أعطيتني، ولكن يحقّ لك أن تفخر بأنك أعدتني إلى الحياة .

قال الممرّض: حسناً، حسناً، ولكن ماذا سيقول الطبيب؟

- ماذا سيقول الطبيب؟

- لا شيء، لا شيء .

واستمرت حال المريض على التحسّن . وعاد الطبيب في المساء فبادر الممرّض قائلاً: أين الجثة؟

- ليس هناك جثة .

- كيف، ألم يمت المريض؟

قال الممرّض: إنها غلطتك، فقد كان مشرفاً على الهلاك، غير أنك ذهبت وتركته يبذل رأيه ويتمسك بأهداب الحياة .

فقال الطبيب: لا بأس، اترك الأمر إلى فرصة ثانية .

ومن قبيل ذلك ما حدّثني به أحد الاصدقاء قال: كان في الكوت حفار قبور شيخ فقير يختل الشعور يعيش من تكفين الأموات ودفنهم ولا يكاد يصيب كفافاً من القوت . وكان، إذا شحّ الرزق، يجيء إلى مقهى التجار فيرفع يديه ضارِعاً إلى الله تعالى وصائحاً

بأعلى صوته : يا ربّ، ألا يموت أحد من الناس؟ هل أموت جوعاً لأنّ عبادك في خير وعافية؟ اللهم، افتح علينا ووسع لنا . . .

فما يكاد يمضي في استغاثته وشكواه حتى يبادر التجار إلى نفعه بالدراهم واسكاته وصرفه .

### العزاوي في أيامه الأخيرة:

لقي عباس العزاوي في أعوامه الأخيرة معارضة واضطهاداً. لقد أصبح النشر والطبع يكاد يكون محصوراً في أيدي وزارة الاعلام، فقدم كتاباً له عنوانه «برج الأولياء» إلى الوزارة لنشره، فقيل له إنه يجب أن يعرض على لجنة للنظر فيه وإقراره. فغضب وسحب مخطوطته وقال: وأية لجنة تنظر في مصنّف لرجل وضع ونشر عشرات الكتب؟

وقد سلق موظفي وزارة الاعلام بألسنة حداد، فامتنعوا عن نشر مقالاته في مجلات الوزارة وحالوا دون إعادة انتخابه عضواً بالمجمع العلمي العراقي. واضطرّ على نشر بحوثه في المجلات السعودية ومجلة المجمع العلمي الكردي في بغداد. وظل متألماً إلى أن أدركه الحما، لكن ولده فاضل وأصل شنّ الحرب الكلامية على المؤسسات الثقافية الرسمية وشهد الاستيلاء على مكتبة أبيه الفريدة ونقلها إلى المتحف العراقي. ورفض تسلّم حصته من المبلغ الضئيل الذي قدّر ثمناً للمكتبة التي أنفق والده سنين طويلة من حياته وأموالاً وفيرة حصلها بعرق جبينه لانشائها وتوسيعها.

وكان عباس العزاوي يضيق ذرعاً بالنقد الذي يوجّه إليه، فيقول: الانتقاد سهل والتأليف شاقّ عسير. ثم يقول: لا بأس، من ألف فقد استهدف.

### الدكتور مصطفى جواد

العلامة اللغوي المحقق المؤرخ مصطفى جواد ولد في بغداد سنة ١٩٠٤ وأدركته الوفاة فيها في ١٧ كانون الاول ١٩٦٩. كان استاذاً في دار المعلمين العالية وكلية التربية وعميداً لمعهد الدراسات الاسلامية العليا وعضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق ونائب رئيس المجمع العراقي وعضواً مراسلاً لمجمع القاهرة. ترجمت له في «أعلام اليقظة الفكرية».

ألف الدكتور مصطفى رسالة في «جاوان القبيلة الكردية المنسية» نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي، ثم نشرها المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٣. وترجمت إلى اللغة الكردية.

أخبرني مصطفى علي أنّ مصطفى جواد كان في أثناء دراسته في دار المعلمين الابتدائية ينشر نظماً ونثرأ في مجلة «التلميذ العراقي» التي أصدرها سعيد فهميم في تشرين



الأول ١٩٢٢ ، وكان توقيعه «مصطفى جواد الدلتاوي» .

وقال مصطفى علي ايضاً: كنت كاتباً عدلاً في بغداد سنة ١٩٣٤ ، فجاءني مصطفى جواد لتصديق كفالاته حينما أوفدته وزارة المعارف للدراسة في باريس . ومن غريب الاتفاق أن المكفول كان مصطفى (جواد) والكفيل السيد مصطفى (من أهل الكاظمية) والكاتب العدل مصطفى (علي) ، وكذلك كان اسم الكاتب في دائرة الكاتب العدل الذي أنجز المعاملة مصطفى ايضاً .

كان مصطفى جواد ، وهو طالب في باريس ، يقضي معظم أوقات فراغه في المكتبة الوطنية . وقد نقل بخطه اللطيف عشرات الدفاتر من المخطوطات القديمة النادرة والمجهولة وأطلق عليها عنوان «أصول التاريخ والأدب» . وصار بعد ذلك يرجع إليها في كتاباته ويشير إليها في الهامش ، فيذكر «الأصول» ج (كذا) ص (كذا) دون أن يصريح بالمصدر الأصلي . وقد سألته يوماً لماذا لا يذكر المرجع المخطوط عنه مع الإشارة إلى رقمه في المكتبة الوطنية ، فقال : لقد أجهدت نفسي وأفنيت أيام شبابي في البحث عن مصادر لم يلتفت إليها أحد ، ونقلتها بخط يدي حرفاً حرفاً ، ومحضت معروفها من مجهولها وصحيحها من مغلوطنها ، ثم أصرت بعنوانها ورقم تسلسلها ومحل وجودها ، ليطلبها كل طالب ويفحصها كل راغب ؟ ذلك ما يباه العقل وينكره الفضل ولا ترضى به المروءة وليذهب من شاء وليبحث ويحقق ويدقق ، وليهنأ بما يعثر عليه بكده وتعبه ، ولا يكون كلا على السابقين ولا عائلاً على العاملين .

قال ذلك مصطفى جواد ، لكنه لم يكن بخيلاً على السائلين والطلاب ، بل كان يدهم راضياً مسروراً على المراجع التي يرجعون إليها والمصادر التي تيسر لهم مواد بحوثهم وكتاباتهم . وكان عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني الكاتب قد صنف «الألفاظ الكتابية» ، فقال الصاحب ابن عباد : «لو أدركته لأمرت بقطع يده ! فقد جمع شلور العربية الجزلة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدرس والحفظ الكثير» .

عرفت مصطفى جواد في باريس سنة ١٩٣٧ مع حقي الشبلي ونفر من الطلاب العراقيين الذين كانوا يدرسون فيها . لكن صلتني به لم تتوثق الا بعد عودته إلى بغداد عند نشوب الحرب العالمية سنة ١٩٣٩ ، وكان صلة التعارف بيننا أحمد حامد الصراف .

وقرر سنة ١٩٣٨ إنهاء بعثة مصطفى جواد ، فجاء إلى بغداد وراجع وزير المعارف الشيخ محمد رضا الشيبسي وكلمه في استئناف دراسته . ونصحه الشيخ بمراجعة رئيس الوزراء جميل المدفعي ، فنظم مصطفى قصيدة في مدح المدفعي نشرها في جريدة الزمان ، يتوسل فيها بالحصول على عطفه . وأثمر مسعاه ، فأوعز الرئيس إلى وزارة المعارف بإعادة ايفاده للحصول على شهادة الدكتوراه .

وكان مصطفى جواد قد تزوج في بغداد قبل ايفاده إلى القاهرة وباريس ، لكنه ترك

قرينته وأولاده في بلد الرشيد . وتعرّف في باريس بفتاة فرنسية ساعدته في كتابة أطروحته عن الناصر لدين الله العباسي باللغة الفرنسية - على ما رواه لي - فصاحبها طوال إقامته في ربوع السّين وأنجبت له ولداً . ولما عاد إلى بغداد ترك لديها كتبه ، وكثيراً ما كان يشكو لنا في أثناء الحرب أنها باعت كتبه وتصرّفت في الأشياء التي أودعها لديها . فقال له الصّراف : وهل أرسلت لها ولابنها بشيء من المال تستعين به على العيش؟ فصمت ولم يجب .

وعلمنا منه بعد ذلك أنها توفيت هي وولدها ببدء السّل خلال سني الحرب العجاف .

وحرّيت بالذكر أنّ مصطفى جواد أنهى دراسته الجامعية ووضع أطروحته وقدمها إلى «السوربون» . ونشبت الحرب العالمية قبل أن يهباً له مناقشتها وقبولها وتسلم شهادة الدكتوراه، فترك فرنسة عجلاً خوفاً انقطاع الطرق مع طلاب آخرين كانوا يدرسون في باريس .

ولما جاء إلى بغداد، لم تعترف وزارة المعارف بشهادته . وظلّ يراجع أشهراً محتجاً بالظروف الاستثنائية التي حالت دون مناقشة أطروحته وحرمته إعلان حصوله على الدكتوراه رسمياً، فقبل الوزير صالح جبر عذره أخيراً وأوعز بتعيينه للتدريس في دار المعلمين العالية في الدرجة التي تؤهله لها الشهادة .

ودعي مصطفى جواد على أثر عودته من باريس إلى الالتحاق بدورة ضباط الاحتياط (١٩٣٩) مع احمد حامد الصراف وغيره من خريجي الكليات والمدارس العالية . وقد داوم أياماً، وكان يتتقد العريف الموكل بالتدريب على الأخطاء اللغوية في ايعازاته العسكرية . وظهر بعد ذلك في الفحص الطبيّ أن قدمه رخّاء (أي منبسطة لا أخص لها) فأعفي من الخدمة .

## مصطفى جواد وشكيب أرسلان

حدثني الدكتور مصطفى جواد أنه، حينما كان يدرس في باريس، نشر نقداً لمقال كتبه الامير شكيب أرسلان الذي كان يقيم آنذاك في جنيف من أعمال سويسرة . وردّ الامير على منتقده ساخراً من الطالب العراقي المغرور الذي يتطاول على أمير البيان ويتصدى لدحض آرائه .

ولم يكن من مصطفى جواد إلا أن كتب رسالة شخصية إلى شكيب أرسلان، يؤيد انتقاداته ويسندها إلى مصادر لا يرقى إليها الشك . ثم قال ما معناه : انكم، أيها الأمير المجاهد الجليل، ترفعون نسبكم إلى التنوخيين ملوك الحيرة وإلى النعمان بن المنذر اللخمي ابن ماء السماء، وليس لديكم سند تاريخي يؤيد هذا النسب . ثم ذكر له

المراجع الكثيرة التي تفسد هذا الادعاء وتخرجه عن إطاره التاريخي الصحيح وتجعله بعيد الاحتمال غير معزز بالأسانيد المعتمدة .

وقرأ الارسلائي رسالة مصطفى جواد، فكتب إليه معذراً، مقرأً بفضل الطالب العراقي، معترفاً بعلمه وطول باعه. ثم سأله أن لا ينشر رأيه في نسب آل أرسلان ولا يطعن فيه، وقال: لقد اضطربت حين قراءة رسالتكم اضطراباً شديداً، وكنت مزماً السفر فأسقط في يدي وفاتي موعد القطار! . . .

كان مصطفى جواد آية من سعة المعرفة وقوة الحافظة وشمول الاطلاع. وقد أفاد من دراسته في باريس وألم بأساليب البحث المنهجية الحديثة وطرق التأليف والتصنيف. لكنّه، وقد كتب مئات بل الآف، من المقالات والمباحث في التاريخ واللغة والأدب والخطط والتراجم، وأضاع أوقاتاً ثمينة في الردّ على المؤلفين والكتّاب وتغليطهم وتعرية جهل جاهليهم وخبط عالميهم، لم يتفرغ لتأليف كتاب مستقلّ جامع في بعض تلك المواضيع يدلّ على نبوغه وتتبعه ويبقى أثراً للأجيال الآتية وشاهداً على فضله ومبرراً للشهرة التي حازها في حياته.

لقد وضع عباس العزاوي تاريخه وعشائره وسائر مصنفاته التي أصبحت مراجع في بابها بالرغم من ضعف أسلوبها وجمعها للغثّ والسمين. وهياً عبد الرزاق الحسيني مصادر ووثائق لا تقدّر بثمن للباحثين في تاريخ العراق الحديث. ووضع انستاس ماري الكرملي معجمه «المساعد» فكان خلاصة وافية لجهود حياة كاملة. . .

أما مصطفى جواد وأكثر الباحثين والمؤرخين المعاصرين له فبعثوا جهودهم وشتتوا أبحاثهم، وقلما نسقوا ثمار علمهم في مؤلف جامع في موضوعه تحتفظ به الاجيال الآتية وترجع اليه. ومع ذلك يجد الكتاب والباحثون في كتابات مصطفى جواد وبحوثه المبعثرة في الكتب والمجلات والصحف وفي الأصول والمراجع التي نقل عنها ونوّه بها موادّ دسمة تغذي المواضيع التي وقف عليها حياته.

أوفد مصطفى جواد إلى انكلترا في حاشية الملك فيصل الثاني حين أرسل للدراسة سنة ١٩٤٧، وكان معه ايضاً الأميرة عبدية بنت الملك علي واللواء عبد المطلب الامين الهاشمي مدرّس التاريخ والجغرافية وبعض رجال الحاشية.

حدّثني مصطفى جواد أن المدرسة كانت بجوار بلدة سالسبوري، فاشترت العائلة المالكة داراً نزل فيها الملك، أمّا مصطفى فاستؤجرت له غرفة في بعض الفنادق. وكان يذهب مرتين في الاسبوع إلى دار الملك لتدريسه اللغة العربية. كان أول الأمر يذهب بسيارة أجرة، ثم طلب منه أن يتعلم السياقة فتمرّن عليها في دروس قليلة وأعطى سيارة يتنقل بها ويسوقها بنفسه.

وذهب الملك وحاشيته في السنة التالية الى سويسرة للتزلج في جبالها، فحاول مصطفى ممارسة تلك الرياضة وسقط وأصيب برضوض وكسور بسيطة.

## بين مصطفى جواد

### ومحمد رضا الشبيبي

أولع مصطفى جواد منذ عهد شبابه بالمؤرخ البغدادي كمال الدين عبد الرزاق ابن الفوطي المتوفى سنة ١٣٢٣ م. وقد حقق كتاباً في التاريخ ناقص الأول مغفل العنوان ظنه - كما ظنه غيره - كتاب «الحوادث الجامعة» لابن الفوطي وأصدره سنة ١٩٣٢ . واهتم الشيخ محمد رضا الشبيبي ايضاً بالمؤرخ نفسه ووضع مقدمة للكتاب المنسوب اليه .

ولابن الفوطي كتاب آخر اسمه «تلخيص مجمع الألقاب» وجدت نسخة مخطوطة من المجلد الرابع منه في الخزانة الظاهرية بدمشق ، لكنها نسخة مشوهة . فصفحاتها على شكل جداول ذكر اسم الشخص في الصفحة اليمنى وجاءت ترجمة موجزة له في اليسرى ، لكن الصفحات تفرقت وتداخلت ، ثم أعيد جمعها وتصحيفها بغير ترتيب لعدم ترقيمها ، فظهرت التراجم على وجه مضحك . فربّ شاعر نشرت أمام اسمه ترجمة قائد أو فقيه ، وربّ رجل عاش في المائة الثالثة نقل إلى المائة الخامسة أو السادسة ، وهلم جراً .

عاني مصطفى جواد جهداً كبيراً في إعادة ترتيب التراجم وإلحاق كل ترجمة بصاحبها مستدلاً بمعلوماته الواسعة في التاريخ ومستعيناً بكتب التراجم والرجال لحلّ الألغاز والمعميات في هذه المخطوطة الغريبة . ولما فرغ من عمله وأيقن أنه صحّح النسخة وأعطى كلّ ذي حق حقه ، تقدم إلى المجمع العلمي العراقي ملتمساً نشر كتابه المحقق . لكنه فوجيء بأن الشيخ الشبيبي يقوم بنفس العمل ويرغب أن لا يسبقه أحد في نشر الكتاب . وكظم مصطفى جواد غيظه ، لكنه كان يقول لأخصائه أنه لا يحق للاستاذ الشبيبي أن يحول دون نشر كتابه وأنه يعتقد أن الشبيبي على سعة علمه وفضله لا يستطيع أن يعيد المخطوطة المشوهة إلى أصلها الصحيح .

وأخيراً نشر الشبيبي الجزء الأول من كتابه «مؤرخ العراق ابن الفوطي» سنة ١٩٥٤ ، وقد باشر طبعه قبل أربع سنوات وتلكاً في إكماله وإصداره خوفاً من مصطفى جواد . ثم أصدر الجزء الثاني بعد خمس سنوات . فجرد مصطفى قلمه وكتب في نقد الشبيبي مئات الصفحات نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي خطّاه تخطئة فاضحة وأحصى عليه أغلاطه التاريخية وجهله تجهيلاً ولكن بأسلوب أدبي جميل واحترام غير قليل .

وقد سكت الشبيبي على مضمض ولم يردّ على النقد بكلمة ، - عالماً أنه ، ولا ريب ، شاعر كبير وأديب قدير ، لكنه لا يداني مصطفى جواد في التاريخ ولا يلحق به .

رثاء سعد زغلول :

رثى سعد زغلول عند وفاته سنة ١٩٢٧ بقصيدة مطلعها :

ناشدتك الله قُلِّ ما حلَّ في مصرِ  
قال منها :

أما ت سعد حبيب الشعب عن عُمرِ  
أما ت سعد رئيس الوفد؟ واخْرَبِي  
منزّه عاش فيه مخلصاً حراً؟  
علي الذي كان في مصرٍ لها ذخراً . . .  
حمال حزن يزيل الصبر والفكرا  
أودعت حبك في كل القلوب، وما  
أبقيت قلباً يكمن الحقد والنكرا  
إن العراق ليكي أسفاً كَديراً  
حزناً عليك، وقد ساءت به البشري

كان مصطفى جواد يقيم في محلة شعبية ، وقد وضع على باب داره لوحاً كتب عليه «الدكتور مصطفى جواد» . وفي ذات ليلة طرق الباب عليه طرقةً عنيفاً في منتصف الليل ، فقام إلى الباب وفتحته ، فإذا بامرأة عجوز تقول له : إن ابنتي مريضة وفي حالة شديدة من الألم . ونحن جيرانك ، يا دكتور، فتعال افحصها لعل الله يمنّ عليها بالشفاء على يدك المباركة .

فقال مصطفى : لست طبيباً ، يا خالة ، وإنما أنا استاذ ودكتور في التاريخ .

وعبثاً حاول اقناع المرأة انه ليس طبيباً . وأخيراً قالت له بغیظ : إذا لم تكن طبيباً ، فلماذا تغرّ الناس وتضع على دارك لافتة باسم دكتور؟

وفي الصباح بدّل مصطفى جواد اللافتة ورفع عنها كلمة الدكتور .

ومما يروى من قبيل ذلك أن ممثلي الدول العربية في الجامعة بالقاهرة كانوا في حين من الأحيان الدكتور فاضل الجمالي (العراق) وفارس الخوري (سورية) والدكتور فوزي الملقى (الاردن) . وكانوا يحترمون الخوري لكبر سنّه ويدعونه بـ «العمّ» . وكان الدكتور الملقى يطاراً ، لكن الجمالي كان يظنه طبيباً .

وفي ذات يوم شعر فارس الخوري بوعكة ألزمته الفراش ، فعاده الجمالي وقال له : لماذا لا نستدعي الدكتور فوزي الملقى لفحصك؟ فردّ عليه الخوري من فوره : وهل عمك حمار؟

كنت سائراً مع الدكتور مصطفى جواد في شارع الرشيد فقرأنا على باب أحد الدكاكين عبارة مكتوبة بخطّ قبيح غير متناسق : «هنا تنباع البوال» ، فلم يكن من الدكتور إلا أن دخل وخاطب صاحب الدكان العامي قائلاً :

- هل تبیع الطوابع؟

- أجل ، ولديّ منها أنواع نادرة شرقية وغربية . . . ماذا ترغب أن أريك؟ هل تريد «البوم»؟ . . .

- لا ، يا عزيزي ، لا أريد شيئاً منها ، ولكن . . .

- ولكن لدينا كل ما تريد . . . إصدارات خاصة لا يوجد مثلها . . .

- يا سيدي ، أنا لا أريد الشراء ، ولكن يحسن بك أن تكتب على باب الدكان قطعة بعربية صحيحة : «هنا تباع الطوايع» .

واغتاظ البائع وقال :

- إذا كنت لا تريد الشراء فلماذا تدخل وتعترض على الناس؟ وماذا يهّمك أن نكتب بعربية صحيحة أو غير صحيحة . . .

وأسرعنا بالخروج إلى الشارع . وقد ذكرتني هذه الحادثة بقصة الشاعر الفرنسي Mal-herbe ماليرب (المتوفى سنة ١٦٢٨) . كان محتضراً يعالج سكرات الموت ، والراهب إلى جنب سيره يلقنه التعاليم الأخيرة . وفتح عينيه بعد غفوة قصيرة ، فسمع ربّة الدار تكلمه بكلمات لم تكن آية في الفصاحة ، فقال : «يجدر بك ، يا سيدي ، أن تراعي قواعد اللغة . . .» .

فقال الراهب : «الأولى أن تهتم بأخرتك» . وأجابه الشاعر على الفور : «انني لا أستطيع ، ولو في مقام الموت ، أن أغض النظر عن فصاحة اللغة الفرنسية!» .

وروي عن اللغوي الفرنسي دومنيك بوهور (١٦٢٨ - ١٧٠٢) Dominique Bou-hours إنه قال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة : «إنني مشرف على الموت ، أو أنا أموت ، يصح استعمال كلا العبارتين» :

وقال نحوويّ عربيّ قديم : أموت وفي نفسي شيء من «حتى» .

كان لنا صديق أديب لا يحسن النظم ولا يكاد يفرق بين الشعر والنثر . وأعلن الملحق الصحفي للسفارة البريطانية في بغداد خلال الحرب العالمية الثانية ، وأمّته نخوض غمار حرب ضارية يتوقف عليه بقاؤها ، عن مسابقة شعرية تتعلق بمواضيع لها صلة بانتصار الحلفاء وعدالة قضيتهم ، وخصّص لها الجوائز ، واختار لجنة التحكيم من شعراء وأدباء معروفين في طليعتهم الدكتور مصطفى جواد .

وجاء صديقنا الأديب إلى مصطفى جواد وقال : رغبت في الاشتراك في هذه المسابقة ، وقد نظمت قصيدة أرجو أن تنظر فيها قبل الإرسال بها . فتناول الدكتور القصيدة ونظر فيها فقال : اسمح لي أن أصارحك ، يا عزيزي . فهذه ليست شعراً ولا يستقيم لها وزن ولا قافية ولا معنى . قال صاحبنا : فهل تصلحها؟ .

قال : لا سبيل إلى إصلاحها ، ولكنني أنظم لك قصيدة تقدمها إن شئت إلى لجنة التحكيم .

ووافق الصديق شاكراً ، فنظم الدكتور مصطفى قصيدة على لسانه في الموضوع المقرّر وقدمها الأديب المتشاعر إلى لجنة المباراة باسمه ، فنال بها الجائزة الثانية أو الثالثة ! .

حين توفي الشيخ محمد رضا الشيببي عضو مجمع اللغة العربية بمصر رشح مصطفى جواد وعبد الرزاق محيي الدين للملء الكرسيّ الشاغر في المجمع . وقد اختار الأعضاء مصطفى جواد ، لكن عبد الرزاق محيي الدين ، وهو آنذاك وزير الوحدة ، أسرع إلى مقابلة جمال عبد الناصر ورجاه أن يؤيد ترشيحه ، فرفضه الرئيس المصري على المجمع وصدر الأمر باعتياده .

وقد بلغ ذلك مصطفى جواد وهو في بغداد فأله الخبر ألماً شديداً .

كان مصطفى جواد يدّعي معرفة علم الفراسة ، فإذا نظر إلى رجل في الطريق يقول : هذا فارسيّ وهذا كردي وهلم جراً . فإذا سألناه : كيف علمت ؟ يقول : سياتهم في وجوههم . . . وقال إنه كان ، وهو طالب في باريس ، يدخل إلى بعض المخازن لشراء حاجة له ، فينظر إلى وجه البائع فيعرف انه يهودي أو أرمني ، فيحدثه بحديث قريب من نفسه يحصل منه على سباح أو مهاودة في الأسعار .

وذهب مصطفى جواد إلى طهران مع جعفر الخليلي بدعوة من الحكومة الإيرانية ونزلاً في بعض الفنادق الراقية . وكانت موظفة الاستقبال في الفندق لطيفة لم تن جهداً في خدمة الأديبين ورعايتهما ، فانتحى مصطفى جواد ناحية بصاحبه وقال له : أترى هذه الفتاة الجميلة ، إنها يهودية .

قال الخليلي : كيف عرفت ؟

- إن ذلك ظاهر في سيماها !

ومضى الخليلي إلى مدير الفندق وكلمه بالفارسية قائلاً : إن موظفة الاستقبال بدلت جهدها في خدمتنا ، فهل لك أن تدعوها لنشكرها ؟ فصاح المدير : علوية فاطمة ، تعالي إلى هنا فالسيد يريد أن يشكرك .

وضحك الخليلي وقال لمصطفى جواد : أين فراستك ؟ إنها علوية فاطمة !

ظل مصطفى جواد يتحدث أعواماً طويلة في الاذاعة والتلفزيون . وكانت برامجها الاسبوعية في التلفزيون تجتذب الناس عامتهم وخاصتهم ، إذ كان له أسلوب محبّب ييسّط به أحداث التاريخ وقصص الخلفاء والوزراء والشعراء ومواقع الآثار والبلدان . وإذا كان لي أن أشبّهه بأحد في هذا المجال فأنا أشبّهه بأديب مصر الكبير الشيخ عبد

العزیز البشري (١٨٨٦ - ١٩٤٣)، فقد كان له مریدوه الكثيرون في ندواته الاذاعية . قال الدكتور ابراهيم علي أبو الخشب في كتابه «تاريخ الأدب العربي في العصر الحاضر» : «وأنا أذكر أن أول عهد الناس بالاذاعة ، هنا بمصر، اختار القائمون على الاذاعة رجلين اثنين توسموا فيهما أن يربطوا الاذهان والقلوب بها . وكان الرجلان هما الصحفي الطريف فكري أباطة والأديب الكبير البشري . وكان ترقب الناس لكل واحد منهما يفوق الحدّ ويتجاوز المعقول، إلا أن جمهور البشري كان أضعافاً مضاعفة . . . » ويضيف قائلاً إنك لا تسأل أحداً إلا أخبرك أن الشيخ البشري إنسان جذاب إلى أبعد الحدود، وقد أكبرته في عيون الناس خفة الروح والألمعية والذوق وحضور البديهة . . . ولعلّ كل تلك الصفات تنطبق على مصطفى جواد في ندواته التلفزيونية، يضاف إليها، شخصه المائل على الشاشة الصغيرة ببساطته وهدوئه ومسبحته التي لا تفارق أصابعه، وعينه اللتين كثيراً ما يغمضهما للتركيز على حديثه المتسلسل الذي يلقيه في أناة وصوت لطيف راتب، مما يضيف على المواضيع الأدبية والتاريخية الجامدة لذة وحلاوة ويقربها إلى أفهام عامة الناس .

وقد سألته مرة لماذا يغمض عينيه في أكثر الأحيان وهو يتكلم في التلفزيون؟ قال : لو رأيت الاضوية وآلات التصوير الموجهة إليك وأنت تتكلم لشرد ذهنك واختل رأيك وعي لسانك ! .

### المطران سليمان الصائغ

ولد سليمان بن داود الصائغ في الموصل في ١٨ أيلول ١٨٨٦ ، وانتمى الى مدرسة مار بطرس البطريركية في مسقط رأسه سنة ١٩٠١ ، فأتم دروسه الاعدادية والفلسفية فيها في تموز ١٩٠٨ ورسم كاهناً .

وعمل في سلك التعليم وإدارة المدارس الابتدائية، وعيّن سنة ١٩١٤ مديراً للمدرسة الاعدادية الكلدانية، وكان عضواً في لجنة المدارس الابتدائية في الموصل على العهد العثماني .

عهد إليه على أثر احتلال الموصل تحرير جريدة «الموصل» التي أصدرتها الحكومة في ١٤ تشرين الثاني ١٩١٨، فتولى العمل بها أكثر من سنة . ولما نظر في قضية الموصل وألفت لجنة الدفاع الوطني لضمّها الى العراق، كلف بكتابة القسم التاريخي من تقرير اللجنة في سنة ١٩٢٥ .

وأصدر في ٢٥ كانون الأول ١٩٢٨ في الموصل مجلة «النجم»، وهي مجلة علمية أدبية بقيت تظهر الى سنة ١٩٤٠ . واختير سليمان الصائغ عضواً مراسلاً بالمجمع



العلمي العراقي في أيار ١٩٤٩ . وقد رسم مطراناً في حزيران ١٩٥٤ وعيّن نائباً بطريركياً للكلدان في الموصل .

وتوفي في تلك المدينة في ١٨ أيلول ١٩٦١ ، وهو يوم عيد ميلاده الخامس والسبعين . وللمطران صائغ مؤلفات تاريخية ، منها : تاريخ الموصل (الجزء الأول ١٩٢٣ ، الثاني ١٩٢٨ . الثالث ١٩٥٦) ، كتاب يزدان دوخت (صفحة من تاريخ العراق في العهد الساساني ، ١٩٣٤) ، تاريخ الكنيسة الكلدانية (١٩٣٩) . وقد سعى لتنشيط التمثيل في المدارس وألف مسرحيات ، منها : الزباء (١٩٣٣) مشاهد الفضيلة (١٩٣١) الأمير الحمداني (١٩٢٨) ، وترجم مسرحية هوراس لبيير كورنابي (١٩٥٢) .

### شكري الفضلي

شكري بن محمود بن أحمد آغا ؛ من رؤساء عشيرة الكروية ، ولد في بغداد سنة ١٨٨٢ ، وقضى في السليمانية أربع عشرة سنة برفقة خاله صالح أفندي إسماعيل الذي كان رئيس كتاب الحامية العسكرية ، ودرس فيها دروسه الإبتدائية . وعاد الى بغداد سنة ١٩٠١ ، فانتفى الى المدرسة الرشدية العسكرية ودرس اللغات العربية والكردية والفارسية . وعيّن بعد ذلك معلماً في مدرسته الرشدية ومدرسة القديس يوسف .

شدّ الرحال الى الأستانة سنة ١٩٠٨ فأمضى فيها عامين ، ثم عاد الى بغداد ، وحضر دروس الشيخ عبد الوهاب النائب ، وألم بشيء من الانكليزية والفرنسية . واطلع على الثقافة التركية الحديثة ، ومن طريقها على الأدب العصري الغربي ، فتأثر بمبادئ الحرية والتقدم الاجتماعي ، ولقي في سبيل ذلك عنتاً وإرهاقاً . فقد سجنه الفريق رفيق باشا في كركوك ، ثم ألقى القبض عليه مع فريق من رجال العراق المناوئين لحزب الاتحاد والترقي ، وطلب إرساله الى الأستانة لمحاكمته أمام ديوان الحرب العرفي بأمر من طلعت باشا وزير الداخلية التركية ، لكن أطلق سراحه مع رفاقه بشفاعته الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني .

ولما احتل الإنكليز بغداد وجلا عنها الأتراك ، عيّن سنة ١٩١٧ رئيساً لكتاب محكمة الصلح ، ثم اختير عضواً بلجنة ترجمة القوانين العثمانية على عهد ناظر العدلية بونهام كارتر . وحرّر في الوقت نفسه في صحيفة «العرب» وبعض الصحف الفارسية والكردية التي أصدرتها سلطات الاحتلال . وكتب في الجرائد الصادرة في بغداد كجريدة الشرق والعراق والاستقلال . ونقل في سنة ١٩٢١ رئيساً لكتاب ديوان مجلس الوزراء . وأصيب بالسل ، فتوفي ببغداد في أول حزيران ١٩٢٦ . ورثاه جميل صدقي الزهاوي قائلاً :

حال بيني وبين شكري التراب  
قد بكته الأفلام منكسرات  
إذ قضى نجه، فجلّ المصاب . . .  
وبكته الأخلاق والآداب

وكان شكري الفضلي نفسه قد حياّ الزهاوي بقصيدة قال فيها :

لقد قلت شعراً، بل نظمت شعوراً  
يغير منهج الحياة بسرعة  
يكلم جهراً في الجبان شجاعة  
يريك شحيح القوم يبسط كفه  
يثقف أحلام الرجال ليتقوا  
يوحد غايات الهداة ليدركوا  
فدونك شعراً للزهاوي خالداً  
تريك قوافيه الشعور بحورا

مؤلفاته وشعره :

نشر شكري الفضلي بحثاً في مجلة «لغة العرب» وغيرها من المجلات والجرائد .  
ووضع كتاباً في تاريخ العراق قديماً وحديثاً، وذيل جغرافية العراق التاريخية، وفلسفة  
الحيام، ونظرات سياسية واجتماعية . وله ديوان شعر ومؤلف باسم «مكتبة الفضلي»  
يبحث في العلوم المختلفة كالحكمة الطبيعية والكيمياء والفلك وطبقات الأرض  
الخ . وقد بقيت آثاره متفرقة في الصحف والمجلات وأوراقه المخطوطة لم يقدر لها الجمع  
والطبع .

وأدب شكري الفضلي كثافته مزيج من القديم والحديث، وقد أطل على الآداب  
العصرية من نافذة الأدب التركي الجديد . وأفقه واسع شأن الأدباء المخضرمين من  
أقرانه، فهو ينظم وينثر ويبحث في التاريخ والجغرافية والاجتماع وهلم جرا .

ومن شعره في «المستنصرية» :

نهضنا، وكان الدهر تترى كتابه،  
فكم قد قتلنا الدهر خُبراً فزادنا  
وكم قد حللنا أشطر الدهر دربة  
وكم قد علونا هام أسود يومه  
فهذي هي المستنصرية تشتكي  
ألا دولة المستنصر اليوم قد علت  
إذا ما أخذت العلم للشعب ساعداً  
إلى العلم، يا أهل العراق، فإنه

يجارينا طوراً وطوراً نحاربه  
بيلواه علماً حينما نحاح نادبه  
وفزنا بدر الحق، لله حاله!  
بأبيض عزم فاستنارت غياهبه . .  
بلاها وبالصمت البليغ تخاطبه  
بدولتكم واعتزّ بالعلم طالبه  
ضربت بسيف لم تخنك مضاربه . .  
لمورد عذب لم تعكر مشاربه

## صديق الدمولوجي

البَحَاثة الإداري صديق بن سعيد الدمولوجي ولد بالموصل سنة ١٨٧٧ ، وكان موظفًا إداريًا في العهد التركي . وعلى أثر تأليف الحكومة العراقية ، عين في أيلول ١٩٢٣ قائمًا للشطرة فالقرنة (تموز ١٩٢٥) ، وكان أيضًا قائمًا للأقضية الشمالية العمادية والشيخان وسنجار وتلعفر .

إنصرف الى البحث والتأليف بعد اعتزاله الخدمة الرسمية . وأدركته الوفاة في مسقط رأسه الموصل في ١٥ نيسان ١٩٥٨ . من مؤلفاته التاريخية : الأنقاض ، الموصل (١٩٤٩) اليزيدية (١٩٤٩) إمارة بهدينان الكردية أو إمارة العمادية (١٩٥٢) مدحت باشا (١٩٥٣) .

وهو أخو الدكتور عبد الله الدمولوجي وفاروق الدمولوجي .

## رزوق عيسى

ولد رزوق بن عيسى بن زكريا الموصلية ، في بغداد في ٦ حزيران ١٨٨٥ ، ودرس في المدرسة الانكليزية الثانوية ونال شهادتها سنة ١٩٠٠ . وعمل موظفًا في بعض الشركات التجارية في البصرة ، لكنه لم يلبث أن عاد الى بغداد وقام بالتدريس في المدرسة الانكليزية (١٩٠١ - ١٤) .

وأصدر مجلة العلوم في أول تشرين الثاني ١٩١٠ فلم يظهر منها سوى عدددين . وأعلن النفي العام في أواخر سنة ١٩١٤ فجنّد ، ثم اعتقل في آذار ١٩١٥ بتهمة الخيانة وحكم عليه بالسجن ستة أشهر . وعين على أثر الاحتلال الانكليزي سنة ١٩١٧ مترجمًا ومعاونًا للحاكم السياسي في العزيزية والنعمانية . لكنه استقال من منصبه بعد أمد وعاد الى التعليم في المدارس الأهلية عدة أعوام . وأصدر مجلة المؤرخ في كانون الثاني ١٩٣٢ ، فاستمرت سنة واحدة .

وقد وضع مؤلفات متعددة منها المطبوع والمخطوط ، منها : بغية الأنام في لغة دار السلام ، تاريخ العراق قديماً وحديثاً ، تاريخ التمدن العراقي ، حضارة بابل وأشور ، تاريخ مدن العراق القديمة والحديثة ، حضارة العرب في الجاهلية والإسلام ، تاريخ الصحافة في العراق ، جغرافية العراق الخ . وألف روايات وكتباً مدرسية ، ونشر مقالات وبحوثاً كثيرة في الصحف والمجلات .

ومن رأيه أنه لا يصلح العالم إلا المذهب الإشتراكي المعتدل الذي بشر به الأنبياء ، وقال به الفلاسفة ، وأقره الساسة والمشرعون في كل العصور . ومن رأيه أيضاً أن الدكتاتورية لا يطول عهدها لأنها عدوة حرية جماهير الناس . وقد قال : « أليس من

الظلم أن تكون حياة الأمة تتوقف على كلمة ينطق بها فرد من أفرادها؟ أليس من الظلم أن يكون الضعيف سنداً لمطرقة القوي؟» .

وقد توفي في ٢٣ أيلول ١٩٤٠ في بغداد .

## محمد جواد البلاغي

من رجال العلم والتأليف الشيخ محمد جواد بن حسن بن طالب البلاغي ، ينتمي الى أسرة معروفة تنسب الى قبيلة ربيعة ، وقد ولد بالنجف سنة ١٨٦٤ ، ودرس على محمد طه نجف ورضا الهمداني وغيرهما . ثم انتقل الى سامراء ولبث فيها عشر سنين درس فيها على محمد تقي الحائري الشيرازي الذي اشتهر في إبان الثورة العراقية . وغادر سامراء حين احتلتها الجيوش البريطانية سنة ١٩١٧ ، فأقام في الكاظمية سنتين ، ثم عاد الى النجف .

أكب على التأليف والتدريس واشترك في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وكان يعرف الفارسية وشيئاً من اللغة الانكليزية . قال جعفر محبوبة في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» (الجزء الثاني) إنه كان لجواد البلاغي اليد الطولى في الدعوة الى إنقاذ الدار التي اتخذها البهائيون محفلاً لهم في جانب الكرخ من بغداد ، وقد اشتد النزاع على هذه الدار ورفعت الشكاوى بشأنها الى عصبة الأمم سنة ١٩٣١ .

توفي بمسقط رأسه النجف في ١١ كانون الأول ١٩٣٣ .

كان عالماً شاعراً أديباً وضع مؤلفات عديدة ، أهمها : آلاء الرحمن في تفسير القرآن (طبع منه ٣ أجزاء ١٩٣٣ - ٣٤) أنوار الهدى ، أعاجيب الأكاذيب (١٩٢٧) البلاغ المبين (في الإلهيات) ، التوحيد والتثليث ، الرحلة المدرسية (١٩٢٤) العقود المفصلة (في الفقه) نسائم الهدى ، مسألة في البداء (١٩٥٥) الهدى الى دين المصطفى (في جزئين ، ١٩٦٥) الخ .

ردّ على الماديين والطبيعيين والدهريين ورمى بسهامه أرباب الاحاد ودافع عن أركان الدين . ونظم الشعر ، فمن نظمه رثاء محمد سعيد الحبوبي ، ومطلع قصيدته :

شاقك البرق فأسرعت سباقا      وتركت الصبّ يلتاع اشتياقا  
ومعارضة قصيدة ابن سينا الشهيرة في النفس ، قال :

نعمت بأن جاءت بخلق المبدع      ثم السعادة أن يقول لها : ارجعي

## محمد صادق الأعرجي

الصحفي الكاتب المدرس محمد صادق الأعرجي، ولد سنة ١٨٨٣ ودرس علوم العربية والدين في المعاهد القديمة. ومال إلى الكتابة في شبابه، فأصدر في بغداد جريدة الرصافة (١٧ حزيران ١٩١٠). وعطلتها الحكومة بعد سنة واحدة، فاعتاض عنها بجريدة الصاعقة التي أنشأها عبد الكريم الشихلي في ٨ حزيران ١٩١١. وأدت به جرأته في الكتابة إلى السجن، ولم يفرج عنه إلا بأمر من استانبول بعد مراجعة برقية من بعض الوجهاء. وأصدر في نيسان ١٩١٣ مجلة الرصافة، لكن لم يبرز منها سوى عدد واحد. واختير الأعرجي بعد ذلك عضواً في مجلس ولاية بغداد (١٩١٤) على عهد الوالي جاويد بك.

وامتهن التعليم على أثر الاحتلال الانكليزي فعين مدرساً (أول تشرين الأول ١٩١٧)، وزاول هذه المهنة في المدارس الثانوية الرسمية للبنين والبنات أكثر من ثلاثين سنة.

وتوفي ببغداد في أوائل شهر آب ١٩٦٠.

كان الأعرجي شاعراً، قال من قصيدة له في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠:

أسد العراق، بلغتم شأؤ عزكم  
في باب روض علاكم آية كتبت:  
هذا العراق حاكم، وهو خير حمى،  
عار عليكم، بينه، أن تمد يد  
إن لم تدبوا حفاظاً عن حريمكم  
ونلتم بعلاكم أرفع المرتب  
حمالة المجد لا حمالة الخطب  
فعالجوه لكي يشفى من الوصب  
إليه مالم تعالجهما يد العطب  
فمن يذتب وينجييه من الرهب؟

\*\*\*

أرض العراق بأهليها محصنة  
كم قام فيها ملك جيشه لجب  
شبانها لحماها خير مدخر  
ألقوا على الشعب ضوءاً من بسالتكم  
محمية بهم من سالف الخقب  
وحلها خير جيش باسم خير نبي  
أنتم فجدوا فليس السوق للعب  
كي ينجلي عنه ليل الشك والريب . . .  
حتى يقول:

لا تخضعوا لعداكم في مساومة  
صبوا عليهم جحياً من مدافعكم  
رووا صعيد حاكم من دمائكم  
واسقوه ماء نيراً من مكارمكم  
عار على الرأس أن ينقاد للذنب  
وأحرقوه من نيران من الغضب  
كيا يجيد نهار العز والنشب  
كيا يجيد نهار العلم والأدب

## علي ظريف الأعظمي

الصحفيّ المؤرخ علي ظريف الأعظمي ولد بضاحية الأعظمية من بغداد سنة ١٨٨٣ وتوفي سنة ١٩٥٨ . عمل في التدريس . وأصدر مجلة الأقلام (شباط ١٩٢٨) ، فاحتجبت قبل أن تكمل عامها الأول . وقد عين رئيساً لبلدية الأعظمية سنة ١٩٢١ .

وضع كتباً منها : دروس التجويد (١٩١٣) الدرّ والياقوت في محاسن السكوت (١٩١٣) دروس الصحة ، تاريخ ملوك الحيرة (١٩٢٠) تاريخ الدولة اليونانية في العراق (١٩٢٣) مختصر تاريخ بغداد (١٩٢٦) مختصر تاريخ البصرة (١٩٢٧) تاريخ الدولة الفارسية في العراق (١٩٢٧) .

ولده : الشاعر حسين الظريفي ، ولد بالأعظمية سنة ١٩٠٩ . وعين مدرساً في البصرة (١٩٢٨) ، لكنه انتمى في السنة التالية الى كلية الحقوق في بغداد وتخرّج فيها سنة ١٩٣٣ . وعين حاكماً في المحاكم المدنية (١٩٣٥) ، ثم انصرف الى مزاولة المحاماة .

من مؤلفاته : حاكم التحقيق (١٩٣٦) البيّنات العامة (١٩٤٥) في سبيل الوطن (مسرحية شعرية ، ١٩٤٨) جميل صدقي الزهاوي في بعض مجالسه (شعر روائي) . وله أيضاً : أناشيد (١٩٢٢) ، ظرائف الأعظمي (١٩٢٥) .

قال الظريفي من قصيدة له بعنوان «من وحي الفن» .

للفس في فنّ الغناء إذا وعت	ما تشتهي من طاعم أو كاس
وإذا أمضّ الحزن في قلب امرئ	واساه من حسن الغناء مواسي
ولطالما أحياب به ميت الهوى	من كان قد واره بالأرماس
وبه لدى الجلىّ يذبّ عن الحمى	كالماء من حجر تفجّر قاس . . .
قلم الأديب كنغمة الشادي به	ينجاب ما يرضيه من إيلاس
ويبّ من مرّ الهوى حرّ الجوى	وصنوف ما قاسى به ويقاسي
ولقد يبيت به الفتى وكأنه	يجيا على عرس من الأعراس
كم لذة لي في الحياة غنمها	ويراعتي بيدي على قرطاسي
أملّي عليها من بنات خواطري	ما هنّ كالريحان أو كالأس
إني لأغفل عن حياتي ساعة	فيها أعبّر عن مدى إحساسي
لي من يبياني صورة ليست على	شيء من الإغماض والإلباس

## عبد الحميد عبادة

من الكتاب الباحثين، ولد في خانقين سنة ١٨٩١، واستقرّ في بغداد حيث توفي سنة ١٩٣٠. مال إلى البحوث التاريخية والتحقيقات العمرانية شاباً وكتب مقالات في مجلة لغة العرب وغيرها من المجلات والصحف.

وألف كتاب مندائي أو الصابئة الأقدمين (١٩٢٧)، وترك مصنفات مخطوطة منها «العقد اللامع في ذكر الآثار والمساجد والجوامع»، و «شجرة الزيتون في نسبة آل السعدون».

قال عبد القادر البراك: «من يستعرض أمهات المجلات العلمية والأدبية والتاريخية التي صدرت في العراق وبعض الأقطار العربية في أوائل القرن العشرين، يجدها حافلة بالعديد من المقالات والبحوث التاريخية القيمة التي تحدّد مواقع بعض معالم الحضارة وتعرّف بالعديد من الملل والنحل والمعتقدات والآراء، للمؤرخ البغدادي المرحوم عبد الحميد عبادة، صاحب أهم مصدر عن تاريخ «الصابئة» ومعتقداتهم، لكونه قد كتبه بعد أن سكن في قراهم وعایش أقطابهم. . . .» وقال البراك أن الدكتور مصطفى جواد كان يعتمد على آرائه فيما كان يكتبه عن خطط بغداد القديمة وغير ذلك من المواضيع.

ديوبند

# العلم الطاهر الطاهر الطاهر

مكتبة  
دار الحكمة  
الطاهر  
الطاهر  
الطاهر

مكتبة  
دار الحكمة  
الطاهر  
الطاهر  
الطاهر

مكتبة  
دار الحكمة  
الطاهر  
الطاهر  
الطاهر

الجزء الثاني

دار الحكمة



Bibliotheca Alexandria  
0013754



**أعلام الأدب  
في العراق الحديث**

جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة، غير مسموح  
بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو تخزينه في أي نظام  
لتخزين المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو بآية  
وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة،  
أو ميكانيكية، أو استنساخاً أو تسجيلاً،  
أو غيرها، إلا بإذن كتابي من صاحب حق النشر.  
ISBN 1 - 898 209 - 405  
الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

**DAR AL-HIKMA**

Publishing and Distribution



88 Chilton Street London NW1 1HJ. Tel: 071 - 3834037 / Fax: 071 - 3830116

هيربطرك

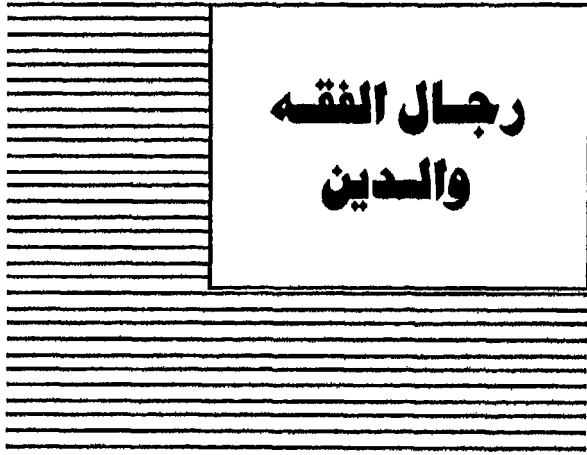
# أعلام الأدب في العراق الحديث

الجزء الثاني

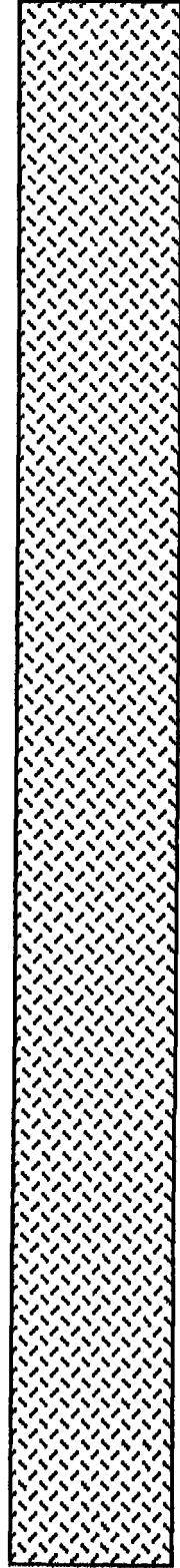
تقديم  
د. جليل العطيّة

دار الحكمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



**رجال الفقه  
والدين**





## حسين الخليلي

من كبار مجتهدي الشيعة الإمامية، كان أبوه خليل بن علي بن إبراهيم بن محمد علي الطهراني يمارس الطب القديم، هاجر الى النجف في نحو سنة ١٨٠٠ وأسس أسرة اشتهر أكثر أبنائها بالتطبيب، كما نبغ منها علماء دين منهم المولى علي بن خليل المولماً اليه (١٨١١ - ١٨٨٠) وأخوه المترجم.

ولد المرزا حسين الخليلي في النجف في نحو سنة ١٨٢١، ودرس على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري المتوفى سنة ١٨٦٤ وغيرهما. وبرّز في الفقه، وتصدّى للتدريس فاشتغل فيه عهداً طويلاً، وكان من تلامذته السيد حسن الصدر ومحمد تقي الحائري الشيرازي وأحمد ومحمد حسين آل كاشف الغطاء الخ. ووضع كتباً في الغصب والإجارة وبعض الشروح والتقارير.

انتهت إليه زعامة الإمامية بعد وفاة المرزا محمد حسن الشيرازي سنة ١٨٩٥. وقد سعى في تشييد قناة تجلب الماء الى النجف ظلت تسقي البلد حتى طمست بعد عدة سنين. ومن آثاره أيضاً مدرستان دينيتان في النجف وخان للمسافرين في الهندية. وقد توفي في الكوفة في ٥ تشرين الثاني ١٩٠٨.

كان حسين الخليلي من أركان النهضة الإيرانية مع المرزا الشيرازي وغيره من العلماء. وكان، كما وصفه بعض عارفيه، حلو الشائل، عذب الكلام، أريحيّ الطبع، شديد الورع، معظماً للعلماء وأهل الدين. رثاه الشعراء فقال محمد حسن سميمس:

حديث الدهر أصدقُه الفناء      وأكذب ما ينمّقه البقاء

وقال عبد الحسين الحويزي:

عليك بناء الدين مارت جوانبه      وبحر الندى والعلم غارت غواربه

وقال رضا الهندي:

حاولت نظم الرثا فاستعصت الكلم،      وهل لأهل النهى بعد الحسين فم؟

## محمد حسن المامقاني

الفقيه الإمامي محمد حسن بن عبد الله المامقاني، ولد في مامقان المجاورة لمدينة تبريز الإيرانية سنة ١٨٢٢. وشدّ الرحال الى كربلاء والنجف فدرس فيهما. وتنقل في أقطار كثيرة، ثم قضى نجه في النجف في آذار ١٩٠٥. وقد ألف كتباً، منها: ذرائع الأحلام في شرح شرائع الإسلام (في مجلدين)، غاية الآمال (في الفقه)، بشرى الوصول الى أسرار علم الأصول (في ثمانية أجزاء)، الخ.

عرف أيضاً باسم المغمغاني وكان معاصراً وصديقاً للشيخ محمد الشرياني، وكانت تصلهما الأموال الضخمة من أنحاء إيران والقفقاس فيوزعانها على طلبة العلم وذوي الحاجة ولا يستأثران بشيء منها سوى النزر اليسير.

## محمد طه نجف

الفقيه الإمامي محمد طه بن مهدي بن محمد رضا التبريزي المعروف بمحمد طه نجف، من شيوخ المدرّسين، ولد ببلدة النجف سنة ١٨٢٥، ودرس على أئمة رجال عصره كعلي الخليلي ومحسن خنفر وغيرهما. كان طويل الباع في الفقه والأصول والحديث، تتلمذ عليه وأفاد منه الكثيرون.

وقد ألف كتباً في الفقه والتراجم، منها: حاشية على المعالم، الدعائم في الأصول، غناء المحصلين، إحياء الموات في أحوال الرواة، الفوائد السنّية والدرر النجفية (١٨٩٦) الإنصاف في مسائل الخلاف (١٨٩٧) نعم الزاد (١٨٩٧) كشف الحجاب (١٩٠٢) كشف الأستار (١٩٠٦) إتيقان المقال في أحوال الرجال (١٩٢٢)، الخ.

كفّ بصره في أواخر عمره، وأدركه الحماهم في ١٠ كانون الأول ١٩٠٥.

توثّقت صلته بأدباء زمانه، فعزّاه الشاعر جعفر الحلي بولد له احتسب به،

وقال:

أرائد قوميه اغتتم الرجوعا، فريح الموت صوّحت التريعا؟

وهي قصيدة طويلة تعدّ ٦٨ بيتاً يقول منها:

أبا المهدي، كيف أقول صبراً ولست أراك من قَدَرٍ جزوعا؟

لسان هُداك قد عزّاك عتّا وكفّ تقالك كفكفت الدموعا

أصول الدّوّح حالها سواء وإن جدّ الردى منها الفروعا

وليس يضير نـمور الشمس نجم هوى من برج مطلعته وقوعا. . .

وتوفي الشيخ محمد طه نجف فرثاه عبد المطلب الحلي ومحمد حسن أبو المحاسن



ومحمد رضا الشيبيني وسائر الشعراء . وقال الشيخ جواد الشيبيني :  
 محجة الملة البيضا مطالعها      لفقدها سُدَّتْ شوارعها  
 هدت مصانعها من بعد رافعها      بهمة تملأ الدنيا صنائعها  
 وحوزة الدين لم تمنع جوانبها      وقد أبيض الخطب الدهر مانعها

وقال الشيخ إبراهيم بن مهدي آل أطمش (١٨٧٣ - ١٩٤١):

فهو الذي كانت مواهب فضله      للناس كالأطواق في الأجياد  
 لمعت بأفق الفضل غر صفاته      شهباً له الجوزاً من الحساد  
 فيه تزينت المنابر واغتدت      من قبله مخضرة الأعواد  
 وتدفقا، من علمه ونواله،      بحران للطلاب والوقاد . . .

### رضا الهمداني

من فقهاء الإمامية الشيخ رضا بن محمد هادي الهمداني، ولد في همدان سنة ١٨٢٥ . وهاجر الى النجف فدرس على مشايخها كمرتضى الأنصاري ومحمد حسن الشيرازي .

أدرسته الوفاة في سامراء سنة ١٩٠٤ .

وقد وضع مؤلفات، منها: مصباح الفقيه، حاشية على رسائل أستاذه الأنصاري (١٩٠٠)، كتاب الصلاة (١٩٢٩) العوائد الرضوية، الخ .

### محمد الشريبياني

الشيخ محمد بن فضل بن عبد الرحمن الشريبياني الفقيه الإمامي ولد سنة ١٨٣٢، وأقام في تبريز ثم انتقل الى النجف (١٨٥٧)، واتخذها له سكناً .

درس على السيد حسين الترك وأصبح من أئمة المدرسين والمجتهدين . وقد ألف كتاباً في «أصول الفقه» وكتاب «المتاجر» في الفقه أيضاً الخ . وتوفي سنة ١٩٠٤ .

وكان الشريبياني الذي ينتسب الى قرية من نواحي تبريز يعرف بالفاضل . جرت له مطارحات أدبية مع الشاعر جعفر الحلي الذي مدحه قائلاً:

محمد الفاضل الميمون طالعه      قد خصص الله فيه العلم والعمل  
 الله قيضه للناس يرشدهم      حاشا الإله بأن يبقى الورى هملا

وداعبه بقوله :

للشرباني أصحاب وتلمذة تجتمعوا فرقاً من هاهنا وهنا  
ما فيهم من له بالعلم معرفة يكفيك أفضل كل الحاضرين أنا!  
وقد شاد الشرباني مدرسة في النجف عرفت باسمه . وكان من أشهر تلاميذه  
الشاعر جعفر الحلي الحسيني من آل كمال الدين (١٨٦١ - ١٨٩٧).

حرم الشيخ محمد الشرباني على الحجاج سلوك الطريق البري النجف - حائل لتكرار  
اعتداء البدو على الحجيج ، فانقطع سلوك الطريق ثلاث سنوات ، حتى تعهد ابن  
الرشيد أمير حائل بالمحافظة على أرواح الحجاج وأموالهم ، فأفتى الشرباني باستئناف  
سلوك الطريق البري .

### حسين النوري

الفقيه الإمامي الجعفري حسين بن محمد تقي النوري ولد في قرية «يالو» من قرى نور  
في طبرستان سنة ١٨٣٨ . وقدم النجف فتصدى فيها للتأليف والتدريس ، وتوفي بها  
سنة ١٩٠٢ .

من مصنفاته : دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام (في جزئين ١٨٨٨) ، جنة  
المأوى ، كشف الأستار ، فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب (١٨٨١) ،  
اللؤلؤ والمرجان في نقد قراءة التعازي ، مستدرك الوسائل في الفقه (في ٣ أجزاء) ، معالم  
العبر ، النجم الثاقب ، المولودية (شعر فارسي) الخ .

كان النوري مشغولاً بجمع الكتب واستنساخها ، ذكر علي الشرقي أنه أعياه طلب  
بعض الكتب ، فعثر عليه اتفاقاً في السوق وقد عرضته امرأة للبيع . ولم يكن لديه المال  
لدفع الثمن ، فخلع عباءته وسلمها للمنادي لبيعها في المزاد حتى تمكن من أداء ثمن  
الكتاب . وعاد به مسروراً إلى داره وهو بدون عباءة!

وقد روي عن جيمس لاكلنجتن James Lackington (١٧٤٦ - ١٨١٥) الكندي  
الانكليزي أنه ذهب إلى السوق عشية عيد الميلاد ، وفي جيبيه بضعة دراهم ، لشراء طعام  
العيد . لكنه وجد كتاباً كان يريد الحصول عليه معروضاً للبيع ، فنسي الطعام والعيد  
واشترى الكتاب بالمبلغ الزهيد الذي في يده وعاد به إلى منزله فرحاً . وسألته زوجته : أين  
الطعام ؟ فقال : إن الطعام نأكله الليلة فيذهب . وأنا اشتريت كتاباً نتمتع بلسدته على  
مدى السنين .

وقال الامبراطور الروماني الفيلسوف مرقس اوريليوس (١٢١ - ١٨٠ م) في خطابه :  
إن الرجل قد لا يملك عباءة ، والآخر قد لا يملك كتاباً في العالم ، ولا يمنع ذلك أن  
يكون كلاهما فيلسوفاً .

وقد قال الشاعر جابر الكاظمي ، وهو الشيخ جابر بن عبد الحسين من ربيعة نزار

(١٨٠٧ - ١٨٩٥) في الشيخ النوري :

ندب لديه الفضل ألقى رحله وعنه طول الدهر لم يرتحل  
أراؤه في العلم أنجم بها للعلم يجلي كل ليل الليل

## غلام رسول

العالم الشهير غلام رسول المولوي الهندي الأنصاري نزع لى بغداد وتولى التدريس في جوامعها فطار صيته وتقاطر عليه طلاب العلم . تخرّج عليه عدد عديد من العلماء ورجال الدين ، وفي مقدمتهم عبد الوهاب النائب وعباس حلمي القصاب ومحمد سعيد النقشبندي ويوسف العطاء وعبد الملك الشواف ونجم الدين الواعظ وقاسم القيسي .

ولما اختارت الحكومة العثمانية مدرسين للألوية والأقضية سنة ١٨٩٢ لنشر لواء الدين وثقيف الأهلين ، اختير الشيخ غلام رسول مدرساً لقضاء مندي لكنه استقال بعد أشهر قليلة ، قائلاً : القرى تضيع العلم .

وعاد لى بغداد يواصل رسالته العلمية حتى قضى نحبه فيها في أول تموز ١٩١٢ . وقد درّس ردحاً من الزمن في مسجد نعمان الباجه جي بجانب الرصافة .

ذكره ابراهيم الدروي في كتابه «البغداديون : أخبارهم ومجالسهم» فأثنى عليه وقال إنه كان بارعاً في العلوم العقلية على وجه التخصص . وكانت حلقات دروسه في جانبي الرصافة والكرخ عامرة تقصدها نخبة ممتازة من طلبة العلم ولا سيما مجلسه في جامع حبيب العجمي . وكان تلاميذه يتناوبون في خدمته لأنه كان غريباً لا أهل له .

وروى الدروي أن الشيخ غلام رسول كان شديداً في محاربة البدع والخرافات : فقد علم أن بعض تلامذته يكتب الأدعية والرقى ويتعاطى الرمل والجفر وتفسير الرؤى والأحلام والكشف عن الغيب ، فلم يكن منه إلا أن ثارت ثائرتة فعنف التلميذ المشعوذ وزجره وطرده من درسه .

وقد اشتهر الشيخ غلام رسول بتدريس الفلسفة الإسلامية . ذكر عبد الله عبد السلام ، عضو محكمة التمييز العراقية الذي تتلمذ عليه في شبابه ، أن شهرته قد طارت حتى بلغت مسامع الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فكلفه عن طريق أحد المصريين الذي اجتمع به في الاستانة ، أن يشخص الى مصر لتدريس الفلسفة . لكن غلام رسول رفض الطلب لأسباب عائلية .

\*\*\*

## بهاء الحق

ومن علماء الهند الذين هاجروا الى بغداد وكان لهم شأن فيها الشيخ بهاء الحق ابن

الشيخ قادر بخش بن غلام محمد الأسدي نسباً. ولد سنة ١٨٤٠، وكان والده وجدّه من علماء الدين في الهند وسالكي الطريقة النقشبندية. وقد اتخذ بهاء الحق مقامه في بغداد وتولّى التدريس في المدرسة القادرية والمدرسة الأعظمية. وكان أستاذاً في علم الأصول والحديث والتفسير والكلام، على ما ذكره محمود شكري الألوسي في «المسك الأذفر».

وقد تخرّج عليه علماء كثيرون، وتوفي ببغداد في نحو سنة ١٨٨٣.  
قال عبد الرحمن البناء يرثي الشيخ غلام رسول الهندي:

علم الكلام تنحى بعد مولاه      وظل يلطم بالأأيدي محياه  
وهيئة الدين أضحت وهي باكية      لما غدت لغة القرآن تنعاه  
وأصبحت أربع التدريس مقفورة      لما تلامذة الهندي قد تاهوا  
العالم العامل الخبر التقي ومن      بزهد شهد الاملاك والله

ورثاه إبراهيم منيب الباجه جي فقال:

أيها الموت، قد فجعت البرايا      بهام علومه لا تجارى  
أيها الموت، قد فجعت البرايا      بالثقي البرّ العفيف ازارا  
كان بحرّاً من العلوم خضماً      لا يرى العائمون فيه قرارا  
يا غلام الرسول، ما أنت ميت،      ليس ميتاً من خلد الأثارا

### أسعد الدوري

من علماء بغداد المشهورين في عصرهم أسعد الدوري، وهو السيد محمد أسعد بن جواد بن عبد الرحمن. أصل أسرته من الحجاز، وكانت تعرف بأل البعاج، انتقلت إلى دير الزور، ثم نزع جدّه إلى بلدة الدور القريبة من سامراء.

ولد في الدور سنة ١٨٢٦ وتلقى فيها مبادئ دروسه. ثم جاء إلى بغداد ولازم الشيخ داود النقشبندي والمفتي محمد فيضي الزهاوي فأخذ عنهما.

وقد عين أميناً للفتوى وخطيباً في الحضرة الكيلانية سنة ١٨٧٠، وكان بعد ذلك مدرساً لمدينة تكريت. ونقل مدرساً لمدرسة نائلة خاتون في بغداد سنة ١٨٧٤.

وحج سنة ١٨٩٣ واجتمع بعلماء الحجاز، ومرّ بالشام، ثم قصد الحج مرة ثانية بعد سنتين. وواظب على التدريس، فتخرّج عليه كثير من أرباب العلم. وعمّر طويلاً حتى أدركه الحماق ببغداد في ٨ شباط ١٩٢٣.

ذكره محمد صالح السهروردي في «لبّ الألباب» فنعتته بالورع والزهد، وقال إنه كان متضلّعا من الفقه والأصول والحديث حتى لُقّب بفقيه العراق، وله شعر رائق ومؤلفاته ذهبت بدهابه.

### قاسم البياتي

الشيخ قاسم خير الدين ابن الشيخ محمد الحنفي البغدادي البياتي، من علماء بغداد ومتصوفاً. درس على الشيخ عبد المحسن السهروردي الذي أجازته إجازة عامة في نحو سنة ١٨٦٤، وعلى الشيخ عيسى البندنجي الذي أجازته سنة ١٨٥٩. ومن أساتذته الآخرين السيد شهاب الدين محمود الألوسي (أجازته بقراءة دلائل الخيرات سنة ١٨٤٨).

تولّى التدريس في جامع النعمانية وإقامة حلقات الذكر الصوفية في داره. ووضع مؤلفات في التصوف والوعظ وعلم الكلام. وأدرسته الوفاة في بغداد سنة ١٩٠٧، فرثاه معروف الرصافي بقصيدة مطلعها:

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت  
بكاه التقى والعلم والحلم والنهى  
جواهر فضل ما لها الدهر قاسم  
وحسن السجايا والعلى والمكارم . . .

وقال جميل صدقي الزهاوي:

كبير مسوت كبتار الأعاطم  
قضى، والهفتا، من كان يمينا  
فإن بهم عماد الدين قائم  
لتزكية النفوس من المائم . . .

درس عليه الكثيرون منهم عبد الوهاب النائب ومحمد سعيد النقشبندي ويحيى الوتري وعلي الخوجة الخ.

### محمد آل بحر العلوم الطباطبائي

الفقيه الإمامي محمد بن محمد تقي بن رضا آل بحر العلوم الطباطبائي ينتهي نسبه الى جدّ الأسرة الحسينية العلوية السيد محمد مهدي (١٧٤٢ - ١٧٩٧) الشهير ببحر العلوم صاحب «المصابيح».

ولد محمد الطباطبائي سنة ١٨٤٥ بالنجف، وتعلم على علمائها وبلغ منزلة رفيعة في الزعامة الدينية. وقد ألف «الوجيزة» (١٩٠٦) و «بلغة الفقيه» (طبع سنة ١٩٦٨). وتوفي في النجف في ١٥ حزيران ١٩١٣.

كانت له مطارحات أدبية مع رجال عصره. وقد داعبه وصاحبه محمد بن مهدي

القزويني (المتوفى سنة ١٩١٦)، داعبهما الشاعر جعفر الحلي قائلاً:  
شَتَّانَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ: ذَا طَبْطَبَاتِي وَذَا قَزْوِينِي  
أَنَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ الْمَهْدَبَ مِنْهُمَا بِسَالَةِ اللَّهِ لَا تَسْأَلُ عَنِ التَّعْيِينِ

وكان للسيد محمد بحر العلوم خزانة كتب عامرة بالمطبوعات ونادر المخطوطات .

وقال جعفر الحلي أيضاً يهنئ محمد الطباطبائي حين قدومه من الحج:  
حَيِّتْ، يَا ابْنَ الْعَمِّ، مِنْ قَادِمٍ عَوْدُكَ عَيْدَ لَبْنِي هَاشِمٍ  
أُضْحِي بِكَ الْعَالَمَ ذَا بَهْجَةٍ، يَا حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِ  
قَمْتُ بِأَعْبَاءِ الْعُلَى نَاهِضاً وَنَبْتُ فِي الْأَمْرِ عَنِ الْقَائِمِ . . .  
وقال فيه أيضاً:

عَادَ إِلَى قَبِيلِهِ مُحَمَّدٌ بَلْ عَادَتِ السُّرُوحُ إِلَى الْأَشْبَاحِ  
حَيِّتْ، يَا مَنْ كَفَّهَ عَنِ الْحَيَا نَائِبَةٌ فِي الْأَعْصَرِ الشَّحَاحِ  
بَاهِي بِكَ الْعِرَاقَ إِذْ وَطَأْتَهُ حَيْثُ أَبُوكَ سَيِّدَ الْبَطَّاحِ . . .

ومدحه الشاعر أحمد بن راضي القزويني (١٨٤٤ - ١٨٩٧) فقال:  
مُحَمَّدٌ مَنْ يَنْمِي لَهُ كُلُّ سُوْدِدٍ إِذَا مَا احْتَبَى فِي مَجْلِسِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ  
قَرَنْتِ الْعُلَى بِالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّدَى وَشَتَّتْ شَمْلَ الْمَالِ وَالنَّعْمِ السُّوفَرِ  
وَبَدَّهَتْ مَا أَضْحَى مِنَ الرَّمَسِ عَافِيَا وَقَرَّبَتْ مَا أَمْسَى بَعِيدَا عَنِ الْفِكْرِ  
أَرَى آلَ بَحْرِ الْعِلْمِ فَاقُوا الْوَرَى كَمَا تَفُوقُ اللَّيَالِي كُلَّهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . . .  
وقال فيه أيضاً:

يَا رَيْبَ الْعُلَى وَرَبَّ الْأَيْدِي وَعَمِيدَ الْوَرَى عَلَى الْإِطْلَاقِ  
كَمْ بِأَفْقِ الْعُلَى فَضَائِلُ سَارَتْ لَكَ مَسْرَى النُّجُومِ فِي الْآفَاقِ  
عِلْمٌ مَفْرَدٌ بِجَمْعِ عِلْمٍ قَصَرَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْحَدَاقِ  
رَافِلٌ فِي غَلَائِلِ الْحَسَبِ الْوَضَّاحِ (م) أَوْ فِي مَكْرَامِ الْأَخْلَاقِ

## حَسُونُ الْبِرَاقِي

وهو حسين بن أحمد بن الحسين الحسني المعروف بحسّون البراقي نسبة إلى محلة البراق في النجف، ولد بها سنة ١٨٤٥. كان قويّ الحافظة، كثير التتبع، خلف كتباً تاريخية في لغة عامية، منها: تاريخ الكوفة (١٩٣٨) بهجة المؤمنين في أحوال الأولين والآخرين (تاريخ عام في أربعة مجلدات ضخمة)، تاريخ الحيرة، تاريخ النجف، فضل

كربلاء، مشاهير الرجال، الخ.  
وقد توفي في بعض قرى الحيرة سنة ١٩١٤.

## مصطفى نور الدين الواعظ

مصطفى نور الدين بن محمد أمين الشهير بالواعظ ابن محمد بن جعفر الأدهمي،  
ولد لأسرة دينية معروفة ببغداد في ٢٦ شباط ١٨٤٧، فأرخ ولادته الشاعر عبد الباقي  
العمري قائلاً:

وشرف الزورا فقلت: أرتخوا شرف أحياء العراق المصطفى  
توفي والده وهو في العاشرة من عمره، فكفله عمه محمد سعيد. ودرس علوم العربية  
والدين على علماء عصره كالشيخ عبد السلام مدرس الحضرة القادرية والشيخ بهاء الحق  
الهندي والشيخ داود النقشبندي، فنصب مدرساً في المدرسة الخاتونية (١٨٦٨). ثم  
عين مدرساً وواعظاً بالبصرة سنة ١٨٧٢ وعضواً بمحكمة التمييز فيها (١٨٧٤)، وكان  
بعد ذلك رئيساً لمحكمة جزاء البصرة (١٨٨٠ - ٨٢). وعين مفتياً للحلة في أيلول  
١٨٨٣، ف قضى في هذا المنصب ربع قرن وكان في أوقات مختلفة خلال تلك المدة أيضاً  
مديراً للأوقاف ومديراً للمعارف ووكيل القاضي ووكيل قائم مقام السماوة ووكيل متصرف  
لواء الديوانية (١٩٠٣) الخ.

ولما أعلن الدستور العثماني انتخب نائباً عن الديوانية في مجلس المبعوثين (تشرين  
الثاني ١٩٠٨) حتى حل الدورة النيابية في أوائل سنة ١٩١٢.

وضع مصطفى الواعظ مصنفات دينية منها: عنوان الهداية في ردع أرباب الغواية،  
البرهان الجلي في الفرق بين الرسول والنبي والولي، الدرّ النضيد في أحكام الاجتهاد  
والتقليد، كشف الدستور عن مطالع البدور الخ. وله أيضاً: الروض الأزهر (وقد  
أكمله ونشره ولده إبراهيم الواعظ سنة ١٩٤٨).

وتوفي في بغداد في ٣ حزيران ١٩١٣.

وقد كتب ولده إساعيل الواعظ في كتاب (الروض الأزهر) يقول إن السيد مصطفى  
الواعظ كان متمسكاً بالشريعة الغراء ذاباً عنها محامياً لها. وقد وقف من جميل صدقي  
الزهاوي حين نشر مقالته عن المرأة في جريدة المؤيد القاهرية سنة ١٩١٠ موقفاً شديداً،  
فذهب الى الوالي ناظم باشا وطلب عزله من وظيفته.

رثاه الشعراء، منهم رشيد الهاشمي الذي قال:

كل امرئ بأمانى الدهر مشغول لا بدّ، لا بدّ أن يغتاله غول...  
يسارحلاً طالما أبكى العباد دماً بكتك والله آيات وتنزِيل  
بكاك، يا مصطفى، الدين الحنيف كما بكاك علمك معقول ومنقول

ولده: إسماعيل حقي بن مصطفى الواعظ (١٨٧٩ - ١٩٤٤) كان مفتياً للسديوانية (١٩٠٩ - ١٧) ومدير أيتام بغداد (١٩٢٢).

## علي كاشف الغطاء

الشيخ علي بن محمد رضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء (المتوفى سنة ١٨١٣) من رجال الدين والفضل، ولد بالنجف سنة ١٨٥٠. وقد رحل إلى إيران فأقام سبع سنين متقللاً بين أصفهان وشيراز وخراسان وطهران. وعاد إلى العراق واتصل بالوالي سري باشا (١٨٩٠) فقدر فضله وعرف منزلته. وسافر الشيخ علي بعد ذلك إلى استانبول ولبث فيها زهاء أربعة أعوام، وزار الحجاز وسورية والهند.

ألف كتاباً منها «الخصون المنبوعة في طبقات الشيعة» في عشرة أجزاء و«سمير الحاضر» في خمسة أجزاء. وصنّف مجموعة بعنوان «النوافح العنبرية» قرّظها الشاعر جعفر الحلي قائلاً:

هذي النوافح فانشق طيبها العطرًا      واستجلها سترى ألفاظها زهرا  
من كل نظم يُرى كالعقد منتظماً      فيها ونثر يرى كالدرّ منتشرا . . .

وكتب إليه جعفر الحلي أيضاً إلى استانبول:

سلام حبه الطيب منك الشائل      ومدح عليه من علاك دلائل  
أسائل عنك البرق إن لاح ومضه      فتسبقه مني الدموع الهوامل  
وانتشق الأرواح مهما تنسّمت      فتذهب في روعي الصّبا والأصائل  
عليك سلام الله ما هبت الصّبا      وما سجت فوق الغصون العنادل . . .

وجمع خزانة تضمّ كتباً وخطوطاً نادرة. أدركه الحما في النجف في ١٩ أيار ١٩٣١. وعرف من أبنائه أحمد ومحمد حسين آل كاشف الغطاء.

أما ابنه الشيخ أحمد بن علي فولد بالنجف سنة ١٨٧٦ ودرس في سامراء وفي مسقط رأسه، وأخذ الفقه عن الشيخ الشيرازي ورضا الهمداني ومحمد كاظم الطباطبائي وغيرهم. وعرف عالماً فقيهاً تقدّم في مراحل الزعامة الدينية ومراتب الاجتهاد، لولا أن المنية اختارته سنة ١٩٢٦، وهو في بغداد. ألف: «سفينة النجاة» في الفقه و«قلائد الدرر» و«أحسن الحديث في الوصايا والمواريث».

وعرف من آل كاشف الغطاء أيضاً الشيخ هادي بن عباس بن علي (١٨٧٢ - ١٩٤٢)، وكان فاضلاً شاعراً. ولد بالنجف وألف: «أوجز الأنباء في مقتل سيّد الشهداء»، مستدرّك نهج البلاغة (١٩٣٦) المقبولة الحسينية (١٩٢٤)، مناسك الحج (١٩٢٤) الخ.



وكان للشيخ هادي مطارحات شعرية مع أدباء عصره كالسيد جعفر الحلي ورضا الأصفهاني وجواد الشيبلي .

وقد كان لآل كاشف الغطاء مكانة مرموقة منذ عهد الشيخ جعفر، وتوسط ولده الشيخ موسى في الصلح بين النوالي داود باشا والشاهزادة محمد علي ميرزا القاجاري وليّ العهد الإيراني سنة ١٨٢١ ، فآثر مسعاه ثمراً طيباً، ولقب بمصلح الدولتين .

### محمد سعيد الزهاوي

ابن مفتي بغداد محمد أمين فيضي الزهاوي . وقد ولد أبوه محمد فيضي في بلدة زهاو سنة ١٧٩٧ . وجاء الى بغداد فعين مفتياً سنة ١٨٥٤ ، وقال في ذلك عبد الباقي العمري :

قد قيل لي، إذ رحلت أنشد عندما شاهدت دين محمد يتجدد،  
في مذهب النعمان في الزوراء قد أفتى الإمام الشافعيّ محمد  
وتوفي في ١٥ كانون الأول ١٨٩٠ . وقد اشتهر الكثير من أبنائه، منهم الشاعر جميل صدقي .

ولد محمد سعيد الزهاوي في بغداد سنة ١٨٥٢ ودرس على أبيه . ثم عين عضواً بمحكمة الاستئناف سنة ١٨٧٦ ، وأصبح نائباً لرئيسها (١٨٨٣) . ولما توفي والده اختير مفتياً لبغداد في محله (شباط ١٨٩١) فشغل هذا المنصب الى أيار ١٩١٦ . وتولى خلال تلك المدة، علاوة على منصبه، وكالة القاضي ومديرية الأوقاف ومديرية المعارف، وقام بالتدريس في مدرسة السلمانية .

وعين بعد الاحتلال الانكليزي رئيساً لمجلس التمييز الشرعي (١٩١٨) . وتوفي ببغداد في ١٣ أيار ١٩٢١ .

وضع مؤلفات في علم الكلام . قال محمد صالح السهروردي إنه كان عالماً فاضلاً ديناً تقياً صالحاً محبوباً لدى الأمة، كثير الصلاة وقراءة القرآن .

### محمد سعيد النقشبندي

الشيخ محمد سعيد بن عبد القادر بن عبد الغني العبيدي ، ولد في بغداد في ٢٩ كانون الثاني ١٨٦١ ودرس على علمائها كالمفتي محمد فيضي الزهاوي والشيخ عبد الوهاب النائب أخيه الكبير وعثمان الرضواني والشيخ داود النقشبندي ومحمد الهندي المولوي . ومال الى التصوف فاعتنق الطريقة النقشبندية وعرف بها .

سافر الى الحجاز حاجاً سنة ١٨٩٠ ، ثم قصد الاستانة سنة ١٨٩٤ فاجتمع بالسلطان عبد الحميد الثاني وحصل منه على أمر ببناء مدرسة دينية في سامراء . وقد قام بتعمير تلك المدرسة ودرّس فيها ، ثم نقل مدرساً وواعظاً بجامع الإمام الأعظم (١٨٩٨) . وعيّن شيخاً للإرشاد في التكية الخالدية سنة ١٩١٨ . وكانت له مساع وطنية حميدة في عهد الترك أدّت الى توقيفه سنة ١٩١٣ ، وبعد ذلك في زمن الاحتلال البريطاني ولا سيّما في ثورة ١٩٢٠ .

وتوفي ببغداد في ١٧ أيلول ١٩٢٠ ، فرثاه الشعراء جميل صدقي الزهاوي ونعمان الأعظمي وعبد الرحمن البناء وغيرهم .

قال الزهاوي :

أصبح الشيخ سعيّد	راحلاً ليس يعرود
سار ينأى عن ذويه	رجل الفضل السويح
فكاه العلم والإرشاد	والرأي السديد . . .

وقال البناء :

لمّا توفي في العراق سعيّد	كادت له أرض العراق تميد
وجرت دموع المسلمين لفقده	من حيث بات العلم وهو فقيد

وله تصانيف عديدة منها : النفحات القدسية في تربة الصوفية ، والعارف في أسرار اللطائف ، ونخبة الفكر فيما جرى في السفر ، وغيرها من الكتب الدينية والصوفية والشروح والردود .

ومن شعره الصوفي :

أرى حبكم ديني وقوتي وقوتي	فإن تهجروني فالصدود هو الوصل
فهجركم والوصل عندي واحد	علمت يقيناً أن حكمكم الفصل
وإني وحق الحب فيكم معذب	وتعذيبكم عذب إذا كان لي نهل
إذا ظهرت شمس الوجود بأفقنا	تفانت لها الأضواء وانمحق الكّل

ولده : الشيخ الأنيق بهاء الدين سعيد النقشبندي ، ولد في بغداد سنة ١٨٩٦ وتوفي بها في ٩ شباط ١٩٤٩ . كان عالماً فاضلاً ، تولى نيابة رئاسة جمعية الهداية الإسلامية ووضع بحثاً ومقالات دينية واجتماعية .

درس على والده وعمّه عبد الوهاب النائب وعيّن مدرساً لجامع الفضل سنة ١٩١٩ ، وكان له نشاط في الحركة الوطنية . ثم خلف أباه في التدريس بجامع الإمام الأعظم . وعيّن وكيلاً لعميد دار العلوم في الأعظمية (حزيران ١٩٤٠) . وانتخب نائباً عن لواء ديالى (١٩٣٠) فنائباً عن الديوانية (كانون الثاني ١٩٣٤) . وأعيد انتخابه نائباً

عن ديالى (كانون الأول ١٩٣٤) وآب ١٩٣٥ وحزيران ١٩٣٩ وتشرين الأول ١٩٤٣ .  
وانتخب نائباً عن بغداد في آذار ١٩٤٧ الى شباط ١٩٤٨ .

وصفه خالد الدرّة في مجلة «الوادي» فقال : «عطور فوّاحة تنبعث من جبّته المكوّاة لا يستغني عنها المجلس ، وابتسامات عذاب يوزعها على بعض النواب . . . ونبرات حلوة يطلقها لا كخطيب كما يأمل الناس ذلك منه ، بل إشاعات يروّجها بين النواب في داخل المجلس وفي خارجه . . . إنه لا يفرّق بين أن يكون في صالون الجمعة في دار الدفتري أو في ندوة مجلس النواب . وهو ظريف على كل حال . . .» .

وكان بهاء الدين في الثلاثينات ركناً من الثلاثيّ المؤيّد لنوري السعيد مع الدكتورين فائق شاكر وسامي شوكت .

### الشيخ محمد سعيد النقشبندي

ألف بعد أشهر من قيام الدستور التركي سنة ١٩٠٨ حزب المشور لإعادة أحكام الشريعة الإسلامية ومناهضة الاتحاديين . وقد تولى رئاسته ، وكان من أعضائه الفريق كاظم باشا ومحمد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد عبد الله والسيد محمود من آل النقيب ، ومن آل الجميل عيسى وفخري وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن باشا الحيدري وجميل الخطيب أمين الإدارة وعطاء الخطيب وغيرهم .

لكن الحزب انحلّ في السنة التالية بعد فشل الثورة الرجعية .

وشكل النقشبندي سنة ١٩١٤ حزباً سرياً لبثّ الفكرة العربية ، وكان هذا الحزب وليد فكرة نوري السعيد حينما فرّ من استانبول .

### حسن الصدر

السيد حسن الصدر من أئمّة رجال الدين في عصره ، وهو ابن هادي بن محمد علي بن صالح بن محمد الحسيني النسب العامليّ الأصل . ولد في الكاظمية في ٣ حزيران ١٨٥٦ ، ودرس على أبيه وشيوخ بلده . ثم شدّ الرحال الى سامراء وتلمذ على الامام محمد حسن الشيرازي (١٨١٥ - ١٨٩٤) .

وعاد الى الكاظمية منصرفاً الى التأليف والتدريس . وكان له مقام رفيع ، زاره أمين الريحاني في شيخوخته فوصفه في كتابه «ملوك العرب» ، قال : «قد زرت السيد حسن صدر الدين في بيته بالكاظمية ، فألفيته رجلاً عظيماً الخلق والخلق ، ذا جبين رفيع وضاح ، ولحية كثة بيضاء ، وكلمة نبوية . له عينان هما جهرتان فوق خدين هما وردتان . عريض الكتف ، طويل القامة ، مفتول الساعد . وهو يعتم بعمّة سوداء كبيرة ويلبس

قميصاً مكشوف الصدر رحب الأردان، فيظهر ساعده عند الإشارة في الحديث. ما رأيت في رحلتي العربية كلها من أعاد إليّ ذكر الأنبياء كما يصورهم التاريخ ويمثلهم الشعراء والفنانون مثل هذا الرجل الشيعي العامليّ الكبير، وما أجمل ما يعيش فيه من البساطة والتقشف. . . وعندما رأيته جالساً على حصير في غرفة ليس فيها غير الحصير وبضعة مساند، وقد كنت علمت أن لفتواه أكثر من مليوني سميح مطيع، وإن ملايين من الروبيّات تحيئه من المؤمنين في الهند وإيران ليصرفها في سبيل البرّ والإحسان، وأنه مع ذلك يعيش زاهداً متقشفاً أكبرت الرجل أنبا إكبار. . .» .

وقد وضع السيد حسن الصدر مؤلفات عديدة بقي معظمها مخطوطاً، منها: تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام (طبع ١٩٥١) الشيعة وفنون الإسلام (١٩١٣) تكملة أمل الأمل في علماء جبل عامل (٣ أجزاء)، نزهة أهل الحرمين (١٩٣٥) مجالس المؤمنين، تعريف الجنان في حقوق الإخوان، البراهين الجليّة في تصديق علماء الأشعرية، الدرر الموسوية، وفيات الأعلام من الشيعة الكرام، سبيل الصالحين، رسالة في الردّ على الوهابية، عيون الرجال، نهاية الدراية (١٩٠٥) الخ .

وقد توفي بالكاظمية في ١٢ حزيران ١٩٣٥ .

### الشيخ إبراهيم الراوي

العالم الزاهد الشيخ إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن أحمد بن رجب الرفاعي الراوي ولد في بلدة راوة سنة ١٨٦٠، وكان أبوه الشيخ محمّد مفتياً في عنة. ودرس علوم العربية والدين، ثم شدّ الرحال الى بغداد سنة ١٨٧٥، ولازم شيوخ العلم فيها كالشيخ داود النقشبندي وعلي الخوجة .

وقصد الموصل فأخذ عن عبد الله الفيضي ويحيى خضر وغيرهما وعاد الى بغداد. ومضى سنة ١٨٨١ الى الشام وقرأ الحديث على الشيخ بدر الدين الحسيني (١٨٥١ - ١٩٣٥)، ثم عاد الى بغداد وأتم دراسته على الشيخ عبد الوهاب النائب .

وسافر الى الاستانة لأول مرة في أيلول ١٨٨٧ فلقني الترحيب والاكرام من الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي (١٨٥٠ - ١٩٠٩) .

عين مدرساً في جامع السيد سلطان علي ببغداد، ونال أوسمة ورتباً من الحكومة العثمانية. ووضع مؤلفات، منها: الطريقة الرفاعية، الأجوبة العقلية (١٩٢٨) بلوغ الأرب في ترجمة الشيخ رجب الراوي الرفاعي (١٩١٢) النفحة المسكية، سور الشريعة، الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية (١٩٢٧)، اللمعات الفريدة في المسائل المفيدة، داعي الرشاد الى سبيل الاتحاد (١٩٣١) الفلسفة الاسلامية في إثبات الحقانية (١٩٣٢) الخ .

توفي الشيخ إبراهيم الراوي ببغداد في ٢ كانون الأول ١٩٤٥ . وقد كان صاحب السجادة الرفاعية ، عالماً متصوّفاً جليل القدر متسامحاً واسع الأفق . وصفه محمد صالح السهروردي فقال إنه كان متخلّفاً بأخلاق السلف الصالح ، كثير العبادة والصيام ، حليماً واسع الصدر ، مجبولاً على الكرم ، يجلس مع الناس كأحدهم ، يدعو الناس الى الصلاح والمحبة والولاء . . . كان أحمر الوجه أبيضه ، أشهل العينين ، خفيف الشفتين ، لا هو بالقصير ولا الطويل ، وليس بملتحم بل وسطاً في ذلك ، ذا بشاشة وطلاقة وجه ، لين العريكة ، سالم السرّ والسريرة .

وله شعر ، منه قوله في الشعر والشعراء :

مقال صحيح : إن في الشعر حكمة ، وما كل شعر في الحقيقة محكم  
وإن قبل في التنزيل قد جاء ذمه ، فقد جاء فيه مدحه فتوسّموا . . .

وقال فيه معروف الرصافي :

السيّد الراوي إبراهيم  
ومناقب لهج الرواة بذكرها  
شيخ إذا جالسته في مجلس  
وإذا نظرت لشخصه متألاً  
داوى قلوب ملازميه بهديه  
فضّل أظلم الخافقين عمياً  
وبها استحق من السورى تكريماً  
جالست منه مرشداً وحكياً  
أحسست فيك لشخصه تعظيماً  
فأصخّ منها ما رآه سقيماً . . .

وقال رفائيل بطّي :

عاش الشيخ الجليل لنشر دين الله وخدمة الشعب وإعلاء منار الحق والدعوة الى الصراط المستقيم وإرشاد الأمة في ما يقوي إيمانها وينفعها في دنياها ويزيد في المجتمع الألفة والإخاء والتضامن . . .

من شعر الشيخ ابراهيم الراوي

قال في مدح سلاطين آل عثمان :

ملوك بني عثمان ألوية الحمد  
لقد عظموا في صولة الحق واعتلوا  
وقاموا بأعباء الخلافة مثلها  
لهم فوق هامات العلى طالع السعد  
منار فخار دونه رتب المجد  
أقاموا شراع السدين بالحزم والجذ

وقال :

ربّ ، إني قد امتلأت كروباً  
قيّدتني حبائل الوهم حتّى  
لذنوب ملأت منها جيوباً  
تركنتني عن النهى محجوباً

حسناتي أخالها سيئات  
فإل الله أشتكى سوء حالي  
وعلى فضله عقدت رجائي

وقال :

خلّ المطي يشوقها صوت الحدا  
ودع الجياد تقعد أنلاذ الحصى  
وإذا بدت أعلام أم عبيدة  
وانزل ، هديت ، وقل لها : هذا الذي  
هذا مقام الغوث أحمد قد بدا  
وقبابه الشم التي قد أشرفت

وقال :

حبّي لشيخني حبّي  
وإنني عبدي رقي  
لا أستفيق غراماً  
ومما سرى منسه سرّ

لقصوري وحسن حالي عيوباً  
والى بابيه أتيت منيباً  
والتجائي ، حاشاله أن أخيباً

ويسوقها ويقودها رجع الصدى  
وتعدّ للجوزا ، إذا تعدو ، يسدا  
فأرفق بها فلقد بلغت المقصدا  
أضحى بأمر عبيدة متوسّدا  
ومناره العالي الذي قد شيّدا  
يحكي السلكىء حسنهما والعسجدا

لم يحوه غير قلبه بي  
للأمير منسه البّي  
في حبّه طسول دأبي  
إلا أهيم بجذب . . .

### الشيخ محسن الراوي

ذكر السر جون غلوب ، المعروف باسم غلوب باشا ، في كتابه «مغامرات عربية»  
الشيخ محسن الراوي أخا الشيخ إبراهيم .

كان غلوب ضابطاً سياسياً في لواء الدليم سنة ١٩٢٣ ، فزار عنة وراوة . قال إن راوة  
تقع على شاطئ الفرات الشرقي مقابل عنة ، وهي معزولة عن العالم وعن التجارة ،  
وأهلها يعيشون من المتاجرة مع شمر وقبائل الجزيرة الجفافة . وقال انه زار كبير علماء راوة  
الشيخ محسن في دار ضيافته القائمة في درب ضيق والمفتوحة أبوابها ليل نهار لكل غاد  
ورائح . وقد فرش صحن الدار بالسجاد الخشن وغلت أباريق القهوة على النار . زهد  
الشيخ في الدنيا ، فهو لا يملك شيئاً من متاعها ، لكن الورعين من أتباعه يأتون بهدايا  
الديق والقهوة . . .

وجاء الشيخ فجلس أمداً قصيراً ، لكنه لم يكلم . ويدلّ مظهره على شيخوخة  
متقدمة ضعيف البنية ، أبيض الإهاب كالرق الجاف . وهو يسبح في ماء الفرات في فجر  
كل يوم حتى في أيام الشتاء القارسة . وقال : لعل هذا القديس المسلم يشبه الرهبان

المسيحيين القدماء الذين كانوا يعتزلون العالم ليعيشوا في الصحراء ، منصرفين إلى الله تعالى .

وقال غلوب إنه علم ان فرقة من رعاة الغنم الرحالين قد نزلت في الصحراء على مسافة أميال غربيّ عنة ، فركب مع تابعه علي اليونس لزيارتها وقضاء الليل في مضاربها . ووجد جماعة من الدراويش أيضاً حلّوا ضيوفاً على الفرقة ، وهم سوريون من الخابور يعرفون باسم «أولاد الشيخ عيسى» .

ولما فرغ الجمع من تناول العشاء ، أحيى الدراويش حفلة ذكر ، وأخذوا يرتلون الأذكار ويضربون على الطبول . بدأوا بهدوء ، ثم اشتدت الحماسة وارتفعت الأصوات . وقام أحد الدراويش حاملاً بيده سفوداً من الحديد المصقول ، فتح قميصه وتحسّس المكان الملائم في صدره وأدخل فيه رأس السفود بدقة حتى خرج من ظهره . وفي خلال ذلك همي وطيس الضرب والتريل واستولى على الجمع هيجان شديد ، وجاء بعد ذلك درويش آخر فسحب السفود بلطف قليلاً قليلاً حتى أخرجه من صدر الرجل الذي جلس يستعيد أنفاسه ومحتسي القهوة .

### الشيخ شكر أحمد

الشيخ شكر الله الشيخ أحمد قاضي بغداد الجعفري ولد في بغداد سنة ١٨٦٨ . وقصد النجف فدرس الفقه والعلوم العربية على الشيخ محمد طه نجف ومحمد حسين الكاظمي وغيرهما . ثم عاد إلى مسقط رأسه وانقطع إلى الإرشاد والتعليم بجانب الكرخ . وذاع صيته وكثر طلابه ، فانتقل إلى جامع المصلوب في جانب الرصافة يواصل رسالته الثقافية . وكان أحد الساعين لتأسيس المدرسة الجعفرية الأهلية سنة ١٩٠٨ ، فاختير مديراً لها .

وعين قاضياً جعفرياً ببغداد في شباط ١٩١٨ ، ثم نقل عضواً بمجلس التمييز الشرعي في آب ١٩٢٣ . وتوفي في ١٥ نيسان ١٩٣٨ .

قال خيري العمري : «وقد احتل الشيخ شكر بمتانة خلقه وهدوء طبعه منزلة في قلوب الناس ، وظفر بتجرده ووقاره باحترامهم ، فكان يتميّز بوجه صبوح أقرب إلى الحمرة وقامة معتدلة في الطول ولحية خفيفة شقراء وصوت هادئ النبرات تتخلله حنة واضحة» .

### الشيخ عبد الكريم الجزائري

المجتهد العالم الأديب الشيخ عبد الكريم الجزائري من زعماء الدين في النجف الأشرف حيث ولد سنة ١٨٧٢ . وهو ابن الشيخ علي المتوفى سنة ١٨٨٥ ابن كاظم بن

جعفر بن حسين بن محمد بن الشيخ أحمد الأسدي (المتوفى سنة ١٧٣٨) صاحب كتاب آيات الأحكام ورأس الأسرة.

درس عبدالكريم الجزائري على فضلاء عصره كالشيخ حسن الجواهري والشيخ محمد طه نجف وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد محمد كاظم صاحب العروة الوثقى . ثم تصدّى للتدريس ونال مكانة سامية في العلم والاجتهاد . وقد ساهم في الجهاد خلال الحرب العظمى الاولى وحارب مع الجيش التركي في الحدود الإيرانية وجبهة الحويزة ، ثم اشترك في الثورة العراقية وكان له فيها شأن مرموق .

دعي إلى تقلّد وزارة المعارف في الوزارة النقيبية الثانية ( ١٠ ايلول ١٩٢١ ) ، لكنه اعتذر عن قبولها فأسندت مهامها إلى محمد علي هبة الدين الشهرستاني .

وله مصنفات منها : تعليق على مكاسب الأنصاري ، وتعليق على كتاب الرياض للسيد المجاهد ، وشرح على مباحث الظنّ والقطع من رسائل الشيخ الأنصاري ، وشرح على العروة الوثقى ، الخ .

قرض الشعر في شبابه ، فقال يرثي الميرزا حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٨٩٤ :

مصائبك طبّق الدنيا مصابا ورزؤك هون النوب الصعابا  
ونظم في أغراض اخرى كالمدمح والغزل والتهنئة .

وقال جعفر الخليلي ان الشيخ عبد الكريم الجزائري كان في شبابه من اعضاء حلقة أدبية ضمّت جواد الشيبيني وجعفر الحلي وباقر الهندي وغيرهم ، فكانوا يقرضون الشعر ويتطارحون النكت والفكاهات .

وتوفي في النجف في ٨ تموز ١٩٦٢ .

قال محمد رضا الشيبيني إن الشيخ عبد الكريم الجزائري كان من الأقطاب الذين دارت عليهم رحى الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وكان عضداً اعتضد به الثوار ، وعونا لكبار العلماء الذين صدرت عنهم الأحكام المعروفة في وجوب الدفاع عن حوزة البلاد وكرامتها وتحقيق حريتها وسيادتها .

## محمد جواد الجزائري

العالم النجفي محمد جواد بن الشيخ علي الجزائري ، وهو أخو الشيخ عبد الكريم ، ولد بالنجف في ١٦ شباط ١٨٨١ وتخرج على علمائها . وكان من زعماء ثورة النجف سنة ١٩١٨ ، قبض عليه عند خمود الثورة في نيسان ١٩١٨ وحكم عليه بالإعدام . لكن سمح له ولزميله محمد علي بحر العلوم بالشخص إلى المحمّرة بسوساطة الشيخ خزعل خان أمير عربستان .



وأذن له بالعودة بعد سنة وعشرة أشهر (آذار ١٩٢٠).

كان شاعراً، قال من قصيدة له وهو معتقل في سجن بغداد:

مددنا بصائزنا لا العيوننا      وفنزنا غداة عشقنا المنونا  
عشقنا المنون وهمننا بها      وعفنا أباطحننا والحجوننا

ونظم «حلّ الطلاسم» (١٩٤٦) معارضاً طلاسماً إيليا أبي ماضي.

أدرسته الوفاة في النجف في ٢٣ نيسان ١٩٥٩.

عارض محمد جواد الجزائري «طلاسم» إيليا أبي ماضي الشهيرة التي يشكك فيها بالوجود ويقول:

كيف جئتُ، كيف أبصرت طــــــــــــــــــــريقي؟

لــــــــــــــــــــت أدري

فردّ عليه الجزائري بقصيدته «حلّ الطلاسماً» مجيباً على «لا أدرية» أبي ماضي بـ «أنا أدري، أنا أدري».

ولم يكن من علي الشرقي إلا أن نظم أبياتاً يسخر فيها من الجزائري ختمها بقوله:

أنت مجنــــــــــــون ولكن لست تــــــــــــــــــــدي،

أــــــــــــــــــــنا أدري!

وله أيضاً من المؤلفات: الآراء والحكم، وفلسفة الإمام الصادق (١٩٥٢).

قال جعفر باقر آل محبوبة إن الشيخ محمد جواد الجزائري ضليح بالعلوم العربية والفلسفة الإسلامية، وقد كان رجلاً صريحاً في القول والعمل، ذا شمس عربي وروح إسلامي، ساءه أن يرى وطنه يتن تحت وطأة الأجنبي فعمد إلى تأليف جمعية سرية (١٩١٨) لإنهاض الأمة وتحرير البلاد. فكانت الحرب النجفية التي لم يكتب لها النجاح، واعتقل محمد جواد وقضى في السجن سنة وعشرة أشهر.

### عبد الحسين شرف الدين

عبد الحسين بن يوسف بن جواد شرف الدين الموسوي ينتمي إلى أسرة علوية معروفة بالزعامة العلمية، ولد في الكاظمية سنة ١٨٧٣ ودرس علوم اللغة والفقه في سامراء والنجف وأخذ عن محمد كاظم اليزدي ومحمد كاظم الخراساني وشيخ الشريعة الاصفهاني ومحمد طه نجف وغيرهم.

ثم مضى إلى جبل عامل موطن أسرته سنة ١٩٠٤ وصارت له منزلة دينية سامية. وشدّ الرحال إلى مصر (١٩١١) واجتمع بعلمائها وألف كتابه «المراجعات» الذي طبع في صيدا بعد أعوام طويلة (١٩٣٦) وأعيد طبعه في بيروت والنجف وترجم إلى بعض اللغات الأجنبية.

وناضل ضدّ الاحتلال الفرنسي لسورية ولبنان فاضطرّ على التخفي حيناً والتنقل في البلدان العربية مشرداً وقد أحرقت داره في صور وذهبت كتبه وطائفة من مؤلفاته المخطوطة طعمة النار. ولم يعد إلى وطنه الا بعد صدور العفو عن المجاهدين .

وكان من دعاة الإصلاح ، أقدم على تأسيس مدارس للأولاد البنات وشيد الكلية الجعفرية في بلدة صور، وتوفي ببيروت في ٣٠ كانون الاول ١٩٥٧ .

من مؤلفاته : الفصول المهمة في تأليف الأمة (١٩١٢) أجوبة مسائل موسى جار الله (١٩٣٦) ثبت الإثبات في سلسلة الرواة، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (١٩٢٩) مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام، مسائل خلافية (١٩٥١) مسائل فقهية (١٩٦٤) النص والاجتهاد (١٩٥٦) أبو هريرة (١٩٤٧) فلسفة الميثاق والولاية (١٩٤١) زكاة الأخلاق، الخ .

وقد عرف ولده صدر الدين شرف الدين صحفياً وكاتباً أنيق العبارة . ولد صدر الدين في النجف سنة ١٩١٢ وأصدر جريدة «الساعة» في بغداد آب (١٩٤٤) ثم أقام في لبنان وأصدر مجلة «الألواح» فمجلة «النهج» في صور وتوفي في كانون الثاني ١٩٧٠ .

من مؤلفاته : محنة العراق (١٩٤١) في قطار الزمان (١٩٤٩) سحابة بورتسموث (١٩٤٨) حليف مخزوم، هاشم وأمّية في الجاهلية الخ .

## جواد الجواهري

الشيخ جواد بن علي بن محمد ابن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر كان من رجال النجف الذين يشار اليهم بالبنان، قال فيه جعفر آل محبوبة صاحب «ماضي النجف وحاضرها» إنه «زعيم الأسرة في عصره وعمادها، بل موئل النجف وسنادها كانت تلجأ إليه في الملهمات وتستظل بظله عند المهمات . . .»

اشترك في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، فلما استسلمت النجف في تشرين الاول من تلك السنة ، قبضت عليه السلطات البريطانية واعتقلته ثم أفرج عنه .

وقد توفي في النجف في ١٦ ايار ١٩٣٦ . ومُن رثاء محمد مهدي الجواهري بقصيدة مطلعها :

هتفوا فأسندت اليدان ضلوعي وشرقت بالحسرات قبل دموعي

وعرف من آل الجواهري أيضاً والد الشاعر محمد مهدي ، وهو الشيخ عبد الحسين ابن عبد علي بن محمد حسن صاحب الجواهر . وقد كان عبد الحسين الجواهري (١٨٦٦ - ١٩١٧) شاعراً ناثراً فقيهاً ، له قصائد في رثاء الإمام الحسين وغيرها في الرثاء والمدح والتهنئة والاخوانيات .

## عبد الملك الشواف

من علماء بغداد المرموقين ، الشيخ عبد الملك ابن الشيخ طه ابن الشيخ عبد الرزاق البغدادي المعروف بالشواف . كان الشيخ عبد الرزاق عالماً معروفاً توفي سنة ١٨٥٢ ، أما ابنه الشيخ طه فكان عالماً شاعراً ولد سنة ١٨٣٦ ، وعين مفتياً لسامراء . ثم وجه إليه افتاء البصرة سنة ١٨٩٩ وتوفي بها في شباط ١٩١٠ .

ولد عبد الملك الشواف في بغداد سنة ١٨٧٣ ، ودرس على علماء عصره كعمه الشيخ أحمد الشواف وعباس حلمي القصاب وغلام رسول المولوي الهندي وعبد الرحمن القره داغي ويوسف العطاء . وعين مدرساً للمدرسة القادرية ، فكثر طلابه ولا سيما في علوم العربية من بلاغة وبيان .

ولما توفي والده خلفه في افتاء البصرة سنة ١٩١٠ ، وقام بالتدريس في المدرسة الرحمانية . وسجن بعد الاحتلال الانكليزي أمداً وجيزاً لدواعٍ سياسية .

وعاد إلى بغداد فعين عضواً بمجلس التمييز الشرعي (أب ١٩١٨) فقاضياً لبغداد (١٩٢٢) فريساً لمجلس التمييز الشرعي السني (تشرين الاول ١٩٢٢) واعتزل منصبه في ايلول ١٩٣٣ . وتوفي ببغداد في ٣ شباط ١٩٥٣ .

وقد كان أخوه علي الشواف من رجال القضاء الموصوفين بالعلم والنزاهة ، ولد سنة ١٨٨٤ وعين قاضياً لبلدة الحبي سنة ١٩٢٢ . وتولى القضاء الشرعي بعد ذلك في البصرة والموصل ، وتوفي في المدينة الأخيرة في تشرين الاول ١٩٣٠ .

وتما رواه ابراهيم الواعظ عن الشيخ طه الشواف أنه ذهب وهو طالب علم إلى دائرة الأوقاف لحاجة له فلم يؤبه به . وحاول أن يصرف ليرة عثمانية وكانت سوقها كاسدة ، فهاله بخس قيمتها وقال :

قل لأمير المؤمنين الـــــــذي      قد عمنا بالجود واللفظ  
درهمه أضحى ودينـــــــاره      في سوق بغداد لدى الصّرفِ  
أذلّ من طــــالب علم أتى      لحاجة دائرة الــــوقوفِ

## السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني

من كبار مجتهدي الشيعة الإمامية والمرجع الديني الكبير في عصره ، ولد سنة ١٨٦٧ في اصفهان ، وتلمذ على الشيخ محمد كاظم الخراساني في النجف ونشأ محباً للتقدم والإصلاح ، فشدّ أزر استاذة في الدعوة إلى الحرية والدستور . عرف بعد ذلك مناوئاً للبدع السقيمة والعادات المضرّة . شنّ على دعاة التزمّت والتعصب حرباً لا هوادة فيها ولا لين .

ولما نشبت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ كان من رجالها المرموقين بعد الإمامين محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصهباني . وكان من الداعين إلى عقد مؤتمر كربلاء في نيسان ١٩٢٢ لمناقشة هجوم الاخوان النجديين على القبائل العراقية . ثم عارض انتخاب المجلس التأسيسي وأفتى بمقاطعته مع زملائه العلماء حسين الناييني ومهدي الخالصي وغيرهما، فخرج من العراق في حزيران ١٩٢٣ ومضى إلى قم في إيران ، ولم يعد الا في نيسان ١٩٢٤ بعد أن تعهد للحكومة العراقية بمجانبة العمل السياسي .

وتألق نجمه بعد ذلك فلم يلبث أن انفرد بالزعامة الروحية للشريعة الإمامية في العراق وإيران وسائر الأقطار، وظل المرجع الأكبر نحواً من عشرين سنة لا يكاد ينافسه في منزلته منافس حتى أدركته الوفاة .

كان زاهداً متقشفاً جَمَّ التواضع ، موصوفاً بالتسامح وسعة الفكر، إلى جانب حزمه واعتداده بنفسه وإيلائه مركز الزعامة حقّه وسخائه في توزيع الاموال الجسيمة التي كانت تصله على المعوزين وطلبة العلم .

وتوفي في الكاظمية في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ . وله مؤلفات أشهرها : أنيس المقلدين (١٩٢٦) حاشية العروة الوثقى (١٩٢٨) مناسك الحج (١٩٢٩) ذخيرة العباد (بالفارسية ١٩٢٣) صراط النجاة (بالتركية ١٩٥٦) وسيلة النجاة (١٩٥٦) .

قال جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم» (الجزء الاول) يصف تقدم السيد أبي الحسن إلى الزعامة بعد وفاة شيخ الشريعة الاصهباني : « . . . وحين عاد العلماء من ايران وعاد هو إلى العراق ، كان هو السابق إلى المرجعية الكبرى والزعامة الشيعية ، خصوصاً وأن شيخ الشريعة كان قد توفي قبل ذلك ، وقد فرغ الميدان الا من بعض أقران السيد أبي الحسن ، وإذا بالطلاب الذين يحوطون منبره بغض بهم مجلس الدرس أو «البحث» كما يسمّى ، حتى لم يبق متسع لأحد، وإذا بهذه الجهة الخاصة من الصحن الشريف تضيق بالمصلين خلفه، ثم تحفّ به جماهير الطلاب والمراجعين في أثناء الخروج من بيته وعند العودة، قبل الصلوة وبعدها، فتحدث ضجة كبيرة، وكثيراً ما تقدمتها موجات من التكبير والتهليل . ومع ذلك كله فقد كان السيد أبو الحسن لا يملك داراً ولا يحمل أمامه فنر وسراج إن مشى ليلاً، وليس لديه من المستخدمين الخاصين أحد بالرغم من تلك الأبهة والعظمة التي تحيط به عند خروجه من البيت للصلوة والدرس وعودته إليه . . . »

وقال الخليلي بعد ذلك : «وفي السنوات العشر الأخيرة ثقل كاهله بالعمل أكثر وأكثر وصار عليه أن يقابل عدداً كبيراً من الزائرين من ارباب الحاجات ويقرأ كثيراً من الكتب والاستفتاءات التي كانت ترد من مختلف الأقطار وبمختلف اللغات ويجيب عليها بخطه، ولا يسمح لأحد أن ينوب عنه في استعمال خاتمه كائناً من كان . ولقد كان ختمه معه إلى آخر ساعة من حياته . وكان طبيعياً أن يكَلَّ وطبيعياً أن يمرض ولو كانت

أعصابه من حديد . ولقد كان بـميسوره أن يرتاح لو كان يريد الراحة ، . ولكنه أخذ على نفسه أن يضرب الرقم القياسي للعمل ، فعمل الكثير مما لا طاقة لغيره أن يعمله وهو في مقتبل العمر، فكيف وهو في آخر مراحل الحياة . . »

ورثاه الشعراء فقال عباس الملاء علي :

عيد تحول مائماً ومصابا  
يا راحلاً ملاً الزمان مائراً  
أديت للعلياء واجب حقها  
بكت المحابر والمناير، وانثى

أرأيت شهداً قد تحول صاباً؟ . .  
أعنى تواتر وصفها الكتابا  
ومضيت يـمـزن فـقدك المحرابا  
ينعى اليراع مليكه السوقابا

وقال محمد علي اليعقوبي :

هدّ سمك الهدى وطاح عباده  
أيّ خطب قد حلّ في الشرق، لكن  
أيّ ظلّ للسدين قلّصه الدهر (م)  
كهف أمن يأوي المخوف إليه  
آية الله بل وحتّته الكبرى (م)  
سنّ للمصلحين نهجاً قوياً

واستحالت مائماً أعياده  
جلّ المغرب القضيّ حـداده  
وقد طاول السحاب امتداده  
وعليه بعد الإله اعتماده  
التي تلجى إليها عباده  
سنّه قبل للورى أجـداده

وقال عبد الرسول الجشي :

العيد وافى، قم فصلّ العيدا  
هذي الصفوف وقد تحشّد جمعها  
يا قائد الإسلام، رافع بنده،

وأعد لنا عهد الرسول جديدا  
فانظر إليها ركعاً وسجودا  
كيف انثيت عن الصفوف بعيديدا؟

حدثني ثقة من رجال النيابة وهو جواد جعفر، قال : طلب السفير الأميركي ذات يوم زيارة النجف ، وكنت برفقته . واتصلت بكبار رجال الدين وأخبرتهم برغبة السفير في زيارتهم ، فاستقبلوه في دورهم في الحال . ورآهم على هيئتهم الطبيعية في صحن الدار المفروش بالبسط العادية ، وكانوا مثال الزهد والتقشف ، جالسين على أفرشة قديمة ، ولا يقوم بخدمتهم سوى واحد أو اثنين من تلاميذهم ، كل ذلك على جلالة شأنهم وعظيم منزلتهم .

ولما اتصلت بالسيد أبي الحسن ، اعتذر وأجل استقبال السفير إلى صباح اليوم الثاني . وحضرنا إلى دار المجتهد في الموعد المضروب ، فإذا الشارع المؤدّي إليها يزخر بالمشايخ والمريدين ، استقبلوا السفير وحيّوه وأدخلوه على السيد . وكانت الدار مفروشة بالسجاد الثمين وقد صفت فيها الأرائك بترتيب جميل وازدحم الناس وقوفاً في أروقتها

برسم الخدمة . ورأى السفير عجباً في مجلس حجة الإسلام ، وشاهد الفرق واضحاً بينه وبين سائر مجالس العلماء التي حضرها في اليوم السالف . ولم تكن تلك عادة السيد أبي الحسن الزاهد ، لكنه أجل الاستقبال إلى الغداة ليطلع الممثل الأميركي على مكانته وهيبته ومنزلته في العالم الإسلامي .

روى جعفر الخليلي إن الشاعر محمد علي اليعقوبي كان يسير مع السيد أبي الحسن وهو يتعثر ، فسأله العالم الكبير: أين عصاك؟ فقال اليعقوبي : لقد كسرت أمس . وناوله السيد عصاه الشمينة ، فتقبلها الشاعر شاكراً وارتجل قائلاً:

أبا حسن ، لا غرو أن ألق العصا يدك منك أبصرنا مواهبها فيضاً  
كأنك موسى ، والعصا عندك العصا ، وأن اليد البيضاء منك اليد البيضاء

### السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني

قتل السيد حسن نجل أبي الحسن سنة ١٩٣٠ وهو يصلي في الصحن بالنجف إذ هجم عليه المدعو علي القمي وذبحه بسكين . وقد ظهر أن الجاني مختل الشعور وحكم عليه بالسجن المؤبد . ونقل بعد ذلك إلى مستشفى المجانين .

قال جعفر الخليلي إن السيد أبا الحسن انتهى من صلواته فعلم بمقتل ابنه فلم يقل شيئاً سوى الترجيع «إنا لله وإنا إليه راجعون» . وطلب العفو عن المجرم .

### يوسف العطا

مفتي بغداد العالم الفقيه السيد يوسف العطا ، وهو صلاح الدين يوسف بن محمد نجيب بن أحمد بن خليل ، ينتهي نسبه إلى السيد عطاء الحسيني الذي عرفت به الأسرة ، وهي من أسر بغداد القديمة المشهورة بالفضل والثراء . ذكرها إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه «عنوان المجد» ووصفها بأنها «بيت تجارة وخير» . وقال الشيخ محمد صالح السهروردي في كتابه «لبّ الألباب» إن جد المفتي يوسف العطا كان ، في بعض سني القحط والمجاعة ، يمتلك مخازن واسعة مشحونة بأنواع الأطعمة والحبوب وقد دفع له التجار أثماناً باهظة لشراؤها ، لكنه قال : لقد بعتهما للذي يربي الصدقات ، وفرقها على الفقراء والجياع .

ولد يوسف العطا في بغداد سنة ١٨٦٩ ونشأ في نعمة ورفاهة عيش . ودرس على أجلة علماء عصره كعبد السلام الشواف وغلّام رسول الهندي وعبد الوهاب النائب . وظهر نبوغه وهو شاب طريّ العود ، فأسند إليه التدريس والسوخط في جامع القبلانية وجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٨٩٢) . وعيّن عضواً بمجلس المعارف على عهد

الوالي ناظم باشا ، وعهد إليه بالتدريس في مدرسة الحقوق على العهد العثماني واستمر على ذلك في العهد الوطني أعواماً طويلة .

وقد عين مفتياً لبغداد في تشرين الثاني ١٩٢٣ ، وواظب على التدريس والارشاد حتى توفي ببغداد في ٤ ايلول ١٩٥١ .

كانت له منزلة إجتماعية مرموقة لعلمه وفضله وسعة صدره وكرم نفسه وسعيه في مصالح الناس وحده على ذوي الحاجة والمعوزين .

وكان مجلسه في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ملتقى طبقات رجال الدولة والادب والفضل والوجاهة . وكان هو نفسه يحضر مجالس بغداد ودواوينها ، ولا سيما مجلس الملك علي عاهل الحجاز السابق . ذكر أحمد حسن الزيات الأديب المصري الذي درس أمداً في بغداد إنه كان يلقاه في مجلس الملك علي وكان يوسف العطا لا ينقطع عن حضوره فكان يقول في كل شيء ويجيب في كل شيء ، ولا ينطق الا ببيت من الشعر أو أثر من الحديث أو آية من القرآن . . .

وقال جمال الدين الألوسي إن المفتي قد أصيب في أيامه الأخيرة بمرض عقل لسانه ، فكان يجلس إلى الشيخ ابراهيم الراوي كل أمسية يقرأ له على ماء فيبيل به فمه . فإذا حضر الألوسي سأله أن يقرأ له في كتاب أو مجلة أو ديوان شعر .

وذكر المفتي أيضاً ابراهيم الدروي في كتابه : «البغداديون أخبارهم ومجالسهم» فقال إنه ورث عن أبيه ثروة طائلة فعاش في بلهنية ونعمة ، لكنه لكرمه وانبساط يده أضع معظم أمواله . وقال إن مجلسه يختلف إليه الملوك والأمراء والوزراء والعلماء والساسة والقادة والأشراف والتجار . . . وقد وقف كتبه على الحضرة القادرية .

وقد حدثني مصطفى علي إن يوسف العطا كان رفيع المنزلة ، واسع المعرفة ، لكنه عرف بالتعصب . وقد كفر معروف الرصافي فهجاه هجاءً مقلداً . وكان ذلك على أثر إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، إذ جاء بغداد وفد من حزب الاتحاد والترقي وزار محمود شكري الألوسي وكلفه بقراءة منشور على الناس بعد صلاة الجمعة في بعض المساجد . واعتذر الألوسي ، لكنه قال : إن تلميذي الرصافي يقرأ المنشور على جمهور المصلين .

وفي يوم الجمعة المعين نبّه على الناس بأن لا ينصرفوا عند انتهاء الصلاة ، ووقف الرصافي فقرأ منشور الحزب بحضور الوفد ورهط من أعيان بغداد ، وقد افتتحه بقوله : أيها الوطنيون !

وشاع بعد ذلك ان الرصافي قال : أيها الطبيعيون ! وأذاع خطبة تدعو إلى المادية اللادينية ، فهاج العوام وقضى يوسف العطا وغيره من العلماء بتكفير الشاعر .

واتخذ العطا وسائر العلماء موقفاً مناوئاً لصدعاة السفور في سنوات العشرين . قال

مصطفى علي : كان العطا يدرّسنا في مدرسة الحقوق . وعلم أنني وحسين الرحال من السفوريين فكان يعنفنا في أثناء الدراسة .

أقول : عرفت يوسف العطا يوم كنت موظفاً في وزارة الخارجية ، فكان يزورني في ديوان الوزارة ويصّر عليّ بأن أحضر مجلسه ظهر الجمعة في الطابق الأعلى من جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ، (وقد اتخذت غرفه بعد سنوات من وفاته مكتبة عامة جمعت فيها آلاف الكتب والمخطوطات) . وكان مجلسه يلتئم بعد صلاة الظهر فيؤمّه الوزراء ورجال الدين والدنيا وممثلو الدول العربية ، يتناولون طعام الغداء ويظلون يتحدثون ويتسامرون إلى العصر .

وأذكر ان يوسف العطا زارني في وزارة الخارجية صباح أحد أيام رمضان ، وكان إلى جانبي عبد الحميد الباجه جي مدير التشريفات جالساً وهو يدخن . وفجأة دفع المفتي باب الغرفة ودخل بدون استئذان ، على عادته ، فاضطرب الباجه جي وأسرع ففتح دُرج مكتبي ووضع السيكاارة فيه دون أن يطفئها ، ثم أغلقه . وقمت أرحب بالمفتي وأسلم عليه ، ثم عدت وفتحت الدرج بسكون وأطفأت السيكاارة التي كادت تحدث حريقاً . ومرّ الأمر بسلام .

وقد نقل الباجه جي بعد أشهر مديراً لأوقاف بغداد .

الرصافي والعتاء :

كفر معروف الرصافي فهجاه بقصيدة لاذعة منها :

إن كنت قد كفرتني بجهالة  
إنك في تكفيرك الناس كافر  
وأنت من الإسلام في كل حالة  
وقال :

لئن كنت تنمي للعتاء فإنّه  
عطاء الذي تزكو الوري فيه بالبخل

وقال فيه أيضاً :

يا أيها المفتي بتكفيرنا ،  
بأي جهل فيك مستأصل  
مهلاً فقد جئت بأمر نكير  
علمت ، يا جاهل ، ما في الضمير؟ . . .

## نعمان الأعظمي

السواظ الخطيب المفوّه الحاج نعمان بن أحمد بن اسماعيل بن أحمد العبيدي الأعظمي ، ولد في ناحية الأعظمية بظاهر بغداد سنة ١٨٧٦ ، وانخرط في سلك طلبة مدرسة الإمام الأعظم ونال الإجازة العلمية (١٩٠٦) . وقد عين معلماً بمدرسة الأعظمية



الرسمية (١٨٩٩) ثم نقل إلى مدرسة الكرخ (١٩٠٨). وعرف بطلاقة لسانه وقوة بدهته وارتجاله. وأصدر في آب ١٩١٠ مجلة شهرية دينية باسم «تنوير الأفكار» فدامت سنة واحدة.

ولما نشبت الحرب العامة انتدبته الحكومة التركية في وفد مع محمود شكري الألوسي وعلي علاء الدين الألوسي والرئيس الأول الحاج بكر افندي إلى أمير نجد عبد العزيز آل سعود لحمله على شدّ أزر الأتراك، لكن البعثة أخفقت في مهمتها. وعين سنة ١٩١٥ واعظاً عاماً وألحق بقائد الجيش نور الدين بك في ساحة الكوت. واحتل الجيش الانكليزي بغداد فاعتقل نعمان الأعظمي في آخر ايار ١٩١٧ وأبعد إلى الهند، حتى أطلق سراحه سنة ١٩١٩.

وقد عاد إلى التدريس في كلية الإمام الأعظم، وأصبح مديراً لها سنة ١٩٢٤ فمديراً لدار العلوم العربية والدينية كما أصبح اسم الكلية المذكورة في تشرين الأول ١٩٣١. وتوفي ببغداد في ٢ ايلول ١٩٣٦.

وله مؤلفات منها: التاريخ العام، ارشاد الناشئين (١٩١٤) وخطب ومقالات كثيرة.

### الشيخ قاسم القيسي

قاسم بن أحمد الفرضي القيسي ولد في بغداد سنة ١٨٧٦، ودرس علوم العربية والدين واللغتين التركية والفارسية، وكان من شيوخه عبد المحسن الطائي وعبد الوهاب النائب وغلّام رسول. عين مدرساً لقضاء خانقين (١٩٠٠) فالجزيرة (الصويرة) (١٩٠١). وعمل بعد ذلك عضواً في مجلس المعارف ببغداد (١٩٠٩) وعضواً بالمجلس العلمي للاوقاف (١٩١٧) ومدرساً بولاية بغداد ومدرساً في دار المعلمين ومدرساً لمدرسة نائلة خاتون.

عين عضواً بمجلس التمييز الشرعي في كانون الاول ١٩٢٢ وظلّ في ذلك المنصب سنين طويلة حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٣٧ وقد درّس في كلية الشريعة وخلف السيد يوسف العطا مفتياً لبغداد اثر وفاته سنة ١٩٥١. وتوفي الشيخ قاسم القيسي ببغداد في ١١ ايلول ١٩٥٥.

له مؤلفات في اللغة والفقه والمنطق، منها: رسالة في مصطلح الحديث (١٩٣٨) الزهر اللطيف في مسلك التأليف (١٩٤٠) الحديقة الندية (١٩٤٠) النزهة البهية (١٩٥٤) تاريخ التفسير (١٩٦٦).

كان الشيخ قاسم القيسي عالماً وقوراً مهيباً تخرّج عليه عدد عديد من العلماء ورجال الأدب والفضل. وقد قال فيه تلميذه معروف الرصافي:

إذا قاسم القيسي مرّ بخاطري      تذكرت عهداً في الصبا مرّ كاللحم  
تذكرته إذ كنت للعلم طالباً      بفكسري وسعي مجهد النفس والجسم  
فقد كنت أحياناً أزور فنائه      وأتأببه للرشف من منهل العلم  
هو العالم الحبر الذي من يُلذبه      يكن فائزاً بالعلم والأدب الجم  
بقيّة أعلام مضوا، وكفى به      من العلم طوداً فوق أطواده الشّم  
له نظر في غامض العلم نافذ      ورأي سديد لا يحوم على الوهم  
إذا ما نحا في العلم قتل عويصة      رماها بسهم من فطائنه مُصمي

### أمجد الزهاوي

الفقيه العالم الشيخ أمجد بن محمد سعيد بن محمد فيضي الزهاوي . كان أبوه الشيخ محمد سعيد مفتياً لبغداد، خلف في ذلك المنصب أباه محمد فيضي سنة ١٨٩١ .

ولد أمجد الزهاوي ببغداد في سنة ١٨٨٢ ، ودرس على أبيه وعلى عباس حلبي القصاب و غلام رسول الهندي وسائر علماء عصره . ثم شدّ الرحال إلى استانبول وانتمى إلى مدرسة القضاة فتخرج فيها سنة ١٩٠٩ . وعاد إلى بغداد فأُسندت إليه رئاسة محكمة الاستئناف على العهد العثماني .

زاول المحاماة ، ثم عيّن مشاوراً حقوقياً لدائرة الأوقاف (أول حزيران ١٩٢٠) ، وخلف أباه في التدريس بالمدرسة السليمانية . وقام بالتدريس أيضاً في مدرسة الحقوق ، وألقى فيها محاضرات في المجلّة والفرائض جمعت في كتاب الرصايا والفرائض (١٩٢٥) . وعيّن في ١٨ أيلول ١٩٣٣ رئيساً لمجلس التمييز الشرعيّ السنّي ، ف قضى في منصبه نحواً من ١٣ عاماً واعتزل الخدمة في صيف ١٩٤٦ .

كان معجباً بالإمام الغزالي مفضلاً له . وجاور في المدينة المنورة أمداً بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ، ثم عاد إلى بغداد وتوفي بها في ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٧ .

قال إبراهيم الدروي في كتابه «البغداديون: أخبارهم ومجالسهم» إن أمجد الزهاوي قد نال مكانة سامية في العالم الإسلامي وانتخب رئيساً للمؤتمر الإسلامي العام . وجاب الأقطار العربية وغيرها داعياً إلى الإصلاح والتضامن الدينيين ومنافحاً عن قضية فلسطين والجزائر . وقد عاش عيشة الزهد والتقشف والورع ، وعرف بسعة الاطلاع والتبحّر في العلوم العقلية والنقلية .

وكان أمجد الزهاوي متشدّداً ، قال عبود الشالجي إنه كان يحرم التبغ والتدخين لاعتقاده بأنه تبذير مخل بصاحبه .

## حمدي الأعظمي

العالم الفقيه الحقوقيّ الحاج حمدي الأعظمي ، وهو ابن الملا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن خضر العبيدي . ولد في الأعظمية من ضواحي بغداد في أيلول ١٨٨٢ ، ودرس في المدرسة الرشدية ، ثم حضر دروس نعمان الألوسي وعبد الرزاق الأعظمي ومحمد سعيد النقشبندي ومعروف البشدي وغيرهم من علماء عصره . وانتمى بعد ذلك إلى مدرسة الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩١٢ .

عمل في التعليم منذ آذار ١٨٩٨ في مدارس الأعظمية وبعقوبا . وبعد زيارة للأستانة سنة ١٩٠٧ ، عاد معلماً في العمارة وبغداد . وعيّن سنة ١٩١٢ مديراً للمدرسة النموذجية ، فمدرساً بالمدرسة السلطانية (١٩١٤) إلى احتلال بغداد سنة ١٩١٧ . وكان علاوة على ذلك عضواً في مجلس المعارف .

عيّن على أثر احتلال بغداد مدرساً بمدرسة الإمام الأعظم (١٧ نيسان ١٩١٧) ومدرساً بدار المعلمين (آب ١٩١٧) ومدرسة الهندسة (شباط ١٩١٨) . ثم نقل مفتشاً للأوقاف (أيلول ١٩١٨) فمديراً لأوقاف بغداد (١٩١٩) حتى استقال في نيسان ١٩٢٣ ، وزاول المحاماة .

وعاد إلى دائرة الأوقاف سنة ١٩٢٤ مديراً للأموال فمديراً للواردات . وأوفد في أيلول ١٩٢٦ إلى تركيا لاستنساخ القيود الوقفية ، وكان معه عبد الحميد الباجه جي . ثم عيّن مدوناً قانونياً في وزارة العدلية في آذار ١٩٢٨ ، فظلّ في وظيفته إلى سنة ١٩٤٣ حين اعتزل الخدمة . وعهدت له في تشرين الثاني ١٩٣٨ إدارة دار العلوم العربية والدينية بالوكالة خلفاً لفهمي المدرّس . ثمّ عيّن عميداً لكلية الشريعة (١٩٤٦ - ١٩٥٣) . واختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ .

وقد درّس الأحوال الشخصية في كلية الحقوق أعواماً طويلة ، ووضع مؤلفات عديدة ، منها : الدرّ المنتقى (١٩٠٧) مرقة العقائد (١٩٠٧) خلاصة الهندسة (١٩١١) زبدة الحساب (١٩١١) علم الكلام (١٩١١) المحاضرات في الأحوال الشخصية (١٩٣٥) مذكرات في أصول الفقه (١٩٣٨) خلاصة المحاضرات في علم الكلام (١٩٤١) علم العقائد (١٩٤١) غاية المرام في عقائد أهل الإسلام (١٩٤٨) تاريخ الفقه الإسلامي (١٩٤٩) المرشد إلى أصول الفقه (١٩٥٤) أصول الفقه (١٩٥٤) إلخ . وله عدا ذلك فهارس للقوانين ومحاضرات ومقالات في شتى الصحف والمجلات . وقد وقف خزانة كتبه وجعلها مكتبة عامة في قسبة الأعظمية (١٩٦٢) .

وقد توفّي حمدي الأعظمي ببغداد في ١٤ آذار ١٩٧١ بعد مرض طويل .

## محمد سعيد الراوي

محمد سعيد بن عبد الغني بن محمد بن حسين بن عبد اللطيف الراوي ولد في عانة سنة ١٨٨٣ في بيت علم وورع . ودرس على والده . ثم جاء إلى بغداد وأخذ العلم عن شيوخها كيوسف العطا ومحمد سعيد التكريتي وعباس حلمي القصاب وعبد الوهاب النائب ومحمود شكري الألوسي وغيرهم .

وتوفي والده سنة ١٩٠٦ فخلفه مدرساً في جامع خضر الياس ، ثم عين خطيباً بالتكية الخالدية وإماماً في جامع الشيخ معروف الكرخي . وانتخب عضواً بالمجلس العمومي لولاية بغداد ، فلما احتلها الإنكليز اعتقلوه وأرسلوه أسيراً إلى الهند .

وعين بعد إطلاق سراحه مدرساً في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢١) فأستأذناً بجامعة آل البيت (١٩٢٤) ، وتولى تحرير المجلة التي أصدرتها باسم «الجامعة» (آذار ١٩٢٦) . ثم نقل مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية . وعين بعد ذلك نائب عضو ورئيساً لكتاب مجلس التمييز الشرعي السنّي في بغداد (كانون الأول ١٩٢٨) ، فظل في منصبه إلى وفاته في بغداد في ١٥ شباط ١٩٣٦ .

من مؤلفاته : شرح مجلة الأحكام العدلية (١٩٢٤) وكتاب معلّم الفرائض (١٩٢٥) والمعلومات الدينية للمدارس الابتدائية . وله أيضاً خطب ومواعظ وشعر ، وبحوث ومقالات في تاريخ العراق ومعاهده ومساجده ومساجلات مع مؤرخي عصره في هذا الباب .

قال في أسره :

لعمرك ما حال الفتى بعد سجنه	وتقييسده في الأسر يسمي ويصبح؟
حنانيك لو أبصرتنا لرأيتنا ،	ونحن سكوت ، حالنا لك يفصح
نظاطيء رأساً ما رأى غير رفعة	ونخضع للآدنى ومآثم مفلح
بقفر بأرض الهند بين وحوشها	أصاغر في ذلّ الأسارة نسرح

## عبد الكريم الزنجاني

الشيخ عبد الكريم الزنجاني من علماء النجف وفقهائها المعروفين ، ولد في النجف سنة ١٨٨٧ . ودرس على مشايخها وعلى الشيخ كاظم اليزدي وأجيز بالاجتهاد (١٩١٤) . وانصرف إلى التدريس والتأليف ، حتى توفي في ١٠ أيلول ١٩٦٨ .

وضع مؤلفات كثيرة منها : جامع المسائل في الفقه ، دروس الفلسفة (في جزعين ١٩٤٠ - ٦٢) ، طريق النجاة ، برهان إمامة ووحى وإلهام (بالأوردية ١٩٣٥) مسائل

شرعية (بالفارسية ١٩٥٧) ابن سينا خالد بآثاره وخصاله (١٩٥٢) ذخيرة الصالحين ،  
الفقه الأرقى في شرح العروة الوثقى (١٩١٤) ، محاضرات (١٩٤٦) المثل العليا  
(١٩٤٦) ، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم  
الإسلامية (جزآن ١٩٥٦ - ٥٧) الوحدة الإسلامية (١٩٦١) الكندي خالد بفلسفته  
(١٩٦٢) الإعداد الروحي للجهاد الإسلامي في فلسطين (١٩٦٧) إلخ .

عرف الزنجاني بروحه الإصلاحية وسعيه في سبيل توحيد كلمة الإسلام . وقد رحل  
إلى الأقطار الإسلامية وطوّف بها يخطب ويكتب للدعوة إلى آرائه سنة ١٩٣٦ ، ثم عاد  
إلى مسقط رأسه منقطعاً للتدريس والتأليف .

### محمد جعفر الحسيني

ولد محمد جعفر الحسيني الحائري في كربلاء سنة ١٨٨٣ ودرس الفقه وعلوم الدين .  
عين قاضياً جعفرياً في البصرة في شباط ١٩١٩ ، وظلّ في منصبه حتى انتخب نائباً عن  
لواء البصرة في أيار ١٩٢٨ إلى تموز ١٩٣٠ . ومارس المحاماة بعد ذلك في البصرة .  
وقد توفي سنة ١٩٥٧ .

من مؤلفاته : الزلال المرشوف في وضع الأسماء والحروف (١٩٣٠) قلائد السالكين  
(١٩٢٩) مرآة الفقهاء (١٩٢٩) .

### الكردينال أغناطيوس جبرائيل تبوني

من أمراء الكنيسة الكاثوليكية ، ولد أغناطيوس جبرائيل تبوني في الموصل في ٣  
تشرين الثاني ١٨٧٩ وانتمى إلى السلك الكهنوتي ، فرسم راهباً سنة ١٩٠٢ . وقد أقيم  
نائباً بطريركياً عاماً في ماردين في كانون الثاني ١٩١٣ ، وأصبح رئيساً لأساقفة حلب في  
شباط ١٩٢١ .

انتخب بطريركاً على أنطاكية للطائفة السريانية في ٢٤ حزيران ١٩٢٩ ، ورفّعه البابا  
إلى مرتبة الكردينال في ١٦ كانون الأول ١٩٣٥ ، وكان أول شرقي ينال هذه المنزلة .

وقد توفي في ٢٩ كانون الثاني ١٩٦٨ . وضع رسائل ومصنفات دينية باللغتين العربية  
والسريانية .

وهو ليون بن داود بن بطرس تبوني ، ووالدته أمينة بنت سليمان زبوني من أسرة السيد  
أقليميس يوسف داود (١٨٢٩ - ١٨٩٠) مطران دمشق والباحث المؤلف باللغات  
العربية والفرنسية والأرامية .

## أغناطيوس افرام برصوم

من علماء التاريخ والمباحث الشرقية مار اغناطيوس افرام الأول بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، وهو ابن اسطيغان برصوم. ولد في الموصل في ٥ حزيران ١٨٨٧ وانتمى سنة ١٩٠٥ إلى المدرسة البطريركية بهاردين فتخرج فيها وأتسح بثوب الرهبنة (١٩٠٧). وقام بسفرة إلى الأقطار الأوروبية سنة ١٩١٣ فزار خزائن الكتب.

انتخب مطراناً للأبرشية السورية سنة ١٩١٨. وأوفد في السنة التالية إلى أوروبا قاصداً بطريركياً بعد أحداث الحرب العامة، ثم أرسل قاصداً بطريركياً إلى أميركا سنة ١٩٢٧ لتفقد الجاليات السريانية فيها. وقد انتخب بطريركاً للسريان الأرثوذكس في حمص وتم تنصيبه في ١٢ شباط ١٩٣٣.

كان يجسن اللغات العربية والسريانية والفرنسية وشيئاً من التركية والإنكليزية. وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بالشام سنة ١٩٣٣. ووضع مؤلفات وبحوثاً كثيرة منها: الألفاظ السريانية في المعاجم العربية (١٩٤٨ - ٥١)، تاريخ دير الزعفران (١٩١٧)، تاريخ الكنيسة (١٩٤٠)، تاريخ الآداب السريانية (١٩٤٣)، قيسار القلوب (١٩٥٤)، مار أنطون التكريتي (١٩٣١)، مزارع الجزيرة (١٩٥٥)، نوابغ السريان في اللغة العربية الفصحى (١٩٣١) إلخ.

وقد توفي في ٢٣ حزيران ١٩٥٧.

قال الأب يوسف سعيد: «... فكان البطريرك مؤرخاً قديراً ومحاضراً طويلاً النفس، وشاعراً يتحسس المرء في كل بيت من قصائده أنفاس الشرق، وبحاتمة ذو جلد عجيب».

وذكره رفائيل بطي فقال إنه بطريرك عراقي يكتب بلغة قس بن ساعدة.

## محسن الطباطبائي الحكيم

مرجع الشيعة الإمامية الأكبر في عصره، السيد محسن بن مهدي الطباطبائي الحكيم. كان أبوه مهدي بن صالح بن أحمد بن محمود الطباطبائي الحكيم النجفي من الفقهاء المعروفين، ألف «تحفة العابدين» و «معارف الأحكام»، وتوفي بجبل عامل في نحو سنة ١٨٩٤.

ولد محسن الحكيم في بلدة بنت جبيل في لبنان سنة ١٨٨٩ ونشأ في النجف ودرس في معاهدها وكان من أساتذته محمد كاظم الخراساني وضياء الدين العراقي ومحمد حسين الناييني وعلي باقر الجواهري. وانضم إلى المجاهدين في جنوبي العراق سنة ١٩١٥ بزعامة محمد سعيد الحبيبي وهادي مكوثر.

واصل التدريس والتأليف وبرزت شهرته الروحية حتى انفرد بزعامة الشيعة في العراق وإيران وسائر الأقطار بعد وفاة السيد أبي الحسن الموسوي الأصفهاني سنة ١٩٤٦ . وعرف بسعة علمه وزهده وتواضعه وبعده عن التعصب .

وقد وضع مؤلفات ، منها : مستمسك العروة الوثقى (في الفقه، ١٢ مجلداً)، منهاج الصالحين (في جزئين ١٩٤٨)، شرح كتاب المراح (في الصرف) توضيح المسائل (١٩٦٢)، حقائق الأصول (في جزئين ١٩٥٤)، دليل الحاج، دليل المناسك (١٩٥٩)، شرح الكفاية (في جزئين)، الصلاة، المسائل الدينية، منتخب الرسائل (بالفارسية)، منهاج الناسكين (١٩٤٨) نهج الفقاهة (١٩٥٣)، إلخ .

توفي ببغداد في أول حزيران ١٩٧٠ .

أصدر السيد محسن الحكيم في شباط ١٩٦٠ فتوى ندد فيها بالشيوعية وعدّها مخالفة لروح الإسلام .

لكنه على أثر تولي حزب البعث مقاليد الحكم في العراق سنة ١٩٦٨ واضطهاده لبعض العناصر الشيوعية، ستل أن يدعو أبناء الشيعة إلى الإضراب أو أن يتخذ إجراءات أخرى ملائمة، فرفض قائلاً إنه رجل دين لا رجل سياسة .

قال حسن العلوي في كتابه «الشيعة والدولة القومية في العراق» (١٩٩٠) إنه يمكن اعتبار عهد الحكيم واحداً من أصعب عهود المرجعية الشيعة .

شهد الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ فأفتى بدعم نضالها في أثناء العدوان على بور سعيد .

وشهد ثورة العراق سنة ١٩٥٨ فأفتى بنصرتها . وقامت الثورة الكردية فأفتى بتحريم قتال الأكراد المسلمين .

ظهر قانون الإصلاح الزراعي والقطاع الاشتراكي فأفتى بحرمة الصلاة في الأراضي المغتصبة وحرمة التعامل مع بضائع المصانع المغتصبة أيضاً . وطلب من رئيس الوزراء طاهر يحيى أن تنظر الحكومة إلى مختلف أبناء الشعب نظرة واحدة دون تمييز أو تفريق بين قومياتهم أو مذاهبهم . وطالب بتأكيد حقيقة العراق الإسلامية وروحه العربية وتراثه الرفيع .

وقد أصدر السيد محسن في ١٢ شباط ١٩٦٠ فتوى بعدم جواز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فإن ذلك كفر وإلحاد وترويج للكفر والإلحاد .

## نجم الدين الواعظ

نجم الدين بن السيد عبد الله الواعظ ، ولد في بغداد سنة ١٨٨١ ، ودرس علوم العربية والدين على عباس حلمي القصاب و غلام رسول الهندي الأنصاري وعبد الوهاب النائب . وعيّن مدرساً لجامع العادلية سنة ١٩٠٤ ، فلبث أعواماً طويلة يدرّس فيه وفي مدرسة نائلة خاتون وجامع حنان وجامع القبلاية .

وقد عيّن مدرساً في دار العلوم الدينية والعربية سنة ١٩٣٤ ، وخلف الشيخ قاسم القيسي مفتياً لبغداد عند وفاته سنة ١٩٥٥ .

له مؤلفات منها: غاية التقريب (في الأصول) وبغية السائل في شرح منظومة العوامل للشيخ عبد الوهاب النائب ، الدين الحنيف (١٩٥٤) إلخ .

ونجم الدين الواعظ من رجال الدين الذين يقرنون العلم الغزير بالأخلاق الرفيعة والدعوة إلى الإصلاح والتسامح بالرغم من موقفه الشديد سنة ١٩٢٥ ضد دعاة تحرير المرأة .

وقد توفي ببغداد (الأعظمية) في ٧ شباط ١٩٧٦ .

## أبو عبد الله الزنجاني

العالم الإسلامي المصلح أبو عبد الله بن عبد الرحيم بن نصر الله ولد في زنجان شمالي إيران في ١٥ كانون الأول ١٨٩١ . وارتحل إلى النجف فدرس على كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الأصفهاني وحسين الناييني . ثم درس الفلسفة في طهران .

دعا إلى الإصلاح الديني وتوحيد الكلمة وعقد الصلة بين المذاهب الإسلامية ، فقام برحلات إلى الشام والأردن وفلسطين ومصر والحجاز ، ثم قفل عائداً إلى زنجان . ورحل ثانية إلى مصر سنة ١٩٣٤ ، وعرّج على دمشق . وانتخب عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العربي في الشام .

وقد توفي في ٢٣ تموز ١٩٤١ .

من مؤلفاته : تاريخ القرآن (١٩٣٥) بقاء النفس بعد فساد الجسد ، الفيلسوف الفارسي صدر الدين الشيرازي ، طهارة أهل الكتاب (١٩٢٧) عظمة الحسين (باللغة الفارسية) ، أصول القرآن الاجتماعية ، فلسفة الحجاب (١٩٢٤) رسالة في التصوف .



## الشيخ كمال الدين الطائي

محمد كمال الدين بن الشيخ عبد المحسن آل بكتاش الطائي ، من علماء الدين . كان أبوه مدرس جامع المصرف وخطيب جامع علي أفندي ، ولد في بغداد سنة ١٨٥٧ وتوفي سنة ١٩٤٥ . وقد وضع تآليف في المنطق وعلم الكلام والتصوف .

ولد كمال الدين في بغداد سنة ١٩٠٣ ودرس في المدارس الرسمية التركية ، ثم سلك مسلك التحصيل الديني على كبار العلماء . عين إماماً في جامع منورة خاتون ، واختير محاضراً في دار العلوم العربية والدينية سنة ١٩٣٢ . وكان واعظاً في عدة جوامع ، واشترك في تأسيس جمعيات خيرية ودينية ، منها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية ونادي الإرشاد .

تولى تحرير المجلات التي أصدرتها جمعية الهداية الإسلامية : الهداية (أيار ١٩٣٠) وصدى الإسلام (كانون الأول ١٩٣٠) والصراط المستقيم (١٩٣١) وتنوير الأفكار (١٩٣٢) والاعتصام (١٩٣٢) والكفاح (١٩٣٤) ولسان الهداية (١٩٣٥) . وأصدر مجلة دينية بإسم الذكرى (١٩٣٥) ورأس تحرير مجلة الراية لصاحبها نهاد الزهاوي (١٩٣٦) .

اعتقل في تشرين الثاني ١٩٤١ وأبعد إلى العمارة والفاو . وفي أيلول ١٩٤٧ تولى رئاسة تحرير مجلة الكفاح لجمعية الآداب الإسلامية ، وقد عادت هذه المجلة إلى الصدور سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ . ووضع مؤلفات شرعية وأدبية ، منها الذكرى المحمدية (في عشرة أجزاء ، ١٩٣٢ - ١٩٤١) ، الفقر في الإسلام ، إلخ . توفي في بغداد في ١٢ آب ١٩٧٧ .

## محمد باقر الصدر

المجتهد الإمامي ذو النظرة العصرية والنزعة الإصلاحية السيد محمد باقر حيدر الصدر ينتمي إلى الأسرة المعروفة في الكاظمة التي شهدت مولده سنة ١٩٣٥ . توفي والده وعمره لا يتجاوز الأربع سنوات . وقد درس العلوم العربية والدينية في الكاظمة والنجف ، وكان من أساتذته السيد محسن الحكيم ومرتضى آل ياسين وإسماعيل الصدر . ونال درجة الاجتهاد ، فأكب على التأليف والإرشاد . وأنشأ حزب الدعوة الإسلامية في النجف سنة ١٩٥٧ . واعتقل في النجف لمعارضته لحكم البعث في ٥ نيسان ١٩٨٠ ونقل إلى بغداد واغتيل شهيداً بعد ثلاثة أيام (٨ نيسان ١٩٨٠) .

حدّد في أواخر أيام حياته المهام العاجلة للمعارضة العراقية ولخصها بأربع مهام :

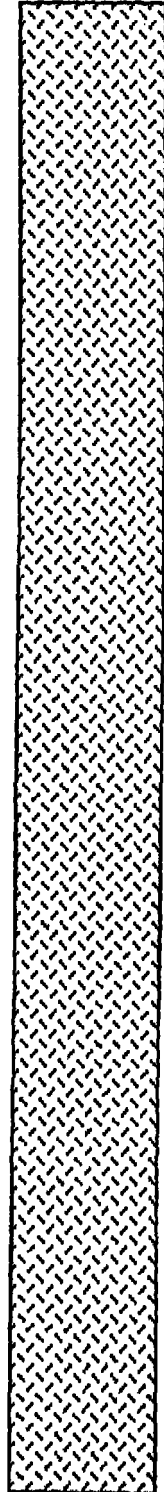
١ - إسقاط نظام صدام حسين والنضال في سبيل ذلك داخل العراق وخارجه .

- ٢- إعادة السلطة للشعب ومنحه الفرصة الكاملة للتعبير عن رأيه .
- ٣- تحقيق وحدة الكفاح بين قوى المعارضة والشعب وتوحيد الكلمة .
- ٤- إقامة نظام يعبر عن إرادة الشعب ويحقق له الكرامة .

وضع محمد باقر الصدر مؤلفات كثيرة طبعت في النجف وبيروت والكويت ، منها :  
غاية الفكر في الأصول (١٩٥٥) فدك في التاريخ (١٩٥٥) فلسفتنا (١٩٥٩) اقتصادنا  
(جزآن ، ١٩٦١ - ١٩٦٨) ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي ، المعالم الجديدة  
للأصول (١٩٦٥) المدرسة الإسلامية (جزآن ، ١٩٦٥) الإنسان المعاصر والمشكلة  
الاجتماعية (١٩٦٥) البنك اللاربوي في الإسلام (١٩٦٩) الأسس المنطقية للاستقراء ،  
إلخ .

قال لي عبد الهادي الجلبي : لو طال به الزمان لاجتهد اجتهادات كثيرة تتفق مع روح  
العصر .

وقال الدكتور محمد بحر العلوم إن محمد باقر الصدر «قاد الثورة الإسلامية في العراق  
في السبعينات وأعطى من نفسه لها كأي قائد رسالي الغالي والنفيس ، وكان آخرها حياته  
الغالية وحياة أخته الطاهرة المجاهدة بنت الهدى» . وقال إنه كان رائداً فذاً للحركة  
العلمية الدينية في النجف وكربلاء وقم وخراسان وغيرها من مراكز المرجعية الإمامية .  
ورأى أن الطليعة من أبناء الأمة في العراق بحاجة إلى توعية إسلامية ثورية وبناء جيل  
يتحمل مسؤوليته الدينية والتاريخية في رسم خط إسلامي فكري هادف ينقذ الأمة من  
التذبذب وعدم الرسوخ في المعتقد والالتزام في العطاء العلمي بما يتناسب وحاجة  
الظرف المعاش . ولذلك كان لعطائه المتجسد في مؤلفاته من تفسير وفقه وأصول وفلسفة  
واجتماع واقتصاد الأثر الكبير في خلق طبقة علمية رائدة . . .





## داود صليوا

من قدماء رجال التعليم والصحافة، المعلم داود صليوا ابن الشماس يوحنا صليوا ولد في الموصل في ٧ تشرين الثاني ١٨٥٢، وفقد حنان الأمومة طفلاً. درس في المدرسة الكلدانية، ثم تلقى اللغة العربية وأدائها على المطران ميخائيل نعمو ويوسف باشعالم والبطريرك عبد يشوع خياط. وعين وهو بعد صبياً معلماً في مدرسته، ثم عهد إليه بإدارتها فأمضى في تلك المهمة أربع سنوات.

وانتقل إلى بغداد سنة ١٨٧٤ وزاول التعليم في المدارس الأهلية ثلاثين عاماً. ثم أعلن الدستور في البلاد العثمانية وأطلقت حرية الصحافة، فأصدر جريدة «صدى بابل» في ١٣ آب ١٩٠٩، وقد اشترك في إصدارها معه في بادئ الأمر يوسف رزق الله غنيمه. وأصدر بعد ذلك مجلة فكاهية روائية نصف شهرية باسم «الغرائب» (شباط ١٩١٣) نشر منها ١٢ عدداً.

نشبت الحرب العامة وخاضت تركية غمارها، فنفي داود صليوا مع الأب أنستاس الكرملّي وعبد الحسين الأزري وغيرهما إلى قيصرية الأناضول، حيث قضى قرابة الستين (١٩١٤-١٩١٦).

وقد فقد بصره في أعوامه الأخيرة، وقضى نحبه ببغداد في ٤ تشرين الثاني ١٩٢١.

وضع رسالة في ترجمة الوالي ناظم باشا (١٩١٣) وألف كتباً في الصرف والنحو والمنطق واللغة العربية. ودعا في جريدته إلى استعمال العربية في العراق في الشؤون الرسمية بدلاً من التركية، ونادى بأهمية الصحافة في تثقيف أبناء الشعب وإصلاح أمور البلاد ونشر العلم والأدب وشد وثاق الروابط الإنسانية. ونظم شعراً في التهنته والمديح، كقوله:

غرست لكم في المدح ما اخضرّ روضه  
وسطّرت في خدّ الزمان حقيقة  
لقد جمع الله المحاسن فيكم  
وألقت إليه الزهر عقداً من الزهر  
ملخصها فخر يدوم على فخر  
كما جمع الأضواء في مطلع الفجر

## سليمان الدخيل

الكاتب الصحفي المؤرخ سليمان الدخيل وهو ابن صالح بن دخيل بن جبار الله النجدي ، ولد في القصيم من أعمال نجد سنة ١٨٧٣ . وقدم إلى بغداد فتتلمذ على محمود شكري الألوسي . وقد طاف في بلاد العرب والهند ، وكان واسع الاطلاع على أحوال الجزيرة العربية والخليج وعادات العرب وأخبارهم .

أصدر في بغداد جريدة أسبوعية باسم «الرياض» (٧ كانون الثاني ١٩١٠) ، أعانه على إصدارها عمه الشيخ جبار الله الدخيل ، وكان وكيل الأمير ابن رشيد وصاحب تجارة واسعة مع نجد وجزيرة العرب . وكان إبراهيم حلمي العمر محرراً لهذه الجريدة . ثم أصدر سليمان الدخيل وإبراهيم حلمي مجلة باسم «الحياة» (كانون الثاني ١٩١٢) احتجبت بعد صدور أربعة أعداد .

نشبت الحرب العامة وخاضت الدولة العثمانية غمارها فشردت رجال الفكر وأصحاب الأقلام ، وفرّ سليمان الدخيل إلى نجد . وعاد بعد الحرب إلى بغداد فعين قائممقاماً لفضاء عانة في نيسان ١٩٢١ . ثم عين مديراً لناحية بلد في كانون الثاني ١٩٢٣ ، ونقل إلى المحمودية فالكوفة (حزيران ١٩٢٥) وكان وكيل قائممقام الجبايش في كانون الأول من تلك السنة . ثم عاد إلى الصحافة في كانون الأول ١٩٣١ رئيساً لتحرير جريدة «جزيرة العرب» الأسبوعية لصاحبها داود العجيل ، ولم تستقم سوى ثلاثة أشهر .

ورجع إلى الوظيفة بعد ذلك فكان مديراً للتحرير في لواء كربلاء (١٩٣٤) فالناصرية (آب ١٩٣٨) . وتوفي ببغداد سنة ١٩٤٥ .

كتب سليمان الدخيل مقالات عن الجزيرة العربية في مجلة لغة العرب وغيرها . وألف : القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد (١٩٦٦) الوهابية (١٩١٤) العقد المتألم في حساب اللائي ، تحفة الألباء في تاريخ الاحساء (١٩١٣) . ومن الكتب التي قام بنشرها : عنوان المجد في تاريخ نجد (١٩١٠) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد (١٩١١) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (١٩١٤) .

وكان أبوه الشيخ صالح بن دخيل بن جبار الله النجدي من رجال العلم كتب بحوثاً في مجلة المقتطف المصرية في الدفاع عن المذهب الوهابي وذلك في السنوات الأولى من القرن العشرين .

## محمد كامل الطبقبلي

ينتمي إلى الأسرة البغدادية المعروفة . أصدر في ٦ كانون الأول ١٩٠٩ جريدة عربية

تركية باسم «بين النهرين». كان ائتلافياً مناوئاً للاتحاديين، فلما اغتيل الصدر الأعظم محمود شوكت باشا في استانبول سنة ١٩١٣، أقام الأفرح في داره ثلاثة أيام ابتهاجاً بمقتله - على ما حدّثني به سامي خوندّة. واعتقل على أثر ذلك في حزيران من تلك السنة. ثم رأى استفحال سلطة رجال الاتحاد والترقي فغادر بغداد ناجياً بنفسه إلى الهند، وأقام في بمبي.

قال سامي خوندّة إنه كان يصدر جريدة «الرافدين» سنة ١٩٢١ فإذا برجل يدخل عليه في الإدارة، وكان معتمراً الطربوش ولايساً السراويل الهندية والجلباب، وعرف نفسه بأنه محمد كامل الطبقجلي. رحّب به سامي، فقال الرجل: لقد قمنا بواجبنا تجاه الترك، فعليكم، يا أولادي، أن تواصلوا جهادكم ضد الإنكليز وتستخلصوا حقوق الشعب منهم.

وعاد محمد كامل إلى الهند ثانية وأدرجه الحمام فيها.

وهو والد الزعيم ناظم الطبقجلي الذي اشترك في حركة العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل سنة ١٩٥٩ وأعدم معه على عهد الزعيم عبد الكريم قاسم.

## داود نيازي

من رجال الصحافة القدماء، مارس داود نيازي المحاماة في البصرة وأصدر فيها، على أثر إعلان الدستور العثماني، جريدة عربية تركية باسم «الفيض» (أيار ١٩١٠). وقد ظلّ يصدر جريدته حتى انتحر في نيسان ١٩١١.

## قاسم جلميران

من قدامى رجال الصحافة، موصليّ المنبت، كان من ذوي الأملاك في البصرة. أصدر فيها جريدة «إظهار الحق» باللغتين العربية والتركية في أول حزيران ١٩٠٩، وعهد بتحرير القسم العربي إلى الشاعر عبد القادر العبادي. وقد اغتاله فلاحوه في نيسان ١٩١٠.

## فتح الله سرّسم

فتح الله بن جرجيس سرّسم ولد في الموصل سنة ١٨٧٥ وتعلم اللغات العربية والتركية والفرنسية. عين عضواً بمحكمة البداءة سنة ١٩٠٥، فعضواً بمجلس إدارة الولاية ومحكمة الاستئناف.

ولما أعلن الدستور العثماني أصدر جريدة أسبوعية في الموصل باللغتين العربية والتركية باسم نينوى (١٥ تموز ١٩٠٩)، وكان مديرها المسؤول محمد أمين الفخري . وعاد بعد ذلك عضواً بمجلس الإدارة (١٩١٢) فعضو مجلس الولاية العام (١٩١٤ - ١٩١٨).

واحتل البريطانيون الموصل سنة ١٩١٨ فعينه عضواً بالمجلس البلدي (١٩٢٠) فعضواً بمجلس الإدارة ونائب متصرف لواء الموصل (١٩٢١) . وانتخب نائباً عن اللواء المذكور في المجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٤ . وقد توفي في سورية في تشرين الثاني ١٩٢٧ .

كانت له عناية بالمخطوطات ولا سيما ما يتعلق منها بالموصل وتاريخها .

ولده : متى فتح الله سرسم أصدر في الموصل جريدة «فتي العراق» (١٩٢٩) و «الإخلاص» (١٩٣٠) فجريدة «البلاغ» (١٩٣٠) وانتخب نائباً عن الموصل في حزيران ١٩٣٩ ، وأعيد انتخابه في آذار ١٩٤٧ وظل نائباً إلى ثورة تموز ١٩٥٨ .

### عبد الوهاب الطباطبائي

ينتمي إلى أسرة بصرية قديمة حسنية النسب ، وهو عبد الوهاب بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجليل الطباطبائي . كان جدّه عبد الجليل شاعراً فقيهاً معروفاً في عصره ولد في البصرة سنة ١٧٧٦ وارتحل إلى البحرين فالكويت حيث أدركه الحماة سنة ١٨٥٤ .

وقد ولد عبد الوهاب في الكويت سنة ١٨٧٥ ودرس على علمائها . ثم جاء إلى البصرة فأتى دراسة الأدب واللغة وعلوم الدين . ولازم السيد طالب النقيب وزار معه مصر والأستانة ، والتحق بالجمعية الإصلاحية التي أسسها قبيل الحرب العامة . وراسل جريدة المؤيد المصرية لصاحبها الشيخ علي يوسف .

وحزّر جريدة «الدستور» التي أصدرها في الثغر عبد الله الزهير في ٢٢ كانون الثاني ١٩١٢ . وأصدر بعد ذلك جريدة «صدى الدستور» باللغتين العربية والتركية في ٢٥ أيلول ١٩١٣ ، فظلت تصدر إلى احتلال البصرة في كانون الأول ١٩١٤ .

وعين علي أثر تأليف الحكومة العراقية مديراً لناحية الزبير (كانون الثاني ١٩٢٣)، ثم أصبح رئيساً لكتاب بلدية البصرة في سنة ١٩٢٩ . واعتزل الخدمة سنة ١٩٤٩ . وله مقالات كثيرة في الصحف .

وقد توفي في البصرة في تموز ١٩٥٧ .

أخوه عبد المحسن بن عبد الله الطباطبائي (١٨٨١ - ١٩٢١) ولد في الكويت ونشأ



في البصرة واشترك مع أخيه عبد الوهاب في تحرير جريدة الدستور. وكان كاتباً أديباً وشاعراً ينظم بالفصحى والعامية، ويعمل في التجارة.

## علي الجميل

الصحفي الأديب علي الجميل ولد في الموصل سنة ١٨٩٠، ودرس في المدارس الدينية. ووظف كاتباً في المحكمة الشرعية بمسقط رأسه (١٩١٠)، ثم انتقل إلى دائرة الأوقاف. وظهر ميله إلى الكتابة، وهو في عتقوان الشباب، فنشر مقالاته في جريدة «النجاح» الموصلية لصاحبها خير الدين العمري وراسل جريدة «المصباح» التي أصدرها عبد الحسين الأزدي في بغداد قبيل الحرب العظمى. وتولى تحرير القسم العربي في جريدة «الموصل» الرسمية والترجمة في مطبعة الولاية. وألف: التحفة السنوية في المشايخ السنوية (١٩١٣).

مضى إلى حلب طلباً للاستشفاء من مرض ألمّ به، فلما عاد إلى الموصل، زاول أعمال والده التجارية، ثم عين رئيساً لكتاب غرفة تجارة الموصل. وأنشأ جريدة «صدى الجمهور» سنة ١٩٢٧ نصف أسبوعية واستمر على إصدارها إلى وفاته. وقد توفي في حلب في أول تشرين الأول ١٩٢٨ ونقل جثمانه إلى الموصل ودفن بها.

كان شاعراً أديباً رقيق الحاشية، حاضر النكتة، سريع البديهة، عرفه إبراهيم الواعظ في أثناء إقامته بالموصل سنة ١٩١٧/١٩١٨ وتوثقت صلته به وحصلت بينهما مطارحات شعرية ونثرية. فمما قاله علي الجميل يهنيء الواعظ بعيد الأضحى:

يميناً برّب البيت والليل إذ يسري،      بك ابتزّ قَدْ العيد في حلل الفخر  
تكامل حسناً من معانك سعده      فأضححت به الأيام باسممة الثغر  
وأبدي من الإقبال ما أنت أهله      وقد جاء للتبريك، يا طلعة البدر  
فدم رافلاً بالعزّ والسعد والبقا      حبيباً لكلّ العالمين مدى السّهر  
وقال أيضاً:

لك منّي بين الجوانح قلب      صادق الودّ معجب بولائك  
وكأني به إليك اشتياقاً      خفاف لا يقمّر دون لقائك

## رزوق غنام

شيخ الصحافة العراقية في عصره ولد في بغداد سنة ١٨٨٢ وتوفي بها في ٢٤ آذار ١٩٦٥. أصدر جريدة «العراق» سنين عديدة. وقد ترجمت له في «أعلام اليقظة الفكرية».

كان رزوق غنام، مثل أمين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) ومارون عبّود (١٨٨٦ - ١٩٦٢) في لبنان، مؤمناً بكل جوارحه بالقومية العربية والوحدة العراقية. وكان كثيراً ما يقول إنّ على المسيحيين وسائر الأقليات في العراق أن يؤمنوا بالإسلام أو، في الأقل، أن يتقاربوا مع الأكثرية المسلمة ويتكروا ضيق أفكارهم الطائفية ليندمجوا ويذوبوا في الوحدة الوطنية الجامعة. وكان مخلصاً للمبادئ العربية منذ شبابه حين كان موظفاً في بعض الشركات الإنكليزية العاملة في العراق في العهد التركي. فلما احتل الإنكليز العراق كان سهلاً عليه أن يصدر جريدته ويصبح داعية من دعاة القومية العربية، منضوياً إلى لواء نوري السعيد ورفاقه من رجال الثورة العربية.

وقد قال سلامة موسى: إنّ الإسلام دين بلادي ومن واجبي أن أدافع عنه. وفي سنة ١٩٣٦ قال مكرم عبيد باشا وزير المالية المصرية: أنا مسيحي ديناً، ولكنني مسلم بالنظر إلى بلادي المسلمة. وكان مارون عبّود الأديب الناقد الشهير يدعو إلى إسلامية مسيحيي الشرق.

كان رزوق غنام يرى أن الدولة العثمانية التي استعمرت البلاد العربية قروناً طويلة قد وقفت سداً منيعاً في وجهها وحالت دون تقدمها وأخذها بأسباب النهضة الحديثة ودون إبراز شخصيتها الأصيلة في مجال الآداب والعلوم. وكان يضرب مثلاً على ذلك بمصر التي، حالما انفصلت فعلاً عن جسم الدولة وتولى أمورها محمد علي باشا سنة ١٨٠٥، اتجهت وجهة جديدة نحو النهضة جعلت منها الرائدة في ميدان التقدم بين العرب.

قال إبراهيم صالح شكر يذكر رزوق غنام (تشرين الثاني ١٩٢٣) إنه أقدر صحافي عرفناه في هذه الديار يعمل على جعل جريدته في مقدمة الجرائد العراقية. وقال إن ثمرات جريدة العراق تنطق له بالجهاد، وهذه خدمة «العراق» للآداب العربية بإصدارها الأعداد السنوية الممتازة المحتوية على «الجليل والبليد» من آثار أدبائنا. وقال إن سياسة رزوق عربية منذ كان المتبجحون بالعروبة في صفوف أعدائها الاتحاديين...

## إبراهيم حلمي العمر

الكاتب الصحفي البارع إبراهيم حلمي العمر ولد في بغداد سنة ١٨٩٠ وتوفي بها في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٢. فصلت ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية».

لقيته في دمشق الأنسة جرتود بيل التي زارت سورية في تشرين الأول ١٩١٩ في أثناء

حكم الأمير فيصل وقدمت إلى الحكومة البريطانية تقريراً سرياً عن الوضع هناك والرجال الذين يضطلعون بالحكم، وجلّهم من الضباط العراقيين كنوري السعيد وياسين الهاشمي وجعفر العسكري ومولود نخلص وناجي السويدي إلخ.

قالت إن الصحفي إبراهيم حلمي العمر زارها مراراً، وهو يصدر صحيفة اسمها «لسان العرب». وقالت إن معرفته للغة العربية ممتازة حتى أن الأب أنستاس ماري الكرملي، وهو خير حكم في هذا الموضوع، حاول استدراجه إلى المجيء إلى بغداد ليعاونه في تحرير الصحيفة العربية التي تصدرها الإدارة البريطانية.

وقالت إن إبراهيم حلمي مَيَّال إلى بريطانية، وقد نشر في «لسان العرب» عدداً من المقالات المحبذة للإدارة البريطانية. وتفاوض مع المس بيل عن إمكان انتشار جريدته لديها، وقال إن دعوته الصادرة من سورية تكون أكثر نفوذاً مما لو كانت تصدر من مطبعة الحكومة في بغداد. وهو يأمل أن تعضد السلطات صحيفته، وأشار إلى إمكان موافقته على العمل في بغداد «إذا منحناه شروطاً سخية». . . وختمت كلامها قائلة إنه، ولا ريب، شابٌ قدير.

عاد إبراهيم حلمي إلى بغداد فأصدر فيها جريدته «لسان العرب» ثم استعاض عنها بجريدة أسماها «المفيد». وقد غيّر لهجته وصار ينتقد سياسة الانتداب البريطاني وظاهر الحركة الوطنية وتحدث عن المعاهدات والعهود بأنها «قصاصات ورق». . . وقد عطلت جريدته في آب ١٩٢٢ وقر إلى إيران.

رجع إلى بغداد سنة ١٩٢٣. ولما لم يمنح امتيازاً لإصدار جريدة، قام صديقه معروف الرصافي باستحصال امتياز جريدة باسم «الأمل» وعهد بتحريرها إليه. أخبرني مصطفى علي أن الرصافي قال لإبراهيم بعد ذلك: إنك تحسن جيداً تعليق الطبل في عنق البعض، ثم تدق عليه دقاً عنيفاً!

وأخبرني صبحي البصام أن الشاعر إبراهيم أدهم الزهاوي سئل أن يرثي إبراهيم حلمي العمر عند وفاته، فقال ارتجالاً:

قالوا: ألا تبكي على مثله؟ فقلت: صونوا الدمع عن طيشه  
وإنالني دهر وجدنا به موت الفتى أفضل من عيشه!

كان إبراهيم حلمي كاتباً قديراً يحمل على الحكومة باسم المعارضة حملات شعواء ناشراً مقالاته غفلاً من التوقيع، ثم يصبح في الغداة فإذا به ينبري للردّ باسم الحكومة على مقاله بالأمس، وهو في كلا المقالين قوياً الحججة ناصع البيان. وقيل إن السيد جمال الدين الأفغاني كان ذا موهبة خاصة في قوة الإقناع، فكان يستطيع أن يأتي بما يدل على استحسان الشيء واستهجانته في أن واحد. وسئل في ذلك فقال: إن لكل شيء وجهين، ولكل إنسان صفات طيبة وقبيحة. وإن الحكم على الأشخاص والأشياء إنما

يختلف باختلاف الظروف واختلاف رغبة الناظر وموقفه . فإذا نظرنا إلى الشخص من جهة المحاسن مدحناه ، وإذا نظرنا إليه من جهة المساوىء ذمناه .

## قاسم العلوي

قاسم السيد خضر العلوي من رجال الصحافة الوطنية في العراق ولد في جانب الكرخ من بغداد سنة ١٨٩٦ ، ودرس في المدرسة الرشدية العسكرية . ثم قصد الأستانة سنة ١٩١٢ وانتمى إلى المدرسة العسكرية ، لكنه تركها عند نشوب الحرب العظمى بعد سنتين والتحق بمدرسة الهندسة .

عاد إلى بغداد في أوائل سنة ١٩١٧ . وأنشئت دار المعلمين في حزيزان من تلك السنة فعيّن مدرساً بها . ثم عمل مهندساً في دائرة الري بمنطقة الفرات الأوسط ، وتولّى التدريس في مدرسة الهندسة ببغداد حيناً .

وأصدر عبد الغفور البدرى جريدة الاستقلال في أيلول ١٩٢٠ فعهده بتحريرها إلى قاسم العلوي . قال رفائيل بطي في محاضراته عن الصحافة في العراق : «تولّى تحرير (الاستقلال) قاسم العلوي . . . وأعظم ما صرفت إليه الجريدة جهدها المقال الافتتاحي - وكان العهد عهد مقالات - فكان في الغالب يعالج القضية العراقية ويطالب بفسح مجال الحرية ويبرهن على استعداد الشعب للاستقلال . وقد عنيت الجريدة بمشروع الحكومة العراقية المؤقتة التي كوّنتها سلطة الاحتلال البريطانية تخلصاً من أزمة الثورة وتمهيداً لتأسيس دولة العراق . . . » وقد عطلت الجريدة بسبب مقالاتها التي تلهب الشعور الوطني وسجن صاحبها وقاسم العلوي وفريق من كتابها كمحمد مهدي البصير وعلي محمود الشيخ علي (شباط ١٩٢١) ، وأفرج عنهم بعد ستة أشهر .

قام بعد ذلك بالتدريس في مدرسة التفيّض والمدرسة الثانوية المركزية ، وكان يدوّن الرياضيات وعلم الطبيعة . وفي سنة ١٩٣١ انتمى إلى كلية الحقوق ، وتخرّج فيها سنة ١٩٣٤ . وزاول المحاماة ثلاثين عاماً حتى سنة ١٩٦٤ حين اعتزل مهنته لمرضه . وأدركه الحماق ببغداد في أول آب ١٩٦٧ .

كان كاتباً سياسياً أليماً ، ضليعاً بالعربية والفقه والأدب ، يحسن من اللغات التركية والفارسية وثنياً من الفرنسية والألمانية .

## حسن غصيبة

من رجال الصحافة والإدارة والمحاماة ، ينتمي إلى شيوخ قبيلة العزة . وهو حسن بن محمود الخلف الغصيبة الفارس . ولد سنة ١٨٨٩ ، وتخرّج في مدرسة العشائر في استانبول ، وعيّن مديراً للمدرسة الرشدية في بعقوبا سنة ١٩١٢ . ثم كان ضابطاً في الجيش العربي في أثناء ثورة الحجاز .

عاد إلى بغداد بعد الحرب العظمى ، فاشتغل في الأحزاب الوطنية . وأصدر جريدة «العاصمة» في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٢ لتنتق باسم الحزب الحزّ العراقي . قال رفائيل بطّي في محاضراته عن الصحافة في العراق : «عرفت مقالات حسن غصيبة رئيس تحرير «العاصمة» الافتتاحية بأنها من أحسن المقالات الصحفيّة في يومها ، بل من أحسن المقالات في الصحافة العراقية ، مكتوبة بأسلوب فصيح ، معتدلة اللهجة ، ناضجة التفكير . . . وسجلت هذه الجريدة موقفاً مشرقاً في الدفاع عن الحرية الفكرية وعن كرامة الصحافة والصحفيّين . وعطّلت في ٢٤ آب ١٩٢٣ .

درس حسن غصيبة في الوقت نفسه في مدرسة الحقوق فتخرّج فيها سنة ١٩٢٣ . وعيّن في آذار ١٩٢٤ رئيس ديوان الإنشاء في المجلس التأسيسي . ونقل إلى السلك الإداري فكان قائممقاماً لقضاء شط العرب (تشرين الأول ١٩٣١) فعلي الغربي (آب ١٩٣٣) فتلعّفر . ونقل مدعياً عاماً في بغداد (تشرين الثاني ١٩٣٤) ، ثم اعتزل الخدمة وزاول المحاماة في أوائل سنة ١٩٣٨ .

وقد توفّي ببغداد في ١٢ آذار ١٩٦٠ .

وعرف أخوه محمد شاکر غصيبة من الكتاب والمحامين البارزين ، وقد ولد في نحو سنة ١٨٨١ . وهو ظريف ، راوية للشعر الجيد والأخبار اللطيفة ، قال إبراهيم الواعظ في أسبوعياته (١٩٤٤) : وقد قرأ لي الأستاذ شاکر غصيبة المحامي هذين البيتين :

وأصحاب عهدتهم دروعاً      فكانوها ولكن للأعادي  
وخلتهم نصالاً صائبات      فكانوها ولكن في فؤادي  
ولا يزال شاکر غصيبة حياً (١٩٧٤) .

### سليم حسّون

الصحفي الكاتب المعلم سليم حسّون ، وهو سليم بن سمعان بن إبراهيم حسّون ، ولد في الموصل سنة ١٨٧١ ودرس في مدرسة الآباء الدومنيكيّين ، ثم أصبح مدرساً بتلك المدرسة سنين طويلة ، ووضع كتباً مدرسية منها : تعليم الطلاب أصول التصريف والإعراب (١٨٩٩) الأجوبة الشافية في فني الصرف والنحو (١٩٠٦) مختصر مفيد في أصول الصرف والنحو (جزآن ١٩٠٦) خلاصة الجغرافية ، كتاب الذهب لتهديب أحداث العرب (في جزءين ، ١٩١١) . وترجم مسرحية استشهاد مار نرسيسيوس (١٩٠٢) وألف مسرحية شعو (١٩٠٥) ، وقد مثل كلاهما في الموصل .

ولما أعلنت الحرب العظمى انصرف عن التعليم واشتغل بالرسم الفنيّة ، حتى إذا ما احتل الإنكليز الموصل وأصدروا جريدة «الموصل» الرسمية في تشرين الثاني ١٩١٨ ،

عمل محرراً بها أمدأ، ثم عين مفتشاً للمعارف في مسقط رأسه . ونقل إلى البصرة فلم يلبث طويلاً حتى استقال وزار أوروبا وأسس دار الطباعة الحديثة في بغداد . وأصدر جريدة «العالم العربي» اليومية في آذار ١٩٢٤ ، فظلت تصدر إلى ما بعد سنة ١٩٤٧ ، وإن كان سليم حسون قد ترك الإشراف عليها في سنواتها الأخيرة لمرضه وعجزه . وكانت هذه الجريدة من الصحف الشعبية تعنى بشؤون الناس ومعيشتهم اليومية وتنتهج الاعتدال في أسلوبها وسياستها .

انتخب سليم حسون نائباً عن الموصل سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ و ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ، ثم انتخب نائباً عن البصرة خلفاً لرفائيل بطي (أيار ١٩٣٧) . وناب عن بغداد بعد ذلك في مجلس ١٩٣٧ - ١٩٣٩ .  
وتوفي ببغداد في ٤ تشرين الأول ١٩٤٧ .

كان سليم حسون كاتباً ميسر الأسلوب ، قريب المعاني إلى أذهان الجمهور، كتب «نقدات الحسنون» وسواها من الأبواب الصحفية . وقد عني بقضية فلسطين والدفاع عن عربيتها، واهتم بالبحوث والكتب التي تناولت شؤون العراق فعهد بترجمتها وتولى نشرها في جريدته بصورة متسلسلة .

قال جلال بابان : إن الأستاذ سليم حسون يعتبر في نظري مثالاً طيباً للخلاق الصحيح لوفائه وأمانته وتحليته بالصفات الحميدة العالية ، هذا إلى مواهبه الكثيرة وقابلياته الفذة التي استثمارها في سبيل المصلحة العامة . . .

وقال صبيح نجيب : إن (سليم حسون) يعتبر من أوائل المناضلين في سبيل القضية العربية وخاصة القضية الفلسطينية . . . وثمة ناحية ينبغي الإشارة إليها ، وهي صراحته في القول والعمل . . .

وقال نور الدين داود : كان (سليم حسون) إلى جانب كونه من الصحافيين البارعين مرتباً صالحاً تخرج على يديه عدد غير قليل من الطلاب الناهيين . . . وأذكر أن صحيفته «العالم العربي» قد صدرت في يوم افتتاح المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ واعتبرت فتحاً جديداً في عالم الصحافة لأنها جاءت بنوع جديد من النقد الهادىء الرزين والموجع في نفس الوقت . ولم يكن في بغداد آنذاك سوى صحيفتين سياسيتين : العراق والاستقلال ، وكانت الأخيرة صحيفة الوطنية الملتهبة ، والعراق صحيفة الاعتدال المتطرف ، فكانت العالم العربي بين الاثنتين تعادل وتتطرف كما يقضي الزمن وتقضي المصلحة العامة . . .

### بولينا حسون

وهي ابنة عمّ سليم حسون ، ولدت في الأردن في نحو سنة ١٨٩٥ . وقدمت ببغداد مع أسرته سنة ١٩٢٢ فأصدرت مجلة «ليلي» وهي أول مجلة نسائية عراقية في تشرين

الثاني ١٩٢٣ واستمر صدورها سنتين . وعملت بولينا حسون في الوقت نفسه مديرة لإحدى مدارس البنات، ثم عادت إلى الأردن . وتوفيت هناك سنة ١٩٦٩ .

ونخال بولينا حسون: الشاعر الباحث إبراهيم الخوراني (١٨٤٤ - ١٩١٦)، وهو حصي الأصل حليبي المولد بيروتى الوفاة، كان معلماً في الكلية الأميركية ببيروت ومحوراً للنشرة الأسبوعية، وفي شعره جزالة ورقة .

## رفائيل بطّي

دعاه أمين الريحاني ابن خلكان العراق، وسار ذكره في الآفاق، وكان واسطة عقد الأدباء ودائرة معارفهم ولم تتجاوز سنّه الثانية والعشرين .

ولد رفائيل بن بطرس بن عيسى بن بطّي في الموصل سنة ١٩٠٠، ودرس في مدرسة الآباء الدومنيكيين بها، ثم أصبح معلماً . وأقبل على المطالعة بنهم شديد وأخذ بالكتابة والتحرير . وتوفي أبوه، وكان حائكاً رقيق الحال، وجاء إلى بغداد سنة ١٩١٩، وانتسب إلى دار المعلمين الابتدائية وتخرّج فيها سنة ١٩٢١ . وعين معلماً، لكنه ترك مهنة التعليم وعمل محرراً في جريدة «العراق» (١٩٢١ - ١٩٢٩) . ونهض في الوقت نفسه بأعمال جمّة، فكاتب الصحف والمجلات في سورية ومصر . وأصدر مع عبد الجليل رزق الله اوفي مجلة «الحرية» (تموز ١٩٢٤)، فدامت سنتين وكانت من المجلات العربية الراقية . وخدم في دوائر الحكومة، فكان مديراً للتحرير في مديرية الزراعة العامة (أيار ١٩٢٤) فمعاون سكرتير وزارة الداخلية (كانون الثاني ١٩٢٦) . ودرس في مدرسة الحقوق فنال شهادتها سنة ١٩٢٩ .

وأصدر في ذلك العهد كتباً، منها: الأدب العصري في العراق العربي (جزآن ١٩٢٣) سحر الشعر (١٩٢٢) أمين الريحاني في العراق (١٩٢٣) الربيعيات (١٩٢٤) . وترجم رواية «يوم زلزلت الأرض زلزالها» نشرت تباعاً في جريدة العراق .

كانت سنة ١٩٢٩ عام تحوّل في حياة رفائيل بطّي، إذ أصدر جريدة «البلاد» في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٩، وابتكر فنوناً وأبواباً صحفية لم تعهد من قبل في الصحافة العراقية . وعطلت البلاد في ٨ أيار ١٩٣٠، فأصدر بدلاً منها جريدة صوت العراق (١٠ أيار) فالجهاد (٢٧ تموز) فالشعب (٢٧ آب) فالزمان (آخر آب) . وسبق إلى المحاكمة بعد تعطيل هذه الجريدة في ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٠ بتهمة الطعن في الذات الملكية .

ثم استأنف إصدار جريدة البلاد في ٢٧ آذار ١٩٣١، فعطلت بعد ٥ أيام . وأصدر جريدة الأخبار (١٨ حزيران ١٩٣١) فالأخاء الوطني (٢ آب ١٩٣١) . وأعاد إصدار الأخبار في ٢ تشرين الثاني، فطلت تصدر وتغيب، حتى صدرت البلاد مرة أخرى في

١١ كانون الأول ١٩٣٤ ، وعطلت في ٣٠ آب ١٩٣٥ . وعادت إلى الصدور حتى أوقفها في أول حزيران ١٩٤١ .

كانت هذه الحقبة من الجهاد الصحفي حافلة ، أوقف في أثنائها (١٩٣١) وأقضي إلى أربيل وكركوك وكويسنجق مع فهمي المدرّس في آذار ١٩٣٢ فأمضيا في المنفى نحواً من ستة أشهر . وانتخب نائبا عن البصرة (كانون الأول ١٩٣٤) وعن الموصل (آب ١٩٣٥) وعن البصرة والموصل في شباط ١٩٣٧ فاحتفظ بنيابة الموصل . وناب بعد ذلك عن البصرة (١٩٣٩ - ١٩٤٣) . واعتقل خلال الحرب العالمية الثانية في العمارة من تموز ١٩٤٢ إلى تموز ١٩٤٣ .

أعاد إصدار جريدة البلاد سنة ١٩٤٥ . وسافر إلى مصر في منتصف سنة ١٩٤٦ ، لكن الجريدة استمرّت على الصدور إلى أواخر تلك السنة . وأقام في القاهرة نحواً من سنتين ، عمل خلالها محرراً في جريدة الأهرام وجريدة الأسبوع ، وألقى محاضرات عن الصحافة العربية في الجامعة الأميركية .

وانتخب نائباً عن بغداد في حزيران ١٩٤٨ ، وقد عاد من القاهرة . واستقال من النيابة في آذار ١٩٥٠ ، ثم عين مديراً عاماً بوزارة الخارجية (كانون الأول ١٩٥٠) وعهدت إليه شؤون الدعاية . ونقل بعد شهرين مستشاراً صحفياً في سفارة القاهرة ، وأعيد إلى العمل في ديوان الوزارة بعد ذلك . وترك الوظيفة في كانون الأول ١٩٥٢ حين انتخب نائباً عن بغداد ، وأصبح وزيراً للدولة في وزارة فاضل الجمالي الأولى (١٧ أيلول ١٩٥٣) والثانية (٨ آذار ١٩٥٤) إلى ٢٩ نيسان ١٩٥٤ .

وأعاد إصدار جريدة البلاد في تموز ١٩٥٣ ، ثم أوقفها حين استوزر ، واستأنف إصدارها في ٢١ نيسان ١٩٥٥ . ودعي في تلك السنة لإلقاء محاضرات عن الصحافة العراقية بمعهد الدراسات العليا في القاهرة ، فجمعت في كتاب «الصحافة في العراق» (١٩٥٥) . وألف أيضاً : فيصل بن الحسين في خطبه وأقواله (١٩٤٥) .

وثابر على عمله الصحفي حتى أدركته الوفاة في بغداد في ١٠ نيسان ١٩٥٦ .

وقد شغلته أعماله الكثيرة في الصحافة والنيابة عن طبع آثاره وجمع مقالاته العديدة في الصحف والمجلات العربية ، منها : كتاب «في قفص الأسلاك الشوائك» (عن اعتقاله سنة ١٩٤٢) ، وتراجم لرجال العراق والعرب ، وتاريخ شامل للصحافة ، إلخ .

رثاه الشاعر مهدي مقلّد فقال :

أبأ بسديع ، قد نجوت فما في داركم فنند ولا كند  
لكننا غرّ الحقائق في مشواك تنطق بسألذي تجد  
لا معتد غرّ هناك ولا أحمد يشيع بقلبه الحسد



واسلم، ظفرت بعالم شرفت  
قد زالت الأحقاد وارتفعت  
لا يظلم التاريخ من خدموا  
قد كنت سيفاً للجمي، وإذا  
تكفيك، روفائيل، مفخرة

وقال طالب الحيدري :

يا صاحب الأدب العالي يصوره  
ويا أبا النشر تمليه مهذبة  
حتى ولجت مضيقاً من مذاهبه،  
تمثل «الدور» مطبوعاً، وأكثرهم  
يا غارس الورد يسقيه بأدمعه،  
هي الحياة، كما فارقتها، نكد  
شبّهت أوضاعها في كل مرحلة  
تجفو الحياة علياً في عدالته

وقد كتبتُ عند وفاته الكلمة الآتية :

أخلاقه والأهل والولد  
بعد الردى وقد انطوى اللدد  
أوطانهم، وسيذهب الزيد  
بالسيف من فوق الحمى قعد  
يوم النعي مشى لك البلد

يراع مّيزن التفكير، نسّاج  
الفاظه ومعانيه كديجاج،  
خرجت أكرم ولّج وخرّاج  
يمثلون وهم في ثوب «مكياج» . . .  
الأرض غابرة أشواك وأحراج  
ومنزل ليس فيه غير إزعاج  
بـزئبق قلق الأوضاع رجراج  
وطالما ترضى ظلم حجّاج

في سنة ١٩١٩ قدم بغداد من الموصل فتى نحيل الجسم، أفنى الأنف، مرفوع  
الرأس، حادّ النظرات، لم يبلغ العشرين من عمره ليحرب حظه في خضمّ العاصمة  
الزاخرة.

كان ذلك في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وكانت تلك الأيام عجيبة حقاً مثقلة  
بالأحداث المرتقبة، متألفة كالفجر الطالع على نهار يعد بالضوء والدفء وضروب الهناء  
والنشاط . لقد انتهت الحرب بويلاتها وكوارثها، وانقشع ظل الاحتلال العثماني الذي  
دام مئات الاعوام وأعلنت الدول العظمى حق الشعوب المستعبدة في الاستقلال وتقرير  
المصير، وبدت تباشير عهد العلم والمعرفة والرخاء . ولئن كانت البلاد لا تزال تثن تحت  
نير الاحتلال، ونيل الحرية والرفاهية والسيادة لم يزل رهين الغيوب، ولم يتضح حتى  
الطريق الذي يؤدي إلى تحقيق الاماني الوطنية والشخصية، لقد كانت النفوس عامرة  
بالأمل والإيمان، متطلعة إلى أيام مقبلة حافلة بمشاق الجهاد ولذاته على السواء . كانت  
تلك الأيام شبيهة بعهد الشباب الفوار بما يتسم من رجاء وارتقاب وتلهف واندفاع  
وتطلب للمعالي واستهانة بالمتاعب والمصاعب، فوفدت على مدينة السلام التي عادت  
تحلم بمجد الملك ولذة السلطان جموع الشبان المتحضرين الطامحين، جاؤوا من البصرة  
والموصل ومن الحلة والنجف ومن سائر الحواضر والقصبات ليشاركوا في حياة البلاد  
الجديدة .

لكن الشاب الموصللي لم يكن ييائل الشبان الوافدين ، بل يفوق معظمهم ثقافة والمعية وذكاء . نشأ في الموصل حيث درس في بعض مدارسها المتواضعة اللغة العربية وشيئاً من الفرنسية والسرمانية . وكان ولوعاً بالمطالعة يقرأ كل ما يقع في يده ويعي كل ما يقرأ ولا يني جهداً في سبيل الحصول على الكتب في عهد كانت عسيرة المنال ، وقد أتيح له إلى ذلك أن يزاول التعليم أنا قصيراً وأن يحاول الكتابة والنشر . فلما وصل بغداد انتمى إلى دار المعلمين التي كانت آنذاك ملاذ الشبان الراغبين في التعلّم وسرعان ما تعرف إلى الحلقات الادبية والصحفية وأصبح من روادها ومحاور حركاتها .

لم يكن ذلك الشاب الموصللي الطموح الذي نتحدث عنه سوى رفائيل بطي الذي عرفه العراق والعالم العربي فيما بعد من أساطين الصحافة ومن رجال السياسة والقلم . احتضنته بغداد فجعلت منه كاتباً ونائباً ووزيراً ، وردّ الجميل لها فرفع لواء صحافتها وترجم اعلامها وزان ندواتها ومجالسها بأدبه وفضله .

كانت السنون العشر الاولى التي قضاهما الشاب رفائيل في العاصمة سني عمل ونشاط جَمّ : فقد درس في دار لمعلمين ومدرسة الحقوق ، وعمل في الصحافة ووظائف الدولة ، وكتب وألف وترجم ونشر ، ووجد الوقت إلى جانب ذلك كله ليكون اللولب النابض للحركة الأدبية ولتزوج ويكون اسرة . أي طموح كان يحفز تلك الشعلة الملتهبة من العزم والنشاط ، فيرضيها بالقليل من المتعة والراحة والنوم ، ويحملها على الكثير من العمل والدرس والاستطلاع ! لقد كان هذا الشاب المغترب في بعض تلك السنين العجاف ينهض صباحاً فيقبل على مكتبه في دائرة الزراعة أو وزارة الداخلية ، ولا يكاد يفرغ من عمله الرسمي حتى يكتب المقالات ويباشر اعمال التحرير في صحيفته ، حتى إذا ما حل المساء وجدته مكباً على الدرس شأن الطالب المجتهد .

ولم يكن يفوته على كثرة مشاغله ومطالب معيشتة المساهمة في تكريم الريحاني وغير الريحاني ، والاشترك في مجالس الثقافة والادب المنعقدة بلا انقطاع في دير انستاس والمعهد العلمي وفي ندوة جريدة العراق ومجالس الزهاوي والرصافي وفهمي المدرس وأضراهم .

أخرج رفائيل بطي في هذه الحقبة «الأدب العصري في العراق العربي» بجزئيه «وسحر الشعر» و«أمين الريحاني في العراق» و«الربيعيات» . وكان «الأدب العصري» الذي لم تتم اجزائه أول محاولة لتسجيل الأدب العراقي الناهض وتعريف اركانه ومقوماته . وأصدر مجلة «الحرية» فكانت من المجلات العربية الراقية التي لم يبيأ للعراق - بعد ربع قرن من الزمن - أن يشهد مثلها ومثيل زميلتها «لغة العرب» الانستاسية الكرملية .

في سنة ١٩٢٩ تخرج رفائيل بطي في مدرسة الحقوق ، فأصدر جريدة «البلاد» مع جبران ملكون وانصرف إلى تحريرها . وكان ذلك بدء عهد جديد في حياته .

حقق تقدماً لامعاً للصحافة اليومية العراقية وأساليبيها، وخاض غمار المعامع السياسية والحزبية، فلم يلبث أن أغلقت صحيفته المرة تلو المرة، وأن قاسى مرارة الإبعاد والسجن والتشريد. وفي هذه الحقبة انتخب نائباً مرات فسمعت الأمة صوته من منبر المجلس بعد أن قرأت مقالاته ووعت آراءه ونزعاته الإصلاحية.

ونشبت الحرب العالمية الثانية تنذر بالويل والثبور، ففتحت في حياة صحفينا صفحة جديدة لعلها كانت أزخر أيامه بالتقلبات والمفاجآت. قضى عهداً في معسكر الاعتقال، ثم خرج ليستأنف جهاده الصحفي. وضاعت به سبل العيش في بلده، فشد الرحال إلى مصر حيث عرفت مكانته وقدر فضله في المحافل العربية والأدبية. وعاد إلى بغداد فكان نائباً حيناً وموظفاً حيناً آخر. ولم يلبث أن أعيد إلى مصر مشاوراً صحفياً للسفارة العراقية. ثم أب إلى بغداد ليقضي عهداً قصيراً في وزارة الخارجية، ثم يستأنف إصدار «بلاد». وحظي بالوزارة شهوراً معدودات ثم عاد إلى جهاده الصحفي، فأخذ الموت على حين غرة وقلمه في يده، وفي نفسه آمال بعيدة لم يسمح الدهر بتحقيقها.

كان رفائيل بطي في هذا العهد من حياته كثير التلهف على عهد من الراحة والطمأنينة المادية والذهنية ينصرف فيه إلى تدوين المؤلفات التي عزم على وضعها وهياً لها المادة النادرة الغزيرة. لقد جمع خلال نحو من أربعين سنة معلومات شاملة تتناول سير الآلاف من رجالات العراق والعروبة خلال المائة سنة الأخيرة، ودونها على الجداول والبطاقات، وحقق لها المصادر والمراجع. وقد عزم أن يدون سير الرجال فيسهب في ترجمة العباقرة والنابعين في حقول السياسة والإدارة والعلم والأدب، ولا يبخل على التابعين بإيجاز يبل الغليل. ونشر نماذج مقتضبة من هذه التراجم في جريدته في عهدها الأخير، لكن الدهر لم يمنحه ما تاق إليه من سعة وفراغ لخراج مشروعه الضخم الذي أعد له العدة وهياً له الأسباب.

كنت وثيق الصلة برفائيل بطي في سنواته الأخيرة، فكثيراً ما كنا نجتمع هنا أو هناك لتتكلم في الأدب والتاريخ وسير الرجال ولتبادل الرأي في المواضيع الكثيرة التي عنينا بها كلانا. كان يحدثني عن أماله ومشاريعه الأدبية الضخمة، وعن التراجم التي شغف بها والتي كان يود أن يتفرغ يوماً ما لكتابتها بشكل يرضي نزعة الأدبية والتاريخية. وكان واسع الإطلاع على تواريخ الرجال الذين نبغوا في العراق وسائر الاقطار العربية منذ عهد النهضة الحديثة، يحفظ سيرهم وأثارهم ولا تفوته من أمرهم شاردة ولا واردة. ولعله كان أعرف أهل زمانه بالمظان التي تضم أخبارهم خطيرها وصغيرها، وكان يفرح بالعثور على خبر جديد لشخص مشهور أو مخمور أو الوقوف على مصدر أنف لتراجم الرجال الذين نذر نفسه لتحقيق سيرهم.

لم يشك رفائيل بطي على ما أعلم من مرض أو هزال، فجاءت وفاته المفجعة المفاجئة

ضربة قاصمة صمّت لها الأذان وجزعت النفوس . قضى وهو أكثر ما يكون قوة ونشاطاً وأوسع ما يكون أملاً ورجاء . ولقد وقف في بيروت قبل شهر واحد من وفاته يرثي زميله اللبناني كميل يوسف شمعون ، فقال : «وعند اجتماعكم لتمجيد أحد أجناد الصحافة بعد ان غيبه الشرى ، أعرب عن أمنيته بأن يلتفت رجال البلد الشقيق — ونساؤه طبعاً — إلى من سبقوا صاحب الاحرار إلى دار البقاء ، فيعترفوا بأيادهم على النهضة بل على الكيان الاستقلالي للبنان العزيز . فإن الوعي المتغلغل في العالم العربي قد بثه هؤلاء الرواد الذين جازوا العقبات واقتحموا المخاطر . ، وبينهم شهداء ضحّوا بأرواحهم في سبيل الحرية والاستقلال والمجد القومي . فمن واجبتنا أن نلتفت إلى السرعيل الأول من صحافيهم ، فنخلدهم بتدوين سيرهم والمباهاة بأعمالهم رعاية للوفاء ، ولخلق معالم تحفز الشباب ليندفعوا في ساحة العمل والجهاد وهم واثقون بما ينعمون به من راحة الضمير وسعادة الخلود . . »

ان هذه الكلمات التي نطق بها رفائيل بطي قبل أن يصرعه الموت وهو في حلبة الجهاد جديرة أن تلقى أسماعاً صاغية وقلوباً واعية من أبناء الجيل الجديد ، فيخلدوا سيرته وسيرة اخوانه من أبطال الصحافة ويتخذوهم قدوة حسنة ونبراساً مضيئاً في السعي والجهاد .

\*\*\*

عرفت رفائيل بطي أعواماً طويلة ، وكتبت في جريدته وربطتنا بعد ذلك أو اصر صداقة وثيقة لم تنقطع إلى يوم وفاته . وقد زارني في مكنتي على عادته كلما مرّ به صباحاً قبل أن يذهب إلى ادارة جريدته . وفي اليوم الثاني رنّ جرس التلغون قبيل الظهر ، فإذا بالناعي ينعاه فجأة ، ولم يكن مريضاً بل ربما كان مجهداً مرهق الأعصاب .

كان كثير الطموح ، ولا يعتني بصحته وراحته ، ويريد أن يستفيد من وقته أكثر مما يتاح لكهل في سنّه . كان يريد أن يكون كاتباً أديباً وصحفيّاً وسياسياً وطنياً ورجلاً اجتماعياً ويريد لو استطاع أن يحضر في مكانين في آن واحد وأن يكون موضع ثقة الحكومة والمعارضة معاً . وحاول مراراً أن ينشئ مشاريع صحافة ونشر مشتركة بين العراق ومصر وبين رجال المال والسياسة والأدب . أذكر على سبيل المثال أنه جمعنا في داره مراراً لانشاء شركة نشر يساهم فيها المصريون والعراقيون ، فلم يخرج المشروع إلى حيّز الوجود لأن أكثر الذين دعاهم إلى بحث الأمر لم يكونوا من رجال الأعمال بل من رجال السياسة ومنتهزي الفرص .

وقد أصدر جريدته «البلاد» لأول مرة في خريف سنة ١٩٢٩ بالإشتراك مع جبران ملكون الذي كان يعمل إلى ذلك الحين محاسباً في جريدة العراق . وكان جبران رجلاً عملياً يعرف من أين تؤكل الكتف ويعلم أن المال قوام الجريدة الناجحة ، فبهتم بالاعلانات والاشتراكات . أما رفائيل بطي فكان يريد الجريدة للتعبير عن آرائه ولخلق

صحافة متفتنة تكون فتحاً جديداً في عالم الصحافة العراقية . ولذلك سعى إلى اجتذاب أقلام الكتاب اللامعين ، وفتح أبواباً في صحيفته للشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية ولم يغفل عن الرياضة والهزل . وأراد في الوقت نفسه أن يتصل بالأحزاب الوطنية ويعرب عن أفكارها وأهدافها ، وأراد أن يتخذ من جريدته وسيلة للوصول إلى النيابة والوزارة والمشاركة في الحياة العامة (وقد حقق ذلك ، ولكن بعد جهاد مرير طويل) .

ولم يلبث الخلاف أن دبّ بينه وبين شريكه جبران ملكون فانفرد كل منهما باصدار جريدته . ومن اللطائف التي تروى في عهد عملهما معاً في جريدة البلاد ، ان جبران كان يأتي مساءً إلى المطبعة فيجد حقول الجريدة مليئة بالأخبار والمقالات وليس فيها متسع كافٍ للإعلانات التجارية ، فيأمر في غفلة من صاحبه أن ترفع أخبار وبحوث وتوضع الاعلانات في محلها .

ثم يأتي رفائيل بطي في منتصف الليل حاملاً خبراً مهماً أو مقالاً طريفاً ، فيوعز برفع اعلانات معينة ووضع المادة التي جلبها معتزاً بها في محلها . وقد تكرر هذا الأمر وسبب عتاباً ونزاعاً بين الشريكين حتى انتهى إلى الفراق .

### توفيق السمعاني

الكاتب الصحفي الأديب ، توفيق بن هنام بن يونان بن سمعان ، عرف في بادئ أمره باسم الشماس اسطيفان ، ثم اتخذ اسم توفيق السمعاني ، ولد في الموصل سنة ١٩٠٢ ونشأ في قرية بعشيقية المجاورة ودرس في إحدى المدارس الاكليريكية . وقصد بغداد سنة ١٩٢٢ فدرّس في مدارسها الأهلية ، وحرّر في جرائد مختلفة ، وكتب المقالات الأدبية والاجتماعية مشاركاً في المساجلات الفكرية والثقافية التي احتدمت في العاصمة العراقية في تلك الحقبة .

ساهم في إصدار مجلة الزنبقة سنة ١٩٢٢ ، والتحق بمدرسة الحقوق ثم تركها بعد مضيّ سنتين . وعمل محرراً في جريدة العراق فبالبلاد ، ثم تولى تحرير جريدة «صدي العهد» سنة ١٩٣٠ . وأصدر بعد ذلك جريدة «الطريق» (٦ آذار ١٩٣٣) فجريدة «النداء» (٢١ ايار ١٩٣٦) فجريدة «الزمان» (أول ايار ١٩٣٧) . وقد أصبحت هذه الجريدة الأخيرة من كبريات الصحف السياسية اليومية في بغداد ، وكانت منبراً للأدباء والكتّاب أكثر من ربع قرن ، حتى قدر لها التعطيل في شباط ١٩٦٣ .

انتخب السمعاني نائباً عن البصرة في مجلس النواب (كانون الأول ١٩٣٧ - شباط ١٩٣٩) ، ثم ناسب عن الموصل في المجالس النيابية المتعاقبة في كانون الثاني ١٩٥٣ وحزيران ١٩٥٤ وإيلول ١٩٥٤ وأيار ١٩٥٨ . واختير بعد ذلك نائباً لرئيس

نقابة الصحفيين (حزيران ١٩٦١).

وهو صحفي بارع وأديب سلس العبارة، جميل الأسلوب، سئل عن مساهمته في بناء النهضة الأدبية، فأجاب بتواضع قائلاً (جريدة الزمان، ٣ آذار ١٩٥٨):

«ليس من المستحسن أن يفاخر الإنسان بنفسه وأعماله. فلإني صحافي قديم، وقد قضيت القسم الأكبر من عمري في الصحافة بين المحابر والكتب والأوراق والدفاتر والكتابة. وكلها عمل يتصل بجوهر الأدب وحياته وتطوره. وقد كانت صحيفتي، ولا تزال، ميداناً للكتاب والادباء ومدعاة لتشجيعهم وإظهار فضلهم ومواهبهم، وهذا أيضاً مساهمة في النهضة الأدبية».

وضع توفيق السمعاني في صدر شبابه قصصاً نشرت في الجرائد والمجلات كمرآة العراق والحاصد والبلاد. وقد زار الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٥٧ فكتب مشاهداته في مقالات متسلسلة نشرت في جريدة «الزمان» توفي في بغداد في ١١ نيسان ١٩٨٢.

### سلمان الشيخ داود

من رجال الصحافة والنيابة والمحاماة سلمان الشيخ داود، ولد ببغداد سنة ١٨٩٧ ونشأ في كنف والده الشيخ أحمد الشيخ داود وتخرج في المدرسة السلطانية سنة ١٩١٦، وانتمى إلى دورة المعلمين الابتدائية في حزيران ١٩١٧ وعيّن مديراً للمدرسة الفضل. ولم يلبث أن نقل كاتباً في محكمة البداءة (١٩١٨) فسكربتيراً لأمانة العاصمة (١٩٢٢).

ودرس في الوقت نفسه في مدرسة الحقوق فنال إجازتها سنة ١٩٢٣. وكان في السنة نفسها سكرتيراً للوفد العراقي إلى مؤتمر الكويت الذي عقد لحسم النزاع بين العراق ونجد والحجاز وشرقي الأردن.

بدأ بالكتابة في جريدة الإستقلال وغيرها من الصحف سنة ١٩٢٠. ولما تخرّج في مدرسة الحقوق، طلق الوظيفة وانصرف إلى المحاماة والصحافة. وكان مديراً لجريدة المداعب التي أصدرها حسين يحيى في كانون الثاني ١٩٢٦، ثم تولى تحرير جريدة التقدم لسان حال حزب التقدم (١٦ تشرين الثاني ١٩٢٨). وأصدر بعد ذلك جريدة الناقد (١٣ حزيران ١٩٢٩) وبريد الجمعة (نيسان ١٩٤٧).

وانتخب نائباً عن السديوانية (شباط ١٩٣٧) فثائباً عن بغداد (شباط ١٩٤٢) وتشرين الاول ١٩٤٣، فثائباً عن ديالي (آذار ١٩٤٧). وانتخب نائباً عن العمارة في آذار ١٩٤٩ وثم في حزيران ١٩٥٥. واعتقل في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأطلق سراحه بعد أمد وجيز.

توفي سلمان الشيخ داود ببغداد في صيف سنة ١٩٧٧. وكان قد اعتقلته سلطات

الأمن أياماً بوشاية مغرصة، فاشتد عليه المرض وأسرع بإخلاء سبيله ولم يلبث أن قضى نحبه .

وهو كاتب سياسي واجتماعي لمع اسمه في أوائل سني العشرين . قاله فيه خالد الدرة في مجلة الوادي ( ١٥ آذار ١٩٤٧ ) : « صريح ومشاغب وبغدادي ، وخطيب لبق رغم لشغته لمزاولته مهنة المحاماة أعواماً طوالاً . وإذا قلت بأن ابن الشيخ خطيب فأنا أعني ما أقول . . . لأنه لا يتوغل إلى هذه المقدمات المهلكة ولا يلجأ إلى المواقف الخطابية الرعناء ، كما لا يعبأ بأن تكون جميع عباراته بالفصحى وهو القادر على الخطابة فيها ، ولكنه يدخل إلى الموضوع رأساً ويعلن فكرته فوراً ويجلس بأسرع مما نهض . . . وسلمان إن لم يكن بارد الطبع فهو سكسويّ الدم » .

كتب سلمان الشيخ داود في صدر شبابه نشرأ عاطفياً جميلاً منه أقصوصة لطيفة بعنوان « العاطفة الذابلة » روى فيها حكاية فتاة « في الربيع الخامس عشر من عمرها لا يغمر قلبها سوى أنوار السرور ولا تعرف من الحياة غير الضحك والابتسام » . كانت الزهرة الوحيدة لوالديها الموسرين فرمقتها أعين الشباب حباً بجمالها وطمعاً بثروتها ، لكن راحت هي تبحث عن الحب الصحيح حتى وجدته . واقترنت بحبيبها وأنجبت طفلاً ثم مرض زوجها وقضى نحبه وداهمتها الحزان وهي لم تتجاوز العقد الثاني من حياتها .

وتنازعت الأرملة الشابة عاطفتان : عاطفة الفتوة العارمة التي تدفعها إلى التمتع بلذائذ الحياة ، وعاطفة الوفاء لذكرى قرينها الراحل . ويختتم الكاتب هذه القصة فيقول :

« فإذا ما هجعت تمر أمام ذاكرتها أشباح كثير من الشبان الذين خطبوا ودها ، فيبتسمون لها ويسجدون أمام جمالها الفتان . وعندما تحاول أن تجزي الابتسامة بمثلها ، يمر من أمامها شبح زوجها فتمد ذراعها لتضمه إلى صدرها . لكنها لا تلبث حتى تنتبه مذعورة ، فلا ترى في القرب منها سوى ولدها الصغير ، فتأخذه صبيحة كل يوم إلى قبر والده حيث تنشر عليه الدموع والازهار . وقد ظلت محافظة على ذكرى زوجها عشرين عاماً .

ورغم أن ولدها قد بلغ مبلغ الرجال وتزوج وولد له ولد ، لم تحفظ في مخيلتها له سوى صورة الطفولة التي كان بها عندما لفظ والده النفس الأخير .

« وعندما بلغ حفيدها الشهر الثالث من عمره ، انتابتها حمى شديدة أفضت إلى موتها . وقبل أن تودع أنفاسها الأخيرة مدت يدها وقبضت على مهد حفيدها حاسبة انه مهد طفلها الذي خلفه زوجها الراحل ، لأنه لم تنطبع في مخيلتها ذكرى جديدة منذ فقدت زوجها قبل عشرين عاماً . ولم تبتسم منذ ذلك التاريخ ، لكن الذين وقفوا

حول جسدها الهامد في موقفها الأخير رأوها باسمه ، على محياها علائم السرور، لأن  
أرواح المحبين لا يبدأ لها روع إلا أن تتعاقب في العالم الخالد ، مقرّ النفوس  
الأبدية» .

وكذلك ختم سلمان الشيخ داود أقصوبته الشجيرة خاتمة حزينة هادئة شأن شعراء  
الرومانتيكية وأدبائها في كل عصر ومصر .

سلمان الشيخ داود والرصافي :

كان موالياً للحلف والتعاون مع بريطانية العظمى ، وقد ألقى في مجلس النواب في  
١٩ نيسان ١٩٤٢ خطبة مسهبة مدح فيها بريطانية واستنكر حركة ايار ١٩٤١ ووصم  
القائمين بها بالخيانة والمروق . وقد حبّد السياسة الموالية للأمم الحرة والاستفادة من خبرة  
الاستشارة الانكليزية . وقال إنه يرجح ادارة عالمة نظيفة متزنة ولو يرأسها أجنبي على إدارة  
مدبذبة مترجحة مفككة فاسدة يرأسها عراقي .

وقد ردّ عليه معروف الرصافي بقصيدة قال في مطلعها :

قل لسليمان ، بعد ما كان حراً ، كيف قد جاز رقبه والإسار؟  
ان ماقلتة من القول هُجر منكر لا تقول له الأحرار  
حتى قال :

كيف نسعى إلى العلا في أمور ليس فيها رأي لنا واختيار؟  
فإذا ركن عزّنا يتداعى وبهذا صرح مجدنا ينهار  
ان لأجنتي فينا حكماً أسدلت دون جوره الأستار

### محمد عبد الحسين

من رجال الصحافة العراقية الذين اشتهروا في فترة ما بين الحربين العالميتين ، محمد  
بن عبد الحسين بن أحمد الحسيني ، ولد في الكاظمية في سنة ١٨٩٩ من أسرة لها خدمة  
في الحضرة الكاظمية ، وكان عمّه باقر سرکشك (١٨٩٣ - ١٩٥٨) معاوناً لرئيس  
التشريقات الملكية (١٩٢٤) فمدير البريد والبرق العام (١٩٤٥) فمدير النفوس العام  
(١٩٥٠) . وقد انتخب نائباً عن الكاظمية في مجلس النواب ايار ١٩٥٥ و ايار  
١٩٥٨ .

نشأ محمد عبد الحسين في الكاظمية وبها تثقف ، ثم مضى إلى النجف في ابان الثورة  
العراقية وأصدر جريدة «الاستقلال» (أول تشرين الاول ١٩٢٠) ، وقد ظهر منها ثمانية  
أعداد . ولما اقتربت القوات الإنكليزية من النجف ذهب إلى البصرة وعمل في جريدة  
الأوقات البصرية .



وعاد إلى بغداد، فأخذ بالتحريير والكتابة في صحفها، كالعراق والاستقلال والنهضة العراقية، وطارت له شهرة، كاتباً سياسياً في رعييل الصحفيين الشبان. وعين مفتشاً لمعارف منطقة الفرات في حزيران ١٩٢٢، لكنه لم يلبث أن عاد إلى الصحافة.

أنشأ جريدة «الشعب» في ١٠ نيسان ١٩٢٤ فلم يطل عهدها أكثر من اسبوعين. وقد وقف جريدته - كما قال رفائيل بطي في محاضراته عن الصحافة في العراق - على مناقشة المعاهدة العراقية البريطانية والدفاع عن وجهة نظر المعارضين لها، وكانت «الشعب» شديدة الوطأة في مقالاتها وبحوثها السياسية.

درس محمد عبد الحسين الحقوق في الوقت نفسه، ونال إجازتها ومارس المحاماة. وألّف كتاب «المعارف في العراق على عهد الاحتلال» (١٩٢٢) و«ذكرى فيصل الأول» أو «العراق في اثني عشر عاماً» (١٩٣٣). وانتخب نائباً عن الحلة في كانون الأول ١٩٣٤.

اعتقل في أثناء الحرب العالمية في تشرين الثاني ١٩٤١ وأقصي إلى الفاو. وأدرسته الوفاة سنة ١٩٥٢.

له أيضاً: محنة العرب (١٩٣٦).

### سلمان الصفواني

الصحفي الأديب سلمان آل ابراهيم الصفواني القطيفي، ولد في قرية صفوة من أعمال نجد سنة ١٩٠٠، وجاء إلى العراق فتلقى دروس العربية والدين في معاهد النجف وكربلاء.

اشترك مع الشيخ مهدي الخالصي في مناهضة انتخاب المجلس التأسيسي في الكاظمة، فأبعد عن العراق في حزيران ١٩٢٣. وعاد إلى بغداد فأصدر جريدة «اليقظة» (٥ ايلول ١٩٢٤) فجريدة «المنبر العام» (كانون الاول ١٩٢٥) فجريدة «المعارف» مع عبد الملك حافظ (ايلول ١٩٢٦). وعين في سنة ١٩٢٧ سكرتيراً خاصاً لوزير المواصلات والاشغال، لكنه استقال بعد ذلك واستأنف إصدار جريدة «اليقظة» (تشرين الثاني ١٩٢٩) فجريدة «النهضة» (١٩٣٠).

وعاد إلى الوظيفة معاوناً لسكرتير أمانة العاصمة، ونقل إلى وزارة الداخلية فمديرية المحاسبات العامة. وكان بعد ذلك مدرساً للغة العربية في دار المعلمين الريفية والمدرسة الثانوية المركزية للبنات ومدرسة التفتيش الأهلية.

ساهم في الحركة الوطنية خلال الحرب العالمية الثانية فاعتقل في الفاو (تشرين الاول ١٩٤١)، إلى تموز ١٩٤٣، ثم أبعده إلى الهند وعدن.

وعاد إلى بغداد (آذار ١٩٤٦)، فاستأنف إصدار «اليقظة» وكانت من الجرائد العنيفة في قوميتها. ثم أصدر جريدة «صدى اليقظة» ايار ١٩٥٣. وقد حطم مطبعتها الجمهور بعد فشل حركة العقيد عبدالوهاب الشواف في الموصل في آذار ١٩٥٩.

وسكن في القاهرة من ١٩٥٩ إلى ايلول ١٩٦٥، ثم عاد إلى بغداد إذ عين وزيراً للدولة في وزارة عميد الجوّ عارف عبد الرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥) ووزارة عبد الرحمن البزاز التي تلتها في ٢١ ايلول ١٩٦٥ إلى ٩ آب ١٩٦٦. واعتقل بعد ثورة تموز ١٩٦٨ البعثية، وأفرج عنه في شباط ١٩٦٩.

وقد ألف: رواية الرزقاء (١٩٢٥) ذيول صيغين (رواية) أذن وعين (١٩٤٧) محكوميتي (١٩٥٢) هذه الشعبية. ونشر كتاب تاريخ الحروب العربية أو حرب البسوس لمحمد بن اسحق (١٩٢٨).

قالت مجلة «الأديب» البيروتية (ايلول ١٩٤٧) تذكر صدور كتابه «أذن وعين»: «... قلم، سيّال لكاتب جريء يعبر عما يجالجه من احساسات وأراء جلا فيها مكان الداء... ولعل الشيء الذي يميّز به الكاتب هو نزعته العربية القوية ودفاعه المجيد عن الوحدة العربية فكان سني الاعتقال لم تزد الا مضياً في الكفاح وروسوخاً في العقيدة. فيدعو القائمين على أمور العرب في الخروج من ميدان النظريات إلى ميدان العمل والاسراع في توحيد الثقافة العربية، بعد أن يعالج قضية القومية العربية معالجة دقيقة بأسلوب خطابي قويّ النبرات، واضح الغاية، عذب المنال».

توفي سلمان الصفواني في بغداد في تشرين الثاني ١٩٨٨.

## نوري ثابت

الكاتب العراقي الهزلي نوري ثابت المعروف باسمه المستعار «حزبوز»، ولد في السليمانية في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٩٧، وكان والده ثابت بك الكروي عقيداً في الجيش التركي، فانتقل معه إلى الأحساء حيث أتم دراسته الابتدائية. وكلف ثابت بك بتأديب أهالي السواة لإخلائهم بالأمن على عهد والي بغداد جلال بك (١٩١٤). انتمى نوري إلى المدرسة الاعدادية ببغداد، ومضى إلى الاستانة فولج مدرستها العسكرية (آب ١٩١١) وتخرج فيها ملازماً ثانياً.

حارب في اثناء الحرب العظمى في الدردنيل والقفقاس، وجرح في المعارك فأعيد إلى الاستانة واستخدم ضابط استخبارات في مقر وزارة الحربية التركية حتى عقد الهدنة. وعاد إلى العراق سنة ١٩٢٣ فعّين معاوناً لمدير المدرسة الجعفرية الأهلية (تشرين الأول ١٩٢٣) ثم انتقل إلى وزارة المعارف وكان مدرساً ومدير مدرسة ثانوية. وعين مفتشاً في ايلول ١٩٢٥ وأخذ يكتب نقداً اجتماعياً بأسلوب طريف في الصحف المحلية، فلما أنشأ رفائيل بطي جريدة «البلاد» سنة ١٩٢٩ كلفه بكتابة باب خاص بالهزل والتفكهة فيها.

فصل من الوظيفة في ٢٤ آب ١٩٣١، فأصدر جريدة فكاهية اسبوعية باسم «حزبوز» (٢٩ ايلول ١٩٣١) وولى اصدارها إلى وفاته ببغداد في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٣٨.

قال رفاييل بطي في وصف أسلوبه: «وحبوز كاتب خفيف الظل، أسلوبه محبب إلى النفوس، تمازجه تعابير دارجة عند الدهماء، مطعمة بالأمثال السائرة على ألسنة الناس على اختلاف طبقاتهم وتحليلها حكايات ونوادير مما يتناقله الجمهور من عهد العثمانيين، ويختزن الكاتب في ذاكرته منها محصولاً وافراً». ونقل بطي عن ياسين الهاشمي قوله: «ان نوري ثابت خير من يصف أخلاق المجتمع وأهله وصفاً فيه الإجابة كلها والعبرة البالغة».

جبل نوري ثابت على روح فكاهية أصيلة، وتأثر بكتاب الأتراك الهزليين تأثراً بليغاً. وعني بالمأثورات والحكايات الشعبية العراقية فوعاها وحل ما تنطوي عليه من تهكم لاذع وحكمة فطرية.

ولقد أثر تأثيراً عميقاً في الجيل العراقي الذي كان يقرأ كتاباته بلهفة واشتياق. وإذا كان أكثر الكتاب يحاولون رفع القراء إلى مستواهم، فإن نوري ثابت وأمثاله من الكتاب الشعبيين يحاولون أن ينزلوا بأديهم إلى مستوى العامة ليؤدوا رسالة التثقيف والتهديب التي اضطلعوا بها. وكذلك وفق «حبوز» للتغلغل في المحافل الشعبية وإبلاغ آرائه الإصلاحية إلى مختلف الطبقات.

وقد قال جميل صدقي الزهاوي في تحية جريدة حبز بوز:

الـهـزل في الكـلام	كـالمـلح في الطـعام
قليلـه كـثير	ومـرّه نـمـير
ربّ عـتاب حـمد	وربّ هـزل جـدّ
طـرائف الـهـزال	كـالـسـدر الغـوالي . . .

وروى عبد القادر المميز الكاتب الهزّل صاحب جريدة «أبي حمد» وصديق نوري ثابت الأمين أنه أبلغ تلفونياً في ليلة من ليالي الشتاء القارسة نبأ وفاته، فهرع إلى داره ووجده جالساً يطالع في ديوان المتنبي. فحياه وقبله وعاتبه عتاباً مرّاً على هذه الدعابة القاسية، فأجابه نوري ثابت:

كان رفيق خالد بك من كتاب الأتراك المعروفين، نال منصب الوزارة. ثم تقوّض عرش آل عثمان وهرب بقية الخلفاء والسلاطين وأرباب الدول، فلجأ صاحبنا إلى مدينة حلب وأنشأ فيها جريدة تركية. ورأى أن يداعب الجرائد التركية فأبرق إليها ينعي نفسه بتوقيع بعض أصحابه، فخرجت الصحف في الغداة تؤنّنه وتشيد بذكره وتطري مواهبه. ورأى في حياته كيف يكون منعه بعد موته.

قال نوري ثابت لصاحبه المميز: وأنا أيضاً دبّرت هذا النعي التلفوني لأقف على موقعي من نفسك!

ولقد أشاع المرجفون موت الشاعر الشعبي عبود الكرخي فخاطبه معروف الرصافي قائلاً:

أشاعوا نعيك من غيظهم      يريدون للشعر ما لا يريد  
ولما تبين إخفاقاتهم      لدى لناس عادوا بغیظ جديد  
فعمش وادعوا رغم أنفهم      بعمر جديد وعيش رغيد

قال مهدي مصطفى القزاز ان نوري ثابت كان ضابطاً مقدماً في الجيش العثماني ينافح عن قوميته وبلاده ويعمل سراً وجهاراً على رفع شأن الأمة العربية وتعزيز مكانتها . . . ويوم أن كان مدرساً في المدارس الأهلية والرسمية في العراق يهذب ناشئة البلاد ويستدّد خطواته نحو المجد والسؤدد باناً في نفوسهم روح الاقدام والفضيلة . ولقد كانت له من تجاربه في الجيش خير عون على قيادة الطلاب نحو الاقبال على الدرس وارتشاف مناهل العلم . . . ولما كان بطبعه رياضياً فبدأً فقد بثّ هذه الروح في نفوس طلابه ، فخلق منهم شباباً قوياً جريئاً مقدماً ممتلئاً فتوةً ونشاطاً . . . وقد سباه بعض زملائه المدرسين «معلم عقل وبدن» .

ثم أشار القزاز إلى حزب بوز الصحفي فقال انه اكتسب محبة الجماهير لأنه كان يكتب بلغة يفهمها الجمهور، باللغة الدارجة على الألسن وفي البيوت والمجتمعات ونوادي السمر خالية من التكلف وممزوجة بروح الدعابة والهزل والفكاهة ومطعمة بالنقد اللاذع والتهكم المرّ، متناولة لما يجري من أوضاع في البلاد من سياسة واجتماع وأخلاق وأحداث كانت الدهماء من أبناء الشعب لا تعرف عنها شيئاً إلى أن صدرت جريدة «حزب بوز» فأخذت تنقلها اليهم بلغتهم الدارجة وأحاديثهم العادية مقدمة لها بمقدمة فكاهية تفهمها العامة وتعرف المقصود منها . . .

### ميخائيل تيسي

ميخائيل نجاتي بن يوسف تيسي الكاتب الناقد الهزلي المعروف باسم «كناس الشوارع»، ولد في بغداد في ١٢ آب ١٨٩٥ ، ودرس في مدرسة القديس يوسف ، وعمل في التجارة . ووظف في تموز ١٩١٨ مترجماً بنظارة المالية ، ثم نقل إلى دائرة الاوقاف فوزارة الدفاع .

أخذ بكتابة نقادات اجتماعية في جريدة الرافدين ودجلة باسلوب فكاهي ، وسرعان ما ابتكر لنفسه أسلوباً هزلياً خاصاً مطعماً بالعبارات العامية والحكايات الشعبية لقي رواجاً من القراء ، فكان ميخائيل تيسي من رواد الصحافة الهزلية في العراق . وأصدر سنة ١٩٢٢ كتاب «ماهية النفس وروابطها بالجسد» أحدث ضجة

في المحافل الدينية . وأصدر جريدة اسبوعية هزلية باسم «كناس الشوارع» في أول نيسان ١٩٢٥ ، ثم اغلقها بعد اطلاق النار عليه واصابته بجرح خفيف . وانشأ في تشرين الاول ١٩٢٦ سلسلة روايات باسم «مرآة الحال» ، ثم أصدر في ١٧ كانون الاول ١٩٢٦ جريدة اسبوعية ادبية اجتماعية مع حسين الرّحال باسم «سينما الحياة» ، فلم تدم طويلاً .

وعاد ميخائيل تيسي إلى الوظيفة مديراً لناحية توكيف (١٩٣١) فقائم مقاماً لقضاء الشيخان (حزيران ١٩٣٢) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (شباط ١٩٣٤) حتى فصل من الخدمة في شباط ١٩٣٦ . وعاوده الحنين إلى الصحافة فأصدر جريدة اسبوعية جديدة باسم (الناقد) (٦ ايار ١٩٣٦) وظل يصدرها إلى ٢٦ شباط ١٩٣٩ ، وكانت تجمع الجدل إلى الهزل وتعنى بالإصلاح الاجتماعي والسينما والمسرح وغير ذلك من الشؤون .

ووظف بعد ذلك مميزاً في دائرة الإذاعة (آذار ١٩٤٢) ونقل إلى السديوان الملكي وأصبح مديراً فيه في تشرين الاول ١٩٤٩ ، واعتزل الخدمة سنة ١٩٥٧ . وتوفي في كانون الأول ١٩٦٢ في بغداد . وقد جمعت طائفة من مقالاته الانتقادية في كتاب «نقدات كناس الشوارع» صدر منه ٥ أجزاء (١٩٢٢ - ٢٦) . وألف رواية «ضحية العدالة» (١٩٢٩) الخ .

قال رفائيل بطي في محاضراته عن الصحافة في العراق : «سألته يوماً : لماذا اخترت «كناس الشوارع» اسماً قلمياً لك؟ فأجابني : أردت أن أختار شخصية آدمية كثيرة التجوال في شرايين المدينة وقلبها ، دؤارة تقترب من الأبواب وتدخل البيوت ، بيوت الفقراء وقصور الأغنياء ، فلم أجد خيراً من كناس الشوارع . ثم وددت ، واني أعتزم الانتقاد والحملة على العادات والنواقص في الناس والمجتمع ، أن أختار اسماً يوافقه حمل سلاح للتهويش والضرب ، ولسميّي مكنسة مشهرة دائماً يحملها على كتفه ويكنس بها وينظف ، وقد استخدمها للضرب والدفاع عن النفس عند الحاجة» .

ثم يقول :

«وتدور أكثر ملاحظاته حول النظافة ووجوبها ، والتشجيع بحركات الآخرين وأصواتهم المزعجة ، وفضح جيل الباعة والدوارين ، ثم تنبيه بعض الدوائر الحكومية ولا سيما البلديات إلى ما هو من واجباتها من تنظيف واناة الطرق وتجهيف البرك في الشوارع . ويعمد كناس الشوارع أحياناً إلى النقد الأخلاقي والاجتماعي ، فيعرض بالعادات السيئة والطبع اللثيم ، ويصف أمراض الحياة والبيئة ومساخرها وحيل النسوان وبلادة الرجال - ويتعبّر بحكم - الأزواج .

«وكتابات هذا الكاتب الهزلي طراز لتفكير طبقة كبيرة ممن أصابوا حظاً من التعليم . ومع أنه يجيد الفرنسية ويحسن الانكليزية فلم يعن أن يسلك طريقة أحد الكتاب الفرنسيين أو الانكليز الهزليين ، بل اهتم بأن يفكر ويستوحي من الجو المحلي . وهذا سرّ اقبال الجمهور على قراءته . . »

## خلف شوقي الداودي

ينتمي إلى قبيلة الداودة الكردية التي تقطن في لواء كركوك ، وكان أبوه أمين ضابطاً في الجيش التركي ، وقد ولد خلف شوقي في بلدة الديوانية سنة ١٨٩٨ ، وقضى سني صباه في الحلة . ثم جاء إلى بغداد وانتمى إلى دار المعلمين ، وجنّد ضابطاً احتياطياً في اثناء الحرب العظمى ، فحارب في جبهة العراق . وأسره الانكليز فاعتقلوه في الهند ، وهيء له فيها تعلّم اللغتين الانكليزية والهندية ، إلى جانب التركية والفارسية والكردية التي عرفها في بلاده .

عاد إلى العراق فانخرط في سلك الوظيفة في ايار ١٩١٩ . وعمل بعد ذلك في الصحافة ، فكان محرراً في جريدة الاوقات العراقية في البصرة . وأصدر في تلك المدينة مجلة باسم «شط العرب» (كانون الثاني ١٩٢٣) ، فلم يصدر منها سوى عدد واحد . وحزّر بعد ذلك في جريدة الاوقات البغدادية ، وأصدر جريدة «شط العرب» في بغداد في آذار ١٩٢٤ ، فدامت نحواً من ستة أشهر .

عيّن مترجماً في وزارة المالية فمفتشاً مالياً (تشرين الأول ١٩٢٦) فسكّرتيراً مالياً لوزارة الاقتصاد والمواصلات (حزيران ١٩٣٥) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (كانون الثاني ١٩٣٨) . وتوفي ببغداد في ٢ شباط ١٩٣٩ .

كان خلف شوقي ميالاً إلى الدعابة والفكاهة منذ صباه ، فلا عجب أن أصبح كاتباً هزلياً فكهاً ينتقد المجتمع العراقي انتقاداً ساخراً لاذعاً . أما اسلوبه الكتابي فكان ، كما قال جعفر الخليلي ، اسلوباً صحافياً قليل الغور ، لكنه مطبوع بطابع جذاب فيه الشيء الكثير من الحلاوة والمتعة على الرغم مما يعتوره من المآخذ اللغوية والنحوية . وكتب قصصاً جمعها في كتاب باسم «سفينة نوح» نشر بعضها في مجلة الهاتف النجفية وحال موت المؤلف دون طبعتها .

وله مؤلفات أخرى ، منها : قصص مختارة من الأدب التركي (١٩٣٦) الفلقة (١٩٣٨) ، قضية فلسطين (مجموعة مقالات مترجمة ، ١٩٢٤) ، نقدات الملا نصر الدين (١٩٢٣) وسأوس السلطان عبد الحميد (مترجم) ، زاد المسافر (رسالة تاريخية للشيوخ فتح الله الكعبي ، حققها ونشرها سنة ١٩٢٤) ، ذكرى سعد زغلول (١٩٢٧) .

ومن مصنفاته المخطوطة: مائة فكاهة وفكاهة، حقيبة الداودي، الخ.  
قال جعفر الخليلي مشيداً بأثر خلف شوقي في كتابه «القصة العراقية قديماً  
وحديثاً»:

«وبالاجمال فإن خلف شوقي من أوائل رواد القصة العراقية الحديثة ومن الذين  
انفردوا بنوع خاص منها، لا من حيث امتزاجها بالفكاهة فحسب، وإنما من حيث  
جوهرها وسبكها وكونها قصصاً تحوم حول ذاته على الغالب». وأشار إلى النقص الفني،  
حسب رأيه، في هذه القصص فقال إنه الإطالة أو الإيجاز في غير موافقهما، وعدم مراعاة  
الخبين الفني الذي تقتضيه قواعد القصة ووضع الحوار. وقال: إن الداودي قد وفق في  
الكثير من قصصه توفيقاً غير قليل من الناحية الفنية.

### مريم نرمة

الصحفية مريم نرمة بنت رفائيل يوسف رومايا، ولدت ببغداد في ٣ نيسان ١٨٩٠  
ودرست في مدراسها. وقد أخذت تكتب المقالات الاجتماعية في الصحف بعد الحرب  
العظمى الأولى ومارست التعليم. واقرنت بمنصور كلوزي الموظف في دائرة الكمارك  
والمكوس، ولم تنجب ولداً.

أصدرت صحيفة «فتاة العرب» في ايار ١٩٣٧ وواظبت على إصدارها نحواً من ستة  
أشهر. وقد أخبرني يوسف يعقوب مسكوني أنه ساعدها في تحرير صحيفتها. وعاشت  
بعد ذلك في عزلة هادئة، لكن أقيم لها في ايار ١٩٤٥ احتفال في ذكرى اليوبيل الفضي  
لمشاركتها في النشاط الأدبي. وكرمتها وزارة الإعلام العراقية سنة ١٩٦٩ بأنها من رائدات  
الصحافة النسائية، وذلك في أثناء الاحتفال بمرور مائة سنة على الصحافة العراقية  
وصدور جريدة الزوراء.

توفيت مريم نرمة ببغداد في ١٥ آب ١٩٧٢. واسمها «نرمة» كلمة فارسية تعني  
«لطيفة».

كانت مريم نرمة في مقدمة الداعيات إلى نهضة المرأة العراقية وتعلمها. وقد  
كتبت سنة ١٩٢٤ مقالاً في مجلة المصباح البغدادية بعنوان «العيشة الزوجية».   
قسمتها هذه العيشة إلى قسمين: هنية وشقية. وقالت ان العيشة الهنية تركز على  
الحب والطاعة والعفة والصفات المحمودة والأخلاق الحسنة. وقالت ان سعادة  
الزواج تكون بالمحبة والتحاد الزوجين بقلب واحد ونفس واحدة. وصاحب الأخلاق  
الراقية يجب ان يكون معلماً حاذقاً ومدبراً نشيطاً لزوجته يجتهد لاعالة زوجته  
وأولاده.

وارتأت أن تكون الزوجة تلميذة ذكية فطنة تسمع نصائح زوجها وتنفذ أوامره، وتقوم  
بجميع أعمال منزلها وتربي أولادها خير تربية وتمارس طرق الاقتصاد لتكون زوجة  
صالحة وأما فاضلة.

ووصفت الشقاء الزوجي وما يلابسه من القسوة والشراسة والعجرفة ، ولا سيما في العوائل التي قامت على الزواج طمعاً بالمهور العالية أو شغفاً بالجمال الزائل والمحبة الفاسدة . ولم تبخل الكاتبة في نهاية الأمر بنصائحها في الزواج وتكوين الأسرة الصالحة القائمة على الأخلاق والحب والفضيلة .

### يوسف هرمنز

من رجال الصحافة يوسف هرمنز جُمُو ولد في بلدة تلكيف سنة ١٨٩٢ وعمل في الزراعة والحياكة . وقدم إلى بغداد سنة ١٩١١ ، ثم رحل إلى البصرة ودرس في المدرسة الأمريكية (١٩١٥) . وفي سنة ١٩١٧ عيّن معلماً في نفس المدرسة فمارس التعليم ١٦ عاماً .

أصدر جريدة «صوت الشعب» في البصرة (١٩٣٥) ثم نقلها إلى بغداد وواظب على إصدارها أعواماً طويلة .

وقد توفي سنة ١٩٦٥ في بغداد بحادث سيارة . ألف كتباً منها: الضعفاء (١٩٢٧) آثار نينوى أو تاريخ تلكيف (١٩٣٧) ستة أشهر في أميركة (١٩٤٨) . وترجم عن شكسبير «الضلالة» و«الكيل بالكيل» .

### عبد القادر المميّز

من كتّاب الصحافة الهزلية ، لازم نوري ثابت (حزبوز) أعواماً طويلة وسار على نهجه في كتاباته الفكاهية ونقداته الاجتماعية .

وهو عبد القادر بن عبد الوهاب بك بن عبد القادر المميّز بن محمد صالح بك . ينتمي إلى أسرة بغدادية معروفة تتولى أوقاف عادلة خاتون بنت أحمد باشا والي بغداد وزوجة الوالي سليمان باشا المتوفّاة سنة ١٧٦٧ . وكان جدّ الأسرة ابراهيم المميّز من موظفي الدولة العثمانية .

ولد ببغداد في نحو سنة ١٩٠٠ ، ودرس في المدرسة السلطانية على العهد العثماني . وعمل في الحكومة العراقية موظفاً مالياً ، وتنقل في الألوية ، حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٣١ . ثم أصدر جريدة فكاهية في بغداد باسم «أبو حمد» (١٩ تشرين الاول ١٩٣٣) وظل يصدرها أعواماً .

أدرسته الوفاة في بغداد في ١٢ تشرين الاول ١٩٥٤ .



## يوسف رجب

الصحفي الأديب يوسف بن حمود بن مهدي رجب ولد في النجف سنة ١٩٠٠ من أسرة خفاجية متواضعة. وكان والده عطاراً، وقد توفي ويوسف طفل يجبو إلى الرابعة من عمره، فكفله عمه ناصر. مال إلى المدرس صغيراً، فأكبّ على تحصيل اللغة والأدب وواظب على المطالعة حتى كوّن لنفسه ملكة أدبية ومقدرة كتابية. وقد استهوته الآراء الإصلاحية والافكار الحديثة، فلما أسست مدرسة الغري سنة ١٩٢١، انتمى يوسف رجب إلى قسمها المسائي ارواء لظماً العلم في نفسه. وقد قال حسن الأسدي فيه: «وعاش ثورة النجف على الأتراك في عام ١٩١٥، وثورتها على الانكليز في عام ١٩١٨، وأحداث الثورة العراقية الكبرى على الانكليز في عام ١٩٢٠ والتي كانت النجف مركزها الرئيسي، عاش كل هذه الأحداث، وهو يجمع بين عمله المعاشي في دكان العطارة، وبين دراساته الأدبية وتتبعاته الثقافية في الصحف والمجلات».

وأصدر في نيسان ١٩٢٥ جريدة اسبوعية باسم «النجف» فواصل إصدارها نحواً من سنتين، وكان في الوقت نفسه يقوم بالتدريس في مدرسة الغري.

وترك النجف إلى بغداد سنة ١٩٢٧، وعيّن مدرساً في المدرسة الحسينية. وشارك في تحرير جريدة «الزمان» التي ربطته أواصر الصداقة بصاحبها ابراهيم صالح شكر. ثم عهد إليه برئاسة تحرير جريدة «النهضة العراقية» التي أصدرها حزب النهضة في آب ١٩٢٧.

واضطرتته الحاجة بعد ذلك إلى قبول وظيفة مفتش استهلاك في الهندية والمسيب (١٩٣٤) فمدقق مالي. وقد أوفد إلى سوق الشيوخ، فلما وقع التمرد فيها سنة ١٩٣٥، اعتقل يوسف رجب وأحيل على المجلس العرفي في الناصرية. ثم أطلق سراحه وأعيد إلى الوظيفة منقولاً إلى الفلوجة، ونقل إلى بغداد سنة ١٩٣٨، وعيّن ملاحظاً للرسائل في ديوان وزارة المعارف. ثم عيّن ملاحظاً في المفوضية العراقية بدمشق سنة ١٩٤٥. وأصيب بالسل فدخل مصحح ظهر الباشق في لبنان، وقضى نحبه فيه في ٨ حزيران ١٩٤٧.

كان كاتباً سياسياً واجتماعياً لطيف الأسلوب وجندياً مجهولاً من جنود الصحافة العراقية في سنوات العشرين. وألف قصة «المهادي الشمري» (١٩٤٢).

رثاه الشاعر عبد الحسين الأزري فقال:

قابلتُ نعيمك من ربوع الشّام  
 أنكرتُ من جزعي عليك سماعه  
 ولَبَّثْتُ بين مصدق ومكذّب،  
 حتى يقول:

نم هادئاً، إنّ المنية فُرجةٌ  
 ما قيمة الدنيا إذا جبلت على  
 ما العمر الأ فترةٌ محدودة،  
 تُحمى الأبّاة بها من الإرغام  
 أن لا يعيش الحرّ غير مُضغّام؟  
 يا ليتها لو تنقضي بسلام

### محمد طه الفيّاض

محمد طه الفيّاض العاني ينتمي إلى قبيلة المشاهدة الحسينية ، ولد في عنة سنة ١٨٩٨ ، ودرس على والده وفي المدارس الرسمية . وعين أميناً لصندوق البلدية ، ثم جاء إلى بغداد سنة ١٩١٥ وولج دار المعلمين . وأخذ إلى الاستانة حيث أدخل دورة عسكرية منح على أثرها رتبة نائب ضابط .

اشترك في الحرب العظمى في صفوف الجيش التركي ، فرقع ملازماً ثانياً وشهد معارك الحجاز وفلسطين . وأسره الانكليز فاعتقلوه في مصر، حتى إذا ما عقدت الهدنة أخلي سبيله وعاد إلى مسقط رأسه عن طريق البصرة . وعمل كاتباً لناحية عنة ، ثم شخّص إلى البصرة حيث مارس التجارة وعني بالشؤون الوطنية والإسلامية ، فاشترك في تأسيس جمعية الشبان المسلمين وجمعية الهداية الإسلامية وجمعية الدفاع عن فلسطين . وأبعد إلى اربيل في حوادث سنة ١٩٣١ ، ثم عاد إلى البصرة واستأنف نشاطه . واقتحم ميدان الصحافة ، فأصدر مجلة الشبان المسلمين سنة ١٩٣٤ ، وشفعها عند اغلاقها بمجلة صدق الشبان المسلمين وصوت الشبان المسلمين . وأنشأ جريدة السجّل اليومية سنة ١٩٣٧ ، وكانت من الجرائد السياسية الإسلامية .

وجاء بعد ذلك إلى بغداد فأصدر جريدة اللواء ، ثم اعد اصدار جريدة السجّل (تشرين الاول ١٩٤٦) . وبعد نشوب ثورة تموز ١٩٥٨ أنشأ جريدة «الفجر الجديد» في كانون الثاني ١٩٥٩ .

وفي آذار ١٩٥٩ ، بعد انهيار تمرد العقيد عبد الوهاب الشوّاف في الموصل ، هاجم الجمهور مكتب جريدته ومكاتب جريدة اليقظة وغيرها وحطمت مطابعها . ثم أعاد طه الفيّاض إصدار جريدة «الفجر الجديد» بعد انحسار المدّ الشيوعي في تموز من تلك السنة .

وانتخب نقيباً للصحفيين في حزيران ١٩٦١ خلفاً لمحمد مهدي الجواهري وأعيد انتخابه في نيسان ١٩٦٢ .

أدرسته الوفاة في بغداد في أواخر تشرين الأول ١٩٦٤ بعد جهاد صحفي طويل .

من مؤلفاته : صولة الحق على جولة الباطل ، اللغة العربية رابطة الشعوب الإسلامية (١٩٣٥) الاعصار الشديد في تنفيذ سياسة السعيد (١٩٥٦) الظلم لا يدوم (١٩٥٩) عدوان الانكليز على واحة البريمي (١٩٥٥) كيف تحارب الشيوعية الخ .

### عبد القادر السيّاب

من رجال الصحافة، ينتمي عبد القادر السيّاب إلى أسرة عربية من عشائر ربيعة نزحت إلى البصرة منذ عهد عهيد . وهو ابن الشيخ سيّاب المرزوق، ولد في أبي الخصيب في نحو سنة ١٩٠٠ وأتم دراسته الثانوية في بغداد .

انتمى ، وهو شاب ، إلى الحزب الوطني العراقي وأصدر صحفاً أدبية مع أحمد جمال الدين كجريدة الحوادث (أذار ١٩٣٠) . ثم انفرد بإصدار جريدة الناس اسبوعية مصورة (كانون الثاني ١٩٣١) . وأصبح في شباط ١٩٣٢ سكرتيراً لتحرير جريدة بهلول التي احتجبت سريعاً .

وعاد إلى البصرة فأسس فرعاً للحزب الوطني في أبي الخصيب ، وبعد ذلك في مدينة البصرة ، ثم أسس فرعاً لحزب الاخاء الوطني فيها . وأعاد إصدار جريدته «الناس» سياسية يومية في البصرة (١٩٣٥) فعطلت واعتقل صاحبها مراراً . وأبعد إلى كويسنجق في كانون الاول ١٩٣٨ مع فريق من رجال السياسة والشباب الوطني .

وقد انتخب نائباً عن البصرة في حزيران ١٩٣٩ إلى حزيران ١٩٤٣ . وأصدر جريدة «الجهاد» (نيسان ١٩٤١) ، ثم اعتقل خلال الحرب العالمية الثانية وأبعد إلى الفساو والعمارة . وأعاد إصدار جريدة الناس أعواماً طويلة ، وتولى بعد ذلك إصدار جريدة «الحياة» .

أدرسته الوفاة بالبصرة في ٢٠ شباط ١٩٧٠ .

### محيي الدين أبو الخطّاب

محيي الدين الشيخ شهاب المعروف بـ «أبي الخطّاب» ، الصحفي الحقوقي الأديب ، ولد بالموصل سنة ١٨٩٦ . وتخرّج في دار المعلمين سنة ١٩١٥ ، وألحق بمدرسة ضباط الاحتياط خلال الحرب العظمى فمنح رتبة ملازم ثانٍ في الجيش التركي .

ودرس بمدرسة الحقوق في بغداد فنال اجازتها سنة ١٩٢٦ ، وزاول المحاماة . ثم أصدر جريدة «الأديب» الاسبوعية في الموصل سنة ١٩٣٤ ، فثابر على إصدارها وجعل اسمها «الرقيب» (١٩٦٣) .

توفي في مسقط رأسه سنة ١٩٧٠ . وكان أبو الخطاب ظريفاً حسن الدعابة . وله مطارحات أدبية مع شعراء عصره ولا سيّما محمود الملاح الذي نظم فيه شعراً كثيراً على سبيل التفكهة . وداعبه عبد الجبار الجومرد يوم أصدر جريدته «الأديب» فقال :

لم يكن كاتباً أبو الخطّاب بل طيب الأرواح والألباب  
الكسائي يستقي النحو منه والحريّ واقف بالباب  
قال الدكتور أكرم فاضل : سئل عن علة وقوف الحريري بالباب فأجاب : لقطع التذاكر.

حدثني الدكتور أكرم فاضل قال : كنت ، قبل أن أشدّ الرحال إلى باريس وأحصل على شهادة الدكتوراه في القانون ، كاتباً في محاكم الموصل ، فعرفت المحامي محيي الدين أبا الخطاب الذي كثيراً ما كان يترافع أمامنا . وجاءني في يوم من أيام الربيع قبيل الظهر وقال لي : أنتخرج معي في نزهة خلوية إلى ظاهر المدينة حيث العشب العطر والزهور والرياض؟ قلت : ولكن كيف أصنع وأنا مقيّد بالدوام؟ فذهب إلى الحاكم واستأذن لي بالخروج .

وكانت سيارة فخمة في انتظارنا عند باب المحكمة ، وفيها شاب وسيم من أبناء العشائر يرتدي حلة أنيقة من ثوب وعباءة وكسوفية وعقال . فامتطينا سيارته ، ومضى بنا بأمر من أبي الخطاب إلى السوق ، فاشترى أطيب المأكولات والفاكهة .

وقال الشاب : والآن هل نذهب إلى حيّ العرب لأداء مهمتنا؟ فأجاب أبو الخطاب : بل نمضي أولاً إلى ضفاف دجلة حيث الماء والخضراء لتتناول الطعام ونتمتع بأفياء الربيع ، ولدينا بعد ذلك متسع من الوقت لانجاز العمل الذي أوكلته إليّ .

وكان الكلاّ يمتدّ بساطاً أخضر يصل الأفق بالنهر الرقراق . فجلسنا ، ساعة وبعض ساعة نأكل ونشرب ، وأبو الخطاب يقصّ علينا ما لدّ وطاب من نوادره وأخباره مرصّعا قصصه بالأمثال والأشعار .

ثم ركبنا السيارة واتّجه الشاب إلى التبر حتى بلغنا بعد لأي حياً من البدو يخيّمون في الأرض الملساء . ووقف بنا على مبعدة من الخيام ، ونزل أبو الخطاب يتبعه الشاب وسارا يقصدان مضارب الأعراب ، وصاحبنا المحامي يتلكأ في سيره ، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى ويتلفّت إلى السوراء ، والشاب يستحثّه ويستعجله . وسرعان ما نبحت الكلاب وخرجت نسوة من الحيّ لاستطلاع الخبر ، ثم تبعها الرجال والاولاد ، ورأوا أبا الخطاب

يأتي اليهم فتقدموا نحوه، ولم يروا صاحبه الشاب وراءه حتى علموا مغزى الزيارة، فصاحوا بالقادمين: ما لكم ولنا تجيئون إلى بيوتنا وتقلقون راحتنا؟ وأمطروهما بوابل من الشتائم وحصبوهما بالحصى والحجارة. وعاد أبو الخطاب أدراجه يجري كالكتيبة المهزومة، ولا تكاد تحمله رجلاه، والشاب يسير خلفه ويقول بأعلى صوته: أن مقصدنا شريف، ولا غاية لي الا الزواج على سنة الله ورسوله!

بيد أن الكلاب بادرت بالهجوم وهي تنبح نباحاً مخيفاً، ووراءها الرجال والنساء يقذفون الشتائم ممزوجة بالحجارة. فجرى أبو الخطاب وصاحبه، ولم يصدقا أن دخلا السيارة التي انطلقت تسابق الريح.

ولما ارتاح أبو الخطاب وسكن جأشه وهدأت نبضات قلبه، قلت: يا أستاذ، ما هذا المشهد المثير بعد تلك النزهة اللطيفة والغداء اللذيذ؟

فقال ضاحكاً: أنا وكيل هذا الشاب المترف النبيل. لقد رأى جارية حسناء من جواربي ذلك الحيّ فشغف بها حباً، وخطبها إلى أهلها فردّوا طلبه. وقد وكلني، وأنا المحامي الميذرة والخطيب المفوه، لأقنعهم بمصاهرتة، فرأيت من أمرهم ما رأيت. قال أكرم فاضل: وكان ذلك آخر عهدي بنزهات أبي الخطاب.

كان أبو الخطاب أكرماً، وكأنه ذلك النهم الذي وصفه ابن الرومي في شعره الرائع. قال توفيق السمعاني:

جاء أبو الخطاب يوماً إلى بغداد، فلما قضى أشغاله وودّع أصحابه، قال لي: إنني أزمع العودة مساء اليوم بالقطار، فأحضر لي عشاء يشبعني وأت به عصراً إلى الفندق لتأخذني بسيارتك إلى المحطة، وذلك أقل ما يقوم به الصديق. قلت: على العين والرأس.

أخذته إلى المحطة قبل موعد قيام القطار، وقد أحضرت زنبيلاً كبيراً فيه عدد من كبة الموصل يكفي لعدة أشخاص، مع الفاكهة وغيرها. ووصلنا إلى المحطة مبكرين، فاقترح أبو الخطاب أن نجلس في المقهى ونلعب النرد ريثما يجين موعد السفر. وقال: أين زاد الطريق؟ فجلب السائق زنبيل الطعام ووضعها عند قدميه.

وأخذ أبو الخطاب يرمي الزهر ويتناول شيئاً من الزنبيل ويضعه في فمه، وهو يواصل اللعب. ولم نسمع صافرة القطار حتى كان صاحبنا قد أتى على كل ما في الزنبيل من كبة وفاكهة. فدفع بالنرد جانباً وقال ضاحكاً: خذ زنبيلك، يا رجل. وسنضي الليلة جائعين، سأمحك الله وأغدق عليك!

\*\*\*

قلت: جاءني أبو الخطاب يشتري سيارة من طراز «شفروليت»، فألح في طلب السباح وتخفيض السعر. وقال: ليست هذه السيارة لي، وإنما هي لمساكين الموصل

وأيتامها وأراملها قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنني سأقف في شوارع الموصل صباحاً ومساءً وأنقل بها الضعفاء وأبناء السبيل مجاناً لوجه الله تعالى.

وابتاع السيارة بسعر متهاد وشروط سمحة، فأنشأ في جريدته «الأديب» مقامة يصف فيها السيارة وشراءها على طريقة الحريري وبديع الزمان. وقد قلت فيه مداعباً:

أبو الخطاب، يا نعم المحامي	أديب كاتب فد خطيب
أبو الأيتام والرّهط الصيّام	رؤوف بالمساكين الأيتامى
له في الصُّحف مرموق المقام	قنوعاً زاهداً تلقاه حقاً
وخصم المعتدين من اللثام	فباسم العطف قد «ضرب» الأراضي
وطمّاعاً لإسعاد الأنعام	فإنّ المال أودع في يديّه
ليبدل ماله ببدل الكرام	ويركب مركباً رهواً سريعاً
لكي يجسو الأرامل بالطعام	ويأكل ما كسلاً دسماً وفيراً
فيحمل من يدبّ من الطّفام	يوافي الأصدقاء بغير وعد
ليدمغ آكلي السُّخت الحرام	ويشكر نعمة الباري عليه
ويدي الوذّ رعيّاً للذمام	ويقضي بين أصحاب القضايا
فيلتهم الطعام مع الإدام	يريد رضاءهم ليفوز منهم
قضاء مقسّط سلس الكلام	وتلك خصاله: كرم وبرّ
بأجر برزّ تمّطال الغمام	
وإفشاء المروءة والسبلام	

### إبراهيم الجلبلي

من رجال الصحافة إبراهيم بن محمود بن عبد الرحمن الجلبلي، ولد بالموصل سنة ١٨٨٢، وبدأ عمله الصحفي سنة ١٩٣١ في جريدة «العمال» لصاحبها سعد الدين زيادة. وأصدر جريدة «فتى العراق» سنة ١٩٣٤ وحرّرها ثلاثين عاماً، ثم استعاض عنها بجريدة «فتى العرب» (١٩٦٤).

وأسس مطبعة «أم الربيعين» واشترك في جمعيات البرّ والإحسان والثقافة في مسقط رأسه. وساهم في تحرير جريدة «الرقيب» التي صدرت سنة ١٩٣٧.

أدرّكته الوفاة بالموصل في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٢.

## شفيق نوري السعيدى

من رجال الصحافة والقانون شفيق نوري السعيدى ينتسب الى أراضي السعيدة على نهر دىالى جنوبى بغداد . ولد ببغداد سنة ١٨٩٥ ودرس في مدرسة الحقوق فتخرج فيها سنة ١٩٢٣ ، واتهم سنة ١٩٣١ بالاشتراك في قضية الرسائل السرية في عهد وزير الداخلية مزاحم الأمين الباجه جي مع أخويه رفيق وجميل وفاصل قاسم راجي وغيرهم .

وقبض عليه في كانون الثاني ١٩٤٠ إثر مقتل رستم حيدر وزير المالية مع إبراهيم كمال وعارف قفطان وصبيح نجيب الخ ، ثم أطلق سراحه . وأصدر جريدة «الشهاب» اليومية في تموز ١٩٤١ ، فظلت تصدر خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم أعاد إصدارها في تشرين الثاني ١٩٥٢ . وكان شعارها :

إنّ الشهاب لنور يستضاء به حيناً ، وحيناً رجوم للشياطين  
وانتخب نائباً عن لواء بغداد في نيسان ١٩٤٢ خلفاً لعلّي جودت الأيوبي ، ثم أعيد انتخابه في تشرين الأول ١٩٤٣ الى تشرين الثاني ١٩٤٦ .

وقد توفي ببغداد في ٩ تشرين الأول ١٩٥٨ .

كان له مجلس حافل يحضره رجال السياسة والصحافة والأدب .

## محمد علي البلاغي

من الصحفيين الأملين ، وهو محمد علي بن حسن بن مهدي ينتسب الى أسرة البلاغي الدينية النجفية المتحدّرة من جدّها الأعلى الفقيه المتبحّر الشيخ محمد علي البلاغي المتوفى سنة ١٥٩٢ م .

ولد محمد علي في النجف سنة ١٩١٣ ودرس في معاهدها . وأصدر فيها في شباط ١٩٣٢ مجلته «الاعتدال» الشهرية التي أصبحت من مجلات العراق الراقية واجتذبت أقلام أشهر الكتّاب والشعراء . واحتجبت المجلة سنة ١٩٤١ حين اشتدّت وطأة الحرب ، ثم عادت الى الصدور سنة ١٩٤٦ سنة واحدة .

ترك البلاغي مجلته بعد ذلك ، ثم لجأ الى ميدان الوظيفة فعين مديراً لفرع مصرف الرافدين في النجف (تشرين الثاني ١٩٤٩) وأقام في منصبه أعواماً طويلة .

توفي في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٦ .

## نور الدين داود

من رجال الصحافة نور الدين داود سليم ، ولد سنة ١٨٩٨ ودرس في مدارس بغداد ، ووظف في دائرة البرق في تشرين الثاني ١٩١٩ . وأصدر بعد ذلك مجلة «الحديث» (تشرين الثاني ١٩٢٧) ، فدامت سنة واحدة .

وعاد موظفاً في مديرية الواردات العامة ، ونقل معاوناً لمدير كمرك بغداد (حزيران ١٩٣٦) . وعين مديراً عاماً للدعاية في حزيران ١٩٤١ فنهض بأعباء منصبه أشهراً ، ثم أعيد في أواخر تلك السنة معاون مدير كمرك ومكوس . وأصبح معاوناً لمدير التموين العام (أذار ١٩٤٢) وعهدت إليه وكالة مديرية وسائل النقل العامة (آب ١٩٤٢) . وكان بعد ذلك مفتشاً مالياً (شباط ١٩٤٣) فمعاون مدير انحصار التبغ العام (تموز ١٩٤٣) .

واعتزل خدمة الحكومة فأصدر جريدة «النداء» اليومية (آب ١٩٤٤) ، فجريدة «الرائد» (كانون ثاني ١٩٤٧) . وانتخب رئيساً لجمعية الصحفيين (١٩٤٧) .

ألف كتباً منها : حقوق الإنسان (١٩٤٩) محنة في الفردوس : بلاد كشمير (١٩٥٠) ضحية المكائد (١٩٥٠) .

توفي ببغداد سنة ١٩٥٥ .

إبنته : الشاعرة أميرة نور الدين داود ، ولدت ببغداد في تموز ١٩٢٥ وتخرّجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٤٧) . وزاولت التعليم في المدارس الثانوية ، ثم عادت الى القاهرة ونالت درجة «الماجستير» في شباط ١٩٥٧ ، وكان موضوع رسالتها «الشعر الشعبي في منطقة الفرات الأوسط» . وعيّنت مدرسة في دار المعلمات الابتدائية في بغداد .

نظمت الشعر منذ حداثتها ودرست العروض على صديق والدها الشاعر جميل أحمد الكاظمي (١٩٠٧ - ١٩٧٠) . ونقلت الى العربية نظماً «درراً من شعر إقبال شاعر الإسلام وفيلسوفه» (١٩٥١) . قالت الشعر في المناسبات الوطنية والقومية ، وطرقت أبواب الوصف والرثاء ، وتمسكت - كما ذكرت صبيحة الشيخ داود - بأهداب المدرسة الكلاسيكية القديمة .

قالت أميرة نور الدين في الربيع :

ربيع ولكن الفؤاد ملـمـوع وفي العين في إثر الدموع دمـوع  
ربيع ونـار الحزن تحرق مهجتي كما احترقت للسامرين شمـوع  
ربيع وقد عزّ التصبر مطلباً وغادر متي القلب وهو جزوع . . .  
ربيع ألا ليت الـربيع بها مضى يعود ففـي قلبي اليه نـزوع



وصرّحت أميرة نور الدين أنها تأثرت بطله حسين وأحمد أمين والدكتورة سهير القلماوي التي أشرفت على رسالة «الماجستير». وقالت، وهي من الشاعرات الملتزمات بالشعر العمودي، إن النتاج الأدبي الحديث فيه الغث والسمين، وإن التجديد في الشعر قसान: مستساغ جيد ورديء ممسوخ. ونصحت من لا تتوافر له المهوبة الشعرية أن ينصرف إلى كتابة النثر، ودعت الجيل الصاعد إلى قراءة التراث القديم والإفادة منه. وقالت إنها لم تتأثر بالأدب العالمي إلا في نطاق محدود، لا يتجاوز ترجمة طائفة من القصائد من اللغتين الفارسية والانكليزية.

هذا وقد نظمت أميرة قصيدة في رثاء والدها مطلعها:

أبي، صدفت عن الدنيا على عجل      أبي، حنايك قد حطمت لي أملي . . .

### سعد الدين زيادة

من رجال الصحافة والمحاماة والقضاء، أحمد سعد الدين زيادة ابن الشاعر الأديب داود سليمان الملاح المتوفى سنة ١٩١١.

ولد بالموصل سنة ١٩٠١ ودرس الحقوق وزاول المحاماة. وأصدر في مسقط رأسه جريدة «العمال» (أيلول ١٩٣١)، ثم تولى تحرير جريدة «فتى العراق».

وبعد أعوام طويلة قضاها في الصحافة والمحاماة، انتمى إلى سلك القضاء وعيّن مدوّناً قانونياً (حزيران ١٩٤٥). ونقل حاكماً بمحكمة استئناف حقوق الأراضي ببغداد (نيسان ١٩٤٩) فرييس المنطقة العدلية في لواء ديالى (حزيران ١٩٥٤) فحاكم استئناف التسوية بالموصل (حزيران ١٩٥٦). واعتزل الخدمة بعد ذلك.

### يونس بحري

يونس بحري الجبوري المعروف في شبابه بـ «السائح العراقي» كاتب وصحافي ومذيع كثير المغامرات والأسفار، ولد في الموصل سنة ١٩٠٤ لأسرة كادحة رقيقة الحال. وانتمى إلى دار المعلمين الابتدائية في بغداد سنة ١٩٢١، لكنه لم يكمل دراسته والتحق بوظيفة كتابية في وزارة المالية.

وترك وظيفته سنة ١٩٢٣ ومضى إلى خارج العراق في سياحة معتمداً على نفسه وسائراً في معظم الأحيان على قدميه، فجاب أنحاء أوروبا وآسية واشتغل في مختلف المهن. وعاد إلى بغداد بعد سنتين، لكنه لم يلبث أن عاود السفر في السنة التالية في البلدان المختلفة فسجن في باريس وزار تونس وليبيا وحضرموت وجاوة والهند

والأفغان وإيران ورجع سنة ١٩٣٣ ، ناسجاً حول أسفاره قصصاً تمزج الحقيقة بالخيال . وأصدر في أثناء سياحته ، على ما رواه ، صحفاً منها «الكويت والعراق» و «الحق والإسلام» .

أصدر في بغداد جريدة العقاب في تشرين الثاني ١٩٣٣ ، و «الميثاق» (١٩٣٤) ، ففرض الأتاوة على التجار والموظفين . ثم سافر الى المغرب العربي سنة ١٩٣٧ ومضى الى باريس فكلفه السيد قنّور بن غريوط بتعهد شؤون الجامع الذي أنشأه فيها سلطان مراكش سيدي محمد بن يوسف والمقهي والحمام الملحقين به .

ولما بدت سحب الحرب العالمية ذهب الى برلين في نيسان ١٩٣٩ وأصبح مديع محطتها العربية الداعية لهتلر والنازية ، واشتهر بحماسة المثيرة وندائه اللاهب «هنا برلين ، حيّ العرب!» لكنه أخذ بالدسّ لمفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني تارة ولرشيد عالي الكيلاني الزعيم العراقي أخرى ، فأبعد الى بريسلو مراراً . واندحرت ألمانيا النازية فاستطاع أن يجد طريقه الى عمان بعد أهوال شديدة . إلتجأ الى الأمير عبد الله عاهل الأردنّ الذي طالما ندّد به وشتمه من إذاعة برلين ، لكن الأمير عفا عنه وأكرم وفادته بما عرف عنه من سماحة وطيبة نفس .

وأقام بعد ذلك في بيروت وأصدر كتباً مختلفة . ثم جاء الى بغداد في تموز ١٩٥٨ ، فاعتقل عند قيام الثورة . وأطلق سراحه فعمل طبّاخاً في بعض المطاعم ، ومنها الذي أنشأه عادل عوني عبد الله صاحب جريدة «الحوادث» المغلقة .

وعاد الى لبنان في آخر سنة ١٩٥٩ وتنقل بينه وبين إمارات الخليج العربي . وأدركه الحمام في بغداد في شهر نيسان ١٩٧٩ .

تزوج يونس بحري زيجات عديدة في مختلف البلدان التي أقام فيها ، لكنه كان يترك زوجاته وأولاده ويمضي ميمماً شطراً بلد آخر لمغامرة جديدة وزواج جديد .

من مؤلفاته : العراق اليوم (بيروت ١٩٣٦) تاريخ السودان (القاهرة ١٩٣٧) هنا بغداد (١٩٣٨) الجامعة الإسلامية (باريس ١٩٤٨) تونس (بيروت ١٩٥٥) الجزائر (بيروت ١٩٥٦) الحرب مع إسرائيل وحليفاتها (بيروت ١٩٥٦) دماء في المغرب العربي (بيروت ١٩٥٥) ليبيا (بيروت ١٩٥٦) المغرب (بيروت ١٩٥٦) هنا برلين ، حيّ العرب (٨ أجزاء) ، بيروت ١٩٥٦) سبعة أشهر في سجون بغداد (بيروت ١٩٦٠) محاكمة المهداوي (بيروت ١٩٦١) موريتانيا الإسلامية (بيروت ١٩٦١) ثورة ١٤ رمضان المبارك (بيروت ١٩٦٣) ليالي باريس (باريس ١٩٦٥) أسرار ٢ مايس ١٩٤١ (بغداد ١٩٦٨) الخ .

عرفت يونس بحري شخصياً لأول مرة سنة ١٩٣٥ حين شرعنا بإصدار الدليل العراقي ، فأخذ يكتب عنه في جريدته «العقاب» وصار يهدّد بانتقاد المشروع والتنديد

به . فاستدعيناه ونفحناه بالمال وأعطيناه إعلانات عن الدليل فانقلب يؤيده ويستحسنه .

ثم رأيت في المفوضية العراقية في باريس سنة ١٩٣٧ ، وقد جاء يفاخر بأعماله في المشرق والمغرب ويطلب التوسط له في الحصول على وسام جوقة الشرف الفرنسي . وقال إنه ذهب الى جاوة في الشرق الأقصى ، وكانت آنذاك مستعمرة هولندية ثم أصبحت بعد الحرب العالمية الثانية جمهورية أندونيسية المستقلة) وشدّ أزر بعض الأحزاب المحلية بالمطالبة بالاستقلال وأصدر جرائد عربية تنطق بلسان الشباب الأحرار . وقال إنه ذهب الى الرباط وأسدى الخدمات لسلطان مراكش محمد بن يوسف (الملك محمد الخامس عاهل المغرب فيما بعد) فمنحه وساماً . . . ورأيناه بعد ذلك في جامع باريس وشاهدناه يضرب على الطبله وينقر على الدفّ في المقهى ليلاً ويقف في باب الحمام الملحق بالجامع نهراً . . .

وسمعناه خلال الحرب يرغي ويزبد ويصرخ ويتوعد من إذاعة برلين العربية . ثم رأيناه في بغداد سنة ١٩٥٩ لابساً المئزر في مطبخ مطعم «بوران» الذي أنشأه صديقنا الصحفي عادل عوني عبد الله . وكان يونس بحري الذي عرفناه فيما مضى بديناً موفور الصحة قد رقّ بدينه واستدقّ وأصبح صورة كاريكاتورية لشخصه السابق . وكان ذلك آخر العهد به حتى قرأنا نبأ وفاته في بغداد أخيراً .

### عبد الرزاق الناصري

من رجال الصحافة والتعليم عبد الرزاق الناصري ولد بالبصرة سنة ١٩٠٤ لأسرة تكرّيتية الأصل نزحت الى جنوب العراق قبل عهد بعيد . وقد عني والده الشيخ عبد العزيز الناصري بترتيته ، ثم مضى الى بغداد وانتمى الى دار المعلمين العالية وتخرّج فيها .

عيّن مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية . ثم أصدر مجلة «النشء الجديد» في البصرة في شباط ١٩٢٧ ونقلها الى بغداد في تموز ١٩٢٨ . وتولّى بعد ذلك إصدار جريدة سياسية باسم «الأيام» ظهرت في البصرة في كانون الثاني ١٩٣٠ ودامت نحواً من ثمانية أشهر .

وعاد بعد ذلك الى التدريس وكان مديراً للتحرير بوزارة المعارف فمدرساً في المدرسة الثانوية في مسقط رأسه . وطلّق التدريس مرة أخرى فاستقرّ في البصرة وأصدر جريدة «الأنباء» في شهر تموز ١٩٣٦ . وتوفي في البصرة قبل سنة ١٩٤٩ .

كان عبد الرزاق الناصري صديق الشباب للشاعر محمد مهدي الجواهري ، ذكره في قصيدته «ليلة من ليالي الشباب» (١٩٢٩) ، فقال :

ومعي صاحب تفرست فيه كل خير فلم تخني القـرأسـة  
أريحي ملء الطيبة منه عزة وانتباهة وسلاسه  
خدن هو. . . إني أحب من الشاعر (م) في هذه الحياة انغماسه . . .

### فاضل قاسم راجي

من رجال الصحافة فاضل قاسم راجي ، ولد سنة ١٩٠٤ . ومال إلى الكتابة شاباً فكان مخابراً ومحرراً في جريدة الاستقلال وصدى العهد والزمان . وحرر أيضاً في الصحف الأدبية والهزلية كالمداعب لصاحبها حسين يحيى (١٩٢٦) والصرافة لهاشم الرفاعي (١٩٢٨) والصرخة إلخ .

واعقل سنة ١٩٣٢ بتهمة التعرض للحكم الملكي في قضية الرسائل السرية التي اتهم فيها مزاحم الأمين الباجه جي . ثم رئس تحرير مجلة المرأة الحديثة لصاحبته حمديّة الأعرجي (حزيران ١٩٣٦) ، صدر منها ٨ أعداد ، ثم أصدر بعد ذلك في تلك السنة مجلة فتاة العراق لصاحبته حسبية راجي ، وظلت تصدر نحو ٤ سنوات ، ثم عادت إلى الصدور أمداً قصيراً بعد الحرب العالمية الثانية .

وأصدر سنة ١٩٤٧ صحيفته الهزلية «قزموز» على نسق جريدة جبزبوز وكناس الشوارع وأبو حمد ، فكانت من الصحف التي تستهدف الفكاهة والنقد الاجتماعي ، ودامت إلى ١٩٥٢ . وأصدر أيضاً جريدة الصراع في تموز ١٩٤٨ .  
توفي ببغداد في ٢٣ كانون الأول ١٩٥٤ .

قال هاشم النعيمي : «لقد كان رجلاً طيب القلب هادئاً لطيف المعشر، وكان صحفياً مطبوعاً وكاتباً هزلياً قديراً . وقد ترك بعض الكتب ، من بينها : ولدي أسامة ، ومذكرات بائس . . . ودنيا الكمال في مملكة الخيال» .  
وكان بائساً صارع الحياة وذاق شظف العيش وسقط في معركة الداء والحاجة .

### خالد الدرّة

من الكتاب الصحفيين البارزين ، ولد خالد الدرّة ببغداد سنة ١٩٠٨ ، ودرس في معهد الحقوق بدمشق ، وتخرّج في كلية الحقوق ببغداد (١٩٣٨) . وقد زاول المحاماة وعمل في الصحافة أعواماً طويلة ، وأصدر جريدة «الشعلة» سنة ١٩٣٠ .

أنشأ مجلة «الوادي» سنة ١٩٣٦ ، وقد صدرت سنين كثيرة وكانت من الصحف الهادفة المناقذة التي عرفت بنزعتها الحرة وخطتها الجريئة . ثم حرّر الدرّة في مجلات

وجرائد مختلفة منها «العهد الجديد» و «الفلقة» بعد ثورة تموز ١٩٥٨ .

وخالد الدرة من الكتاب الذين ترسموا خطي إبراهيم صالح شكر في نقداًته اللاذعة ، ولا سيّما في تحليله للأحداث السياسية والصور القلمية البارعة التي رسمها لرجال السياسة والمجتمع . وهو إلى ذلك كاتب قصصي يدعو إلى الإصلاح ويحمل بعنف على الفساد والتقهقر الاجتماعي . قال الدكتور صفاء خلوصي في فصل «أدب القصة في العراق» (دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠) : «... ولكن يجب أن لا ننسى أن الدرة متأثر بالطريقة العربية القديمة في كتابة القصص ، فطريقته ليست قصصية وإنما روائية على نحو ما نجده في ألف ليلة وليلة . ولذلك لم يعالج الأصوصة لأنها تحتاج إلى قدرة فنية خاصة تختلف عن القدرة على كتابة الروايات . وكان أكثر ما كتب القصة الطويلة . . . وأبطال روايات الدرة في بعض الأحيان - كأكثر شخصوس القصص العراقية - ليسوا أكثر من دمي تتحرك ، ولكنها تفعل الأفاعيل» .

من مؤلفاته : لقتل الضجر (١٩٣٥) المشعوز (١٩٣٧) حول المنهج القومي العربي (١٩٤١) في قفص الاتهام (١٩٤٦) أسول وشروق رواية (١٩٥٣) طبيعة الأشياء (١٩٥٥) .

توفي ببغداد سنة ١٩٨٠ (٩) .

### لطفى بكر صدقي

من رجال الصحافة لطفى بكر صدقي ، وأبوه بكر صدقي أخو المؤرخ الصحافي علي ظريف الأعظمي . ولد ببغداد في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٢ وأنجز دراسته الثانوية في مسقط رأسه . واشترك وهو طالب في المظاهرات الوطنية . ومال إلى الأدب والصحافة يافعاً ، فكتب في جريدة الاستقلال والبلاد والزمان والأهالي .

وأصدر صحيفة «الوميض» في تشرين الثاني ١٩٣٠ ، فلم يطل عهدها . ثم اشترك في الحركة الوطنية في أيار ١٩٤١ ، وفرّ إلى طهران ، فقبض عليه وأبعد إلى روديسية الجنوبية . وأعيد إلى بغداد في أوائل سنة ١٩٤٤ فاعتقل في العمارة .

وعاد إلى ميدان الصحافة بعد نهاية الحرب العالمية ، ثم التحق بتحرير جريدة صوت الأحرار (١٩٤٦) . وأصبح مالكا لهذه الجريدة سنة ١٩٤٩ ، وأصدر عند تعطيلها جريدة العالم العربي والانحاء . وطلّق الصحافة بعد ذلك ليمضي إلى أوروبا ويقضي فيها سنوات .

عاد إلى بغداد بعد ثورة تموز ١٩٥٨ واستأنف إصدار جريدة صوت الأحرار أمداً ، ثم اعتزل الحياة الصحفية .

نشر قصصاً في مجلة الوميض وجريدة البلاد والائحاء الوطني والأخبار وغيرها (١٩٣٠-١٩٣٤).

أخوه: عوني بكر صدقي من رجال التعليم والأدب ولد ببغداد سنة ١٩٠١ وتوفي سنة ١٩٦٨. وقد تخرّج في دار المعلمين (١٩٢٥) وزاول التدريس أعواماً طويلة، ثم نقل مديراً لمعارف لسواء الدليم (١٩٤٥) فمديراً للمناهج والكتب بوزارة المعارف (١٩٤٦)، فمدير التدريس الابتدائي (١٩٥٠)، فمدرساً في مدرسة الصناعة (١٩٥٣). وكان من رواد الحركة الكشفية في العراق، أصدر كتاب «الكشاف العراقي» (١٩٢٢) واشترك مع محمود أحمد السيد في كتابة «السهام المتقابلة» (١٩٢٢).

### عادل عوني

عادل عوني عبد الله، من رجال الصحافة، ولد بالموصل سنة ١٩٠٦، وترك الدراسة بعد أن وصل إلى الصفّ الثاني الثانوي. وقد أُلِع بالصحافة، فقدم إلى بغداد وعمل محرراً ومراسلاً في جريدة العراق والعقاب والبلاد. ورثس تحرير مجلة الميثاق (كانون الأول ١٩٣٣)، ثم أصدر مجلة الحديث وجريدة البعث (تشرين الأول ١٩٣٤) فجريدة الوحدة (١٩٣٥).

وأصدر جريدة الحوادث اليومية المسائية في أيلول ١٩٤١، فظلت تصدر إلى ثورة تموز ١٩٥٨. واعتقل على أثر الثورة، ولما أطلق سراحه افتتح مطعماً في بغداد فلم يصب نجاحاً. وعاش بعد ذلك متنقلاً بين بغداد وبيروت.

وهو كاتب لطيف الأسلوب، ظريف الطبع، خفيف الظلّ، جعل جريدته أداة لتأييد نوري السعيد والحكم الملكي والحملة على المعارضة بشدة وقساوة. توفي في بيروت سنة ١٩٧٩.

### عبد المجيد الوندائي

من رجال الصحافة والأدب، عبد المجيد عبد العزيز الوندائي، ولد في بلدة الكوت سنة ١٩٢٤ وتخرّج في كلية الحقوق ببغداد. ومارس المحاماة، لكنه انصرف إلى الصحافة فحرّر في جريدة الأهالي لصاحبها كامل الجادرجي. ثم تولّى التحرير في صحف متعددة أمدأ يربو على ربع القرن، وكان في أحواله الأخيرة محرراً في جريدة الثورة.

وقد أدرّكته الوفاة في بغداد في ٨ آب ١٩٧٤.

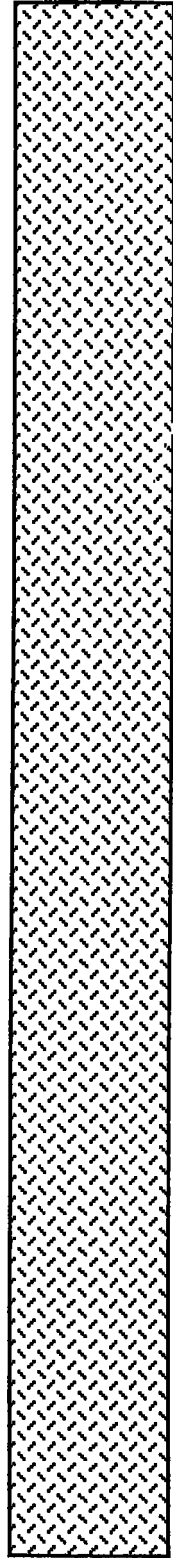
كتب عبد المجيد الوندأوي مقالات سياسية وأدبية عديدة . وألف : محاكمة كامل الجادرجي (١٩٤٩) الحلف التركي الباكستاني والمشاريع الاستعمارية في الشرق الأوسط (١٩٥٤) من يوم إلى يوم (١٩٥٤) المائنة أخطر المشاكل العالمية القائمة (١٩٥٥) . وترجم مختارات من همغواي (١٩٥٧) .

كان عبد المجيد الوندأوي من الكتّاب الأحرار المؤمنين بالديمقراطية والمناضلين في سبيل مبادئها . قال عبد القادر البرّاك أن الوندأوي تعرّض للاضطهاد والاعتقال والمطاردة خلال عمله الصحفي في العهد الملكي دون أن يصرفه ذلك عن المضيّ في خطه الوطني الديمقراطي الذي آمن به .

ثم قال : «فلقد كان في أحلك الظروف يكتب المقالة والخاطرة ويترجم الرأي والخبر، ويعدّ ما تتطلبه منه طبيعة عمله كرئيس لتحرير عدد من الصحف، وهو مشرق الأسارى ساكن الجوارح، يشارك أصدقاءه وخلطاءه فيما هم فيه من أحاديث بعيدة عن هموم العاملين في حقول صحافة الكفاح الوطني، طاوياً ضلوعه على كثير من الشجون والآلام التي كان يأنف من إظهار جزعه منها . . . إن صحف الكفاح الوطني التي صدرت قبل اندلاع ثورة ١٤ تموز وبعدها طافحة بأثار الفقيده . . . وهي تسلكه في مقدمة رجال القلم والرأي الجديرين بالاعتزاز والتقدير. . . .»









## حافظ جميل

شاعر الغزل والخمرة حافظ بن عبد الجليل بن أحمد بن عبد الرزاق بن خليل بن عبد الجليل آل جميل . كان أبوه الشيخ عبد الجليل جميل (١٨٧٠ - ١٩٥٧) مدرس جامع العدالة الكبير والأصفية ومفتي الكاظمية وأستاذاً في جامعة آل البيت . وقد نفاه الإنكليز إلى الهند بعد احتلال بغداد (١٩١٧ - ١٩١٩)، ثم أصدر صحيفة الإرشاد في تشرين الثاني ١٩٢٦ . ووضع مؤلفات منها: إرشاد العباد في علم الاعتقاد، تنوير الأذهان (في المنطق، ١٩٠٣) العجالة في النحو، المحاضرات في الأصول، إلخ .

ولد حافظ جميل في بغداد سنة ١٩٠٨ والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت (١٩٢٥) فنال شهادة بكالوريوس علوم سنة ١٩٢٩ . وتعلم في الوقت نفسه على أبيه وعلى منير القاضي فأخذ عنهما اللغة والأدب والشعر . وأصدر، وهو طالب لا يتجاوز عمره السادسة عشرة، مجموعة شعرية باسم «الجميليات» قدّم لها الأستاذ منير القاضي .

عاد إلى بغداد فعيّن مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية (تشرين الأول ١٩٢٩) فدار المعلمين الابتدائية (١٩٣٠) . واستقال من التدريس في شباط ١٩٣٢ . ثم وظف في السنة التالية في وزارة المالية فكان مهنماً لضريبة الدخل فمميزاً بمديرية الري العامة (تموز ١٩٤٠) ونقلت خدماته إلى مديرية البريد والبرق العامة (أب ١٩٤١) فكان مدير التلفزيونات (أذار ١٩٤٩) فمدير دائرة البرق المركزية (نيسان ١٩٥٠) فمدير الحسابات فمعاون مدير البريد والبرق العام (نيسان ١٩٥٢) فمفتش البريد والبرق العام (شباط ١٩٦٢) حتى اعتزل الخدمة في حزيران ١٩٦٣ . وقد منحته الحكومة اللبنانية وسام الأرز (١٩٧٤) . وتوفي في بغداد في ٤ أيار ١٩٨٤ .

شعره وأدبه :

نشأ حافظ جميل في جوّ ديني متمزّت ودرس اللغة والأدب وقرض الشعر صبيّاً وهو لا يزال على مقاعد الدراسة الثانوية . لكنه لم يكد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى شدّ الرحال إلى بيروت وانتمى إلى الجامعة الأميركية وانصرف إلى دراسة العلوم، فتفتحت لعينيه، وهو الشاب الغضّ كالطين في يد الخزاف، آفاق رحبية وعوالم جديدة لم يألفها في بغداد ولم يشهد مثيلها في بيئته الوقورة المحافظة . رأى الفتيات يزاملنه في الجامعة

ويلتقي به في الأندية والمجتمعات ، ورأى معالم الحضارة طيبها وخبيثها تغشاه وتحيط به وتسدّ عليه المنافذ . ورأى كؤوس الخمرة تترع وتكرع ، وحلقات الرقص تنتظم وتندفع وتتقدم وتراجع بنظام وغير نظام ، فانطلق بحافز من روح الشباب ونظم الشعر في المرأة وبنت الحان ، وتنفس ملء رئتيه اهواء الطلق الذي غمر روحه وفاض على لسانه .

عاد حافظ بعد ذلك إلى بغداد وانتظم في سلك التدريس والوظيفة ، واختلف إلى مجالس صباه ومراتع شبابه ، فظلّ حياته تتجاذبه عوامل متباينة متناقضة تقرن القديم بالجديد وتجمع روح التزمّت والجمود إلى الوثبة والتفتح والانطلاق . وظهرت آثار ذلك في شعره فطبعته بطابع خاص وشرّقت به وغرّبت ، لكن شيئاً واضحاً بقي في هذا الشعر على ما عصفت به من عواصف المحافظة والتجديد ، ذلك هو تقيده بالطابع العربي الأصيل في مبادئه ومعانيه وترسمه خطى السابقين من شعراء العربية الأقدمين وشعراء النهضة الحديثة . والغريب أن حافظ جميل الذي أتقن اللغة الانكليزية واطلع على آدابها وفنونها لم يتأثر بالأدب الانكليزي بصورة مباشرة ولم يحاول أن يصطنع أساليبه ومناهجه .

أصدر حافظ أربعة دواوين : الجميليات (١٩٢٤) نبض الوجدان (١٩٥٧) اللهب المفقى (١٩٦٦) أحلام الدوالي (١٩٧٢) . وله أيضاً : كتاب «عرفت ثلاثة آلاف مجنون» (١٩٤٤) نقله عن الانكليزية بالاشتراك مع الدكتور فائق شاكر ، رسالة في القرآن (محاضرات ألقاها على طلبة دار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٣١) .

وشاعرنا غمر البديهة ، طويل النفس ، ينقد القصيدة التي ينظمها نقداً قاسياً ويزن كلماتها وأبياتها بميزان الدرّ والذهب ، كما كان يفعل من قبله زهير بن أبي سلمى في حولياته ومروان بن أبي حفصة في أماديجه ، وكما كان يفعل الأديب الفرنسي غستاف فلوير صاحب «التربية العاطفية» . وقد تأثر ، على ما قال ، بالشعراء أبي نواس وابن الرومي والمنتبي وشوقي والأدباء أحمد حسن الزيات وطه حسين والمنفلوطي والعقاد .

يبرز حافظ جميل أكثر ما يكون تبريزاً في غزلياته وخرجاته التي يصدر فيها عن قلب فتى لا يؤمن بالهرم وعاطفة مرهفة مشبوبة .

لقد بلغ الشاعر سنّ الكهولة ، لكنه لم يزل يعيش بـ (الآمال) ويترقب (بريد القبل) ويستذكر (ليالي لبنان) ويأنس إلى (كأسه) . فلنستمع إليه يقول :

حيّي بما يجلو لسديك وسلمي	بالعين إن أحببت أو بسالمبسم
حسب الحبيبة لحظها إن سلمت	وشفاهاها إن أومات لمسلم
أعيابصمتك ناظرك فأفصحها	عماً بقلبك من جـوى متضرم
وتبلىجت شفتاك عنه ، فما عسى	تبغين من كتمان ما لم يكتسم ؟ . . .

وهو يكتب للوعة الحبيبة فيهتف قائلاً:

ماذا أردت على اكتتابك إن كان ما بي فوق ما بك؟

وهو يسخط لجفاء الحبيبة فيخاطبها قائلاً:

ودعت عهدك وانتهيت وخسرت منه بما اكتفيت

وهو يناجي الراح ويرتضي الخمرة دواءً لكلوم نفسه، فينشد قائلاً:

ألا ما كان أعظمني شقاءً وأكثرني بلا سكر عناء

وأنزلني على أحكام دهر قضى أن لا أرد له قضاء

وهل كالراح من محمود عقبى لمن ساءت عواقبه وساء؟

وشعر حافظ جميل بعد ذلك في لبنان وفي بغداد سائر على الألبسة، محبب إلى القلوب. فبغداد مسقط الرأس وملعب الطفولة ومدراج الصبا فلا عجب أن يخاطبها الشاعر فيقول:

لغيرك، يا بغداد، لم يهف جانحي ولا شاقني في غير ظلك أن أشدو

ولا طاب لي في غير دجلة مرتع ولا لذي في غير شاطئها الورد

وكيف اصطباري عن حنان ربيبة سريرا في أحضانها القبر والمهد!

أما لبنان فهو كهف الشاعر الروحي لا يفتأ يردد ذكره ويشيد بمحاسنه ومحامده، فهو تارة يقول:

ذر الدمع الملح يزيد وكفا فما لك غير لبنان وتشفي...

أظلك في الشباب فكان وكناً وحاطك في المشيب فكان كهفا

ومن لك في النوازل إن ألت بأرعى ذممة منه وأوفى

ويقول طوراً في ليالي لبنان:

ليسال بعثت فيك من النشوة أقصاها

وزانت لك دنياك وأنستك رزاياها

ليسال غسل الطل حواشيهما فنذاها

وجال الزهر في خضر روابيهما فرشاهما...

أو يقول:

أين من أرضها أديم ساهها أين وضّاح صبحها من دجاها؟

ربوة من جنان لبنان حلت من أعالي الشوير عالي ذراها

أويقول :

يقولون : ما شأني ولبنان كلما  
تغنيت فيه جنّ في الشعر شيطاني  
فقلت : هبوني فخر بغداد محتدا  
فمن غير لبنان رعائي وربّاني  
ومن غير لبنان شكوت فرقّ لي  
ومن غير لبنان ، إذا ما وهبته  
حياتي ، أحال الأرز قبراً فواراني؟

وقد تقدم الشاعر في العمر ، واعتزل الوظيفة ، وزادت أوصابه وآلامه ، ونزفت جراحات جسمه وروحه ، فداواها بمودة وثيقة ربطته بأخ مواس أديب هو الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني الرجل الطيب الباحث المحقق . وتوفي هذا الأخ فثارت لواعيج الشاعر وأرسلها نغمة جسمت الحزن واللوعة والشكوى والإشفاق والمرارة والألم . حزن داود النبي قبل عصور طويلة لمقتل شقيق روحه يونانان فرثاه بكلمات مؤثرة وقال : «أسفاً عليك ، يا أخي ، لقد طابت مودتك لي فكانت أعجب من حبّ النساء» . وفقد الشريف الرضيّ صديقه الصابيء فقال : رأيت كيف خبا ضياء النادي؟ وقديماً مزق كلكامش ثيابه وحثا التراب على رأسه حين مات صاحبه انكيدو وقال : «من أجل انكيدو خلّي وصاحبي أبكي وأنوح نواح الشكلى ، فقد كان الفأس التي في جنبي وقوس يدي والخنجر الذي في حزامي والمجنّ الذي يدراً عني ، وفرحتي وبهجتي وكسوة عيدي . . .» .

وروى صاحب الألياذة حزن البطل أخيل على خديته بطروكلس الذي سقط صريعاً في القتال على أسوار طروادة ورتاه له متمنياً لنفسه الموت لأنه تخاذل في نصره صديقه وإنقاذه .

أما حافظ جميل فبكى في يوسف مسكوني طبيب نفسه وصديق روحه وموضع سرّه وشكواه ، بكى الذي كان يشفي كلومه بلقائه ويؤاسيه في البلوى ويصرفه عن تشهّي طعم المنون . ثم قال :

غب حيث شئت فما كانت مودتنا  
لنتتهي عند هذا الحدّ أو ذاك  
ولح خيــالاً فإني رافع بصري  
وسامع من وراء القبر نجواكا  
لا تشكّ في الموت أحباباً فجعتهم  
وعشرة وألوفاً من يتاماك  
لا أوحش الله قبراً أنت نازله  
لو أستطيع جعلت القلب مشواكا

إن رتاه حافظ جميل ليوسف مسكوني صلاة على فم شاعر مرهف الحس خلّق على أجنحة المودة والوفاء ، وطاف في عوالم هيولية من الطيبة والصفاء .

\*\*\*

ولا بدّ لنا بعد ذلك أن نقول كلمة في خمريات حافظ جميل . برع الأقدمون والمتأخرون في وصف الخمر . وجاء أبو نواس فكان مجدداً في عصره ، مبتكراً للمعاني ، متسرفاً في

أساليب البيان . وإذ وقف الشعراء قبله على الطلول وبكوا على المنازل والديار وحنوا إلى ساكنيها الذين فزق شملهم الدهر، وقف أبو نواس على مربع القصف واللهو، وذكر مجالس الشرب والندامى والأحلاء فقال :

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا بها أثر منهم جديد ودارس  
وابتدع أرباب التصوف الخمرة الروحية فقال ابن الفارض سلطان المحييين :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم  
وجاء حافظ جميل فجدد في بغداد عهد النواصي . وشعر حافظ في هذا الباب رائع لطيف تستسيغه النفس ويطرب له اللب لكنه لا يكاد يأتي بمعنى جديد أو وصف مبتكر كما فعل أبو نواس في عصره .

فحافظ يشرب قبل كل شيء لمداواة كلوم قلبه ونسيان همومه وأوصابه ، وهو يردّد هذا المعنى فيقول :

عركت الليالي ساهراً وعركتني  
إذا دهمتني رعشة الصحو بغتة  
كأني ، وما غير الكؤوس عصابتي ،  
يزايلني غمي بجرعة خمرة  
وأبدو كمعلول به ألف علة  
ومن كان مثلي فكره الدهر متعب  
فما راعني منها سوى مطلع الفجر  
فزعت لكأسي أذفع الشر بالشر  
أشأغل دهرأ من نكال ومن غدر  
وأصحو وما غمي سوى جرعة الخمر  
وما بي من داء سوى تعب الفكر  
فأخلق به أن لا يفيت من السكر

وجد الشاعر في الراح مسلماً ومسعفاً ومعيناً فتعاطاها ، وكانت دواءه وداءه ، وقال :

ألا ما كان أعظمني شقاء  
وهل كالراح من تلقاه عوناً  
وهل كالراح من محمود عقبى  
لئن عانيت صرعتها طويلاً  
وكم في زحمة الألام صراح  
نظرت فلم أجد كالراح طباً  
ولا كمجوارها للنفس أنساً  
ولا كدبيها في الجسم لطفاً  
ولا كإريجها في الطيب نفحاً  
ولا كرضيعها نهماً وجوعاً

وأكشيري بلا سكر عناء  
على البلوى ودرعاً وأتقاء؟  
لمن ساءت عواقبه وساء؟  
كفاني أن وجدت بها العزاء  
رأى في سكرة الموت انتشاء  
لمن فقد الطبابة والدواء  
إذا برمت من الدنيا استياء  
وقد خدرت مفاصله ارتخاء  
إذا راح النسيم به وجاء  
إن أنخمته لقد زاد اشتواء

ولا كطريحتها إن نام دهرأ      شكنا من طول صحوته العياء  
وهل كالصحو من كابوس هم      لعان لان بالسكر احتفاء . . .

وهذه الايات ، ولا ريب ، جميلة أخاذة : كلماتها حلوة الرنين ، متسقة واضحة تتدفق كالجدول الرقراق . والغرض الذي تفصح عنه وترمي اليه واضح أيضاً . فهو اعتذار ضمني عن شرب الخمرة ، لولا أنها دواء لا مفر من الاستعانة به والخضوع له . ولننظر بعد ذلك إلى ذكر محاسن الخمرة ، فهي طب لمن برح به الداء واستعصى علاجه ، وهي سلوى النفس التي ضاقت بالدنيا ذرعاً ، وهي مخدر يسكن الآلام ويولد الأحلام . وكلنا نعلم أن معارفها يزيد ظمأ كلما زاد شرباً ، وقد رأينا طريقها لا يعبأ أين يسقط ليغفو في حلم هنيء .

ويهب حافظ بكأسه أن ترعى له الود والذمة فلا تهجره ولا تغدر به ، فيقول :  
دومي دوام العمر ، يا كأسى ،      يا كوئري العذب وفردوسي  
لولاك غام الكون في ناظري      وعشت في داج من اليأس  
وظل صدري جدثاً حالكأ      لم ير لولك سنى الشمس  
وهكذا نرى شاعرنا يردد هذا المعنى ويلبسه في كل قصيدة ثوباً جديداً وينحو به منحىً فريداً : فالخمرة بيضاء تحب حتى بياض الشيب ، وهي تدور في الرؤوس فتمنح الرعيد بأساً وشجاعة ، وهي تميز الشهم عمّن لا خلاق له ولا خير فيه ، وهي بلسم الجراحات والأسقام . . .

ويخاطب المدام بعد ذلك فيقول :

وفيت ، يا راح ، فلا تغدري      ما دمث في حبك لم أكفر  
أفنت عمري فيك لم أفرق      عنك ولم أسام ولم أضجر

حتى يقول :

شهدت فرعون وأهرامه      وعرش بلقيس فلم تكبري  
وهذا المعنى افتتن به القدماء ، فطالما ذكروا قدم الخمرة وشهوها عصوراً خلعت ودولاً دالت واحتفاظها بشبابها ورونقها برغم مرور الأجيال والأزمان . ثم يتطرق حافظ إلى وفاء الخمرة لأحبائها ، فهي ليست بمن يغريه شرخ الصبا ولا بمن يطوي كشحاً عن الشيوخ الذين ذهب روائهم وذبلت أجسامهم . وهي لم تكن سلعة في سوق الغرام تباع وتشري .

وأعرب حافظ ، ومن قبله أبو نواس ، عن عدم اكتراثه باللاحين والناصحين . ثم أغرق في خمرياته فحسب النهار الذي يخلو من الشرب يوماً ضائعاً من أيام العمر



وصفحة بيضاء من صفحات الحياة . ثم يقول :

أَفَحَثَّمْ عَلَيَّ أَنْ أَهْجَعَ اللَّيْلَ      وتَأبَى أَنْ تَهْجَعَ الْأَوْطَارَ  
وَلَمْ النَّوْمَ مَا وَجَدْتُ حَبِيبًا      هَمَّهُ اللَّيْلُ شَاعِرٌ وَعَقَارٌ؟  
وَلَمْ الصَّحْوُ، وَالْحَيَاةَ شَرَابٌ      وَنَدِيمٌ وَقَبْلَةَ وَحْوَارِ  
وَلَمْ الصَّبْحَ إِنْ تَجَهَّمُ يَسْرُومِي      وَكَفْهَرْتُ بِوَجْهِهِ الْأَنْوَارِ؟

كلّاً، أيها الشاعر، إنّ الليل حبيب الشعراء فتمتع به ما شئت وارشف من قبلات الحبيبة والكأس ما وجدت إلى شفاها سبيلاً. ولتكن الحبيبة كما تشتهي وتتمنى، جنة في عينيك وجحياً في أحداق سواك من النظّار. ولتكبح الشوق الجامح في فؤادك، ولتتعرف إلى شعورك من وراء أبيات الشعر التي توجيها إليك .

أجل، أيها الشاعر، أنشد أغانيك وتمتع بالحب والحياة، وردّد قولك :

رَبِّ حَسَنَاءَ مِنْ بَنَاتِ الشَّقِيقِ      يَزْدُرِي حَسَنًا لَوْنَهَا بِالْعَقِيقِ  
مَزَجْتَ رَطْبَ لَوْلُؤٍ بِرَحِيقِ      وَتَحَسَّنْتَهُ مِنْ فَمِ الْإِسْرِيْقِ

والحشا بعد ظمىء حران

وصحان نائم القرنفل فجرا      فانبرى للزقاق حليباً وعصرا  
كلما رقصت به الجراح سكرًا      خنق الزق وهو يقطر خمرًا  
فتنذت شفاهاه والبنان . . .

وهكذا ينعت حافظ الخمرة ويثني عليها كما أثني من قبله أبو نواس وغير أبي نواس . ومثلها قال أبو نواس :

يَا رَبِّ، إِنْ عَظَمْتَ ذَنْبِي كَثْرَةً      فَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنْ عَفْوِكَ أَعْظَمُ  
ومثلها قال أبو نواس في التوبة والندم، قال حافظ جميل :

غَفِرَ رَأْسَكَ، اللَّهُمَّ رَبِّي      لكبير معصيتي وذنبتي  
تَابَعْتَ غَيْبِي سَادِرًا      بين الغمّ وَاةٍ فَجَلَّ خَطْبِي  
وَأَمَرْتَنِي بِالصَّالِحَاتِ      فَأَعَمَّتِ الشَّهَوَاتُ قَلْبِي  
وَتَرَكْتَنِي، وَأَنَا الضَّعِيفُ،      حَلِيفَ أَسْقَامِي وَكُرْبِي  
وَمُنْحَتَنِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ      فَكُنْتُ تَعَزُّزِي وَطَبِّي  
وجعلت من فزعني لديك      مزيداً أشواقني وحبي . . .

ومهما يكن في شعر شاعرنا وخرياته من تجديد وتقليد فإنه شاعر غمر البديهة، صادق اللهجة، عذب الجرس، ناصع البيان، وحسبه ذلك مرتبة بين شعراء العصر.

## علي الخطيب

الشاعر المبدع علي بن محمد جميل بن عبد القادر الخطيب ، وهو أخو المفتي عطا الخطيب . كان أبوه رئيس بلدية بغداد أمداً قصيراً ، وقد ولد شاعرنا في بغداد سنة ١٩٠١ ودعي «شوكت علي» . درس في دار المعلمين الابتدائية (١٩١٩-٢١) ثم تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٧ . وظف في وزارة العدلية ومحكمة التمييز ، وعين ملاحظاً للمطبوعات في وزارة الداخلية سنة ١٩٣٠ . ونقل في السنة التالية ملاحظاً في ديوان مجلس الوزراء ، لكنه ابتلي بمرض عصبي اضطره على ترك الوظيفة (١٩٣٣) وأقعه عن العمل وألزمه العزلة . وعين بعد ذلك موظفاً في مديرية الشرطة العامة (١٩٣٨) ودعي في ايلول ١٩٣٩ إلى الالتحاق بدورة ضباط الاحتياط . ثم انطلق من قيد الوظيفة فكان مديراً مسؤولاً لجريدة العراق وجريدة الاخبار .

وعاد إلى الوظيفة سنة ١٩٦٣ ملاحظاً للحقوق في مديرية السياحة والاصطياف العامة إلى ١٩٦٦ . وانزوى في عقر داره في أعوامه الأخيرة حتى وافاه الأجل في بغداد في أواسط شهر ايار ١٩٧٧ .

نظم علي الخطيب شعراً رائعاً في الاجتماع والوطنية والوصف والغزل . وكم ألقى من قصيدة صارخة عرضته لسخط الحكومة ونقمتها وهو موظف في دواترها العدلية .

علي الخطيب شاعر الغزل ، من المرأة التي يصفها ويتغزل بها؟ - انها ليست الفتاة الغامضة ، الحية الجريئة ، القابضة في خدرها والتي ، على الرغم من ذلك ، لا تخشى الحب والمغامرة ، تلك التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة :

أشارت لأختيها : أعينا على فتى أتى زائراً ، والأمر للأمر يُقَدَّرُ  
انها ليست القينة العابثة اللعوب التي يقول فيها أبو نواس :

نضت عنها القميص لصبّ ماء فورد وجهها فرط الحياء  
ويقول :

يطمئني لحظها ويؤيسني باللفظ منها فؤادها القاسي  
وهي ليست الفتاة الرمزية التي يردد ذكرها الزهاوي ، ولا الخطيبة أو الزوجة التي يومئ إليها الهنداوي في قصصه الشعري ، ولا المرأة التي يدافع عنها الرصافي ويحكي مأساتها فيقول :

تبسّم حيناً ثم تجهش بالبكا فمن لؤلؤ تبدي ومن لؤلؤ تذرّي  
كأنّ تلاميح الأسى في جبينها بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

وهي بعد ذلك ليست الكاعب الفاتنة المتحررة التي يهيم بها نزار قبّاني أو تهيم به في التعبير الأصحّ . فمن المرأة التي يتغزل بها علي الخطيب؟

إنها الفتاة العراقية النافرة الخفيرة - فتاة سنة ١٩٣٠ التي لم تكد تسفر عن جبينها وتظهر أمام الرجال ، فهي تخفي جمالها ودلالها تحت نقاب من الوقار شفاف ، وهي تدير وجهها لتبتسم خوفاً من النظرات والأقويل . هي واحدة من سرب يخرجن معاً إلى النزهة ليزددن جسارة ومنعة .

يقول علي الخطيب في موشحه «عند اللقاء» :

أقبل الغيد على الجسر مساءً سافرات

بقدود مائسات

وخطى متزّئات ،

مشرقات القسيات ،

فرحات ، مرحات ،

فانثنى الصحب وحيّوا الصاحبات القاديات

بوقار وأناة

ووجوه ضاحكات

وعيون خاشعات

وقلوب خافقات

فتلقين تحايانا بأحلى الحركات

من رؤوس مومثات

وثغور باسيات

ناظرات ، مغضيات ،

فتها مسن ببعض الكلمات . . .

ثم تابعن الخطى في خفر محتشات

لكنّ شاعرنا يلقي الحسناء التي تعبت به وتُدبّل عليه ، وتأخذه بالجذب والدفع ، وتطالعه بالإعراض والرّضا ، وتبعده ثم تدنيه ، وتكلمه وتزوّر عنه ، فيصفها قائلاً في «وصل وهجر» :

تكايدني الحسناء في شغفي بها	فلا تتحاماني ولا هي تسلس
تجاوزني حتى إذا مسأ طلبتها	تناءت صدوفاً وهي بي تتفّرس
فأبهت ، لا أعدو مكاني ، وتنثني	إليّ ، فاستبقي أنسائي ، فتانس
أقارها مستبشراً في تهيب ،	أمدّ يدي من عطفها أتلّمس

خفـسوق، وفي نفسي التظنن يهـجس  
أنطت يـدي الأخرى بها أـحمس  
فما عدت منها خيفة أتـوجس  
فلان، وكانت عند ذلك تهمس :  
تهدم ما بيني الهوى المتحمس  
وجادت بما أخفى الرضا المتحرس  
على ظمأ، والشوق أحلى وأنفس  
فلا الوصل موصول ولا الهجر مؤيس

وعيني بعينها تلـوذ، ومهجتي  
أتأبى، أتـرضى؟ لست أدري، وإنما  
فأنست من طلق المحيا بشاشة  
فأذيتها حتى ضممت قوامها  
أخاف إذا واصلت منك قطيعة  
نظرت إليها في عتاب فأعتبت  
فكان عناق وإرتشاف، ولم نزل  
وظل هوانا بين لقا وفرقة،

ان في هذه الأبيات لنفس من أنفاس ابن أبي ربيعة، لكنه نفس معطر بشذا حضارة العصر. ولئن كان شوقي قد أوجز رواية الحب في بيت واحد :  
نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعده فللقاء  
ان الخطيب قد فصلها في اثني عشر بيتاً من الشعر الرقيق الطريف، المتماوج المتوهج .

وقد قرأ علي الخطيب رواية الزبقة الحمراء لأناتول فرانس، وقرأ «أناتول فرانس في مبادله» في ترجمة شكيب أرسلان، فظل معجباً بالروائي الفرنسي العظيم وببطلات حبه وقصصه، لا يفتأ يردد ذكرهن ويكبر هيامهن ويشيد بآثرهن ومحامدهن . ولست أعلم مقدار أثر ذلك في شعره، لكنني أعلم أن أثر ذلك في نفسه بليغ كبير: فهو يعظم الحب ويتبهيبه ويشفق على نفسه منه . ألا يقول في «تساؤلات» :

وما للفؤاد، إذا لاقتني، يجب  
وما لجسمي إذا صافحتني بيد  
إن ضمنا مجلس فالصمت يشملني  
إني أحس التيعاء ناره اتقدت  
هذا هو الحب أو هذي بواده  
وما لنفسي، إذا ما غبت، تكتب؟  
سرت به هزة عجلي فأضطرب؟  
مشئت الفكر مشدوهاً، فما السبب؟  
ما بين جنبي أخفيها فتلتهب  
ولست تدرين ما ألقى وأصطحب ا

وهو ينصح قلبه أن يجتنب الحب فيقول :

هو الحب لا يبقى على المرء قلبه  
فيا قلب، لا تحمل من الحب لوعة  
أراك كفرخ بين فرعاء والهوى  
فأني أراه اليوم للقلب قاتلا  
خفاة أن تغنى بما كنت حاملا  
كريح إذا هبت تطوحت عاجلا

وهو يرى الشاعر أسير الحبّ وضحيتّه فيقول :

وما الشاعر المفقود إلا متيم  
فبيننا يرى والدمع ملء جفونه ،  
وبيننا يرى بالبشر يطفح وجهه ،  
وكم نوبة تتأبّه عصبيّة  
وكم تعذيبه حادثة من صغيرة  
إذا هم في خبث تلكأ وافيّاً  
ملاحظه تبدي كواتم صدره  
فيالك من طفل كبير يعوزه  
له عالم من نفسه متحدّر  
خيالاته شتى إذا ماعدتها

### الرقص :

نظم علي الخطيب قصيدة لطيفة «في ردهة الرقص» طبعت في كراس خاص سنة ١٩٥٠ . والرقص فنّ قديم عرف في الشرق والغرب ، وقال الشاعر الفرنسي ألفرد دي موسيه (١٨١٠ - ١٨٥٧) Alfred de Musset :

«إنّ شهر آذار يشهد تفتح الزهور، وحينئذ تزيد المراقص جهوراً وتطيل معازفها .  
فترتمي الراقصة بين يدي مراقصها في استرخاء أكثر، وتشدّ العيون جرأةً، وتقلّ الشفاه  
بخلا، ويشمل الراقصون تعباً، ويطفح القلب هيماً» .

ثم يقول : «أيتها الجنّية الألمانية ذات الحذاء الذهبي ، يا قينة الرقص ، يا زهرة  
الشعر، من ذا الذي يستطيع أن يتغنى بقدميك الماهرتين في إيقاعهما وأسرارك الإلهية  
التي يجهلها السّدج؟ وأين في زماننا شاربو رحيق الآلهة الجديرون بنسيان أنفسهم بين  
ذراعيك المعبودتين؟ . . .»

وقال معروف الرصافي في قصيدته «ليلة في ملهى» يصف راقصة :

وتجلّيت في مسرح الرقص حتى  
أقبلت تنشي بقصد رشيق  
قضرت منه كُمّه عن يديها  
حبس الخصر حيث ضايق ولكن  
أرقصت بالغرام من القلوبا  
ألبسته البرد القصير قشيبا  
وأطالت إلى النهود الجيوبا  
أطلق النحر بادياً والتريبا  
في حشا القوم جيئةً وذهوباً  
خطرت والجمال يخطر منها

وعلى أرويس الأصابع قامت  
وقال خليل مردم بك شاعر الشام (١٨٩٥ - ١٩٥٩) من موشح في الرقص:  
نفخ الصور فهبوا مسرعين  
وعلى الصهباء كانوا عاكفين  
تتخطى تبخترًا ووئوبًا...  
مثلها نقرت طيراً بالصفير  
من رأى سرب قهاً حول غديراً؟

\*\*\*

كم فتاة فتنة بالقلتين  
جئت الشعر إلى السالفتين  
أخذت من ذيلها للركبتين  
ومن الكمين حتى المنكين  
من عراء واكتساء بين بين  
وفتى من حسنه ملء العيون  
هو لو لم يتخذ زي «الذين»  
واعتدال القد والجيد التبع  
فاستبدت بابن هاني والصريع  
ومن الطوق إلى أقصى الضلوع  
فبذت في درعها غير المنيع  
بل من الحسن بجلباب بديع  
حسن الفتنة كالظبي الغرير  
عُدَّ من حزب «السواقي» في الأثير

\*\*\*

كلّ الفين انضوى شملها  
لو صببت الماء ما بينهما  
علقت كفت بكف منها  
ودنوا الخدان من بعضهما  
وعلى الانغام كانت لهما  
رقصا شتى ضروب وفنون  
بينما عومها عوم السفين  
أقبلا فاعتنقا أي اعتناق  
لم يكسد يخلص من فرط اعتناق  
شركاً واختلفت ساق وساق  
حينما الجيدان هما بالتلاق  
خطوات باتزان واتساق  
من ديبب خافت أو ذي صرير  
إذ هما بالحجل كالطير الكسير

ثم يصف سكرهما بالمدام والغرام والشباب وامتزاج الأنفاس واعتلاج تباريح الغرام.

أما الشاعر عدنان مردم ابن خليل مردم فيصف راقصة (الباليه) فيقول:

سطعت في عبقرى من صباها  
فتن في كل قلب أيقظت  
حركات الموج في أشكاله  
ضربت كالنسر في أجنحة  
أين منه الشمس في رآد ضحاها؟  
فتناً للشرق ما أومت يداها  
حققت أشكاله نسجاً خطأها...  
للهموى وانطلقت دون هواها

كـرياح عصفـت ملء رباها . . .  
 لمدى يقصر شأواً عن مداها  
 عاصف يلهب من حمى لظاهها  
 كشعاع وانثنى طوع مناهها  
 كدرارٍ يسحر العين سناها  
 مثل أنعى تتلووى في سراها . . .  
 كست الفن فتوناً وكساها  
 بخطاها، إنه وحي صباها

وانبرت تفتل في حلبتها  
 عمدت تجري على ابهامها  
 وانثنت عاصفة في قطب  
 كل عضو شع من أعضائها  
 لطفت أعضاؤها واتسقت  
 تلتوى منسابة في شاسع  
 حسبها ما حققت من صور  
 ليس رقصاً ما جرت ترسمه

وقال الشاعر الضابط المصري محمد توفيق علي (١٨٨٧ - ١٩٣٧) من قصيدته في

«مصيف الرمل» :

بـارك الـرقص لها سببها  
 ثم دارا دورة خبيبا  
 انما قلبهاهما ضربها  
 وهي في أحضانها جذبا  
 ثغره من ثغرها قريبا  
 في خفوت يبعث الـريبا  
 ليس إلا موعداً ضربها  
 أنا أهواك، وقد كذبها  
 وهي تهوى المال والنشبا . . .

ربّ مشغوف بغانية  
 ضمها شوقاً مخاصرة  
 كفها في كفة سكنة  
 كلما هاجت لواعجه  
 صدره في صدرها نشبا  
 واختلاسات حديدهما  
 ما الذي قالت وقال لها؟  
 ربّما قالت تناظره:  
 هـوى كل راقصة

وقلت في وصف راقصة :

«فهي إذا ما اعتلت خشبة المسرح وانسابت في حلقة الضوء المسلط عليها في الظلام الخافت، تجردت من ذاتها البشرية وأصبحت طيفاً نورانياً متموجاً أبلغ في تعبيره وأدائه من الموسيقى التي ترافق حركاته . وكان المشاهدون يؤخذون بسحر رقصها فينسبون الزمان والمكان ويذهلون عن سماع الأنغام الموسيقية، ويشخصون بأبصارهم وكل جارحة من جوارحهم إلى ذلك الجسم اللدن الذي يتمدد ويتقلص، ويتلوى ويتثنى وينعطف ويعتدل، ويتقلب ويتراخى، ويتدافع ويتماسك، ويتهافت ويتهايل ويتخايل ويدور، وإلى الرأس المتعالي والمتهاوي، والجيد المشربب والمتلقت، والنهد النافر والضامر، واليدين المتموجتين والساقين المترجرتين والرجلين المتقاربتين

والمبتاعدتين ، والأقدام المتطاولة والمتقوسة والمنبسطة في ايقاع رائع أخاذ . لم يكن ذلك رقصاً بل تعبيراً فنياً ينطق تارة بالحزن ، فإذا النظارة تنفطر قلوبهم كمدأ وأسى ، وطوراً بالفرح ، فإذا هم لا يملكون نفوسهم بهجة وسروراً . ولقد ينطق أحياناً بسكرة الحب ولوعة الشوق وحرقة الوجد وعذاب الشك وسعادة الثقة والإيمان ومرارة الوحدة والحرمان وغباوة الدهول والنسيان وعبث الطفولة وغرور الشباب ووقار المشيب ولذة الحياة ووحشة الموت وفتنة الجمال وذلة البؤس والشقاء وعدوبة الأحلام الجميلة وقسوة القوة الجامدة وحياة الفتاة البريئة وصلف الغانية المتغنجة . . . »

وقال الشاعر الفرنسي ألفرد دي فنيي (١٧٩٧ - ١٨٦٣) Alfred de Vigny :

« ارتجف القيثارة وأرسل المزمارة أنينه ، فقد انطلق الرقص في مملكته الدائرية .

وبهرت العيون الأزواج العابرة ، وطاروا متشابكين في دوائر رشيقة .

وقفوا وقفات ينتظمها الإيقاع ، وازدهوا بزيتهم إذ عكستها المرأة ، ثم اندفعوا ثانية ، وتعثروا بأذيال جمعهم الضاحك ، فكانت حركاتهم أقل مهارة ، وكان تزاحم وصخب وضجيج .

وثملت الراقصة بحماسة المهرجان ، فبعثرت في مرورها الأزهار التي تكلل رأسها وسحقتها بالأقدام ، واستسلمت إلى الذراع الذي يسندها ، ودارت وقد شحبت لونها ، وخفضت أنظارها إلى صدرها الخافق . . . »

وقال الشاعر الألماني هنريك هيني Heinrich Heine (١٧٩٧ - ١٨٥٦) :

« يا ملاكي النبيل ، لا تكفني عن الرقص ، فرقصك القادم من عالم الأحلام بلسم حاني لجراح نفسي وخير دواء لسقم جسدي الذي أنهكته الأعوام » .

وقال أحمد شوقي يصف حفلة راقصة في قصر الخديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٦) :

يا ليلة (البال) ما خالوك راقصة	الآ وأنت جمال الدهر والحقب . . .
أهاجها هائج الألحان فانعطفت	مثل النسيم سرى ساريه في القصب
ودارت الراح بالأجياد مثقلة	بالخلي فاستسلمت من شدة الوصب
وبالخصور فمن وإه ومن قلبي	ومن سقيم ومن فسان ومن تعب

ولكن لنعد إلى قصيدة علي الخطيب . ويصح القول ان هذه القصيدة تمثل فنّ شاعرنا ، فهي شريط سينمائي بطيء الحركة يسجل كل خطوة وسكنة ونأمة في حلبة الرقص . يدخل الشاعر إلى ندوة القصف واللهو فيرى الحسان يخطرن فائنات ويعطرن الجو بالبهجة والصبا والجمال . شفاهنّ الحمر كالورود ، وأعناقهن فوق الأكتاف العارية مشرّبة إلى المرح والاستمتاع :



منصرة المرأى، مصففة الشعر  
لدى أعين نجل، لدى أوجه غر  
أزاهير حمر في أضماميم من نور  
وكشفن عن أعلى المتون إلى الخصر  
وكنّ بما أظهرن في رونق مغر  
أساور من مايس، قلاند من در  
كما شاءت الأرياء من بدع العصر  
نسبن القدود الفارعات إلى السمر  
بنات خيال ماخطرن على فكر  
فولّى ظلام الليل من طلعة الفجر  
تنقل بين البيض والسمر والشقر

تهادي حسان الحي في ردهة القصر  
يفضن شباباً في فتون وبهجة  
كأن الشفاه الجون بين صفيحها  
نواهد أبدين الترائب والطلّى  
وأبرزن أكتافاً وعزّين أيدياً  
على البشر البضّ الغضير تألقت  
جوارحهن الكاسيات موائل  
محاسن أعضاء تناهى انسجامها  
تأنفن في زيناتهن عرائساً  
فأشرفن والأنوار في كلّ جانب  
وظلّت عيون القوم فيهن رتعا

وقد جلس حول الموائل الغيد والفتيان، وتلامست الاقداح، وتمايل الندامي بين  
الصحو والسكر، وتبدلت الأحاديث العذبة كقطرات الطلّ المتساقط، وتردّدت الألحان  
وتماوجت في رقة وانسجام تدعو السامرين إلى الرقص على نغم الموسيقى الذي يعلو  
ويهبط، ويشتد ويلين، ويثن ويهدر. . . وانتظمت الحلقات، وسلّمت كلّ عادة  
قامتها إلى صنوها في نشوة من الفرح والحبور.

فطوراً بها يجري وطوراً به تجري  
وكفت إلى كفت، وكفت إلى الظهر  
تسايره الهيفاء بالكتر والفز  
فهذا على طور وهذا على طور  
نظام يسود الراقصين بلا أمر  
تشايح ايقاع المعازف والنقر  
يروح مع الأنغام كراً على كراً  
إلى جولان يستدير على حذر

وما اتحد الصنوان حتى تدافعا،  
يمور بها، والصدر بالصدر لاند،  
ويقبل حيناً ثم يدبر تارة  
يرى الحفل فوضى بين غادٍ ورائح  
عجبت لفوضى يستتبّ خلالها  
يسدورون مثنى والخطى تتبع الخطى  
يجولون جولاً يتدي حيث ينتهي  
فمن دوران يستقيم ويلتوي

ثم يرى الشاعر بين جمع الراقصين زوجين يسترعيان نظره فيصفهما قائلاً:

توقف منه الراقصون عن السير  
طليق على قيود، يسير على عسر  
بها ذاهباً نحو الأيمان واليسر

وصنوين جدّاً فاستقلاًّ بحيّز  
وشيكاً ومهلاً يمضيان، سراهما  
وبيناهما يرتدّ عجلان ينثني

وفصلها عنه فتأى وتدني،  
تدور حوالبه فيرعى مدارها  
يعلق احدى راحتيهما بكفه  
وما انفلتت الا استدارت حباكاً  
تلف بساقيهما الدلازل ان ونت  
إلى صنوها الساعي اليها مراقصاً

ويلحظ الشاعر حركات الراقصين ونجواهم فلا يفوته تسجيلها :

ترى حركات الراقصين كثيرة  
فمن همسات لست تبلغ كنهها  
أبقيا على ود؟ أوعداً، أدعوة؟  
ومن لفتات تستبيك رشاقعة  
سواحِر تبدي المبهات من المنى  
غموض كأطوار الملاح مخبر  
إذا لم تحدا عما أسرت وأهممت

ولا ريب ان هذه القصيدة من القصائد الفريدة في موضوعها وسلسالها ووصفها  
الطلي الدقيق لا في الأدب العربي وحده ولكن في الآداب العالمية قاطبة .

في الطريق :

ان شعر علي الخطيب لا يمثل مرحلة من مراحل تطور الشعر العراقي فحسب، بل  
يمثل ايضاً مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي : فقد لقي ثلاثة شعراء - كل في عصره -  
فتاة في الطريق ، وهو يسير الهوينا في بغداد ، تلك المدينة التي فيها للمشاة دروب ، كما  
قال جميل صدقي الزهاوي . قال أولهم ، معروف الرصافي :

لقيتها في الطريق عابرة  
أعجبها منظري وأعجبنني  
فصار قلبي بالحب يأمرني  
وحين مرت والشوق يسكرني  
لقتُ جيدي أرى أنتظري  
فقلت ، والشوق في ملتهب :

يهصر من قدها تبخرها  
بالحسن عند اللقاء منظرها  
وقلبها بالغرام يأمرها  
بخمرة تارة ويسكرها  
والفتت لي ترى أنظرها  
إن عذرتني فسوف أعذرها

وقال الثاني، علي الخطيب:

لعيني لاحت غسادة، فتلكأت  
على النظر العجلان همزت مشاعري  
أرى الشعيرَ المركوم فوق جبينها  
نجا عيده كالتاج من فوق بعضها  
ها الأيمن النجل اللواتي، إذا زنت،  
على شفيتها رفّ روعي محوّمًا  
لقد خطرت تحت العباء فعبرت  
نجلّي المحيّا في دجاها، فزانه  
تلفعت صوناً أم تلفعت فتنة؟

وكان الثالث مير بصري (مؤلف هذا الكتاب) فقال:

بسمت لي مدلّة في الطريق  
ومضت ثممل الفسّود أسيراً  
أن قلباً يتساجه اللحظ وجداً  
وقال أيضاً:

لبست سراويل الرجال تأنفقاً  
هيفاء أولتها الأنوثة رقة  
خشع الطمريق، كأنها هو أعين  
أجميلتي، رفقاً بفتنة كاعب  
فأجابت الحسناء، وهي مدلّة،  
إني رأيت من الزمان خشونة

وقد طرق هذا المعنى شاعر الحياصة القديم، رأى الحبيبة الحسناء تعرض عنه وتمضي في سبيلها، ثم تلتفت إلى الوراء لتنظر إليه، فقال:

وتما شجاني أنّها يوم أعرضت  
فلما أعادت من بعيد بنظرة  
تولّت، وماء العين في الجفن حائر  
إلى التفاتاً أسلمته المحاسجر

وروى شاعر الغزل الرقيق عبد الله بن الدمينه، المتوفى في نحو سنة ٧٤٧م، أنه لحق بالحبيبة ودونها صاحبها الجبار الغيور، فلما دنا منه وسلم عليه ردّ السلام مغتاضاً كارهاً.

ثم يقول :

فسايرته مقدار ميل ، وليتني  
فلما رأت أن لا وصال وأتته  
رمتني بطرف لو كميأ رمت به  
ولمح بعينيها كأن وميضه  
بكرهي له ما دام حياً أرافقه  
مَدَى الصُّرْمِ مضروب علينا سُرادقه  
لُبْلُ نَجِيعاً نَحْرَهُ وبنائقه  
وميض الحيا تُهدى لنجد شقائقه

ويا لها نظرة فتتك كالسهم القاتل وتحبي كالغيث الهاطل .

أطلال بابل :

أكثر الشعراء العصريون في العراق ومصر وسائر الأقطار العربية من وصف الآثار القديمة والاشادة بذكرها والتغني بالأهرام وأبي الهول وبابل ومدائن كسرى . وقد ثار على الخطيب على هذا الشعر كما ثار أبو نواس على الوقوف في الأطلال الدوارس والبكاء عليها . قال أبو نواس :

ودار ندامى عطلوها وأدجوا  
مساحب من جرّ الزقاق على الثرى  
بها أثر منهم جديد ودارس  
وأضغاث ريجان جنّي ويابس

لقد سخر أبو نواس من الباكين على الطلول وسفه أحلامهم وذكر مغاني الانس وملاعب البهجة والسرور ودور الخمر التي جمعت الندماء والظرفاء ، ثم خلت من أصحابها وتفرق شملهم ، فحنّ إليها وردد ذكرياتها ورسم صورها وأخبارها .

واستعار الخطيب الوزن والقافية وكسر الروي المضموم فقال :

أمننا ديار الغابرين ببابل  
ولم توح لي ما كنت أرجو وإنما  
ركام من الأحجار فوضى شتية  
وقفت أراعي ما استقرّ وما عفا  
كأنّ نجاد الأرض دون وهادها  
كأنّ ركود الماء أصفّر أسناً  
ولم أر من صرح أقيم مـمـرّداً  
ومالنت ذهني إليها عجيبة  
هنالك أنقاض ترامت على الثرى  
وذو أربع من تحته نام ذوئني  
تعاودنا الريح السموم خالها  
فلم نرّ فيها غير خاوي وطامس  
عرائس أحلامي انطوت بالدوارس  
عرضت لها ما بين ضحل ويابس  
وبالنفس قامت موحشات الهواجس  
غضون بوجه الحادثات العوايس  
صديد بجسم الأرض قنسد الملامس  
ولا من ميسادين ولا من مجالس  
ولا راقني فيها بديع النفائس  
وحيطان قامت مثل سور المحابس  
ومالهما من سحنة وتجانس  
وقد عقّرت حتى خبي الملبس

فأساعنا مكدوشة بصفيرها  
 طول وإعصار وشمس ووحشة  
 لقد أقفرت حتى خلت من أناسها  
 وما هلك السكّان لكن ترخّلوا  
 فظلّت خلاءً في تقادم عهدها  
 ولو لا فضول بالطّباع مركّب  
 ولم تتعود غير همسة هامس  
 ونحن بها مــــابن لاهِ ودارس  
 فليس بها من مــــونق أو مــــؤانس  
 إلى غيرها من طبيّات المغارس  
 إلى أن عفت مطمورة في البسابس  
 لما نُبِشتْ أثار ماضٍ ودارس

وكذلك خالف علي الخطيب شعراء عصره، فلم ير في اطلال بابل عظة نافعة ولا ذكرى جاذبة، لم توح إليه بعظمة الماضين ولا تطلع الحاضرين. وقد استغرب كيف تُنبش آثار الماضي المندرس وتخرج إلى النور بقايا الدول المنقرضة، فكأنه فكّر، كما فكّر من قبله معروف الرصافي، ان الدهر جدّد للموتى مناقب لم تكن لديهم، فعظّم الناس القبور وتناولوا سكانها بالمدح والاطراء. قال الرصافي:

سقى الدهر للأموات غرس مناقب  
 أرى كلّ ميت ما تقادم عهده  
 فأقرهم عهداً أقلّ غضاضة  
 إذا شطّ جيل خطّ من جاء بعده  
 يميّن فظل الغرس ينمو فيسوق  
 تقام له سوق الثناء فتفتق  
 وأقدمهم عهداً أغض وأسمق  
 أكاذيب عنه بالثناء تُزوَّق

من غزليات علي الخطيب:

### إلى الحبيبة

أحبك حبّاً ليس ينسى ويحسد  
 أحبك حبّاً في فنون كثيرة  
 أحبك لو أقبلت خُوداً رشيقة  
 محيّاك ميمون المطالع مشرق  
 ولحظك فتّان وأنفك أسنع  
 وشعرك مصفوف الأفانين مرسل  
 أحبك لو لفّ القوام غلالة  
 أحبك غضبي في فنون ورقّة  
 أحبك لو وليت وجهك جانباً  
 ومهما يكن فالحبّ عندي مخلد  
 وأزياء في ألوانها تتعدّد:  
 لها مثل ما للورد طيب ومشهد  
 تحوم حواليه عيون وأكبّد  
 وثغرك مفتر وجيدك أغيد  
 غدائر سبط بعضه ومجمّد  
 تريني من الأعضاء ما يتجسّد  
 فأسعى إلى استرضائها أتودّد  
 كأن لم يكن بيني وبينك موعّد

أحبك حباً زاده الين لوعوة  
 كأني وهذا الحب يشتد صارخاً،  
 أحبك حباً تخوفت أن يُرى  
 فكنت حريصاً في التكتّم، انما  
 نحول بجسمي واصفرار بسحتي  
 أحبك حباً ما ارتشفت رحيقه  
 أحبك حباً سلسبيل فراتيه  
 أحبك حباً دانيات قطوفه  
 وقفت على حبيك ما ملكت يدي  
 أحبك حباً جلّ شأناً عن الهوى  
 أحبك حباً عبقرياً مؤتياً  
 وحباً وديعاً هادئاً مترقياً  
 تريدني أن ألزم الصبر وادعاً  
 لئن تصرمي جبلي ففي الذكر موئل

فكان عنيفاً ثائراً يتجدد  
 خضم به هوج الرياح تعريد  
 فيغمزه الواشي الذي يترصد  
 ينم على المكنون ما ليس يجحد:  
 وأهات أشواقي تصوب وتصعد  
 على أنه زادي الذي أتزود  
 يشرّ وأني الظّامىء المتوجّد  
 على قربها منّي تناءى وتبعد  
 وما يحتوي أمني ويسومي والغد  
 به النفس من أدرانها تتجرّد  
 بوضع من الأوضاع لا يتقيّد  
 وحباً جنونياً يغار ويحقد  
 وما أنا بمن للسكينة يخلد  
 يخفف من حزني الذي يتجدد

## حال ومآل

جلّ خطبي ومما إليك سبيل  
 كم مشير إليّ يسأل عني:  
 لست أدري ما راعه غير أني  
 أنهادي في مشيتي كالسكارى  
 لي من طيفك الحبيب مـلـلـاذ  
 أن يوماً لقياك تسنح فيه

فلمن أشتكي ومما إذا أقول؟  
 أفهـلـدا متيّم متبـول؟  
 ساهم الوجه قد براني النحول  
 يعتريني كآبـة وذـهـول  
 من شجون على فؤادي تصول  
 غرر الدهر دونه والحجول . .

## قضي الأمر

قضي الأمر وانتهت أيامي  
 أنا من ظلّ في الحياة شقيماً  
 أنا من ظلّ عاشقاً يتفاني  
 أنا من أنشد الحبيبة شعراً

وتلاشى ما كان من أحلام . . .  
 يتأسى بالوحي والإلهام  
 بالهوى الجهم والهوى البسام  
 رائع النّسج، عقبـري الغرام

ومقامي لـديك غير مقام  
 أنا منها أشفى عليّ حمامي  
 وابتلاي بالفقر والأسقام  
 واشتداد الخطوب في إيلامي  
 وتبينت مـوطيء الأقدام  
 وترفعت عن لجاج الخصام  
 وطريقاً شققت وسط الزحام  
 ناجحات ولا بلغت مرامي  
 لك منّي تجيتي وسلامي

ثم صار الزمان غير زماني  
 وتوالت عليّ سود الليالي  
 ثم ساءت مع الزمان شوّوني  
 ثم لان الزمان شيئاً فشيئاً  
 فتنفست في صباح الأماني  
 وتماسكت في مجال المنايا  
 وتدافعت في زحام المعالي  
 وإذا بي مضيع، لا المساعي  
 غير أني أقول، والقلب دام

### كيف الحال؟

لا تعرف الأفراح والأحزاننا  
 تستقبل الأحرار والعبداننا  
 تستصحب الجبناء والشجعاننا  
 تتقبل الأضداد أيّاً كانا  
 تترى فما مسّت لها أذناننا  
 لم تلتفت يسراً ولا إيماننا  
 سيان إن هو قد قسا أو لاننا  
 ما إن تبالي عزّ أو إن هاننا  
 لا تطلب الإيضاح والبرهاننا  
 والوضع يستدعي لها البهتاننا  
 فبقيت منها مشفقاً خشياننا . . .  
 حسناء حالية حلّى أفناننا  
 ووصالها وصدودها أحياننا  
 تتعرّف الأحوال والأزماننا . . .  
 قد أتعبتني فكرة ولساننا  
 فظلتت منها واجماً حيراننا

حال . . . كما شاء اللئام بليدة  
 ما ميّزت شرّ السورى وخيارهم  
 بلهواء سائرة بغير رويّة  
 سحقاً لها ما استحسنت ما استقبحت  
 من حولها الأحداث في ضوضائها  
 كالطّود راسخة فقرّ قرارها  
 العيش عيش ليس تبلو طعمه  
 مغمورة فيه على علاته  
 وإذا تجمّعت الشكوك حياها  
 قد تستقيم صريحة لا تلتوي  
 مغرورة لا تتقي ما يُتقى  
 شمطاء عاطلة وكنت أريدها  
 بخلالها ومقالها وفعالها  
 برواحها وغدوها وقرارها  
 ما كنت أحسبني أناضل حالة  
 فلکم رأيت المخزيات وأهلها

لو لم تكن لي في النضال بقيّة للزمت حالاً فاتت الحسابنا

## ظلم

تخبّطت في ليل من الظلم حالك  
إذا سدّدت لي ضربة وأتقيتها  
فإن أنأ عن سوح الخصام مسالماً  
إذا نافسوني في طريقي تركته  
لعلّي أغدو من أذاهم بنجوة  
كبحت جراح النفس حتى ملكتها  
فأرسلتها هوجاء غضبة حائق  
أرى الناس ما عاشوا نفوساً ضعيفة  
أرى الناس ما عاشوا نفوساً ضعيفة  
تلمّست في دنياي سلماً فلم أجد  
أحوض غمار الناس لو كنت مثلهم  
وحيد غريب لا صحاب ولا حمي  
وأعجب شيء في بلاد رأيت به

## وزن وقافية

لم يبق عندي من حول أدود به  
ما يصنع المرء في وزن وقافية،  
ولا قرار له في ظل موطنه  
يسعى ولا أمل يحدوه في عمل  
ما شاء من عمل الأ وضععه  
فالعيش مضطرب والكسب ممتنع  
بلواه بالغة شكواه صارخة  
حرّ يناضل دون العزّ مضطهداً  
خابت مطامحه، ساءت عواقبه،  
فما انتفاعي من وزن وقافية؟  
أين المفّر، ومالي من يعاضدني

إلا كلاماً مقفياً وهو موزون  
والظلم من حوله والكيّد والهون؟  
وليس تؤويه دور أو ميادين  
مصيره بيد الأقدار مرهون  
من المصاعب تحريك وتسكين  
والعقل في حيرة والجسم موهون  
لم يلفه الناس الا وهو محزون  
ولا قوانين تحميّه ولا دين  
صفر اليبدين وفي دنياه مغبون  
حتى المقاييس ضاعت والموازين  
لي الملائك خصم والشيطانين



ولا المجالس تجدي والسداوين  
حالا تحيط بها الأخطار والسدون  
إن كان تعوزكم بعد البراهين

لا ينفع المرء أموال وموهبة  
أعيذكم، أهل ودي، من مشاطرتي  
حسبي وحسبكم ما كان من خبري

### أسائل نفسي

ويكبت حلمي ما يجن ضميري  
أقول لعلّي تستقيم أموري  
ولكنها ساءت فساء مصيري  
بلومي على ما كان غير جديري  
وطول أناتي وانعدام شروري  
إذا ما استرووا في شرة وغرور  
إلى أن تراءى الزور ليس بزور  
وقد صغروا من لم يكن بصغير  
وليست كبر دائماً بكبير  
تعيد بصير القوم غير بصير  
لأحسبهم يستسهلون وعور  
فألفيتني وحدي بغير ظهير  
كأنى موكول بكل عسير  
شغلت به عن بهجتي وسروري  
تعودت منها أن أعاف زهوري  
أسائل نفسي: ما يكون مسيري  
أتمت ألفاظ الأسي بزفير:  
تناسي أمالي وكبت شعوري

إلام خطوي تستفز شعوري  
ترددت بين الصمت والنطق حقة  
وضاعفت صبري في سراها تعلقة  
ولست ألوام الدهر أكبر شأنه  
ولكن ألوام الحلم عندي وحكمتي  
فإني رأيت القوم يخشون بعضهم  
وجاروا وما عفا وكادوا وزوروا  
وقد عظموا من لم يكن بمعظم  
وليست صغير دائماً بصغير  
ولكن هي الأهواء تعمي صحابها  
كم استمروا حلوا ومرأ ولم أكن  
إذا ما ادلهم الخطب عانيت موضعي  
تلفت حولي لا أرى لي مخرجاً  
أكابد عيشاً مثل حظي سواده  
وأدمت يميني شائكات زهوره  
وأمسكت عن هزل الكلام وجده  
وبعد اللتيا والتي سرت مطرقاً  
سأبقى وحييلاً ما حييت محاولاً

### الشعر الذي أريد

وبالنفس تغدو حاجة وتروح  
فينصاع منه بارع وفصيح  
يرفّ عليها من كياني روح  
كما افتّر زهر بالعبير يفوح

أحاول قرص الشعر، وهو جموح  
أجاذبه جبل القوافي أروضه  
يفيض على غضب اللسان بلاغة  
إذا كان آمالاً تفتح باسماً

يمسّ شغاف البائسين بلطفه  
 وإن يك آلاماً سكبت عواطفني  
 وإن يكُ عشقاً فالفؤاد حلاله  
 يشير ويومئ لا يبين، وتارة  
 ويعرب عما يعتريه فإِنَّه  
 وإن يك إيقاظاً هببت أصوغه  
 إذا استنهض السوانين قمنا جميعنا  
 وفي معرض الشورى حكيم أخو نهي  
 وينقذ أغراض الزمان وصرفه  
 يروعك كالبحر الخضم مهابة  
 شديد على الأخصام يكبت بأسهم  
 ولوع بتبيان الحقائق نصّعاً  
 أتحت له صدق الشعور، وفاتني  
 وما همني فوت المنى، وقريحتني  
 فللّهُ شعر لم يسعه زمانه  
 عجبت له في السعد والنحس عاملاً  
 بعيد عن النقصان فيما يرومه  
 رفيع، عزيز ما أسفّ وما وهى  
 ونزته عن أن يكون بضاعة

فيجلو هوماً ما هنّ مزريح  
 أكاد بها أبكي أسى وأنوح  
 صريع هوى قد أثخته جروح  
 يهم بمكتوم الغرام ييـوح  
 حليف ضنى تمّأ أصيب طريح  
 وفي كل بيت وازع ونصيح  
 خفافاً وما بالناهضين طليح  
 يسود له رأي أغرّ رجيح  
 متون له ما تنقضي وشروح  
 وليس به إلا الضليع سبوح  
 وعنهم إذا زال الخصام صفوح  
 ولو كان من جرّائهن ذبيح  
 بدنياي من صدق الحظوظ متيح  
 بكل مجالٍ في القـريض تشيح  
 وبعض دنياه للزمان فسيح . . .  
 على جانبيه سائح وبريح  
 نزوع إلى المجد الأئيل طمـوح  
 عليه كمال النّابغين يلـوح  
 مداه هجاء أو مداه مـديح

## السياسة

من قصيدة :

فما أحيت لنا أرضاً مواتا  
 ولا عن حوضنا ذبّت عداة  
 تحطم أهلها ذاتاً فذاتا  
 عيوننا أو سعاة أو جباة  
 ولا ضمّت عباقرة هداة  
 تضايقه وما ييدي شكاة

تسلمت السياسة ما ملكنا  
 ولا شادت لنا مجداً رفيعاً  
 وكافحت المواهب واستمرت  
 إليك القوم عاينهم تجدهم  
 فما نبغ النـوابغ في ذراهـا  
 وكل مفسـوّه أمسى عيـياً

عجبت لأمرها قبلاً وغباً  
وما اختطت تصاميم المعالي  
وأفسدت الخلائق، وهي غرّ،  
قضت ظملاً على جلّ الأماني  
وضاهت في تبرجها الغواني  
فما اجتذبت سوى ناس أتوها  
وصارت للضعيف سبيل رزق  
فضلت في تحبطها سبيلاً  
وما غرست بحقل العلم غرساً  
وما اتخذت لـ لذي داء دواءً  
إذا ما الجدّ جدّ مضى خفافاً  
ألا ويح المواطن من بنيتها  
ويأ ويل السياسة من رقيب  
يسيرها على نهج قسويم  
والآ فـالمواطن في ظلام

وقال في انتهاء العراق إلى عصبة الأمم (١٩٣٢):

أعلام نصر ما أرى في الشوارع  
يقولون: نلنا لامع الفوز عاجلاً  
ولكن رأينا كلّ مبكٍ ومضحك  
وله :

وكم هنا وطني في مظاهره  
يقدم البعض رجلاً ثم يرجعها  
وتلك شعوذة جازت على وطن  
يا ليت أذنأ إلى الأحرار مصفية

نخال المرجفين لها دعـاة  
وعن أهدافها الإصلاح فاتا  
وصار العقل ميلاً أو بداءة  
وعاشت في تنطعها اقتساتا  
وبزّت في بهارجها الغواة  
عبيداً يرفعون لها الصلاة  
وفي دنيا التحكم مشتهاة  
وطاشت في تقلبها حصاة  
وفي الآداب ما بذرت نواة  
ولا جعلت لمرضانا أساة  
مريدوها يرومون النجاة . . .  
إذا أضحى الجنـاة لها حماة  
يربها الموت أحياناً حياة  
يثقفها ويمنعها التفاتا  
يعيث المفسدون بها عناة

ولا نصر الألهوى والمطامع  
وما لامعاً شمنا ولا غير لامع  
فدلّت على العقبي شكول الطلائع

بالمكر ملتفع، بالدس مقتبع  
فكان أول من لبوا ومن رجعوا  
أحواله فتن، أبناؤه شيع  
أو ليت عيناً على الظلام تطلع

## أنور شاول

الشاعر الأديب القاصّ المحامي أنور شاول ولد في الحلة سنة ١٩٠٤ وتوفي في ١٤ كانون الأول ١٩٨٤ . أصدر مجلة الحاصد الأسبوعية أكثر من ست سنوات . قال أحمد حسن الزيات في مجلة الرسالة المصرية أن أنور شاول ثاني اثنين مهّداً لكتابة القصة الحديثة في العراق (أما الأول فكان محمود أحمد السيد) . وأثنى عليه جعفر الخليلي في كتابه «القصة العراقية قديماً وحديثاً» فقال إنه من أوائل ممارسي أدب القصة الحديثة وأن مجلته الحاصد كان لها أبلغ الأثر في تشجيع كتابة القصة والفنون الأدبية الأخرى .

ترجمت لأنور شاول ترجمة وافية في كتابي «اعلام اليهود في العراق الحديث» الصادر سنة ١٩٨٣ . وقد نشر مجموعات قصصية ، منها : الحصاد الأول (١٩٣٠) في زحام المدينة (١٩٥٥) أربع قصص صحية (١٩٣٥) قصص من الغرب (١٩٣٧) .

كان شاعراً مطبوعاً نشر من الدواوين : همسات الزمن (١٩٥٦) وبزغ فجر جديد (١٩٨٣) . وله أيضاً : قصة حياتي في وادي الرافدين (١٩٨٠) عليا وعصام (قصة سينائية ، ١٩٤٨) وليم تل (مسرحية مترجمة ، ١٩٣٢) الطباعة العامة : فنونها وصناعاتها (١٩٦٧) إلخ .

شارك في الحياة الأدبية العامة بشعره ونثره أعواماً طويلة ، فحياً في قصيدته «عذراء أثيوبيا» جهاد الأحباش ضد الغازي الإيطالي سنة ١٩٣٥ وجلجلت قصائده خلال الحرب العالمية الثانية تشجب النظام النازي :

نظام أقاموه على النار والدم وفيه استباحوا كل فعل محرم  
وحياً انتصارات الخلفاء ودعوتهم إلى الحرية واستقلال الشعوب وسيادة القانون  
والنظام . وقد قال :

إن كنت من موسى قبست عقيدتي	فأنا المقيم بظل دين محمد
وساحة الإسلام كانت موثلي	وبلاغة القرآن كانت موردي
مانال من جبي لأمة أحمد	كوفي على دين الكليم تعبدي
سأظل ذياك السموأل في الوفا	أسعدت في بغداد أم لم أسعدا

## أكرم أحمد

شاعر الشباب الذي ظلّ شاباً بالروح بالرغم من كهولته وتمرّسه بالوظائف والأعمال .

وهو أكرم بن أحمد أفندي محاسب لواء المنتفق ابن توفيق من عشيرة الكرخية . ولد في البصرة سنة ١٩٠٦ ونقل رضيعاً إلى بغداد فنشأ بها وترعرع في كنف خاله فؤاد أفندي

الموظف بالدائرة السنّية . وقد أتم دراسته الثانوية واضطرّ إلى الانصراف إلى العمل لوفاء والده . ولازم عبد الوهاب النائب فأخذ عنه طرفاً من علوم اللغة العربية ، واتصل بجميل صدقي الزهاوي وكان من أشياعه ومريديه .

انتظم في سلك الوظيفة كاتباً في مديرية السجون العامة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٦ ، ثم نقل معاون مدير التحرير في متصرفية لواء البصرة فمدير تحرير لواء ديالى (أيلول ١٩٣١) فالحلة بالبصرة (١٩٣٥) . وعيّن بعد ذلك مدير ناحية فتنقل في أنحاء العراق حتى أصبح مدير ناحية الأعظمية ، ثم رُفِع قائممقاماً لقضاء عفك (كانون الأول ١٩٤٢) فأبي صخير (تموز ١٩٤٣) فالصويرة (آذار ١٩٤٤) فالحيّ (أيار ١٩٤٦) فخانقين (١٩٤٦) فعنة (كانون الأول ١٩٤٧) فالحيّ ثانية (نيسان ١٩٤٨) فالمحمودية (نيسان ١٩٥٠) فالصويرة أيضاً (شباط ١٩٥١) فالكاظمية (تشرين الأول ١٩٥١) . ورفع مفتشاً إدارياً (أيلول ١٩٥٢) فمتصرفاً للواء المنتفك (آذار ١٩٥٣) فمتصرف الدليم (كانون الأول ١٩٥٣) حتى أُحيل على التقاعد في تشرين الثاني ١٩٥٦ ، بعد خدمة ثلاثين سنة تدرج خلالها من كاتب صغير إلى موظف إداري كبير .

وقد توفي ببيروت في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٦٨ أثر نوبة قلبية لم تمهله سوى أيام .  
شعره وأدبه :

بدأ أكرم أحمد ينظم الشعر شاباً ، وكان شعره في أول الأمر تقليدياً جامداً ، فمن ذلك رثاؤه لأستاذه عبد الوهاب النائب المتوفى سنة ١٩٢٧ :

جفا الحياة وجَدَّ السير مضطعنا      عن معشر حالفوا الأحقاد والإحنَا  
رأى غمار المنايا وهي ثائرة      فخاضها غير هيّاب وما جنبنا  
لم يدفنوا ذكره بل ظلّ منتشرأ      وإن هُم دفنوا في قبره البدنا

ثم قرأ عيون الشعر العربي القديم والحديث واتصل بالزهاوي وشعراء المدرسة الحديثة ، فصار يقرض الشعر الرقيق ويتصرّف في فنونه وأغراضه ، وبرّز في الغزليات حتى لُقّب بشاعر الشباب ، ولازمه اللقب سائر حياته .

زاره خيال الحبيبة بعد هجر وفراق ، فسرّ به واحتفى وقال :

رسول من خيالك زار وهنأ      وما غير النجوم له رقيب  
فقلت ، وقد هتفت به حفياً      أعانقّه : تذكري الحبيب  
أبحث لك الفؤاد فحلّ فيه      ففي جفني مقامك لا يطيب  
أخاف عليك من جفن قريح      تُررقه الطوارق والخطوب  
نعمت بقربه أشكو إليه      صوادع في الفؤاد لها ندوب  
وخلت الليل مثل الروض يندى      به من نرك الفؤاح طيب . . .

وحنّ إلى ليالي السعادة والصفاء فتأوه وتلهف وقال :

حننت إلى الليالي البيض ولت  
وأنت بجانبي فردوس حبّ  
تضوّج من مُقبَلِك الغوالي  
ومجلسنا حيال الشام تحنو  
تناولنا الوشاة بما أحبوا  
دعينا نغتم اللذات هوجاً  
ألقت الحبّ تيهاً أو دلالاً

هام أكرم أحمد بالجمال فقال :

الهوى نعمة الطبيعة فاضت  
هفت باسمه الليالي وغنت  
أي سر قد طلسم الحسن فيه  
أي سحر يبدو لعينيك حتى  
رسم الناس للجمال كما شاؤوا

وفكّر في مصير الجمال ، وهو العاشق المغرم بالجمال ، فقال :

سألتنى ودموع العين  
عانس رق لها لفظ  
نطاق بـ الشجن الخافي  
في محيّاها بقايا  
أتورى الحسن نـ زيل  
قلت : لا يغـ ررك وجـه  
وشعـاع من جمال  
وعيون فـاترات اللحظ  
وأريج الطيب من مـسمك  
وكقطـر الطلّ دمع  
عندما يعتلج السهم  
إنّ هذا الحسن مثل الـروض  
وغـداً إذ يهجم الشيب

بـالشكوى تـبـوح  
كما قـد رقّ روح  
بعينها وضـوح  
من مـلاحات تلـوح  
مثلاً جـاء يـروح؟  
لك كـالصبح مـليح  
كسنى البرق لمـوح  
بـالسحر تـليح  
العـذب يـفـوح  
فـوق خـديك سفـوح  
وتـتـاج الجـروح  
يـنـدى ويـصـوح  
ويـعتـلّ الصـحيح

وتعبري غصنك المورق      للعاصف ريح  
يتساوى في حشا الأرض      مليح وقبيح  
حيث لا يغني جملاً      كبرياء وجموح

لقد عبر أكرم أحمد في هذه المقطوعة عن معنى عزيز على الشعراء تفتنوا في الإفصاح عنه وبالغوا في ذكره على مر الزمان، معنى ماله أن الشعر خالد والجمال زائل. ألم يخاطب رونسار الشاعر الفرنسي فتاته الحسنة المدلة قائلاً:

«حينما تبليغين من العمر عتياً، وأنت جالسة تصطلين بالنار مساءً، تنسجين وتحويكين على ضوء الشموع، ستقولين إذ تشدين شعري في زهو وخيلاء: إن رونسار قد أشاد بذكري يوم كنت رائعة الجمال... سوف أكون آنذاك راقداً تحت الثرى، طيفاً تائهاً في الظلال الهبولة. أما أنت فسوف تكونين عجوزاً شمطاء قابعة في الدار، نادمة على حبي وما أسلفت من صد وكبرياء...».

ويردّد رونسار نفس هذه الفكرة في مقطوعة أخرى من شعره فيقول: «أيتها المليحة، لنذهب ولنر الوردة التي نشرت في الصباح غلالاتها الأرجوانية في ضياء الشمس، هل فقدت في المساء أفواف ثوبها الزاهي وبشرتها المضاهية لحسن طاعتك؟... فيا أيتها المليحة، اقطفي شبابك الغض، وأنت في ميعة الصبا وغضارة البهاء قبل أن يذبل جمالك كهذه الوردة في ظل المشيب!».

وقديماً قال المتنبي شاعر العرب:

زودينا من حسن وجهك ما دا      م، فحسن الوجوه حال تحول  
وصلينا نصلك في هذه الدنيا      فإن المقام فيها قليل  
وقال بيار كورناي (١٦٠٦ - ١٦٨٤) يخاطب ممثلة شابة: «لئن كان وجهي قد شابت خطوطه، اذكرني أنك حين تبليغين عمري لن تكوني خيراً مني.

فالزمان الذي يسره إهانة الأشياء الجميلة كليل بأن يذبل زهورك كما غضن جيني. ولكن لي مزايا باهرة تقيني صروف الدهر. ولك مزايا يعبدها الناس. غير أن سجاياي التي تستهينين بها سوف تدوم بعدما تبلى محاسنك...».

\*\*\*

لقد تألم شاعرنا لتأخر أمته وجهلها والأخطار الملمة بها وتغافل المسؤولين عنها، فقال:

نحن في معرض الأرم      كقطيع من الغنم  
نام عنه الرعاية والذئب      يقظان لم ينم  
شغلتهم عن الحمى      متع العيش والنعم  
مدهقات كؤوسهم      قد حسوها على نغم

لا يجسسون صرخة الشعب  
ولأمرو تصائموا  
ما عليهم وقد خبت  
أن أبيضت ديارهم  
من لذعة الألم  
ما بأذانهم صمم  
فيهم جذوة الهمم  
واستيححت بها الحرم . . .  
حتى يقول :

إن للظلم سعاة  
سوف تشقى حياتها  
تتوارى بمن ظلم  
أمة تعبده الصنم

وأكرم أحمد يولي تحذير رجال الحكم ويدعوهم إلى العدل والبر بالشعب، فيقول :  
قل للآلى استهتروا بالشعب حكّاما  
غيظ الشعوب إذا ما ثار ثائره  
مغبة الظلم بالباغين عاصفة  
لا تسرفوا، إن للأقدار أحكاما  
كالسيل يجتاح جبّاراً وظلاماً  
وإن تطاول عمر الظلم أعواما

ووقف على قبر معروف الرصافي مؤثّناً، وقد أودع لحده، فقال :

أبعد الروح ترسل منه شعراً  
عجبت لحفرة في الأرض ضاقت  
همُ خطّوا ضريحك في تراب  
بررت بموطن سبعين عاماً  
وحسبك فيه أنك عشت حرّاً  
تكون لك الحفيرة مستقراً؟  
مجالاً كيف تحوي منك بحراً . . .  
ولكنّي جعلت حشاي قبراً  
فسامك بغضّة وأذى وغدرا  
على رغم الخطوب ومثّ حرّاً

ومن شعره في الهجاء :

بليت بثعلب يبدي ولاء  
جبان يحسب الأشباح ليلاً  
وإن سمع الرعود لها هزيم  
كحرباء يبدّل كلّ آن  
ويخفي في مطاوي النفس ضغنا  
إذا بصرت بها عيناه جنّنا  
نهاراً ريع من فزع وجنّنا  
مخادعة من الألوان لسونا

وشعره متفرق في الصحف والمجلات لم يجمع في ديوان . وقد وضع أكرم أحمد رواية غرامية سماها «ذكريات المدرسة»، وكتب مقالات أدبية أكثرها في الدفاع عن الزهاوي .



من شعر أكرم أحمد:

رويدك قلبي أطلت الولوج  
حملت من الوجد ما لا يطاق  
تنساءوا وشطّط بهم دارهم  
تسيل دموعك في إثرهم،  
إلام اضطرابك بين الضلوع؟  
ومن لدعات النوى ما يروع  
وأقفرن بمنّ تحب الربوع  
فهل ترجع الظاعنين الدموع؟

وقال:

يا صحوة الفجر، هل عود فأغنمها  
أروي من الحب عيناً ملؤها  
أضمّتها وهي مثل النار لاهبة  
تفتح الحسن بساماً بطلعتها،  
أمعنت في وردها نشوان أطفه:  
يا فتنة الشاعر الحساس قد لمست  
عيناك مخري والنهدان خايبة  
يا ساقى الخمر عدّ الكأس صافية  
والكفّ تعصر لي خمراً فأرتشف؟  
وخافقاً من تباريح الجوى يجف  
وأضلعي بعصوف الشوق ترتجف  
أهذه طلعة أم روضة أنف؟  
ورد الجمال بلحظ العين يقتطف  
فيك العواطف شيئاً فوق ما وصفوا  
وهل للثلي عن هـلذين منصرف؟  
عن الذين على خمر اللمى عكفوا

### نعمان ثابت عبد اللطيف

الشاعر الضابط الرئيس الركن نعمان ثابت عبد اللطيف ولد ببغداد سنة ١٩٠٥ ،  
وانتمى إلى المدرسة العسكرية (١٩٢٤) فتخرج فيها ملازماً ثانياً سنة ١٩٢٧ . واشترك  
في دورة الأركان سنة ١٩٣٦ فرفع إلى رتبة رئيس (نقيب) في الجيش . وساهم في الحركات  
العسكرية في أنحاء بارزان والفرات .

مال إلى قرص الشعر فتتلمذ على منير القاضي وأمضى أوقات فراغه في الدراسة  
والتتبع . وقد وضع كتباً ورسائل عديدة ، وقام صديقه إبراهيم أدهم الزهاوي وعبد  
الستار القراغولي بعد وفاته بنشر ديوانه «شقائق النعمان» (١٩٣٨) وكتابه «الجندي في  
الدولة العباسية» (١٩٣٩) . ومن مصنفاته المخطوطة : الألغاز العربية ، الجاسوسية ،  
جواسيس الميدان ، وسائط الاستخبارات في الحرب ، قضايا التجسس الفاصلة في  
التاريخ ، ورسائل في الحمام الزاجل والخبر السري والشطرنج إلخ . وألّف روايات منها :  
مصراع المتوكل ، مأساة القائد السجين ، آخر بني سراج .

قتل برصاصة طائشة ، في أثناء حوادث السماوة ، في ١٢ حزيران ١٩٣٧ ، فرثاه  
إبراهيم أدهم الزهاوي قائلاً :

معا عزائي الجميل عنك جميل وقصير عليك حـزني الطويل  
وقال أيضاً:

يا دولة السيف عزّي دولة القلم كتاكما فجمعت بالمفرد العلم  
وقال عبد الستار القراغولي:

لا تقل لي: بالله أجمل عزاء إن رزئي قد جاوز الأرزاء  
ومن رثاه أيضاً عبد الرحمن البناء وحسين الظريفي وكمال نصرت وخضر الطائي  
وجميل أحمد الكاظمي وغيرهم.

شعره:

كان نعمان ثابت من شعراء الجيش كمحمود سامي البارودي وحافظ إبراهيم وعبد  
الخليم حلمي المصري، لكنه امتاز بحسّه المرفه وعاطفته المتقدمة، فكان الشاعر  
الوجداني الأصيل. قال متغزلاً:

ليست النار كالآم يؤججن ضلوعي  
تهطل الأمطار مدراراً وليست كدموعي  
وولوع البلبل الصّدّاح لا يحكي وُلوعي  
فاذكريني عندما أسقى بكاسات الفناء  
كلّما النيران شبّت  
كلّما الأمطار صبّت

وقال:

لست أخشى رماحك السمهرية ورصاصاً تصبّه البندقية  
بل خدوداً وردية ولحاظاً ومصلّات على رقاب البرية

غلبت على شعره مسحة من الحزن، فهو إذا ذكر الحبّ والهيام راودته فكرة الموت  
فقال:

حنانيك إذا متّ فبـالأوراد غطيني  
فزهـر النرجس الغصّ يـحييني فيحييني  
وغنّيني بأشعاري فأشعاري تعزّيني  
فلإني شاعـر يهوى عـيون الخرد العـين

وغمرت نفسه اللوعة والكآبة فقال:

بذمة باربيها الذي تتجرّع  
كأن بجنيها الكأبة تصطي  
وتأرق لا تدري المنام جفونها  
وتسجع كالورقاء غادرت الحمى  
وإن نهل الأمواج من وابل الحيا  
كأن أوار الحبّ يجيي مواتها  
وقد تعترها هزة تلو هزة  
زمان به تسقى السّلافة، والهوى  
ألا هي نفسي، يا أحبّاي، فارقوا  
وذكر وطنه وأحبّاءه فقال:

أما للنوى نأي يرفقه خاطري  
سلامي على مشوى أمانيّ عندما  
سلامي عليها ما تهادى نسيمها  
أحبّاي في الزوراء مهها دياركم  
وعشق آله وقومه فقال:

عربيّ يعشق العربيّ  
أسد كلّت مخالبه  
نادراً تلقاه مهتماً

فكم تلتظي شوقاً وكم تتفجّع  
ومعتلج الآلام فيها مودّع  
إذا ما نجوم الليل في الليل تطلع  
إذا سمعت ورقاً على الأيك تسجع  
تسحّ على وجناتها الصفر أدمع  
إذا التهبت فيه قلبوب وأضلع  
لذكرى أويقات مضت ليس ترجع  
يجلّ لها، والعيش فينان ممرع  
بنفسي التي آماقها الدمع تهمع

فنوحى على الزوراء أدمى محاجري  
تميل الصّبا باليانعات النّواضر  
على بسط حيكّت بتبر الأزاهر...  
تناءت فأنتم ملء سمعي وناظري

لا تلووموه إذا انتحبنا  
وجواد في السبّاق كبا  
ولكم تلقاه مكتئبنا

ومن جميل شعره قصيدة مترجمة عن الإنكليزية في رثاء طفل:

الكسوخ رغم بساطة الأرياف  
جلّت محاسنه عن الأوصاف  
إلى أن يقول:

همّ يلدك رواسياً وبحاراً  
فدوى، وأما حسنه فتواري  
تبكي بهمس في الظلام السداس  
يا ويح من يؤذيه صوت الهامس  
عن حرقة في نفسها ومرارة  
عند الصلاة بلهفة وحرارة...

والطفل أنحلّه الشقام وهده  
قد أظلمت عيناه، أمّا خده  
والأمّ قد ركعت بجانب سريره  
كي لا يحسّ وحيدها بيكائها  
صلّت بخاطرها وأعرب دمعها  
ومن المصيبة أن تفيض دموعها

قال محمود الدرة في كتابه «الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١» إن النقيب نعمان ثابت الأعظمي من ضباط الاستخبارات الأكفاء، وكان قومياً عنيفاً يعمل في مقر قيادة الفريق بكر صدقي خلال الحركات العسكرية في الفرات (١٩٣٦). وقتل برصاصة من السوراء، ونسب قتله إلى مؤامرة دبّرت بأمر بكر ونفذها ضابط من قوة الشرطة السيارة.

## نديم الأطرقيجي

ثلاثة وعشرون ربيعاً وأحلام وشعر قليل : تلك حصيلة نديم الأطرقيجي من الحياة . أما المرض والألم والحرمان فذلك حظ النفس الحساسة المرهفة والشباب الفوّار .

وماذا نعلم عن نديم محمّد الأطرقيجي ؟ لقد ولد ببغداد سنة ١٩١٤ لأسرة موصلية النجار، ودرس اللغة الإنكليزية التي ترجم عنها شيئاً من الشعر والنثر . وهام بالتمثيل ، فانتمى إلى جمعية أنصار التمثيل التي كانت تضمّ أقرانه من الشبان الهواة برئاسة عبد الله العزاوي . وارتقى خشبة المسرح في بغداد وبعض الألوية . قرض الشعر يافعاً فأفرغ نفسه في كؤوسه رضاباً ندياً ، وابتلي بالفقر والسّل فتوفّي في مستشفى العزل ببغداد في نيسان ١٩٣٧ .

ذلك ما نعلمه عن حياة نديم ، ونعلم أنّه كان شاعراً وجدانياً مترسماً خطى شعراء المهجر الذين اتخذوا من آلامهم ومشاعرهم قيّارة يعزفون عليها أناشيد الوجود والعدم . كان نديم مثال الفراشة التي تمنحها الطبيعة أيام الربيع القلائل لتزور الرياض وتسامر الزهور وتسكر بالعبور . وكان نديم مثال الشعراء الذين قضوا في ميعة الشباب ، مثل طرفة بن العبد والشاب الظريف التلمساني وشاترتن وشيلي وكيتس وهييجيسيب مورو، ومثل محمّد تيمور الذي ضاق ذرعاً بثروته وجاه آله ودراسته العالية ، فانصرف إلى التمثيل وأنس برفقة المحرومين والبائسين ، وشعر بأجله القريب فقال :

هَيْتُوا لي في بباطن الأرض قبراً      ودعوني أنام تحت التراب  
في ظلام القبور راحة نفسي      ومن النور شقوتي وعذابي

وإننا نحسّ للذكرى نديم بمودة عاطفية ، كتلك المودة العاطفية التي نحسّ بها - كما قال الأديب الفرنسي جول ساندو - للذكرى الأصدقاء الشبان الذين حصدهم الدهر قبل الأوان ، وإنّ ذلك الحسّ لينمو في الحشاشة كما تنمو الزهرة الغريبة الغامضة . . .

كانت حياة نديم كالقطار الذي ركبه ووصفه قائلاً :

صفر القطار فأسرعت عجلاته  
فوجئت أنظر باسماً بمرارة  
لا الطبّ بعد اليوم يشفي عنتي  
فالجسم لا يرجى الشفاء لدائه

تطوي السهول وعالي الأنجاد  
لمدينة فيها قبرت فؤادي  
ويزيل عني لوعتي وسهادي  
إن قلبه أضحي صريع عوادي

أجل ، لقد اشتدّ عليه الداء وزايله الأمل ورأى شبح الموت ينظر إليه كما ينظر  
الوحش إلى فريسته ، فقال :

أفضي الليالي بين أحضان مضجعي  
مريض أذاب الداء قلبي ، ولم أهن  
فبؤت كسير النفس أحمل خيبتني  
وأصبحت وحدي في ابتعادٍ وعزلة  
وليس سميري في الدجى غير شمعة  
فأشعر أن الليل طال ظلامه  
وأسمع في طي الظلام هواتفاً  
فأفزع من تلك المشاهد خائفاً

أنادي ، وما من راحم يتقرّب  
وما كنت أدري في كفاحي سأغلبُ  
وقلباً غداً فيه دمي يتصبّب  
أناضل كالمسجون حين يعذب  
تذوب اشتعالاً مثل قلبي وتنضب  
فأبقى لنور الفجر أسعى وأرقب  
وأنظر أشباحاً تلوح وتغرب  
وتسرع دقات الفؤاد وتضرب

رأى نديم شبح الموت ، وكان في وسعه أن يخاطبه كما خاطبه من قبله الشاعر الفرنسي  
أندره شنييه (١٧٦٢ - ١٧٩٤) فيقول :

«أيها الموت ، إنك تستطيع أن تنتظر ، فابتعد ، ألا ابتعد .

أذهب واذرف بلسم العزاء في القلوب التي يأكلها العار والفرغ واليأس الشاحب .  
أما أنا فالطبيعة تمدّ لي بسطها السندسيّة ، والحبّ يحفظ لي قلبه ، وربّة الشعر  
معاذفها .

إنني لا أريد الموت بعد . . . .» .

لقد كان في وسعه أن يقول ، كما قال أندره شنييه أيضاً :

«ليمضى الفيلسوف الرواقي ذو العينين الجامدتين وليسع إلى معانقة الموت .

أما أنا فأبكي وأتشبّث بأذيال الرجاء .

وإذا هبت رياح الشمال القائمة ، أحني هامتي ثم أرفعها .

ولئن كانت الأيام مرّة ، إنّ ثمة أياماً حلوة بهيجة .

آه ! فأني عسل لم يترك قطّ طعاماً مريراً ، وأي بحر لم تزعزعه قطّ العواصف ؟ . . . .»

لكنّ شاعرنا الشاب لم يجد بدأً من الاستسلام والارتقاء في حضن الموت، فترثته مجلة الحاصد التي طالما نشرت شعره على صفحاتها قائلة: «توفي... بعد صراع عنيف بين جسمه الواهن وبين مرض السلّ الويبيل، فقضى نحبه وحيداً في مستشفى العزل... بكاه الشعر الفياض الحيّ، بكته النجوم اللوامع التي طالما حاكى شعره عقودها الزاهية».

إننا لا نعرف شيئاً عن طفولة نديم الأطرفجي وصباه، لكننا نسمعه يقول في قصيدته «ابن الشقاء»:

قد حرمت العطف من أهل قسوا	وأنا طفل رضيع وسط حضن
فرضعت البؤس من مهد الشقا	وذوى من قلّة الإرواء غصني
ليس لي ثوب يقيني في الشتا	زمهرير البرد أو يدفع عني
أرتدي سملاً إذا هبت به	نسمة طار، فتذري الدمع عيني
ولثقل الفلس جيبي لم يزن،	ورزين الفلس لم تسمعـه أذني
يضحك الناس ولا يرثون لي	وأرى أطفـالهم تسخر مني

ولقد اختار الفتى البائس الشعر وهفا إلى الحبّ، فهل حظي بهما ووجد فيهما السّولة والعزاء؟ قال:

يشكو الحياة ويشـدو	مثل الحمامة شاعر
بيكي فـوإذاً خـلياً	قد بات في الحبّ عائر

للغاب سار بناي	ألحانه ذات روعه
فأصبح الغاب بيكي	وأكسب الدوح لوعه
وحمة السورد غاضت	والغصن أرسل دمعـه
وقام بيكي عليه	فوق الأريكة (؟) طائر
وحلّ بالغاب صمت	بجكي سكون المقابر

ولاحت للشاعر عروس الغاب فعاهدته أن ترعى مودته. لكنّها غدرت ولم تعرف الوفاء ومنحت حبّها سواه، فطوى صدره على الحزن والأسى، وأطلق نغماته الشجيّة ترددها الرياح وينشدها المحبّون المتيّمون.

وعلّل الشاعر نفسه بالطيوف والأوهام، وتراءت لعينيه أخيلة الهناء كالسراب الخادع، فقال:

أهـو وأعبث في الحـيـاة لعـلني  
فأضـم ليل أو أزور عـفـيفـة  
لكـن هـمـي لم يـمـزل متـحـكـمـاً  
قالوا: الخـمـور تـزـيل عـنـك شواعـلاً  
فأذاب كأس الخـمـر حـبـة مهـجـتي  
فسكبت فوق الأرض مـر زجـاجـتي  
مازلت أبحث في الحـيـاة مـفـتـشـاً  
فضللت في طـرـق الحـيـاة مشـرـداً  
ورأى فتاة أحلامه تطل من الشباك . هل كان أول شاعر يرى الحب في النافذة البعيدة؟

إن روبرت برنز شاعر اسكوتلاندة الوطني (١٧٥٩ - ١٧٩٦) قد دعا حبيبته أن تطل من نافذتها، فقال :

« يا ماري ، اجلسي إلى نافذتك ، فقد أزفت الساعة الموعودة المؤكدة ، وأريني تلك البسمات وهاته النظرات التي تجعل من كنوز البخيل عنوان الفقر . .  
إن حبي ليشبه وردة حمراء قانية قد تفتحت براعمها في حزيران .  
إن حبي كاللحن الذي تصدح أنغامه في لطف واتساق . . . » .

وجيرار دي نرفال (١٨٠٨ - ١٨٥٥) الشاعر الفرنسيّ المجذوب قد تخيل في شعره قصراً من قصور الإقطاع في القرون القديمة ، طلي زجاج نوافذه باللون الأحمر الصارخ وأحاطت به الرياض الزاهرة، وغسل قدميه النهر الجاري بين الورود . وأطلت السيّدة من نافذتها العالية شقراء ذات عينين سوداوين ، متشحة بثياب العصور الخالية . لقد تذكرها الشاعر، فقد رآها من قبل في حياة سالفة !

أما شاعرنا الأطرقيجي فلم ير صاحبتة من قبل ، فقال :

هيفاء قد ملكت نهاي بحسنها  
بانـت من الشبـاك تنظر فاكـتوى  
من غير معـرفـة وغير لقـاء  
قلبي بحبّ زاد في إيـذائي  
من روعة كالصخرة الصماء  
وبقيت مصعوقاً بلا إيـداء  
ماذا دهـاك ، فهل أصبـت بـداء؟  
كلمتها بالغـمز والإيـاء :  
حالي فقد أصبحت في بلـواء  
إني قتيلك ، فارحميني وانظري

وغدوت، يا حسناء، في بيدااء  
غضبت لـذاك وأطرقت بحياء  
في قسوة كالنافر المستاء  
والتعتُّ من صدِّ وكثر جفاء  
صيداً فبؤت بخيبة وعناء

فجبال وجهك قد أضاع مشاعري  
فاحمرّ من خجل لـقولي وجهها،  
وبلا جواب أغلقت شباكها  
فوقفت أنظر ما جرى من غادتي  
كم مرّة حاولت في طرق الهوى

وظلّ شاعرنا باحثاً عن جنة الحبّ، فقال:

فهناك ننسى ما نعانيه  
وبشدونا السّامي نناجيه  
كالـتبر يبدو في مجاريه  
عن كلّ وايش لا نصافيه  
يا هند، من بعد الملّات

هيّا معي للروض، وابتسمي  
نصغي لشـدو الطير في فرح  
والماء يجري فوق أرجلنا  
والزهر تخفيننا خائله  
نجني الهوى غضباً ونهصره،

\*\*\*

يا هند، من ضمّ وتقبيل  
من تساه في أقوال تضليل  
عنا، ولو شاؤوا بتـهويل  
فليذهبوا في كلّ تأويل  
يا هند، من غصن المسرات

إنّ الهوى سرّ سنعررفه،  
فالـحبّ لم يفقه حلاوته  
ولينقل الواشون ما عرفوا  
لسنا نخاف اليوم كيدهم  
ولنقطف اللـذات دانيّة،

لقد ابتلي، كما ابتلي شعراء الغزل من قبله، بالواشي ينغص عليه سروره والرقيب يقض مضجعه، فيا له من محبّ بائس.

ولازم الشقاء شاعرنا وحفّت به الأحزان، فدعا نفسه الأسية إلى انتهاب ملذات الحياة الفانية وعدم المبالاة بها كان وما سيكون. وعصفت الأشجان قبله بالشاعر الإنكليزي برسي شيلي (١٧٩٢ - ١٨٢٢)، فطلب الراحة في الموت وقال:

«إنّ الشمس دافئة والسماء صافية، والأمواج تتراقص سريعة متألقة. والجزر اللازوردية والجبال المكسوة بالجليد تأنثر ببأس الظهيرة الأرجواني الشفاف.

ونسمة الأرض النديّة خفيفة حول أكمامها التي لم تتفتح. وقد توحدت في نداء واحد من البهجة والسرور، أصوات الرياح والأطيّار وأمواج البحر الخضمّ . . .

وأسفاه! ليس لي من أمل ولا عافية ولا راحة في قرارة نفسي ولا هدوء حولي، ولا الرضا، تلك الثروة الزاخرة التي يجدها الحكيم في التأمل والتفكير. . .



وحتى اليأس نفسه قد أصبح الآن لطيفاً كالرياح والمياه الهادئة الوديعه . وإن في وسعي أن أرقد كالصبيّ الذي أنهكه التعب فأبكي على حياة الشجون التي حملت أعباءها ، ولا أزال ، إلى أن يأتيني الموت خلسة كالنعاس ، فأشعر في الجوّ الدافئ بصفحة خدي تصبح باردة هامدة وأسمع البحر ينفخ في فكري المائت نغماته الراتبة الأخيرة» .

ذلك ما فعلته الهموم بالشاعر الإنكليزي ودفعت به إلى هوة الفناء . أما شاعرنا الفتى المندور للموت فقد حاول ، على نقيضه ، أن يتمسك بأذيال الحياة ويفوز بمباهجها ، فقال :

لا تبتس عند ما تبلى بأحزان  
دعهم يقولون : بعد الموت وقفننا ،  
أنظر : قصيدي من اللذات أنفقه  
فكم لثمن شفاه الغانيات ، وكم  
وكم رميت بقلبي بينهنّ ، وما  
فما ارتويت وكأس الحبّ ما فرغت  
لا أستقّرّ على غصن ولا سرر  
هذي الحياة جنان الخلد ، كوثرها  
والحور هذي الغواني ، إن عقلت ، فلا  
واشتدّ على شاعرنا الداء فلم يغن عنه الشعر ولا أجداه اهتبال الملائد . وحار في أمره الطيب :

قال الطيب : دع القريض ونظمه  
هذا نحولك لا يفيد له الدوا ،  
ماذا استفدت من القريض ونشره  
إنّي أراك بلا رداء لائق  
تضني دماغك هاصراً أفكاره  
إنّ السقام ، إذا بقيت معانداً ،  
فأجبتّه : بالشعر أسلو بلوتي  
إنّ الشعر يجهد قوّة الأعصاب  
إنّ الكتابة مبعث الأوصاب  
في كلّ مطبوع وكلّ كتاب ؟  
وبلا فراش ناعم وثياب  
فتذوب ملتهباً كعود ثقاب  
يرديك أو يرميك دون صواب  
وبه أسطر شقوتي وعذابي  
لقصائدي وأصبت ذوب شبابي

وكانت حشجة المحتضر فقال :

قلبي من الأمراض بات ممزّقا  
فعرفت أنّي سوف أرحل تاركاً  
ففزعنت من هول النذير ووقعه  
قد كنت أرجو أن أعيش لفئنة  
لكننا حلمي الجميل قد اختفى  
فلذويت في روض الحياة كزهرة  
هذي هي الدنيا فلا تأمن بها،  
أرثيك، يا نفسي، فقد أرف النوى

وأمّضني مرضي وجسمي أزهّقا  
دار الضيافة، قاصداً دار البقا  
لضياع قصد رمت أن يتحقّقا  
حتى أحقق ما أردت من البقا  
لما رأى شبح الممات محلّقنا  
ماتت جفاناً قبل أن تتشقّقا  
فرحقتها سمّ وخرتها الشّقنا  
ودنا البعاد وبان يوم الملتقى

وكذلك قضى شاعرنا كما قضى من قبله الشاعر الفرنسي جوزيف جلبرت  
(1751 - 1780) Joseph Gilbert، ذلك الذي قال :

«لقد جئت يوماً إلى مادبة الحياة ضيفاً شقيماً، ثم علقت بي حبال الموت .

إنني أموت، وعلى قبري الذي أمضي إليه وشيكاً، لن يأتي أحد ليدرف الدموع .

فسلام عليك، أيتها الحقول التي أحببت، وأنت، أيتها السهول السندسية  
الجميلة، أيتها الغابات الضاحكة في عزلتها .

أيتها السماء، مظلة الإنسان، أيتها الطبيعة الزاهرة .

عليك سلام الوداع الأخير

أه، وليتمتع بمراى جمالك المقدّس طويلاً كلّ أولئك الأصدقاء الذين لا يصل  
وداعي إلى أسماعهم . وليناموا في أحضان الموت بعد حياة حافلة، ولتهطل الدموع في  
معاتمهم، وليقم بعض الأصدقاء بإغماض جفونهم !» .

ذلك نديم الأترقجي الشاعر، أما الناثر فكتب قصصاً قصيرة منها : اللقاء بعد  
الموت، عشيق الجنّية، العناق الأخير . ووضع مسرحية الثورة العربية التي مثلت ببغداد  
في تموز 1936 وقام هو نفسه بتشخيص بعض أدوارها .

ونظم في تلك السنة مسرحية شعرية بعنوان «مصرع السّلام» متأثراً بالأحداث العالمية  
آنذاك، من تغلب الدكتاتورين هتلر وموسوليني وتعكيرهما لصفو السلم والاستيلاء  
على الحبشة وتفجير الحرب الأهلية في إسبانيا . جمع الأترقجي في مسرحيته الخير والشرّ  
وإله الحرب وربة السلام، فتبجّح الشر بفرض سلطانه على العالم ودحره لجيوش الخير  
والإحسان . ويبرز له الخير واهناً مردولاً، لكنه قويّ الإيمان بنفسه وخلوده . ولاحت في  
الأفق المدافع والدبابات والرشاشات والجنود تسير إلى القتال . ثم ظهر الطاغية الجبار

تعنو له الملوك والشعوب ، فرغ عقيرته مفتخراً بصولته ومجده ، وكان له الفوز على ربّة السلام .

ووضع نديم الأظرفجي مسرحيتين أخيرتين هما : الاعتراف وابن الدلال ، مثلتا في حياته وبعد مماته - على ما قال الممثل القديم علي الأنصاري .

إن شعراء كثيرين احترّمهم الدهر كالزهرة اليانعة قبل أن يتيح لهم ، مثل نديم الأظرفجي ، إبراز مواهبهم الكامنة . وكان ذلك حظ الشاعر الفرنسي جاك دي لا تاي Jacques de la Taille الذي ألف مسرحية ديدون (١٥٦٠) وشفعها بعد سنتين بمسرحية دارا والإسكندر ، ثم لم يلبث أن توفي في العشرين من عمره . لقد هوى التمثيل ومارسه مع أخيه جون ، ثم طوى الزمان صفحاتها وعفى على أثرهما ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

هل الدهر إلا ليلةٌ ونهارها وإلا طلوعُ الشمس ثم غيارها؟  
أو كما قال الجرهمي القديم :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

### عبد القادر رشيد الناصري

الشاعر عبد القادر بن رشيد بن إسماعيل ، ولد في السليمانية سنة ١٩٢٠ من أبوين كرديين . ونزح والده إلى الناصرية فاستوطنها ولقّب بالناصرى . وأتم عبد القادر دراسته الثانوية في بغداد ، وأخذ ينظم الشعر ، واتصل بمحمد مهدي الجواهري وغيره من أساطين الأدب . ودرس البلاغة والمنطق على الشيخ عبد القادر عبد الرزاق الخطيب (خطيب جامع الإمام الأعظم توفي في أيلول ١٩٦٩) .

عمل محرراً في الصحف كجريدة الرائد والنداء والأوقات البغدادية ، ووظف في دار الإذاعة العراقية سنة ١٩٤٨ . وأوفد سنة ١٩٤٩ لإكمال دراسته في باريس ، لكنه عاد بعد سنة واحدة لأسباب اضطرارية .

ووظف في أمانة العاصمة في وظيفة لا تكاد تسدّ رمقه . وقد أدركته حرفة الأدب ، واستبدّت به الآلام النفسية ، وطلب في الخمرة عزاءً فملكّت لَبّه وأوهنت أعصابه وأهانت عزة نفسه . وتوفي ببغداد في ١٥ أيار ١٩٦٢ .

مؤلفاته وشعره :

كان الناصري شاعراً مطبوعاً ، كثير الحياء ، جَمّ الأدب . أصدر ديوان «ألحان الألم» سنة ١٩٣٩ ، ومسرحية ضحايا المجتمع (١٩٣٧) ، وديوان صوت فلسطين (١٩٤٨) . و «الأسفار» (١٩٤٩) . وأصدر كامل خميس «ديوان عبد القادر رشيد الناصري» سنة

١٩٦٥ - ٦٦ في جزءين . وترك دواوين مخطوطة لم يتيسر له طبعها، منها: «الأثام» و «الأفعى» و «غزل» و «أغاني السندباد» و «عرائس ومآتم» و «الأعماق» و «زينب» (ملحمة شعرية) و «قصة حبي» (ملحمة شعرية) و «شموع تحترق» و «خمريات الناصري» و «الفاكهة المحرمة» (مسرحية منظومة). وله مقالات نشرها في الصحف العراقية والعربية.

وقد تفوَّق عبد القادر رشيد الناصري في الغزل فنظم فيه فنوناً وألواناً، ولهج بذكر المرأة والخمرة، وتنقل في الحب كالفراشة تنتقل بين زهور الرياض. خفضته أرزاء الحياة وأعبأوها، ورفعها الشعر إلى المحلِّ السامق، وخلده خلود المحبِّ الوامق.

إنَّ حظَّ شاعرنا الناصري ليدكرنا بالشاعر الإنكليزي المحبِّ جون كيتس (١٧٩٥ - ١٨٢١) الذي أصيب بداء السلِّ وقضى نحبه في ريعان الشباب قبل أن يروِّي ظمأه من الحياة والحبِّ والشعر. كان الناصريَّ حالمًا كشقيقه الروحيِّ الإنكليزي الذي قال: «إنَّ الحالم وحده يسمِّم كلَّ أيامه ويحمل من العذاب أكثر مما تستحقه كلُّ آثامه». ورفع الناصريَّ المرأة إلى مرتبة الآلهة، ثم وصمها بالغدر والخيانة وشبَّها بالأفعى. أما كيتس فقد روى في شعره قصة «لاميا» أو «لامعة» المرأة الأفعى التي ذابت أمام عيني محبِّها، وحديث «السيدة الجميلة التي لا ترحم» تلك الحسناء التي رآها الفارس الصنديد وسحره جمالها، فعمل لرأسها إكليلاً ولعصمها أساور، وأظهرت له الحبَّ ثم تركته وانياً مضنى سليب الفؤاد.

وقد غبط كيتس في آخر شعر له النجم المتألق في الرقيق وتمنَّى لو كان ثابتاً مثله، لا منفرداً في عزلته السامية تحت جناح الليل، ولكن ناعماً بحب الحبيبة الجميل، نشوان بأنفاسها العذبة، فيحيا كذلك إلى الأبد أو يغشى عليه في سكرات الموت.

وغرَّد الناصريُّ بقلب كليم فقال:

وأنسـام معطـرة وروح	أحبِّكِ، والهوى ونـر صدوح،
بخـور كلما احترقت تفـوح	وبجمرة دم العشاق فيها
على شطآنه يجلو الصبـوح	وفردوس من المتع الغـوالي
على كفيك لو سئلت تبـوح	أحبِّكِ، هل علمت، سلي دموعي
على شفـتـيك ذائبة تنـوح	أحبِّكِ، هل علمت بأن روحي
فأزهر من دمي طلح وشيخ	وإني قد عصرت دمي غراماً
لنـاح على فمي الوتر اللـديح	وإني لو أبـوح بسرِّ حبي
بأن دمي بمبسمها يلـوح؟	وهل تدري الشقائق في الروابي
من الأشواق ملتصاع جـريح	أحبِّكِ، يا سهيل، فكل عرق

تنهاى في هواك ، فكل آه  
إذا عانقت طيفك في خيالي ،  
فإني قد نذرت إليك عمري  
وما رتلت أشعاري غناء  
وقال في أشواقه الحائرة :

سكرنا ، يا سهيلة ، من هوانا  
دعيها للندامى يجتسوها  
ألسننا بلبلين بكل دوح  
زرعنا الحب في الدنيا دموعاً  
فإن نبخل على العشاق فيه  
شدونا ، والهوى وتر حنون ،  
وعرس كالربيع يفيض حسناً  
وعيد للمنى ما لاح إلا  
فمن عينيك في عيني نبع  
ومن ذاتي وذاتك بيت شعسر  
وقال في كرمه الهوى :

أيا كرمه للحب يزهبها الصبا ،  
سألتك بالحرمان يأكل خاطري  
وبالجرح ظمناً وبالسهم غائراً  
أما هزك الشوق الذي هز خافقي  
ونضر لي حقلي فأينع غرسه  
وطار بأحلامي وجنح خاطري  
وجدد أعراس الشباب وسحره

يضيق بنارها الصدر الفسيح  
وطيفك باللقا أبداً شحيح  
وعمري في هواك سنن كوح  
ولكن غسرت فيك الجروح

فخلي الكأس يرشفها سوانا  
كفانا خر صبوتنا كفانا  
لنا عش ملأناه حناناً؟  
فأزهر واحدة وزها جنانا  
فما قطفت أزاهره يداننا . . .  
وخر عتقت فصفت دناننا  
ويسخوب بالشذا أنافاننا  
أجد لنا مباحنا الحسانا  
تدقق بالحنين وما سقاننا  
رقيق كالهوى يزهو افتناننا

تباركت عنقوداً وظلاً وملعباً  
وبالجرح يستلقي بعيني متعباً  
وبالدمع مسفوحاً وبالعمر مجدباً  
فباح بأسرار الجمال وشيباً؟  
ومس ثرى عمري الجديب فأخصباً  
وأطلع في آفاتي السواد كوكباً  
وما العمر إلا الحب واللهو والصبا

وفني الناصري في الحب وذاب في شخص محبوبته فقال في مقطوعته «أنت» ناعماً  
إياها بأكوابه وذنته ونداماه وفنه وقيثارته ولحنه وقمره وضميره . ثم قال إنه يتملأها في  
ثغر الصباح الباسم وخرير الجدول الحالم ونسمة الروض وبلبل الدوح ، حتى  
يقول :

أنتِ في قلبي حنين  
 أنتِ في روحي ابتهال  
 فكأنني أنا جـزء  
 بل أنا أنتِ التي  
 ودموع ملء عيني  
 وصلاة ملء أذني  
 منك أو جزء مني (١)  
 أبصرها أو أنتِ آتي  
 وهكذا تغني الناصري بالحب واللهو والصبأ، ومضى لم يمتع بالحب واللهو والصبأ، ذلك الشاعر الذي قال :

جف نبعي وشف روحي الغليل  
 وغدا قلبي الندي يباباً  
 وارترضت نفسي الجريحة بالسوهم  
 فزج صرخ يلف حياتي  
 وفراغ كوحشة القبر ازجيه  
 وتمشى على حطامي الذبول  
 ما به واحدة ولا سلسيل  
 وللوهم يركن المخذول  
 فحياتي تلفت وذهل  
 فلا فرحة ولا تريتيل . . .

من قصيدة :

### إلى الخالدة

غدا تترك السّود، يا فتنتي،  
 أفراع تدلت على منكبيك  
 غدير من العطر هذا الخريبر  
 إذا قبّلتَه شفاه التّسيم  
 فدى ناظريك جراح الهوى  
 فسهمك إن غار في مهجتي  
 وإن عربدت حول روحي الجحيم  
 أحواء، لما يزل آدم  
 سألتك، كيف أعبرت السّدى  
 فكم غاب في ظلها عاشق  
 أخالدة الحسن، لولا الجمال  
 فمن سحر عينيك سحر الغناء

(١) بت مخفف أنت لضرورة الشعر.

## كمال نصرت

شاعر البؤس والأسى، كمال نصرت وهو كمال الدين نصرت بن توفيق بن طه بن ياسين بن طاهر بن السيد عثمان، ولد في كربلاء سنة ١٩٠٧، وتعلم في مدارسها. وانتمى الى كلية الإمام الأعظم، لكن انصرف عن الدراسة بعد أمد.

وأصدر مجلة الرصافة الأسبوعية في كانون الثاني ١٩٣٠، وأعاد إصدارها في حزيران من السنة نفسها، فلم تعمّر طويلاً. وكان محرراً في صحف مختلفة كجريدة الزمان والفرات والرائد وحزبوز. وعيّن موظفاً في أمانة العاصمة.

نشر شعره في الصحف والمجلات، ثم جمعه في ديوان طبع سنة ١٩٦٨. ووضع مسرحية شعرية بعنوان «وفاء العرب» (١٩٦٩).

سجل ترجمة حياته بقلمه في تموز ١٩٣٥، فقال:

«ونشأت يتيماً محروماً من حنان الأم وعطف الوالد. توفيت والدتي وأنا ابن سنتين، وأتبعها أبي - وهو في ريعان الشباب - وأنا لم أتجاوز إذ ذاك الربيع الثالث، فكفلتني جدتي والدة أبي. فنشأت في حجرها، وقد عكفت على تربيتي، فقرأت عليها القرآن الكريم ومبادئ العلوم الأولية والكتابة باللغتين العربية والتركية. ثم انتقلت جدتي الى جوار ربها، فكفلني عمي المرحوم عزت بك القائم مقام المتقاعد، إلا أنني عشت مهملاً في هذه البيئة الجديدة لا يسأل عني ولا يعتني بي أحد. وقد قاسيت من ضروب العذاب والشقاء ما لم تحتمله نفسي الكبيرة وجسدي الواهن الصغير. وكنت أتألم كلما رأيت الأولاد الصغار غادين راثحين الى المدرسة، فرحين مستبشرين، ولا أستطيع مشاركتهم بالجلوس معهم على رحلة التدريس، لأي كنت مهملاً كما ذكرت، ولم يعتن أحد بتربيتي وتهذيبي التهذيب الصحيح. غير أني وجدت من نفسي حافزاً للدخول المدرسة، فذهبت الى أحد كتاتيب البلدة، فسرعان ما قبلني بعد محاوره قصيرة. فدرست مبادئ الحساب والفقه وشيئاً من التاريخ والجغرافية.

«وفي رأس السنة الدراسية دخلت المدرسة الابتدائية، وكان التدريس باللغة التركية طبعاً، وكنت أتقنها إتقاناً جيداً لأنها كانت لغة العائلة التي نشأت بين ظهرانيها. ولهذا تقدمت جميع رفاقي في الدروس وظهرت عليهم في الامتحانات وأحرزت الشهادة الابتدائية. وبعد الاحتلال قبلت في الصف الأخير من المدرسة البارودية، ثم تركتها وانتقلت الى كلية الامام الأعظم. فدرست فيها العلوم العربية أربع سنوات. ولكن بعض الظروف القاسية حالت بيني وبين أخذ الشهادة، فتركها مضطراً ودرست على بعض العلماء.

«ومنذ هذا العهد صار لي ولع شديد بقرض الشعر، فعكفت على مطالعة بعض

الدواوين لمشاهير شعراء العرب كالمثنوي وابن الرومي والبحري وأبي تمام وبشار وأبي نؤاس، كما عكفت على قراءة كتب الأدب القديمة منها والحديثة، وحفظت قسماً كبيراً من شعر المثنوي والشريف الرضي، إلا أنني إلى شعر الرضي أميل منه إلى المثنوي لسهولة لفظ الأول وتعقد ألفاظ الثاني. وإني ميّال بطبيعتي إلى فخامة اللفظ في الشعر ومتانة التركيب فيه، وقد نظمت الشعر في شتى المواضيع، وجلّ ما نظمت في الشكوى والوصف والغزل. ونشر قسم كبير من قصائدي في مختلف الجرائد والمجلات. وأما اليوم فأني في شاغل عن قرض الشعر بأمور العيش في هذه الحياة التي لا تفتأ تناوىء كل أديب حرّ، فهو منها في جحيم لا يجمد أواره.

من شعره، قال في رثاء سعد زغلول :

أنظر إلى المجد كيف اليوم ينهدم  
وكيف غال الردى طوداً سما شرفاً  
وكيف أودع قلب الشرق نزار أسى  
إننا سنذكر سعداً، والفؤاد به  
إننا سنذكر سعداً كلما طلعت  
قد كان في مصر خير الناس كلهم  
وكان سيفاً على الأعداء منصلاً  
وكان للعرب عوناً في مصائبهم  
يا سعبد، شعبك ألى أن يقيم على  
وسوف يظفر بالآمال أجمعها  
وسوف يبقى على الأيام متحداً  
وسوف يقتحم الأخطار مزدرياً

وله في الغزل :

أجول فيما بيننا أن نلتقي،  
مالي ومال للعاذلين، فليتهم  
أهـواك لا عن مطمح أو مطمع :

وقال في سنة ١٩٢٨ :

أرى كل يوم في العراق وزارة  
فلا هذه ترجى لدفع ملّة

فسي الله والحبّ الطهور، عدول؟  
بكمم فـلا دجل ولا تضليل  
إني امسرو عفت الضمير نبيل . . .

تقوم وأخرى بعدها في تثبّت  
ولا هذه تسعى لتحرير أمّتي



وقال :

ألا ما لهذا الغرب يستعبد الشرقا  
له الويل من مستعبد قلبه  
تعاني شعوب الشرق من جور حكمه  
تروم انطلاقاً من قيود اعتسافه  
أقام عليها حاجزاً من عيونه  
وسخّرها تسخير عبء مذلّل  
وسام بنيتها الخسف في جبروته  
وجرّعهم كأساً من الذل علقماً

وقد أصيب كمال نصرت بمرض عضال أقعده في داره أعواماً حتى قضى نحبه  
ببغداد في ٣٠ كانون الثاني ١٩٧٤ .

### محمود الحبوبي

ورث الشعر عن عمّه الشاعر المجتهد المجاهد محمد سعيد الحبوبي . وقد ولد محمود بن حسين الحبوبي في النجف سنة ١٩٠٤ ، ورضع لبان معارفها ونشأ وترتج في معاهدها . وكان أحد مؤسسي الرابطة الأدبية سنة ١٩٣٢ ، وأصبح أميناً لسرتها . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٩٤٨ وأقام فيها حتى أدركته الوفاة بها في أول أيار ١٩٦٩ . كان رضيّ الخلق ، أبي النفس ، إنسانيّ النزعة ، حلو الحديث ، مشرق الإبتسام ، لم يعمل في تجارة ولا وظيفة ، بل عاش عيشة تقشّف وقناعة على إيراد عقار له في مسقط رأسه .

وقد عني بجمع ديوان محمد رضا الشيببي (المطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٠) وديوان محمد جواد الشيببي وديوان محمد سعيد الحبوبي . وأصدر الجزء الأول من ديوانه (ديوان محمود الحبوبي) سنة ١٩٤٨ ، ورباعيات محمود الحبوبي (١٩٥١) شاعر الحياة (موشح ، ١٩٦٩) .

شعره

محمود الحبوبي شاعر عربي وطني علقت روحه بالعراق وتوزعت بين فلسطين ومصر ولبنان وسورية وسائر أقطار العروبة ، فشعره يزخر بذكرها ويتألم لألمها ويفرح لفرحها . وكانت آخر قصيدة نظمها قبيل وفاته في فلسطين ، أعدها لتلقى في مهرجان الشعر المقام في بغداد آنئذٍ .

إن وطن الحبوبي حبيبه ومعشوقه ، فهو يقول :

ليت الألى فتنتهم الأحـداق  
ما خير حسنٍ لا يدوم وصبوة  
أنا إن فتنت ففـيك ، يا وطني ، وكم  
غـذيت حبك والتـائم في يدي ،  
يجري هـواك محبباً مجرى دمي  
إن كان خـرتـه الشفاه فإنا  
أو راقه الخـد الأسيـل فلم يـرق  
وإذا هنا شذأ يـضـوع فقد هنا  
أو بات يطربـه الغناء ففـيك لي  
وإذا ابتغى الخلق الجميل فبغيتي

وهو إذ يحب وطنه يريد نهضته وتقدمه ورخاء أهليه من عامل وفلاح . فهو يندب حال الريف المهجور:

خلت المنـازل والمـرابـع  
ماذا وقوفك وهي قفـرى  
لم يبق منهم نهـشـل  
وهو يأسى للكادح المحروم :

أيها الكـادح المرزأ عيشـاً ،  
خلها هـازئاً بها وبمن فيها  
خلها وانتزع هـوى لك فيها  
خلها فالكهوف أرحب صدرأ  
لست حرأ إن ترصـ أن تلبس القوم  
لست حرأ إن ترصـ أن تجني الشوك

وهو يخاطب الأغنياء ويدعوهم الى العطف على المعوزين وإطعام الجياع وتخفيف دموع اليتامى ، فيقول :

أيها المـثـقل الحـوان طعمـامـا  
راق للعين منظرأ ونظـامـا  
حولـه صفت الفواكـه أنواعاً  
وقد فاضت الكؤوس مداما

كل هنيئاً واشرب هنيئاً ولا تبعاً  
 أيطيب الطعام أكلاً وتهناً  
 أم يلبّد الإفطار من قوت قوم  
 لا تُصخّ مسمعاً لنصح كهذا  
 وهو يهيم بالحرية ويناشدها الرفق بالناس :

أكثرية العشّاق في الأمم  
 السوضع أظلم فابزغي قمراً  
 قد طنال هجرك فارقتي يهيم  
 وتجهّم القسانون فسايتسي ...

ومحمود الجبوبي بعد ذلك شاعر عاطفي يتألم للإنسان والحيوان، بل يتألم حتى  
 للنملة تدبّ على الأرض . وله رثاء يفيض باللوعة والدموع ، منه رثاؤه لأبيه إذ يقول :

لا شعّ منبلجاً لعين الرائي  
 صبّحٌ بسدا وطلائع الأرزاء  
 آبي، وعسّز عليّ أنك لم تجب  
 صوتي ولم تسمع لسديك ندائي  
 سرعاناً ما ساء النوائب جمعنا  
 فمشت بين يئنا وتناي  
 لو كنتُ أعطى ما أوذ وأشتهي  
 لوددتُ بعدك أن يزول بقائي ...

لقد أدركته حرفة الأدب، فلم يعجب للأمر ولم يستغربه، وهو الذي عرف حال  
 الأديب في وطنه وقال :

بلسد يعيش به الأديب غريباً  
 يجلو الكروب عن الأنام، ولم يزل  
 أشقى السورى من عاش فيه أديبا  
 ويذوب قلباً كي يسرى شركاءه  
 من كريبه أوفى الأنام نصيبا  
 ولع بإنماء الحياة لقوموه .  
 في الشعب أهناً أنفساً وقلوباً  
 حتى تجفّ حياته وتذوباً

قال محمود الجبوبي من قصيدة بعنوان «عاصفة» :

يا نفس، حسبك ما لقيت فودّعي  
 عودي الى ما كنت فيه سعيدة  
 عهدي نصيبك من هنائك، فالهوى  
 وخذي نصيبك من هنائك، فالهوى  
 شرط المحيّين الشقاء، ومن خلا،  
 فدعي التصاي للألّ لم يحسبوا  
 وثيقظي، يا نفس، سكرى واغسلي  
 صونني مواهبك الثمينة واحرصي  
 وعلى شعاع العلم والأدب اسلكي  
 عهد الهوى وإلى رشادك فارجمي  
 أعني السلوّ وبالحياة تمتعي  
 لا يستقرّ مع الهنسا في موضوع  
 يا نفس، منه فإنتها هو مدّعي  
 خلقوا لغير صهاية وتولّع  
 درن الأنام بطاهرات الأدمع  
 أن تغسري الأوراد في مستنقع  
 نحو الحقيقة في طريق مهيع ...

## خضر الطائي

شاعر سماه غازي عبد الحميد الكنين «الجنديّ المجهول في سماء الأدب العراقي الحديث». ولد خضر عباس الطائي في بغداد سنة ١٩١٠، وأصل أسرته من سبب القبيلة الطائية النازلة في أراضي شامك بقضاء مخمور بين الزابيين. وقد أتمّ دراسته الابتدائية، ثم لازم الشيخ قاسم القيسي وعبد الوهاب النائب ونجم الدين الواعظ وغيرهم ودرس عليهم علوم العربية والدين. وانتمى الى جامعة آل البيت (١٩٢٦) فتخرج فيها سنة ١٩٢٩ وعين مدرّساً في البصرة. وعمل بعد ذلك في سلك التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية في عنة وبغداد والحلة حتى اعتزل الخدمة في حزيران ١٩٦١.

وقد أدركته الوفاة في بغداد في ٢ تشرين الثاني ١٩٦٩.

مؤلفاته وشعره:

كان الشاعر خضر الطائي هادئاً منزوياً لم يسع الى الشهرة حتى انطبق عليه قول عبد الله بن عمر العزّجي (المتوفى في نحو سنة ٧٣٨م) الذي تولّى تحقيق ديوانه مع رشيد العبيدي:

أضاعوني، وأيّ فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

نظم الطائي الشعر يافعاً، واختلف الى مجلس جميل صدقي الزهاوي وندوات الأدب، واقتفى آثار أحمد شوقي في مسرحياته المنظومة. قال عبد القادر البرّك (جريدة الجمهورية البغدادية، ١١/٧/١٩٦٩):

«ولقد كان اعتزاز الطائي بانتسابه لطبيء مصدر إعجابه وتخليده للشاعر العربيّ الكبير حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام، فكان يترسم خطاه في كل ما نظم من شعر في مناسبات عديدة. وبلغ من وفائه لهذا الشاعر أن تقضى كل ما كتب عنه، فخرج على الناس بكتاب فنّد فيه الكثير من آراء الدكتورين طه حسين وعمر فروخ في هذا الشاعر، وقد أحسنت وزارة الثقافة في طبع هذا الكتاب...»

«لقد نظم خضر الطائي قصائد رائعة في مناسبات وطنية وقومية ودينية عبّر فيها عما يدور في نفوس الأمة من الانفعالات والدوافع والآمال والمطامح في شعر محكّك أفقده التحكيك والمعاودة ما كان يجب أن يكون فيه من تدفق وانسياب، فهو من بقايا مدرسة العمود الشعري في مبانيه ومعانيه. وكان التزامه الجاهل بأراء هذه المدرسة حائلاً دون تحليقه فيما نظم من مسرحيات شعرية استحق أن يكون لها رائداً للمسرحية الشعرية في العراق. ذلك أن مسرحية قيس لبنى وأهل الكهف الشعريّتين كانتا أسبق المسرحيات

الشعرية التي أنتجها الشعراء العراقيون بعد أن نالت مسرحيات أمير الشعر شوقي إعجاب كافة أدباء وشعراء العرب» .

حقق الطائي بالاشتراك مع رشيد العبيدي ديوان العرجي وطبعه سنة ١٩٥٦ ، وألّفها معاً «دليل النحو الواضح» ، وهو كتاب مدرسي .

وللطائي عدا ذلك : مسرحية قيس لبنى (١٩٣٤) مسرحية أصحاب الكهف والرقيم (١٩٦١) أبو تمام الطائي (١٩٦٦) ، الخ . ومن آثاره المخطوطة ديوان شعره ومسرحيته سيف بن ذي يزن ودراسة عن الحطيئة ونقد لديوان محمد بن عبد الملك الزيات وديوان الشيخ صالح التميمي .

قال في روعة الشعر:

ابتغِ النجم للخلود مكاننا  
وتأمل زهر الطبيعة في ربوتها  
كوتته يد الربيع من الفنّ  
كلما طافت العيون عليه  
يتهادى على الزمان ويزهو  
هبة من مواهب الله جاءت  
ملأت ساحة البسيطة تراً  
فربت مثل جنة الخلد في الزهو  
نسج الفنّ جانبيها ووشاها  
طاف فيها براحتيه ابتداءً  
فالتمس في نسيمها روعة الشعر  
وكن البلبل الذي إن تغنى  
وتلقّى المعاني الغرّ منها  
وقال في التمثيل :

كلّلوها هامة الممثل غارا  
وأقيموا من الفنون صروحاً  
أظلم العيش في الحياة فلما  
وهدى القلب للجمال فغنى  
نغمات تسري بهنّ الأماني  
ما على القلب أن يخفّ بسحر

وانثروا في طريقه الأزهارا  
خالجات تغالب الأقدارا  
سطع الفنّ في الحياة استناراً  
بالقوافي وحرّك الأوتارا  
صبوة وانبساطة وادكارا  
يستخفّ العقول والأفكارا

حتى يقول :

مرح الدهر فارفع الأستارا  
بشنى شـؤونها أطـوارا  
أو دموعاً تسيلها مدرارا  
قم ومثل فيه الحياة صغارا  
أو جحياً تـؤجج الأرض نارا  
لكي ننظر الحياة جهارا  
يسدل الموت دونها الأستارا

ايه يا أيها الممثل هذا  
قم ومثل فيه الحياة كما تبدو  
قم ومثل فيه الحياة ابتساماً  
قم ومثل فيه الحياة جلالاً  
قم ومثل فيه الحياة نعيماً  
قم ومثل فيه الحياة وما فيها  
قم ومثل لنا الحياة الى أن

وقال يرثي أباه :

وقد غاب عني موثلي ورجائيا  
فلم أَلَفَ إلا عن دموعي راضيا؟  
خواطر يترك المنايا أمانيا؟  
حيناً الى من بات في اللحد ناويا  
وقد كان في المحراب يطوي اللياليا  
سوى الصبر تمّ قد ألمّ مداويا  
تحدّى به حكم القضاء النطاسيا  
لعيني حتى أَلَفَ النفس باقيا  
وأكرم من يهفو إليه فؤاديا  
فلم أرها في العمر إلا لياليا  
دقائق أحصي حسنها وثوانيا . . .  
تعوّدت فيها أن تردّ جوابيا  
وهيهات لا نرضى عليها التناسيا

عزائك ، يا قلبي ، وكيف عزائيا  
نقمت الرضا عن بهجة العيش بعده  
هل البرّ إلا أن أردّد ذكره  
يجيب للقلب الحنين الى السردي  
فديت بنفسي نائماً في ترابه  
له الله مجهوداً من السقم ما رأى  
شفتيه من السداء المنيّة بعد ما  
سأبكيه لا أبقى من الدمع بعده  
بقية من يحنو علي فؤاده  
ثلاثين عاماً عشتهنّ بظلمه  
ومن لذة الذكرى أردّد عهدها  
أيسا ساكناً تحت التراب ، تهيّة  
ستبقى لك الذكرى وإن أبعدت بنا

وقال من قصيدة نظمها في رثاء زعيم مصر سعد زغلول :

شعب مضى بسعوده الدهر  
وطريق نيل مرامه وعر  
واليوم لا ظفر ولا نصر

لا الحزن ينفعه ولا الصبر  
أماله أمست مضبّة  
قد كان ينصره أخو ظفر

ليت الزمان يدور منقلباً      فيعود مثل قديمه الأمر  
 ماذا على الأيام لو تركت      سعداً تنال به المنى مصر؟  
 بالأمس ضمّ اليه نجدها      واليوم ضمّ عظامه القبر  
 وقد سار في هذه القصيدة على نهج جميل صدقي الزهاوي فوحد الوزن ونوع الروي طلباً للتجديد .

\*\*\*

نظم خضر الطائي قصصاً من التاريخ العربي كقصيدة «معن بن زائدة الشيباني» التي يقول منها :

من كمعن في حلمه ، من كمعن      في نداءه ، من مثله في الطعان؟  
 عربيّ كأنّ أخلاقه الغرّ      نجوم السماء في اللمعان  
 قدّمته خلائف من بني الـ (م)      عبّاس حتّى سما بأعلى مكان  
 وحبته ولاية البصرة الفيحاء (م)      لما رأته طوع البنان  
 فمشى العدل والأمان بها في      ظلّنه وازدهت على البلدان

\*\*\*

مرّ يوماً به رجال أحاطوا      بفتى من سلائل الأعيان  
 وضعوا القيد في يديه ورجليه (م)      فأمسى في ذلّة وهوان  
 زعموا أنه أدين بذنب      فوشوا بالفتى الى السلطان  
 والشوايات طرقت كلّ كذوب      عاجز أو سلاح كلّ جبان  
 استنجد الفتى الأسير بمعن فأجاره وأمنه . وسخط الخليفة حين بلغه الأمر ، فدعا معنّاً وأتبه علّ فعله وتحذيه لأعوان السلطان ، فاعتذر معن .

قال : عفواً ، يا سيّدي ، أنا عبد      لم أكن بالمخالف الخوّان  
 إنّ عذري ، يا سيّدي ، إن عذري      أن البّيّ نداء من قد رجاني  
 كيف ألوي عمّن ينادي : أجرني ،      وهو دون الرجال طراً دعاني؟  
 عودتني على الجميل كما كانت (م)      حماة الضعيف من شيبان  
 إنني ذلك الحسام ، فضّل بي      ترني ذائداً عن الأوطان  
 كم عدوّ قتلته بحسامي ،      كم خصيم طعنته بسناني؟  
 أولم أستحقّ في خدماتي      أن تراني أهلاً لفخر أتاني؟  
 يا كثير الهبات ، هب لي فرداً      واحداً عن جميع صرعي طعاني

ورضي الخليفة عنه فقربه وأدنى مكانه وعفا عن جاره وأكرمه .

## حسين علي الأعظمي

من رجال الأدب والفقهِ والقانون، ولد حسين علي الأعظمي بضاحية الأعظمية شمالي بغداد سنة ١٩٠٧ ودرس في كلية الإمام الأعظم وجامعة آل البيت . وتخرّج سنة ١٩٢٨ فعين مدرساً في كلية الإمام الأعظم نفسها .

وانتمى الى كلية الحقوق (١٩٣٢)، فلما تخرج فيها مارس المحاماة أمداً وجيزاً، ثم عين مدرساً معيداً في تلك الكلية (أذار ١٩٣٦). وظل يدرس في كلية الحقوق ببغداد حتى أصبح أستاذاً (كانون الثاني ١٩٤٧) ورئيساً لقسم الشريعة وعميداً للكلية .

وقد توفي ببغداد في ٥ أيلول ١٩٥٥ . وضع مصنّفات كثيرة في الحقوق، منها: علم الميراث (١٩٣٨) والوصايا (١٩٣٩) الوجيز في أصول الفقه وتاريخ التشريع (١٩٤٢) أحكام الزواج (١٩٤٦) أحكام الأوقاف (١٩٤٧) الأحوال الشخصية (١٩٤٧) أصول الفقه (١٩٤٨) الوصايا والموارث (١٩٤٨) .

كان حسين علي الأعظمي شاعراً أديباً تفرقت قصائده في الصحف والمجلات . وقد نشر: أناشيد وأدبيات الفتاة (١٩٢٦) مع ابن سينا (١٩٥٢) .

أهدته صبيحة الشيخ داود مسبحة فقال فيها قصيدة، منها:

جاءت إليّ بسبحة من أدمع	أو سبحة من أكبـد وقلوب
من جيد راهبة تسبح ربها	في الدير باسم مسيحها المحبوب
خلعت بها ثوب الذنوب بزحلة	وخلعت في بغداد ثوب ذنوبي
وعكفت في محراب قلبي خاشعاً	لأنال في محرابه مطلقوبي
متعلقاً بالله جلّ جلاله	متشفعاً بحبيبه وحبيبي
متوسلاً متأملاً متضرعاً	متطلعاً في لوحه المكتوب
مترقباً عند الغروب شروقه	لتدور بي شمس بدون غروب،
وتسير في بحر الوجود سفينتي	بشراع روحي أو بخـار لهيبي
وتطوف حول حبيبه هيانة	بجمالـه من غير عين رقيب
فهو القريب لهاثم في قربه	ولن جفنا ونأى فغير قريب
وهو المجيب لعاشقيه سُؤلم	ولن طغى في الأرض غير مجيب
.....	..... الخ



## محمد هادي الدفتر

الشاعر الصحفي محمد هادي بن علي الدفتر. ولد بالبصرة سنة ١٩٠٤ ونشأ بها. وتعلّم في مدارسها. نزع منذ فجر صباه إلى الأدب، فقرض الشعر وكتب المقالات وعمل في القضايا الوطنية.

وجاء إلى بغداد فحرّر في صحفها. ثم أصدر جريدة «الدفتر» (١٩٤١) واشترك بعد ذلك في إصدار جريدة «النهار». ومضى في سنيه الأخيرة إلى الكويت، فأدرجه الحمام فيها في ٨ أيلول ١٩٦٦.

عرف شاعراً أجاد في وصف الطبيعة ونظم ديوان شعر بعنوان «من وحي المصايف» (١٩٤٥). وألف أيضاً: نظرة اليقين (١٩٢٩) أمرؤ القيس وأشعاره، صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه في الأقطار العربية والعواصم الإسلامية (في جزئين ١٩٤٧) الخ.

من شعره في قرية بنجوين:

قضى الله أن يرمي برحلي لقريبة  
بصورها فكري لعيني جنّة  
توهمتها خلداً فإئلهما الخلد  
بها الحور والولدان والراح والشهد

وقال في شلال:

مررت بشلال فقلت بنعته  
تغذّيه أئداء الجبال بدّرتها  
فتحسبه، والماء ينساب جارياً،  
يلجلج ما بين الجلاميد هازجاً  
فتسمع منه تارة صرخاته  
يمدّ به نهر تلاطم ماؤه  
وقد ثجّ من بين الشام عبابه  
وغيب أعلاه عن العين بعده  
جرى مثل فجر سال من جوف ليله  
يمرّ به تياره متدفق

وقد كان مرفض الأفويق ينبع  
وترفده الوديان فيها وتترع  
تعايرج برق في سحاب يلعلع  
بلجّته والموج للموج يقرع  
وأونة جرس الغناء يرجع  
وينصبّ في نهر به العين تولع  
فصبّ على نهر من البرق أسرع  
وأظهر أدناه لدى القرب منبع  
على جدول كالصّبح بالماء يلمع  
على الصخر لا يعيا ولا يتكعكع

## نعمان ماهر الكنعاني

الشاعر الضابط نعمان ماهر الكنعاني ينتمي إلى أسرة حسينية، ولد في بلدة سامراء في نيسان ١٩١٧. وأتم دراسته الثانوية في بغداد، فالتحق بالكلية العسكرية وتخرج فيها

ملازماً ثانياً (١٩٣٩). وساهم في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨.

تدرّج في مراتب الجيش حتى أصبح مقدماً وأحيل على التقاعد في نيسان ١٩٥٧، ثم أعيد إلى الخدمة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ برتبة عقيد. وأخرج من الجيش ثانية في نيسان ١٩٥٩ بعد ثورة عبد الوهاب الشواف في الموصل، فلجأ إلى سورية وانتقل منها إلى القاهرة. وحكم عليه بالإعدام غياباً بتهمة التآمر على الجمهورية (أيار ١٩٦٠).

عاد إلى بغداد بعد الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم، فعين مديراً عاماً بوزارة الثقافة والإرشاد (١٩٦٤) فوكيلاً لنفس الوزارة (١٩٦٧) حتى استقالته في ٢١ تموز ١٩٦٨. وقد انتخب نائباً للأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين (للمشؤون العامة) سنة ١٩٨٦.

مال إلى الشعر والأدب منذ صباه. وقال إنه تأثر أكثر ما تأثر بأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس الحمداني، ومن الشعراء المعاصرين أحمد الصافي النجفي ومحمد رضا الشيببي. ولازم معروف الرصافي في أواخر أيامه فوضع عنه رسالة «الرصافي في أعوامه الأخيرة» (١٩٥٠) بالاشتراك مع سعيد البدري.

من مؤلفاته الأخرى: شعراء الواحدة (١٩٤٥) في يقظة الوجدان (١٩٤٣) شاعرية أبي فراس (١٩٤٧) الشعر في ركاب الحرب (١٩٤٩) المعازف (١٩٥٠) لهب في دجلة (١٩٦٠) ضوء على شمال العراق (١٩٦٥) من شعري (١٩٦٦) مختارات الكنعاني (١٩٦٦) مدخل في الاعلام (١٩٦٨) من القصص الانكليزي (١٩٥٤)، الخ.

من شعره:

## أطياف

فاستشارت ذكراك همس الضمير  
ذكريات عصية التعبير  
سنى فاتنناً فيشرق نوري  
عبيراً من أمسنا المهجور  
شؤوناً وأوغلت في المسير  
فحنّ الظم لــــلــــلــــلــــلــــل  
لياليك في شذاها الغمير . .  
سوى آهة الخنجان الكسير  
لليالي عهد الصبا المغرور

سكّر الليل بالسنى والعبير  
وأطلت من عهدنا حائرات  
يا حبيبي، أراك في رافل البدر  
ويضوع الشدا فاستاف نجواك  
فرقتنا ما فرقت أنجم الليل  
عاودتني من ذكرياتك أطياف  
ومنت، والشوق يهتف بالحب،  
يا فؤادي، ولم تعد ذكرك الماضي  
هل أثار الليل المضمخ شوقاً

وشعره في الغالب عموديّ قوميّ النزعة ، وله شعر غزليّ جميل . وهو معارض للشعر الحرّ الجديد ، وقد قال : «إن الاستهانة باللغة تعني فقدان الأداة ، والجنوح نحوالطلسمة يعني الضياع ، ورسم الصورة بغير ما تحتمله من الألوان نوع من العبث المرفوض . والتجديد والخلق صفة الأصالة الشعرية» .

ناجى بغداد فقال :

بغداد ، يا نجوى الخيال	غبتك أحلام الليالي
يا طلعة اللآلئ مُشر	قصةً على أفق المعالي
يا كبرياء المجد يرفل	بافتتحة الضيوة والضيال
أقسمتُ بالعزومات ما	ترتدّ في الشووط الطوال
بساحة الكفّ الخصب	بنشوة العفّ المغالي
تدري الحضرة أنها	بك قد علت عرش الجبال
وروت عن المنصور للاً	جبال ملحمة الجلال . . .

### رباب الكاظمي

الشاعرة رباب الكاظمي ابنة شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ، ولدت في القاهرة في ٢٢ آب ١٩١٧ فكانت عزاء أبيها في كبره وسلوته في شقائه ، قال فيها :

رباب لنفسي زهرة طاب غرسها      فلا ذبلت نفسي ولا ذبل الزهر  
وقال :

فداء رباب داء قلبي ومهجتي      وإن شفاها ، لو علمت ، شفائي  
رجوت بقاها في الأنام ، وإنما      بقاء رباب في الأنام بقائي

وقال :

إذا سألتوني : من رباب؟ أحببهم      هي الروح والعقل المدبّر والشعر  
إن شعر الكاظمي في ابنته رباب لا يضارعه سوى شعر فكتور هوغو الذي قال  
يذكر ابنته مخاطباً الله :

ألا ترى ، يا مولاي ، إن أبناءنا ضروريون لنا ، فحينما نرى في حياتنا ، ذات صباح ،  
وسط المتاعب والرزايا والشقاء وفي الظل الذي تنشره علينا يد القدر ،

حين نرى ظهور طفل، رأس عزيز مقدس، مخلوق صغير بهيج، قد بلغ من الجمال أننا نتوهم حين يأتي أن باباً قد فتح من أبواب السماء . . . .» .

نشأت رباب الكاظمي في كنف أبيها ورتعت في بحبوحة أدبه وفضله . ولم تكذب تبلغ العاشرة من عمرها الرطيب حتى فقدت أمها، فذاقت مرارة اليتيم . وكان أبوها يربها بحنانة ويعلمها شدة الشعر، لكنه لم يلبث أن قضى نحبه وهي في الثامنة عشرة . وفي حزيران ١٩٣٥ دعيت الى بغداد لحضور حفلة تأبين أبيها، فزارت لأول مرة موطن آبائها واكتحلت عيناها بمرأى شيطان الرافدين ومناثر الأئمة الذهبية، وكانت موضع العطف والرعاية .

وعادت الى القاهرة فأكملت دراستها الثانوية في حزيران ١٩٣٧ . وعقد قرانها سنة ١٩٣٦ على حكمت أحمد الجادرجي (المولود سنة ١٩١٢)، وكان موظفاً في المفوضية العراقية بمصر.

والتحقت بكلية طب الأسنان في القاهرة سنة ١٩٤٦، وواصلت دراستها في الاسكندرية وباريس، حيث انتقلت مع قرينها في وظائفه الدبلوماسية، وحصلت على إجازة طب الأسنان في العاصمة الفرنسية سنة ١٩٥٠ . ثم نالت شهادة الاختصاص بأمراض أسنان الأطفال من جامعة جورج تاون في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة (١٩٥٣).

وعادت أخيراً الى بغداد في آب ١٩٥٤ برفقة زوجها الذي أصبح مديراً عاماً للدائرة العربية في ديوان وزارة الخارجية . وعينت طبيبة أسنان في مستشفى الطلاب، ورفعت سنة ١٩٥٥ رئيسة لقسم طبابة الأسنان في صحة المعارف . ثم نقل قرينها مستشاراً للسفارة العراقية في تونس في تموز ١٩٥٦، فصحبته إليها . وعادت معه الى بغداد في شباط ١٩٦٢ عند نقله وزيراً مفوضاً في ديوان الوزارة وتعيينه على الأثر مفتشاً عاماً في السلك الخارجي .

وقد أحيل حكمت الجادرجي على التقاعد في تشرين الأول ١٩٦٢، وتوفي في لندن في تموز ١٩٧٠ . وعينت الدكتورة رباب طبيبة للأسنان في مستشفى الطفل العربي ببغداد في تشرين الأول ١٩٦٤ .

شعرها :

نظمت رباب الكاظمي شعراً منذ صباها، ونشرت قصائدها في المجلات والجرائد المصرية والعراقية . وقد أثبتت نماذج طيبة منه في كتاب أدب المرأة العراقية لبدوي طبانة (١٩٤٨) وشاعرات العراق المعاصرات لسليمان هادي الطعمة (١٩٥٥) . ووضع عبد الرحيم محمد علي كتاباً فيها باسم «رباب الكاظمي : دراسة وشعر» (النجف ١٩٦٩) .

إن شعر رباب صلة متأخرة لأدب عايشة تيمور (١٨٤٠ - ١٩٠٢) ووردة اليازجي

(١٨٣٨ - ١٩٢٤) وملك حفني ناصف (باحثة البادية ١٨٨٦ - ١٩١٨) وأخواتهن من الشاعرات القدييات اللواتي حملن لواء النهضة الأدبية النسائية قبل الحرب العظمى الأولى . ويكاد شعر الكاظمية يقتصر موضوعه على مطالب قومية ومصرية وشخصية مما عاجله والدها وشعراء عصره .

قالت عائشة تيمور:

بيد العفاف أصون عزّ حجابي  
وبفكرة وقادة وقريحة  
ما ضرتني أدبي وحسن تعلمي

وبعصمتي أسمو على أتراي  
نقادة قند كُملت آدائي  
إلا بكوني زهرة الألباب . . .

وقالت رباب :

أنا الرباب في السورى  
جواد فكوري مطلق  
قريحتي سيّالة

لقولي انسجام  
ليس لسهه لجام  
وفكوري سجام . . .

وقالت أيضاً :

أنا رباب الشاطرة  
بـالعلم أدرك المنى  
أجدّ لا أخشى العثار  
أذود عن كرامتي  
من دونها لي أذن  
بغداد لي إذ أنتمي  
إن نسبوا أخلاقنا  
أو ذكروا أنسابنا  
إذا مشينا وقفنا  
وإن بدينا سجدنا

الى الامام سائرة  
والجدّ والمثابرة  
يوم غيري العائرة  
وعن بلادي الطاهرة  
تصغي وعين ساهرة . . .  
مجدي ومصر القاهرة  
فهي الرياض الزاهرة  
فهي الشموس السافرة  
لعزنا القياصرة  
لنورنا الأكاسرة . . .

وقالت باحثة البادية :

أعملت أقلامي وحيناً منطقي  
أيسوؤكم أن تسمعوا لبناتكم  
أيسركم أن تستمروا بناتكم

في النصح، والمأمول لم يتحقق  
صوتاً يهزّ صداه عطف المشرق؟  
رهن الإسار ورهن جهل مطبق؟ . . .

وقالت الكاظمية :

يا أيها النفس الرألى  
 لآنى أسألكم ، ومن  
 ما يصنع الجهل إن  
 أجهلتكم آلامنا  
 هل أنتم فى مآمن  
 هلا أخذتم أهبة  
 إن بعتم استقلالكم  
 وقالت :

أدى لى الأيام جرمى  
 أظها ولا أظسى بغير  
 أصغى الى زمنسى وطىب  
 غودرت بين حقىة  
 وبقت مآ بقت يى  
 أغدو على حرّ الجوى  
 يهنى المجهاهد غنمه  
 أكذا المصائر كلها

ثم قالت :

أننا من أناس كلهم  
 كرموا ولما يلبسوا  
 لأبى وأمى أنتمسى  
 أمآ أبى فلقى أبى  
 لم يأل جهداً سعیه  
 وىظلل فى حلّ الأخص  
 يىكى على أوطاننه  
 فى أضلع تذكوى  
 يقضى اللىالى حائراً  
 يلقى حوادثها بخيل  
 إن أنقل الخطب الملم

فتنوا بداعية الفتون  
 حولى البلاد لها أنین :  
 جهل الهداة العالون ؟  
 أم أنتم لا تعبأون ؟  
 مآ له تستهدفون  
 لمطامع المتأهین  
 یومأ فماذا تشترون . .

وجرى رقى فى الدهر علمى  
 مآ ورد فى الناس تظمى  
 كلامه حرّقات كلم  
 حیرانة أمشى ووهى  
 بقت بها آثار وشم  
 وأروح فى غیظسى وكظمى  
 وغنمى فى الجهده غرمى  
 إمأ لغرم أو لغنم ؟

بدر ولكن عنده تم  
 لعاداتهم جلباب لوم  
 والأطیبان أبى وأمى  
 عنده القىوا فى غیر حکمى  
 فمن المهتم الى الأهم  
 من المشااكل والأعم  
 وینوح فى نشور ونظم  
 أو أدمع فى الوجود سجم  
 مآ بین إفلاس وسقم  
 من عزائممه ولجم  
 یخفّ بخطب الملم

وكأنه في يومه في جنح ليلٍ مدلهم  
فلذا فررت الى حماه فررت من همي لهمي . .

ورباب الكاظمي بعد ذلك شاعرة وطنية مصرية تعلقت بأهداب الوفد وسعد  
زغلول وزوجه أم المصريين وخليفته مصطفى النحاس وقالت فيهم خير شعرها وأصدقه  
عاطفة وحماسة ومودة . قالت في ذكرى سعد :

ما بال لـون الشرق حائل  
ما للعيون الداميات  
ما للقلوب كآنها ،  
ما للكنانة والخطوب  
ما للقفوافل ذاهبات  
لم أنس يوم البين إذ  
حتى إذا الشك انجلى  
وعلمت من طول النوى

وجوانب الدنيا زلازل؟  
كأنها ديم هـواطل؟  
والوجد يذكيها ، مشاعل؟  
طوارق فيها نوازل  
للبي تلو القوافل  
جـدّ النعيّ فقلت : هـازل  
أيقنت أن الأمر هائل  
أن المسافر غير قافل

ثم قالت :

لا قـرب الله الألى  
وسطوا على أوطاننا  
إن المهـازل جمة  
خلف الحيات تستروا  
ليس الحيات كما ادعوا  
ودليلهم فرسـانهم  
يا أيها السـرامى ، أرح  
واستبق قومك للزمان  
وهم وقـاك من البلاء  
النيل يظمأ أهله  
غفل الزمان فأدركووا  
وقالت :

يا بنات النيل ، زنتن العصورا  
كل من كان على الدهر فخورا  
يا بني مصر ، رفعتم شأنها  
هذه الأهرام ، فليفخر بها

جاهدوا أو تدركوا غاياتكم  
وسلوهم كيف كانوا ومتى  
سجلوا المجد وأشتات العلى  
كلمات نشقت أحرفها  
أو تـروا العـزّ الى النيل مشيرا  
كانت الأعجاز في الناس صدورا  
كلمات طيّبات وسطـورا  
فتلونهاها وروداً وزهورا

ولقد ذهب بعض النقاد الى أن شعر رباب من نظم والدها أو من تنقيح قلمه ، فقال كمال إبراهيم متحدثاً عن عبد المحسن الكاظمي أنه كان يتلو القصائد الطوال من شعر ابنته رباب وارثاً أن شعره والشعر الذي رواه لابنته كان نمطاً واحداً وروحاً واحدة ولغة واحدة لا تكاد تحسّ بينها اختلافاً . والمعتقد أن شعره ينسبه إليها ، إذ كان ينشر باسمها القصائد الطويلة في الصحف المصرية ، وهي لما تنزل في دور الطفولة . ودفع هذه الريبة نقاد آخرون ، منهم عبد الرحيم محمد علي مؤلف كتاب «رباب الكاظمي» والدكتور بدوي طبانة وغيرهما . وقال الشاعر المصري صالح جودت : «تأثرت بروح أبيها ، لولا تلك الأنوثة الرقيقة التي تبدو في شعرها . ولكن ديباجتها العربية هي من النماذج العالية للشعراء لا للشاعرات فحسب . . . » .

إنّ عصر الشاعرة رباب الكاظمي . قد انتهى ليهلّ عصر أدبي نسائي جديد لمعت في سمائه نجوم نازك الملائكة وعاتكة وهبي الخزرجي وأميرة نور الدين داود وصواحبهنّ .

### الدكتورة عاتكة وهبي الخزرجي

شاعرة الحزن والنجوى والتأمل والتقوى عاتكة وهبي الخزرجي ، ولدت في بغداد في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ ، وكان والدها وهبي الأمين الخزرجي ضابطاً في الجيش التركي برتبة قائممقام (عقيد) وأصبح متصرفاً للموصل سنة ١٩٢١ فمتصرفاً للواء ديالى . وتوفي بعد ذلك وعمر ابنته لا يتجاوز ستة أشهر .

ذاقت عاتكة مرارة اليتيم طفلة فنشأت ميّالة إلى الشجو والأسى . وانتمت إلى دار المعلمين العالية فتخرجت فيها سنة ١٩٤٥ وعيّنت مدرسة للغة العربية في بعض مدارس البنات الثانوية . وأرسلت بعد ذلك لإتمام دراستها في جامعة السوربون في باريس (١٩٥٠) فحصلت على شهادة الدكتوراه في الآداب (١٩٥٦) ، وكان موضوع أطروحتها العباس بن الأحنف الشاعر الغزلي الرقيق ، وكانت عاتكة قد حققت ديوانه ونشرته في القاهرة سنة ١٩٥٤ .

وعادت إلى بغداد فعيّنت مدرسة بدار المعلمين العالية التي أصبحت فيما بعد كلية التربية ، وواصلت الدكتورة عاتكة التدريس في كلية الآداب بجامعة بغداد . وسافرت إلى باريس في صيف سنة ١٩٧٠ للقيام ببحوث أدبية وعادت إلى بغداد بعد أمد قصير . قال الدكتور صفاء خلوصي في كلمته عن هذه الشاعرة في مجلة الجمعية الأسبوية



الملكية الصادرة في لندن (١٩٥٠) ما ترجمته : «ان عاتكة بدأت حياتها فتاة حيية لم تكن لتتغلب على خجلها الا حين كانت تلقي خطاباً أو تتلو بعض أشعارها . وكانت تضع الحجاب حتى في ساعات الدرس ، لكنها سرعان ما تبدلت حالها ورأى العراق فيها امرأة حرة ثائرة» .

نظمت عاتكة وهبي الشعر صبية ، وكانت باكورة شعرها صرخة مدوية تترجم عن اليتيم والدّل والشقاء فقالت :

وألقت عليّ الأم نظراً أيم قرأت بها يتمي وتاريخ حسري  
وكم كنت آسى إذ أشاهد طفلة تصيح : أبي أذيتـديها بطفلتي  
فأسرع في ذلّ ويأس وهفـة أسائل أمي إذ أغالب دمعتي :  
حنانك يا أمي ، أمالي من أب؟ أمالي من كفّ تكفكف عبرتي؟

وشعرها قويّ رصين التزمت فيه الطريقة العمودية الأصيلة وغلب عليه الحزن والتفجّح والألم . ونزعت إلى التصوّف فنظمت في الزهد والعشق الإلهي قصائد من عيون الشعر . وقد أشبهت الشاعرة الصحابية عاتكة بنت زيد العدوية التي رثت قرينها عبد الله بن أبي بكر الصديق قائلة :

فآليت لا تنفك عيني حزينـة عليك ولا ينفك خـدي أغبرا  
وأعادت على طريقة العصر سيرة رابعة العدوية الشاعرة الناسكة الصالحة التي سكرت بخمرة الهيام الالهية وزهدت في الحياة الدنيا وقالت : «اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم» .

نشرت عاتكة مسرحية شعرية بعنوان «مجنون ليل» (١٩٦٣) ودواوين : أنفاس السحر (١٩٦٣) أفواف الزهر (١٩٧٦) لألاء القمر (١٩٦٥) .

ان شعر الخزرجية الخززين الرقيق ليشبه في أواجه المتضارية ونغماته الساجية شعر مارسيلين ديبورده فالمرور Marceline Desbordes Valmore

(١٧٨٥ — ١٨٥٩) التي رتلّت أناشيد الأسمى والحبّ الصوفي ولواعج النفس على قيثاره الشعر الفرنسي . ولدت هذه الشاعرة في أحضان أسرة مرفهة ، لكنّ الثورة الفرنسية التي نشبت ، وهي طفلة ، حملت إلى آها البؤس والشقاء . وأرسلت الفتاة إلى جزيرة الغادلوب النائية في بحار أميركة الوسطى لاستيفاء إرث عائلي ، بيد أنها عادت من رحلتها المضنية أشدّ فقراً . وتوفيت والدتها ، فقست عليها الحياة ، وشردتها ، وقسا عليها الحبّ فأورثها السقم والعناء . ثم لقيت شريك حياتها في بروكسيل ، فكانت مثال الزوج الصالحة والأمّ الحنون ، وهددت أطفالها وأطفال فرنسة عامة بألحان شجيّة تفيض رقة وعدوية . ان مارسيلين ديبورده التي عرفت بشقيقة الشعراء الروحية قد بلغت -

كما قيل - قمة الشعر الوجداني بلا تكلف، وكانت وسيلتها نفسها المرسله على سجيته  
وعواطفها المرهفة . وقد ودّعها الشاعر تيودور دي بانفيل قائلاً :

«ايتها الميئة العزيزة ، التي جاعت روحها وظمأت إلى سماء اللازورد ،

يا مارسلين ، هل ترقدين في تربة التلّ الباردة؟

هل وجدت الهدوء أخيراً؟»

قرأت الشاعرة الفرنسية قصيدة الشاعر الفارسي عبد الرحمن جامي الذي سبقها  
بثلاثة قرون ، تلك القصيدة التي يتغزل فيها بحبيبة مجهولة لم ترها عيناه واشتاقت إليها  
روحه عبر الأثير ، فأجابته بقصيدة تقطر لوعة وتلهفاً وتشوقاً . قالت :

«حينما تتعدّر عليّ رؤياك ، يرهقني الزمان وتثقل الساعة كاهلي بعبء أنوء بحمله .

وأشعر بقلبي يذوب وكأنه يزعم مغادرة ضلوعي ، وينحني رأسي ، فأشقى وانخرط  
في البكاء .

وحين يهتف صوتك المدوي في قرارة ذاكرتي ، أرتجف وأصغي بلا حراك ، ويمتلك  
الرجاء قيادي .

وكأنّ الله يمسّ قصبه واهية ، وأنا بكلّ حواسّي أجيب قائلة : اللهم ، فليأت !! . . .

وقالت عاتكة وهبي :

أهــواه ، هل يبغني على	صدق المحبّة من شهــــــــــــــــود؟
إباض الحاطي واطــراقبي	وصمــتــي أو جمودي
ووجيب ما بين الضلــوع	وحيرتي بين الشهــود
مولاي ، رفقك قد قسوت	وما قسوت على جليــد
زحماك هــذي مهجــة	وأضالع لا من حــديد
ولئن غــدوت وبينــنا	بحر تــرامــي لائــريــد
فلأنت أدنى - رغــم ذاك -	إلــي من حبل الــورــيد

وقالت :

كن من تشاء فــانني	لك مــا حييت ولا لغيرك
أحيــالعليّ أن أراك	وأجتلي لألاء فــجــرك
يا سيــدي ، كيف السبيل	إلى سلــوك أو لهجــرك؟
قلبي بحبّك مــؤمن	وانــما بحبّك لست أشرك

ووصفت حبيب الخيال فقالت :

فسمرتَه من سهوم الرمال      وطلعتَه الفجرُ أو أنبل  
كأن بعينيه سرَّ النجوم      إذا ما دجى ليلها الأليل  
وفي قده من شموخ السيوف      معانٍ بها كل ما يذهل

إن تأملات الشاعرة الخزرجية وشطحاتها الصوفية فيها كثير من الألم والحبّ والنزوع  
وسائر ما يطفح به شعر مارسيلين ديبيورد من الاشواق الروحية . قالت الخزرجية :

بلوت من الأيام كل عظمة ،      وحسبي أني قد ولدت بماتم ا  
وكانت أغاني المهدي رنة الأسي      ووقع نحيب قد برى قلب أيم  
ولقنت في مهدي سجل مآمي      وكم هالني فصل الشقاء المجسم

وردت عليها الشاعرة الفرنسية من وراء حُجب السنين ، بقصيدتها «إلى اللواتي  
يتنحبن» ، قائلة :

«أتئن اللواتي يتعدّبن ، لقد اخترتكن لي أخوات ، واليكن تتوجه أحلامي الساجية  
والحلاوة المرة لدموعي المغناة .

ففي هذا الكتاب روح تكمن أسيرة . افتحن واقرآن ، واحسبن الأيام التي حملت  
لنفسني الألم .

ايتها الباكيات في هذا العالم الذي مررت به مجهولة ، احلمن على هذا الرماد واغمسن  
فيه قيودكن .

أطلقن اصواتكن في الغناء ، فألحان المرأة تشجي العذاب .

أحببن ، فالبغض يؤلم أكثر من الحبّ .

وامددن أيديكن بالعطاء ، فالصدقة تحيي الأمل ،

فمن يستطيع العطاء لا يريد الموت . . . »

والدكتورة عاتكة وهبي بعد ذلك شاعرة قومية تكنُ الحبّ لأمتها وتعزّز بقومها  
فتقول :

علموا الأيام أنما أمة      تنقل الخطو على هذي نبي

تستمد الوحي من قرآنه      سوراً مكتوبة بالذهب

وترى الموت لذيذ المجتنى      إن دعا داعي القنا والقضب

وتخطّ العزّ في تارينجها      بدماء الشهداء النُجِبِ

وتتغنّى بحبّ وطنها فتقول :

فأنت ابنة الألام والشعر والحب  
وغني لحون البشر في غصنك السرط  
تطير بك الأنسام في العالم الرحب؟  
فشا اللؤم فيها في الأقارب والصحب  
صروف الهوى سلوان حب إلى حب  
فأضحى وما يصغي للسموم ولا عتب  
وفيها أحب الذكريات إلى قلبي  
ومسرح جدّي في الشبيبة أو لعبي  
أحب إلى روعي من البارد العذب . . .

ويأ آية العصر الخاليه  
فبوركت مسقية سساقية  
رفيف الزهور على الرايية  
شفوفاً مفوفة الحاشية  
حلالاً من الأكوس الصافية  
على الكون أنفاسك الزاكية  
وأكتافه العيشة الراضية  
قطوف عناقيدها دانية

وهل في دجى الأيام ملح بسريق؟  
وظلم وإجرام وهدر حقوق؟  
يُضلل فسريقاً من وراء فسريق؟  
وحالي فيه اليوم حال غريق  
أما مال نجم السعد نحو شروق؟  
وما أخيب المسعى بجوف مضيق؟  
وأشرق من فسط السقام بسريق

ففي أنشديني من لحونك ما يصبي  
حنانك، يا ورقاء، كفي عن البكا  
حنانك، ما يشجيك إذ أنت حرة  
ألا ليت لي جُحاً فأهجر بقعة  
وأصعب ما يلقي الفؤاد إذا قضت  
وكيف بقلب قد تملكه الهوى  
هوى يقع فيها رُمات أحبتي  
هوى يقع فيه مهدي ونشأتي  
هوى يقع فيه قلت قصائد

وتحن إلى بلادها فتذكر نخلها وشطآنها:

تباركت، يا نخله الشاطين،  
نهلت الخلود من السرافدين  
ترفين في أفك الشعاعري  
وتضفين من لونك السندي  
وتسقين من نحر المشتهى  
وفي طلعت النضر كم تنشرين  
وفي ظللك الرحب عند الحرور  
تباركت في أرضنا جنة  
وقالت من قصيدة لها تشكو الدهر:

ضللت، فهل في غيب العيش شمعة  
أنحن بعصر النور أم عصر ظلمة  
أدنياي هذي خدعة إثر خدعة  
أبحر من الأسرار خضت غماره  
إلى أين، يا دنياي، أسري وأثنني  
ألا ما أغل الدهر، ما أضيع المنى،  
أكاد من الأشجان أخفى عن السورى

من شعر عاتكة الصوفي الرقيق مقطوعة عنوانها «الطيب العاتب» قالت فيها :

الطيب يطرقني إذا جنّ الدجى  
يختال في برد الشباب كأنه  
متأزراً بالليل ، يسري سادراً  
والجيد تضمنيه العقود فيثني ،  
فتشعبت سبل الحديث ، ولا تسل  
وبلوعة مكتومة تصف الجوى  
أتزورنا عند الظلام هنيهةً  
ويروعنا بالعتب ، وهو جنابة  
أتجود بالطيف الملمّ بنا دجى  
والليل يكتم كل سرّ سافر  
فأجابني والسخر ملء جوابه :  
ومضى وخلفني أطارد في الدجى  
متحذراً من رقبة السهار  
غصن يميل به النسيم الساري  
بكؤوس تيه لا كؤوس عقار  
والكفّ يلسوها رقيق سوار  
عن رقبة في العتب والأعذار  
ناشدته بترفع ووقار :  
وبذاك فقت كواكب الأسحار؟  
أخرى ، وترفض أفصح الأعذار؟  
وتريد زورتنا برأد نهار؟  
والصبح يفضح كل ذات ستار؟  
إنّ الحياة مطيئة الأقدار  
قلباً تشرد في رحاب قفار

وقد حيّا الأديب الشاعر المصريّ محمّد عبد الغني حسن شاعرنا الخزرجية فقال :

أيتها الشاعرة الوفية  
عاشقة للمجد والحرية  
والعزة الغالية الفتية  
فأنت في أشعارك الطليّة  
في أمة نبيلة سريّة  
ليس عجيباً هذه الحميّة  
وهذه الخلائق الرضيّة  
وأنت في ألحانك السحريّة

عاتكة ، وأنت خزرجية !

وقال أحمد حسن الزيات : «ان الينابيع الصافية الثرة التي ارتوى على فيضها واغتنى على جناها شعر الدكتورة عاتكة هي : الله والطبيعة والنفس . والينبوع القدسي هو أندى على كبدها وأروى لشعورها من الينبوع النفسي والينبوع الطبيعي لأنها حين تصف النفس أو تصور الطبيعة يتمثل فيها بديع السموات والأرض الذي أحسن كل شيء خلقه ومنح كل جميل جماله . . .

«ان الشبابة من قصب ، ولكن اللحن من نار، فكلما نفخت فيها من روحها ذاب قلبها في حبّها ، فتن أو تحنّ أو تشكو أو ترجو أو تشور بالفاظ منسّقة كالنغم ، مونقة كالزهر، منمقة كالوشي ، تسري فيها المعاني الشاعرة سريان النشوة في الرحيق أو الفوحة في الطيب . فأسلوبها نسق مطرد من الفكر والخيال والعاطفة ، يصقله طبع وذوق ،

ويقومه درس واطلاع . . . »

تحدثت عاتكة وهي الخزرجي فقالت انها تستمد موارد أديها من الشعر العربي الأصيل قديمه وحديثه، وان اساتذتها فيها كثر أولهم البحري . وهي معجبة أشد الإعجاب بالشريف الرضي وأحمد شوقي . وقد مارست النقد الأدبي والقصة القصيرة . وعلى الرغم من اطلاعها الواسع على الآداب الغربية، لم تخرج على نظام القصيدة العربي القديم .

قال عنها خالد القشطيني إنها شاعرة محافظة فكراً واسلوباً، وقد التزمت بالأشكال الكلاسيكية للشعر العربي، ودعت إلى التمسك بالقيم الإسلامية والتقاليد العربية . وقال : «ومما يذكر انها حين تمضي إلى القاهرة، وكثيراً ما تزورها، تقيم في دير وتمتنع عن النزول في محل أكثر ترفاً» .

وقال انها بالرغم من حبها العميق لبلادها وشعبها ودينها وثقافتها وتقاليدها لم تستطع عاتكة إلا أن تشعر بشعور الخيبة، شأن سائر المثقفين المعاصرين للضعف والنقص اللذين يتسم بهما المجتمع الجديد . وقد عبرت عن هذا الشعور مراراً في قصائدها .

## كمال عثمان

الشاعر الضابط كمال عثمان ولد في بغداد سنة ١٩٠٧ لأسرة كردية أرييلية الأصل . وقد انتمى إلى المدرسة العسكرية فتخرج فيها ملازماً ثانياً (١٩٢٧) . وكان ضابطاً خيالاً، فدخل في دورة طيران لأجل الانتقال إلى القوة الجوية، لكن طيارته الصغيرة سقطت به وهو يقودها في أثناء التدريب، فأصيب بعطل في رجله وأحيل بعد ذلك على التقاعد برتبة مقدم سنة ١٩٤٧ .

له شعر رائق وخط جميل، (لا يزال حياً، ١٩٨٨)

لازم المقدم كمال عثمان الاب أنستاس ماري الكرملني سنوات طويلة ورثاه عند موته بقصيدة مطلعها:

شقّ «اللسان» عليك جيب بيانه ونعاك فانصدع العلي بكيانه  
والرافدان توجّدا وتشاكيا هذا بحرقته وذا بحنانه . . .  
كان قومياً في نزعته صوفياً في مشربه .

أخبرني كمال عثمان انه، عند تخرجه من المدرسة العسكرية ضابطاً صغيراً، أرسل إلى

الموصل . وكان شهر رمضان فكلّف بالإشراف على إطلاق مدفعي السحور والفظور .  
سهر ليلتين أو ثلاثاً لإطلاق مدفع السحور في وقته المعين . وقال له العريف :

يا سيدي ، لماذا ترهق نفسك بالسهر؟ ألا تعتمد عليّ ، وقد خدمت في الجيش  
أعواماً ، للقيام بهذه المهمة على وجهها الصحيح ؟ واقتنع الملازم الشاب بكلامه ،  
فأوصاه بالاهتمام وتدقيق الوقت ومضى إلى فراشه . وفيما هو مستغرق في نومه شعر  
بدوي المدفع فاستيقظ مذعوراً وفرك عينيه . ماذا؟ كانت الشمس ترسل أشعتها وقد  
طلع الصباح منذ ساعات . فاستدعى العريف وأنبئه وقال له : كيف تطلق المدفع في  
هذا الوقت؟ فأجابه : انني غفلت عن إطلاقه في وقت السحور ، وخفت أن تبقى لدينا  
قذيفة زائدة فتداركت الأمر!

وهب أهل الموصل مستنكرين إطلاق المدفع في غير أوانه ، فأحيل كمال على لجنة  
تأديبية قضت بتغريمه راتب عدة أيام والإيعاز بنقله إلى وظيفة أخرى .

أخبرني كمال عثمان ان ابيه عثمان بك كان ضابطاً في الجيش التركي من أقران صبيح  
نشأت . ولما أنشئت الحكومة الوطنية في العراق عرضت عليه مناصب مختلفة ، لكنه  
رفضها اعتقاداً منه بأن الأتراك سيعودون .

وقد أنفق كلّ ما يدرّخه من مال وقاسى شظف العيش حتى قضى نجه وهو لا يزال  
يأمل عودة الحكم التركي .

وأخبرني كمال عثمان انه ، حين تقدم لأداء الامتحان النهائي في المدرسة العسكرية  
تعطل فكره فجأة وصار يدرس يومه وليله فلا يعي شيئاً من درسه . ودلّه بعض أصحابه  
على شيخ ذي كرامات ، فذهب إليه وحدثه بما كان من شأنه ، فكتب له ورقة فيها اسم  
الله وقال له : اشتر كعكاً واغمس قطعة منه في الماء مع هذه الورقة وكله فينتعش فكرك .  
وفعل كما أوصاه الشيخ وأقبل على الدرس ، فإذا به يفهم الموضوع بسهولة . وأدى  
الامتحان فكان النجاح حليفه .

## فؤاد عباس

من رجال التربية والأدب ، وهو محمد فؤاد بن عباس حبابة بن محمد حسن ولد في  
دلتاوة التي تعرف الآن باسم الخالص سنة ١٩١١ ودرس في دار المعلمين الابتدائية في  
بغداد . وعين معلماً في بعض المدارس الابتدائية في تشرين الأول ١٩٣١ فتنقل في  
مدارس بغداد والبصرة والناصرية . ثم أوفد في بعثة حكومية لإكمال دراسته في الجامعة  
الأميركية في بيروت (١٩٣٣) فنال شهادة البكالوريوس في التربية سنة ١٩٣٨ .

عاد الى بغداد فتنقل في الوظائف التعليمية مدرساً ومديراً في المدارس المتوسطة والثانوية حتى عيّن سنة ١٩٦٠ مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف . وأحيل على التقاعد سنة ١٩٧٣ . وقد نظم شعراً رقيقاً منذ أيام دراسته في بيروت ، لكنه اشتهر محدثاً لبقاً في الإذاعة والتلفزيون وعرف بأدبه وسعة اطلاعه وحلو فكاهته . قال الدكتور صفاء خلوصي : « كان فؤاد أميل الى الحديث والخطابة الازمجالية البليغة منه الى الكتابة والتأليف . . . ولعلّ لسحر صوته الذي لا يمكن أن يدوّن على قرطاس أثراً في هذا المنحى الذي انتحاه» .

توفي ببغداد في ١٠ أيار ١٩٧٦ .

من شعره : من قصيدة «رأس بيروت» :  
 تهادين من كل الجوانب كالقفر<sup>(١)</sup>  
 كواعب أنراب كأنّ وجوهها  
 خرجن ليستروحن طيب نسائم  
 وفي جانب منهن شيدت مساكن :  
 فثمّة قصر قائم شامخ الذرى  
 وبالقرب منه دوحة قام فوقها  
 وقد طرزت أيدي الريح ونمّقت  
 وفي جانب منهنّ بحر وشاطئ

على رأس بيروت الى ساحل البحر  
 يفيض بها ماء الملاحنة والبشر . . .  
 ويشخصن بالأبصار في مسرح الفكر  
 قصور وأكواخ لمشرٍ وذوي فقر  
 وثمّة كوخ جائم واطيء الجدر  
 حمام بوكركم شجى الناس بالهزر  
 بساطاً من الريحان والعشب والزهر  
 عليه من العشاق طير بلا وكر . . .

وله :

وفتاة لا أقصد الشمس ، لا بل  
 أرايت الغزال يبيدي نفوراً ،  
 ما اتتلاق الياقوت من شفيتها ،  
 تلك أحياء ، هذه جامدات ،  
 لبست مثل طهرها حلة بيضاء  
 وبدت والسدلال يعبث فيها  
 يشب النهدي تحتها ، أسجين  
 أم كقلبي لما دننت وتسدلت

فضلتها بقمامة وبجيد  
 أرايت انعطافة الأملود؟  
 ما الثنايا بلؤلؤ منضود  
 أفحىّ كميت ملحـود؟  
 تـزري بنصاصع من جليد  
 كـجناح الملاك عند الصعود  
 ساذل جهده لكسر القيـود؟  
 بعد حرّ الجوى ومرّ الصدود . . .

(١) لم أعرف ماذا يقصد بالـقفر ولعله يريد قفير النحل أي خليته (وهي عامية) .



ورثي جعفر الخليلي فؤاد عباس فقال :

نم ، يا فؤاد ، فقد والله عزّ على نفسي منامك ، لكن ما الذي بيدي؟  
إن ضاق صدري ولم تسكن لواعجه لأنّ كلّ صديقٍ راح لم يُعَدِ  
وقال الخليلي إن لفؤاد عباس في مكتبة تسجيلات الإذاعة والتلفزيون وفي أشرطة  
الأنديّة ما يؤلّف خمسين مجلداً أو أكثر لو أردنا أن ننقله على الورق .

## حسين مردان

شاعر البؤس والحُرمان ورائد الأدب المكشوف ، ولد حسين مردان في بعقوبا لأسرة  
كردية الأصل سنة ١٩٢٧ . وانقطع عن الدراسة صبيّاً ، فجاء الى بغداد وعمل في حقل  
الصحافة سنة ١٩٤٧ . طبع أول مجموعة شعرية له سنة ١٩٤٩ بعنوان «قصائد عارية»  
فجاءت تعبّر عن نفسه القلقة المحرومة التي تضطرم فيها الشهوة وتعتلج بالعواطف  
الهائجة . وعقبها بمجموعات نرى فيها لفحات تذكّرنا بأزاهر الشّرّ للشاعر الفرنسي  
شارل بودلير . وقد حوكم حسين مردان سنة ١٩٥٢ بسبب ما سمي بالبذاءة في قصائده  
العارية كما حوكم بودلير في باريس في منتصف القرن التاسع عشر بسبب أشعاره  
المتحررة . وقضى شاعرنا أمداً في السجن ضريبة أدبية فرضت عليه .

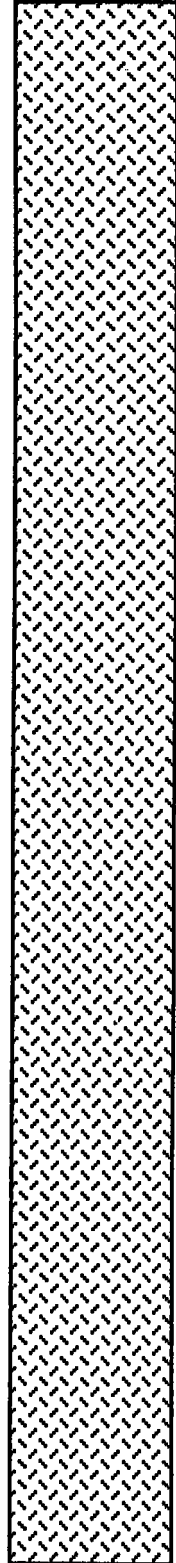
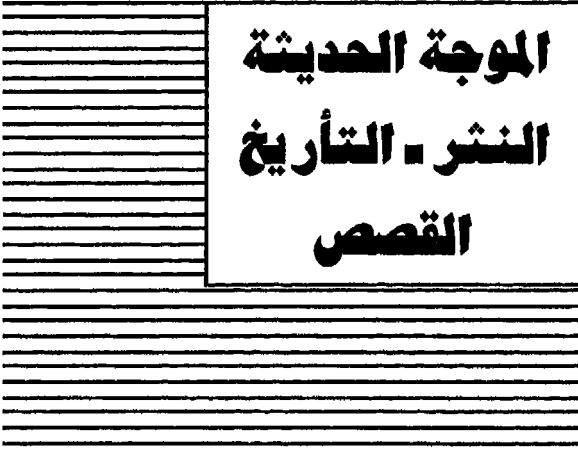
عاش شاعرنا بائساً يتبلّغ براتب ضئيل يدرّه عليه عمله في الصحف مخبراً ومحرراً حتى  
أدركه الحماق في بغداد في تشرين الأول ١٩٧٢ .

قال الدكتور داود سلّوم «إن مادة «قصائد عارية» و«اللحن الأسود» . . قد أثارت  
بعض النقاد من ذوي المقاييس الخلقية وبعض المحافظين من رجال الدين والحلقات  
الاجتماعية . وإن مقاساة حسين مردان في حقله ومقاساة الآخرين في حقول أخرى  
مختلفة يظهر فيه تحديد الحرية في التفكير والتأليف للذين يريدون أن يقولوا ما يرغبون أو  
يعتقدون أنه الحقيقة» .

وقال الدكتور سلوم أن حسين مردان بالرغم من جرأته في الموضوعات الشعرية التي  
عالجها لم يتحرر من الوزن القديم والقافية المتكررة إلا في مواضع قليلة .

مؤلفاته : قصائد عارية (١٩٤٩) عزيزتي فلانة (١٩٥٢) نشيد الأنشاد (١٩٥٥)  
هلاهل نحو الشمس (١٩٥٥) الربيع والجوع ، مقالات في النقد الأدبي (١٩٥٥) رسالة  
من شاعر الى رسّام (١٩٥٦) الأرجوحة هادئة الحبال ، طراز خاص ، العالم تتور .







## عبد المسيح وزير

عبد المسيح جبر وزير ولد في ماردين سنة ١٨٨٩ ، ودرس في مدارسها ، ثم تخرج في كلية عيتتاب الأميركية وأتقن اللغتين العربية والانكليزية . وقد عمل مدرساً في ماردين ولبنان ، وكان محرراً لمجلة مدرسة التهذيب في الشويفات (١٩١٣) . ثم رحل الى مصر عند نشوب الحرب واشتغل مترجماً فيها .

وجاء الى العراق فعين مترجماً في وزارة الدفاع (شباط ١٩٢١) ، وسمي مديراً لقسم الترجمة بها في آب ١٩٣٣ . وقد خدم في هذه المهمة أكثر من ٢٢ عاماً ، ووضع آلاف المصطلحات العسكرية باللغة العربية ، وألف قاموساً عسكرياً باللغتين العربية والانكليزية أصبح مرجعاً في بابه .

وتوفي ببغداد في ٢٠ أيلول ١٩٤٣ .

كان عبد المسيح وزير أديباً عربياً لطيف الأسلوب ألف روايات ، مثل «الصنم المحطم» ، وأنشأ بحوثاً ومقالات كثيرة . وترجم الى اللغة العربية طرفاً من الشعر الانكليزي والعالمي ، كـ «ريفيّات» فرجيل شاعر اللاتين وأشعار طاغور ، وكتاب عبد الرحمن الناصر (١٩٣٩) ، وخواطر طاووزند أو محاربتني في العراق (١٩٢٣) .

ومن مترجماته أيضاً شريعة همورابي ، ورواية القيصر في مقصورتها لوليم ليكيو نشرتها جريدة العراق البغداديّة تباعاً (١٩٢٣) ، وكتاب الثورة العربية من تأليف ت . أ . لورنس (طبعت منه كراستان فقط) .

وكتب في موضوعات متنوعة بحوثاً نشرتها المجلات والصحف العراقية كمجلة الحرية ، منها مقالاته عن نظرية اينشتين والذرة الخ .

وطبعت قصّته «الصنم المحطم» و «عجوز تتصاي» في مجلّد صدر سنة ١٩٧٢ . ونقل مع مساعديه في وزارة الدفاع عدداً عديداً من الكتب الفنيّة ، ونهض بعبء سبك المصطلحات العربية التي تناظر المصطلحات الغربية في الفنون الحربية .

وكان في طليعة المترجمين الذين رافقوا فجر النهضة العراقية في المائة العشرين ، فأحيوا

في بغداد بعد ألف ونيّف من الأعوام عهد يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحق وأضرابهما من مترجمي عصر الرشيد والمأمون. و «صناعة المترجم» ليست بالهينة ولا اليسيرة»، وقد عرّفها وزير نفسه في محاضرة ألقاها في نادي القلم العراقي، قال: «فالترجمة والمترجمون كانوا - وما يزالون - عماد كل نهضة علمية ثقافية قائمة على ناموس تفشّي الثقافات باقتباس كل أمة ممّا عندها من عناصر العلم والفنّ والحكمة والأدب، فضلاً عن عناصر السلوك والعادات وغيرها . . .»

ثم قال: «وأقول في الترجمة: لا يعرف انسان حلو الترجمة ومرّها إلا من يعانيها، فهي صناعة وفنّ في غاية الدقّة. والمترجم كالشاعر والأديب والمصوّر والموسيقيّ والفيلسوف والرياضيّ والمهندس مخلوقة قابليته معه لا مختلفة، هذا فضلاً عمّا تقتضيه له صناعته من الاطلاع الواسع مع العلم الغزير بلغته واللغة التي ينقل منها أو إليها. والمترجم الحقيقي فيه ذوق الفنّان ودقة الرياضي واطلاع المؤلف. وليس كلّ من نقل نبذة أو كتاباً من لغة الى أخرى عدّ مترجماً، بل المترجم هو الراز الفرد والمهندس النابغة - راز اللغة التي ينقل إليها ومهندس صرح الأفكار التي يصبّها في قوالب الكلام . . .»

وقد كان عبد المسيح وزيراً معروفاً بالذهول وشروذ الذهن. فمن النوادر التي تروى عنه في هذا السبيل أنه وقف صباح أحد أيام الجمعة على باب داره، وهو في مبادله، فرأى عربية تمرّ في الشارع، فما كان منه إلا أن استوقفها وركب مشيراً الى الخوذي بالذهاب الى وزارة الدفاع. ونظر الخوذي اليه ملياً، ثم قال ضاحكاً: «وماذا تفعل في وزارة الدفاع، يا أستاذ، واليوم جمعة، وأنت لم ترتدّ ملابسك؟ . . .»

وانفضّ إجتماع نادي القلم ذات مساء، وكان يعقد في دار بعض أعضائه، فقام عبد المسيح وزير يهيم بالخروج ورأى كتباً على الأريكة، فقال ضاحكاً: من نسي كتبه، يا سادة؟ وظهر بعد التحقيق أنها كتبه، ولم يفتنّ أمّاه له.

وروى خيرى العمري أنه دخل ذات مرة الى وزارة الدفاع قاصداً مكتبه، لكنه دخل الى الغرفة المجاورة، وكانت غرفة مدير الأمور الطبية، فجلس الى المنضدة. واستغرب وجود الآلات الطبية والأدوية، فاستدعى الحاجب وصرخ في وجهه يسأله عن كتبه وقواميسه.

وليس من ريب أن عبد المسيح وزير لو أدرك عهد الكاتب الفرنسي لا برويير (١٦٤٥ - ١٦٩٦) صاحب كتاب «الطبائع» لسلكه في عداد أبطاله: فقد حدّثنا هذا الكاتب الشهير عن «مينالك» عنوان الذهول الذي يهبط سلاله داره ويفتح الباب ليخرج الى الشارع فيجد نفسه في ملابس النوم وقد حلق نصف لحيته فقط . . . ويبحث عن قفازه وهو يحمل في يده. ويدخل الى إحدى المقاصير فيتعلّق شعره المستعار بالثريا التي يمرّ تحتها، فيضحك مع الضاحكين ويبحث عن الرجل الذي يكشف عن صلعه ولا يفتنّ أنه هو نفسه ذلك الرجل، وهلمّ جراً.

\*\*\*

دبّت المنافسة والتنازع بين عبد المسيح وزير والأب أنستاس ماري الكرملّي، فكانت موضوع حديث المحافل الأدبية سنين طوالاً. وقال الأب إن عبد المسيح وزير لا يحسن الترجمة وهجاء مقدعاً مرأ حتى في بعض الفهارس السنوية لمجلة لغة العرب في عهدها الأخير. أما وزير فقد عرّض بالأب في محاضرة له ألقاها في نادي القلم العراقي فقال:

«وقبل سنوات نشرت مجلة في بغداد اشتهر صاحبها ومنشئها في العالم العربي بكونه عالماً من أعلام اللغة العربية واشتقاق مفرداتها مقالاً طويلاً يبحث في ضرورة الألعاب الرياضية للأمة. وفي معرض البحث استشهد الكاتب بولع الانكليز بالرياضة البدنية، فقال إن شغف الأمة الانكليزية بالألعاب الرياضية حملها على تخصيص يوم جعلته عيداً قومياً سمّته «يوم الملاكمة». ونشر الكاتب الأصل الانكليزي مع هذه العبارة وهو Boxing day ولكن المسكين فاتته أن المراد بهذا اليوم ليس «يوم الملاكمة» بل «يوم الهدايا»، وهو عند الانكليز أول يوم في الأسبوع بعد عيد الميلاد يقدم فيه أصحاب البيوت الهدايا الى مستخدميهم وسعاة البريد وغيرهم. فنبّهت حيثئذ صاحب تلك المجلة على غلطته الفاحشة، فأصلحها معتذراً في العدد التالي من مجلته».

ذكر رفائيل بطي أن عبد المسيح وزير نشأ في جوّ مشبع بتعاليم الكتاب المقدّس فكان ذلك مردّ خلقه الوداع اللطيف. إلا أن إدمانه قراءة أصحاب العقول الشائرة والمتشكّكة من الفلاسفة وسّع آفاق ذهنه وأنشأ في رأسه هذا الصراع المشبوب بين الشك واليقين.

ثم قال: «وقد غنمت الثقافة العسكرية العربية من مساعيه وكفائته وعلمه وانكيا به آناء الليل وأطراف النهار على التنقيب والتحقيق والبحث في المعاجم ودواوين اللغة والأسفار العربية والانكليزية هذا «المعجم العسكري» البكر في اللغتين...» وقال عن أسلوبه الكتابي: «ونهجه أن يكون الأدب أرسنقراطياً يصون فنونه عن الاسفاف والابتذال...». وقال: «أما طريقة عبد المسيح في الترجمة فدقة في النقل ومتابعة الأصل بما يقرب من الترجمة الحرفية، مع مراعاة الفروق في التعابير بين اللغتين وعناية بالغة بفصاحة المفردات وإفراغ العبارة في ديباجة مشرقة وتركيب محكم».

كان عبد المسيح وزير ينفق راتبه بسخاء وقد أثر عنه أنه لا يدّخر شيئاً من المال. وجرت المناقشة ذات يوم في نادي القلم بشأن بناء عمارة للنادي، فشكا الأعضاء أن الحكومة لا تمنح أية إعانة لهذا الغرض.

فقال عباس العزّاوي؛ أقتراح أن نستلف المبلغ اللازم للبناء من عبد المسيح وزير. فردّ عليه وزير قائلاً: إن جميع ثروتي تحت تصرف النادي. وأضاف ضاحكاً: يحقّ لنادينا أن يعتز بكتنرين: ثروة عبد المسيح وزير وجمال عباس العزّاوي!

وقد سمى عبد المسيح وزير ابنته إينس باسم قديسة إسبانية معروفة . وكانت تربطه صداقة وثيقة بمعروف الرصافي ، فقال في الفتاة إينس أو - كما سماها - إيناس :

إخـال بيتي ، لما جئتِ زائرة ، كأن وجهك فيه نور نبراس  
كم أوحشتني الليالي في تصرفها فزال يحاشها عني بـيناس  
أدامك الله ، يا إيناس ، تذكرة لوالدات فضلاً كل مقياس  
قد كان بأسو جروحاً في دامية ، واليوم عندي جروح ما لها أس

عرفت عبد المسيح وزير ، وأنا في مطلع الشباب ، وأفدت منه فوائد جمة . وقد أطلعت على ترجمة لي عن الانكليزية ، فنبهني إلى أمور تتعلق بصميم نقل أسماء الأعلام ومعاني الجمل الخاصة بكل لغة . من ذلك أنني كتبت اسم حاكم فلسطين الروماني في عهد السيد المسيح «بونطيوس بيلاطس» كما جاء في اللغة الانكليزية ، فقال لي : اسمه في العربية : بيلاطس البُنطي نسبة إلى بُنط بالضم (أو بونط) وهو الجسر .

وحدث بعد عدة أعوام ، قبيل وفاته ، أنني وجدت منه شيئاً من الجفوة ، فاستغربت الأمر لأنني لم أعلم بصدور أي تفريط في حقّه من جانبي . ثم عرفت السبب : كان مدير الأنواء الجوية الانكليزي قد رغب في ترجمة كتاب في هذا الموضوع الى العربية ، فكلم الأب أنستاس ماري الكرملي الذي قال له : إن خير من يقوم بهذه الترجمة مير بصري ، أما عبد المسيح وزير فلا يفقه شيئاً لا من العربية ولا الانكليزية . وقد راجعني هذا الانكليزي في غرفة تجارة بغداد ، فاعتذرت عن ترجمة الكتاب لكثرة مشاغلي ، وقلت له : إن عبد المسيح وزير شيخ المترجمين ، فإذا وافق على تولي الترجمة فقد ربحتم ربحاً عظيماً .

وأفهمت عبد المسيح وزير بما جرى ، فسّر بما كان وعادت صلاتنا الى الصفاء لا يعرفونها كدر .

قال الدكتور طه حسين :

« . . . إن الناقل ملزم حينئذ أن يكون من القدرة والكفاية بحيث يستطيع أن يقوم مقام المؤلف الأول ، فيشعر بقلبه ويحس بحسّه ، ويرى الأشياء بتلك العين التي رأى بها المؤلف ، ويصفها بهذا اللسان الذي وصفها . فإن الترجمة في الفن والأدب ليست وضع لفظ عربي موضع لفظ أجنبي ، إذ الألفاظ شديدة القصور عن وصف الشعور في اللغة الطبيعية ، فكيف بها من لغة أخرى ؟ إنما الترجمة الفنية والأدبية عبارة عن عملين مختلفين كلاهما صعب عسير: الأول أن يشعر المترجم بما شعر به المؤلف وأن تأخذ حواسّه



وملكاته من التأثير والانفعال نفس الصورة التي أخذتها حواس المؤلف وملكاته إن صحّ هذا التعبير. والثاني أن يحاول المترجم الإعراب عن هذه الصورة والإفصاح عن دقائقها وخفاياها بأشدّ الألفاظ تمثيلاً لها وأوضحها دلالة عليها.

وخلاصة القول إن المترجم يجب أن يجتهد ما استطاع، لا في أن ينقل إلينا معنى الألفاظ التي خطتها يد المؤلف، بل في أن ينقل إلينا نفس المؤلف جليّة واضحة، نتبين فيها من غير مشقة ولا عناء ما أثر فيها من ضروب الإحساس والشعور».

## جواد الدجيلي

المحامي الكاتب الأديب الشيخ جواد بن حسين الدجيلي، أخو الشاعر كاظم الدجيلي، ولد بجانب الكرخ من بغداد سنة ١٨٨٨. درس علوم العربية والفقه، حتى إذا ما نشبت الحرب العظمى سنة ١٩١٤، لجأ إلى البصرة وعمل معلماً في مدارس أبي الخصيب والناصرية. وعاد إلى بغداد فزاوّل التعليم حيناً في عهد الاحتلال البريطاني. ثم سافر إلى الهند فتقلد في أنحاءها زهاء ثلاث سنوات، وكتب في أثناء ذلك مقالات عن شؤونها ومللها ونحلها في مجلة المقتطف المصرية (١٩٢٠). وذهب إلى مصر فحضر الدروس في جامعته، ثم عاد بعد سنة إلى بغداد ووظف في وزارة العدلية. وانتمى إلى مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٤ وتخرّج فيها (١٩٢٧) ومارس المحاماة.

كتب مقالات كثيرة في الصحف العراقية في الأدب والاجتماع، أهمها سلسلة مقالاته في جريدة «الاستقلال» بعنوان «الإنسان همجيّ الطبع: لا توجد أخلاق وإنما هي حاجات» (١٩٢٧).

وقد كان في مبدأ أمره متديناً متزمتاً، ثم وقعت في يده مؤلفات الدكتور شبلي شميل وفرح أنطون وغيرهما من رجال النهضة الحديثة في مصر ولبنان، فمال إلى حرية الفكر.

أدركته الوفاة ببغداد في ٢١ آذار ١٩٥٩.

كان غريب الأطوار، مسالماً صريحاً بعيداً عن المجاملة، متقشفاً في معيشته، متهاوناً في شأن نفسه، سمحاً حلو الفكاهة يتقبل دعاية أصدقائه القاسية برحابة صدر وسلامة طوية. وكان إلى ذلك دؤوباً على المطالعة، وقد اعتاد السير على قدميه ساعات طويلة كلّ يوم للرياضة والتفكير، ولم ينقطع عن تلك العادة إلى سني شيخوخته.

رثاه أخوه الشيخ كاظم الدجيلي بقصيدة، قال منها:

قضى نجباً وآل إلى الخمود      وسواي الميتين من الجدود  
ونام بقره نوماً عميقاً      وأضحى لا يفيق من السرود  
وشيعناه بالعبرات حرّى      وقد تهمني الدموع على فقيده

وعدنا منه نذكره بخير  
 وكان أسير جيله في هواه  
 يرى في جيله مكرراً وختلاً  
 ودينياً ليس فيه سوى رياء  
 يرى بالموت للعاني نجاة  
 كثير الظن سيئته يباري  
 قضى الأيام في دنياه يسعى  
 وأسعده التبتل في حياة  
 ففارقها ولم يحسب حساباً  
 ولم يأسف على الدنياه بشيء

وشر من قريب أو بعيد  
 وفي رأي لعالمه جديـد  
 وبهتاناً ونقضاً للعهود  
 وجهل بالعباداة والحدود  
 إذا ما ظل يرسف في القيود  
 بما عند المقلد من جمود  
 لمعرفة الحقيقة في الوجود  
 خلت منها السعادة للوحيد  
 لأخراه ولا يوم الوعيد  
 ولم يؤمن بفلسفة الخلود . . .

وهو رثاء أخ لأخيه نادر المثليل ، خال من العاطفة ، فلسفي النزعة ، واقعي السمات .

روى جعفر الخليلي في كتابه «هكذا عرفتهم» (الجزء الثالث) عن الشيخ جواد الدجيلي أنه كان معروفاً برحابة الصدر والسذاجة وحرية الفكر، قليل الإيمان بالأديان وفلسفة الوجود . واستغل زملاؤه المحامون وأصدقاؤه المقربون طبيته وبساطته فراحوا يداعبونه وينسبون إليه على سبيل الفكاهة ما لم يقله ولم يفعله . وزعموا أنه وقف يوماً أمام المحكمة يدافع عن متهم بالقتل . وعرضت البندقية التي أطلق منها الرصاص ، فقال الدجيلي : إن هذه البندقية التي يقدمها الإدعاء العام أداة إثبات للجريمة ليست إلا حديدة لا ينطلق منها الرصاص .

وظل الدجيلي يؤكد ويكرّر البندقية عاطلة ، فقرر الحاكم تجربتها على الفور في ساحة المحكمة ووضع فيها الرصاص ، وضغط على الزناد ، فانطلقت الرصاصة وأصابت السقف .

قال الحاكم : والآن ماذا تقول؟

فاعتذر الدجيلي وقال : كنت أحسب البندقية عاطلة!

هذا وقد رأيت الشيخ جواد الدجيلي في بعض الأماسي يسير متمهلاً في شارع أبي نواس على شاطئ دجلة وهو يأكل خبز شعير . فسلمت عليه وقلت له مداعباً : كيف تأكل في الطرقة ، أيها الشيخ؟ إن شهادتك لن تقبل إذا رآك الناس . فقال : أرجو أن لا تقول لأحد . . . أرجوك . . . ثم شاهد كلباً يجري فناداه : يا أخي ، يا أخي! وأعطاه كسرة من الخبز.

كان جواد الدجيلي حرّ الفكر كما تدل عليه كتاباته وأحاديثه . قال له عباس العزاوي ذات يوم :

إنك لا تدين بدين أو مذهب فلماذا تتمسك بطائفتك الشيعية وتتعصب لها؟  
قال الدجيلي : إن المجتمع العراقي لم ينصهر في بوتقة وطنية ولا تزال طبقاته منتمية الى الأديان والمذاهب . فإذا تسرّكت طائفتي نبذتني ولم تقبل بي الطوائف والمذاهب الأخرى ، ففقدت قاعدتي الاجتماعية .

### عبد الرزاق الحصان

الكاتب العربي القومي عبد الرزاق بن مجيد بن حميد الحصان الكرخي ، ولد في بغداد سنة ١٨٩٥ ، ودرس في المعاهد القديمة ثم أقبل يطالع أمهات الكتب وينهل من موارد الثقافة العربية حتى أصاب حظاً وافراً من اللغة والتاريخ . ومارس تجارة الخيول في الهند ، وهي - كما قال سليم طه التكريتي - حرفته التي اشتق منها لقبه ، فتعلّم شيئاً من اللغة الانكليزية .

وأضاف التكريتي قائلاً : «ولقد دفعه حبّه لعروبتّه الى أن يساهم في الحركة العربية في مطلع القرن الحالي وأن يوثق علاقاته مع رواد تلك الحركة سواء في الاستانة عاصمة الخلافة العثمانية أم في العراق» .

مال الى الصحافة بعد الحرب العظمى وإقامة الحكم الوطني في العراق فكان من كتّاب المعارضة في جريدة الاستقلال . ثم رئس تحرير جريدة صدى العهد الصادرة في ٧ آب ١٩٣٠ ، ولم يلبث أن تخلى عنها . وعمد الى إصدار كتب ورسائل شديدة اللهجة أثارت المشاعر فحوكم سنة ١٩٣٣ إثر صدور كتابه «العروبة في الميزان» وأودع السجن أشهراً .

وواصل إصدار كتبه ونشر مقالاته ، داعياً الى التربية القومية والأخلاق الإسلامية ، ومنادياً بالوحدة العربية ، ضارباً الأمثال بخالد بن الوليد وسواه من أبطال العروبة والإسلام ، مندداً بالشعوبية التي تنتقص من مآثر العرب وموابهم ، مستخرجاً من التاريخ العربي القديم نماذج للتنظيم العسكري والدعاية وبعث الروح الحربية وتوحيد الكلمة .

من مؤلفاته التي صدرت في تلك الحقبة : ما العلاج؟ (١٩٣١) العروبة في الميزان (١٩٣٣) نحن (١٩٣٥) بين الأمس والغد (١٩٣٥) عربيّ المستقيل (في ثلاثة أقسام ، صدر القسم الثالث سنة ١٩٣٨) ، ربيعة العراق (في قسمين ١٩٣٦ - ٣٩) نظرة عابرة

في شمالي العراق (١٩٤٠) المهدي والمهدوية (١٩٥٧) الخ . وحقق كتاب «الحسبة» (١٩٤٦).

وقد عيّن بعد الحرب العالمية الثانية مديراً لمكتبة الأوقاف (١٩٤٨) فتولّى هذا العمل أعواماً إلى صيف سنة ١٩٥٨ ، وهجر بغداد بعد ذلك فأقام في الزبير، ثم مضى إلى الكويت حيث أدركه الحمّام في أواخر نيسان ١٩٦٤ .

قال سليم طه التكريتي : «لقد أزاح الاستاذ الحصان عن تاريخنا العربي كلّ ما علق به من أدران ، فأخرجه صافياً رائقاً يبهر الدنيا بعظمته ويثير الإعجاب بروائعه ويحظى من تقدير المنصفين من المؤرخين ما لم ينله تاريخ آخر في الدنيا» . ثم قال : «كانت عقيدة الحصان الراسخة وعفة نفسه ترفعه عن الدنيا والتزامه الصدق في القول والعمل من أسباب نكبته في رزقه . . . وكان إباؤه قد جعله يرتضي العيش الخشن ويعاني الحاجة والجوع دون أن يقبل منّة أو يسأل صديقاً» .

### أحمد عبد الغني الراوي

السيد أحمد بن عبد الغني بن محمّد بن حسين بن عبد اللطيف الراوي ، ولد في عنة في حزيران ١٨٩٠ ، وكان والده مدرساً بها . وقدم إلى بغداد فدرس في المدرسة الرشدية ، ثم تركها وأخذ يدرس علوم العربية والدين ، فتتلمذ على أخيه الشيخ محمد سعيد وعبد الوهاب النائب ومحمود شكري الألوسيّ وعباس حلمي القصاب ومحمد سعيد النقشبندي وغيرهم .

وعيّن سنة ١٩٠٩ مفتياً ومدرساً في قضاء الهندية ، ونقل إلى قضاء بدر (١٩١٥) فظلّ يدرّس فيه إلى احتلال بغداد سنة ١٩١٧ . وأسند إليه بعد ذلك التدريس في جامع حسين باشا ودار المعلمين ، ثم عهد إليه تدريس البلاغة في جامعة آل البيت (كانون الأول ١٩٢٤) . ودرس الحقوق في هذه الأثناء فنال شهادتها سنة ١٩٢٥ . وانتخب نائباً عن الحلة في أيار ١٩٢٨ .

وعيّن عضواً بمجلس التمييز الشرعي في تموز ١٩٣٦ ثم نقل قاضياً شرعياً في كركوك (آب ١٩٣٧) ، لكنه استقال بعد أمد وجيز . وعيّن مدوناً قانونياً (أيار ١٩٤٦ - كانون الأول ١٩٤٧) .

وقد توفي ببغداد في أول آذار ١٩٦٢ . كان عالماً فاضلاً صلب الرأي شديداً في المساجلة والنقاش وكتاباً له مقالات كثيرة نشرت في الصحف .

ومن شعره ، وقد ظهرت براءته مما نسب إليه من التخابر مع السيد طالب النقيب بغية إنشاء حكومة عربية في عهد الوالي سليمان نظيف بك :

أرقت وساورت قلبي همومي      عشية قيل هيا بالظلموم  
يقلبني الأسى ظهر لبطن      كفعل السم في جسم السليم  
فما عثرت على فكري هنات      بها ادعى، وربك، بالأثيم...

وقال في نفي يوسف السويدي من بغداد خلال الحرب العظمى :

نأيت عن المنازل والربوع      وبتت فبان قلبي عن ضلوعي  
منازل قد عهدت بها قديماً      حبيلاً لا يزال به ولسوعي  
لها أصبو إذا ملاح برقاً،      وكم أصبو الى البرق اللموع  
ذوى روض الشباب، وكان غضباً      وخطط الشيب تخضبه دموعي...

وذكر عباس العزاوي أن الشيخ حسين بن عمر الراوي، وهو أخو الشيخ عثمان الجذ الأعلى لأحمد الراوي، كان امام الجيش في عهد والي بغداد أحمد باشا سنة ١٧٢٤ .

### إبراهيم الدروبي

ابراهيم بن عبد الغني الدروبي ولد ببغداد سنة ١٨٩٤ ، ودرس في معاهدها الدينية ، وأتقن الخط فنسخ بيده مصنفات عديدة . وظف كاتباً بالمحكمة الشرعية ، وألف : الباز الأشهب الشيخ عبد القادر الكيلاني (١٩٥٥) البغداديون أخبارهم ومجالسهم (١٩٥٨) .

توفي في مسقط رأسه في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٩ .

كانت له صلة بال كيلاني نقباء الأشراف ووقوف على أخبار بغداد وأسرها وعلمائها ومعاهدها ، كما كان ضليعاً بالعلوم الشرعية .

وقد ألف كتاباً في «قضاة بغداد» (من أبي يوسف قاضي المهدي والهادي والرشيد الى محمد نافع المصرف) ، وآخر عن نقباء بغداد ، ولم يطبع .

قال عباس العزاوي : وخطه تحفة نادرة . والدروبي خال الأديب الوزير مصطفى علي .

### محمد رؤوف الغلامي

من رجال التعليم والتأليف ، ينتمي الى أسرة علمية معروفة في الموصل اشتهر منها الأديب الشاعر محمد بن مصطفى الغلامي صاحب «شامة العنبر» (المتوفى سنة ١٧٧٢) ، وعلي الغلامي مفتي الشافعية ، وكان أحد المفاوضين الذين أوفدهم الوالي حسين باشا الجليلي سنة ١٧٤٣ الى نادر شاه لفك الحصار عن الموصل . ولد بالموصل سنة ١٨٩٠ . تخرج محمد رؤوف الغلامي في دار المعلمين بمسقط رأسه سنة ١٩١٢

وزاول التعليم أعواماً طويلة . وواصل دراسته على علماء بلده ، فنال الإجازة العلمية سنة ١٩٣٤ .

سعى في العهد التركي لنشر العلم في الموصل والدعوة للحركة العربية ، وثابر على نشاطه الوطني خلال الحرب العظمى الأولى وإبان الاحتلال البريطاني وكان معتمد حزب العهد السري سنة ١٩٢٠ في الموصل . وشارك في تأسيس مدرسة دار النجاح والنادي الأدبي في سنة ١٩٢١ - ٢٥ . وأصدر جريدة صدى الأحرار في الموصل (١٩٤٩) فواصل نشرها حتى سنة ١٩٥٤ .  
وقد توفي سنة ١٩٦٨ .

ألف : العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي (١٩٤٢) التحفة البهيّة (١٩٤٤) المرّدّد من الأمثال العامية الموصلية (١٩٦٤) .

ومن الكتب التي حقّقها ونشرها : الجمان المفنّد (١٩٤٠) ونخمس همزية البوصيري (١٩٤٠) ، وكلاهما للشيخ محمد الغلامي ، المعتقد الإيماني لأبي البقاء الأحمدي (١٩٦٢) أصحاب بدر للشيخ حسين الغلامي (١٩٦٦) الخ .

\*\*\*

أخوه عبد المنعم الغلامي ولد في الموصل سنة ١٨٩٩ وتوفي عام ١٩٦٧ . كان مدرّساً وألف كتباً كثيرة منها : السوانح (١٩٣٢) خروج العرب من الأندلس (١٩٤٠) مآثر العرب والإسلام في القرون الوسطى (١٩٤٠) بقايا فرق الباطنية في لواء الموصل (١٩٥٠) الضحايا الثلاث (١٩٥٥) أسرار الكفاح الوطني في الموصل (١٩٦٢) جغرافية جزيرة العرب (١٩٦٢) الأنساب والأسر (١٩٦٥) ثورتنا في شمال العراق (١٩٦٦) .

## محمد صالح السهروردي

من رجال الدين وأصحاب البحوث التاريخية محمد صالح بن محمد سليم بن عبد الرحمن السهروردي ، وأسرته عباسية النسب سهروردية الطريقة أنجبت علماء دين وكان جدّها الشيخ محيي الدين قاضي تكريت والدور وسامراء .

ولد محمد صالح ببغداد سنة ١٨٩١ ودرس على عبد الوهاب النائب وقاسم القيسي وأسعد الدوري وغيرهم من مشايخ العصر وعيّن مدرّساً في المدرسة الطبّجولية في محلة العاقولية من بغداد . وقد تولى تدريس اللغة العربية في مدرسة الأليانس سنة ١٩٢٣ . وأصدر في ٢٩ تموز ١٩٢٤ جريدة «الضاد» الأسبوعية فظهرت أمداً . وانخرط في سلك موظفي دائرة الأوقاف في تشرين الأول ١٩٢٥ فكان مفتشاً للمساجد ومديراً لأوقاف الحلة الخ . وعيّن مفتشاً للمعابد والمعاهد الدينية (أيلول ١٩٤٧) ونقل في حزيران ١٩٤٩ مديراً لأوقاف ديالى . واعتزل العمل بعد ذلك وتوفي ببغداد في كانون الثاني سنة ١٩٥٧ .

وقد نشر بحوثاً تاريخية كثيرة في الصحف والمجلات، وألف: الأجوبة السهروردية (١٩٢٧) لبّ الألباب (في جزئين ١٩٣٣).

وعرف أخوه المقدم محيي الدين بن محمد سليم السهروردي ضابطاً ونائباً. ولد ببغداد سنة ١٨٧٩ وتخرج ملازماً ثانياً في المدرسة الحربية بالآستانة (١٩٠٤)، وخدم في الجيش التركي في العراق ونجد وحارب في اثناء الحرب العظمى في ساحة الفلوجة والرمادي. إشتراك في الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ - ٢٠ واعتقل أمداً يسيراً. ثم ألحق بالجيش العراقي أول تأسيسه، وعيّن مديراً لشرطة لواء ديالى (نيسان ١٩٢٢). وعاد إلى خدمة الجيش ضابط ركن في الناصرية وأمرراً للانضباط العسكري، وأحيل على التقاعد سنة ١٩٣١. وانتخب نائباً عن بغداد في ايار ١٩٣١ إلى ١٩٣٢، ثم نائباً عن لواء ديالى (١٩٣٩ - ٤٣). وكان مديراً مسؤولاً لجريدة الطريق سنة ١٩٣٣.

عمر محيي الدين السهروردي طويلاً فتوفي ببغداد في ٨ تشرين الثاني ١٩٧٠.

### ابراهيم الواعظ

ينتمي إلى أسرة دينية حسينية النسب تعرف بأل الأدهمي، واشتهر جده محمد أمين (١٨٠٨ - ١٨٥٧) ابن محمد بن جعفر بن حسين بن محمود الأدهمي بالواعظ.

وكان والد ابراهيم: مصطفى نور الدين (١٨٤٧ - ١٩١٣) من رجال الدين المعروفين في عصره، تقلد رئاسة محكمة الجزاء في البصرة (١٨٨٠ - ٨٢)، ثم كان مفتياً للحلة من ايلول ١٨٨٣ إلى تشرين الثاني ١٩٠٨ حين انتخب نائباً عن الحلة في مجلس المبعوثين العثماني (١٩٠٨ - ١٢). وقد توفي في ٣ حزيران ١٩١٣.

ولد ابراهيم أدهم بن مصطفى نور الدين الواعظ في الحلة في ١٩ كانون الثاني ١٨٩٣، ودرس في المدارس الدينية والرسمية. ورافق والده إلى استانبول (١٩٠٨) ثم عاد إلى بغداد سنة ١٩١٢ وانتمى إلى مدرسة الحقوق. ونشبت الحرب العظمى في أواخر سنة ١٩١٤ فأخذ جندياً كاتباً وعمل في ساحة الكوت، ثم انسحب مع الجيش التركي إلى الموصل عند احتلال بغداد ومكث فيها إلى الهدنة سنة ١٩١٨.

تابع دراسة الحقوق بعد ايابه إلى بغداد، فتخرج فيه سنة ١٩٢١، ومارس المحاماة. وانتخب نائباً عن الحلة في تشرين الثاني ١٩٣٠، ثم ناب عن اللواء المذكور للمرة الثانية من كانون الأول ١٩٣٧ إلى شباط ١٩٣٩.

وانخرط في سلك القضاء فعين رئيساً لمحكمة بداءة الموصل (ايلول ١٩٤٤) فريساً لمحكمة الاستئناف بها (حزيران ١٩٤٥). ونقل مدوناً قانونياً في ايلول ١٩٤٦، ثم أعيد رئيساً لمحكمة استئناف الموصل في كانون الاول ١٩٤٧. وعين مدوناً قانونياً في تشرين الثاني ١٩٥٠ وانتدب مديراً للإدارة القانونية في جامعة الدول العربية بالقاهرة.

وعاد إلى بغداد في ايار ١٩٥٢ وتولى رئاسة التفتيش العدلي حتى اعتزل الخدمة في آخر حزيران ١٩٥٨ . وقد توفي بعد أيام قلائل في بغداد في ٨ تموز ١٩٥٨ .

### مؤلفاته وأدبه

لإبراهيم الواعظ شعر كثير وخطب ومقالات . ومن مؤلفاته : خريجو مدرسة محمد (الجزء الأول ، ١٩٣٧ ، الجزء لثاني ١٩٣٩) الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر (١٩٤٨) اسبوعياتي (١٩٥٠) الزبء (مسرحة شعرية) فتح مصر (مسرحة) عبد الرحمن بن عوف ، العباس بن الأحنف ، ديوان شعر (مخطوط) المعري كما هو لا كما عرفه الناس ، الخ .

### من شعره :

أتخنو عليك قلوب الـورى  
فكن يابس العود صلب القنائة  
وكن رابط الجأش ثبت الجنان  
ولا ترنجي من لثيم وفساء  
ونفس الأباء تدك الجبال  
وشق على العاجز أن يفخرا

لعل شعر ابراهيم الواعظ ونثره يتسمان بالركاكة والخطأ اللغوي شأن الكثيرين ممن درسوا في المدارس الدينية القديمة ، ولكن هذا النثر وذلك الشعر لا تعوزهما الأصالة والاخلاص . وقد كتب فصولاً في سيرة صحابة الرسول الكريم ضرب فيها مثلاً أعلى لأسمى صفات البطولة والتضحية والمودة والكرم والعدالة والجرأة والدهاء ، وهي في حماسها وصدق عاطفتها تصح أن تكون دروساً للنشء الناهض . ولم يفته أن يصور الهزل والدعابة في موقعها ، كما فعل عند الكلام على نعيان بن عمرو الذي كان نسيج وحده بين رجال الجدد والديانة والحرب ، حتى أضفى عنصراً من الفكاهة البريئة المحببة على ذلك العهد الصارم الشديد .

### ومن شعره :

وطني ، بكيت شجى عليك ، ولم أزل  
وطني ، فذا قلبي يدوب وأدمعي  
أني إلى مصر العززية شيق  
ولقد هويت الفضل في أرجائها  
اني ، وحقك ، في الهوى متمصر

وله في ذكر الوثبة الوطنية سنة ١٩٤٨ :



هذا العراق، وهذه وثباته،  
ان كنت تجهل صبره ونضاله  
فإنه لا يصبرون على الأذى  
يا هازلاً بالشعب، لا تهزل فقد

وقال في وفاء الكلاب :

والكلب أوفى من الإنسان في خلق  
والكلب يشكر إذ أعطيته منحاً  
والكلب يمنع مـولاه وسيده  
وهو الصبور على الآلام والمحن  
وان منعت فثـناء على المنن  
وذاك يعدو على الأعراض في السكن

عرفت ابراهيم الواعظ وصحبته أعواماً طويلة، فوجدت لديه، مجسمة إلى أبعد حدود التجسم، تلك الروح الغيورة الردودة التي تعتزّ بالأدب وتحبّ الأدباء وتأخذ بيد الناشئين والمتأدبين. لقد نشر كتاب «الروض الازهر» وفاءً لأجداداه وأسرته، ولا سيما لأبيه وأخيه إسماعيل، فجعل منه صورة رائعة للحياة الاجتماعية والأدبية في الأيام السالفة. وانتخب عباس العزاوي عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، فلما رأى رجال الأدب والتاريخ متقاعسين عن الاحتفاء بالرجل الذي سجل عصور العراق وأحداثه في سلسلة كتب تعجز عن اخراجها المجمع بـلغة الأفراد، نشط إلى تكريمه باسم نقابة المحامين. وأمضى في الموصل سنوات، فأوجد ندوة أدبية وشعرية وخلق حركة جميلة بالرغم من ضحل أديها ودورانها في حلقة مفرغة. وكان كثيراً ما يكتب إليّ ويكتب إلى غيري في بغداد يسأل معارضة «يا ليل الصب» أو تشطير أبيات أو نظم شعر في موضوع يقترحه، لتلاوته في الندوة العمرية ووصل تيار الفكر بين الزوراء والحدباء.

وسافر إلى القاهرة للعمل في ادارة الجامعة العربية، فاتصل بالشعراء والادباء وكان همزة الوصل بينهم وبين زملائهم في العراق. ثم اشترى عشرات النسخ من ديوان محمد الأسمر وغيره، فأهداها إلى أصدقائه في بغداد ودعاهم إلى مراسلة أصحابه المصريين...

أما تشجيعه للناشئة وشدة الأدب فالكثير من الشباب يذكرون يده البيضاء عليهم ويمجدون له وساطته لتوظيفهم وترفيحهم أو طبع آثارهم أو ارسالهم في بعثة دراسية. وكان مجلسه في داره ومكتبه على السواء منتدى ترى فيه رجال الأدب والفضل وتسمع أحاديث الشعر المحيية إلى النفوس. لقد كان فوّار الحماسة، دائم الابتسام، شديد الاخلاص، فمهما تأزمت الأمور وتعقدت، كنت موقناً أن تحظى لديه بما تريده من بشاشة ومشورة ومعونة ونفهم.

كان المرض يترصده ويتربص به الدوائر، فلم يكد يعتزل العمل الحكومي ويتطلع إلى حياة الدعة والهدوء، حتى اغتاله الموت بلا مهلة ولا انذار، وطوى سيرته خيراً من الأخبار. وماذا أقول فيه الا أن أردد أبيات عبدة بن الطبيب التميمي:

عليك سلام الله، قيس بن عاصم،  
ورحمته ما شاء أن يترجما  
تحيّة من غادرته غرض الردى  
إذا زار عن شحطٍ بلادك سلماً  
فما كان قيس هلكتك هلك واحد  
ولكنه بئيان قوم تهدما  
وقد رثاه خاشع الراوي، قال:

أفراق إلى أمــــد  
أم رحيل إلى الأبــــد؟  
أفل الكوكب السذي  
شع بالأمس واتقــــد  
وخبنا ذلك السنــــا  
والمنى أصبحت بســــد

### محمد سعيد الجليلي

ينتمي إلى الأسرة الجليلية المعروفة وهو محمد سعيد بن حسين آغا آل عبيد آغا الجليلي، ولد بالموصل سنة ١٨٩٦، ودرس في معاهدها وشغل وظائف حكومية مختلفة، وكان كاتباً في مجلس النواب. وقد برز بين كتّاب الشباب بعد الحرب العظمى الأولى، ووضع كتباً منها: الأناشيد الموصلية للمدراس العربية (١٩١٤) كيف نجد السعادة (١٩٢٤) كيف يرقى العراق (١٩٢٤) خواطر ويوميات في مشاريع مجلس الاعمار (١٩٥٤) من صميم الواقع (١٩٥٦).  
أدرسته الوفاة سنة ١٩٦٣.

### محمد بهجت الأثري

الأديب العالم الشاعر محمد بهجت الأثري، وهو ابن التاجر محمود بن عبد القادر بن أحمد بن محمود، وأصل أسرته من عرب ديار بكر، هاجر جدّه الثاني أحمد إلى أربيل ثم استوطن ببغداد وزاول التجارة فيها.

ولد في بغداد في تشرين الأول سنة ١٩٠٢، ودرس في المدارس الرسمية ومدرسة الأليانس الأهلية، ثم عين كاتباً في ديوان محكمة الاستئناف وهو دون سنّ التوظيف. ومال إلى دراسة الثقافة الإسلامية والادب العربي فلازم علي علاء الدين الألوسي ومحمود

شكري الألوسي وتخرج عليهما في علوم اللغة والتاريخ والتفسير والحديث والأصول والمنطق والحكمة الأهلية .

بدأ بالكتابة في الصحف البغدادية ثم تولى تحرير مجلة «البدائع» الاسبوعية سنة ١٩٢٥ ، وعين في الوقت نفسه مدرساً في مدرسة التفيّض الأهلية . وانتدب في السنة التالية مدرساً في المدرسة الثانوية المركزية ببغداد فثابر على التدريس فيها عشر سنين . وقام بسياحة في البلاد العربية وتركية واليونان سنة ١٩٢٨ ، ثم عاد وساهم في تأسيس جمعية الشبان المسلمين وتولى بعد ذلك رئاسة تحرير مجلتها «العالم الإسلامي» .

وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٣١ . واشترك في المؤتمر الإسلامي العام المعقود في القدس الشريف في كانون الأول ١٩٣١ ، فألقى في حفلة الافتتاح قصيدة مطلعها :

لمن الوفود تفيض فيض الوادي      ملء الحمى منها وغصّ النادي  
ألفت بثالثة العواصم رحلها      لجلاد غائرة ورمّ فسّاد

وعين في تموز ١٩٣٦ مديراً لأوقاف بغداد فمفتشاً في وزارة المعارف (١٩٣٧) إلى تشرين الأول ١٩٤١ حين فصل من وظيفته واعتقل في القوا والعمارة وسامراء ولم يطلق سراحه إلا في آب ١٩٤٤ . وقد أعيد تعيينه مفتشاً بوزارة المعارف (نيسان ١٩٤٨) ، ثم أصبح استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الأول ١٩٥٦) فمديراً عاماً للأوقاف من تموز ١٩٥٨ إلى شباط ١٩٦٣ .

وانتخب عضواً في لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية سنة ١٩٤٧ ، فعضواً في المجمع العلمي العراقي عند تأسيسه (كانون الثاني ١٩٤٨) . وانتخب نائباً ثانياً لرئيس المجمع (نيسان ١٩٤٩) ، فنائباً أول للرئيس (تشرين الأول ١٩٥٣) إلى حل المجمع في حزيران ١٩٦٣ . واختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عضواً مراسلاً له (ايار ١٩٤٨) فعضواً عاملاً في آذار ١٩٦١ .

#### مؤلفاته :

لمحمد بهجت الأثري مؤلفات عديدة منها : أعلام العراق (١٩٢٧) المجلد في تاريخ الأدب العربي (١٩٢٩) تهذيب تاريخ مساجد بغداد (١٩٢٧) المدخل في تاريخ الأدب العربي (١٩٣١) مجموعة رسائل عبد المحسن الكاظمي (١٩٤٦) وضاح مأساة الشاعر متبادلة مع أحمد حسن الزيات ، (١٩٣٥) الاتجاهات الحديثة في الإسلام (١٩٥١) . وله مقالات وبحوث عديدة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي وسائر المجلات والصحف العربية .

وله : محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية (١٩٥٨) ، وهي محاضرات ألقى في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة ، الآلة والأداة (١٩٦٢) ملامح وأزهار (شعر ، ١٩٧٤) .

نشر وحقق معظم مؤلفات شكري الأوسوي ووقف على طبعتها، منها: كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١٩٢٤) تاريخ نجد (١٩٢٥) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (١٩٢٣) عقوبات العرب في الجاهلية، رسالة المسواك.

وحقق كتباً كثيرة من التراث العربي، منها: مناقب بغداد لابن الجوزي (١٩٢٤) كتاب الكتاب للصولي (١٩٢٣) ولوح الحفظ في حساب عقد الاصابيع (لعبد القادر ابن شعبان)، وكتاب النغم لابن المنجم (١٩٥٠) وبعض أقسام خريدة القصر وجريدة العصر. واشترك في ترجمة كتاب الخطاط البغدادي ابن التّواب (عن التركية) (١٩٥٨) كما اشترك في وضع كتب مدرسية منها: الأساس في تاريخ الأدب العربي (في جزءين)، ديوان الأدب (في ستة أجزاء)، المطالعة العربية (في ثلاثة أجزاء)، القراءة العربية (في أربعة أجزاء) الخ.

وله ديوان شعر طبع في القاهرة سنة ١٩٧٤، ومن مصنفاته المهيأة للطبع: شيخ الإسلام عارف حكمت، عماد الدين القرشي الاصبهاني الكاتب، شرح مقامات ابن ماري الطبيب المصري، أشهر مشاهير العراق، الردّ على الشعوبية ونقض كتاب المثالب لابن الكلبي، ديوان ظلال الأيام، ديوان وراء الأسلاك الشائكة، الأدب المعاصر في العراق الخ.

شعره:

الأثري الشاعر ذو ديباجة مؤنقة جزل العبارة نقيّ الأسلوب، وقد نظم في المواضيع الوطنية والإسلامية والوجدانية.

قال يتلهف على وفاء الأصفياء:

صبوت، وهل في الناس مثلك من يصبو، وهل منزل اللذات يعمره الحب؟  
مضت بالذي تهوى المقادير فاختنفى فلا كرم يبدو لعين ولا صحب  
وقد فاتك الحظ الذي أنت طامح اليه، وأقصتك المودة والقرب  
فواعجباً كيف السبيل إلى العلى إذا كان حظّ الناصح المنع والحجب؟  
وكيف يرجى أن ينال مغامر كأن منى عقدت بالنجم أوضاحها الشهب  
كأن مسير الحظ عكس مسيره فوجهة ذا شرق ووجهة ذا غرب

وقال يصف الطبيعة في الريف العراقي:

تملّ من الحسن في الضمّاحية وحيّ بها العيشة الهانئة  
متاع الحيااة وريحانها ومبدي مهاجها الزاهية  
هدوء كما يتغني المتعبون سجدو على اليقظة البادية

يد الله قد باركت أرضها  
وألقت من السحر في حسننها  
أصيل الملامح لا لـونـه  
ولكنه وشي خلاقه  
وقال في فيضان دجلة :

يا نوح، قم دارت بنا الأزمان  
قد غبت عنه فأين منك سفينة  
كانت ملاذ اللاجئين، ومالنا  
من عاصم للخلق من متوعد  
البر عاد به عباياً ثائراً  
غطى الأديم فليس إلا ماؤه،  
فإذا سجا خرق القلوب تفزعاً  
غرثان وهو يكاد يتلع الدنى  
هو والسماء كلاهما متغضب  
باتا على وعد، فليس بمنقض  
والنوء يأتي بالصواعق منذراً  
وكأنها بغداد في أتباجه

ومن رقيق شعره في الفراشة :

أفراشة الـروض المنور، شاقني  
نفضت عليه الشمس مذهب لونها  
حسن يموج على الفضاء منشراً  
كأخي الصبابة، وهو يتبع قلبه،  
ما أنت؟ هل طير يرفرف في السناء،  
أم من جنان الخلد روح ناسم  
روحي، كروحك، بالصبابة هائم  
ولهان يبعثه الهوى متذكراً  
يسري أرق من النسيم بسحرة  
طرباً إلى وجه الحبيب، وإنما

ووشت خمائلها الحاليلة  
أرق من السحر في الجازيلة  
الدهان ولا طيبه الغالية  
ودوح رياحينه الزاكية

عبد الهوى وتجدد الطوفان  
يا نوح، يفضع نحوها الإنسان؟  
يا نوح، ما ينجوبه الحيران . . .  
جاشت غواربه وهن رعان  
كالشعب حرق غيظه الطغيان  
أرأيت بحراً ماله شطآن؟  
وإذا تحرك زاغت الأذهان  
وكأنها أمواجه الحيتان  
متفجر وكلاهما هتان  
يوم إذا ما لم يكن حدثان  
ومن العواصف مارج ودخان  
فلك ولكن ماله ربان

ثوب كنور الـروض زانك منظرنا  
ووشى الـربيع رداءه المتخيراً  
أتى يـمـور بك الجناح تموراً  
من بات رهن غرامه أتى جرى  
أم وردة سكرى تـرفـت تفراً؟  
شاقته أطيف الحبيب فأبكر؟  
يصل الأجنحة رائحاً ومبكراً  
أبدأ، ويطلقه الخيال مشمراً  
ويرف أنظر من نبات نورنا  
يشتاق من صدق الصبابة مخبرنا

وقال في رثاء سعد زغلول زعيم مصر المتوفى سنة ١٩٢٧ :

جَلَّ الأسمى فلكلَّ نفس مجزع  
شمل المصاب فما القريب بداره  
الأرض دانيها وقاصي ربعها  
فمن الليالي الخالكات سوادها  
ومن النوادب شجوها وأنيها  
ما كان سعد غير سعد بلاده  
أفيوحش الأوطان وهو أنيسها  
أسفي على سعد، وكم من ميت  
ما إن رأيت كمثله من مخلص  
بطل له في كل يوم حادث

ثم يقول :

يا مصر، إنك للعروبة موئل  
سيري على النهج القويم وجنّدي  
وتجنّبي التقليد في تشييده  
من رام حكم الذات وهو مقلد  
بؤساً لأوطان يسود بها الألى  
إنّ السدخيل إذا أقام ببلدة  
فتبصري فالشرق خلفك سائر

وقال محمد بهجت الأثري من قصيدة في رثاء إمام اللغة أحمد تيمور باشا :

ياناعياً من مصر خير سراتها،  
الخطب مضاض، فهلاً كنت ذا  
فلقد سرى نبأ المصاب كما سرى  
إنّ المصـاب بمثل «أحمد» إنّا  
علم رعى الفصحى وأحيا مجدها  
نشراً وتحقيقاً وكشف غوامض  
برأ بها وبأمة مغلوبية

أعلمت أنك قد نعت النّيبلاً؟  
رفق بنقل الفاجعات بخيلاً؟  
سمّ يدبّ إلى القلوب فعولاً .  
يلدر النفوس تسيل منه مسيلاً  
وأحلّها فوق اللّغات مقيلاً  
ويبان أسرار يرعن عقولاً  
فقدت سواها الثغر والأسطولا

أعيد تعيينه عضواً بالمجمع العلمي العراقي على أثر إعادة تأليفه في مايس ١٩٧٩ .  
وانتخب سنة ١٩٨٠ عضواً بأكاديمية المملكة المغربية . ومنح جائزة الملك فيصل  
السعودي للأدب العربي سنة ١٩٨٦ . ثم منح في كانون الأول ١٩٨٩ جائزة صدام  
(حسين) للانتاج الأدبي الموسوعي .

## أحمد حامد الصراف

لو كان للصدقة مساويء - والصدقة كلها فضائل ومحاسن - لكان من مساوئها أنها  
تمنع الصديق من إيفاء حق صديقه والإشادة بذكر محامده وشماله ومزايه . وماذا  
عساي أقول في الصديق الكريم الأديب الأملعي والمحدث الساحر والرواية اللبق ذي  
الدوق الأنيق والطبع الرقيق الأستاذ أحمد حامد الصراف وكيف أصف عذوبة حديثه  
وإشراق ديباجته وصفاء جهيرته وسريرته؟

أحمد حامد الصراف شخصية ذات جوانب متعددة : فهو حقوقي بارع شغل  
وظائف إدارية وقضائية كثيرة وجاب معظم ألوية العراق رسولاً للعدالة ، وهو أديب  
يصول قلمه ويجول ، ضليع بأداب العربية والفارسية والتركية وله حافظة قوية تحتزن  
بدائع المنظوم وروائع المنثور ، وهو باحث محقق أولع بأخبار المتصوفة والدرأويش وأرباب  
الطرق واستقصى سيرهم وآثارهم ، وهو بعد كل ذلك رجل إنساني ذو عاطفة ملتبهة  
تتوقد وتمرد وتثور ، وله قلب شديد الخفقان يفيض باللوعة والحنان ودمع سريع الهميان  
يرثي لحال الانس والجنان .

أول ظاهرة تجذبك إلى الصراف أناقة ملبسه فهو يعتني بهندامه أشد العناية ويشد  
رباط رقبته شداً خاصاً ويهيم بالمسابع والفصوص والعمور . عرّف الظرف في العهد  
العباسي المتأخر فقيل «من تحتم بالعقيق وقرأ لأبي عمرو وحفظ قصيدة ابن زريق  
(لاتعدليه فإن العذل يولعه . . .)» فقد استكمل الظرف . ولا ريب أن الصراف يعتبر  
ظريفاً في عرف هذا القياس . وقد خلد لنا التاريخ أديبين كانا يتأنقان بملبسهما  
وإنشائهما على السواء أولهما بوفون الفرنسي قائل الكلمة المأثورة «الأسلوب هو الرجل» ،  
والآخر الكاتب المصري مصطفى لطفى المنفلوطي «صاحب النظرات والعبرات» . ولا  
يقل الصراف عنهما أناقة في ملبسه وكتابته .

وصديقنا الصراف كما قلنا رجل عاطفي إن تذكر له حادثة مشجبة أو أمراً مؤسباً  
لستشير كوامن لواعجه وتمس من قلبه وترأ حساساً . وقد بلي قبل ربع قرن بوفاة أمه التي  
يكن لها أسمى معاني الحب والحرمة وبلي قبل سنوات بوفاة خالته وأخيه محمود فسكب  
عليهم الدمع الغزير ولا يزال كلما ذكرهم يردد الحسرات والزفرات . أما أبوه الحاج

موسى فقد فجع به وهو غلام يافع فظل في ذهنه مثالاً للرجولة والمروءة وسمو النفس .  
 إن توقد عاطفة الصراف وإرهاق حسه قد دفعه - على ما أعتقد - الى حب التصوف  
 وأصحابه فدرس الحيام والحلاج وأضرابهما وتتبع أخبار الدراويش والغلاة وشد الرحال  
 الى إيران بحثاً عن شؤونهم وآثارهم . وكتب اليّ ذات مرة من كركوك - وهو آنذاك حاكم  
 شمالي العراق المتوفى في دمشق سنة ١٨٢٧) فهو منصرف إليه مكبّ عليه منشغل به عن  
 كل ما عداه .

فكتبت إليه من أبيات :

وجد الاستاذ شعر النقشبندي      فتناسى حافظاً جامي وسعدي  
 وارترضاه دون أهل الودّ خلاً      واصطفاه ألف إغراق ووجد . . .

والصراف يحب شخصيات تاريخية كثيرة في مقدمتها الامام علي والسيد المسيح . فهو  
 يحب في علي البطل الصنديد والرجل العادل النبيل فيفيض في ذكر محامده ويتمثل  
 بالأبيات الشهيرة :

حب علي بن أبي طالب      أحلى من الشهد الى الشارب  
 لو فتشوا قلبي لألفوا به      حرفين قد خطا بلا كاتب  
 العمدل والايان في جانب      وحب آل البيت في جانب

ويحب في يسوع اللطف والطيبة والوداعة ويرى في خطبة الجبل أسمى تعبير عن  
 المحبة الإنسانية والأخوة البشرية . إن الصراف يدين بدين الحب فهو يكاد ينطق بلسان  
 محبي الدين ابن عربي هاتفاً :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي      إذا لم يكن ديني الى دينه داني  
 وقد صار قلبي قابلاً كل صورة      فمسرحة أظباء ومرعى لغزلان  
 وبيت لأوثان وكعبة طائف      وألواح توراة ومصحف قرآن  
 أدين بدين الحب أنى توجهت      ركائبه فالحب ديني وإيماني

والصراف ذكي الى حدّ الإفراط وهو يعلم ذلك ولا يصطنع التواضع في الإشارة الى  
 ذكائه . وقد قال ذات يوم : سبحان الله فاطر السموات والأرضين ، خلق أخوين لأب  
 وأم فخصّ أحدهما بالذكاء الفارط وجعل الثاني في الخضيض الأوهد من البلادة  
 والغباء . . . وقيل إن عمر بن الخطاب كان إذا رأى الرجل يتلجج في كلامه قال :  
 خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد!

ويمكن القول إن ذكاء الصراف قد جنى عليه فدعا الى فصله من الوظيفة مرتين :  
 ففي المرة الأولى عين أديبنا سكرتيراً لإحدى القنصليات العراقية في إيران ، وبدلاً من أن



يشخص الى بلد الفردوسي وسعدي طلب إجازة وسافر الى ربوع الشام . وفي ذلك الصيف نفسه مضى الى الأصبطيا ف نفس القنصل الذي عين الصراف سكرتيراً له فالتقى هناك الرئيس والمرؤوس . وكان القنصل رجلاً عظامياً كبير المقام قليل الكلام ، وكان السكرتير الأديب ينتقل في سورية ولبنان من ناد الى ناد ومن مجلس الى مجلس فيلقي المحاضرات ويأسر الألباب بأحاديثه ولطائفه ومحفوظاته ولا ينسى في أثناء ذلك أن يقدم رئيسه الصامت بعبارات التفخيم والتبجيل ، حتى إذا ما انتهى موسم الصيف وعاد القنصل وسكرتيره الى العراق ذهب الأول الى مقرّ منصبه في إيران وآب صاحبنا بالفصل والحرام .

وفي المرة الثانية - وبعد زهاء عشر سنين - جمع بالصراف حصان اللسان فقال في نشوة الحديث «ثلاثة في العراق لا يعرفون كتابة سطرين متصلين ، وصرّح بالأسماء فإذا ثالث الثلاثة الوزير الذي يعمل صاحبنا في وزارته . وسرعان ما نمي الخبر الى الوزير الخطير فلم يغمض له جفن حتى أطلق المتكلم من قيد الوظيفة .

وأحمد حامد الصراف محدث لبق تسعفه ذاكرته بمئات الشواهد والقصص والروايات والأشعار . وله منطق عذب وخيال خصب يوسع لحديثه الآفاق ويسبغ عليه صفات الامتاع والإشراق . ولعله من النفر القليل الذي يحفظ النثر فيروي المقدمات والفصول بطريقة فذة . أما روايته للشعر فتختلف باختلاف مزاجه : فإذا رغب في مدح الشاعر ورفع شأنه روى شعره بأسلوب ساحر خلّاب يضيف عليه معاني اللطف والرواء ، وإذا شاء غير ذلك روى الشعر بأسلوب هازل لأذع يحط من قيمته وينزل به الى دركات الابتذال والاسفاف .

والصراف يلمع في المجالس والدواوين فيأخذ بمجامع الحديث ويستهوئ النفوس والألباب . وقد حدث مرة أن اجتمع نادي القلم في إبان عزه لسماح محاضرة للصراف في الدراويش . وكان الاجتماع حافلاً برجال الفضل والقلم ، وقد حضره بدعوة خاصة سرب من المعلمات اللبنايات . لم يكد الصراف يمضي في إلقاء محاضرتة حتى نسي أنه في مجلس علم وأدب وخال نفسه متصديراً نادياً من أندية مدام ريكاميه الجميلة أو مدام دي ستال الذكية الفطنة فترك النص المكتوب جانباً . وأخذ يفيض في حديث الدراويش ويروي نوادرهم وأخبارهم وينشد أشعارهم وأذكارهم والعيون متطلعة إليه والاسماع مصغية والاعناق مشرّبة . وإذا بصوت يشق السكون الشامل ، ذلك صوت الصديق الاستاذ عباس العزاوي يقول : «يا أبا شهاب ، ليست هذه محاضرة بل هي «تكويكات» . فما كان من أبي شهاب إلا أن مد يده الى جيبه وأخرج ورقة نقدية قدمها الى أبي فاضل وقال : «هاك ديناراً و «كوكك مثلها» ، وضجّ المجلس بالضحك .

كان الصراف في صدر شبابه يحضر مجالس الأدب والفضل في بغداد ويصيح بسمعه الى أحاديث الشيوخ وأرباب الكمال . وقدم بغداد الشيخ عبد العزيز الشعالي

فأصبحت داره ندوة يقصدها الناس كبيرهم وصغيرهم يحفون بالزعيم الوطني التونسي ويلتقطون نفاثات علمه الزاخر وقرينته الوقادة .

قال الصراف : كان الشيخ رحمه الله يعلم جميع العلوم حديثها وقديمها ويتصرف في فنون القول ، غمر البديهة حلو البيان مطواع اللسان ثابت الجنان لا يردّ سائلاً ولا يعفي من التعقيب قائلاً . قال الصراف : فعجبنا لأمره كيف لا تعجزه مسألة ولا يعيبه موضوع وقلنا : لمتحنه امتحاناً عسيراً . وأزمعنا أمرنا أنا وبعض رفاقي من أدباء الشباب فمضينا الى منتداه الحافل وجلسنا نصغي بأدب ووقار حتى إذا ما سنحت الفرصة تنحنحت وقلت : «يا أستاذ ، سمعنا بكتاب نفيس مخطوط اسمه «قلائد النحور في بدائع وشي المنظوم والمنثور» لابن بيكال النباري (أو ما جرى مجرى ذلك من الاسماء التي اتفقنا على تلفيقها) فهل وقتم عليه في سياحاتكم وتحقيقاتكم؟ ولم تطرف للشيخ عين بل أجاب على البداهة : أجل . إن هذا مخطوط جليل القدر وقد وجدت نسخة منه في مكتبة الاسكوريال في مدريد وأخرى في مكتبة الفاتيكان ومؤلفه أندلسي فاضل من أبناء القرن السابع الهجري . . . ) وأفاض في ذكر سيرة المؤلف وفحوى المؤلف حتى حسبنا أنه يقرأ في كتاب مفتوح . وقمنا وقد أيقنا أن للشيخ على جلالة قدره وجزالة فضله قريحة تسعفه حيث يعجز العلم وقلنا لعله خلط مخطوطنا بأخر مما وقف عليه ونظر فيه من وفير المصنّفات . والله أعلم .

وقد لازم الصراف جميل صدقي الزهاوي أعواماً طويلة وروى أخباره وأشعاره وكتب عنه صفحات ممتعة . ورافقه سنة ١٩٣٤ الى طهران لحضور مهرجان الفردوسي . لقد أقامت الحكومة الايرانية احتفالاً عظيماً بالذكرى الألفية للشاعر الفردوسي . وفي الحفلة الكبرى التي شهدها رضا شاه يهلوي وأركان دولته والعلماء القادمون من مختلف بقاع المعمورة ألقى شاعر العراق قصيدة باللغة الفارسية أشاد فيها بذكر شاعر الأمة الايرانية ورفع منزلة الملك البهلوي الذي عرف قدر الفردوسي أكثر من معاصره الملك محمود الغزني . وكان لهذه القصيدة وقع عظيم حتى أن رئيس وزراء ايران لم يتمالك نفسه عندما فرغ الزهاوي من الإنشاد أن سحب يده وقبلها على ملأ من الحفل . قال الصراف «كان ذلك يوم الزهاوي المشهود هنا الشاه واحتفى به الناس . فلما عدنا الى الفندق دعاني الشاعر الشيخ وقال «يا ولدي أحمد ، هل رأيت رئيس الوزراء يقبل يدي؟ قلت «نعم يا أستاذ ، وقد رأى ذلك كل من حضر الاحتفال . فقال الزهاوي «احفظ ذلك جيداً يا ولدي أحمد لترويه في بغداد ، فأنت شاهدي الوحيد هناك فلتؤد الأمانة ولتوف بالعهد» .

واتصلت أسباب المودة بين الصراف والشاعر التركي الفيلسوف الدكتور رضا توفيق . فلما جاء الدكتور رضا الى بغداد في أوائل سنة ١٩٤٠ بدعوة من صديقه الاستاذ الجليل محمود صبحي السدفيري وزير العدلية آنذاك وحلّ ضيفاً على الحكومة العراقية حفل مجلسه في فندق زيا بالزوار من مختلف المشارب والطبقات . كان الدكتور رضا توفيق

يتحدث بلغات متعددة شرقية وغربية ويخوض في مواضيع شتى من الفلسفة والطب والتاريخ الى الموسيقى والشعر والأدب والتصوف . وكان يجب أن يستأثر بالحديث دون جلّاسه - ولعله لم ينفرد بهذه الصفة بل شاركه فيها أحمد حامد الصراف نفسه - فإذا جرى بحث موضوع من المواضيع ، تسلمه الدكتور رضا فتكلم عنه ووفاه حقه باللغة التركية مثلاً ثم أعاد الحديث نفسه باللغة الانكليزية أو الفرنسية أو العربية الفصحى لفائدة من يعرف إحدى هذه اللغات من الحاضرين . وكنا نحضر مجلس الدكتور رضا توفيق مع الصراف والصدّيق الدكتور مصطفى جواد وسرعان ما صار الصراف يتهرب من حضور هذا المجلس الذي قطع عليه صاحبه سبل الكلام . ثم سافر الدكتور رضا توفيق وسمح له بالعودة الى تركيا التي زایلها عشرين سنة أو أكثر وأدرّكته منيته فيها ، فكتب الصراف صفحات مشرقة عن الأديب التركي الكبير نشرتها صحيفة «الزمان» البغدادية في شهر آذار ١٩٥٧ . وكان قد كتب عنه فصولاً حيّة قبل نحو من ربع قرن في ملحق «البلاد» الاسبوعي .

وارتبط الصراف بوشائج المودّة وصلات الأدب بشعراء البلاد العربية وأدبائها ، وفي طليعتهم بشارة عبد الله الخوري المعروف بالأخطل الصغير الذي حيّاه قائلاً :

بـــــــدأ الكأس وثنّى	وسقى الشعــــر فغنّى
طــــائر من دجلة	الخلــــد الى لبنان حنّا
كم لسحر الشرق في عينيه	من معنــــى ومعنــــى
كلّما أنشــــد قلنا	عمر الحياــــم معنا
ينثــــر الأنس على المجلس	من هنــــا وهنــــا
يارســــول الأدب العسالي،	ســــلام الشعــــر عنــــا
قل لبغــــداد، متى	عدت الى بغــــداد، إنــــا . . .

إن الصراف شجاع مقدم وقد روى عن نفسه أنه استدرج أحد أصدقائه من الأدباء الى بعض البساتين النائية وأوسع له كماً وضرباً لتناوله بالنقد اللاذع المرّ كتاب «عمر الحيام» عند صدور طبعته الأولى . ومن ذكريات الصبا التي حدثنا عنها أنه اتفق مع نفر من رفاقه التلاميذ على التغرير بأصحاب الحمير الذين كانوا يقومون في بغداد القديمة بدور أرباب سيارات الأجرة .

كانت بغداد في ذلك العهد البعيد تنتهي عند باب «المعظم» . فإذا أراد امرؤ أن يذهب الى الأعظمية وقف عند الطاق في آخر محلة الميدان واستكرى حماراً يركبه ليقطع به الطريق الضيقة الممتدة بين البساتين الى جامع الإمام الأعظم . وجاء الفتى أحمد واصدقاؤه فاستأجروا الحمير، ولم يكن أصحابها يرسلون أحداً مع دوابهم لأن الطريق واحدة لا تنحرف يميناً ولا شمالاً بل تنتهي حيث يكون رفاقهم الذين يتسلمون الحمير

من الراكبين في ساحة الأعظمية ويؤجرونها ثانية الى المسافرين الى بغداد . لكن فتياننا الكارين الأبرياء أوقفوا الحمير في منتصف الطريق وسحبوها سحباً في داخل البساتين الى ساحل دجلة وعبروا بها في «قفة» الى الجانب الغربي حيث تركوها ترعى في الحقول حرة طليقة . . . وظل الحمارون أياماً طويلة يبحثون عن دواهم التي لم تصل الأعظمية ويتساءلون أين ضلّت سبيلها .

لكن الصراف يخشى ركوب الطائرة ولم يستطع أصدقاؤه أن يحملوه على السفر جواً واستنفدوا في ذلك وسائل الإغراء والإقناع فكانه يقول بلسان أحمد شوقي :

أركب الليث ولا أركبها وأرى ليث الشرى أوفى ذماما

وقد استطاع الدكتور مصطفى جواد مرة أن يزين له السفر بالطيارة مسافة قصيرة من بيروت الى دمشق . فلما ارتفعت بها سفينة الفضاء أخذ الصراف يسمل ويحوقل ويتعوذ ويخاطب نفسه قائلاً : «يا أبا شهاب ، ما حملك على ركوب هذا المركب وترك الأرض الثابتة وكيف تأمن على نفسك فوق الغمام؟ . . . فلما وصلت الطائرة الى الشام وهبط الأستاذ في المطار بسلام جسّ الأرض الثابتة تحت قدميه وحمد الله مقسماً ألا يعود الى التصعيد في الفضاء . وكذلك حرم رواد الفضاء الكوني من أمثال غاغارين وشبرد سلفاً زميلاً لهم لن يغريه مغر بالانطلاق في الصواريخ وارتياذ مجاهل الكواكب والأقمار . ولقد حدّثنا الجاحظ عن أعرابيّ شيخ أركب فيلاً ، فلما علاه صاح : الأرض ، الأرض . . . وأنزل فقال منشداً :

وما كان تحتي يوم ذلك بغلبة ولكنّ تحتي من ربيع السحاب

ودعي الصراف قبل سنين عديدة الى دورة ضباط الاحتياط وهو آنذاك مفتش عدلي فكتب اليّ من مقره في وزارة العدلية في ١٦ أيلول ١٩٣٩ يقول : «أنا يا أخي في كرب عظيم ومحنة ما بعدها محنة . إن الكاشحين الحاقدين غمزوا قضية إعفائي من دورة الاحتياط ، فتجدد الخطب وما زلت أعانيه ، ولست أدري ماذا ألقى في هذه الأيام التي شوّه جمالها هتلر ألف لعنة عليه . . .

«سأزورك يوم الخميس إما مودعاً إياكم وذاهباً الى دورة الاحتياط وإما ناجياً من هذه المحنة . لثيم ونذل من يقصّر في خدمة بلاده . لكن أين أنا من القراع والصرع والكفاح وحمل السلاح؟ لقد أصابني الأرق منذ ليلال وفي استطاعتي الآن أن أرسم خريطة السماء . . .» .

ولم يكن من الأمر بدّ فمضى أحمد حامد الصراف الى الدورة وكان معه في التدريب الدكتور مصطفى جواد وفريق آخر من الأدباء والمحامين . وأوكل بهم عريف شديد صارم فكان يوقظهم قبيل الفجر ويتولى تعليمهم الرياضة والمهرولة والجري والرمي ،

ذلك العريف الذي ابتلى به معها مصطفى علي فقال :

وَدَعَت عَقْلِي وَأَرَائِي وَتَفَكِيرِي وَسَرَت طَوَّعَ عَرِيفِ الْجِيْشِ عَاشُورَ  
وَضَاقَ أَصْحَابُنَا بِالْأَمْرِ ذُرْعاً فَلَمْ تَمُضْ أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ حَتَّى أَعْفَى الصَّرَافَ لِتَصْحِيحِ سَنَّتِهِ  
وَأَعْفَى مُصْطَفَى جِوَادٍ لِإِصَابَتِهِ بِالْتِهَابِ فِي الْعَصَبِ فَانصَرَفَ الْأَدْيِبَانُ إِلَى الْبَحْثِ  
وَالدَّرْسِ وَالتَّحْقِيقِ وَالتَّنْمِيقِ .

### الصَّرَافُ : حَيَاتِهِ

وُلِدَ أَحْمَدُ حَامِدٌ فِي كَرْبَلَاءَ سَنَةِ ١٩٠٠ ، وَكَانَ أَبُوهُ الْحَاجُّ مُوسَى بْنُ أَحْمَدَ مِنْ ضَبَّاطِ  
الدَّرِكِ الْعِثْمَانِيِّ وَأَصْلُهُ بَكْتِاشِي ، أَمَّا أُمُّهُ فَامْرَأَةٌ كَرِيمَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَسِيَّبِ . وَنَشَأَ أَحْمَدُ فِي  
الْحَلَّةِ وَبَغْدَادَ حَيْثُ تَنَقَّلَ وَالِدُهُ بِحُكْمِ وَظِيْفَتِهِ ، ثُمَّ تَوَفَّى عَنْهُ وَهُوَ صَبِيٌّ فِي نَحْوِ الْعَاشِرَةِ  
فَكَفَلَتْهُ أُمُّهُ وَكَانَتْ مِنْ فَضْلِيَّاتِ السَّيِّدَاتِ الْخَافِظَاتِ الْمُتَكَلِّمَاتِ . وَلَجَّ أَحْمَدُ حَامِدٌ  
الْمَدَارِسَ الرَّسْمِيَّةَ ، وَعَلَى أَثَرِ الْإِحْتِلَالِ الْإِنْكِلِيزِيِّ ، إلتَحَقَ بِدَوْرَةِ الْمُعَلِّمِينَ وَعَيَّنَ بَعْدَ  
نَجَاحِهِ فِيهَا مُعَلِّماً فِي مَدْرَسَةِ الْبَارُودِيَّةِ فِي بَغْدَادَ (شَبَّاطُ ١٩١٨) . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُنْقَلَ فِي  
السَّنَةِ نَفْسِهَا مُعَلِّماً فِي مَدْرَسَةِ الْحَلَّةِ فَمُدِيراً لِمَدْرَسَةِ عَلِيِّ الْغُرَبِيِّ (١٩١٩) فَمُدِيرَ مَدْرَسَةِ  
الْحَلَّةِ (١٩١٩) فَمُدِيرَ مَدْرَسَةِ كَرْبَلَاءَ (١٩١٩ - ١٩٢١) . وَنُقِلَ فِي سَنَةِ ١٩٢٢ مَدْرَساً  
فِي الْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ فِي بَغْدَادَ فَكَاتِباً فِي دَائِرَةِ نَائِبِ مُدِيرِ الْحَاسِبَاتِ الْعَامِ (١٩٢٢)  
فَكَاتِباً فِي دَائِرَةِ خَزِينَةِ بَغْدَادَ (١٩٢٣) . وَانْتَمَى فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ إِلَى مَدْرَسَةِ الْحَقُوقِ  
(١٩٢٢) وَتَخَرَّجَ فِيهَا سَنَةَ ١٩٢٦ .

نُقِلَتْ خِدْمَاتُهُ سَنَةَ ١٩٢٣ إِلَى وَزَارَةِ الْعَدْلِيَّةِ فَعَيَّنَ كَاتِباً فِيهَا فَمَلَّحَظَ التَّحْرِيرَ  
(١٩٢٦) فَمُدِيرَ الْمَطْبُوعَاتِ فِي وَزَارَةِ الْبَدَاخِيَّةِ (أَيْلُولُ ١٩٢٨ - ١٩٣٠) فَمَلَّحَظَ  
مَكْتَبَ الْمَطْبُوعَاتِ حِينَ خَفِضَتْ دَرَجَةُ الْمُدِيرِيَّةِ نَفْسَهَا (١٩٣٠) . وَصَحَبَ تَوْفِيقَ  
السُّوَيْدِيَّ فِي تَمُوزَ ١٩٢٨ إِلَى مُؤْتَمَرِ جَدَّةِ الْمُعْقُودِ مَعَ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سَعُودِ سَكْرَتِيراً  
لِلوَفْدِ الْعِرَاقِيِّ . وَنُقِلَ بَعْدَ ذَلِكَ سَكْرَتِيراً لِقَنْصَلِيَّةِ الْعِرَاقِ فِي كَرْمَنْشَاهَ (١٩٣٠) لَكِنَّهُ  
اسْتَقَالَ وَامْتَهَنَ الْمَحَامَاةَ .

وَأُعِيدَ تَعْيِينُهُ مُدْعِياً عَامِماً لِلْوَاءِ الْبَصْرَةِ (كُ أَوْلُ ١٩٣٣) فَمُعَاوَنَ رَئِيسِ تَسْوِيَةِ حَقُوقِ  
الْأَرَاضِيِّ (أَذَارُ ١٩٣٦) فَنَائِبَ الْمُدْعِيِّ الْعَامِ فِي الْمَوْصَلِ (كُ ثَانِي ١٩٣٧) فَمَفْتَشاً عَدْلِيّاً  
(أَذَارُ ١٩٣٩) حَتَّى أَلْغِيَتْ وَظِيْفَتُهُ (تَمُوزُ ١٩٤٠) . ثُمَّ عَيَّنَ حَاكِماً مُنْفَرِداً لِلنَّاصِرِيَّةِ (أَبُ  
١٩٤٠) فَحَاكِمَ تَحْقِيقِ الرِّصَافَةِ (نَيْسَانَ ١٩٤١) فَحَاكِمَ صِلْحِ الْأَعْظَمِيَّةِ (حَزِيرَانَ  
١٩٤١) فَحَاكِمَ الْكُوتِ الْمُنْفَرِدِ (تَمُوزُ ١٩٤١) فَنَائِبَ الْمُدْعِيِّ الْعَامِ فِي بَغْدَادَ (أَذَارُ  
١٩٤٢) فَحَاكِمَ بَدَاةِ كَرْكُوكَ (حَزِيرَانَ ١٩٤٢) فَحَاكِمَ الصِّلْحِ الْأَوَّلِ فِي الْمَوْصَلِ (تَمُوزُ  
١٩٤٣) فَنَائِبَ رَئِيسِ إِجْرَاءِ الْمَوْصَلِ (تُ ثَانِي ١٩٤٣) فَحَاكِمَ كَرْبَلَاءَ الْمُنْفَرِدِ (نَيْسَانَ

١٩٤٤) فحاكم بداية الحلة (حزيران ١٩٤٥) فالرمادي (أيلول ١٩٤٦). ونقل من ثمّ عضواً في المحكمة الكبرى في بغداد (ت أول ١٩٤٧) ولم يداوم أياماً حتى نقل نائباً للمدعي العام للواء بغداد (ت أول ١٩٤٧) فحاكم بداية الكاظمية (ت ثاني ١٩٤٧). وعيّن مديراً عاماً للدعاية (أيار ١٩٤٨) فرئيساً لتسوية العمارة (١ ت ثاني ١٩٤٨) فرئيساً لتسوية بغداد (أذار ١٩٥٠) فمدوناً قانونياً (أيلول ١٩٥٢) حتى أُحيل على التقاعد برغبة منه في أيلول ١٩٥٤، فأخذ يزاول المحاماة.

وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق (ت ثاني ١٩٤٧)، وعضواً بالمجمع الايراني في طهران (فرهنكستان) (١٩٥١). وله مقالات وبيحوث ومحاضرات كثيرة نشرت في الصحف والمجلات العربية. من مؤلفاته المطبوعة: عمر الخيام (١٩٣١)، وقد أعيد طبعه مرتين موسّعاً، الشبك (١٩٥٤). أما مؤلفاته المخطوطة فكثيرة، منها: بين بغداد وطوس، الدراويش، رسالة في العلاج، رسالة في ابن سينا وأدبه الفارسي، الزهاوي شاعر العراق، الخ.

توفي أحمد حامد الصراف في بغداد في ١٨ شباط سنة ١٩٨٥ بعد مرض طويل.

\*\*\*

كان لأحمد حامد الصراف مساجلات ومداعبات مع أكثر أدباء عصره.

قال ذات يوم: أشهد على رؤوس الملائ أن الشيبيني (محمد رضا) شاعر كبير، أجل، شاعر كبير أشعر من البناء (عبد الرحمن)!

وغضب ذات يوم من عباس العزاوي فحفظ مقدمته للجزء الأول من «تاريخ العراق بين احتلالين» وصار يقرأها في الدواوين والمجالس الأدبية بأسلوب عابث مزير. ثم يقول: أسمعتم مثل هذا الخلط والخطب؟ إنها مقدمة تاريخ العزاوي مؤرخ العراق! ونقل العزاوي في تاريخه أخباراً كثيرة عن «دوحة الوزراء»، وهو كتاب مخطوط نادر باللغة التركية القديمة المشوبة بالفارسية. فقال الصراف: وهل يعرف العزاوي التركية ليترجم أخبار دوحة الوزراء؟

ونقل الحديث الى العزاوي فقال: وهل رأى الصراف بعينه نسخة من دوحة الوزراء ليستطيع الحكم في الموضوع؟

ولكم نشب الخلاف بين أحمد حامد الصراف ومصطفى جواد وعباس العزاوي وغيرهم من الأدباء والشعراء واشتدّ الخصام والجفاء، فكنتُ أقيم لهم المآدب والحفلات إصلاحاً لذات البين وجمعاً للشمل ورتقاً للفتق. وفي ذات مرة عاد الخلاف الى الاستحكام بين الصراف والعزاوي وتراشقا بسهام الكلام، فقلت لهما مداعباً: إنكما تعملان هذا عمداً لتفوزا مني بمأدبة الصلح، ولكن سأخلف ظنكما هذه المرة وأترككما تتنابدان وتتنايزان ما شئتما وشاء لكما الظرفاء من الحساد والشامتين!

والتقى الصراف والعزاوي في المجمع العلمي العربي بالشام وكانا على جفاء لا يكلم أحدهما الآخر، فقال العزاوي: لا بأس من التحدث بيننا ما دمتما في سورية حفظاً للمظاهر على أن نعود إلى القطيعة في بغداد!

شرح الصراف مديراً للتشريفات فرفض قائلاً: إن مدير التشريفات خادم مؤدّب. ذهب أحمد حامد الصراف في إحدى زيارته إلى طهران لتفقد مكتبة الفرهنگستان. قال: وجدت وأنا أقلب في المخطوطات مخطوطة قديمة في الطب فقرأت فيها ما يلي معناه: «فضل في خضاب اللحية: خذ المواد كذا وكذا (وقد عددها المؤلف وأكثرها من الأعشاب) ودقها في الهاون، ثم اعجنها بهاء السورد واخضب بها لحيتك فلا تتحكم بها النار». قال الصراف: ووجدت في الحاشية بخط وحبر مختلفين كلاماً يظهر أنه أحدث عهداً من المخطوطة الأصلية ماله: «كذبت ولعنت، أيها الملقق - عملت بوصفتك فاحترقت لحيتي وشوّه ذقني. فحذار حذار من الأفاق الجاهل النصاب».

وقد عين الصراف حاكماً مديناً في الكوت فجيء إلى المحكمة بأحد أفراد رئاسة عشيرة الميلاح متهماً بقتل عبد له، وقيل له: أرفق به فالقتيل عبد لا قيمة له.

قال: لا عبد ولا حرّ أمام القانون! ودعي إلى وليمة فخمة وبذلت له الأموال فلم يرتدع. وأخيراً هدّد بالقتل فلم يسعه إلا الهرب إلى بغداد وطلب نقله إلى لواء آخر فنقل.

حدثني أحمد حامد الصراف أنه أصدر كتابه عن عمر الخيام فقال له الشيخ جواد الدجيلي: لقد جمعت كتابك من شتى المصادر فلفقته حتى خرج كالثوب المرقع. قال الصراف: موعدنا في المساء في مقهى الباب الشرقي لتتكلم في الموضوع.

وفي المساء التقيا، وكان الباب الشرقي آنذاك مجموعة من البساتين الملتفة الأشجار لم يصلها العمران، فسارا والشيخ جواد يشرح وجوه الانتقاد والمآخذ على الكتاب. وفجأة وقف الصراف وأخذ بتلايبب الشيخ وقال له: أنتتقد كتابي الذي تعبت في تأليفه؟ وإنهال عليه ضرباً ولكم والشيوخ يستغيث ولا مغيث. وتركه أخيراً على أسوأ حال وعاد أدراجه.

وفي صباح اليوم الثاني جاء الشيخ جواد يشكو الصراف الملاحظ في وزارة العدلية إلى مديرها العام توفيق السويدي. فاستدعى السويدي الصراف وقال له: كيف تعتدي على الشيخ بالضرب؟ فأجاب: هل اعتديت عليه في الدائرة؟ قال الشيخ: لا. قال السويدي: إذن فارفع شكواك إلى الشرطة.

## مصطفى علي

الأديب الحقوقي الوزير، راوية الرصافي ومؤرخه، مصطفى علي محمد الكزوي القيسي، ولد في بغداد سنة ١٩٠٠ وانتمى إلى دار المعلمين الابتدائية (١٩١٩) فتنحج فيها وعين معلماً في أيلول ١٩٢١. ودرس بعد ذلك في مدرسة الحقوق

فنال شهادتها سنة ١٩٢٩ .

وقد ترك مهنة التعليم فعين كاتباً في ديوان مجلس الأعيان (١٩٢٥)، فرئيساً للكتاب، فكاتباً عدلاً (١٩٣٢)، فملاحظاً للأمور الذاتية بوزارة العدلية (١٩٣٤) وانتخب في شباط ١٩٣٧ نائباً عن بغداد في مجلس النواب .

أولع بالأدب منذ فجر شبابه، فكتب المقالات في الصحف والمجلات، ولازم الرصافي أعواماً طويلة حتى أصبح راوية شعره ومؤرخ حياته والملم بأموره دقيقها وجليلها. واشترك مع حسين الرحال في تحرير مجلة «الصحيفة» في كانون الأول ١٩٢٤، وكانت من الصحف التقدمية التي تدعو الى تحرير الأفكار وسفور المرأة والأخذ بأسباب التقدم والنهضة، ولم تعمّر طويلاً. ثم أصدر مجلة «المعول» في أيلول ١٩٣٠ فحجز عددها الأول وصودرت نسخته. وكتب مصطفى علي في جريدة «الأيام» البغدادية (٣١ كانون الأول ١٩٦٢) فصلاً ممتعاً عن قصة هذه المجلة المؤرودة في مهدها، فقال إن معروف الرصافي، حين علم بعزمه على إصدار «المعول»، إنرجل بيتين كانا شعاراً للمجلة:

حال جدار من تقاليدنا      دون الـذي نحن بـه نعتلي  
فنحن نحتاج الى هـدمه،      والهدم يحتاج الى المعول .

\*\*\*

إمتهن مصطفى علي المحاماة بضع سنوات، وتولّى التدريس في المدرسة الثانوية بالبصرة سنة ١٩٣٨/٣٩. ثم عاد الى الوظيفة فعين مفتشاً للطابو (أذار ١٩٤٢) فمدوناً قانونياً (أيار ١٩٤٨) فمديراً للحقوق بوزارة المالية (كانون الثاني ١٩٥٠) فحاكماً بمحكمة استئناف البصرة (تشرين الثاني ١٩٥٠) فنائباً لرئيسها (أيلول ١٩٥٤). ونقل رئيساً للمنطقة العدلية في لواء ديالى (حزيران ١٩٥٥) فمفتشاً عدلياً (تشرين الثاني ١٩٥٦). وتفجرت ثورة تموز فاختر وزيراً للعدل في الجمهورية العراقية (١٤ تموز ١٩٥٨)، وشغل هذا المنصب الى ١٤ أيار ١٩٦١. واعتقل بعد ثورة رمضان (١٩٦٣)، ثم أطلق سراحه بعد أسابيع قلائل واعتزل الحياة العامة، منصرفاً الى الكتابة والأدب.

مؤلفاته وأدبه:

مصطفى علي في طليعة كتّاب النثر العرب في عصره، جسريء القلم، مشرق الديباجة، ناصع البيان، يتحرى في كتابته اللفظ الفصيح والقول الصريح. وقد كان منذ عهد الشباب الباكر داعياً الى التقدم وتحرير المرأة ومكافحة الآراء الرجعية، وتعرية الأدب الجامد والمتحذلق والمتحجر. وأثبت في كتابه «جرائم مرّت أمامي»، وهي



قصص مستلهمة من عمله في محكمة الجزاء الكبرى بالبصرة، إنه يحسن سرد القصة وحبك عناصرها وسلسلة وقائعها بأسلوب جذاب يأخذ بمجامع القلوب .

ومن مؤلفاته المطبوعة : رسم الخطّ العربي (في تبسيط قواعد الإملاء ١٩٣٠)، في هامش السجل (١٩٣٧)، وهي مجموعة مقالات قصيرة نشرها في الصحف سنة ١٩٢٧ - ٢٨ و ١٩٣٢ - ٣٤، أدب الرصافي (١٩٤٧)، كتاب «الرصافي»، وقد نشر منه الجزء الأول (١٩٤٨)، جرائم مرّت أمامي (١٩٥٨)، محاضرات عن معروف الرصافي (ألقاها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، ١٩٥٣).

وقد وضع دراسة موسّعة عن الرصافي وسيرته ومؤلفاته وشعره وشرح قصائده وذكر مناسبات نظمها وغير ذلك من شؤون الشاعر الكبير تستوعب مجلدات عديدة، فكان من الرصافي مثل جيمس بوزويل (١٧٤٠ - ١٧٩٥) الذي سجل سيرة الأديب الانكليزي الكبير صموئيل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) ودون حرركاته وسكناته وذكر أقواله وأحاديثه وعظاته .

قابل بوزويل معبوده الأدبي لأول مرة في سنة ١٧٦٣، وكان محامياً ناشئاً قنّاصاً لأسود الشهرة . جاء الى لندن من مسقط رأسه في اسكوتلاندة وسعى للقاء جونسون الذي بلغ آنذاك قمة مجده الأدبي إذ نشر معجمه اللغوي قبل ذلك وتنافست المحافل الأدبية والأنندية الاجتماعية على دعوته والاحتفاء به . وتمّ لقاء الرجلين - كما رواه مترجم جونسون نفسه - في مكتبة تجارية فتحدّثا، ولم يحظ الشاب بكبير اهتمام من العلامة الكهل . ولم يخف بوزويل خيبة أمّله بعد خروج الرجل العظيم، لكن الكتبيّ طمأنه وقال له : « لا تنزعج، لقد رأيت أنه مال إليك كثيراً» . وكذلك كان، فلم يمض شهر واحد حتى كان الرجلان يتعشيان جنباً الى جنب ويتسازان في بعض المطاعم، فكان ذلك بداية صحبة العمر وحدثاً أدبياً له شأنه في التاريخ الانكليزي .

وروى لنا مصطفى علي في الجزء الأول من كتابه «الرصافي» أول عهده بالشاعر: سمع الفتى مصطفى باسم الرصافي، وقرأ شعراً له، واقتنى ديوانه، وتنسّم أخباره وتتبع سيرته وتعقب خطواته، فلما عاد الشاعر العراقي الى رصافته بعد الحرب العظمى فكر جمع من طلاب دار المعلمين، ومصطفى علي بينهم، أن يقصدوه زائرين مرحّبين . وهكذا اکتحلت عين الشاب لأول مرّة بمراى الكهل الشهير الذي أعجب به وحفظ قصائده، فوجد فيه «رجلاً طويل القامة، أسمر اللون، وثيق التركيب، ذا لحية خفيفة سوداء وشاربين غير مهذّبين، مهيب الطلعة، مرآه يوجب عليك احترامه، أنيقاً في ملبسه . وكان مرتدياً بذلة شتوية لازوردية، وعلى رأسه طربوش . . . وكان حين يتكلم يستعين بيده اليمنى فيشير بها إشارة هادئة، وبعينيه الصغيرتين البراقبتين . . . فكانت عيناه الثاقبتان تنفذان الى أعماق النفوس من سامعيه كأنه يريد أن يتغلغل فيخاطب النفوس لا الشخصوس، بل كأنه ينظر بعين الشعر التي يقول فيها :

وللشعر عين لو نظرت بنورها الى الغيب لاستشفت ما في بطونه . .  
وتحقق حلم الشباب ، فأرهف الأذن لسماح إنشاد الشاعر، وأعدّ القلم لكتابة  
شعره ، وهياً الصدر لحفظه ووعيه . وكانت تلك الجلسة الهادئة فاتحة صداقة دامت  
عشرات الأعوام وامتدت الى ما بعد موت الشاعر، إذ أصبح طالب دار المعلمين امتداداً  
لحياة الرصافي وشعره ونهجه .

\*\*\*

لخص مصطفى علي أهدافه حينما أصبح أول وزير للعدل في الجمهورية فقال :  
«أهدافي ، كأهداف زملائي ، خدمة الشعب والسير به في ركب الحضارة والتقدم ،  
واعداؤه وتهيته ليجاري ركب الأمم الحية في هذا العصر، وإنقاذه مما كان يعاني من  
مهلكات الشعب : الجهل والفقر والمرض» .

ومن أمثلة أسلوبه الكتابي وآرائه الحرة نجتزىء بنقل قسم من مقال كتبه في كانون  
الأول ١٩٢٧ بعنوان «القبعة والطربوش» .

«القبعة لباس للرأس كغيرها من الألبسة ، اعتاد أن يلبسها قوم ولم نعتد أن نلبسها  
نحن ، فرمينها ظليماً بكل ما يشين ، وجعلناها رمزاً للكفر وعلامة للمروق من الوطنية  
وشعاراً للهروب من الشرقية . . . . .»

عادة لو اعتادها أسلافنا لكفونا شرّ هذا النزاع والخلاف ، ولو اعتدناها نحن لكفينا  
أبناءنا وأحفادنا مؤونة ذلك .

أقول ما تقدم ، بعد ما قرأت في «الهلل» ما نشر حول القبعة والطربوش : فمصطفى  
صادق الرافعي يدافع عن الطربوش ويدلي بأسباب تمسكه به ، ويشرح محمود عزمي  
سبب لبسه القبعة ويعزز قوله ببراهينه في فضلها على الطربوش .

فالرافعي يرى أن القبعة على رأس المصري في مصر تهتك أخلاقي أو تهتك سياسي أو  
تهتك ديني أو من هذه كلها معاً . ثم هو يستمسك بالطربوش لأنه يريد الدقة في  
التعبير لتعبّر به نفسه حين تعلن عن نسبته وقوميته .

وعزمي يرى أننا نأخذ من حضارة اليوم كل مظاهرها ما خلا القبعة . ثم يقارن بين  
خفة قبعة الصيف التي ذاق حلاوتها في فرنسة وبين كبس الطربوش على دماغه الذي  
ذاق مرارته في مصر . وقد لبسها بعد أن أفتى جمع من الأطباء بفائدتها وبفضيلتها على  
الطربوش .

يتكلم الرافعي عن حرص شديد على ما ألفه لأنه وجد نفسه مطربوشاً بحكم العادة  
والمحاكاة ودون أن يجهد نفسه ويختاره تفضيلاً منه على سواه . ولكنه الآن يحاول أن يجد  
أسباباً يدعي أنه يتمسك بالطربوش من أجلها ، لا بل يحاول أن يخلق تلك الأسباب  
التي من أجلها يستمسك بالطربوش .

ومن حسن الإتفاق أن مجلة الهلال نشرت صورة الرافعي الى جنب صورة عزمي في  
العدد الذي نشر فيه مقالاتيهما ، فتأملت في الصورتين ، فلم أجد الفرق بينها في الزي

سوى قبعة عزمي وطربوش الرافعي . ولو صادف أن صوراً حاسري الرأس لما وجدنا بينهما فرقاً في الزيّ مطلقاً .

زيّ الرافعي ، كزيّ عزمي ، إفرنجي : بذلته إفرنجية ورباطه افرنجي ، حليق اللحية مهذب الشاربين . وأنا أزعّم أن آتاه وأدواته البيتيّة افرنجيّة كذلك . فهذه كلها لا تخرجه عن شرفيّته ولا عن ديانتته ولا عن نسبته . . . . ولكن القبعة . . . القبعة وحدها تخرجه عن تلك الصفات التي يحرص عليها .

لو كان الرافعي يوم بدأ القوم يلبسون الملابس الافرنجية لوقف تجاه الأزياء الحديثة وتجاه «الرباط» منها خاصة موقفه الآن تجاه القبعة ، ولكنه اليوم مطمئن راض بملابسه لأنه نشأ على ذلك ولأنه اعتاد أن يراها هكذا .

أجزم لو نشأ الرافعي ورأى القبعة تلبس في مصر، ثم حاول عزمي ومن على شاكلة عزمي إبدالها بالطربوش التركي «الشرقي» لوقف تجاهه موقفه الآن تجاه القبعة . . . ألا رحم الله المتنبّي إذ يقول :

راعتك رائحة البياض بمفرقي ، ولو أنها الأولى لراغ الأسمم  
فهل هذه إلا عادات قضت على الرافعي وعلى كثير من أمثال الرافعي من الكتاب أن يفكروا لأنفسهم ؟ . . . .

نظم مصطفى علي الشعر للتفكّه والدعابة . دعي الى دورة ضباط الاحتياط في آذار ١٩٣٩ ، فضاقت ذرعاً بالمدرّب العريف عاشور، وكان قاسياً عنيفاً ، فقال فيه من أبيات :

ودّعت عقلي وأرائي وتفكيري      وسرت طوع عريف الجيش عاشور  
عاشور، لست بذّي رأي فأتبعه      لكن بذاك قضى لؤم المقادير  
لولا السياسة ما أبصرت لي شبحاً      ولا رأيت بزّي الجنّد تصويري . . .  
وهجا بعض أصدقائه فقال :

. . . إنني قد أكلته بالتجاريب (م)  
ما حوى قطّ من صفات بني آ  
إن أهين استكسان ذلاً وإن (م)  
تنكر السدوق والحجى والسجاييا  
هـو لا يطمئن للمـرء إلا  
فلا تسمعوا الى من ذأقنه  
دم إلا صلافه وصفاقه  
أكرم في محفل أهان رفاقه  
حين تبلو سلوكه ومذاقه  
حين يبدي خداعه ونفاقه

ثم قال يذكر البصرة :

وسائله : هل سلا مشتاقه؟  
 فهي في المجد والعلی سبّاقه  
 فهوها استباح قلبي وشاقه  
 حسن والزهو والبها آفاقه  
 وبقلبي له أجلّ علاقته  
 لو سلا القلب هيّجت أشواقه  
 والدمجى فوقنا يمدّ رواقه  
 سوّد فيه وجملته الطّلاقة  
 شارد اللّب لا يرى سراقه  
 ونسينا من دهرنا إرهاقه  
 فاق إشراق كأسنا إشراقه  
 غير من رام في الحياة انطلاقه  
 شاقه مجلس السرور وراقه  
 أن يوالي اصطبّاحه واغبتاقه

صاح عرّج على حمى البصرة الفَيْحَا (م)  
 وتلطّف وحيّتها باحترام  
 أنا صبّ مدّته بهواها  
 بلد حفّه الجمال وساد الـ (م)  
 كلّ ما ضمنه حبيب لنفسي  
 قف بها واذكّر ليالي لهو  
 كم سهرنا نلهو بمجلس أنس  
 مجلس عمّه الصفاء وساد الـ (م)  
 نسرق الأنس من عيون زمان  
 قد أمّنا الغوائل السّود طرّاً  
 واجتلينا من مطلع الشمس نوراً  
 عصبه قد تحزّرت ليس فيها  
 كلّ ذي رقّة وطبع سليم  
 طاب نفساً فلا يرى العيش إلّا

وبعد أن يسهب في وصف مجلس الأنس وصفاء المودّة يعود الى مهجوّه فيذكر  
 اقتحامه لذلك المجلس وتعكيره لصفوه وهنائه .

## مصطفى علي

### استحضار الأرواح

مال مصطفى علي في الأعوام الأخيرة الى استحضار الأرواح : فقد قرأ مع رفاق له من  
 المحامين والأدباء الفضلاء كتباً في الموضوع ، فجزّبوها طريقة مخاطبة الأرواح بالقدح .  
 وذلك أنهم كتبوا الحروف الأبجدية والأرقام وطائفة من الكلمات الشائعة على رقعة ورق  
 كبيرة وضعوها على المائدة ، ثم جلسوا بخشوع وطلبوا حضور الأرواح . ووضع اثنان  
 منهم جلسا متقابلين يدهما على القدح الذي صارت الروح تحركه على وجه خارج عن  
 إرادتهما - كما يشعران - فيقف عند أحد الحروف أو الكلمات . ويتولّى بعض الحاضرين  
 تسجيل الكلمات التي تملئها الروح عن طريق القدح ، فإذا توقفت عن البثّ ، قرئت  
 الجملة وكانت واضحة مفهومة .

وظلّ الصحاب يعقدون مجالسهم في ليالي السبت ، وسجلوا أحاديث وأجوبة كثيرة

لأرواح متعددة معروفة ومجهولة .

ولا عجب أن آمن مصطفى علي وصحبه باستحضار الأرواح ، وقد آمن بذلك من قبل علماء أعلام وأدباء يشار إليهم بالبنان ، كالسر أوليفر لودج العالم الفيزيائي والسر آرثر كونان دويل الروائي الانكليزي الشهير . . . وأدعى الشاعر المتصوف وليام بليك أنه كتب قصائد بإملاء مباشر من أصدقائه في عالم الخلود (كما قال) .

وقد حضرت أرواح عاش أصحابها قبل مئات السنين وأملت سيرتها على الحاضرين . واستحضر الجماعة أيضاً أرواح فريق من أصدقائهم المتوفين كجميل صدقي الزهاوي والدكتور عبد الجبار عبد الله رئيس جامعة بغداد الخ .

\*\*\*

إشتركت في بعض تلك المجالس في شباط ١٩٧٣ ونظمت في ذلك مقطوعات شعرية قدمتها الى الاخوان ، منها :

مناجاة الأرواح :

هفت النفس الى الغيب المصون	واعترتها هزة الوجود المثير
عجباً قد بهر النور العيون	واجتلى الأشباح في مسرى الأثير
خثر الإحساس واعتل الشعور	وغدا الجسم كشفاف الثياب
ضم روحاً من هيولى ، والبخور	يغمر الجو بطيب وضباب
وسرت من أفق نساء رفيع	نغمت مثل أنسام الربيع
تحمل الحب وأنفاس الخلود	فتناجت في سكون وصفاء
أنفس قد ظهرت بعد الخفاء	حرّة تختال في سحر الوجود

لمصطفى علي ذكريات طريفة كثيرة عن معروف الرصافي ، ومن الأسف أنه لم يدون أكثرها . وقد حدثني أن أم كلثوم قدمت الى بغداد سنة ١٩٣٢ وأحيت حفلاتها على مسرح فندق الهلال . وقد غنت ، فيما غنته ، أغنية عراقية شهيرة :

« قلبك صخر جلمود » ، أدتها بتلطيف كلماتها وترقيقها خلاف اللهجة العراقية . فقال الرصافي وكان حاضراً : ماذا نريد؟ أخذت لحم ثورنا فجعلته لحم غزال وقدمته لنا هنيئاً مريئاً .

ولم ينظم الرصافي شيئاً في أم كلثوم ، لكنه نظم أبياتاً في المغنية الراقصة العراقية منيرة ،

فقال :

هل سمعتم منيرة منذ أفاضت	من بديع الغناء في كل قرن
مذ أقرت برقصها كل عين	واستقرت بصوتها كل أذن
رقصها يرقص القلوب على أن	غناها عن المزامير يغني . . .

لكنّ شعراء عراقيين كثيرين حيّوا أم كلثوم ، في مقدمتهم جميل الزهاوي الذي قال :  
الفرنّ روض أنيق غير مسؤوم وأنت بلبله ، يا أم كلثوم  
وقال الشيخ جواد الشبيبي :

قمرية الدوح ، يا ذات الترانيم مع النسر على ورد الردي هومي  
وهو تكليف المطربة ما فوق طاقتها!  
وقال الرصافي أيضاً في المغنية منيرة :

هلمّ الى ذا الغناء الذي منيرة منه أنت بالعجب  
أليست منيرة في عصرنا مليكة فنّ غناء العرب؟

\*\*\*

مصطفى علي الأديب يؤمن بتفاهم البشر وتقاربهم ومحو الخلافات الطبقية  
والسياسية والنعرات الدينية والمذهبية . وقد كتب في رسالة خاصة الى المؤلف يقول :

«فالبشر، بعد تاريخه الدامي وبعد ما شاد مدنيته هذه التي يفخر بها (!) وأقامها  
على أسس من الهمجية تكدست فيها جماجمه وتجمعت أشلاؤه، لا بدّ أن يثوب الى رشده  
ويرجع الى صوابه فيتدبّر ويتفكّر. . . ولا بدّ أن يعقل فيخلع عنه نير التقاليد ويتحرر  
من العادات فيتقارب ويتفاهم ويتحد. ولا بدّ أن يدين بدين الإنسانية ويقدّس الأخوة  
البشرية. وهو سائر نحو هدفه وإن كان سيراً وثيداً، وإذا ما سار فهو واصل لا  
محالة» .

حدثني مصطفى علي أنه كان في شبابه مولعاً بالمقامات والغناء العراقي . كان يجلس  
مع رفاقه في مقهى محلّته «قنبر علي» الى ساعة متأخرة من الليل ، فإذا عاد يوسف زعرور  
مغني المقام المشهور من الملهى الذي يغني فيه دعوته الى الجلوس معهم برهة من الزمن .  
فإذا ما احتسى القهوة وشرب الشاي ، لم يجرؤ الشبان أن يطلبوا إليه إسماعهم شيئاً من  
المقام لعلمهم بأنه عاد متعباً ، بل يأخذ أحدهم بالدندنة ويقول للفنان : أليس هذا  
المدخل الى مقام البهيزراوي أو الدشت؟ فرددّ عليه القارئ الكهل : كلا ، يا ولدي .  
ويأخذ بالقراءة ويتنقل شيئاً فشيئاً من مقام الى آخر . وهكذا كان مصطفى علي ورفاقه  
الشبان يستدرجون الفنان الى تشنيف أذانهم بطرائف من فنّه المحبوب .

وقال لي مصطفى علي : أعتقد أنني أستطيع مصادقة جميع الناس على اختلاف  
طبقاتهم وأديانهم ومذاهبهم لأنني أحاول تفهّم آرائهم وعدم المسّ بمعتقداتهم . لكنّ  
الوحيدين الذين لا أستطيع مجالستهم والتفاهم معهم هم اليزيدية لتعصبهم الشديد .  
فقد توفيت زوجة حاكم محكمة الشيخان فعقد لها مجلس الفاتحة وكلف كاتب  
المحكمة ، وكان مرقئاً حسن الصوت ، بتلاوة آيات من القرآن . ولما افتتح الكاتب ترتيله

بـ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، هاج الزبيديون وماجوا وتجمعوا حول الدار يريدون قتل المقرئ. ولم تستطع الشرطة إنقاذه وتهريبه الى الموصل إلا بشق النفس .

كان ذلك منذ خمسين سنة . أما اليوم فأقبل الجيل الجديد من الزبيديين على التعليم والثقافة واختلطوا بجيرانهم ونبذوا التعصب الدميم .

أصدر مصطفى علي ديوان الرصافي بشروح وتعليقات موسعة، وقد نشرته وزارة الإعلام في خمسة أجزاء (١٩٧٢ - ٧٧). ونهت مصطفى علي الى قصائد للرصافي لم تنشر في دواوينه (منها قصيدة في رثاء محمد سامي بك مدير معارف بغداد في العهد العثماني) وسألته أن ينشرها في الديوان الشامل الذي أشرف على إصداره، فقال: إن الرصافي قد أسقطها في حياته فلا أنشرها بعد مماته .

أصيب مصطفى علي برمد في عينيه سنة ١٩٧٣ فحرم البصر إلا بصيصاً ضئيلاً من النور يهتدي به في طريقه، فصار يستكتب أولاده وأصدقائه ويستقرئهم في شؤونه . ويقول إنه أصبح كأبي العلاء المعري «المستطيع بغيره» . وقد أدركته الوفاة في بغداد في ٤ آذار ١٩٨٠ .

على أثر سفري الى لندن سنة ١٩٧٤ ظلمت أنا ومصطفى علي تبادل الرسائل الى حين وفاته سنة ١٩٨٠ . وكان بصره ضعيفاً فكان يستعين بأولاده أو بعض أصحابه يملئ عليهم رسائله . وكان يردّد أنه «المستطيع بغيره» إقتداء بأبي العلاء شاعر المعرة .

كتبت إليه عن تناقض آراء الزهاوي والرصافي في شعرهما، فكتب إليّ في ٤ حزيران ١٩٧٨ يقول: «أما ذكرك تناقض الرصافي والزهاوي في شعرهما فليس ذلك ببدع في الشعراء، ونظرة خاطفة الى شعراء العرب تكفي لأن تؤكد لنا أنهم جميعهم من هذا الطراز. وإذا كان بينهم من شدّ عن هذه الطريقة فهو من النوادر.

«والذي أراه هو أن ننظر الى إجادة الشاعر أكثر من أن ننظر الى ثباته على مبدأ واحد . فالشاعر دقيق الحسّ يتأثر بالأحداث المختلفة فينطق أو يضطر الى النطق بما يجول في خاطره . وقد أشار القرآن الى ذلك بقوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ . وإن كنت من الغاوين الذين اتبعت الرصافي وغيره من الشعراء» .

## جعفر الخليلي

بقيت النجف قرناً مديدة معقلاً من معاقل الدين واللغة، عزلتها الطبيعة في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا نبات، وحرمتها الرياض الزاهرة والحقول الناضرة، وأكسبت أهلها صرامة وجداً وصلابة وجفاءً وزهداً في مباحج الدنيا وملاهيها . دارت الحياة حول الروضة الحيدرية المطهرة، وانتشرت المدارس يؤمها طلبة العلم من أقاصي

البقاع ودانيتها ليجلسوا على البسط والحصران بين أيدي المؤدبين والمدرسين وليقضوا أعماراً طويلة في المطالعة والحفظ ومراجعة الكتب الصفر العتيقة التي طالعتها وحفظها وراجعها أبناء الأجيال المتعاقبة . وقامت المقابر تمتد من ظاهر البلدة وتلاصق مساكن الأحياء وتزاحمها وتدافعها . قال الصافي النجفي :

صدق السدي سَمَاك في «وادي طوى» يا دار، بل وادي طوى وعراء  
جلست على الأنهار بلدان الـورى، فعلام أنت جلست في الصحراء؟  
وقال

فصادرات بلدتي مشافخ وواردات بلدتي جنائز  
وهبت على المدينة الهرمة في مطلع القرن العشرين نسائم التبديل والتحويل ، فنادى فريق من العلماء بالتجديد والإصلاح ، ودعوا إلى إنشاء الحكم الدستوري في إيران وتقييد السلطة المطلقة . وتبعتهم زمر الشباب المتحمّس الذي أخذ يطالع مجلات مصر ولبنان والشام وينظم الشعر في المطالب السياسية والاجتماعية . وأنشئت إلى جانب المساجد ودور العلم القديمة ، مدارس عصرية تعنى بتدريس سائط العلوم الحديثة . واصطرت الأفكار بين القديم والحديد اصطراعاً شديداً لا هوادة فيه ولا لين ، ومهدت السبل للانتقاص على السلطة التركية أولاً وعلى الإحتلال البريطاني بعد ذلك ، وهيئت النفوس للتمرد على الجمود ونبذ البدع التي التفّت حول الدين وكّست مظاهره .

في تلك النجف المتحفّزة المصطرعة المتطلعة ولد جعفر الخليلي سنة ١٩٠٤ . وكان أبوه الشيخ أسد من رجال الفضل والأدب يتعاطى الطب القديم شأن الكثير من أفراد أسرته ، تلك الأسرة التي أنتجت أيضاً على مر العصور رجال دين بلغوا قمّة الزعامة الروحية . ونشأ جعفر بين أسرة متفتحة في بيئة مترمّمة ، وانتمى إلى المدرسة العلوية التي أنشئت قبل عهد قصير لتعليم الصبيان على أسس حديثة . وأقبل على مطالعة الكتب الأدبية والمجلات بنهم شديد ، وقرض الشعر وهو يافع .

وحدثت في النجف في أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الانكليزي حركات وطنية طاغية اشترك فيها أخوه الأكبر عبّاس ووالده ، لكن جعفر لم يبلغ السنّ التي تؤهّله للعمل فاكتفى بالتطلع إليها والمساهمة فيها بفكره وروحته . ومال إلى الكتابة فوضع ، ولم يكده يشرف على عامه الثامن عشر ، قصة إنسانية بعنوان «التساء» .

وامتهن التعليم عشرة أعوام في الحلة والنجف وسوق الشيوخ والرميثة ، وكان مدرساً للتاريخ والجغرافية في المدرسة الثانوية بالنجف ثلاث سنوات . وأصدر في تلك الأثناء جريدة «الفجر الصادق» الأسبوعية (٧ آذار ١٩٣٠) ، وكانت حرة النزعة ، تدعو إلى النهضة والإصلاح ، فاضطرّ على غلقها في تشرين الأول ١٩٣٠ بعد أن أنذرت السلطات المسؤولة بعدم الجمع بين التدريس والصحافة .



واستقال من التدريس سنة ١٩٣٣، ثم أصدر جريدة «الراعي» (١٣ تموز ١٩٣٤)، وقد عطلت لأسباب سياسية في ١٩ نيسان ١٩٣٥. وأصدر جريدته الثالثة «الهاتف» في ٣ أيار ١٩٣٥، فكانت مدرسة سيّارة عاجلت فنون الأدب وعينت بالقصة وأظهرت مواهب جيل كامل من الشعراء والقصاصين.

وانتقل الخليلي بهاتفه الى بغداد سنة ١٩٤٨، ثم جعل جريدته سياسية يومية (٢٧ كانون الأول ١٩٤٩)، مع مواصلة العناية بالقصة والأدب وإصدار أعداد ممتازة سنوية جامعة. وعاد الهاتف أديباً أسبوعياً في تشرين الأول ١٩٥٢ حتى احتجب سنة ١٩٥٤.

أنشأ الخليلي بعد ذلك دار التعارف للإعلان وأخرج «موسوعة العتبات المقدسة» وهو مشروع ضخم نهض بأعبائه وتولى بنفسه شؤون الإدارة والتحرير والطبع والنشر والتوزيع، وجنّد لمساعدته أقلام صفوة من الأدباء والباحثين والكتاب.

أما جعفر الخليلي الرجل فهو - كما وصفه روكس بن زائد العزيزي - «ربعة في الرجال، تكمن وراء لطفه المهذب رجولة حازمة تنمّ عليها نظرات فاحصة نافذة. أناقة متناسقة تدل على ذوق رفيع، ونكتة حاضرة بارعة يواكبها وفاء للصديق وإنصاف للخصم وهدوء نفسي ينمّ على حياة عائلية سعيدة».

#### مؤلفاته وأدبه

جعفر الخليلي أديب وصحفيّ وشاعر، وهو من رواد القصة العراقية، له أسلوب لطيف، سلس العبارة، قريب المتناول، يطعم كتاباته بالحكايات واللطائف والأمثال الشعبية. كتب في السياسة والاجتماع والتاريخ والقصص والأدب عامة، وبرع في وصف الحياة الاجتماعية ومعالجة المشاكل العامة وتصوير المجتمع والأفراد والدعوة الى الإصلاح وحرية الفكر والتسامح وتوسيع آفاق المعرفة والثقافة.

وضع مؤلفات كثيرة، منها: يوميات (في جزءين) ١٩٣٥، التعساء (١٩٢٣) الضائع (١٩٣٨)، عندما كنت قاضياً (١٩٤١) في قرى الجنّ (١٩٣٩)، من فوق الرابية (١٩٤٩) تسواهن (١٩٥٣) على هامش الثورة العراقية الكبرى (١٩٥٢) مجمع المتناقضات (١٩٥٣) إعرافات (١٩٣٧) حديث القوة (١٩٤٢) أولاد الخليلي (١٩٥٥) مقدمة في القصة العراقية (١٩٥٧) هؤلاء الناس (١٩٥٦) جغرافية البلاد العربية (١٩٣٤) حبوب الاستقلال (١٩٣٦) خيال الظلّ (١٩٣٦) حديث السّعل (١٩٣٤) السجين المطلق (١٩٣٦) آل فتلة كما عرفتهم (١٩٣٦) نفحات من خمائل الأدب الفارسي (١٩٦٥) ما الذي أخذ الشعر الفارسي من العربية (١٩٦٧) كنت معهم في السجن (١٩٥٦) التمور قديماً وحديثاً (١٩٥٦) القصة العراقية قديماً وحديثاً (١٩٦٢) هكذا عرفتهم أربعة أجزاء ١٩٦٣ - ١٩٧٢) موسوعة العتبات المقدسة

(صدر منها ١٣ جزءاً ١٩٦٥ - ٧١) الخ .

وله عدا ذلك مصنفات مخطوطة منها :

نصيب بغداد من قصة كليلة ودمنة ، صفحات من الجليل الماضي ، الخ .

\*\*\*

أصدر جعفر الخليلي الجزء الخامس من «هكذا عرفتهم» (١٩٨٠) ثم الجزء السادس (١٩٨٢).

تغلب على قصص الخليلي الصبغة المحلية ، لكنها مع ذلك إنسانية الشمول ، فالبشر هم هم مهما اختلفت عصورهم وأقطارهم . وإنّ النهاج البشرية التي رسمها الخليلي لتجتمع في مناح كثيرة بشخص بوكاتشيو الايطالي وموباسان الفرنسي وأو. هنري الاميركي على تباين الزمان والمكان : فمزعل الفحام الذي يطلب البركة ليوسّع عليه الرزق ولترفه أسرته الكبيرة ، وأم حسن المطلقة التي أبعد عنها ابنها وحرمت نعمة مشاهدته ، وموسى الذي يعرف من أين تؤكل الكتف والذي يسخر الجنّ توسلاً الى الانتقال من دار أهلة الى دار مستقلة فرشت له بأحسن الرياش ، وأبو علي الرجل المرح الفكه الذي يبتدع طريقة شاذة فريدة لتهدئة نفسه السريعة الى الغيظ والخصام ، وعبد اللطيف الخلاق المصارع الذي يهرب من وجه العدالة ويتخفى خمس عشرة سنة ليجد بعد ذلك أنه لم يكن مجرمًا ولم تكن هناك جريمة ، والشيخ أحمد المزدوج الشخصية ، الشرس في داره ، الهادىء الحّي في السوق والشارع ، والحاج حسين البقال الذي اشتهر بأمانته وتساهله وكرمه ثم ظهر ، بعد موته ، أنه كان يغش بضاعته ويسرق زبائنه بمهارة جازت على الناس ، والشيخ دبعون القروي الذي يتظاهر بالعظمة الفارغة ويتشامخ على الجهلاء والسذج ليحصل على المال فيقع في الشرك الذي نصبه لسواه ، كل أولئك وغيرهم من أبطال قصص الخليلي لهم أقرانهم ونظراؤهم في الأزمنة الخالية والأمصار النائية .

إن القاصّ الاميركي وليام سدنّي بورتر (١٨٦٧ - ١٩١٠) الذي عرف باسمه المستعار «او. هنري» قد خلّد في قصصه صوراً وشخصاً من الحياة الاميركية في عهد استعمار الولايات الغربية والجنوبية والتوغل في مجاهل الصحارى والسهول والجبال المترامية الأطراف ، فروى أحاديث المجازفات وبراعة النصب والاحتيال في البورصة المالية وعلى قارعة الطريق ، وسداجة أهل القسرى ، وبؤس الطبقات الفقيرة في المدن الغنيّة الصاخبة ، في تلك الحقبة التي مرت واندرت ولم يبق لها في الغداة من أثر . ويمكن القول إن الخليلي قد عمل لعراق النصف الأول من المائة العشرين ما عمله أو. هنري ، في قصصه السّاحرة ، لأمریکا منتصف القرن التاسع عشر ، فرسم ، ببراعة فائقة ودقة واقعية وإخلاص فني جميل ، الصور والشخصيات التي عرفها وسمع بها وتخيّلها في

عهد الانتقال والتطور الذي مضى الى غير رجعة . إن معالم الحياة في النجف وحواضر الفرات وأرياف الجنوب - وهي في مقدمة مسارح قصص الخليلي - قد تغيرت وتبدلت بدلاً أساسياً خلال جيل واحد من جراء انتشار الثقافة ووسائل المعيشة العصرية ، وسوف تجد الأجيال القادمة صور تلك الحياة وغرائبها في «أولادالخليلي» و «الضائع» و «هؤلاء الناس» و «في قري الجن» و «عندما كنت قاضياً» و «من فوق الراية» و «مجمع المتناقضات» ، وتطلع على نماذج إنسانية خاصة في بيتها ، عامة في المجتمع البشري طوال العصور، ذلك الى جانب المتعة الروحية التي تنبثق من الأدب الواقعي المخلص غير المصطنع ولا المفتعل .

وجعفر الخليلي بعد ذلك أديب ذواق وشاعر مطبوع . وقد رأيناه في «نفحات من خمائل الأدب الفارسي» يسدي يداً جميلة للأدب العربية والفارسية على السواء ، فكان - كما قلت عنه في مناسبة ظهور كتابه - أديب اللغتين وجامع الحسينين والذواق الذي يحسن الاختيار ويحسن النقل والنظم والأداء .

إن نفحات الخليلي باقة عطرة من الزهور، زاهية الألوان، مختلفة الأشكال، عبقة الأشداء . وهي نافذة تطل على خمائل الأدب الفارسي وتهبى للقارئ العربي أن يلم بشيء من روائع سعدي والفردوسي وحافظ وعرفي الشيرازي وعبيد زاکاني وأقرانهم . وتجمع «النفحات» فنوناً شتى من الشعر، ففيها الغزل :

قلتُ إن جئتني بثنتك مـا بي  
من أليم الجوى وفرط الشقاء  
أي شيء أبثه ، وأنا إن  
جئتني زال في مجيئك دائي؟  
وفيها الهيام :

سألوني عن دار هاجرتي  
قلت : قلبي المولاه الدنفُ  
وفيها الحكمة :

هدي الحياة مراتع ، وقطيعها  
تغثال منها كل أن واحداً ،  
هذا الأنام ، وذئبها الأجال  
فتري ولا يرتاع منها البال  
وفيها الرحمة :

لا تؤذها نملّة تسعى بحبّتها  
فإنها ذات روح ملء إحساس  
وفيها الشك :

كم سعينا لكي ننال من الدنيا  
كيف نحظى بعد المات بأخرى  
منها فما بلغنا منهاها  
ما سعينا لها وما رمنهاها؟  
وفيها الأمل :

قد تركنا الرياء والمكر طراً وانتزعنا غلّ القلوب لتصفو  
فاسقنيها سلافة، فكما أننا عفوننا فإن ربك يعفونا

وفيها غير ذلك كثير من الصور والمشاعر والأفكار.

ولئن كانت المقطوعات أغلبها قصيراً فهنالك قطع طويلة جميلة كـ «العشاء اللذيذ»  
لأبي القاسم حالت، وهي قصة آكل لحوم البشر الذي قصد باريس من أواسط الأدغال  
الكثيفة ليختال تيهياً ويصاحب الغيد الحسان، فلما سئل عن حسناء رثيت معه  
بالأمس، قال:

لم تكن من رأيتموني وإياها، كما قد ظننتم في المساء  
إنما الكعاب الجميلة كانت إن أردتم أن تعرفوها - عشائي!

وكـ «عشق الفلاسفة» لحافظ الشيرازي:

شيمة العاشقين في الحب لطف وغلّو في المدح والإطراء  
وتفانٍ تسموبه الروح في الخلد سمو الأبطال والشهداء  
لا كلام تسوده غلظة القول ووعظ يليق بالأنبياء

والحسنة المتسائلة التي ناشدت الشاعر أن ينبئها عن الغادة التي تنفث السحر  
وتصمي الأفتدة وتبث الشجى في النفوس:

فوضعت المرأة بين يديها قائلاً: من تَرينَ في المرأة!

لكن أطول القطع وأبدعها، ولا ريب، هي أرجوزة القط والفيران لعبيد زاكاني  
(المتوفى سنة ١٣٧١م). وهي قصة رمزية تعبر عن الإنسان بالحيوان، ولا أملك أن  
أروبها هنا، وحسبي أن أحيل القارئ عليها ليأنس بقراءتها ويفكر في حكمتها ويخرج  
منها، كما يخرج من نفحات الخليلي جميعها، بمتعة روحية ولذة فكرية وسكرة شعرية.

\*\*\*

عرفت الخليلي وصحبته أعواماً طويلة، وقضيت معه في دار الهاتف والتعارف وغير  
دار الهاتف والتعارف أوقاتاً ممتعة وساعات هنيئة مغمورة بالموّدة والوفاء، معمورة بالأدب  
والشعر، عطرة بأنفاس اللذة الروحية والمتعة الذهنية. وكان، إذا سافر أو سافرت،  
اتصلت بيننا الرسائل، تتبادل الأفكار وتنتسم الأخبار ونبث اللوعة والشكوى، نتأسى  
بالأدب، ونفرح فرحة الأديب بالأديب، وولتقي لقاء القريب للقريب. وحسبي أن أورد  
آياتاً أرسلت بها إليه في بيروت في صيف سنة ١٩٦٦ رداً على خطاب منه:

لك مني، أي صديق حياتي، ألف شوق يضوع ملء الجنان  
وسلام مثل النسيم رقيق وخطاب محمّل بالمعاني

أنا في بهجة وبسطة عيش  
حامداً للخليل فضل مزايا  
بيداتي — وليس ذلك يدعأ —  
أسهر الليل في اقتناص الدراري  
وأراني أردد اليوم شعراً  
«علاني، فإن بيض الأماني

ولجعفر الخليلي شعر رقيق منه رثاؤه لقريته التي توفيت قبل عدة سنوات من لحاقه

بها . قال :

أنسناك ، لا والله لا أنسناك  
البيت بعدك مُعول لا صوت في  
والباب بعدك مقفل لا زائر  
أنسى ، وملء جوانحي ذكراك؟  
أرجائه إلا عويل الباكي  
يأتي ولا ضيف يوم حماك . . .

### الشعر في النجف :

حدثني جعفر الخليلي ، قال : كنت جالساً في صباح أحد الأيام في إدارة جريدة الهاتفف بالنجف ، فجاءني رجل يلبس الكوفية والعقال والزيّ البلدي ، وقدم نفسه أديباً من بغداد . فرحبت به أجمل ترحيب ، وقال بعد هنيهة : إنني ماضٍ الى الرياض وأرغب في مدح الملك عبد العزيز ووليّ عهده الأمير سعود طمعاً في صلتها بعد أن كسد سوق الأدب في العراق . فهل لك أن تنظم لي قصيدتين في المعنى المطلوب ، فقد خمدت القرية واشتدت الحاجة وأضنكت الأواء .

قال الخليلي : فقلت : إن مجلس الأدب يلتئم في «الهاتف» عصرًا ، فلعلك إذا جئت حصلت على مأملك .

وجاء الرجل عصرًا فوجد المجلس حافلاً بالشعراء والأدباء . ولما علموا بأمره هسّوا له وبشّوا ، وأخذ كل منهم ينظم الشطر والبيت والبيتين حتى استقامت قصيدتان جيدتان في مدح الملك والأمير . فكتبهما الرجل بخطه وقرأهما مرة أو مرتين ، وسلّم وخرج شاكرًا . ومضت أسابيع قليلة فإذا بالرجل يعود ، وقد حسنت حاله وظهرت عليه مظاهر النعمة . وأخرج من جيبه بضعة دنانير وقال : جزاكم الله وجزى الاخوان عني خيراً ، فقد أنشدت القصيدتين وفزت بجوائز آل سعود . وها أنا ذا قد عدت غانماً ، فأرجو أن تعطي هذه الدنانير الى الشعراء الذين تفضلوا عليّ بالنظم .

لكنّ الخليلي أعاد اليه النقود وقال : لا داعي للشكر ولا للمكافأة ، فاحتفظ بدنانيرك . إن الشعر يجري على ألسنة أهل النجف ، وهي التي قامت في الصحراء

وحرمت الماء، كما تجري دجلة في بغداد وكما يجري الفرات في الحلة. ومتى بيع الماء بالتقد؟

حدثني جعفر الخليلي أنه حين أصدر جرائده الفجر الصادق والراعي والهاتف في النجف في مطلع سنوات الثلاثين كان يدعو إلى حرية الفكر ومكافحة البدع والخرافات، فكان العوام والمشايخ الجهلة ومن لفت لفهم يناوئونه ويكفرونه.

كانت إدارة جريدته خارج مركز البلدة يقابلها مقهى الحفاري القبور وقراء الفواتح وأمثالهم وتجاورها أرض عفاء. وفي ذات مساء كان في مكتبه وليس معه سوى عامل واحد شيخ، فإذا به يرى جماعة من العوام والأوباش يحيطون بدار الجريدة وينادون بالويل والثبور ويهددون «الكافر» بالقصاص العاجل لكي يرتدع عن غيه. وكان الجمهور يتزايد والأمر يتفاقم، والخليلي محصور في إدارته لا تلفون لديه ولا سبيل له لطلب المعونة ولا طريق للخلاص. فأحكم غلق باب الدار وسلم أمره لله منتظراً ما يكون.

وفجأة قدم قادم من المقهى وقال إن جنازة «سمينة» جيء بها من الحلة، فصاح القوم وأكثرهم من مرتزقة «وادي السلام» مقبرة النجف: لنذهب الآن ولا يفلت «المارق» من يدنا في فرصة قريبة! ولم تمر دقائق معدودة حتى خلا الطريق، فخرج الخليلي وصاحبه وهما لا يكادان يصدقان بالنجاة - وأسرعاً بالمضي إلى البلدة.

### كلمة أخيرة

أصيب الخليلي بداء النقرس واشتد عليه الألم. فقيل له: لا تحزن، فالنقرس داء الملوك. قال: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه. أيكون كل حظي من الملوك داءهم؟

حين اشتد الجفاء بين الحكومتين العراقية والإيرانية ونفي آلاف العراقيين من أصل إيراني إلى إيران بعد خروج محمد رضا شاه وتولي آية الله روح الله الخميني مقاليد الأمور، خشي جعفر الخليلي أن يبعد إلى إيران، فالتجأ مع أسرته في ربيع سنة ١٩٨٠ إلى عمان وأقام فيها. وزار خلال هذه المدة لبنان والمانيّة الغربية وفرنسة.

وذهب إلى دبيّ بالإمارات العربية المتحدة لزيارة ابنته ابتسام فتوفي ودفن فيها في ٢ شباط ١٩٨٥.

وكتب أكرم زعيتر على أثر وفاة جعفر الخليلي يقول إن لقاء الخليلي متعة للذهن وترويح للنفس وحديثه ينم على حضور البديهة وبراعة النكتة وسعة الاطلاع ولطافة الاستطراد وطرافة الاستشهاد بالشعر.

وقال إن الحديث دار معه حول ضعف الذاكرة ونسيان الأسماء فأنشد الخليلي:

أفرط نسياني الى غايية      لم يدع النسيان لي حسا  
فصرت إما عرضت حاجة      مهمة أودعتها الطرسا  
فصرت أنسى الطرس في راحتي      وصرت أنسى انسي أنسى  
وقيل له : إن جميع صحفيي العراق يلقبونك «أبو الصحافة العراقية»، فأجاب : «أنا  
أبوها حين يريدون لعنها بقولهم : لعن الله أبا الصحافة!» .

وقال زعير إنه علم أن الخليبي ألف في عمان كتاب «مما احتفظت به الذاكرة من  
الخواطر» وكتاب «الشعر العربي والغناء» وقصة تمثيلية عنوانها «رهبان بلا دير» .

### جعفر الخليبي : وفاته

حين علمت بوفاة الصديق جعفر الخليبي بادرت إلى الكتابة إلى ابنته فريدة معرباً عن  
ألمي وحزني لهذا النبأ الفاجع . وقلت انه حيّ بأثاره الأدبية وحيّ بيناته ، واستشهدت  
بأبيات من قصيدة أحمد شوقي في رثاء شيخ وزراء مصر مصطفى فهمي باشا :  
إن البنات ذخائر من رحمة      وكنوز حبّ صادق ووفاء  
الساهرات لعلّة أو كبرة      والصابرات لشدة وبلاء  
والباقياتك حين ينقطع البكا      والزائراتك في العراء النائي . . .

وقد جاءني جوابها يقول : «بكيت اليوم بكاء مرأ . ولا يعني أنني نسيت البكاء ، فهو  
يرافقني منذ رحيل أبي ، لأنني فقدت صديقاً وإنساناً وأباً ومؤمناً في الوحدة والغربة ،  
وبكائي اليوم جاء حسرة على أبي الذي مات وهو يلهج بك ، مات وهو لا ينسك قط .  
مات في قلبه حسرة على من عرفهم وأحبهم . رسالتك أثار شجوني ، أثار ذكريات  
تلك الأيام الحلوة في دارتكم العامرة ومأكولات السيدة اللذيذة والبنات الجميلات  
الحبيبات . كان عسيراً علينا أن ننساكم حتى في أوج محنتنا وغربتنا» .

ثم قالت ان أباهما كان يعاني الأم النقرس والضغط العالي والقلب واشتدت عليه  
الوحدة القاسية ، وليس معه غير ابنته فريدة التي رافقته في كل مكان . وقد مضى في  
السنوات الأخيرة إلى المانية وفرنسا وسويسرا . وقالت انه كان يزور أختها في دبي شتاء .  
و شاء القدر أن تذهب فريدة معه لأول مرة ، فأصيب هناك بجلطة قوية ونقل إلى  
المستشفى حيث عاش أسبوعاً وهو يتمتع بالصحة والراحة والعناية الفائقة . ونظم  
الشعر الجميل في مدح الطبيبات والعاملين على راحته . . . لكنه توفي في ٢ شباط  
١٩٨٥ ، وأقيمت الفواتح على روحه في سورية ولبنان ودبي والشارقة . وجرى تأيين  
الأربعين في سورية والشارقة وفي مصر برعاية نادي الأدب الحديث . . .

وقد رثاه الدكتور صفاء خلوصي المقيم في اكسفورد ، قال :

أو هكذا تمضي السنون والدمع مدار هتون؟  
يا (جعفر) العلم الغزير وكل أنماط الفنون  
كنت المجلي في القسريض وفارس الثشربين . .

## الدكتور متى عقراوي

من رجال التربية، ينتمي متى يوسف عقراوي إلى أسرة تجارية معروفة، وقد ولد بالموصل في ٩ كانون الأول ١٩٠١ ودرس في جامعة بيروت الأميركية .  
وعين مدرساً في دار المعلمين ببغداد في ايلول ١٩٢٤ وألف «مذكرات التاريخ القديم» (١٩٢٧).

ثم درس علم التربية في جامعة كولمبية في نيويورك ونال فيها درجة الدكتوراه . وعين مديراً لدار المعلمين (ايلول ١٩٢٩)، ثم تقلب في مناصب وزارة المعارف وأصبح مديراً لمعارف كركوك والحلة . ونقل بعد ذلك استاذاً في دار المعلمين العالية، وأنيطت به عمادتها وكالة (آب ١٩٣٧) فأصالة (آب ١٩٤٠).

وعين مديراً عاماً للتعليم العالي بوزارة المعارف (تشرين الأول ١٩٤٥)، واختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي عند تأليفه في كانون الثاني ١٩٤٨ .

وأعيرت خدماته إلى منظمة التربية والثقافة والعلوم التابعة لهيئة الأمم المتحدة في باريس (اليونسكو) في شباط ١٩٤٩ . وعاد إلى العراق فكان أول رئيس لجامعة بغداد (١٩٥٧) . واعتزل رئاسة الجامعة بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وعاد إلى العمل في مؤسسة اليونسكو التي كلفته بمهام تربوية في أنحاء مختلفة من العالم .

ثم عين أستاذاً في جامعة بيروت الأميركية حتى اعتزل العمل سنة ١٩٧٤ وأقام في بيروت . وقد توفي بها في سنة ١٩٨٢ .

وضع الدكتور عقراوي مؤلفات عديدة، منها:

مشروع التعليم الاجباري في العراق (١٩٣٧) العراق الحديث (ألفه باللغة الانكليزية ثم نقله إلى العربية بمساعدة الدكتور مجيد خدوري (١٩٣٦) اصلاح الخط العربي (١٩٤٥) محاضرات في تطوير البرامج (١٩٦٤) . وقد اشترك في تأليف كتاب «التربية في الشرق الاوسط العربي» (١٩٥٠) ووضع «تقرير عن التعليم في الكويت» (١٩٥٥) . واشترك في ترجمة كتاب الديمقراطية والتربية للاستاذ جون ديوي (١٩٤٦) .

وقد كان متى عقراوي من المربّين ذوي الشأن في تاريخ معارف العراق بين سنة ١٩٣٠ - ٥٨ . عني في بادئ الأمر بشؤون التعليم الاجباري والتربية الأساسية، ثم اهتم بنشر التعليم العالي وتطويره ورسم مناهجه . وفي محاضرة له ألقاها في نادي القلم



العراقي ونشرت في مجموعته الاولى (١٩٣٨) عن التعليم الاجباري في العراق، قال: «خير ضمان لحياة هذه البلاد يقظة الأمة برمتها، وهذا لا يتم إلا بالتعليم الابتدائي الاجباري». ثم مضى إلى وضع منهاج لتعميم التعليم الابتدائي وإنشاء المدارس الكافية وتهيئة المعلمين واحضار المال وسائر اللوازم لتنفيذ المشروع ومعالجة المشاكل التي تعترض ذلك التنفيذ كتوزيع السكان وتنظيم الاحصاء وتعليم البنات وتنويع المناهج الحضرية والريفية وهلم جرا.

وهيء له أخيراً أن يخدم التربية والثقافة في البلاد العربية عامة عن طريق مؤسسة اليونسكو الدولية، سابقاً في هذا المجال طائفة من المترين العراقيين كخالد الهاشمي وعبد الحميد كاظم وأقرانها. وقال الدكتور عقراوي: «من واجبات الجامعة في العالم العربي أن تنمي اللغة العربية وتجسد المفردات اللازمة ليصبح بالإمكان استعمالها كعامل فعال للتعليم وللتعبير عن الفكر العربي، سواء أكان هذا الفكر علمياً أو تكنولوجياً أو انسانياً أو اجتماعياً».

## حسين الرّحال

من أدباء العراق المتحررين، ولد حسين الرّحال ببغداد في ٢١ آب سنة ١٩٠٠، وأصل أسرته من بلدة راوة تعرف بال يحيى، اشتهرت بالتجارة بين نجد والعراق والهند والحجاز وسورية ومصر، وقد انتقل جده عبد الرحمن الرّحال إلى بغداد فاتخذها سكناً له.

سافر حسين إلى أوروبا بعد نهاية الحرب العظمى ودرس في ألمانيا. ثم قفل راجعاً إلى بغداد سنة ١٩٢٠ وانتمى إلى مدرسة الحقوق ونال اجازتها (١٩٢٩). وأصدر مجلة الصحيفة (كانون الأول ١٩٢٤) فكانت من الصحف المتحررة، ولم تدم إلا شهرين. ثم كان مديراً مسؤولاً لجريدة «سينما الحياة» التي أصدرها ميخائيل تيسي في كانون الاول ١٩٢٦.

ووظف مترجماً في ديوان وزارة الخارجية (١٩٣١) فوزارة الدفاع والداخلية وأصبح بعد ذلك عميراً للمطبوعات الخارجية بمديرية الدعاية العامة (نيسان ١٩٣٧) فمدير الإدارة في أمانة العاصمة (شباط ١٩٤٥). ودعي إلى الالتحاق بدورة ضباط الاحتياط في ايلول ١٩٣٩.

وتولّى مديرية الاذاعة في آذار ١٩٤٨. وعيّن مديراً للإدارة المحلية بوزارة الداخلية (ايار ١٩٥٠).

ثم نقلت خدماته إلى إدارة السكك الحديدية فأصبح سكرتيراً لمجلس إدارتها (تموز ١٩٥٤).

واعترزل الخدمة ، وتوفي ببغداد في ١٣ نيسان ١٩٧١ .

كان كاتباً أديباً واسع الثقافة بحث عن الاشتراكية والتطور الإقتصادي ودعا إلى تحرير المرأة في أوائل العشرينات ، ونقل جانباً من أشعار ناظم حكمت عن التركية . وقد أجاد اللغة الانكليزية واطلع على آدابها .

وشارك في تأليف كتاب «الإدارة المركزية والإدارية المحلية في العراق» (١٩٥٣) .

### عباس فضلي خماس

من الكتّاب المعروفين عباس فضلي خماس أخو اللواء حسين مكّي خماس ، ولد ببغداد سنة ١٨٩٩ . وانتمى إلى دار المعلمين بعد الاحتلال البريطاني فتخرج فيها وعيّن معلماً (شباط ١٩١٨) وكان في سنة ١٩٢٠ - ٢١ يكتب في جريدة الاستقلال بتوقيع «الكسائي الصغير» . ودخل بعد ذلك دار المعلمين وأوفد لاكمال دراسته في انكلترا ، لكنه عاد قبل الحصول على الشهادة .

وعاد إلى سلك التعليم ، ثم استقال وأصدر مجلة «الطلبة» الاسبوعية (كانون الثاني ١٩٣٢) ، فلم تدم طويلاً . وعيّن في دائرة الحسابات بوزارة الدفاع (١٩٣٣) وأصبح رئيساً لسديوان وزارة الدفاع (ايار ١٩٣٧) فمفتشاً للطابو (تموز ١٩٣٩) ، ونقل رئيساً لتسوية حقوق الأراضي (تشرين الثاني ١٩٤٧) . وعيّن مديراً عاماً للتسوية في كانون الثاني ١٩٥٠ ، وأدرجه الحمام سنة ١٩٥٢ .

كان عباس فضلي مولعاً بالأدبين العربي والتركي ، وقد ترجم عن الانكليزية كتاب منازع الفكر الحديث (طبع ١٩٥٦) من تأليف كيرل ادوين ماتجنسن جود .

### محيبي الدين يوسف

من رجال التربية والتعليم ، ولد محيي الدين يوسف في الموصل سنة ١٩٠٣ وأتم تحصيله في مدارسها . ثم أوفد ضمن البعثة الدراسية إلى جامعة بيروت الأميركية (١٩٢٢) فنال شهادة بكالوريوس علوم سنة ١٩٢٦ . وعيّن مدرساً للرياضيات في المدرسة الثانوية بالموصل ، ثم نقل إلى بغداد . وعيّن مديراً للمدرسة المتوسطة الشرقية ببغداد فمديراً لثانوية الموصل فمديراً لمعارف منطقة كركوك (نيسان ١٩٣٣) . ونقل مراقباً للتعليم الابتدائي بوزارة المعارف فمديراً للتعليم الثانوي (نيسان ١٩٣٧) .

وعيّن استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٤١) فمديراً للتعليم الثانوي مرة ثانية (شباط ١٩٤٣) فمفتشاً عاماً للمعارف (أب ١٩٤٦) فمديراً عاماً للتعليم

العالي . وأعيد إلى التدريس في دار المعلمين العالية (كانون الأول ١٩٥٣) وظل يدرّس فيها حين أصبحت تعرف بكلية التربية .

واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي (آذار ١٩٤٩) . وأدرّسته الوفاة في بيروت في ايلول ١٩٥٩ .

نشر محيي الدين يوسف بحثاً في العلوم والرياضيات . وقد اشترك في ترجمة كتاب «نظرية الأعداد» ، ونقل إلى العربية «مقدمة الرياضيات» من تأليف وإيتيهيد (١٩٥٢) .

## مكي الجميل

الكاتب الصحفي ورجل الإدارة والقضاء مكّي بن عبد المجيد الجميل ، أخو حسين جميل وابن عمّ الشاعر حافظ جميل . وقد كان أبوه عبد المجيد بن أحمد جميل (١٨٨٠ - ١٩٧١) من رجال الفقه ، تخرّج في مدرسة الحقوق ببغداد (١٩١٢) وكان حاكماً في المحاكم المدنية (١٩١٩ - ١٩٤٦) .

ولد مكّي الجميل ببغداد سنة ١٩٠١ ، ودرس في مدارسها ، ووظّف في ايلول ١٩٢٠ .

وأصدر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢٣ جريدة «الغربال» الاسبوعية ، فدامت نحواً من ستة أشهر . وانتمى إلى مدرسة الحقوق فنال إجازتها سنة ١٩٢٧ . وعيّن مديراً لتحرير لواء الموصل (ايلول ١٩٣١) فمدير ناحية المحاول (١٩٣٣) . ونقل مديراً لناحية شثانة ثم استقال في حزيران ١٩٣٥ وزاول المحاماة . وانتخب نائباً عن لواء ديالى في شباط ١٩٣٧ ، وأصدر جريدة الحارس (تشرين الثاني ١٩٣٦) فجريدة «الانقلاب» .

وانخرط في سلك القضاء فعين حاكماً لتحقيق البصرة (تموز ١٩٤٣) فحاكم صلح الحلة (آب ١٩٤٤) . وكان بعد ذلك قائممقام قضاء القرنة فمعاوناً لمتصرف البصرة (ايار ١٩٤٦) فقائممقام قضاء عنة (حزيران ١٩٤٦) فقضاء المحمودية (١٩٤٧) . وعيّن متصرفاً للواء الدليم (١٩٤٨) فالحلة (١٩٤٩) فكريلاء (تشرين الثاني ١٩٥٠) فمديراً عاماً للتسوية (آب ١٩٥٢) . ونقل بعد ثورة ١٩٥٨ مديراً عاماً للبلديات فوكيلاً لوزارة الشؤون الاجتماعية (١٩٥٩) . وكان سفيراً للعراق في الأردن فالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٥ .

مؤلفاته : مباحث في الإصلاح (١٩٥٥) البدو والقبائل الرحالة في العراق (١٩٥٦) .

تاريخ المسألة الشرقية (١٩٢٦) مباحث في نظام إدارة أموال الأيتام (١٩٣١) نظرات في قانون العقوبات العراقي الجديد (١٩٣٢) البداوة والبدو في البلاد العربية (١٩٦٢) التخطيط الموحد للتنمية الاجتماعية والاقتصادية (١٩٦٦) تعليقات على نظام دعاوى العشائر وتعديلاته (١٩٣٥) توطين البدو (١٩٦٦) نفحات اسلامية (١٩٦٦) .

كان مكّي الجميل من رجال الإدارة العاملين المفكرين ، ودعا في كتاباته إلى الإصلاح وتوطين البدو وتعليمهم الزراعة وتوفير الماء لهم ورفع مستوى القرى والارياف .  
توفي مكّي الجميل ببغداد في ٨ ايار ١٩٧٣ .

## عبد الرزاق الحسني

مؤرخ العراق الحديث ومسجّل وقائعه وأحداثه ، وهو عبد الرزاق بن السيد مهدي البغدادي الحسني آل السيد عيسى ، وتعرف الأسرة بـ «آل العطار» . ولد ببغداد سنة ١٩٠٣ ودرس في المدرسة الجعفرية ودار المعلمين الابتدائية . مال إلى الكتابة والصحافة شاباً ، وساعد محمد عبد الحسين في إصدار جريدة الاستقلال النجفية في تشرين الأول ١٩٢٠ .

وكان محرراً بجريدة المفيد البغدادية لصاحبها ابراهيم حلمي العمر . وأنشأ في أول أيلول ١٩٢٥ جريدة الفضيلة وولى اصداها ، ثم انتقل إلى الحلة وأصدر فيها جريدة الفيحاء (٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧) .

عاد إلى بغداد فعيّن موظفاً في وزارة المالية (تشرين الأول ١٩٢٧) وخدم في الحلة وديالى وبغداد ، ونقل بعد ذلك إلى دائرة الري فمديرية البريد والبرق العامة . وفصل من الخدمة بعد أحداث مايس ١٩٤١ واعتقل في الفاو والعمارة حيث قضى أربع سنوات . وأعيد إلى الوظيفة بعد الحرب العالمية ، ورفع معاون مدير بريد مركزي في تشرين الأول ١٩٤٩ ، وانتدب للعمل في ديوان مجلس الوزراء وعهد إليه بتنظيم سجلات تاريخ الدولة حتى أحيل على التقاعد في أواخر سنة ١٩٦٤ . وحضر مؤتمر المستشرقين الدولي في موسكو سنة ١٩٦٠ .

صنف كتباً كثيرة تناولت تاريخ العراق وحوادثه منذ الاحتلال البريطاني فضلاً عن أدبائه ونحله وبلدانه وصحافته ، فأعيد طبعها مراراً وأصبحت مصادر لتاريخ هذه الحقبة .

من مؤلفاته : تاريخ الوزارات العراقية (١٠ أجزاء ١٩٣٣ - ٦١) تاريخ الثورة العراقية (١٩٣٥) أسرار الانقلاب (١٩٣٧) العراق في دوري الاحتلال والانتداب (في جزئين ١٩٣٧ - ٣٨) الأسرار الخفية في حوادث السنة ١٩٤١ التحريرية (١٩٥٨) تاريخ العراق السياسي الحديث (ثلاثة أجزاء ١٩٤٨) الثورة العراقية الكبرى (١٩٥٢) العراق في ظل المعاهدات (١٩٤٨) العراق قديماً وحديثاً (١٩٤٨) الأصول الرسمية لتاريخ الوزارات العراقية (١٩٦٤) تحت ظل المشائق (١٩٢٤) رحلة في العراق (١٩٢٥) موجز تاريخ البلدان العراقية (١٩٣٠) اليزيدية أو عبدة الشيطان (١٩٢٩) البابيون في التاريخ ، تعريف الشيعة ، الصابئة قديماً وحديثاً (١٩٣١) الأغاني الشعبية (١٩٢٩) البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥٧) تاريخ الصحافة العراقية

(١٩٣٥) الخوارج في الإسلام، الصابثون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥٥) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم (١٩٥١) ثورة النجف (١٩٧٢) الخ.

قال محمد رضا الشيباني يقدّم الجزء الأول من تاريخ الوزارات العراقية :

« . . . وقد أطلعني الكاتب الأديب المعروف السيد عبد الرزاق الحسني على الكتاب الذي جرّده في هذا الباب ، فإذا به يتوخى جمع الحوادث وسردها سرداً لا يقصد من ورائه الا عرض الوقائع كما هي بدون أن يستبطن أسرارها أو يذهب إلى التفكير في هذا ونحوه ، متخلصاً بذلك من كلفة التأويل وكثرة القول والقليل . وبالجمله فالكتاب سجل خاص سجلت وجمعت فيه حوادث العراق السياسية على اختلافها ، وذلك من قيام الحكم الوطني إلى الآن . فللمؤلف في عمله هذا فضيلة التنقيب عن الوقائع وجمعها من مظاهرها ، ثم تبويبها وترتيبها على وجه يجعلها قريبة التناول ، هذا مضافاً إلى بعض الشروح والتعليق ونحو ذلك ، مما يدل على أن الغيرة الصالحة وحبّ المساهمة في خدمة البلاد من حيث نشر تاريخها بقدر الطاقة وضمن المقدور من جملة البواعث التي بعثت على تأليف الكتاب . . . » .

ولئن صحّ ما قاله الشيباني في مؤلّف عبد الرزاق الحسني عام ١٩٣٣ ، لقد عمد الحسني بعد ذلك إلى توسيع نطاق بحوثه واستقراء الحوادث وتعليل أسبابها ومآتيها واستجلاء حقائقها واستنطاق أبطالها ، حتى لقد ترك آثاراً تسترشد بها الأجيال الآتية في تدوين تاريخ العراق في هذه المرحلة الخطيرة من مراحلها . ومع كثرة الصحف والمطبوعات والمذكرات التي سجّلت أحداث هذه الحقبة فإنّ جمعها وتحقيقتها في مؤلفات الحسني الكثيرة ليهيئء مورداً عذباً ليسوراً لمؤرخ المستقبل . يضاف إلى ذلك أنّ إكباب الحسني على عمله واتصاله بمعظم المسؤولين المتصلين بالأحداث والناهضين بأعباء الحكم ووجوده في ديوان مجلس الوزراء أعواماً غير قليلة يرجع إلى وثائق الدولة في منبعها كلّ ذلك قد أتاح له فرصة الاستفادة والافادة على وجه قلّمأ أتبح لغيره .

ان المؤرخين العرب الذين سجلوا أحداث زمانهم على طريقة السنين أو غيرها لا يحصرهم العدّد ، وقد تركوا للأجيال المتعاقبة كنوزاً ثمينة من الأخبار والأنباء كانت لولاهم تضيع في مجاهل العصور . ولعلّ الحسني يمكن تشبيهه - مع فارق الزمن - بالمؤرخ الفرنسي الراهب فرواسار Froissart (١٣٣٧ - ١٤١٠) الذي سجّل في «أخباره التاريخية» حوادث عصره وحروب زمانه ، وعرف بدقّة تفاصيله وصحّة نقله . لقد تجشّم الرجل مشاق السفر إلى أنحاء أوروبا ، واتصل بأمرائها وكبرائها ، وسأل رجالها عن الأمور التي شهدوها والوقائع التي شاركوا فيها ، ودوّن كل ذلك بأمانة في تاريخه . ولم يكتف بذلك بل رسم صورة رائعة لذلك العهد من تاريخ فرنسا وحربها الطويلة مع انكلتره ، وأحيى تقاليد فروسية القرون الوسطى وحفلاتها ومآثرها وشهامتها . ولم يكن هو نفسه فارساً من أصحاب تلك الفروسية التي تتصل بصله وثيقة بالفتوة العربية ،

لكنه شهد مبارياتها واستنطق رجالها فدون ما رآه وسمعه ، كما دون المعارك والحوادث السياسية ، حتى قال فيه بعض النقاد : «لقد صور زمانه تصويراً رائعاً ، لكنه لم يفهمه إلا قليلاً . فإن جعجعة التاريخ قد غطت لديه على معناه» .

وأقول أخيراً ان عبد الرزاق الحسيني زار لندن مراراً للاصطياف والمعالجة الطبية . وكانت آخر زيارة له سنة ١٩٨٣ ، ثم عاد إلى بغداد وأصيب بالشلل ولا يزال قعيد الفراش (١٩٩٢) .

## محمد رضا المظفر

ولد في النجف سنة ١٩٠٤ من أسرة علمية ودرس في معاهدها . ثم زاول التدريس ، ومال إلى استصلاح طرق التعليم القديمة في بلده . وكان من مؤسسي جمعية منتدى النشر سنة ١٩٣٥ واختير سكرتيراً لها ثم معتمداً .

قال جعفر الخليل في الجزء الثاني من كتابه «هكذا عرفتهم» : «والمنتجع لتاريخ الشيخ محمد رضا مظفر يجد أن بين النصف الأول من عمره والنصف الثاني تبايناً كلياً في طريقة التفكير وفهم الحياة وأهداف الدين . فقد كانت الرجعية تتغلب عليه وتتملك كل تصرفاته في نصف عمره الأول ، لكنه ما كاد يخطو إلى الثلاثين حتى ظهرت عليه بوادر التجديد والدعوة الصحيحة السليمة إلى الإصلاح الديني وتنزيهه من الشوائب التي علقت به ، الأمر الذي حدا به إلى البحث في إيجاد الحلقة المفقودة وإلى تنظيم الدراسة الدينية وتثبيت مناهجها» .

وقد سعى لتأسيس مدرسة حديثة تابعة لمنتدى النشر وفتح صفوف لخطباء المنابر الحسينية ووضع كتب تدريس عصرية لطلبة النجف . وأبنتت جهوده في تأسيس كلية الفقه في النجف ، أجازتها وزارة التربية في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، وأصبح هو نفسه عميداً لها .

انتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ . وتوفي بالنجف في ٣١ كانون الثاني ١٩٦٤ .

من مؤلفاته : السقيفة (١٩٤٩) عقائد الإمامية (١٩٥٤) المنطق (٣ أجزاء ١٩٤٨) أصول الفقه (٣ أجزاء) (١٩٥٩ - ٦٢) ابن سينا ، إلخ . وله شعر وبحوث لغوية وتاريخية وفلسفية .

وقد حقق ونشر كتباً مختلفة ، ونشر الجزء الرابع من كتابه «أصول الفقه» بعد وفاته (١٩٧١) .

قال في تأبينه الشيخ محمد رضا الشبيبي : «واقترن لديه العرفان بالإيمان وبالعاطفة

الروحية، ولا يخفى أن المرابي الصالح والراعي الرفيق هو الذي يجمع بين هاتين الخصلتين».

وهو محمد رضا بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مظفر النجفي، كان أبوه فقيهاً امامياً توفي في النجف سنة ١٩٠٤ ووضعه كتاباً في «شرح شرائع الإسلام» في مجلدين.

### الدكتور جواد علي

المؤرخ البحاثة الدكتور جواد بن محمد علي يمتّ بصلّة نسب إلى السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني المعروف بالمنشيء البغدادي الذي ترجم عباس العزاوي رحلته إلى ديار الكرد ونشرها سنة ١٩٤٨.

وردّ الدكتور حسين علي محفوظ أسرته إلى عكيل وقال انه ابن الحاج محمد علي المنشي بن محمد حسين بن قاسم.

ولد جواد علي في الكاظمية سنة ١٩٠٧، وتخرج في دار المعلمين العالية ببغداد (١٩٣١).

وقد عين مدرساً في أول تشرين الأول ١٩٣١، ثم أوفد لدراسة التاريخ الإسلامي في ألمانيا، فنال شهادة الدكتوراه من جامعة هامبرغ سنة (١٩٣٩). وقد اعتقل في آذار ١٩٤٢ ثم أفرج عنه.

وعين مدرساً في دار المعلمين الابتدائية (ايلول - ١٩٤٣) فسكربتير لجنة الترجمة والتأليف والنشر بوزارة المعارف (١٩٤٧) فسكربتيراً للمجمع العلمي العراقي (كانون الثاني ١٩٤٨) فأستاذاً بدار المعلمين العالية (ايلول ١٩٥٦).

وقد أصبحت الدار كلية للتربية وألحقت بجامعة بغداد، فظلّ استاذاً فيها أعواماً طويلة. واختير استاذاً زائراً في جامعة هارفارد سنة ١٩٥٧/٥٨ وبعد ذلك في جامعة لندن (١٩٦١/٦٢).

وقد كان عضواً بالمجمع العلمي العراقي (كانون الثاني ١٩٤٨) إلى نيسان ١٩٦٢. واختير عضواً مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في نيسان ١٩٥٦.

وضع مؤلفات تاريخية عديدة أشهرها كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام» في ثمانية أجزاء (١٩٥١ - ٦٠)، وقد أصبح مرجعاً في موضوعه. وله أيضاً: تاريخ العرب في الإسلام، صدر منه جزء واحد (السيرة النبوية، ١٩٦١)، أصنام العرب (١٩٦٧) تاريخ الصلاة في الإسلام (١٩٦٨) الخ.

أعيد تعيينه عضواً بالمجمع العلمي العراقي إثر إعادة تأليفه في أيار ١٩٧٩. وقد وضع أخيراً «معجم ألفاظ الجاهليين» وتوفي في بغداد في ٤ تشرين الأول ١٩٨٧.

## توفيق الفكيكي

من رجال الأدب والصحافة والقانون، وهو توفيق بن علي بن ناصر بن محمد سعيد الفكيكي، ينتسب إلى الفكيكات من فروع قبائل ربيعة.

ولد ببغداد سنة ١٩٠٠، ودرس الفقه وعلوم اللغة على الشيخ كاظم الساعدي وعبد الوهاب البدر في سامراء والشيخ شكر الله القاضي الجعفري في بغداد، وتلمذ بعد ذلك على الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف. وامتحن التعليم أمدأ، واشترك في ثورة ١٩٢٠، وحرر في جريدة «المفيد» (١٩٢٢). ثم درس القانون في مدرسة الحقوق ببغداد وتخرّج فيها وتعاطى المحاماة.

كان المدير المسؤول لجريدة الكرخ التي أصدرها عبود الكرخي في كانون الثاني ١٩٢٧. وأنشأ توفيق الفكيكي بعد ذلك جريدة اسبوعية باسم «النظام» (٢٢ آب ١٩٢٧)، فعملت إثر صدور عددها الأول. كان مديراً مسؤولاً لجريدة نداء العمال (تشرين الثاني ١٩٣٠) -جريدة «الرياض» في شباط ١٩٣١.

وانخرط في سلك القضاء في كانون الثاني ١٩٣٤ فعين حاكماً لصلح سامراء فخانقين (١٩٣٤) فمعاون رئيس تسوية (آذار ١٩٣٦) فحاكماً للصلح في النجف فكربلاء (ايار ١٩٣٨) والكاظمية (آب ١٩٤١) فالأعظمية (كانون الثاني ١٩٤٢) إلى سنة ١٩٤٣. وقد أصدر جريدة «الرصد» (آذار ١٩٤٨) ورئس تحرير جريدة «القبس» (١٩٥٢). وانتخب نائباً عن لواء المنتفق في ايلول ١٩٥٤ إلى آذار ١٩٥٨.

وقد تطوّرت آراء الفكيكي على مرّ السنين، فكان سنة ١٩٢٤ في طليعة المناهضين لسفور المرأة. لكنّه في كانون لثاني ١٩٥٨ قدّم اقتراحاً إلى مجلس النواب لتعديل الدستور والاعتراف بحقوق المرأة السياسية.

وأدرّكته الوفاة ببغداد في ٢٢ تموز ١٩٦٩.

والفكيكي كاتب بليغ، مشرق البيان، أنيق الדיباجة، له مؤلفات كثيرة في الفقه والقانون والأدب، منها: الحجاب والسفور (١٩٢٧) كتاب المتعة (١٩٣٧) المعاهدات في الإسلام، المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي، سكينه بنت الحسين (١٩٥٠) الراعي والرعية (جزءان ١٩٣٩ - ٤٠) شجرة العذراء (١٩٦٢) النخيل (شعر ونثر، ١٩٦٤)، رسالة في سياسة الإمام جعفر الصادق، رسالة في فقه الوقف المقارن، الدين والأخلاق (١٩٣٩) أدب الفتوة والدعاية العسكرية عند العرب (١٩٤١) دفاع عن الشاعر أبي العتاهية، أقرب الوسائل لنشر الحضارة الصحيحة في العراق (١٩٣٨)، الإمام جعفر بن محمد (١٩٤٧) عبقرية الشيبلي (١٩٤٥) هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (١٩٥٢) دفاع عن شعراء (طبع ببيروت ١٩٧٥) رسالة في حماية الحيوان في شريعة القرآن، الخ..



كان فطناً واسع الاطلاع، حلو الحديث، قصير القامة، نحيل الجسم، له عينان صغيرتان زئبقيتان تشعان ذكاءً تحت زجاج النظارة. يروى عنه أنه كان يسير مع المحامي خالد الدرة صاحب مجلة «الوادي» فاعترض سبيلها شحاذ شيخ وقال مخاطباً الدرة: «حسنة لوجه الله، حفظ لك هذا الصبي».

فصاح الدرة: «هذا الصبي! انه في عمر جدّي!» ثم تمثل الدرة - والعهد على الراوي - بأبيات لاسحق بن خلف البهرائي من شعراء القرن الهجري الثالث:

ما سرتني أنني في طول داود      وانني علم في البأس والجود  
 ماشيت داود فاستضحكت من عجب      كأنني والشد يمشي بمولود!  
 وقد أبنته حافظ جميل فقال:

سأظل أجهدش بالانحيب      أبكي خصماً ما نفحن  
 أبكي خصماً ما نفحن      أبكي الجواد الأريحي  
 أبكي الجواد الأريحي      شهم يجوع ولا يــــرد  
 شهم يجوع ولا يــــرد      لم يذخر في يومه  
 لم يذخر في يومه      فكأنه يجد الغنى  
 فكأنه يجد الغنى      يعطي وينشى أن يــــرى  
 يعطي وينشى أن يــــرى      يا ذرة الخلق السرفيع  
 يا ذرة الخلق السرفيع      لا السقم جرّك للخمول  
 لا السقم جرّك للخمول      لم تشك ليلاً من سهاد  
 لم تشك ليلاً من سهاد      الا مذاب حشاشة  
 الا مذاب حشاشة      تأبى مجابهة الحياة  
 تأبى مجابهة الحياة      وترى السعادة كلها  
 وترى السعادة كلها

ووصف أدبه قبل ذلك عبد القادر رشيد الناصري فقال:

أدب كسلسال الصفا يترقرق      سحر العقول رواؤه والسرورق  
 نظمت لألثه براعة عالم      يمل عليه فؤاده والمنطق . . .

## الدكتور أحمد سوسة

ولد نسيم بن موسى اسحق سوسة في الحلة في ١٠ حزيران ١٩٠٠ وكان أبوه من الملاكين، وعضواً في مجلس إدارة لواء الحلة، وقد أنشأ بعد الحرب العظمى الأولى مشروع الكهرباء في بلدته. وقد تسمى نسيم بعد اعتناقه الاسلام باسم «أحمد».

درس في الجامعة الاميركية في بيروت، ثم قصد الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٢٣ فتخرج مهندساً مدنياً في كلية كولورادو (١٩٢٧). وواصل دراسته في جامعة جورج واشنطن (١٩٢٨) وحصل على الدكتوراه من جامعة جونس هوبكنس سنة ١٩٣٠.

عاد إلى بغداد فعين معاون مهندس ريّ (أول نيسان ١٩٣٢)، ثم أصبح مديراً لريّ ديالى فالحلة، واعتنق الديانة الاسلامية بعد التأمل والقناعة في مصر في تشرين الثاني ١٩٣٦، ووضع في ذلك كتاب «في طريقي إلى الاسلام» في جزئين. وأوفد إلى المملكة العربية السعودية حيث تولى إنشاء مشروع الخرج الزراعي جنوبيّ مدينة الرياض (١٩٣٩-٤٠).

وقام خلال الاعوام العديدة التي قضاها في دائرة الريّ بدراسات فنية في أنحاء العراق. ثم نقل في ايار ١٩٤٥ مميّزاً للترجمة والنشر بوزارة المعارف. وأسندت إليه مديرية المساحة العامة في تشرين الاول ١٩٤٧، ثم نقل مديراً عاماً لديوان وزارة الزراعة في تموز ١٩٥٤ إلى ١٩٥٦، فمدير المساحة العامة ثانية إلى ١٩٥٧.

عين عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الاول ١٩٤٩ وانتخب نائباً ثانياً لرئيسه في تشرين الأول ١٩٥٩ فاستقال فوراً. وانتهت عضويته بالمجمع عند إعادة تأليفه في حزيران ١٩٦٣. وأعيد تعيينه عضواً بالمجمع في ايار ١٩٧٩. وتوفي في بغداد في ٦ شباط ١٩٨٢.

وضع كتباً عديدة في الريّ والهندسة باللغتين العربية والانكليزية، منها: المصادر عن ريّ العراق (١٩٤٢) وادي الفرات (في جزئين ١٩٤٤-٤٥) تطور الري في العراق (١٩٤٦) الريّ في العراق (١٩٤٢) ريّ سامراء في عهد الخلافة العباسية (جزآن ١٩٤٨-٤٩) فيضانات بغداد في التاريخ (٣ أجزاء، ١٩٦٣-٦٦) الري والحضارة في وادي الرافدين (الجزء الاول ١٩٦٨) العراق في الخوارط القديمة (١٩٥٩) عصبة الأمم والعراق (١٩٣١) نهر الفرات (١٩٤٥) مأساة هندسية (١٩٤٧) مشروع بحيرة الحبانية وتطوراتها (١٩٤٩) مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى (١٩٦٢) المؤتمر الدولي لتجميع حقوق الدول (١٩٣١). وألف ايضاً: العرب واليهود في التاريخ (١٩٧٢) الشريف الادريسي في الجغرافية العربية (في جزئين ١٩٧٤).

ووضع أطالس للعراق وبغداد وصنّف «الدليل الجغرافي العراقي»، واشترك مع

محمود فهمي درويش والدكتور مصطفى جواد في إصدار «دليل الجمهورية العراقية» سنة ١٩٦٠ .

وجدير بالقول أن الدكتور سوسة في أثناء دراسته في الولايات المتحدة حصل على شهادة في العلاقات الدولية ، وذلك ما يفسر تأليفه عن عصبة الأمم وحقوق الدول .

ومن مؤلفاته باللغة الانكليزية : نظام الامتيازات الأجنبية في تركيا (١٩٣٣) ، سدة الهندية (١٩٤٥) الري في العراق (١٩٤٥) الخ .

وله ايضاً : حياتي في نصف قرن (نشرته في بغداد ابنته الدكتورة عالية سنة ١٩٨٦) ، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور (١٩٧٩) حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين (١٩٨٠) تاريخ حضارة وادي الرافدين (جزآن ، ١٩٨٣ - ٨٥) .

### الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

عبد الرزاق أمان محيي الدين ، ولد في النجف سنة ١٩١٠ ودرس في معاهدها . وانتفى إلى دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٣٣ ودرس الأدب العربي . وعاد إلى بغداد سنة ١٩٣٧ وعين مدرساً في دار المعلمين الابتدائية .

عاد إلى القاهرة سنة ١٩٤٢ ليواصل الدراسة في جامعتها فحصل على شهادة الاستاذية (١٩٤٨) فالدكتوراه (١٩٥٦) . وقفل راجعاً إلى بغداد سنة ١٩٤٨ فعين استاذاً مساعداً بدار المعلمين العالية (تشرين الاول ١٩٤٨) ، ورفع بعد ذلك استاذاً في تلك الدار التي أصبحت تعرف بكلية التربية وألحقت بجامعة بغداد .

اختير عميداً لكلية التربية سنة ١٩٦٣ فنائباً لرئيس جامعة بغداد . وعين عضواً في المجمع العلمي العراقي إثر إعادة تأليفه في آب ١٩٦٣ وانتخب نائباً ثانياً للرئيس . ثم أصبح وزير دولة لشؤون الوحدة في وزارة الفريق طاهر يحيى (٣١ كانون الثاني ١٩٦٤) ، واحتفظ بمنصبه وزيراً للوحدة في وزارة طاهر يحيى الثانية (١٧ حزيران ١٩٦٤) والثالثة (١٤ تشرين الثاني ١٩٦٤) ووزارة عارف عبد الرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥) وعبد الرحمن البراز (٢١ ايلول ١٩٦٥) إلى ٩ آب ١٩٦٦ . وعين أميناً عاماً للقيادة السياسية الموحدة بين الجمهوريتين العراقية والعربية المتحدة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٥ (علاوة على منصبه الوزاري) فظل في هذا المنصب إلى تشرين اول ١٩٦٨ .

وانتخب رئيساً للمجمع العلمي العراقي في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٦ وعضواً بمجمع اللغة العربية في القاهرة في شباط ١٩٦٧ في محل محمد رضا الشيبني وعضواً بمجمع دمشق . وعاد وزيراً للوحدة في وزارة رئيس الجمهورية الفريق عبد الرحمن محمد عارف في ١٠ ايار ١٩٦٧ فوزيراً للدولة في وزارة طاهر يحيى (١٠ تموز ١٩٦٧) حتى

استقال في ١٣ كانون الثاني ١٩٦٨ .

وجدّد انتخابه رئيساً للمجمع العلمي العراقي للمرة الثالثة في تشرين الاول ١٩٧٢ .  
مؤلفاته وأدبه :

للدكتور عبد الرزاق محيي الدين مؤلفات عديدة ، منها : ابوحَيّان التوحيدي (رسالة الماجستير إلى جامعة القاهرة) (١٩٤٩) أدب الشريف المرتضى (رسالة الدكتوراه (١٩٥٧) ديوان شعر(مخطوط) خواطر وملاحظات في التعليم العالي ، من أجل الإنسان في العراق (١٩٦٠ رسالة)، الخ . شعب أصيل ومبدأ دخيل (١٩٦٥) . وقد حقق ونشر كتاب البصائر والذخائر لأبي حَيّان التوحيدي ، والمقابسات (له ايضاً) ، والوجيز في تفسير القرآن العزيز . وألف بالاشتراك مع أساتذة آخرين كتباً مدرسية منها : المطالعة العربية (في جزئين) وتاريخ الأدب العربي .

وعبد الرزاق محيي الدين شاعر اشتهر موشّحه في لاعب كرة السلة ، وقد ترجمه الى اللغة الانكليزية ديزموند ستيوارت وجون هايلوك المدرّسان في بغداد ونشر في كتابها «بابل الجديدة» (١٩٥٦) .

يقول في هذا الموشح :

يا حبيب النفس في خلوتها  
إنّ يوماً لم أشاهدك به  
وصباحاً لم أطالعك به  
وطريقاً لم أصادفك به  
وسميري في ليالي السمـر  
لم أكن أحسبه من عمـري  
يتساوى والـدجى في نظري  
غالطت رجلاي فيه بصري . . .

كرة السّـلة لا تلعب بها  
واتّمد بالركض ، هذي مهجتي  
وترنّم بأناشيد الهوى  
أنا أستاذك فاحفظ حرمتي  
هاك قلبي كرة بين يديك  
علقت أطرافها في قدميك ،  
فعليّ النظم واللحـن عليك  
أو سأشكو منك يا هذا إليك

قد قضيت العمر بالدرس ، فما  
ان خيراً من أمـور كلـها  
خلّ عنك الـدرس ، لا تحفل به ،  
حلم دنياك ، فاجهد أن ترى  
نفع العلم ولا أجدى الكتاب  
ساعة بين نديمي والشراب  
واغتنم عيشك في ظلّ الشبـاب  
حلم اللّـذة لا حلم السّراب

التلاميذ على غررتهم عرفوا سرّي، وهل يخفى الغرام؟  
فمن الهمس حوار صامت وعلى الألفاظ نجوى وملازم  
ومن الأطفال ضحك خافت ومن الشبان غمز وكلام  
ومتى قلت: سلاماً، هتفوا: وعلى الاستاذ والحبّ السلام

ومن شعره في رثاء الملك حسين الهاشمي:

ما على الشاعر لوعز البيان، سكت القلب فما يقوى الأسار  
نبأ هزّ البرايا وقعه أمل الأمة أودى وهوى  
رجل كان كالف، رأيه وقال في ذكرى الفيلسوف محمد اقبال:  
ذكراك، إقبال، نحيتها فتحينا  
أهاب بي منك فاستجاب له لم يفهم أن هبطنا الأرض دانية  
ما كان ابليس، إذ ولّى بالدهم، حتى هبطنا بهم من أرضنا دوننا  
أشدّ منهم إلى أبنائه هوننا

وقال في تكريم خليل مطران:

سل عن الشاعر أو خذ مثالا تلتقي الأفق في أبعاده  
تغن عن شعب جواباً وسؤالاً وهو دون العين مرأى ومنالاً  
مضت تحبط رشداً وضلالاً ضلّت الأبواب عن إدراكه  
أملاك حطّ أم جنّ تعالى؟ ليس تدري أية تنسبه:  
وترجى الخير منه والنوالاً وبماذا تتحامي شره

وقال في وظيفة الشعر، وهي من بواكير نظمه:

إذا الشعر لم يحدث بشعبك ضجّة فتلك قوافٍ قد نظمن وأوزان  
وإن لم يكن حرّ العقيدة، موقظاً، فليس له في نهضة الشعب إحسان

بقي عبد الرزاق محيي الدين رئيساً للمجمع العلمي العراقي إلى أيار ١٩٧٩ حين أعيد تأليف المجمع وأنهيت عضويته.

وتوفي في بغداد في أواخر سنة ١٩٨٣.

نظم قصيدة في تابين طه حسين مطلعها:

حي مع الناس أحياء بما شعروا ، لا الرأي يبلى ولا ذو الرأي يندثر

## عبد الفتاح إبراهيم

الكاتب الحزبي المناضل عبد الفتاح إبراهيم عبد الفتاح آل وريد، ابن عم رائد القصة محمود أحمد السيد.

ولد ببغداد سنة ١٩٠٤ ، وكان أبوه وجدّه من أئمة المساجد . وقد أتم دراسته في الجامعة الأميركية ببيروت ، فلما عاد إلى مسقط رأسه عين مدرّساً في المدارس الثانوية الرسمية (أيلول ١٩٢٨) . ثم أتم دراسته في الولايات المتحدة .

وكان بعد ذلك مترجماً في دائرة ميناء البصرة فوزارة العدلية في بغداد (١٩٣٢) . وعاد إلى التدريس ، وأصدر مع نفر من الشباب المثقف مجلة العصر الحديث (١٩٣٦) . ثم عين استاذاً مساعداً في دار المعلمين العالية (أيلول ١٩٤٠) فمفتشاً بوزارة المعارف (نيسان ١٩٤٣) .

واستقال من الوظيفة في السنة التالية فأسس شركة الرابطة للطبع والنشر وتولّى إدارتها . وأصدر مجلة الرابطة (آذار ١٩٤٤) ، مجلة نصف شهرية لمكافحة النزعات الرجعية وبث الثقافة القومية الديمقراطية .

آمن عبد الفتاح إبراهيم منذ مطلع شبابه بالأراء التقدمية والأفكار الحرة فكتب وناضل في سبيل مبادئه ، وكان في مقدمة كتاب جريدة الأهالي . وكتب يقول : «يجب على المجتمع الذي يريد أن يحفظ كيانه أن يسيطر على الشؤون الاقتصادية ولا يجعلها أداة لفئة ضئيلة تسخر المجموع لمنفعتها» . ودعا إلى تأميم الاقتصاد ووضعه بيد الدولة .

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، انطلق من قيد الوظيفة لينصرف إلى العمل السياسي . وألف في نيسان ١٩٤٦ حزب الاتحاد الوطني واختير رئيساً للجنة السياسية . واتخذ جريدة الرأي العام (لصاحبها محمد مهدي الجواهري) لساناً للحزب ، ثم أصدر جريدة السياسة (حزيران ١٩٤٦) فجريدة صوت السياسة .

وحلّ الحزب بعد أمد قصير (أيلول ١٩٤٧) ، فواصل عبد الفتاح جهاده وتعرّض للمضايقة والاضطهاد .

ونشبت ثورة تموز ١٩٥٨ فعين مديراً عاماً لمصلحة مصافي النفط الحكومية في آذار ١٩٥٩ حتى اعتزل منصبه في آذار ١٩٦١ ، وغادر العراق فلم يعد إليه إلا بعد عدة أعوام .

وضع مؤلفات كثيرة ، منها : على طريق الهند (١٩٣٢) مقدّمة في الاجتماع (١٩٣٩) كلمة في وجهة المجتمع بعد الحرب (١٩٤٢) مشكلة التموين (١٩٤٢) وحلّة الحركة

الديمقراطية (١٩٤٦) دراسات في الاجتماع (١٩٥٠) معنى الثورة (١٩٥٩) قصة النفط (١٩٦٠) الخ . . .

## محمود فهمي درويش

محمود فهمي بن محمد درويش آل عزيز، ولد ببغداد سنة ١٩٠٥ ودرس في مدرسة الصيدلة، وتخرج في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢٦). وأنشأ مختبراً كيمياوياً، وعمل مدرساً في بغداد والبصرة، ثم كان مديراً للمدرسة الحسينية الأهلية (١٩٢٩ - ٣٠).

واشترك في إصدار الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ وتولى رئاسة تحريره. ثم عين ملاحظاً في دائرة الزراعة (١٩٣٦)، وظل يعمل في تلك الدائرة، التي أصبحت بعد ذلك مديرية عامة فوزارة، نحواً من ٢٢ سنة. وأشرف على إصدار مجلة الزراعة أعواماً طويلة وأصبح مديراً للمطبوعات الفنية والنشر في ديوان الوزارة حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٨. واشترك مع الدكتورين مصطفى جواد وأحمد سوسة في إصدار دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠.

وقد تولى تحرير مجلة الاتحاد سنة ١٩٣٤، وكتب مقالات أدبية وبحوثاً علمية كثيرة في الصحف والمجلات. وألف كتباً مدرسية ومصنفات أخرى، منها: كارثة فلسطين (طبع سنة ١٩٤٩)، لمع وأقباس (مخطوط في جزئين) الكيمياء العربية، بين أطام مكة ووادي يثرب، الخ.

وتوفي ببغداد في ٦ شباط ١٩٦٢، فكتبت الكلمة الآتية في رثائه:

## كلمة وداع

إلى المرحوم محمود فهمي درويش:

لقد ألمني حقاً وأحزنني وحز في نفسي نعي الصديق الكريم المرحوم الاستاذ محمود فهمي درويش - ذلك الأخ الوفي الذي نعمت بصداقته ومودته أكثر من ربع قرن. لقد اشتركنا أول الأمر في إخراج الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ الذي أصدره التاجر المعروف السيد الياهو دنكور، فكان محمود فهمي رئيساً لتحرير القسم العربي وكنت مدير الدليل والمشرف على تحرير القسم الانكليزي. وبوسعي أن أقول إن ذلك الدليل كان بجزءيه الضخمين العربي والانكليزي خير دعاية لبلاد الرافدين في تاريخها الحديث. فلما اضطلع المرحوم محمود مع الصديقين الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة بإصدار دليل الجمهورية العراقية الجديد لسنة ١٩٦٠ سألتني أن أكتب

مبحث - التجارة العراقية - ، وكنت آنشد في شغل شاغل فاعتذرت ، لكنه رحمه الله ألحّ والحف قائلاً : لا أحب أن يخلو الدليل الحديد من أثرك بعد أن اشتركنا في إصدار الدليل الأول وكذلك فعلت ، فخرج دليل الجمهورية العراقية يضم بحثاً لي كما أراد .

كان المرحوم محمود فهمي درويش محدثاً لبقاً وكاتباً أليماً وخطيباً مفوهاً ، وكان إلى ذلك صديقاً محباً مخلصاً . وكانت له هوايات عديدة من التكوين والفلك إلى الكيمياء والزراعة . وقد خدم في وظائف الزراعة مذ كانت مديرية إلى أن أصبحت وزارة نحواً من ربع قرن ، وعمل قبل ذلك في مسلك التربية والتعليم والصحافة ، فكان مثال العامل النشط والموظف النزيه الجاد . واخرج مجلة الزراعة وتولى تحريرها عدة سنين وجعل منها مجلة علمية راقية .

كان كما قلت محدثاً لبقاً ، أنيس المحضر لطيف المخبر ، يحفظ النوادر واللطائف الكثيرة ، ويرويها بأسلوب ساحر وبيان زاخر . فكنت كلما ضاق الصدر بأعباء الحياة أسأله أن يروي أحاديثه ، فلا نلث أن ننسى متاعب الدنيا وننتقل إلى عالم فياض بالمسرة والحبور .

وكانت دمائه خلقة وطيب سريره وطلاوة حديثه تحببه إلى النفوس ، فكانت دائرة اصدقائه واسعة تضم مختلف الطبقات والبيئات ، فيهم المثقفون والعوام والموظفون والكسبة ورجال العلم والعمل يكلم كل واحد بلسانه ويحتفل بالكبير والصغير والجليل والوضيع على حد سواء ، فلا عجب أن أسف الجميع لمرضه وجزعوا لفقده وخرجوا لتشيعه إلى مقره الاخير وكلهم عيون دامعة وقلوب واجمة واجفة .

أكب في سنواته الاخيرة على القراءة والكتابة ووصل الليل بالنهار لايخرج دليل الجمهورية العراقية حتى كف بصره واشتدت عليه وطأة الامراض ، فكان آخر العهد به طريح الفراش متجلداً معتصماً بالصبر لا يبصر ولا يتحرك فلم يبق منه إلا اللسان والجنان .

لقد توفاه الله صبيحة السادس من شهر شباط ١٩٦٢ . ومن الغريب أن في نفس اليوم السادس من شهر شباط قبل عام واحد قرر مجلس الوزراء الغاء أمر احالته على التقاعد وان يعاد إلى الوظيفة بعد أن يبيل من مرضه ، فيا لسخرية الاقدارا

كم من أخ لي صالِح	بِـؤَاتِهِ بيـسـديّ لحدا
ما إن جـزعت ولا هـلعت	ولا يـرد بكـاي رشـدا
ذهب السـنـين احبهم	وبقيت مثل السيف فـردا

\*\*\*

زارني محمود فهمي درويش يوماً في غرفة التجارة ، وجلس يجتسي القهوة وينظر إلى تاجرين كبيرين كانا عندي يتحاوران .



قال الأول: لم تدفع، يا جلبي، ثمن الخنطة التي تسلمتها في الأسبوع الماضي.  
فأخرج الثاني دفتر الصكوك وكتب لأمر الأول صكاً ناوله إياه قائلاً:  
لم يفرغ الكاتب من تدقيق الحساب، فنخذ عشرة آلاف دينار سلفاً ريثما يتم  
التدقيق.

لكن الأول رفض الصك وقال: ماذا أعمل بعشرة آلاف دينار؟ استبقها لديك  
وعجل بالتدقيق والدفع!

وظل الصك بمبلغ عشرة آلاف دينار يرمى من يد إلى يد، ومحمود فهمي يتبعه  
بنظراته، وقد اتسعت حدقة عينه وقام بحركات مضحكة بيديه وكأنها حركات لا  
إرادية. ومدّ يده إلى جيبه فأخرج درهمين أو ثلاثة وعرضها علي من طرف خفيّ وهو  
يقول هامساً: لا حول ولا قوة إلا بالله، الحمد لله، الحمد لله! وكان التاجر الكبيران  
في شغل عنه، ثم انتهى الحوار بينهما بأن مزّقا الصك وسلّما وخرجا.

فصاح محمود فهمي درويش: هل تريد سفك دمي؟ هل ترغب في إثارتي وتحطيم  
أعصابي؟ تدعوني إلى زيارتك في مركز المال والأعمال، وفي جيبني دراهم معدودة،  
فتريني السيارات الفارهة في الباب وذوي الجاه والثروة بملابسهم الانيقة يرمون آلاف  
الدنانير في أيدي بعضهم فيردّها مستصغراً مشمئزاً... والله لقد صممت أن أمدّ يدي  
بغير وعي فأقبض على الصك الطائر وأفرّبه، وليكن بعد ذلك ما يكون!...  
ثم أطلق ضحكة عريضة وقال: لا بأس، نحن في غنى عن كلّ هذه الثروة،  
فليذهبوا بها وليتركوا لنا راحة بالنا وصفاء نفوسنا.

كلانا غنيّ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا  
ولا أدري كيف مرّت بخاطري أبيات الشاعر المصري محمد حفني ناصف:  
أنقضي معي، إن حان حيني، تجاربي وما نلتها إلا بطول عنائي؟  
ويجزنني ألا أرى لي حيلة لإعطائهنّ من يستحقّ عطائي  
إذا ورث المثورون أبناءهم غنى وجاهاً، فما أشقى بني الحكماء!

\*\*\*

قال لي محمود فهمي درويش ذات يوم: أتذهب إلى مجلس الحاج ص. خ.؟ قلت:  
نعم. قال: اذن فاصطحبني متى ذهبت إليه لأريه بطاقة ثمينة عثرت عليها بين أوراق  
والذي رحمه الله.

قلت: حياً وكرامة، ولكن ما هذه البطاقة؟  
فأراني دعوة إلى حفلة عقد قران الحاج الموماً إليه، وقد وجهها والده إلى محمد درويش

جاره في محلة باب الشيخ . والحقيقة انها دعوة نادرة، فهي مكتوبة باليد وعباراتها خليط من التركية والعربية والمجاملات المألوفة في العهد العثماني . وقرأت تاريخها فإذا بها تعود إلى ما قبل نصف قرن أو أكثر.

قلت : لا أرى مناسباً أن تريها للحاج في مجلسه الحافل الذي يؤمه فريق كبير من أشرف بغداد وتجارها وأدبائها، فلعله لا يودّ أن يعرف القوم أنه بلغ من العمر عتياً .

لكن محمود فهمي ضحك وقال : لا أظن ذلك . وفي اليوم الذي يجلس الحاج لزواره دخلنا مجلسه فإذا به مكتظّ برجال البلد، ولم تمض برهة من الوقت حتى أخرج محمود فهمي ورقته وقال للحاج : ان والذي كان جاراً وصديقاً حميماً لوالدك عليه الرحمة والرضوان .

قال : لا شك في ذلك، وكنت أرى والدك يزور والدي دائماً في دارنا القديمة فيتحادثان طويلاً .

قال محمود : وجدت هذه البطاقة بين أوراق والدي، وهي دعوة إلى عقد قرانك المبارك . فأخذ الحاج البطاقة وألقى عليها نظرة ثم وضعها في جيبه .

لكن تحسين علي، وكان حاضراً في المجلس، قال : أيها الحاج، أرينا هذه التحفة الثمينة، لماذا وضعتها في جيبك؟

وحاول الحاج عبثاً أن يخفي البطاقة، لكن تحسين علي أخذها وقرأها وقال للحاضرين : لم نكن نعلم ان مضيفنا الكريم قد تزوج قبل أكثر من خمسين سنة . كم كان عمرك يوم تزوجت، أيها الحاج؟ قل لنا بصراحة ولا تكتمنا أمرك .

وبدأت تعليقات الحاضرين ومراجعاتهم، فقال صاحب المجلس : يا محمود، جئتنا بعد غياب طويل فأنسنا بمقدمك، فما لك قد جلبت هذه البطاقة التي أكل الدهر عليها وشرب، وأظهرت ما كان مكنوناً فجعلتنا أضحوكة المجلس وموضع سخريته ودعابته؟

حدثني محمود فهمي درويش أنه كان مسافراً في بعض أيام الخريف إلى كركوك، فاستقل القطار في المساء . ولم يصطحب معه سوى حقيبة صغيرة فيها ادوات الخلاقة وسائر الحاجات الآتية لأنه كان ينوي العودة بعد يوم أو يومين . ولم يكد القطار يتحرك حتى تغير الجو وهبت موجة من البرد تلسع المسافرين . وقال في نفسه : كيف أفضي هذه الليلة الطويلة في ملابس الصيفي ولادثار لي يقيني من البرد .

ورأى في هذه الأثناء مسافراً في نفس العربية وإلى جنبه حقيبة كبيرة وسجادتان . وافترش الرجل إحداها وأدى الصلاة، فلما فرغ منها استأذنه محمود في أداء الفريضة على سجادته، فأذن له . وأخذ محمود يطيل ويكثر من الركعات والسجدات، والرجل ينظر إليه . ولما استمرّ أمداً طويلاً على هذا المنوال، أشار إليه الرجل بالتوقف وقال له :

حسبك ، ان صلاتك مستجابة . فقد ألهمني الله أن أسمح لك باستعارة سجادتي الليلة لتقنيك من البرد ، ولا بأس من أن تعيدها إليّ صباحاً حين نصل إلى كركوك .  
ولم ينتظر محمود ، بل أسرع والتفت بالسجادة ونام نوماً هنيئاً إلى الفجر .  
كان محمود فهمي درويش نهماً أكولاً في شبابه يزدرد ، حسبياً يقول ، طعاماً يكفي لعشرات الأشخاص . والغريب انه ظل مع ذلك نحيف الجسم غير مبتلى بالسمنة والترهل .

حدثني أنه ذهب ذات يوم إلى صاحب مطعم من أصدقائه فقال له : انني اليوم جائع ، فبكم تشبيني ؟ قال : بدينار واحد . فسلمه محمود الدينار سلفاً وجلس إلى المائدة ، فجاء له صاحب المطعم بقائمة الطعام . لكنه لم ينظر إليها بل قال : هات لي الأطعمة الواحد بعد الآخر من الأعلى إلى الأسفل . فلما فرغ من أكل تلك الأطعمة ، قال : والآن أعد جلب الأطعمة ولكن من أسفل القائمة إلى أعلاها . فقال صاحب المطعم : ألا تشرب شيئاً من البيرة أو الماء ؟ ظناً منه ان الشراب يملأ المعدة فلا يترك فراغاً للطعام . قال محمود : ان من عادي أن أشرب بعد تناول نصف طعامي .  
- يا لله ، اذن لم تبلغ منتصف الطعام حتى الآن ! فهذا دينارك خذه ، وما أكلته صحة وعافية واذهب إلى سبيلك ،

وكنّا في حفلة أقامتها السفارة الوطنية الصينية في بعض أمسية الصيف ومدّت فيها الموائد الحافلة بأنواع الطعام والشراب والفاكهة والحلوى في الحديقة . ولما حلّ الظلام أطفئت الأنوار وعرضت الرقوق السينمائية ، بينما المدعوون يتناولون ما لذّ وطاب من المأكولات . ورأيت محمود فهمي يفرغ صحناً بعد صحن ويأكل اللحم والدجاج والحلوى والفاكهة معاً بلا فاصلة . فما انتهى العرض السينمائي وأشعل النور الكهربائي ، حتى أخذ بيدي وقام يجزني لنذهب إلى مكان آخر . والتفت فرأيت في وسط الحوان جزيرة كبيرة فيها الصحون الفارغة ، بل صحراء غامرة في وسط بلدة عامرة .  
لكنه صار في كهولته يكتفي بالقليل من الطعام خلافاً لما كان عليه من قبل .

### كوركيس عواد

البحاث المحقق . من أبصر الناس بالكتب والمخطوطات ، كوركيس حنا عواد ، كان أبوه حنا الياس مراد بارعاً في صنع الآلات الموسيقية ولا سيّما العود ، وقد درس الألحان وتفنن فيها .

ولد في الموصل في ٩ تشرين الأول ١٩٠٨ ، ودرس في دار المعلمين الابتدائية ببغداد وعيّن معلماً في ايلول ١٩٢٦ .

وتولّى إدارة مكتبة المتحف العراقي سنة ١٩٣٨ عند تأسيسها بصفة ملاحظ أولاً ومدير بعد ذلك (١٩٥٢). فقام بشؤونها أكثر من ربع قرن حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٦٤.

وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي في الشام سنة ١٩٤٧ والمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣.

لازم الأب انستاس ماري الكرملي أعواماً طويلة وأفاد منه في البحث والتحقيق. وسافر إلى أوروبا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بمهام تتعلق بتدقيق المخطوطات وزيارة المكتبات، وحضر مؤتمرات ثقافية وأدبية متعدّدة.

من مؤلفاته: دير الربان هرمزد (١٩٣٤)، تحقيقات بلدانية تاريخية أثرية في شرق الموصل (١٩٦١) خزائن الكتب القديمة في العراق (١٩٤٨) المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين (١٩٦٥) جمهرة المراجع البغدادية (١٩٦٢) جولة في دور الكتب الأميركية (١٩٥١)، فهرست مخطوطات مكتبة المتحف العراقي، المدرسة المستنصرية ببغداد (١٩٤٥) الدار المعزية ببغداد (١٩٥٤) مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها (١٩٥٥) ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية (١٩٥٣ - ٥٤) الاسطرلاب (١٩٥٧) الورق أو الكاغد (١٩٤٨)، ما سلم من تواريخ البلدان العراقية (١٩٤٤)، مكتبة الاسكندرية: تأسيسها واحراقها (١٩٥٥) يعقوب بن اسحق الكندي (١٩٦٢) الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفولكلور العراقي (١٩٦٣) الأب انستاس ماري الكرملي: حياته ومؤلفاته (١٩٦٦) فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس (١٩٦٦) أصول أسماء المواضع العراقية (١٩٦٧) مدينة الموصل (١٩٥٩) معجم المؤلفين العراقيين (٣ أجزاء، ١٩٦٩) سيبويه إمام النحاة (١٩٧٨) أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم (١٩٨٢) أشتات لغوية (١٩٩٠) فهارس المخطوطات العربية في العالم (مجلدان، ١٩٨٤) مصادر دراسة التراث العسكري عند العرب (ثلاثة أجزاء) الخ.

وقد انتخب عضواً مؤزراً في مجمع اللغة العربية الأردني (١٩٨٠) وعضواً مؤزراً في المجمع العلمي الهندي.

وقد اشترك في ترجمة كتاب بلدان الخلافة الشرقية (١٩٥٤) والعراق في القرن السابع عشر كما رآه تافرنيه (١٩٤٤). وحقق ونشر كتباً منها: الديارات للشابشتي (١٩٥١) كتاب التفاحة (في النحو ١٩٦٥)، رسائل أحمد تيمور إلى الأب انستاس الكرملي (مع أخيه ميخائيل عواد، ١٩٤٧)، تاريخ واسط للرزاز (١٩٦٧) الخ.

أخوه: ميخائيل حنا عواد، بحائة محقق ثقة، لد في الموصل في ١٢ شباط ١٩١٢ ودرس بدار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج سنة ١٩٣١ واحترف التعليم. وعيّن

ملاحظاً للمكتب الخاص بوزارة المعارف (١٩٤٤) فمديراً له ، فظل يشغل هذه الوظيفة أكثر من ربع قرن حتى اعتزل الخدمة في أيار ١٩٧٠ .

وقد كتب مقالات وبحوثاً كثيرة . من مؤلفاته :

رسائل أحمد تيمور إلى الأب انستاس الكرمل (حقيقه بالإشتراك مع أخيه كوركيس عواد ، ١٩٤٧) ، مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية (بالاشتراك مع كوركيس عواد) ، دير قنّ في العراق (١٩٣٩) .

المآصر في بلاد الروم والإسلام (١٩٤٨) صناعة الزجاج والبلّور (١٩٦٢) صناعة الصفر (١٩٦٢) ألف ليلة وليلة (١٩٦٢) أقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (١٩٤٨) .

وقد حقق ونشر كتاب رسوم دار الخلافة للصابىء (١٩٦٤) ونصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب للجيشياري (١٩٦٤) .

فصل من كتاب : فضائل بغداد العراق (١٩٤٧) الخ .

أعيد تعيين كوركيس عواد عضواً بالمجمع العلمي العراقي لدى اعادة تأليفه في أيار ١٩٧٩ . وألف مع أخيه ميخائيل «رائد الدراسة عن المتنبي» (١٩٨٠) .

وقد توفي كوركيس في بغداد بعد مرض طويل في ١٧ تموز ١٩٩٢ .

وعين ميخائيل عواد عضواً بالمجمع العلمي السرياني المشكل في بغداد . وقد أدمج المجمعان الكردي والسرياني بعد ذلك بالمجمع العلمي العراقي . ووضع ميخائيل مخطوطات المجمع العلمي العراقي «(٣ أجزاء ، ١٩٨٣) .

## محمود أحمد السيد

رائد القصة العراقية محمود أحمد السيد آل المدرّس ، وهو محمود بن السيد أحمد بن عبد الفتاح بن عبد الحميد بن ابراهيم آل وريّد ، ينتمي إلى أسرة دينية . كان أبوه مدرساً بجامع الحيدر خانة واماماً لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وكان جدّه من رجال الدين أيضاً . أما عمّه عبد الرحمن المعروف بالجلجلوتي (١٨٤٥ - ١٩٢٧) فقد كان طرازاً خاصاً في رجال الدين وتولى الافتاء في المتنفق والحيّ .

ولد محمود أحمد في بغداد في ١٤ آذار ١٩٠٣ . ونشأ في جوّ ديني وغمرته الكآبة منذ سنّ الطفولة ، فعلت وجهه ، كما قال جعفر الخليلي في كتاب «القصة العراقية قديماً وحديثاً» ، مسحة من الأسى والتأمل ، وغلب عليه الهم والتشاؤم ، وجاءت قصصه بعد ذلك حزينه في مضمونها وعنوانها ، كمصير الضعفاء والنكبات والقلم المكسور والصحيفة السوداء ، ترك في نفس القارىء أثراً لا يمحي من تجمّم الحياة وقسوتها .

وقد درس في المدرسة السلطانية ، حتى إذا ما احتل الانكليز بغداد سنة ١٩١٧ افتتحوا دورة للهندسة اشترك فيها فتانا .

وتخرج سنة ١٩١٨ فعين موظفاً في دائرة الري بالهندية . لكنه لم يلبث ان ترك عمله بعد أشهر وسافر إلى الهند (١٩١٩) ، وأمضى فيها سنة واحدة .

عاد محمود أحمد إلى بغداد في تموز ١٩٢٠ وأخذ بالكتابة في جريدة الشرق . ثم أقبل على تحرير المقالات والنبد والقصص ، ونشر كتاباته في الصحف كجريدة العراق والعالم العربي والاستقلال ومجلة اليقين والمصباح والصحيفة والمعرض والحديث والحاصد الخ . وعين كاتباً في وزارة الداخلية (كانون الأول ١٩٢٠) ، ونقل مديراً لتحرير لواء الديوانية (تشرين الثاني ١٩٢٣) . وعاد إلى بغداد مديراً للتحرير في أمانة العاصمة في ايلول ١٩٢٦ .

وأصبح بعد ذلك سكرتيراً للبلديات في وزارة الداخلية (حزيران ١٩٣١) فسكرتيراً لمجلس النواب (آذار ١٩٣٣) حتى وفاته .

وقصد القاهرة للاستشفاء من مرض عضال ألمّ به فتوفي بها في ١٠ كانون الأول ١٩٣٧ ، ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين إلا قليلاً .

مؤلفاته وأدبه :

مال محمود أحمد السيد إلى الأدب يافعاً ، وكان لسفره إلى الهند أثر بليغ في نفسه ، إذ أطلع على أحوال وأفكار جديدة . وعني بالقصة فكان رائدها في العراق في نفس الوقت الذي كان محمود تيمور رائد القصة في مصر . وأولع بالأدب التركي الحديث ، فترجم إلى العربية قصص جلال نوري وأرجمند أكرم آل رجائي وضياء كوك آب وغيرهم ، وتأثر بآراء أدباء تركية المجددين .

جمع أقاصيصه وكتاباته في مجموعات : في سبيل الزواج (١٩٢١) مصير الضعفاء (١٩٢٢) النكبات (١٩٢٢) السهام المتقابلة (مع عوني بكر صدقي ، ١٩٢٢) هياكل الجهل (١٩٢٣) القلم المكسور (١٩٢٣) جلال خالد (١٩٢٨) الطلائع (١٩٢٩) في ساع من الزمن (١٩٣٥) . وله آثار أخرى نشرت في الصحف والمجلات منها : «عندما تغرب الشمس» وسواها من القصص المنقولة عن اللغة التركية .

ان قصص محمود أحمد تزخر بالمعاني الإنسانية والصور الاجتماعية وتدعو إلى النهضة والإصلاح . ومذهبه في القصة المذهب الواقعي الذي يسלט الضوء على المجتمع العراقي في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين ، ذلك المجتمع الذي يمر بطور الانتقال والتحوّل ويضيق بالتناقضات والترسبات القديمة ويقرن التحفّز والجرأة وعدم المبالاة بالتحفظ والانجهاذ والتمسك بأهداب التقاليد والشناشن البالية .

وقد كتب في ترجمة خطية له قبيل وفاته يقول عن نفسه: «اشتغل منذ عام ١٩٢٠ بالأدب غاويًا في أوقات فراغه، لا محترفاً، وسعى في سبيل تكوين النشر القصصي في العراق . . . وهو يعتقد بأن الجمع بين الأدب والوظيفة مستحيل فيه التجويد والتبريز. . . ويشغل بتأليف مجموع صور عراقية بعنوان «الدفتر الأزرق»، لاهياً عابثاً، متمنياً أن لا تدركه حرفة الأدب في هذا الزمن، في هذا البلد، لأنه لم يعتزم بعد الانتحار جوعاً والموت في ظلام الزرابة والإهمال» .

قالت مجلة «الصباح» القاهرية في عددها المؤرخ في ٢٤ كانون الأول ١٩٣٧: « . . . وقد بدأ حياته الأدبية برواية «جلال خالد» التي قدمها إلى «فتية العراق» التي نريدها على الجهاد في سبيل الحرية والحق». واستند في تدوين وقائعها إلى شبه مذكرات شخصية، وبالطريقة نفسها التي استند إليها أستاذه الكاتب الهندي ف. سوامي (كدا) في معالجة قصصه .

«والحق ان «جلال خالد» هي عبارة عن موجز من حياة المرحوم السيد وسياحته في الهند وبلاد الشرق، وفيها استعراض قيم لحوادث العراق السياسية في غضون الاحتلال البريطاني وأثناء شوب الثورة وحماسة الشباب في رفع راية الجهاد. وتلمح بين سطورها أحاديث طليّة عن مميزات الأدباء الأتراك الذين تتلمذ لهم المؤلف، كعبد الحق حامد بك شاعر تركية القومي وجماعة «ثروت فنون» . . .»

وقال محمود العبطة في كتابه «محمود أحمد السيد» (١٩٦١): «ومحمود أحمد السيد، بما صورنا من ملامحه المستخلصة من ملامح عصره المأزوم وجيله القلق، قد بين رأيه في المشاكل والمواقف والأزمات الدائرة في محيطه والمائلة أمامه والشاخصة في بلده، بياناً قد لازم حياته وتطوره الفكري ونمو مواهبه. وقد كان الطابع العام للعراق وللبلاد العربية بين انتهاء الحرب الأولى ونهاية الحرب الثانية ينحاز بلون رومانتيكي، يتغنى بالحرية والانطلاق ويتعشق المثل وتهزه الأخيلة والألوان وتسيره العاطفة والأحاسيس . . . وكتيجة لميلاد الواقعية من الرومانتيكية رغم التضاد الذي يعتقد بوجوده بين الواقعية والرومانتيكية، فإن الدعوة إلى الأدب الواقعي بدأت في الظهور في العراق بصورة مبكرة . . . ولا حاجة للقول كون السيد من أول الدعاة إلى الواقعية الاجتماعية البدائية . . .»

وقال الدكتور علي جواد الطاهر في خاتمة كتابه «محمود أحمد السيد: رائد القصة الحديثة في العراق» (١٩٦٩): «كان محمود أحمد منصرفاً إلى الأدب، كأنه لا يستطيع الحياة دونه، ولا يستطيع أن يعيش من غير أن يقرأ ويناقش ويكتب، فهو وجوده وهو مثله الأعلى. وإذا ادعى أحياناً أنه هاو، فإن ذلك تواضع وقول تمليه ظروف طارئة، فيما هكذا يكون «هاوي». ومن شأن الهاوي أن يستمتع أو يقلد دون أن ينتج أو يبدع، والإنتاج والإبداع وليدا الجّد والمثابرة والطمح والموهبة . . .»

ثم يضيف قائلاً: «ان قارئه لا يحسّ بالتناقض كثيراً، وانه، بعد أن يودّع المرحلة

الأولى من حياة الكاتب ، يكاد يراه منسجماً في دعوته إلى التجديد والتطور وفي تبنيه الأفكار الحديثة وفي حماسه إلى الإصلاح الاجتماعي ، فهو «كاتب شعبي» ، حتى قال يوماً : «نحن الشعب» وهو كاتب مبكر في خدمة الشعب والعمل على الارتقاء به إلى مصافّ البشر.

«ولو انسجم محمود أحمد تمام الانسجام مع آرائه ولم يبد عليه تناقض بين القول والعمل ، لكان توفيقه كبيراً في الأنواع الأدبية التي زاولها ، أكبر كثيراً مما حقق وبات فيه أهلاً للاعجاب والتقدير.

«ويمكن أن يعزى التجويد - فيما جودّ فيه - إلى أنه كان يكتب بعد أن تحتّم الفكرة في نفسه وفي لحظات ينفصل بها ، أو يكاد ، عما يحيطه أو عما يكون له من رأي مناقض أو عمل مخالف أو راسب عتيق . .»

وما أصحّ الحكم الذي خرج به علي جواد الطاهر من دراسته الشاملة لسيرة محمود أحمد السيّد وأدبه ، إذ قال : «كان محمود أحمد قصة لم تتمّ ورائداً جديراً بالزيادة» .

## ذنون أيوب

الأديب القصصي ذو النون عبد الوهاب بن الحاج أيوب العبد الواحد ولد بالموصل سنة ١٩٠٨ ، وتخرّج في دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٩ ، وعيّن مدرّساً للرياضيات والفيزياء في المدارس الثانوية .

وقد استمرّ على التدريس في الموصل وبغداد ، وكان مديراً لمعهد الفنون الجميلة . واعتقل في أيار ١٩٤٣ إثر مظاهرات حدثت في بغداد ، ثم أطلق سراحه بعد أمد وجيز . وانتخب نائباً عن الموصل في تموز ١٩٥٤ ، لكنّ المجلس حلّ فوراً .

مال إلى الأدب وهو شاب يافع ، واشترك في تحرير مجلة «المجلة» التي أصدرها عبد الحق فاضل في الموصل سنة ١٩٣٨ وتولّى شؤونها بعد ذلك يوسف الحاج الياس . وكتب القصة يعالج فيها مشاكل العراق وشعبه وبؤس الكادح والفلاح . ونقم عليه رجال الحكم ، فترك العراق وأقام في فيينا عاصمة النمسا (١٩٥٥) . وعاد إلى بغداد سنة ١٩٥٧ ، فأصدر مجموعتين قصصيتين ، ثم قفل راجعاً إلى النمسا .

وجاء إلى بغداد بعد ثورة تموز ١٩٥٨ ، فعين مديراً عاماً للإرشاد والإذاعة (آذار ١٩٥٩) . لكنه شغل هذا المنصب أمداً قصيراً ونقل مديراً عاماً للإذاعة والتلفزيون (آب ١٩٥٩) ، فملحاً ثقافياً في براغ (١٩٦٠) . واعتزل الوظيفة بعد ذلك وسكن فيينا منذ سنة ١٩٦٣ .

وقد حوكم غياباً في نيسان ١٩٦٤ أمام محكمة الثورة بعد سقوط العهد القاسمي



فقليل أنه لم يكن شيوعياً ولا ديمقراطياً بل انتهازياً.

وتوفي ذو النون في فيينا في النصف الثاني من سنة ١٩٨٨ وترك مذكرات .

أصدر ذنون أيوب مجموعات قصصية: رسل الثقافة (١٩٣٧) الضحايا (١٩٣٨) صديقي (١٩٣٨) وحي الفن (١٩٣٨) الكادحون (١٩٣٩) برج بابل (١٩٣٩) العقل في محتته (١٩٤٠) حميات (١٩٤١) الكارثة الشاملة (١٩٤٤) عظمة فارغة (١٩٤٨) قلوب ظمأى (١٩٥٠) صور شتى (١٩٥٤) قصص من فيينا (١٩٥٧). ووضع عدا ذلك قصصاً طويلة: الدكتور إبراهيم (١٩٣٩) اليد والأرض والماء (١٩٤٨) الرسائل المنسية (١٩٥٧). وترجم رواية الآباء والبنين لتورغنيف، بالاشتراك مع الدكتور أكرم فاضل (١٩٥٠)، وأسد الفلاندر، الخ.

وألف أيضاً: إنبيار فرنسة (١٩٤٢) برابرة سائبون (١٩٤٢) جمهورية ١٤ تموز في العراق (١٩٦٢) مختارات من روائع الأدب العالمي (١٩٥٨) وعلى الأرض السلام (رواية، ١٩٧٢).

قال الدكتور أكرم فاضل في تقييم أدب ذنون أيوب «... إنه سجل تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي في قصصه بأسلوب يطمع في محاكاته كل أحد دون أن يناله أحد. وقد خبر الكاتب الحياة خبراً عميقاً قل أن يتاح لسواه، أو قل أن ينفذ سواه الى أعماق هذه الحياة...» ثم يقول: «وليس المهم أن يكون قد ارتطم بخضمة كل هذه الرزايا، ولكن المهم أن المرتطم كان يحسن الانفعال بالحوادث ويتقن التفاعل معها ويرجع في تصويرها، فكان هذا الإنتاج الزاخر الذي يمثل العراق من كل هذه الجوانب...».

وكتب محمود العبطة: «يقيم الأستاذ ذو النون أيوب حالياً في مدينة فيينا منذ ثمانية أعوام وحيداً يقاسي آلام الغربة ووحشة البعاد ويتحمل آلام مرض القلب الذي يعاوده من حين لآخر. ويمضي ساعاته الرهيبة في الكتابة والمطالعة السريعة. وألف حتى الآن روايتين هما: مسالمون ومعتدون وأبو هريرة وكوجكا. وكتب دراسات أدبية - علمية، وكلها لم تر نور الطبع والنشر حتى الآن...»

وقد أصبح ذو النون أيوب رئيساً للهيئة الإدارية للمدار العراقية التي افتتحت في فيينا في تموز ١٩٧٤ بإشراف السفارة العراقية في عاصمة النمسا.

عاد ذو النون أيوب الى العراق في زيارة سنة ١٩٧٦. وفي السنة التالية أصدرت وزارة الإعلام العراقية المجلدين الأول والثاني من «الأثار الكاملة لأدب ذي النون أيوب» (١٩٧٧)، وهما يضمّان مجموعة قصصه السابقة.

## يوسف يعقوب مسكوني

الباحث المؤرخ يوسف يعقوب مسكوني، ولد في الموصل في ١٦ تشرين الأول ١٩٠٣، وذاق مرارة اليتيم طفلاً. وعرف منذ عهد الصبا قسوة الحياة وشظف العيش فنشأ عصامياً لا يعتمد إلا على نفسه، ويرى في الحياة كفاحاً مستمراً وعملاً شاقاً متواصلاً. دأب منذ نعومة أظفاره على الجدّ والجهد، يسهر الليالي في طلب العلم ويقضي نهاره في العمل المفيد.

ولقد طالما حدثني عما تحمله في صباه من عنت ومشقة، لا سيما في أثناء الحرب العظمى التي أناخت بكلكلها على البلاد والعباد ومدّت ذراعها الرهيب بالقتل والدمار. تحمّلت الموصل قسطها الأوفر من الأوصاب والآلام في تلك السنوات العجاف، فقاست الجوع والحرمان، واضطرّ الناس سداً لرمقهم أن يأكلوا الجيفة والقطط والكلاب. وتدققت جموع القرويين وأبناء العشائر المشرّدين على المدينة يملأون ساحاتها وشوارعها، ويحملون إليها الأوبئة والأمراض، ويسرون في طرقاتها أشباحاً حيّة تخفي تحت أسهاها الفاقة والهزال. وامتدّت أيدي نفر من الوحوش البشرية الى سرقة الأطفال وذبحهم وبيع لحومهم طعاماً مججوجاً على موائد القحط والحقارة. وقد أرغم ذوو الفتى مسكوني على بيع دارهم القديمة الصغيرة ليقتاتوا بشمها البخس في ذلك العهد المريع.

خرج يوسف مسكوني من تلك المحنة صافي النفس كالذهب الذي مرّ بالبوتقة. وعاد الى مقاعد الدراسة، ثم جاء الى بغداد سنة ١٩٢٣ فانتمى الى دار المعلمين الابتدائية وتخرّج فيها (١٩٢٦). وزاول التعليم في المقسداية والأعظمية والخالص وبغداد، ثم نقل الى وزارة المعارف ملاحظاً للمكتبة (١٩٤٤) فمترجماً للغة الانكليزية (١٩٤٩). واعتزل الخدمة سنة ١٩٦٣.

تعرف عند قدومه الى بغداد برجال الأدب واللغة والتاريخ، وفي مقدمتهم مصطفى جواد الذي زامله في مدرسة الخالص. واتصل بالأب أنستاس الكرملّي فلازم مجلسه وأفاد منه.

وقد توفي ببغداد في ١١ نيسان ١٩٧١.

### مؤلفاته:

من مؤلفاته: من عبقریات نساء القرن التاسع عشر (١٩٤٦) مدن العراق القديمة (ترجمه عن الإنكليزية، لدوروثي ماكاي (١٩٣٢) شخصيات القدر (بالاشتراك مع الدكتور مصطفى جواد، ١٩٦٣)، الألحان والتراتيل الأرامية والعربية (١٩٦٥) نصاري كسكر وواسط قبيل الاسلام (١٩٦٤)، سبط ابن التعاويذي (١٩٥٩) فتح العرب للصين (مقالة ترجمة عن الدكتور دنلوب، ١٩٦٨).

ومن الكتب التي حققها ونشرها: رسالة في حوادث الجو للكندي (١٩٦٥) رسائل في النحو واللغة (لابن فارس والرماني، بالإشتراك مع الدكتور مصطفى جواد، ١٩٦٩)، كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل لمحمد بن أحمد الوشاء (١٩٧١) الخ. وكتب عدا ذلك كتاباً جامعاً عن واسط مدينة الحجاج ومقالات وبحوثاً كثيرة عن الأدباء والأديبات وأصحاب المقامات ومغنيات صدر الإسلام الخ. وقد جمع مكتبة خاصة زاخرة بالمطبوعات والمخطوطات اشتراها المتحف العراقي بعد وفاته.

\*\*\*

عرف يوسف مسكوني بالوداعة وطيبة النفس والسذاجة. ولئن قيل إن وراء كل أديب امرأة، لقد كانت وراءه زوجته الفاضلة التي هيأت له الراحة المنزلية الوفيرة وجعلت من داره ندوة أديبية يحضرها رجال العلم والفضل. وكانت المطارحات والمفاكهات الشعرية والثرية تدور في ذلك المجلس اللطيف، فمما قلته فيه:

ذا يوسف فضله قد فاق فائقه وطيبة النفس زانت ناصع السرير  
أبدت ظواهره مكنون مخبره لم يخف سر له في الورد والصدر  
فهو البريء كطفل يوم مولده وهو الصفي الذي يجلو من الكدر  
تلك السذاجة معنى من لطافته دامت ودام كريماً هانيء العُمر  
وقلت في الأرجوزة المسكونية:

أهلاً بمسكوني الصديق الفاضل زانت حجواه رقبة الشائل  
قد أنعم الله عليه نِعما يشكرها مصلياً مبتسماً  
من زوجة كاملة رقيقة محبة صافية السليقة  
ثم ابنة أديبة مهذبة الى القلوب كلها محببه  
وستة من أفضل الأبناء كالأنجم الزهراء في العلاء  
حازوا على الآداب والأحلاق فهم جميعاً أنفاس الأعلاق  
حفوا به، وهو لهم خير أب متسم حقاً بفضل الأدب  
فهذه تروفظه صباحاً تقدّم الماء له قراحاً  
تأتي له بأطيب الطعام ناطقة بأعذب الكلام  
وذاك يصغي لتلقي أمره منقداً ما يتغي من فوره  
وأخسر يلبسه رداءه مستمعاً في أدب آراءه  
وثالث يركبه السيارة منتظراً من أمره الإشارة

خوف الضياع لا تبالي بالتعب  
 بأمره صاعدة شكورة  
 وتحسن التبرير والتدبير  
 ليس له في فضله ضريب  
 فليس ذاك بدعة في شرعه  
 وشرطه الـذهول والإيمان  
 مثله لم يأت في الأخبار:  
 إذا بـه لنفسه يطلبني  
 فاختارني زوجاً له اجتباني  
 قد شاءه الله العليم الأكبر  
 ودام مسكوني بعزّ ضافٍ

وتلك ثمضي في انتساخ ما كتب  
 والأم، ذي السيدة الوقورة،  
 تحفظ من نكاته الكثيرا  
 تقول: زوجي العالم الأريب  
 إذا رأيتم غفلة في طبعه  
 فالعلم من أفاته النسيان  
 أروي لكم سرّاً من الأسرار  
 أرسله صاحبـه يخطبني  
 قد نسي الطالب مد رأني  
 وكان ذاك القدر المقدر  
 حمداً له دوماً على الألفاف

وارتبط يوسف مسكوني في أعوامه الأخيرة بصلة وثيقة بالشاعر حافظ جميل الذي رثاه  
 عند وفاته بقصيدة مؤثرة تذكّرنا بمرثية الشريف الرضي للصابي، بل برثاء أحمد شوقي  
 لحافظ إبراهيم .

قال في مستهلها :

وكم تشهيت طعم الموت لولا كسا  
 من لطف روحك في تطيب مرضاكا  
 فما أشدّك إخلاصاً وأفكاكا . .

كم كنت تشفي جراحاتي بلقياكا  
 كنت الطبيب لنفسي، لم تجد بدلاً  
 ما انهل دمعـي ولم تجهش عليّ بكأ

وقد روي شاكر علي التكريتي أنه قال ليوسف مسكوني، إذ رآه رابضاً في مكتبته  
 يحقق ويدقق: إن الضوء غير كافٍ . فأجاب: نعم، ولكن الكلمات المضيئة وإشراقه  
 الكتب أعتمد عليها قبل نور الكهرباء .

\*\*\*

رويت نوادر كثيرة عن سداجة يوسف مسكوني وذهوله وشرود ذهنه : من ذلك أنه  
 زار انكلترة مع زوجته وذهبا الى حديقة الحيوان . ولما تعبت السيّدة من السير، وزوجها  
 مستمرّ على التجوال والتطّلع، جلست على أحد المقاعد وسألته أن يعود إليها بعد  
 حين . ومرّت ساعة وساعتان وثلاث، وصاحبنا لم يعد، فذهبت السيدة الى مكتب  
 الاستعلامات ونادوا باسمه في مكبّرة الصوت وطلبوا إليه المجيء الى المكتب . . . ولم  
 يجي . ٥٤٢

وقلقت السيدة فعادت الى النزل وأفضت بالأمر الى ربة الدار التي اقترحت إخبار الشرطة . وفي هذه الأثناء حضر مسكوني هاشأً باشأً ، مسروراً بجولته الطويلة ، غير ملتفت الى القلق الذي استحوذ على قريته . وقال : يا للغرابة ! هل تعلمين أن في لندن رجلاً آخر يحمل اسم «مسكوني» وكان يزور حديقة الحيوانات في نفس الوقت الذي زرناها؟ لقد نادوا اسمه في مكبرة الصوت ، فعجبت وودت لو تعرّفت اليه . .  
ولم يظن أنه كان المقصود بالنداء !

من القصص التي تروى عن ذهول مسكوني وغفلته أنه أراد قبل عام من وفاته السفر الى أوروبا ، فكلم صديقه شاكر علي التكريتي في استصدار جواز سفر . قال الصديق : هلم بنا نمض الى مدير الدائرة أحمد سامي (أبي عائدة) فتأخذ الجواز المطلوب في لحظات .

قال مسكوني : أبو عائدة ، إنني كنت مدرساً لزوجته وهو يعرفني حق المعرفة . ومضيا إليه ، فأكرم المدير وفادة مسكوني وذكره بذكرات الدراسة ، ثم أمر بتقديم القهوة وإنجاز معاملة جواز السفر . ولم يمض وقت طويل حتى تسلم يوسف مسكوني جوازه وسلم على المدير وشكره وخرج مع صديقه .

ولما أصبحت في الرواق التفت مسكوني الى شاكر علي وقال : لقد كمل جواز السفر ، ولم تبق لنا حاجة الى معونة أبي عائدة الذي درّست زوجته ، ولكن مع ذلك ، ما دمنا قد أتينا الى هنا ، فلا بأس أن نمزّ به للسلام عليه .

فقال التكريتي متعجباً : ولكننا خرجنا من دائرته الآن وهو الذي أنجز لك المعاملة  
قال مسكوني : كنت أظنه مدير جوازات السفر وليس أبا عائدة ، فكيف هو هو؟

\*\*\*

انتقل يوسف مسكوني من داره ، لكنه ظلّ بين حين وآخر يعود من دائرته ظهراً الى داره القديمة ، ويعجب لوجود أناس غرباء فيها !

وكان راكباً يوماً في سيارة الباص ، فصعدت سيّدة وجلست في المقعد الخالي الى جانبه . وغضّ صاحبنا من بصره ، لكن السيدة كانت تتقرب منه وهو يتعد عنها جهده . وأخيراً قالت له : ما لك ، يا أبا زهير؟ فنظر إليها متعجباً وقال : أنت هنا ، يا أم زهير؟ ماذا جاء بك ، وكيف عرفت أنني راكب في هذا الباص فجلست الى جنبي؟

من نوادر يوسف مسكوني أنه نهض ذات صباح وارتدى ملابسه وقام ليذهب الى دائرته فقال لزوجته : أم زهير ، إن الحذاء الأيمن يؤلم رجلي فلا أستطيع المشي .

- هل تشعر بألم في رجلك؟

- كلا، وإنما الحذاء ضيق جداً يضغط أصابعي .

- إن الحذاء لم يصغر ورجلك لم تكبر، فما القضية؟

- والعجيب أن الحذاء الأيسر لا يضايقني، بل الأيمن فقط . ومضى يوسف مسكوني إلى دائرته وهو يعرج، وعاد بعد الظهر يشكو الضيق والألم .

فلما نزع حذاءه الأيمن وفحصته أم زهير وجدت فيه زوجين من الجوارب وضعت فيه سهواً وكانت مصدر المضايقة!

### محمد علي كمال الدين

من رجال التربية والتأليف محمد علي بن عيسى كمال الدين، ولد بالنجف سنة ١٩٠٠، ودرس على والده وغيره من العلماء، وتفرغ لدراسة العربية والمنطق .

إشترك شاباً في ثورة سنة ١٩٢٠ فكان من محرري جريدة «الاستقلال» و «الفرات» . ولما خمد أوار الثورة هرب إلى الكويت برفقة أحمد الصافي النجفي وسعد صالح، وعاد إلى مسقط رأسه بعد صدور العفو العام . والتحق بدار المعلمين الابتدائية في بغداد (١٩٢١) وعين بعد تخرجه معلماً في المدارس الابتدائية فمدير مدرسة فمدرساً في المدارس الثانوية فملاحظاً لمجلة «المعلم الجديد» حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٩ . وتوفي ببغداد سنة ١٩٦٦ .

من مؤلفاته: سعد صالح (١٩٤٩) ذكرى السيد عيسى آل كمال الدين (١٩٥٧) التطور الفكري في العراق (١٩٦٠) تيسير العربية (١٩٦١) معلومات ومشاهدات في الثورة العراقية الكبرى لسنة ١٩٢٠ (١٩٧١) . ترك مصنفات مخطوطة منها: النجف في ربع قرن، رحلة إلى سورية ولبنان، الخ .

### الدكتور عبد الجبار الجومرد

ولد عبد الجبار الجومرد في الموصل سنة ١٩٠٩، وكان أبوه محمد شيت الجومرد من شعرائها المعروفين في عهده (١٨٥٠ - ١٩٢٥) . وقد تخرج بدار المعلمين الابتدائية سنة ١٩٢٩، ثم التحق بمعهد الحقوق في الشام ونال شهادتها (آب ١٩٣٥) . وبعد أن مارس المحاماة سنتين، شد الرحال إلى باريس وواصل دراسته في السوربون واختص بالحقوق الدستورية والإدارية . وعاد إلى بغداد عند نشوب الحرب العالمية، لكنه لم يلبث أن قفل راجعاً إلى فرنسا، وحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق (١٩٤١) والدكتوراه في الآداب (١٩٤٤) .

وعاد إلى العراق فزاوالمحاماة، وعين بعد ذلك ملحقاً بالأمانة العامة للجامعة الدول

العربية (١٩٤٦) وانتخب نائباً عن الموصل في مجلس النواب في حزيران ١٩٤٨ ، وكان عضواً بالوفد العراقي إلى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٩ . وقد استقال من النيابة في آذار ١٩٥٠ ، ثم أعيد انتخابه نائباً عن الموصل في كانون الثاني ١٩٥٣ وحزيران ١٩٥٤ . وكان من رجال المعارضة في المجلس ومن مؤسسي الجبهة الشعبية ، وعرف بخطبه الوطنية ومواقفه الجريئة الصلبة .

ولما قامت الثورة عين وزيراً للخارجية الجمهورية العراقية من ١٤ تموز ١٩٥٨ إلى ٧ شباط ١٩٥٩ . واختير عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي في كانون الأول ١٩٦١ . وقد سمي سفيراً في وزارة الخارجية في آذار ١٩٦٣ ، بيد أنه رفض المنصب .

وضع مؤلفات عديدة منها: الدستور العراقي (باللغة الفرنسية ، وهو أطروحته في الحقوق ١٩٤١) ، والأصمعي (بالفرنسية أيضاً ، وهو أطروحته في الأدب) ، مأساة فلسطين العربية (بالفرنسية ١٩٤٥) . وألف عدا ذلك باللغة العربية : الأصمعي (١٩٥٥) هارون الرشيد (جزءان ١٩٥٦) يزيد بن يزيد الشيباني غزوة العرب (١٩٦١) داهية العرب أبو جعفر المنصور (١٩٦٣) . ووضع تاريخاً للموصل في ٣ أجزاء ، و «تاريخ حياتي ١٩١٠ - ٧١» (مخطوط) .

توفي عبد الجبار الجومرد بالموصل في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧١ .

قال الدكتور أكرم فاضل : «كان عبد الجبار ورده شباب الموصل ، فهو يلعب كرة القدم بمهارة عجيبة ، ويمجد التمثيل ، ويبرع في الخطابة ، ويمحسن الكتابة ، ويبدع في الشعر العامي والفصيح ، بالإضافة إلى كونه خطيباً يستهوي الأسماع وصاحب أجوبة مسكتة . . . »

ثم قال : «وعاد إلى العراق في أعقاب الحرب الثانية فتطلعت الأنظار إلى الاتجاه الذي سيتجه إليه ، فإذا به نائب في مجلس النواب . . . وكانت خطبه في المجلس طريفة مرصعة بالأرقام والشواهد والشعر والأمثال والأقوال الماثورة . وهو أول من سمعناه يذكر «الديمقراطية المناقفة» ، وهي مقولة فرنسية . وكان يقظاً للمتربصين به من النواب : خطب مرة فنهض وزير نائب ليقول ما مضمونه : أشهد أن الجومرد ممثل قدير ، كان زميلي في دار المعلمين وكان ممثلاً بارعاً . فما كان من المغموز إلا أن نهض ليرد على الغامز بقوله : كلنا في الحياة ممثلون ، وجزء كل ممثل الصفير أو التصفيق . وسنرى أخيراً لمن يكون الصفير ولن يكون التصفيق !» .

وقد نظم الجومرد قصائد في رثاء الزعيم السوري إبراهيم هنانو والشاعر الزهاوي إلخ . وما قاله في تأبين الزهاوي :

فقد الشعر زاهيات المعاني	وذوت أعين القوافي الحسان
وتعزرت قصائد الشعر عن ثوب	قشيب معطّر الأردن
وكأنّ المنون راشت سهاماً	لتصيب الآداب في العنوان . . .

وقال في فلسطين :

مَنْ سَامِعٌ فَأَبَتْ شَكْوَى لَمْ تَنْزَلْ  
لَا تَفْخَرُوا : كَانَتْ وَكَانَ لَوَاؤُهَا ،  
شَيْعٌ وَأَحْزَابٌ يَحْطُمُ بَعْضُهُمَا  
عِلْمَاؤُهَا غَضُّوا الْجَفْسُونَ عَلَى الْقَدَى

ومن شعره :

ذَنْبِي مِنَ الْأَيْثَامِ أَعْرَفُهُ  
أَجْدُ الْحَيَاةِ ، عَلَى مَكَانَتِهَا  
فَأَصْبُونُ وَجْهِي أَنْ يَفْرَطَ بِي  
نَفْسٌ لَهَا ثَنُوبٌ مِنَ الْكَبْرِ  
لَا تَسْتَحِقُّ إِهْنَانَةَ الْحَرْ  
وَأَصْبُونُ لَفْظِي عَنْ غَدِيدِ يَزْرِي

محمد شيت الجومرد الشاعر والد الدكتور عبد الجبار ولد في الموصل سنة ١٨٥٠  
وتوفي سنة ١٩٢٥ . وقد طبع ديوانه في القاهرة باسم «ديوان الجومرد» (١٨٨٨) ونشر في  
السنة نفسها ديوان صديقه الشاعر الموصل الملاح حسن البزاز (١٨٤٥ - ١٨٨٧) .

### صبيحة الشيخ داود

إذا ذكرت النهضة النسائية في العراق فلا ريب أنها تقترن باسم الأديبة الحاقوية  
صبيحة الشيخ أحمد الداود رائدة الدراسة النسوية العالية ومؤلفة كتاب «أول الطريق» .  
ولدت صبيحة ابنة أحمد الشيخ داود (الذي أصبح فيما بعد وزير الأوقاف) في بغداد  
سنة ١٩١٢ . وأقيم في بغداد في شباط ١٩٢٢ المهرجان الأدبي المعروف باسم سوق  
عكاظ ، فدعيت وهي فتاة صغيرة إلى تمثيل دور الشاعرة الخنساء ، فاعتلت ظهر جمل  
وألقت قصيدة . قال أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب» (الجزء الثاني) : «أقام جماعة  
المعهد العلمي سوق عكاظ في عاصمة العباسيين ، وكانت أول حفلة باهرة فريدة بعد  
التتويج ، حضرها جلالة الملك فيصل ، فجلس في فسطاط بين النخيل يسمع الشعراء  
ينشدون والخطباء يخطبون . وكان قس بن ساعدة في مقدمة الخطباء يمثله أحد الصبيان  
الأذكياء ، وكانت الخنساء في طليعة الشعراء تتلو قصيدتها إحدى الأوائس المسلمات  
سافرة صافنة . . .» .

وتخرّجت صبيحة الشيخ داود في دار المعلمات الابتدائية فعيّنت معلمة في المدارس  
الرسمية في أيلول ١٩٢٧ . ثم انتمت إلى كلية الحقوق سنة ١٩٣٦ ، فكانت أول فتاة  
وطأت أقدامها هذا المعهد . ولما تخرّجت بعد أربع سنوات عيّنت مفتشة في وزارة  
المعارف (أيلول ١٩٤٠) فمدرّسة بدار المعلمات الابتدائية (أيار ١٩٥٠) . ونقلت سنة  
١٩٥٦ عضواً بمحكمة الأحداث ، فظلت فيها حتى اعتزلت الخدمة في كانون الثاني



سنة ١٩٧٠ ، وانصرفت إلى ممارسة المحاماة وألفت كتاب «تجربتي في قضاء الأحداث» .

ساهمت في النهضة النسائية فاشتركت في المؤتمر النسائي الأول الذي عقد ببغداد في تشرين الأول ١٩٣٢ واختيرت سكرتيرة له وألقت محاضرة عن حقوق المرأة المسلمة . واشتركت بعد ذلك في المؤتمر النسائي العربي في بغداد (آذار ١٩٥٢) ، وكانت لها جهود مذكورة في الجمعيات الخيرية كالهلال الأحمر وحماية الأطفال إلخ .

ووضعت كتابها «أول الطريق» إلى النهضة النسوية في العراق (١٩٥٨) ، كتب مقدمته منير القاضي ، فقال : «وكانت مؤلفة الكتاب الأستاذة صبيحة الشيخ داود ، عضو محكمة الأحداث ، أول فتاة دخلت كلية في العراق ، وهي كلية الحقوق ، باستثناء فتاة أخرى دخلت كلية الطب ، وكنت آنذاك عميد كلية الحقوق . وقد وجدت فيها النشاط والانصراف التام إلى الدراسة والتتبع ، فتوسمت فيها كل الخير ، وحدثت أنها ستكون القدوة الصالحة لأخواتها الفتيات العراقيات . وقد صدق حدسي ، كما أنها قررت أن تقوم بخدمات صالحة في المجتمع النسوي في العراق ، وأنها ستنشر مؤلفات وأبحاثاً علمية . فكان ما حزرته ، فقد كتبت أبحاثاً في مواضيع مختلفة نشرت في المجلات والجرائد ، وكان آخر ما وقفت عليه من ثمار أعمالها كتابها «أول الطريق» . . . وقد دفعني إلى كتابة هذه المقدمة قيام الصلة الوثيقة بيننا ، صلة أستاذ مخلص مع تلميذة نجبية وفية . فقد قضيت في تدريسها مع زملائها أربع سنوات في كلية الحقوق ، وهي الفتاة الوحيدة بين نحو ألف طالب يحترمونها وتحترمهم ويقدرون نشاطها وسعيها ، وتقدر أدبهم وحسن سيرهم معها على وجه المساواة والحرمة المتبادلة . . . » .

توفيت صبيحة الشيخ داود ببغداد في ١١ تشرين الثاني ١٩٧٥ .

كانت صبيحة الشيخ داود ابنة رجل دين مثقف عصريّ النزعة أتاح لها الدرس والانخراط في سلك التعليم والقضاء . فإذا ذكرت باحثة البادية ومي زيادة وهدي شعراوي في مصر فلا بد من ذكر قرينتهن صبيحة في العراق .

كان لها صالون أدبي يعقد كل أسبوع في دارها المطلة على دجلة فيحضره رجال الفضل والصحافة والأدب والسلك الدبلوماسي . وقد زارت الأفطار العربية مراراً واتصلت برائدات النهضة النسوية فيها .

قال جعفر الخليلي إن صبيحة متأنقة في لباسها ، صريحة في قولها ، يكاد لسانها ينطق بكل ما في صدرها ، صبيحة الوجه حلوة الشمائل بعيدة عن التكلف إلى حدّ معقول .

## مار إغناطيوس يعقوب الثالث

العالم الباحثة مار إغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك السريان الأرتذكس، واسمه الأب عبد الأحد توما. ولد في قرية برطلي من قرى شمال العراق سنة ١٩١٢، ودرس الفلسفة واللاهوت في معهد مار ممتي بالموصل. ثم مضى إلى حمص فترهب سنة ١٩٣١، وقام بالتدريس سنة واحدة في بيروت. وأرسل سنة ١٩٣٢ سكرتيراً للرسول البطريركي في الهند، ولم يلبث أن أصبح عميداً للمعهد اللاهوتي في ملابار (١٩٣٤). وعاد إلى الموصل سنة ١٩٤٧ وعمل مدرساً لللاهوت، ثم اختير أسقفاً لبيروت ودمشق (١٩٥٠). وانتخب سنة ١٩٥٧ بطريركاً لأنطاكية وجميع المشرق خلفاً لمار إغناطيوس افرام الأول برصوم، فاتخذ لقب إغناطيوس يعقوب.

زار بريطانيا سنة ١٩٧٩ واجتمع برئيس أساقفة كانتربري رئيس الكنيسة الإنكليزية، ومضى قبيل وفاته إلى روما وتباحث مع البابا يوحنا بولس الثاني. توفي في دمشق في ٢٦ حزيران ١٩٨٠.

وضع مصنّفات كثيرة، منها ديوان شعر باللغة السريانية (طبع في حلب ١٩٦٠)، بين الشرق والغرب: صفحات ذهبية من تاريخ الكنيسة المسيحية (في جزعين، ١٩٤٩)، تاريخ الكنيسة السريانية الهندية (١٩٥١) تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية (في جزعين، ١٩٥٣)، المشعل الوضاء في طريق السماء (١٩٥٤) نزهة الرائد في الكتاب الخالد (١٩٥٢) دقائق الطيب في تاريخ دير القديس مار ممتي العجيب (١٩٦١) الكندي والسريانية (١٩٦٣) الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية (١٩٦٦) بطاركة الشرق (١٩٦٩) خطب المهرجانات (١٩٦٩) صدى المنابر (١٩٦٩) اللآلئ المنثورة في الأقوال المأثورة (١٩٦٩). وكان عضواً بمجمع اللغة العربية في دمشق.

## جلال الحنفي

الشيخ جلال محيي الدين الحنفي الأديب الفقيه الشاعر ولد ببغداد سنة ١٩١٢ ودرس في المدارس الرسمية. ثم لازم الشيخ أجد الزهاوي وغيره من العلماء فأخذ عنهم. وكان سكرتيراً لجمعية الناشئة الإسلامية ورئيس تحرير مجلتها. ثم مضى إلى القاهرة وداوم في الجامع الأزهر سنة واحدة عاد على أثرها إلى بغداد (١٩٤٠) لنشوب الحرب العالمية.

عين إماماً لبعض المساجد. وأوفد إلى الصين سنة ١٩٦٤ لتدريس اللغة العربية في بكين. وعاد إلى بغداد بعد ثلاث سنوات، وقد تعلم اللغة الصينية ووضع معجماً عربياً

صينياً لم يتسنّ له طبعه وكتب فيه الكلمات الصينية بحروف عربية . وعين موظفاً في وزارة الإعلام أمداً قصيراً، ثم أسندت إليه إمامة جامع الخلفاء . وأعيد إيفاده إلى الصين للتدريس في شنغهاي (١٩٧٥ - ١٩٧٦) وعاد منها بعد سنة ونصف ليستأنف الإمامة في جامع الخلفاء . ودعي إلى تونس سنة ١٩٧٨ لإلقاء محاضرات أدبية وثقافية .

وضع كتباً ورسائل عديدة منها: التشريع الإسلامي: تاريخه وفلسفته (١٩٤٠) معاني القرآن (١٩٤١) رسالة اجتماعية خالدة (١٩٥٣) الزكاة وفلسفة الإحسان في الشريعة الإسلامية (١٩٥٥) صحة المجتمع (١٩٥٥) الروابط الاجتماعية في الإسلام (١٩٥٦) بقايا ديوان (١٩٥٦) مقدمات الجنوح في الأحداث (١٩٥٧) أحاديث من وراء الميكروفون (١٩٦٠) الأمثال البغدادية (في جزءين ١٩٦٢ - ١٩٦٤) الرصافي في أوجه وحضيضه (١٩٦٢) المرأة في القرآن الكريم (١٩٦٠) الأيمان البغدادية (١٩٦٤) معجم الألفاظ الكويتية (١٩٦٤) معجم اللغة العامية البغدادية (في جزءين ١٩٦٣ - ١٩٦٦) المغنّون البغداديون والمقام العراقي (١٩٦٤) الصناعات والحرف البغدادية (١٩٦٦) العروض (١٩٧٨) إلخ .

ونشر من الكتب: أعيان البصرة (١٩٦٠) لعبد الله باش أعيان العباسي، الدرّ النقيّ في علم الموسيقى (١٩٦٤) لأحمد بن عبد الرحمن القادري الرفاعي .

كانت معرفة جلال الحنفي للغة الصينية - وهو شيء نادر في العراق - مصدر مضايقة له . فقد كان يتحدث مع زوجته بالصينية لكي لا ينسبها للغة . وفيما هو يكلمها تلفونياً إذا برقيب التلفونات يقول له على الخط :

- ألا تعرف العربية ، يا شيخ جلال؟ هل أنت تتكلم بلسان الطيور؟

- أنا أكلم زوجتي بالصينية لكي لا ننسى تلك اللغة .

- تكلم بالعربية لفهم ما تقول!

ولما استمر الشيخ جلال على التحدث بلغة الصين قطع الخط .

وفي مناسبة أخرى قبض رجال الأمن في البصرة على بحار صيني تخلف عن اللحاق بباخرته واتهموه بالتجسس . وأخذ الحنفي عنوة إلى البصرة ليترجم للبحار الذي لم يكن يعرف سوى لغته . قال البحار إنه كان يسبح في شط العرب فإذا به يرى الباخرة التي يعمل فيها قد أقلعت تاركة إياه بلا ملابس ولا نقود . أما رجال الأمن فلم يصدقوا كلامه وحثوا الشيخ جلال على مضايقته وحمله على الاعتراف . واستطاع الحنفي بعد أن تخلص من هذه المهمة المضيئة أن يعود إلى معتكفه في جامع الخلفاء تاركاً رجال الأمن وبحارهم في مساجلة غير مجددة .

وجلال الحنفي رجل دين متسامح واسع الأفق . ومن الغريب أنه اشترك في الضجة التي أقيمت سنة ١٩٤٤ على معروف الرصافي حين نشر كتابه «رسائل التعليقات» .

وقيل إن أعداء الشاعر أثاروا تلك الضجة بتحريض وتشجيع من البلاط الملكي انتقاماً منه لهجوه الأمير عبد الإله ومساندته لحركة مايس ١٩٤١ ضد الإنكليز. وقد أخبرني مصطفى علي أن الشيخ الحنفي أبدى نشاطاً محموداً في تكفير الرصافي، فهجاه بقصيدة مقدعة شديدة أكتفي بنقل بيتين منها:

ولست بمعجزي أبداً، فلاني على كبح الغشوة قصرت عمري  
شحاك علي بالكراء شاح، وكم أغراك بالنهائ مغر

وقد نشر مصطفى علي القصيدة كاملة في الجزء الرابع من تحقيقه لديوان الرصافي (١٩٧٦).

### الدكتور علي الوردي

ولد علي حسين الوردي في الكاظمة سنة ١٩١٣، وكان مدرساً بالمدارس الثانوية. ثم أوفد إلى الولايات المتحدة وأتم دراسته في جامعة تكساس، فنال شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، وكان موضوع أطروحته ابن خلدون.

وعاد إلى بغداد فعين مدرساً في كلية الآداب (تشرين الأول ١٩٥٠) فأستاذاً مساعداً (كانون الأول ١٩٥٣). وأصبح بعد ذلك استاذاً لعلم الاجتماع في كلية التربية فكلية الآداب بجامعة بغداد. واعتزل التدريس في حزيران ١٩٧٠ منصرفاً إلى التأليف.

عرف الدكتور علي الوردي كاتباً اجتماعياً جريئاً أثارت كتاباته ومؤلفاته حركة فكرية عارمة.

#### مؤلفاته:

من مؤلفاته: شخصية الفرد العراقي (١٩٥١) خوارق اللاشعور (١٩٥٢) وعآظ السلاطين (١٩٥٤) مهزلة العقل البشري (١٩٥٥) أسطورة الأدب الرفيع (١٩٥٧) الأحلام بين العلم والعقيدة (١٩٥٩) منطق ابن خلدون (١٩٦٢) طبيعة المجتمع العراقي (١٩٦٥) نشأة الوعي السياسي في العراق (١٩٦٨) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (الجزء الأول ١٩٦٩، الثاني ١٩٧١، الثالث ١٩٧٢، الرابع ١٩٧٤) الخامس عن ثورة العشرين في قسمين (١٩٧٧ - ٧٨).

نشأ علي الوردي نشأة متواضعة أعانته فيما بعد على تشخيص أدواء المجتمع وإظهار الازدواجية الشخصية التي ابتلي بها أفرادها. قال في مقدمة كتابه وعآظ السلاطين: «ولقد أتيت لي في بدء حياتي فرصة ثمينة، حيث كنت أكسب قوتي بعرق جبيني، وعانيت من السذل والحرمان والمهانة قسطاً كبيراً، فأدرت آنذاك مبلغ ما يقاسي أبناء السوق والصعاليك من عذاب ومذلة على أيدي الطغاة المترفين والجلالوة».

حمل الورد في كتاباته على الأفكار القديمة والتقاليد البالية وحللها في ضوء النظريات الاجتماعية العلمية ودعا إلى نبذ الترسبات القبائلية في المجتمع وبناء مجتمع عصري مثقف يدين بالترابط الوطني والولاء للدولة، وكان أشد كتبه إثارة «وعاظ السلاطين» و«أسطورة الأدب الرفيع».

تخلص في كتابه «وعاظ السلاطين» إلى القول: «لقد آن الأوان لكي نحدث انقلاباً في أسلوب تفكيرنا، فقد ذهب زمان السلاطين وحل محله زمان الشعوب. . . وليس من الجدير بنا، ونحن نعيش في القرن العشرين، أن نفكر على نمط ما كان يفكر به أسلافنا من وعاظ السلاطين. أن لنا أن نفهم الطبيعة البشرية كما هي في الواقع، ونعترف بما فيها من نقائص غريزية لا يمكن التخلص منها، ثم نضع على أساس ذلك خطة الإصلاح المنشودة».

ودرس الأدب العربي دراسة العالم الاجتماعي لا الناقد الأدبي، فقال: «لا ننكر أن شعراءنا اليوم قد تغيروا عما كانوا عليه بالأمس، فقد تحول الكثيرون منهم من مدح السلاطين إلى مدح الشعوب. ولكننا يجب أن لا ننسى أن تغيرهم هذا إنما كان من ناحية الشكل في الغالب، أما من ناحية المحتوى فلم يتغيروا الا قليلاً. انهم ظلوا يسيرون في شعرهم على نفس الطريقة القديمة من حيث الاندفاع في الفخر والحماس وقلة المبالاة بحقائق الأمور، فهم بدلاً من أن يجعلوا السلطان ظل الله في الأرض وأعدل الناس طراً، اتجهوا نحو الشعب فجعلوه نبيلاً كاملاً في جميع صفاته لا يتطرق إليه النقص أبداً».

«يبدو أن شعراءنا حين تركوا مدح السلاطين واتجهوا نحو مدح الشعب صاروا كأنهم عادوا إلى حياة البداوة الأولى، حين كان الشاعر يمدح قبيلته ويذم خصومها في الحق والباطل. فهم لا يختلفون عن شعراء الجاهلية إلا من حيث أنهم وسعوا نطاق القبيلة فجعلوه «الشعب» أو «الوطن» أو «الأمة»، إنهم بعبارة أخرى، غيروا شكل العصبية، أما مضمونها فلم يغيروه، حيث بقوا ينظرون إلى شعبهم أو وطنهم أو أمتهم كما كان الشاعر البدوي ينظر إلى قبيلته».

«أن هذا النمط من التفكير الحماسي - وهو الذي يصح أن نسميه بالتفكير الشعري - لم يقتصر أثره على الشعراء فقط، بل شمل أيضاً الكثير من المفكرين وحملة الأقلام والخطباء، فهم جميعاً يجرون على طريقة واحدة، هي طريقة عمرو بن كلثوم: «ماء البحر نملاً سفينا» (لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١: ٣١٣ - ٣١٤).

وقال علي الورد في تصريح له إنه لم يتأثر بشعر شاعر، لأنه منذ البداية ضعيف الثقة بالشعر والشعراء ويرى ان الشعر من أهم الأدوات الاجتماعية التي ابتلي بها العرب منذ عصر الجاهلية. أما الكتاب الذين تأثر بهم فكانوا كثيرين، منهم الغزالي وابن خلدون وسلامه موسى ودورانت ووليم جيمس وه. ج. ويلز وعلماء الاجتماع عامة

(جريدة الجمهورية البغدادية، ٤/١٢/١٩٦٩).

ودعا في فرصة أخرى إلى معالجة المشاكل الاجتماعية ومناقشتها، فذلك - كما قال خير من الانشغال بالأدب الفارغ حول البحري وتأبط شراً. وأضاف قائلاً: «اننا، في هذه المرحلة الراهنة، في حاجة إلى ثورة فكرية نتحول بها من عالم الأدب إلى عالم العلم. فقد مللنا الانهك المفرط بالأدب الذي لا صلة له بالحياة. ولعلني لا أعالي إذا قلت أنّ هذا النوع من الأدب أضرب بنا وعرقل علينا سبيل الحياة الحديثة» (جريدة الجمهورية، ١٢/٦/١٩٧٠).

إنّ علي الوردي عالم اجتماعي وليس أديباً، ولو أنه عانى - كما قال - نظم الشعر في شبابه. وقد استطاع مع ذلك، في كتابيه وعماظ السلاطين وأسطورة الأدب الرفيع بوجه خاص، أن ينقد الأدب العربي نقداً صريحاً، فيفصل قشوره عن لبابه ويخلع الأردية البراقة التي يلتفت بها الكثير من الشعر والنثر فيظهر عريتها وهزلها. وكذلك هييء له أن يكشف عن قيم رفيعة ظلت خلال عصور طويلة مستهجنة مرذولة في عالم أدبي مصطنع.

### الدكتور ناصر الحاني

ناصر محمد ظاهر الحاني ولد في بلدة عنة على الفرات سنة ١٩١٧ وتخرّج في دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٣. وواصل دراسته في كلية الآداب بالقاهرة فأحرز شهادة الليسانس في الآداب (١٩٤٧) ونال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن (١٩٥٠).

عيّن مدرساً في كلية الآداب في تشرين الثاني ١٩٥٠. ونقل مديراً للبعثات في وزارة المعارف (١٩٥١) فأستاذاً مساعداً بكلية الآداب (١٩٥٤). وألقى في تلك السنة محاضرات في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة، ثم عيّن ملحقاً ثقافياً في السفارة العراقية في واشنطن (أيلول - ١٩٥٤)، وانتدب استاذاً في جامعة لندن (١٩٥٩). وانتقل إلى وزارة الخارجية مديراً عاماً للعلاقات (آذار ١٩٦٠) فسفيراً في بيروت (آب ١٩٦١)، وأضيفت إلى عهده سفارة اليونان أيضاً. ونقل سفيراً في دمشق (تموز ١٩٦٢) فسفيراً في ديوان وزارة الخارجية، وأسندت إليه وكالة الوزارة في تموز ١٩٦٣. ومثّل الجمهورية العراقية بعد ذلك سفيراً في واشنطن (١٩٦٤) في بيروت (شباط ١٩٦٧). وأصبح وزيراً للخارجية من ١٨ إلى ٣٠ تموز ١٩٦٨، ثم عيّن سفيراً في ديوان وزارة الخارجية.

وقد اغتيل ببغداد في ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٨.

## مؤلفاته وأدبه :

كان الدكتور ناصر الحاني أدبياً ناقداً وضع مؤلفات منها : نقد وأدب (١٩٤٦) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي (١٩٥٥) جميل صدقي الزهاوي (محاضرات القاها بالقاهرة، ١٩٥٤) من اصطلاحات الادب الغربي (١٩٥٨) الأدب العربي وعلامه (بالاشتراك مع آخرين، ١٩٥٢)، في الحضارة العربية (١٩٦٨) أوراق (١٩٦٨) الخ . وحقق شعر الراعي النميري (١٩٦٤) . وكتب عدا ذلك دراسات ومقالات عديدة وأبحاثاً عن العراق في بعض دوائر المعارف الاميركية وغيرها .

وقد تحدث ناصر الحاني ذات مرة فقال إنه معجب بطه حسين السذي يعتبره استاذ الجيل دون منازع وأول من وضع اسلوباً عربياً تأثر به كثير من الأدباء الناشئين واقتفوه . أما من أدباء الغرب فقد تأثر الحاني - على ما قال - بالناقد الانكليزي سسل داي لويس ودعا إلى ترجمة كتابه «الأخيلة الشعرية» . ولويس من شعراء انكلترة المعاصرين ونقادها الأدبيين ، ولد في إرلندة سنة ١٩٠٤ ودرس في جامعة أكسفرود وأصدر دواوين شعر متعددة وكتباً في النقد والرواية .

## الدكتور عبد الجليل الطاهر

من أساتذة علم الاجتماع ، ولد عبد الجليل علي الطاهر في القرنة ، عند ملتقى دجلة والفرات ، سنة ١٩١٤ . ودرس في دار المعلمين الابتدائية فعين معلماً (تشرين الاول ١٩٣٣) ، ثم انتمى إلى دار المعلمين العالية وعمل في التدريس .

أوفد سنة ١٩٤٧ لتمام دراسته في باريس ، ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٩) . وعاد إلى بغداد يحمل شهادة الدكتوراه في الفلسفة فعين مدرساً في كلية الآداب (تشرين الأول ١٩٥٢) . ونال بعد ذلك كرسي استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد ، وانتدب للتدريس في جامعتي الرياض وبنغازي . وتوفي ببغداد في ١٢ حزيران ١٩٧١ .

## مؤلفاته :

كان الدكتور عبد الجليل الطاهر من أبرز المؤلفين في علم الاجتماع في عصره ، فأدى خدمة مزدوجة في عالمي التأليف والتدريس . قال الدكتور شاكر خصباك : «كان يمثل بحق الاستاذ الجادّ خير تمثيل ، الاستاذ المكبّ على العلم ، الواسع المعرفة والاطلاع ، الملتمزم التزاماً تاماً في تدريسه وأبحاثه . وقد تميزت أبحاثه عموماً بسعة أفقها وعمق تتبعها وفكرها الجادّ التقدّمي العلمي وبعدها عن الغوغائية والديماغوغية ، وهي

صفات قلما اجتمعت في أساتذة علم الاجتماع العرب». ثم قال شاكر خصيباك أنّ الطاهر ضحّى بالكثير من أجل الشعب وفصل بسبب الدفاع عنه ثلاث مرّات وذاق آلام التشرّد سنوات طويلة.

وقال الدكتور علي شلتوت عميد كلية التربية بجامعة الاسكندرية: «لقد كان الدكتور عبد الجليل الطاهر عالماً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني. لقد جعل منه استعداداه الذهني وذكائه وقدراته المختلفة وصبره على القراءة وبراعته في الربط والتحليل والبحث، جعلت منه عالماً صادق الرأي عميق الفكر.»

من مؤلفاته: المشكلات الاجتماعية في حضارة متبدلة (١٩٥٣) التفسير الاجتماعي للجريمة (١٩٥٤) البدو والعشائر في البلاد العربية (١٩٥٥) أصنام المجتمع (١٩٥٦) علم الاجتماع بين الفينومينولوجية والتجريبية (١٩٦٢) مسيرة المجتمع (١٩٦٦) الخ.

وترجم كتباً منها: المزارع التعاونية الجماعية (١٩٦٠) أصول فلسفة الطبقة الوسطى (١٩٦٠) الايديولوجية والطوبائية للاستاذ مانهايم (١٩٦٨) العشائر والسياسة (جزآن ١٩٥٨ - ١٩٧٢) السكان والاقتصاد (بالاشتراك مع الدكتور منصور الراوي، ١٩٦٨) عشرة أعوام في طرابلس (١٩٦٧) الخ.

### عبد العزيز الدوري

الدكتور عبد العزيز عبد الكريم الدوري ولد في بغداد سنة ١٩١٧ ودرس في المدرسة الثانوية وبعد ذلك في جامعة لندن ومدرسة الدراسات الشرقية، فنال الدكتوراه في التاريخ الإسلامي.

عاد إلى بغداد فعيّن مدرساً في دار المعلمين العالية (آب ١٩٤٣) فمدير الترجمة والنشر بوزارة المعارف (كانون الثاني ١٩٤٩) فعميد كليته الآداب والعلوم (آذار ١٩٥٠). وعاد استاذاً للتاريخ الإسلامي في دار المعلمين العالية وثم في جامعة بغداد. وقد انتدب استاذاً زائراً في جامعة لندن (١٩٥٥) وجامعة بيروت الأميركية (١٩٥٩). وانتخب في تموز ١٩٦٣ عضواً بالمجمع العلمي العراقي، وكان رئيساً لجمعية المؤلفين والكتاب. وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في نيسان ١٩٦٧.

وقد اعتقل في أعقاب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ متهماً بمساندة حلف بغداد والدعاية الثقافية له وأحيل على محكمة الشعب وسجن، ثم عفا عنه عبد الكريم قاسم.

عيّن سنة ١٩٦٣ رئيساً لجامعة بغداد في عهد عبد السلام عارف. وضع بحوثاً ومؤلفات كثيرة منها:

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (١٩٤٨) الجهبذة والصيرفة في



العراق (١٩٤٣) دراسات في العصور العباسية المتأخرة (١٩٤٥) العصر العباسي الأول (١٩٤٥) في الوعي العربي (١٩٥٣) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام (١٩٤٩) مستقبل الفكر العربي (١٩٥٧) نشوء الاصناف والحرف في الإسلام (١٩٥٩) نظرة إلى تاريخ صدر الإسلام (١٩٥٥) النظم الإسلامية (١٩٥٠) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب (١٩٦٠) الجذور التاريخية للقومية العربية (١٩٦٠) دراسات في علم التاريخ عند العرب (١٩٦٠) ضوء جديد على الدعوة العباسية (١٩٥٧) الفكر العربي في دور التجديد والتقليد (١٩٦١) ابن خلدون والعرب (١٩٦١) الجذور التاريخية للشعبوية (١٩٦٢) الجذور التاريخية للاشتراكية العربية (١٩٦٥) الجغرافيون.

العرب وروسية (١٩٦٦) دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن اسحاق (١٩٦٥) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (١٩٦٩)، الخ.

مضى أخيراً إلى عمان وأصبح استاذ التاريخ العربي والإسلامي في الجامعة الأردنية. والف: التكوين التاريخي للأمة العربية (١٩٨٤).

وقد منح جائزة الملك فيصل (السعودية) للدراسات الإسلامية سنة ١٩٨٦.

## صالح أحمد العلي

الدكتور صالح أحمد العلي ولد في الموصل سنة ١٩١٦ وعيّن معلماً في المدارس الرسمية في تشرين الأول ١٩٣٦. ثم انتمى إلى دار المعلمين العالية ببغداد فخرج فيها سنة ١٩٤١. وأوفد للدراسة في كلية الآداب بجامعة القاهرة فنال شهادة الليسانس (١٩٤٥)، ثم في جامعة أكسفورد التي حاز منها الدكتوراه (١٩٤٩).

عيّن استاذاً في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٥٠) ثم في كلية الآداب بجامعة بغداد. وأصبح رئيساً لدائرة التاريخ ووكيل عميد معهد الدراسات الإسلامية.

وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تموز سنة ١٩٦٣ وأصبح رئيساً له سنة ١٩٧٩. واختير أيضاً عضواً بمجمع اللغة العربية في دمشق وعضواً في مجمع اللغة الأردني (١٩٨٠).

من مؤلفاته: خطط البصرة (١٩٥٢) مستوى الاسعار في القرن الأول الهجري (١٩٥٢) محاضرات في تاريخ العرب (١٩٥٤) أحكام الرسول في الأراضي المفتوحة (١٩٥٦) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة (١٩٥٣) خطط المدينة (١٩٦١) الأنسجة الإسلامية في القرن الأول الهجري (١٩٦١) النظام الاقتصادي

الإسلامي في التطبيق (١٩٦٢) منطقة الكوفة (١٩٦٥) منطقة الحيرة (١٩٦٥) موظفو بلاد الشام في العهد الأموي (١٩٦٦) المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز (١٩٦٤) كتب الفقه وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي (١٩٥٥) المدائن في المصادر العربية (١٩٦٧) مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية (١٩٦٧) قضاة بغداد في العصر العباسي (١٩٦٩) تنظييات الرسول الادارية في المدينة (١٩٦٩) جزيرة العرب للأصمعي (١٩٦٨)، إلخ . . .

وقد ترجم كتباً عن علم التاريخ عند المسلمين، وتركية الفتاة وثورة ١٩٠٨، والحضارة البيزنطية والحروب الصليبية، وحقق كتباً من التراث للجاحظ والحسن الاصفهاني الخ. ووضع أطلساً تاريخياً للشعوب الإسلامية طبع في أمستردام. وترجم أخيراً كتاب خطط بغداد في القرن الخامس الهجري من تأليف الدكتور جورج مقدسي (١٩٨٤).

منح صالح أحمد العلي جائزة الملك فيصل السعودية العالمية في الدراسات الإسلامية لسنة ١٩٨٩.

### الدكتور عبد الجبار عبد الله

رئيس جامعة بغداد الدكتور عبد الجبار عبد الله الشيخ سام ينتمي إلى أسرة صابئية قديمة أنجبت العديد من علماء الطائفة. ولد في قلعة صالح من أعمال لواء العمارة سنة ١٩١١ وأتم دراسته الثانوية في بغداد (١٩٣٠) وانتمى بعد ذلك إلى الجامعة الأميركية في بيروت فنال درجة بكالوريوس علوم سنة ١٩٣٤.

عمل مدرساً في مدارس العمارة الثانوية (تشرين الأول ١٩٣٤) فمساعد مدير الأنواع الجوية في مطار البصرة (١٩٣٧) فمدرساً في مدارس بغداد الثانوية ودار المعلمين العالية (١٩٤١ - ٤٤). ورحل إلى الولايات المتحدة الاميركية فأتم دراسته في معهد ماتاشوسستس التكنولوجي في بوسطن وحصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية (١٩٤٩). وعمل في أثناء ذلك مساعد بحوث ومساعد استاذ في المعهد نفسه.

عاد إلى بغداد فعين استاذاً ورئيساً لقسم الفيزياء في دار المعلمين العالية (تشرين الثاني ١٩٤٩) إلى سنة ١٩٥٨. وشرح خلال هذه المدة استاذاً باحثاً في جامعة نيويورك بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٥. وعلى أثر ثورة تموز ١٩٥٨ عين أميناً عاماً لجامعة بغداد ووكيلاً لرئيسها، فرئيساً أصيلاً (١٩٥٩). وكان في الوقت نفسه نائب رئيس هيئة الطاقة الذرية.

وقد فصل من منصبه على أثر نشوب ثورة رمضان في شباط ١٩٦٣ واعتقل وعذب

وأهين . ثم أطلق سراحه فمضى إلى الولايات المتحدة حيث عمل استاذاً في جامعاتها .  
وأدرسته الوفاة بها سنة ١٩٦٩ .

كان عالماً فاضلاً، لكن أخذت عليه ميوله اليسارية التي كانت سبب سجنه وإيدائه . وضع بحوثاً علمية نشرت في المجلات الأميركية وانتخب عضواً في جمعيات علمية متعددة، وألف باللغة الانكليزية كتاباً في «ديناميكا الأعاصير» (طبع في نيويورك سنة ١٩٥٣) . وألف بالعربية : علم الصوت (١٩٥٥) واشترك في ترجمة «مقدمة في الفيزياء النووية والذرية» (١٩٦٢) والجزء الأول من موسوعة الأنواء الجوية (١٩٤١) .

## طه باقر

ولد في الحلة سنة ١٩١٢ ، وهو أخو الشاعر محمد الباقر الحلي . درس طه باقر علم الآثار في جامعة شيكاغو فنال شهادة البكالوريا والماستر وعاد إلى بغداد سنة ١٩٣٨ . وعين في تشرين الثاني من تلك السنة موظفاً في مديرية الآثار العامة، وأصبح أميناً للمتحف العراقي (تموز ١٩٤١) فمعاون مدير الآثار العام (كانون الثاني ١٩٥٣) فمفتشاً عاماً سنة ١٩٥٦ . وعين مديراً عاماً للآثار في أواخر سنة ١٩٥٨ ، وكان في الوقت نفسه أستاذ التاريخ القديم في جامعة بغداد . وتولى نيابة رئاسة الجامعة بالوكالة سنة ١٩٦٠ . وأحيل على التقاعد سنة ١٩٦٣ .

انتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الأول ١٩٧١ وعضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق . وتوفي سنة ١٩٨٤ .

وضع مؤلفات كثيرة، فمن آثاره : أصل الحروف الهجائية وانتشارها (١٩٤٥) علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب (١٩٤٩) ملحمة جلجامش والطوفان (١٩٥٠) لوح رياضي على نظرية إقليدس من تل حرمل (بالعربية والإنكليزية، ١٩٥٠) قضايا رياضية أخرى من تل حرمل (١٩٥١) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (جزءان، ١٩٥١) بابل وبور سيبا (١٩٥٩) عقروقوف (١٩٥٩) تل حرمل (١٩٦٠) . . .

وقد نقل عن اللغة الإنكليزية : بحث في التاريخ (لأرنولد توينبي) من ألواح سومر (لصموئيل كريمر، ١٩٥٨) . واشترك في ترجمة : الإنسان في فجر حياته (لدوروثي ديفدسن، ١٩٤٥) تاريخ العلم (لجورج سارتون، ١٩٥٧) الرافدان (لسيتن لويد، ١٩٤٨) . ووضع مؤلفات بالإنكليزية عن عقروقوف وبابل وبورسيببا وتل حرمل وحفريات الحكومة العراقية، إلخ .

## الدكتور محمد سليم النعيمي

الدكتور محمد سليم محمود النعيمي الأعظمي ولد في قسبة الأعظمية من ضواحي بغداد سنة ١٩١٠. درس في دار المعلمين فعين معلماً (تشرين الأول ١٩٣١)، ثم أوفد إلى مصر وباريس لإكمال دراسته العالية (١٩٣٣). ووضع أطروحة الدكتوراه في جامعة السوربون في موضوع شعر المعارضة السياسية في العصر الأموي (١٩٣٩)، لكنه لم يتمكن من مناقشتها لاضطراره على العودة إلى العراق إثر نشوب الحرب العالمية.

وقد اعتقل في تشرين الأول ١٩٤١ لاتهامه بالميول النازية. وعين أستاذاً في دار المعلمين العالية في أيار ١٩٤٧ فملحقاً ثقافياً بالسفارة العراقية في باريس (نيسان ١٩٥٤). وعاد أستاذاً في دار المعلمين العالية في أيار ١٩٥٥ ونقل إلى جامعة بغداد عند إنشائها.

عين عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ وانتخب نائباً أول لرئيسه. وأوفد سفيراً للعراق في تونس، فلما عاد إلى بغداد استأنف عضويته في المجمع ونيابة رئاسته. وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة (نيسان ١٩٦٧) وعضواً بمجمع دمشق (١٩٧٣).

توفي في بغداد سنة ١٩٨٤.

له مؤلفات عديدة منها: وجهة الأدب الحديث (١٩٦٢) شعر النجاشي الحارثي (١٩٦٥) ظهور الخوارج (١٩٦٧) أخطاء في دائرة المعارف الإسلامية (١٩٦٩) اسم الفعل: دراسة وطريقة تيسير (١٩٦٨).

وقد ترجم قسماً من «أعمدة الحكمة السبعة» تأليف لورنس (١٩٤٧) وتعريف الاشتراكية لأميل دركهام (١٩٤٧). وحقق كتاب التبصير في الدين للإسفرائيني (١٩٣٩) والاشتقاق لأبي سعيد الأصبغي (١٩٦٨).

واشترك في وضع مصطلحات علم الجراحة والتشريح ومقاومة المواد وهندسة إسالة الماء إلخ.

## الدكتور ناجي معروف

ولد ناجي معروف في قسبة الأعظمية من ضواحي بغداد في ٢٠ كانون الأول ١٩١٠ ودرس في دار المعلمين العالية. وعين مدرساً في تشرين الأول ١٩٣١، ثم أوفد إلى باريس للدراسة فالتحق بمعهد اللوفر وجامعة السوربون. ووضع أطروحته للحصول على الدكتوراه في الآداب، لكنها لم تناقش بسبب نشوب الحرب سنة ١٩٣٩ وسحب طلاب البعثة الدراسية، فاضطرَّ على العودة إلى بغداد.

عيّن على أثر عودته مدرساً، ثم نقل مفتشاً بوزارة المعارف (أيار ١٩٤٦) فأستاذاً مساعداً في دار المعلمين العالية (كانون الأول ١٩٤٦). وأسندت إليه مديرية أوقاف بغداد في آذار ١٩٤٨، ثم عهد إليه بالتدريس في كلية الشريعة (نيسان ١٩٥٠) وأصبح عميد الكلية في نيسان ١٩٥٣. وكان بعد ذلك عضواً في مجلس الخدمة العامة وأستاذاً في جامعة بغداد. وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الأول ١٩٧١ وعضواً بمجمع دمشق.

أحيل على التقاعد سنة ١٩٧٠، فانتهاز الفرصة لتقديم أطروحته إلى جامعة القاهرة والحصول على درجة الدكتوراه.

مضى إلى الحجاز لأداء مراسيم العمرة فتوفي هناك في آب ١٩٧٧.

وضع مؤلفات تدريسية وتاريخية كثيرة، منها: المدرسة المستنصرية (١٩٣٥) تاريخ علماء المستنصرية (١٩٥٩) المدخل في تاريخ الحضارة العربية (١٩٦٠) المدرسة الشرايية (١٩٦١) التوقيعات التدريسية (١٩٦٣) عروبة المدن الإسلامية (١٩٦٤) مقدمة في تاريخ مدرسة أبي حنيفة وعلمائها (١٩٦٥) نشأة المدارس المستقلة في الإسلام (١٩٦٦) تخطيط بغداد (١٩٦٦) حياة إقبال الشرايي (١٩٦٦) المدارس الشرايية ببغداد وواسط ومكة (١٩٦٦) مدارس مكة (١٩٦٦) مدارس واسط (١٩٦٦) عالمت بغداديات في العصر العباسي (١٩٦٧) العملة والنقود البغدادية (١٩٦٧) المراصد الفلكية في بغداد (١٩٦٧) مستشفيات بغداد في العصر العباسي (١٩٦٨) أصالة الحضارة العربية (١٩٦٩) التأميم الاجتماعي في الإسلام (١٩٦٩)، عروبة العلماء المنسويين إلى البلاد الأعجمية (الجزء الثالث ١٩٨٠).

وترجم كتاب «خطط بغداد» للمستعرب الفرنسي كليان هوارت Clément Huart (١٩٦١). وكان هوارت (١٨٥٤ - ١٩٢٧) من مترجمي وزارة الخارجية الفرنسية وأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، وضع تآليف بالفرنسية عن تاريخ بغداد والآداب العربية ونشر كتباً من التراث القديم.

وقد حاول ناجي معروف إثبات عروبة البلدان الإسلامية وأنساب علماء المسلمين، وفاته أن الحضارة الإسلامية الزاهرة شارك فيها بنصيب كبير الفرس والروم واليهود والنصارى والصابئة وسائر الملل التي استظلت بظل الإسلام واتخذت العربية أداة للكتابة والتعبير.

## فؤاد جميل

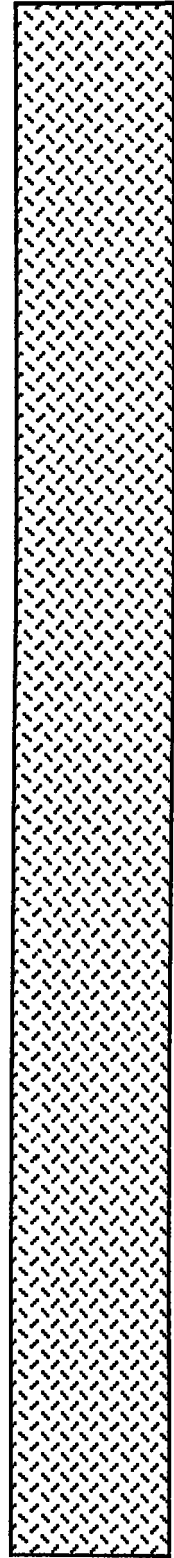
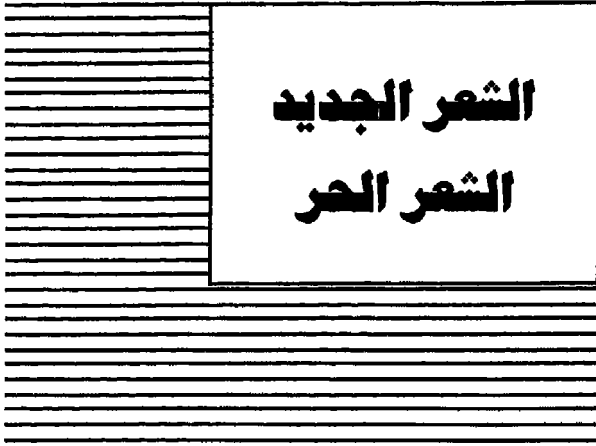
من رجال التربية والتأليف، ولد في العمارة، حيث كان أبوه جميل أفندي موظفاً، سنة ١٩١٤. أتم دراسته الثانوية في بغداد ومضى بعد ذلك إلى بيروت ودرس في جامعتها الأميركية متخصصاً في اللغة الإنكليزية.

عاد إلى بغداد فعين مدرساً (١٩٣٤)، ثم كان أول سكرتير للجنة الإذاعة في بداية تأليفها (١٩٣٧). ونقلت خدماته إلى وزارة التموين بصفة مميز (١٩٤٥)، ثم أعيد إلى التدريس في دار المعلمين الابتدائية (١٩٤٨) والإعدادية المركزية (١٩٥٠). وأصبح مدير مكافحة الأمية بوزارة المعارف (١٩٥٤) فمفتش معارف فأستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة بغداد.

لازم الشيخ قاسم القيسي ومحمد بهجت الأثري أمدأ أخذاً عنها اللغة العربية، وكان من رواد البحث الفولكلوري، كتب الفصول المسهبة عن بدو العراق وعاداتهم وتقاليدهم ومآثراتهم وقصصهم.

أدرکه الحمام في بغداد في ١٩ تشرين الأول ١٩٧١.

من مؤلفاته: مقالات وأحاديث (١٩٥٨). وقد ترجم فؤاد جميل كتباً كثيرة منها: فنّ الدراسة، حضارة العالم الجديد (١٩٥٨) العراق في القرن الرابع للميلاد بحسب وصف المؤرخ الروماني أميانوس مرشيلينوس (١٩٦١) في بلاد الرافدين: صور وخواطر (من تأليف الليدي دراور زوجة السر أدوين دراور مشاور وزارة العدلية العراقية، ١٩٦١) بغداد مدينة السلام (تأليف ريجارد كوك، في جزئين ١٩٦٢ - ٦٧)، يليني (١٩٦٣) ثورة العراق ١٩٢٠ (تأليف الجنرال ايلمر هالدين، ١٩٦٥) هيرودوتس في العراق (١٩٦٢) رحلات إلى العراق (تأليف السر واليس بادج، جزءان ١٩٦٦ - ٦٨) أريان يرون أيام الإسكندر الكبير في العراق (١٩٦٧) بلاد ما بين النهرين بين ولاعين (تأليف السر ارنولد ولسن، في ٣ أجزاء ١٩٦٩) رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان (تأليف الميجر سون، ١٩٦٩) سنتان في كردستان (تأليف هاي، ١٩٦٩) الدين مادة ورمزاً (تأليف هدي، ١٩٦٢) إلخ.







## نازك الملائكة

الشاعرة المجتدة نازك الملائكة، ابنة صادق جعفر الملائكة (١٨٩٢ - ١٩٦٩) الذي درّس اللغة العربية في المدارس الثانوية الرسمية أكثر من ربع قرن. وأمها الشاعرة أم نزار الملائكة (سلمى عبد الرزاق) ولدت ببغداد سنة ١٩٠٨ وتزوجت في سن مبكرة. وتوفيت سنة ١٩٥٣، وقد طبع ديوان شعرها بعنوان «أنشودة المجد» (١٩٦٨).

واقترنت نازك الملائكة سنة ١٩٦٢ بالدكتور عبد الهادي محبوبة (ولد ١٩١٢) وكان أستاذاً بجامعة بغداد ثم أصبح رئيساً لجامعة البصرة.

ولدت نازك في بغداد في ٢٣ آب سنة ١٩٢٣، وتخرّجت في دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٤، ثم واصلت دراستها في جامعة وسكونسن الأميركية (١٩٥٤). وعادت إلى بغداد فكانت أستاذة مساعدة في جامعتها، وانتقلت بعد ذلك إلى التدريس بجامعة البصرة ثم في جامعة الكويت. وأصدرت دواوين شعرية: عاشقة الليل (١٩٤٧) شظايا ورماد (١٩٤٩) قرارة الموجة (١٩٥٧) شجرة القمر (١٩٦٨)، ودراسة نقدية بعنوان «قضايا الشعر المعاصر» (١٩٦٢). ولها أيضاً: الأدب والغزو الفكري (١٩٦٥) محاضرات في شعر علي محمود طه (١٩٦٥).

وقد أصدرت ديوان شعر جديداً بعنوان «مأساة الحياة وأغنية للإنسان» (١٩٧٠)، ولها أيضاً: التجزئة في المجتمع العربي (١٩٧٤) للصلاة والثورة (١٩٧٧) يغيّر ألوانه البحر (شعر).

نحّي زوجها عن رئاسة جامعة البصرة كما نحّيت هي أيضاً عن تدريس الأدب العربي، فمضيا إلى الكويت ودرّسا في جامعتها. وعادت إلى بغداد سنة ١٩٨٩.

ومنحتها كلية الآداب بجامعة الكويت سنة ١٩٨٥ إجازة تفرّغ للعلاج بعد أن عانت وضعاً صحياً ونفسياً متدهوراً.

قال عبد اللطيف شرارة في نازك الملائكة مقيماً ديوانها «عاشقة الليل» (مجلة الأديب البيروتية، آذار ١٩٤٨):

«أما عند الأنسة نازك فإن بواعث الكتابة التي تتجلّى في كل بيت من أبيات ديوانها

هذا ليست في الحرمان ولا في الحب الضائع ولا في فكرة الموت ، وإنما هو «حزن فكريّ» نشأ عن تفكير في الحياة والموت من جهة ، وتأمل في أحوال الإنسانية من جهة ثانية ، ثم انتقلت هذه الملاحظات والتأملات إلى صعيد الحس ، فحفرت في «القلب» جروحاً لا تندمل ، وأخذت من بعد ذلك تتدفق آهات وأحزاناً . وتلك هي رواية شاعريتها . . . .

وقال إيليا أبو ماضي في جريدته «السّمير» (نيويورك، ١٦ ك ٢ ١٩٤٨) : «نبغ في العرب عدد من النساء الشاعرات أشهرهنّ الخنساء التي فجّر موت أخيها صخر كل ما في روحها من ينابيع الشعور، فكانت مرآتها فيه من أرق ما فاضت به قرائح الشعراء . ولا بدع فالمرأة في هذه الناحية ، في ناحية الإحساس العميق واللهفة والدموع ، أعظم بها لا يقاس من الرجل ، فكأننا أعصابها أوتار قيثارة تخرج منها الأنغام كلما مرت بها أصابع عابث . سواء كان هذا العابث هو الزمان أم الإنسان . وأمامنا الآن ديوان شعر أهدته إلينا ناظمتها الشاعرة المرفهة الحسّ نازك الملائكة التي تحكي الخنساء في نواحيها ، ليس على أخ لها كصخر، ولا على زوج مثل ابن طريف ، بل على ذاتها . فهي في الليل نائرة غضبي ، وفي الصباح باكية دامية ، لا ترى في الناس من تألفه ولا في الطبيعة ما يصرفها عن نفسها الكثيبة الحزينة . . . .

ويلمح القارئ روحها حائرة حزينة مضطربة مكفهرة في كل قصيدة من قصائد الديوان الذي أسمته «عاشقة الليل» . وهذه التسمية وحدها كافية للدلالة على رغبتها في السكينة والعزلة والانطواء لكي تطالع في كتاب روحها سطور الألم وآيات الأسي .

«ويبدو لنا من بعض تعابيرها ومن الروح السّارية في شعرها أنها متأثرة بشعراء الكآبة مثل الشاعر كيتس الإنكليزي وسواه . . . على أنّها مبدعة في التصوير والتعبير إبداعاً ندر نظيره . . . .»

\*\*\*

قالت من قصيدة لها في «لعنة الزمن» :

كنّا كالأمواج الخرس  
في عينينا لون الشمس  
في وجهينا الوقرين خشوع المغرب والأبد الخلاق  
كنّا نهمس كالأنداء  
كصدى مجداف في الماء  
لم نقطع صوت الظلماء  
بمدامع ذكرى أو أشواق  
كنّا قد كنّا الماضي ودفنا اللهفة والأشواق  
في الظلمة في صمت الأعماق

\*\*\*

وأراق المغرب ألوانه  
فوق الأشياء الوسنانه  
لم يبق بناء لم تحمر أعاليه ، لم يبق زقاق  
حتى في صفرة خدينا  
حتى في وجمة قلبينا  
أحسننا اليقظة واللونا  
أحسننا شيئاً كالثورة في الدم ، في الأعين ، في الأعراف  
شيئاً كاللّهفة ، كالأشواق . . .

\* \* \*

وهجسنا شيئاً منفعلا  
في قلبينا ، شيئاً ثملا  
يلهث عاطفة بعد جمود سنين مرّت في استغراق  
وانبجست أشواق ونسنى  
من أعيننا لونا لونا  
وتحرك في دمننا معنى  
ناريّ الشوق صيد تواق  
وسدى حاولنا أن نسكنه فهو صيد مرح تواق  
وسدى نظمره في الأعماق

\* \* \*

ووقفنا في الظلمة نحلم  
بالموج وبالليل المهيم  
ونحوك من الرؤيا والأنجم والأمواج لنا أطواق  
ونجوب، العالم في عربات  
صنعتها أذرع جنّيات  
من عطر الأزهار الخجالات  
في أسلاك الضوء الألاق  
في قصر النهر على أرض يلمسها القمر الألاق  
وتناست مولدها الآفاق

سئلت نازك الملائكة عن الشعر الحرّ الذي كانت في طليعة الداعيات إليه وعله تسميته بهذا الاسم، فقالت :

«إنّما سمّيناه هذا الاسم باعتباره غير مقيد بالتزام الشطرين المتساويين والقافية الموحّدة . وفكرة «الحرية» هنا تستند إلى القيود المفروضة في البحور الشعرية الستة عشر وليست حرية مطلقة كما يتوهم بعض الناس . والواقع أنّ هذا الشعر ليس نثراً، وإنّما هو شعر تحرّز من بعض القيود الشكلية . إنّه لا يثور على الوزن وإنّما على نظام الشطرين، وهو لا يرفض القافية وإنّما يرفض القافية الموحّدة . . .» .

ثمّ قالت : «لا شك أنّ في التزام الأوزان القديمة ذات الشطرين الصارمين شيئاً من التضييق على الشاعر، غير أنّها لا تحول إطلاقاً دون التعبير عن العاطفة وصياغة الفكرة الصياغة المطلوبة . ولا بدّ من التنبيه إلى أنّ الموضوعات التي تصلح لها الأوزان القديمة تختلف عن الموضوعات التي تناسب الأوزان الحديثة، ولذلك يدهشني أنّ بعض الشعراء لا يستعملون إلا الأوزان الحرّة» .

وسئلت الشاعرة عن الكآبة التي تغلب على شعرها فأجابت قائلة : «لعلّ سبب ذلك أنّني أتطلب الكمال في الحياة والأشياء وأبحث عن جمال لا حدود له . وحين لا أجد ما أريد، أشعر بالخيبة وأعدّ القضية قضيتي الشخصية . يضاف إلى هذا أنّني كنت إلى سنوات خلت أتخذ الكآبة موقفاً إزاء الحياة، وكنت أصدر في هذا عن عقيدة لم أعد أؤمن بها، مضمونها أنّ الحزن أجمل وأنبل من الفرح، فكنت أقف إزاءه موقف العابدة وأتحدث عنه كما لو كان إلهاً . ومن أمثلة هذا في «قرارة الموجة» :

نحن هيئتنا له حبّاً وتقديساً ونعجوى

وتهبّأنا للقياه عيوناً وشفاهها،

وسنلقاه مصليين كما نلقى إلهاً . . .»

إنّ شعر نازك الملائكة يعبّر من حيث المبنى والمعنى، عن الكبت النفسي والتمرد، ولم يكن ذلك غريباً على فتاة نشأت في بيئة محافظة وانطلقت فجأة إلى آفاق العالم الرحيب . إنّ الصراع قد اشتدّ في قرارة نفسها بين دنيها القديمة التي فتحت عليها العينين، تلك الدنيا التي كانت تعدّ الفتاة جوهرة ثمينة ينبغي الحفاظ عليها في صندوق مبطن بالقطيفة وإبعادها عن الأبصار، وبين العالم الجديد الذي خرجت إليه على مقاعد الدراسة وفي الولايات المتحدة الأمريكية . وزادت حدّة الصراع حين أطلقت الفتاة التي أشربت حبّ الأدب العربي الاتباعي بين والديها الأدبيين الشعارين، حين اطلعت على الآداب العالمية وقرأت آثار الفكر الأوروبي المتفتّح . وكانت نتيجة هذا الصراع زمّ عواطفها والتمرد على القديم مع الخوف من الحديث .

تمرّدت نازك على مباني الشعر العمودي فابتدعت الشعر الحرّ الذي حافظ على

تفاعيل البحور العربية في أبيات تطول وتقصّر وتسرع وتتلكأ وتهدأ وتموج وتخلّق  
وتسفت .

وتمزّدت نازك على المعاني الشعرية ، فتشبّثت بأذيال الألم وتمزّغت على أقدامه وتغنّت  
بالحانه ، فقالت :

نحن توّجناك في تهوية الفجر إلها  
وعلى مذبحك الفضي مرّغنا الجباها  
يا هوانا ، يا ألم  
ومن الكتّان والسّمسم أحرقتنا بخورا  
ثم قدّمنا القرابين ورتلنا سطورا  
بأبيات النغم . . .

ونزعت إلى الحبّ وخشيته فدفعته رهبته إلى الأحلام . لم تكتحل عينها بمرأى  
الشفق ، بل ضربت في أودية الخيال وحاولت أن تحلم بالمساء الجميل والدجى السّاجي  
والنجوم المتألّقة بصفاء وهدوء ، حاولت أن تتصيّد الرّؤى وتنصب الشراك للسعادة التي  
في متناول يديها . حاولت أن تحلم بالحبّ الذي هو المنحة الطبيعية للشباب ، فطلبت  
على جبال القمر ، بعيداً عن الزمان والمكان وفي معزل من البشر . طلبت الحبّ في أمس  
الدابر ، بدلاً من اليوم الحاضر والغد القريب ، فقالت :

سنحلم أنا نسير إلى الأمس لا للغد  
وأنا وصلنا إلى بابل ذات فجرٍ ندي ،  
حبيبين نحمل عهد هوانا إلى المعبد ،  
يباركنا كاهن بابليّ نقيّ اليد .

ونزعت الشاعرة إلى الحياة وخافتها ، وهفت إلى الهناء فملاّمتها رهبته ، فتعلّلت  
بالصور والكلمات وسألت : هل ؟ ومتى ؟

(هل) و (متى) لحن جفون ضارعة وشفاه ،

وجوابها : إن شاء الله . . .

هل تحضر؟ هل يأتي المطر؟

هل يسخو العطر وينهمر؟

إن شاء الله ،

إن شاء الله .

ومتى يسري نسغ السكر

في الرّمّان الحامض؟ والفجر متى يظهر؟

والشاطيء بعد ضنى الأسفار متى سنراه؟

إن شاء الله . . .

ورأت شاعرتنا في الحزن والكآبة منطلقاً من القيود التي ترسفت فيها، فأحبت لواعجها وتمسكت بحزنها وقدست كآبتها. وصورت حزن نفسها غلاماً صافي الشعور: ناصع الجبين، يسبح في بحر من النور والأريج، غلاماً خجولاً يجيى في دموع المآقي الخرس، لا يعرفه إلا من خبر الصمت العميق وكتم الألم في عمق الحشا السحيق. وقالت:

نحن هيأنا له حباً وتقديساً ونجوى،  
وتهيأنا للقياه عيوناً وشفاهاً.  
وسلنقاه مصالين كما نلقى إلهاً.  
وسنهديه انفجار الأدمع العذبة سلوى  
وسنحبوه أسى أقوى وأقوى  
وسنعطيه عيوناً وجباهاً . . .

لقد أولعت نازك بالرمز، لكن رموزها لا تكاد تخفي تمردها وكبت نفسها. وحتى إذا شئت أن تذكر زمان الصفاء وعهد المحبة والوثام فهي تصف تلك السعادة عن طريق الذكريات بعد أن تحتلق الخصام الذي فرّق بين المحبين وأفرغ كأس الغرام وطوى المشاعر الجميلة التي اعتلجت في حنايا الصدر. مرّت بذهن الشاعرة لحظات الصفاء التي فاحت بالشذا وأتسمت بالعذوبة والسياح، فلم تكذب تأسف لانقضائها، بل قالت:

وكنّا عشقنا انبثاق الحرارة في مقلتيها،  
فدعنا نحبّ النضوب .  
وكنّا هويها التورّد والشعر في شفقتينا،  
فلم لا نحبّ الشحوب؟  
ولم لا نخلف ركناً من المقت بين يدينا؟  
فدعنا نغم أسس الحبّ والودّ بين العيوب،  
وأفسح مكاناً لبعض الحماقات بعض الذنوب.  
ودعنا نكون بشراً طافحين نفيض جنونا  
وننضح ضحكاً ودمعاً سخينا .

وما هي ذي الشاعرة قد مزجت اللحن بالبكاء والضحك بالدموع والسرور بالألم، لكن ألمها الصامت الدائم يبرز في كل حين من وراء السطور.

## بدر شاكر السيّاب

من رواد الشعر الحرّ في العراق، بدر شاكر السيّاب، ولد في قرية جيكور المجاورة لبلدة أبي الخصيب سنة ١٩٢٦. وهذه القرية ذكرها إبراهيم فصيح الحيدري في كتابه «عنوان المجد» وقال إن معنى اسمها: مكان الأعمى. وحرم حنان الأمومة طفلاً، وذاق مرارة العوز والحاجة، لكنه واصل دراسته الثانوية في البصرة والعالية في بغداد بالرغم من كل المثبّطات.

وأذكر له قصة\* قرأتها قبل أعوام طويلة ولم تنزل عالقة بذهني لأنها من صميم الواقع الذي يهز ويثير: قصة قدوم الفتيات، تروي مجيء فتيات لقضاء عطلة الصيف في القرية المنعزلة النائية المحرومة نور الكهرباء ومتع الحضارة. لقد علم الشبان بقدوم قريبات لهم، فظلوا يتربون ذلك القدوم بقلوب مؤلمة واجفة ويتطلعون إليه تطلّع المحروم الذي لم ير في حياته وجه فتاة مدنية...

وجاء السيّاب إلى بغداد سنة ١٩٤٣ فانتفى إلى دار المعلمين العالية وارتاد ندوات الأدب ونظم الشعر. وتخرج سنة ١٩٤٨ فعين مدرّساً في الرمادي. ولم يلبث أن شارك في الحركات السياسية الوطنية ففصل وسجن. ولما أطلق سراحه، عضه الفقر بناه، فعمل محرراً ومترجماً في صحف بغداد وتشبّث بأشغال أخرى سدّاً لرمقه. وسافر إلى إيران والكويت والمملكة السعودية، ثم عاد إلى بغداد ليقبّع في زوايا مديرية الأموال المستوردة موظفاً صغيراً. وكان بعد ذلك مترجماً في جريدة الشعب (١٩٥٧).

واندلع لهيب الثورة في تموز ١٩٥٨، فحيّاً مطلع النور الجديد وأعيد إلى التدريس، لكنه لم يلبث أن اعتقل وسجن في سنة ١٩٥٩. وتنكّر بعد ذلك لأرائه السياسية القديمة وقلب ماضيه ظهر المجنّ، بيد أن شعره النابع من أعماق نفسه استمرّ يتدفق ثراً، نابضاً بالحياة.

ووظف في مديرية ميناء البصرة ردحاً من الزمن، ثم ابتلي بالمرض وأصيب بشلل جانبي، فذهب للعلاج إلى لبنان وآنكلترية. وعاد إلى البصرة، ثم أدخل المستشفى الأميري في الكويت حيث قضى نحبّه في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٤، بعد أن تداولته تيارات السياسة وهذّ جسمه المرض ووسمه بميسمه الشقاء.

شعره ومؤلفاته:

صدر لبدر شاكر السيّاب مجموعات وملاحم شعرية، منها: أزهار ذابلة (١٩٤٧) أساطير (١٩٥٠) حفار القبور (١٩٥٢) المومس العمياء (١٩٥٤) الأسلحة والأطفال (١٩٥٤) المعبد الغربي (١٩٦٢) منزل الأبقان (١٩٦٣) سهيل الجواد الأبيض، أنشودة المطر (١٩٦٠) شناسيل ابنة الجلبي (١٩٦٥) إقبال (١٩٦٥) قيثارة الريح

\* أربع بنات، نشرت في جريدة الشعب البغدادية في ٦ آب ١٩٥٥

(١٩٧٠) إلخ. وله، عدا ذلك، قصص ومقالات شتى، و«مختارات مترجمة من الشعر العالمي الحديث» (١٩٥٥) نقلها عن اللغة الإنكليزية، وآثار شعرية مخطوطة: زئير العاصفة، قلب آسية، القيامة الصغرى، من شعر ناظم حكمت، إلخ. وترجم أيضاً: الجواد الأدهم (١٩٦١) مولد الحرية الجديد (١٩٦١).

إنّ السيّاب الشاعر ابن جيله الثائه في ببداء الضياع. تفتّح ذهنه، أوّل ما تفتّح، على ويلات الحرب والتقتيل والتدمير، وصراع المبادئ في خضمّ من الدماء والدموع. أضيف إلى ذلك نشأته العسيرة المكافحة، ونفسه المرهفة التي ضاقت ذرعاً بالجهاد والحرمان، وتأثره بمناهج الأدب العالمي الحديث عن طريق معرفته للغة الإنكليزية وظمأه إلى المطالعة والاطلاع. برز كلّ ذلك في شعره، وبعض ذلك في مأساة حياته وموته.

هل نستطيع أن نقرن السيّاب بالشاعر الفرنسي أرتور رامبو (١٨٥٤ - ١٨٩١) Ar-  
thur Rimbaud - إن البون بينهما جسيم: فرامبو من شعراء الرمزية الذين يستهينون بالكلمات والحروف ويغرقون في بحر من الصور، منها المفهوم ومنها العصي الغامض. إنّ شعر رامبو يقوم على الرمز والإيحاء ويحلّق في فضاء الهوى والضباب، ويلج ذهن القارئ بطريق التعليل والتأويل.

لكن الشعارين يجتمعان في الضياع والبحث عن مثل أعلى مجهول. فرامبو يعاني البؤس والفاقة حتى ليقول في بعض شعره: لقد مضيت، ويدي في جيبي الممزق، وقد أصبح معطفي رقيقاً كالخيال، سائراً في ظلّ السماء، مخلصاً لربة الشعر، حاملاً برؤى الحبّ الجميلة. إنّ مأواي نجم الدبّ الأكبر، وإنني لأجلس على قارعة الطريق لأصغي إلى موسيقى النجوم، وقطرات الطلّ تبلّل جيني . . .

يطلّق رامبو الشعر في العشرين من عمره ويسافر في مغامرات غريبة إلى الهند ومصر والحبشة، يحمل أمه وأوصابه إلى الأقطار القاصية. ثم يعود إلى فرنسة كليلاً مريضاً، ويدخل إلى مستشفى مارسيلية ليموت في شيخوخة روحية وعمره لا يتجاوز السابعة والثلاثين.

أما السيّاب فقد رأيناه لا يقرّ له قرار في حياة قصيرة، مفعمة بالشعر والأحلام والمرارة والآلام، والعمل والتدريس والسجن والتشريد، حتى ينطفئ سراجُه غريباً كئيباً.

ذاق الحبّ فقال:

هل تسمّين الذي ألقى هيأماً،

أم جنوناً بالألماني أم غراماً؟

أم خفوق الأضلع الحزّي إذا حان التلاقي

بين عينينا، فأطرقت فراراً باشتياقي



عن سماء ليس تسقيني إذا ما  
جنتها مستسقياً إلا أواما

\*\*\*

هل يكون الحبّ أتي  
بتّ عبداً للتمني،  
أم هو الحبّ أطراح الأمنيات  
والتقاء الثغر بالثغر ونسيان الحياة،  
واختفاء العين في العين انتشاء  
كانثيال عاد يفنى في هدير  
أو كظّل في غدير؟ . . .  
أمس، بالأمس التقينا في سفار  
هاج ذكرى كاد ينساها وينساني زمني .  
كان يوم أمنت فيه الأماني بالأماني .  
كان يوم فكّ عن ساعاته غلّ المدار،  
ثم أمسى تحت أقدام الليالي،  
مثل جرح في الرمال  
داسه الركب وسار. . .

\*\*\*

العيون الحور لو أصبحن ظلّاً في شرابي،  
جفّت الأقداح في أيدي صحابي  
دون أن يحظين حتى بالحباب  
هيّبي، يا كأس، حافاتك السكرى مكانا  
تتلاقى فيه يوماً شفتانا  
في خفوق والتهاب،  
وابتعاد شاع في آفاقه ظلّ اقتراب. . .

وطمح أن يحمل عبء البشرية، كما حمل أطلس بطل الأساطير الإغريقية السماء على  
كتفيه، وأن يصنع القدر ويبعث الحياة، فقال:

بويب ، يا بويب ،  
عشرون قد مضين كالدهور كلّ عام .  
واليوم حين يطبق الظلام ،  
وأستقرّ في السّريّر دون أن أنام ،  
وأرهب الضمير دوحه إلى السّحر  
مرهفة الغصون والطيور والثمر ،  
أحسّ بالدماء والدموع كالمطر ،  
يفضحنّ العالم الحزين .  
أجراس موتى في عروقي ترعش الرنين ،  
فيدهمّ في دمي حنين  
إلى رصاصة يشقّ ثلجها الزوّام  
أعياق صدري ، كالجحيم يشعل العظام .  
أودّ لو عدوت أعضد المكافحين ،  
أشدّ قبضتيّ ثم أصنع القدر .  
أودّ لو أخوض في دمي إلى القرار  
لأحمل العبء مع البشر ،  
وأبعث الحياة . إنّ موتى انتصارا

والسيّاب بعد ذلك ابن البصرة البارّ، ففي شعره نخلها الباسق ، والماء تضربه  
مجاذيف الزوارق ، وشط العرب الذي يرتقي في الخليج حيث اللؤلؤ والمحار . وهو ابن  
قريته الصغيرة جيكور التي اشتهرت باسمه وجدولها بويب الذي زاده التصغير صغراً .  
أليس يقول :

وأنت يا بويب ،  
أودّ لو غرقتّ فيك ألقط المحار ،  
أشيد منه دار ،  
يضيء منها خضرة المياه والشجر ،  
ما تنضح النجوم والقمر ،  
وأعتدي فيك مع الجزر إلى البّحر .  
فاللوت عالم غريب يفتن الصغار ،  
وبابه الخفيّ كان فيك ، يا بويب . . .

ويقول :

عينك غابتا نخيل ساعة السّحر،  
أو شرفتان راح ينأى عنها القمر.  
عينك حين تبسمان تورق الكروم،  
وترقص الأضواء كالآفهار في تهر.  
يرجّهُ المجذاف وهنا ساعة السّحر،  
كأنّما تنبض في غُورِهما النجوم .

\*\*\*

وتغرقان في الضباب من أسى شفيف  
كالبحر سرح اليدين فوقه المساء،  
دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف،  
والموت والميلاد والظلام والضياء .  
فتستفيق ملء روعي رعشة البكاء،  
ونشوة وحشية تعانق السّماء،  
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر . . .

\*\*\*

السيّاب شاعر المطر: إن الوابل المنهمر قد أثار شعور الشعراء، فمنهم من وجد فيه  
البهجة والسرور كفكتور هوغو الذي قال :

«ما أرطب المساء وأطيبه . لقد هطل المطر في الصباح، فاخضرت أبسطة العشب  
الندية . وطار الطير في ظلال الأشجار ينفض أجنحته المبتلة . فلتباركه السماء، هذا  
الطير المسكين ! إنه يسمع صفير الريح، وينطلق في الغناء، ويرى قطرات الماء تلمع في  
عشّه كاللآلئ» .

ويمضي الشاعر بعد ذلك إلى وصف السماء التي عادت إلى زرقتها، والأرض التي  
حظيت بالخصب، والجدول الذي امتلأ وفاض وارتمى من فوق الحصى كالشلال على  
النمل . . .

ومنهم من وجد في المطر الحزن والشجون، كالشاعر الفرنسي سولي برودوم الذي  
أصغى إلى وقع القطر الراتب وبكاء أوراق الشجر وحزن الهواء الذي كدر صفو الطيور.  
ولقد أصبح الأفق ستاراً شاحباً . . . وغدت الأرض وحلاً والسماء ضباباً . وضجر  
الإنسان، فيا لحزن المطر!

أما الشاعر الأميركي هنري وادزورث لونغفيلو فقد استطاع أن يرى في المطر جانبيه  
البهيج والكئيب: فهو في قصيدته «المطر في الصيف» يقول:  
«ما أجمل المطر!

بعد الغبار والحزّ اللافتح، في الشارع العظيم الواسع وفي الزقاق الضيق، ما أجمل  
المطر!».

ويميضي في تعداد مزاياه، يصف وقعه على السقوف كحواضر الجياد وتدفقه في أفواه  
الميازيب... والرجل المريض في غرفته يرى من النافذة الجداول الطافحة فيشعر بالبرد  
والهدوء والسلام. وفي الريف الظامئ يرحّب العشب الجافّ والحبّ المجذب ببركات  
المطر، وترفع الثيران التعب الصابرة رؤوسها الرازحة تحت النير لتشكر الله على نعمته...  
لكنّ هذا الشاعر نفسه في قصيدته «اليوم الماطر» يقول:

«إنّ النهار بارد ومظلم كئيب. فالمطر يتساقط، والرياح تهبّ ولا تملّ. والكرمة  
تلصق بالجدار المتعفن، لكنّ أوراقها الميتة تسقط في كلّ هبة. فيا للنهار المظلم  
الكئيب!...».

والمطر لدى بدر شاكر السياب كئيب ينذر بالوحدة والضياع ويرسم الأشباح في  
مقلة العاشق. فلنستمع إليه يقول:

أتعلمين أيّ حزن يبعث المطر،

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر،

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياع؟

بلا انتهاء - كالدّم المراق، كالجياح،

كالحبّ، كالأطفال، كالموتى - هو المطر!

ومقلتناك بي تطيفان مع المطر،

وعبّر أمواج الخليج تمسح البروق

سواحل العراق بالنجوم والمحار،

كأنّهم بالشروق،

فيسحب الليل عليها من دمّ دثار.

أصبح بالخليج: «يا خليج،

يا واهب اللؤلؤ والمحار والردي!»

فيرجع الصدى

كأنه النشيج:

«يا خليج،

يا واهب المحار والردي».

وكذلك يتلمس السيّاب طريقه بين النهر والضباب والضياء والظلام والموت والضياء، فيلتقي، من دون أن يعلم، بأرتور رامبو الذي يقول في مقطوعته «نائم الوادي»، نظمها احتجاجاً على الحرب الفرنسية الألمانية سنة ١٨٧٠، وعمره آنذاك لا يربو على السادسة عشرة:

«ذلك ثقب من الخضرة يغني فيه النهر، ويعلق في جنون بالأعشاب أسمال اللّجين، وتلتمع الشمس الفخورة بالجليل. إنه وادٍ صغير مزبد بالأشعة.

«وثمة ينام جندي صغير، مفتوح القم، حاسر الرأس، غارق العنق في نبات الجرجير الأزرق الطريّ. وهو منبسط على العشب، تحت السحاب، ممتقع الوجه في فراشه الأخضر حيث تظطر الأضواء».

«وينام، وأقدامه في السوسن، باسماً كما يتسم الصبيّ المريض، مغلداً إلى الوسن. أيتها الطبيعة، ألا هدهديه بدفتك، فقد حدّره البرد».

«إن العطر لا يحرك خيشومه، فهو ينام في الشمس، ويده على بطنه، هادئاً، وفي جانبه الأيمن ثقبان أحمران».

ولو تسنّى لنا وصف ممت بدر شاكر السيّاب في مستشفى الكويت، هل كان يسعنا وصفه مجازاً بأحسن من هذه المقطوعة؟

نقد شعر السيّاب وكتب عنه عدة أدباء. فارتأى حسين داود خضر أن السيّاب بدأ حياته الأدبية شاعراً وجدانياً، وكان معجباً بعلي محمود طه. وقرأ الأدب الإنكليزي، ولا سيّما شيّليّ وجون كيتس، فتأثر به وغلب عليه التشاؤم والألم والمرارة، وكان الحبّ موضوعه المفضّل. وأطلق شعره من قيود الأوزان التقليدية، وكان من رواد الشعر الحرّ. ثم طوّف في أرجاء وطنه، فاتّصل بأبناء الشعب وتأمل الطبيعة في مشاهدتها. ترك آثنيّ الحب، وأخذ ينشد مستقبلاً أفضل لوطنه وأمتّه. وفي هذا العهد من حياته اكتشف ستيفن سبندر Stephen Spender وروبرت بروك Rupert Brooke ووليم هنري ديفز William Henry Davies وت. س. إليوت T. S. Eliot. وحاول أن يطلق أفكاره من عقابها وأن ينهج ضرباً من «الواقعية الحديثة» على مثال الشاعر الإنكليزي سبندر. ومال إلى الرموز والأساطير فتغنّى بعشتار وتموز وبأجوج ومأجوج وقمر الزمان وأوذيس وهيلينا. . . وفي السنوات الأخيرة من حياته انطوى السيّاب على نفسه. طغت عليه الأمراض، وملكت فكرة الموت شعوره، فتوقّع الموت في كلّ لحظة. لم يبق له صديق سوى شعره، فعبر عن ذاته في المعبد الغريق ومنزل الأقتان وشناشيل ابنة الجلبي وإقبال. رفع الستار عن مسرح قفر كالصحراء، يعمره الحزن والخوف من النهاية الهائلة المريعة.

وقال حميد سعيد: «لقد كان السيّاب رائداً وكان نقطة تحوّل، لا بالنسبة للشعر في

العراق، بل بالنسبة للشعر العربي . . . وفي اعتقادي أنّ السياب هو الثورة الأولى على الشكل الكلاسيكي رغم كل ما يقال . . . ورغم عدم إنكاري لوجود محاولات عاصرت وسبقت محاولات التجديدية، إلا أنه يبقى نقطة التحول التي ذكرتها والإشارة التي تلفت الأنظار إلى الشعر الجديد . . .»

وقال عبد الجبار داود البصري: « . . . ومن هنا يصحّ القول إنّ تأثره كان إيجاباً وسلباً، تجاذباً وتنافراً. فقد جذب القوم إلحاحه على إيجاد نغمات جديدة وتعابير طازجة وأساطير غريبة وأفكار معاصرة، مع مظهر قصائدي يوحى بالفخامة ويتشبه بالقصور. . . وبعد وفاته، كان صوته سوطاً يلهب ظهور هذا الجيل ويهدّد أصالتهم بالإذابة . . . فهو رائد للشعر الحرّ باعتبار ما كان، وهو دافع من دوافع الموجة الجديدة باعتبار ما هو كائن . . .»

وقال علي الحلبي: «كان السياب من أوائل الذين تأثروا بالشعر الأجنبي من خلال قراءاته الكثيرة له، ومن ثمّ ولعه بالأساطير الإغريقية وأشعار ت. س. اليوت واديت ستويل وستيفن سنندر وعزرا باوند وولت وبتمان، فانطبعت أعمالهم وخصائصهم وأجواؤهم الحدسية والنفسية في كثير من شعره . . . كان السياب يرى بأنّ حركة الشعر الحرّ تطوّر في مفهوم الشكل الفني للشعر العمودي وليست عملية إلغاء وجحود وإنكار للتراث الشعري، كما يراه أدباء الضياع اليوم. لذلك فإنّ الأثر الذي تركه بدر شاكر السياب في شعر هؤلاء كان حاداً وبليناً دفعهم إلى الانسحاب السريع في متاهات التعمية الداكن وكهوف الشلل الذهني وأقبية الانغلاق الذاتي.

«لقد كان المضمون الشعري لدى السياب في قصيدته الحرّة، قبيل استسلامه للمرض، عميق الإيمان بالشعب، كافرّاً بالصّنمية الفردية، واضح الملامح الفنية، متّسماً بأصالة الشخصية والثقة والإبداع المجنّح والحبّ للإنسان، في حين يدور الكثير من الشباب الأدباء بعده في دوّامات عاتية من القلق والضياع والتحنّط واليأس والهروبية وكره الحياة واحتقار التفاؤل وزرع الشكوك في أعماق الوجدان الإنساني . . .»

وقال سامي مهدي: «لقد كان السياب شاعراً أصيلاً، وكان له لهذا السبب أثره البينّ على الشعر العراقي المعاصر. وهذا الأثر هو في كل الأحوال أشدّ من أثر زملائه. فالسياب أثار في بناء القصيدة وعروضها وموسيقاها وأجوائها ولغتها وحتى مفرداتها ورموزها. ويمكن القول بثقة واطمئنان إنّ هذا الأثر قد امتدّ إلى الشعر العربي المعاصر بمجموعه . . .»

وقال خالد علي مصطفى: «إنّ شعر السياب يتدرّج في إحياءاته ابتداءً من البيئة ومروراً بالوطن الصغير (العراق) إلى الوطن الكبير (الأرض العربية) وانتهاءً بالعالم. وهذا التدرج هو تاريخ السياب النفسي والاجتماعي أيضاً. ومن هنا استطاعت «ذات السياب» الشعرية أن تستقبل روافد العالم الموضوعي بانسجام وتفتح وحيوية.»

وقال علي جعفر العلالق : «وللسياب ، قبل غيره ، الريادة الحقيقية في استثمار الدلالات الميثولوجية اليونانية ومخزونات التراث العربي الموحية التي شحنت شعره بعوالم كثيفة وضاجة بالقيم التعبيرية والعاطفية المذهلة» .

وقال الناقد اللبناني الدكتور أنطون غطّاس كرم :

«إن السياب لم ينظم الشعر إلا بمقدار ما هو امتداد لمأساته الداخلية والتمزق المعتمل فيه ، فدوّب في مأساته كل فاجع أتاه ، وحوّل إلى تجربته الوجدانية كل تجربة ، وفي حمى نفسه صهرت حمى سيزيف وشعلة بروميشيوس وحرارة البعث من تموز والمسيح وتباريح جميلة بوحيرد وعدمية المحو من هيروشيما وأنين القوافل الضائعة من أرض المقدس .

يتضح لنا مصداقه في جيكور، مسقط رأسه، كيف نمت بنمو ثقافته، من عهده الغنائي الحالم البريء إلى عهده الفكريّ المعقد، من زمان الطفولة الريفية العذراء، تستفيق فيه حنان أمومة، وغابات نخيل، وصفاء ماء نمر، وانحناء فوق حبّ قديم من عهد الصّبا الأول، وحكايات من حلالات الخوارق، إلى أن تصبح جيكور الكوي التي يطلّ منها على قضايا أمته، وعلى العالم الذي حاد عن محوره، بل تصبح هي العالم ومختصر مأساته وتطاحن متناقضاته : منها يرى الطهر فتتضح صورة البغاء، ويرى السكنينة والسلام فيعظم ضجيج العالم، والحرمان الخصب فيرى التخمّة الجوفاء وانحراف العدالة والفوارق الطبقيّة والمثال وضده، ودفاء الدار والقرية المعذبة، والموت والبعث، والضعف المستكين والاستبداد السّاحق . . .»

### بدر شاكر السيّاب

عرفت الشاعر بدر شاكر السيّاب في سنة ١٩٥٧ أو نحوها . فقد كان معتقلاً، وتوسّط جماعة له عند عبد الرزاق الشبخلي ليسعى في إطلاق سراحه . وكان رئيس الوزراء نوري السعيد قد عاد لتوّه من رحلة إلى الخارج، فذهب الشبخلي لمقابلته . قال نوري السعيد : ماذا أتى بك ، يا عبد الرزاق، وأنت المعارض المزمّن الذي لا ترضيك سياستنا؟ .

— جئت أرجوك أن تأمر بإخلاء سبيل شاعر مسكين معتقل اسمه بدر شاكر السيّاب .

فقدم السعيد إلى الشبخلي ربطة عنق حريراً فاخرة قائلاً : هذه هديّة لك . ثم كلم دائرة الأمن تلفونياً سائلاً عن سبب اعتقال السيّاب، فقيل له إنه شيوعي خطر، وقد قبض عليه بهذه التهمة .

فقال الرئيس : إذا تبرأ صاحبك من الشيوعية بتصريح يكتبه بتوقيعه فإننا نطلق سراحه .

وقدم السياب تصريح البراءة وأخرج من المعتقل . فجاء إلى عبد الرزاق الشيعلي وقال له : لماذا سعيت في الإفراج عني ، وكنت في الأقل آكل وأعيش على حساب الحكومة في السجن ، وأنا الآن لا مورد لي ولا عمل ؟ فأخذ الشيعلي ومضى به إلى ناظم الزهاوي مدير الأموال المستوردة العام وأوصاه بإيجاد وظيفة له ، ففعل .

روى لي الصديق الشيعلي هذه القصة وسألني هل أعرف هذا الشاعر، فقلت : إنني أقرأ له وأودّ أن أراه . فسأله أن يزورني ، وجاءني بعد أيام إلى مكتبي ، فتحدّثنا في الشعر والأدب . وكّرر زيارتي مرّات ، ثم جاءت ثورة ١٤ تموز، فكان آخر العهد به .

نظم السياب ، وهو في المستشفى الأميري في الكويت قبيل وفاته ، قصيدة في مدح أمير الكويت عبد الله السالم الصباح وتطرق فيها إلى هجاء عبد الكريم قاسم . وجد القصيدة الشاعر علي السبتي ونشرها في مجلة الحوادث اللبنانية في ١٢ أيار ١٩٧٨ . ومطلعها :

لمن زينوا بيت القوافي بمخمل ؟ لذي لبد في دوحه المجد معتلي  
وختمها قائلًا :

أريد التفاتاً منك نحوي هنيهة ففي لفتة من وجهك السمح مأملي  
وصدرت في باريس سنة ١٩٨١ مختارات شعرية للسياب بعنوان «الخليج والنهر» مترجمة بقلم أندريه ميكيل إلى الفرنسية .

### عبد الوهاب البياتي

الشاعر التقدّمي عبد الوهاب بن أحمد جمعة البياتي ، من زعماء مدرسة الشعر الحرّ في العالم العربي ، ولد ببغداد سنة ١٩٢٦ وتخرج في دار المعلمين العالية (شعبة اللغة والآداب العربية) سنة ١٩٥٠ . عمل في التدريس والصحافة ، ثم أقصي من الخدمة لميوله الشيوعية (١٩٥٤) ، فغادر العراق وأقام في مصر والاتحاد السوفيتي .

وقد عاد إلى بغداد بعد ثورة ١٩٥٨ ، فعين ملحقاً ثقافياً في سفارة موسكو . ولم يلبث أن استقال من وظيفته ليقوم بالتدريس في جامعة الشعوب الآسيوية في العاصمة الروسية إلى سنة ١٩٦٥ حين مضى إلى القاهرة ثم عاد إلى العراق فعين مستشاراً في وزارة الإعلام . وفي سنة ١٩٨٠ منحته الحكومة العراقية تفرغاً مدى الحياة للانصراف إلى النظم ، فاختر الإقامة في مدريد وعين مديراً للمركز الثقافي العراقي فيها .

من مؤلفاته : ملائكة وشياطين (١٩٥٠) أباريق مهشّمة (١٩٥٤) رسالة إلى ناظم حكمت (١٩٥٦) بول إيلوار مغني الحبّ والحرية (١٩٥٧) أشعار في المنفى (١٩٥٧) المجد للأطفال والزيتون (١٩٥٦) عشرون قصيدة من برلين (١٩٥٩) كلمات لا تموت



(١٩٦٠) النار والكلمات (١٩٦٤) سفر الفقر والثورة (١٩٦٥) الذي يأتي ولا يأتي (١٩٦٦) قصائد (١٩٦٥) تجربتي الشعرية (١٩٦٨) الموت في الحياة (١٩٦٨) عيون الكلاب الميتة (١٩٦٩) الكتابة على الطين (١٩٧٠) إلخ . وله مسرحية «محاكمة في نيسابور» (١٩٦٣) .

قال في مقابلة صحفية: « . . . أنا لا أعتبر الشعر هو الوسيلة الوحيدة للتعبير. وحتى الشعر نفسه لا أكتبه لكي أكون شاعراً فقط ، بل إنني أستخدم القصيدة وسواها أسلحة من أجل عملية التقدم والتغيير الاجتماعي ومن أجل خلق قيم إبداعية حضارية جديدة . كما أنني أستخدم القصيدة أيضاً سلاحاً للدفاع عن الإنسان ضد الشر والجريمة . وإنني لا أريد أن أجعل من القصيدة شعراً فقط لا غاية له بالرغم من أن القصيدة عالم قائم بذاته ولذاته . ولكن هذا العالم ، من خلال ديمومته وحركته ، يؤدي إلى التغيير النوعي في رؤية الإنسان . ومن هنا ، أي من عملية منح الإنسان رؤية جديدة ، يمكن منحه أسلحة جديدة لمقاومة الواقع الفاسد . وأريد أن أوضح الأمر أكثر ، فأقول إنني ألتزم بطقوس الشعر التزاماً كاملاً . ولكنني وأنا ألتزم بها التزاماً كاملاً لا أريد جعلها غاية فقط كطقوس شعرية أو فنية ، بل أريد أن أجعل منها طقوساً ثورية حضارية . وهذا الطموح يمثل أوج ما يطمح إليه أي فنان حقيقي في كافة العصور . . . » (المجلة ، جدة ، ٢٧ آذار ١٩٨٢) .

وقد أسف البياتي لمظاهر التجزئة الإقليمية والسياسية والاقتصادية التي أخذت تعكس آثارها على الأدب العربي ، بالرغم من أن الثقافة العربية حاولت جاهدة ، كما قال ، أن تحافظ على وحدتها طوال العصور . ونسب ظهور عوامل التجزئة إلى عوامل الغزو الثقافي الداخلي والخارجي . ولاحظ اختفاء الاتجاهات والمدارس المرتبطة بواقع الثقافة العربية قديمها وحديثها وبالواقع العربي وحركة الجماهير العربية .

## بُلند الحيدري

شاعر الشباب العراقي المجدد بُلند أكرم الحيدري ، ينتمي إلى الأسرة الحيدرية الشهيرة . ولد في بغداد في ١٤ أيلول ١٩٢٦ ، وذاق مرارة اليتيم صغيراً ، فنشأ بوهمياً لا يستقر على حال ، يتنقل من درس إلى درس ومن عمل إلى عمل . تعرّف إلى الفنان جواد سليم فالتمس أن يقوم معه بتجربة فنية تمزج الشعر بالرسم . وحاول إصدار مجلة أدبية عصرية . ثم كان مساعداً لمحمود فهمي درويش في تحرير مجلة «الزراعة» العراقية . وانتهى به المطاف في بيروت التي اتخذ منها سكناً وملجأً روحياً . وأصبح سنة ١٩٧٠ رئيساً للمؤسسة اللبنانية للطباعة والنشر وسكرتيراً لتحرير مجلة العلوم البيروتية فريساً

لتحريرها . واشترك في سنة ١٩٧٤ مع عالية ممدوح في الإشراف على تحرير مجلة «الفكر المعاصر» البيروتية .

وعاد إلى بغداد بعد ذلك وأصبح سكرتيراً لتحرير مجلة «آفاق عربية» . تأثر بأدب المهجر وعمر أبي ريشة والياس أبي شبكة ، ثم اشتق لنفسه نهجاً خاصاً في الشعر طالما سار عليه ثم طلقه وعاد إليه .

أصدر مجموعته الشعرية الأولى «خفقة الطين» (١٩٤٧) وعمره لا يكاد يتجاوز العشرين . ثم تبعها بمجموعات أخرى : أغاني المدينة الميتة (١٩٥١) أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى (١٩٥٧) جئتم مع الفجر (١٩٦٠) خطوات في الغربية (١٩٦٥) رحلة الحروف الصفر (١٩٦٨) قصائد جديدة (١٩٦٨) أغاني الحارس المتعب (١٩٧٠) حوار عبر الأبعاد الثلاثة (١٩٧٢) .

شعره :

وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، وفرك الشباب عينه التي بهرها فجر السلام الطالع وأرخصى أذنيه يتمتع بهدوء لم يشهده من قبل ، ذلك الشباب الذي شبّ وترعرع على هدير المدافع والقذائف وأخبار الفتك والتقتيل والتدمير وأهوال الجوع والتشريد والحرمان . نشأ ذلك الشباب في دوامة كابوس شديد جثم على صدر الإنسانية المعذبة . والآن ، وقد انتهت المعارك ، هل يعود إلى الإيمان بالقيم الأخلاقية ويعقد الرجاء على صلاح البشرية ؟ لقد حل محلّ الشك والجحود والتهافت حلّ محلها صراع نفسيّ يجذب ويدفع ويهدئ ويثير ويدهور ويرفع ويهز ويسند ويخلد ، ويرسم الأحلام ويحسّم الأوهام أنا وأنا يجدو على اليأس والقنوط .

وبرزت تلك السمات أبرز ما تكون في شعراء الشباب الذين تقرّوا مواضعهم بين المباني والمعاني ، فخرجوا بشعر جديد سماته المشتركة الأصالة وسهولة الأداء . لقد صدر الشعر الجديد عن منابع صافية من النفس البشرية أو الحياة الواقعية ، واحتفل بالمعاني والأداء قبل الكلمات والتراكيب ، وأثر البحور والأوزان الخفيفة والأشكال الشعرية السهلة والقوافي الرنانة غير الراتبة ، وتنكّب المواضيع التقليدية من فخر ومدح وثناء ونسيب وهجاء .

كان شعر بلند الحيدري حين أصدر ديوانه «خفقة الطين» يجمع بين طيّاته كل تلك السمات ويعدّ شيئاً جديداً في الأدب العراقي الحديث . فلم يمض عهد بعيد كان فيه المثل الأعلى للشعر الديباجة العباسية والمعاني المقتنصة دون مراعاة لوحدة الموضوع ولا مقتضيات حياة العصر . وفي تلك الآونة سمعنا محمد هاشم عطية ، الأستاذ المصري المتزمت ، يقول في محاضرة له ببغداد : إن الشعر العربي قد اختتم بالمتنبي ، فدالت بعده دولته وخمدت صولته . وسمعت أحمد حامد الصرّاف ، الأديب الذكيّ الأملعي ، يقول :

لقد انتهى الشعر بشوقي، ولعل الأخطل الصغير وأمين نخلة شاعران!  
 وإنه لتقدم واسع سريع أن تحتزل الأبعاد وتطوى الأزمنة، فيصدر في عاصمة الرشيد  
 ديوان شعر عاطل من الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية، خالٍ من المعاني المقلدة  
 الجوف والمواضيع البالية التي عقى عليها الدهر. وليس ذلك فحسب، بل يجمع إلى ما  
 تقدم إخلاصاً في الشعور والأداء وصراحة صارخة جريئة ونظرة إلى الحياة شاذة غريبة.  
 وشاعرنا الحيدري على جلاء يئانه وقوة أدائه يستهين أحياناً باللغة ولا يوليها ما  
 تستحقه من العناية كأداة للتعبير. وهو شاعر مطبوع ينظم عن سجية خالصة، فلا  
 عجب أن جاء شعره بعيداً عن التعمل والتكلف، مفصلاً عن نفسه الفتية الجامحة.  
 تفتحت عيناه على الحياة، والحرب العالمية ضاربة على المعمورة بالجران تغرق الأقطار  
 الدانية والنائية في بحر من الدم والنار، وتصك الأسع بأنباء التقتيل والتدمير، وتهيج  
 النفوس بأحداث لم تألفها البشرية منذ مبدأ الحضارة في هذا العالم المضطرب  
 الصخاب. نشأ فتاناً وأدرك الحياة فانطبعت عواطفه وأفكاره بطابع جيله القلق الفائر  
 الحيران. أليس من ظواهر ذلك الاضطراب تلك الحمى النفسية التي تنبعث من  
 الأشرط والمقاطع فتبرز على أشكال مختلفة من تمرد وإغراب تارة وألم ومرارة طوراً؟ وذلك  
 الشعور بالهرم والكلل والملالة وما يمت إليه من تعلل بالذكريات وبرم بالحاضر وفقدان  
 الثقة بالمستقبل، أليس غريباً من شاب في ميعة الصبا لم يكد يجتاز عتبة الحياة؟

لقد ساءل الشاعر نفسه عن نفسه فقال:

من أنت، يا من ترهب الظلماء خطوته الرهيبه؟

يمشي كما شاءت عصاه كأنها حفظت دروبه

تتنفس الأشباح في عينيه حاملة كئيبة

لا الليل أربعها بما يملي ولا خشيت قطوبه

من أنت؟ . . . إني شاعر عمري أعاصير غريبة!

إن في شعر بلند الحيدري جانباً وجدانياً يبدو فيه تأثير إيليا أبي ماضي وأقرانه من  
 شعراء المهجر، لكن هذا الجانب تشوبه مسحة من الكآبة وظمأ الروح وتطغى عليه  
 نوازع الحيبة واليأس. لقد خرج الشاعر إلى الحياة حاملاً نفسه المرهفة وقلبه الجياش  
 بالأمال، فما هي إلا لحظة حتى صدمته بحقيقتها المرة وبدلت أحنانه التي لم تكد ترتلها  
 شفتاه مرثي حزينه تعني الشباب وتجدد الحب والهناء. التمس يومه الحاضر فقيل له:  
 لا شيء هنا. وقتش عن أحلامه المتلاشيه فقيل له: لا شيء هنا. والتفت إلى غده  
 يستشف ما أتته من خلال حجب الغيب، فقيل له: لا شيء هنا. حتى إذا ما أنس إلى  
 فكرة الموت والفاء، قيل له: كل دنياك هنا!

يبد أن هذا الجانب من شعر بلند الحيدري ليتضاءل أمام الجانب الآخر، جانب

الثورة الصارخة والكفران بقيم الحياة . يمتّ هذا الجانب بصلة روحية إلى بودلير وأبي  
شبكة ، وقد غلّته أكبال الجسد اللاصق بالرغام ، فتطبّق على جحيم مائج بالأمال  
البهيمية ، متأجج بالشهوة المستعرة ، نشوان بالكؤوس التي لا تخلف في الفم سوى  
المرارة ، شقيّ بنقمة الأقدار و «لعنة التراب» و «دودة الطين جنّت في الدم المأسور» .  
فلنستمع إلى الشاعر يقول :

أنا من نار، وناري شهوة أحرق جسمي وماجت في ضميري  
أو يقول :

ما النار، ما الجنة إلا صدى لنظرة ماجت بعيون امرأة  
ويقول :

نحن طنين ، وأي طنين حقير ، فلم الخوف من خوالج طينك ؟  
إنّ بلند الحيدري الشاعر الموهوب مثال لأبناء جيله المبلبل الأفكار، المضطرب  
الحواس ، الهائم في أودية الشك والضلال . لقد شهد صراع الحضارة البشرية في يومها  
الدامي العصيب ، فخرج من تجاربه بالتجرّد والجحود والثورة السّاخرة المريعة . فلولم  
أكن أدري دراية الممارس الخبير أنّ الشاعر لا يُسأل عن إلهامه ، لخاطبت صاحب  
«خفقة الطين» قائلاً : مهلاً ، أيها الفتى الموهوب ، ورفقاً . لقد منحت جناحي طائر  
للتحليق في سماء الشعر الرفيعة ، فما لك ، شأن ملاك ألفرد دي فني (\* ) ، قد يمت  
شطر العوالم السفلى تحاول هداية إبليس ورده إلى حضيرة النعيم المقيم ؟ . . .

ولقد كتبت عن شاعر «أزهار الشر» فقلت : «إن بودلير قد بحث في شعره عن المثل  
الأدنى ، لكن هذا المثل الأدنى قد بلغ من القسوة والجلاء مبلغاً عظيماً حتى ليشير في  
النفس القشعريرة والاشمئزاز ويؤدي في آخر الأمر إلى التزهيد في ذاته والترغيب في  
نقيضه : المثل الأعلى» . ولست أدري هل يسعني إطلاق هذا القول على شاعرنا  
الحيدري .

وسار بلند الحيدري في طريق النقمة والقلق والغضب والعقم والقنوط ، فإذا هو  
شاعر «أغاني المدينة الميتة» الذي يقول :

نفس الطريق

نفس البيوت ، يشدّها جهد عميق

نفس السكوت .

---

(\* ) ألفرد دي فني في قصيدته «علواء» (Bloua) أو «أخت الملائكة» يروي قصة روح سبّاحة هبطت إلى الجحيم لتهدئ  
الشیطان رافة به وعطفاً عليه ، فعلمت بجائله وفقدت ملكوت السماء .

كنا نقول غدا يموت ، وتستفيق

من كل دار

أصوات أطفال صغار

يتدحرجون مع النهار على الطريق

وسيسخرون بأمننا ، بنسائنا المتأففات

بعيوننا المتجمدات بلا بريق .

لن يعرفوا ما الذكريات ،

لن يفهموا الدرب العتيق

وسيضحكون لأنهم لا يسألون

لم يضحكون . . .

وفي المدينة الميتة رجل ميت يقول :

ساعي البريد ،

ماذا تريد؟

أنا عن الدنيا بمنأى بعيد

أخطأت ، لا شك ، فما من جديد

تحمله الأرض لهذا الطريد . . .

ينظر الشاعر إلى أعماق نفسه فينكرها ويعجب لأمرها ويقول :

لا تهابي

هذه الريح التي تطرد من باب لباب

ذلك الأفق الذي ينمو برعب واضطراب

والدروب

إنها ملعب أحلام شبابي

هي بعضي ،

إنها تلتفت كالأفعى ، ولكن . . . لا تهابي . . .

ولقد نظم إيليا أبو ماضي شعراً على لسان الزنجي المستعبد يفيض بالمرارة والحرمان ،

منه :

فوق الجميزة سنجاب والأزنب يمرح في الحقل

وأنا صياد وثياب لكن الصياد على مثلي

محظور إذ إنني عبث . . .

أما شعر الحيدري في العبودية ففيه مرارة من نوع آخر، مرارة هادئة ممزوجة باليأس تنبعث من أعماق الإنسان الذي يحسب نفسه حراً وهو إنما عبد أسير:

أكاد أثور، لكنني

أحسّ الغلّ في أذني

يولول هازئاً مني :

ويصرخ ضاحكاً: عبّداً . . .

أنا العائش في ظلي

أنا الموت بلا شكل

تُرى من أنت، يا غليّ؟

فعاد الصوت يشتدُّ

كأنّ عواصفاً تعدو

بأذنيّ وتريدّ:

أنا أنت، أنا العبد!

قال بلند الحيدري في حديث له: «القصيدة الحديثة تعبر عن إشكالاتي كإنسان معاصر أكثر مما تعبر عنها القصيدة الكلاسيكية. أحسّ بها، القصيدة الحديثة، أكثر ارتباطاً بالعصر من حيث فهمي العصري كمحاولة في تطوير البنيان الشعري. أما القصيدة الكلاسيكية فيمكنها أن تحمل جوانب من نفسي تتميز بالبساطة شدة ارتباطي بالمناسبة متجنباً إبراز أعماقي المتداخلة ضمن تحرك هذا القرن. ويظلّ الجواب أخيراً ارتباط القصيدة بالموضوع ذاته. ولكنني لا أرتبط بالمناسبة ارتباط شعرائنا القدماء على أساس من تزييف في مدح أو رثاء. أنا لا أكتب القصيدة الكلاسيكية إلا منطلقاً من نفسي، مرتبطاً كل الارتباط بالموضوع الذي يثير فيّ كوامن عاطفة صادقة . . .».

ومهما يقل بلند الحيدري فإنه يظلّ في قصيدته العمودية الكلاسيكية، كما في شعره الحديث المنطلق في متاهة من المصارع والتفاعيل، ذلك الشاعر الباحث في قرارة نفسه، المترصد للكلمات والتعابير التي تفصح عن قلقه وحيوته وتخلق الأجواء التي يخلق فيها تمليقاً. وحسبنا مثلاً قصيدته التي ألقاها في الاحتفال بالذكرى العشرين لوفاة عمر فاخوري، وعنوانها «النسر»، يقول منها:

علونا فالذرى مرمى جناحي      ودري فيك، يا هوج الرياح

وبي من همّة صمّدت ليالٍ      تأبّت أن تكون إلى صباح

فليس الفجر للأحرار إلا  
فيحصى ألف فذم ما تبقى  
وتشمت بسمعة في عين وغد  
ألا، يا ليل، أطبق إن مسأ  
تألق فاصطلي أفق وطارت  
لكم حسبت بأن جنباً أدرنا  
وإني إذ عفوت فعن كالل  
وإن جبال قومي سوف تهوي

مرايا تستبين بها جراحی  
بجسمي من لججات الرماح  
مسحت بجلده بالأمس ساحي . . .  
من النيران يسرع في جماعي  
رؤى عن عين حمقاء وقاح  
وجوهاً عن وجوههم القباح  
فما جرؤت ولا مرؤت رماعي  
لتدفن ما تخاذل من سلاحي

أصدر بلند الحيدري سنة ١٩٩٠ مجموعة شعرية «أبواب إلى البيت الضيق» .